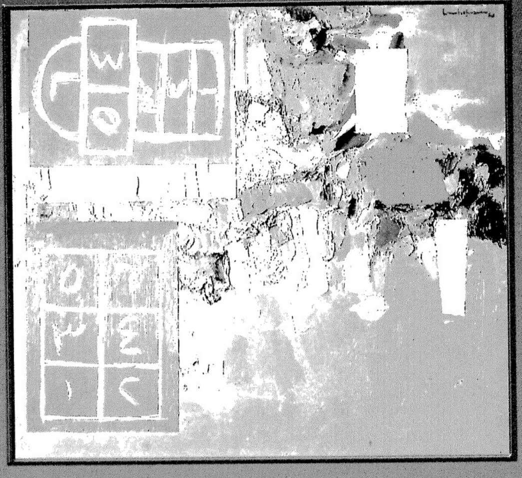


لعبة الحجلة







218

تأليف : خوليو كورتاثار

ترجمة وتقديم

على إبراهيم على منوفى

مراجعة : صلاح فضل

المشروع القومى للترجمة

لعبة الحجلة
(رايولا)

تأليف
خُوليو كُورتَاثَار

ترجمة وتقديم
على إبراهيم على منوفى

مراجعة
صلاح فضل



٢٠٠٠

هذه ترجمة عن الإسبانية لرواية :

RAYUE LA

Cátedra - Letras Hispánicas

1996

تقـــديـــم

أصبح من المعلوم لدى جميع القراء، وخاصة من غير المتخصصين، أن فن السّرد القصصى فى أمريكا اللاتينية قد أخذ يعتلى مكانة بارزة مع بداية الأربعينيات فى القرن العشرين، وتهيأت الكثير من العناصر والعوامل التى ساعدت على نشره: مثل الاتصال بالتيارات الثقافية الغربية، ورؤية الواقع النقدى والإبداعى فى أمريكا اللاتينية بطريقة مختلفة، أى بالثورة عليه ومحاولة تغييره، واهتمام دور النشر فى أوربا بنشر هذه الأعمال الإبداعية الجديدة وترجمتها إلى اللغات المختلفة، الأمر الذى أسهم فى خلق جمهور عريض من القراء لهذا الفن الذى لازال يحظى بمركز الصدارة حتى الآن، كما أن إنشاء الكثير من الجوائز الأدبية الكبرى ومنحها لعدد كبير من الروائيين فى أمريكا اللاتينية كان له هو الآخر أثره. ورغم كل هذا فإن محاولات الاقتراب من دراسة فن السّرد القصصى فى أمريكا اللاتينية تكتنفه صعوبات كثيرة؛ إذ تجرى محاولات للقيام بدراسته بنيويا والتوصل إلى أساس يمكن أن يتم من خلاله تناول الظواهر التقنية فى هذا الرسم ورسم صورة بانورامية أكثر وضوحا ودقة. فالبديل لهذا هو إمكانية التبويب على أساس الفصل بين كل دولة من دول أمريكا اللاتينية على حدة، وهذا يكاد يكون مستحيلا جمعه فى دراسة واحدة، كما أن التناول على أساس نظرية الجيل هو من الصعوبة بمكان، بحيث يتعذر الوفاء بالشروط البيولوجية وتشابه المشارب الثقافية والهموم المشتركة التى تساعد على صهر مجموعة من الأدباء فى بوتقة واحدة.

لسنا نريد أن نتخذ هذا التقديم البسيط ذريعة للحديث عن تاريخ الرواية والسّرد القصصى فى أمريكا اللاتينية، وإنما نشير فقط إلى أن القارئ العربى لم يطّلع إلا على النذر اليسير من الإبداعات الخلاّقة لهذا الجنس الأدبى، وخاصة الترجمات لأبرز أعمال جابرييل جارثيا ماركيث التى تدخل فى إطار مايطلق عليه النقاد بالواقعية السحرية. هانحن الآن أمام صنف أو تنويعه أخرى شديدة الاختلاف وشديدة الثراء فى إطار هذا التيار. إنها السّرد الطليعى، إنها مضاد القصة، إنها القصة الجديدة ولكن من منظور آخر، وهى قصة «الحجلة» لخوليو كورتاثار. لقد أحدثت هذه الرواية دويًا هائلا عند ظهورها (1963) وتناولها النقاد بين مؤيد ومعارض. ورغم مرور الزمن، فإنها تحولت إلى علامة واضحة الملامح فى مسار تطور السّرد الروائى فى أمريكا اللاتينية، وهانحن حتى اليوم لازلنا أمام عشرات الطبعات لهذه الرواية.

١- خوليو كورتاثار (1914 - 1984) :

هناك ثلاثة تواريخ تشير إلى أحداث مهمة فى حياة كورتاثار: أولها، مولده عام 1914 فى بروكسيل؛ حيث كان والده يعمل ضمن الملحقية التجارية الأرجنتينية فى تلك العاصمة الأوربية، إلا أن اندلاع الحرب العالمية الأولى أجبر الأسرة على العودة إلى الأرجنتين مرورا بسويسرا ثم إسبانيا ثم بوينوس أيرس عام 1918. أما التاريخ الثانى فهو عام 1951؛ حيث أهّله القيام بترجمة أعمال آلان بويه إلى الأسبانية ونشرها للعمل كمترجم لدى منظمة اليونسكو التابعة للأمم المتحدة فى باريس. عاش - إذن - منذ نعومة أظفاره فى الأرجنتين كأحد أبناء الطبقة المتوسطة «التى استطاع أن يصوّر لنا منهجها السلوكى وطموحاتها العميقة (...) فى لوحة فريدة فى إطار الأدب الأرجنتينى»[١]؛ فهى طبقة أخذت تباعد نفسها عن الواقع اليومى المعيش وتندثر بالقراءة والثقافة، وأصبحت حياتها تخلو من الاتصال بنبض ذلك الواقع، الأمر الذى أوقعها فى متاعب جمة.[٢]

ورغم أنه من أبناء الطبقة المتوسطة، فإن منطقة بانفيليد Banfield الواقعة جنوب العاصمة الأرجنتينية بشوارعها التى لم تكن قد رصفت بعد فى تلك الآونة وببعض سكانها الذين يجوبون شوارعها وهم يمتطون صهوة الجياد، ولمبات الإضاءة المنبثقة على النواصى، كل هذا علم كورتاثار كيف يكون الوجه الآخر للحياة اليومية[٣]. كان خوليو كورتاثار من الكتّاب المبكرين فى إنتاجهم الإبداعى سواء فى الشعر أو السّرد القصصى؛ إلا أنه تأخر كثيرا فى القبول بنشر أولى أعماله. والسبب فى ذلك هو «الشدة مع النفس والنقد الذاتى الحاد (...) لقد أحرقت قصة مكونة من ستمائة صفحة (...) وأنا اليوم أعرب عن أسفى الشديد لما فعلت؛ إذْ كانت الرواية تتضمن أشياء جميلة (..)»[٤]. بدأ الكتابة وهو لم يكد يبلغ التاسعة من العمر، وقد نصح أحد أطباء الأسرة بإبعاد خوليو عن الكتب وإلا كان تأثيرها ضارا عليه، لكن لم يتم العمل - لحسن الحظ - بتلك النصيحة. لقد اكتشف كورتاثار الموت وهو لازال صغير السن؛ فلقد ابتعد عنه والده وهو صغير؛ إذ انتقل للعمل فى محافظة قرطبة، وظل هناك إلى أن مات. إذن لانستغرب - عندما نعرف حياة الوحدة والعزلة التى كانت من أهم سمات مرحلة الطفولة - الوضع الذى عليه ذلك الطفل المفزع بمتاعب الحياة والشديد الميل للعشق السهل[٥].

ربما أدركنا البدايات الأولى للرومانسية عنده، والتى هى شديدة الوضوح فى أعماله الأولى؛ حيث «لم أتمكن من مباعدة نفسى عنها رغم أننى اليوم أسيطر عليها، إلا أنها كانت تزيد عن الحد أثناء مرحله الشباب». هو إذن لم يتخل عنها، بل سيطر عليها ووظّفها وأبرز أهميتها: فعدم وجود العناصر الرومانسية «يجعل الإبداع الأدبى ضيقا، ويترك المرء فى مواجهة عالم جافٍ مكون من أبنية صماء، كما أن غيبة البعد الرومانسى يمكن أن تكون مجدية لكاتب بحث (...) لكنها ليست كذلك بالنسبة للمبدع»[٦].

كما أنه قد توفّر لديه ـ منذ الصغر ـ الإحساس بأن الواقع ليس فقط الواقع الذى تعلمه من المدرسة وعلّمته إياه أمّه «أى ذلك الذى يمكننى أن أتأكد منه باللّمس والشم... بل هناك أيضا تداخلات لعناصر لا صلة لها بتلك الأشياء»[٧]. تلك كانت البداية لما هو سحرّى Fantastico عند خوليو كورتاثار. إنه يقف بنا أمام شرخ فى جدار الواقع نرى من خلاله واقعا جديدا ونظاما مختلفا للأشياء وقوانين جديدة ليست أقل دقة من تلك التى تحكم مانطلق عليه «عالم الواقع[٨] هى إذن سحرية، لها منطقها الخاص بها، وهى مكوّن أساسى فى عالم الواقع، لكن المنظمة العقلية الأرسطية الموروثة عن أوربا لاتسمح باقتناص هذا البعد الآخر من الواقع، ومن هنا يدرك القارئ لأدب الكثير من كتّاب أمريكا اللاتينية سرّ هذه النزعة لدى الكثيرين منهم لانتقاد المنهجية المنطقية فى أوربا. إنهم لا يرفضونها، ولكنهم يأبون أن تكون هى المنهاج الوحيد لرصد الواقع المحيط بهم».

بدأ كورتاثار دراسة المرحلة الثانوية فى العاصمة بوينوس أيرس ثم تلا ذلك بدراسة المرحلة فوق المتوسطة، وأصبح بذلك مدرّسا وهو فى الثامنة عشرة من عمره، وبعد ذلك تخصص فى دراسة الأدب. التحق بعد هذه المرحلة بكلية الآداب والفلسفة التابعة لجامعة بوينوس أيرس؛ إلا أنه لم يحصل على أى شهادة جامعية.

تربى كورتاثار على ثقافة مرحلتين بارزتين فى فن السرد القصصى فى الأرجنتين يمثل إحداهما العملاق خورخى لويس بورخيس؛ أما الثانية فأحد أبطالها الرئيسيين هو ربرتو أرلت R. Arlt، أضف إلى ذلك شغفه بأعمال آلان بويه وترجمته لها.

أما التاريخ الثالث المهم فى حياة خوليو كورتاثار فهو عام 1951. لقد حصل فى ذلك العام على منحة من الحكومة الفرنسية، ثم عمل بعد ذلك فى نفس مدينة النور كمترجم

لدى منظمة اليونسكو. ولم تكن باريس فى حياته، وخاصة فى تلك المرحلة، الملاذ أو جزيرة الأحلام، بل كانت بديلا آخر له دلالاته وتأثيراً خاصاً فى عالم كورتاثار؛ فهذا البانورام المتشابك والمتأزّم الذى هو ثمرة الحياة الثقافية والفنية فى باريس، هو النافذة التى تهيىء لكاتب من أبناء أمريكا اللاتينية مضاهاة أفكار، ومثل هذا الجو الثقافى بعالم الواقع فى دولة من الدول المتخلفة. أصبحت باريس بمثابة الرابطة بين الالتزام التاريخى للكاتب والكفاح الذى أخذت تظهر ملامحه بوضوح فى الدول المهمَّشة. ومن هنا ندرك سرّ اهتمامه بكفاح الثوار فى الجزائر والكتَّاب الأسبان فى المنفى الأرجنتينى، والطريق الذى حددته الثورة الكوبية لنفسها، ودلالات هذه الثورة وتأثيرها على باقى دول أمريكا اللاتينية وباقى دول العالم الثالث، لكنه رغم هذا الاهتمام فإن إبداعه الأدبى احتفظ بخطه المرسوم له سلفا، والذى يجمع بين الخيال السحرى والإمساك بملامح لغة تعكس نضج رؤيته للواقع اليومى المعيش(٩).

أعماله الأدبية - إذن - هى ترجمة ورؤية لعالم مأساوى لازالت تقع أحداثه حتى الآن، ويندرج ذلك على أولى رواياته «الجوائز» Premies مرورا بالحجلة Rayuele التى تعتبر ناصية إنتاجه الإبداعى، والتى وصفت بالمعضلة الكبرى والمغامرة اللغوية المثيرة وصولا إلى روايته «كتاب مانويل» التى تعالج موضوع التعذيب فى أمريكا اللاتينية رغم أن أحداثها تدور فى باريس.

ويرى العلامة أندريس أموروس Andrés Amoros أن أعمال كورتاثار تبتعد عن خط الواقعية التقليدية التى نجدها فى السرد القصصى لأمريكا اللاتينية؛ بالتالى فإن توجهاته وبحثه يمكن أن ندرجها فيما يمكن أن نوجزه فى العناصر التالية :

(١) الاستيعاب الطبيعى للتقنيات التجديدية التى أدخلت على الرواية المعاصرة.

(٢) التعمق فى جذور عالم أمريكا اللاتينية.

(٣) الخيال الإبداعى الذى لايتعارض مع الواقعية بل يدعمها ويقويها.

(٤) هناك محاولة - طبقا لكارلوس فوينتس - لقيادة جوادين باستخدام يد واحدة وهى : البعد الجمالى والبعد السياسى (وربما كان ذلك حصانا واحدا فى حقيقة الأمر).(١٠)

٢ ـ هذه الرواية :

أ ـ سِرّ العنوان :

يقول كورتاثار: «عندما فكرت فى الكتاب كانت فكرة المندلة تلحّ علىّ كثيراً؛ فمن ناحية كنت أقرأ فى تلك الآونة كثيراً من المؤلفات حول الأنثروبولوجيا، وخاصة مايتعلق بالديانات فى منطقة التيبت. أضف إلى ذلك أننى زرت الهند، ورأيت الكثير من المندلة الهندية واليابانية (...) والتى هى عبارة عن مربع أو رسم مقسّم إلى عدة أقسام أو مربعات ـ مثلها فى ذلك مثل الحجلة؛ حيث يتم التركيز ـ أثناء ممارسة هذه المهمة ـ وبفضل ذلك يمكن الانتقال من مرحلة روحية إلى أخرى. إنها عملية تصوير كتابى لعدد من المراحل الروحية. كما أن الحجلة مثلها مثل باقى الألعاب الطفولية، لها جذور ذات طابع صوفى ودينى (....) ورغم أنها فقدت هذه السمة الآن؛ إلا أنها لازالت تحتفظ بشئ من هذا البعد المقدّس. فتلك التى تجرى ممارستها فى الأرجنتين – وفى فرنسا – تنقسم إلى مربعات؛ حيث تظهر الأرض والسماء فى وضعين متقابلين. ولقد مارسنا جميعًا ونحن أطفال تلك اللعبة، غير أنها كانت فى مثل حالتى عبارة عن هوس حقيقى»[١١]. هى إذن ترتبط بالطفولة؛ أى بتلك الحالة التى يكون الطفل فيها فى حالة تهيؤ وقدرة على اقتناص الأشياء وماهيتها. غير أن هذه الحالة قد هربت من البالغ لأسباب بديهية، وذلك أن العقل يتولى عملية الانتقاء؛ فيختار فى لحظة معينة مايعتبره مهمًا ويترك أموراً أخرى. غير أن كورتاثار يرى ضرورة الإبقاء على حالة الطفولة هذه، ولكن بمعنى أنها نشاط شديد الجدية. إنه اللعِب الذى تكمن أهميته فى ذاته وفى منظومة قيمه ومدى مايعود على من يمارسه من متعة[١٢]. ومن الواضح أن كورتاثار يرى فى الحجلة تعبيراً مجازياً ضخمًا عما يبحث. إنه البحث عن المطلق وعن المركز وعن ... هناك فى الحجلة عنصران : الحلقة الأولى هى الأرض، أما الهدف فهو السماء؛ لعبة يملك الأطفال قوانينها التى لاتعتمد على القياس المنطقى المطلق، بل إنها أيضا حالة التهيؤ التى عليها الطفل دون أن يدرى، وعلى البالغين ألا ينسوا تلك الحالة إذا ما أرادوا إدراك كنهة الواقع المحيط ليس اعتمادا فقط على القياس المنطقى، بل بالإبقاء على ذلك الموروث.

وإذا ماكانت الزوجية فى الرواية هى واحدة من الملامح الأساسية فيها؛ فهناك أحد

أجزائها «هذا الجانب»، والآخر «ذلك الجانب» نلاحظ أن الإشارة إلى الحجلة كانت لها نفس المفهوم، ولكن بشئ مختصر جداً؛ فأوليفيرا فى «هذا الجانب» يعيش فى باريس وقد بلغ مرحلة متقدمة من العمر - حوالى الخمسين سنة - وهنا نرى إشارات رمزية بسيطة للحجلة. أما فى «ذلك الجانب» فنجد أنه ينتقل إلى بوينوس أيرس، أى العودة إلى الطفولة ومعانقتها من المنظور الذى أشرنا إليه سلفًا، ومن هنا ندرك سرّ التركيز على الحجلة فى الفصل 54؛ حيث تدور الأحداث فى المصحة العقلية. هناك المريض رقم 8 الذى خطّط الحجلة، ويمارس هذه اللعبة معظم الأوقات، وكان يتقنها إتقانا لايضارعه فيه أحد من المرضى الآخرين الذين حاولوا عبثًا أن ينتزعوا منه «السماء». إنها تلك الحالة التى تخرج عن نطاق العقل لإدراك الحقيقة، إنه البعد الذى يجعل أوليفيرا شغوفًا بالثقافات الشرقية وشديد الانتقاد للأسس التى عليها الثقافة الغربية. إنها العودة إلى حالة الطفولة - أو بمعنى أصح البحث عن هذه الحالة ومحاولة استعادتها - لتكون أداة فعالة فى يد الإنسان. إدراكها يكاد يكون مستحيلاً فمن السمات التى كانت تميز «لاهاجا» التى فقدها ويحاول البحث عنها جاهداً قدرتها وإتقانها الغريب للعبة الحجلة. يدخل عنوان الرواية ـ إذن ـ فى دائرة البنية المحكمة لتلك الرواية الطليعية التى، وإن بدت فى لحظة مليئة بالفوضوية وبالارتجال، إلا أن كل جزئية فيها تحملنا على أن ننظر إليها بصبر وأناة، ونحاول أن نرسم ملامحها، ونقوم بدور فعال فى هذا الإطار.

كما أن العنوان لايخرج أبدا عن الدائرة البديلة التى يطرحها كورتاثار.

ب ــ المضمون :

قبل التعرض لمضمون هذه الرواية ينبغى أن نشير إلى أن كورتاثار كتبها وهو فى الخمسين من العمر؛ حيث كان يعيش فى باريس. وقد جاء تحرير النص فى منزلين، أولهما: عبارة عن شقة صغيرة تقع فى الحى السابع، وبعد ذلك انتقل المؤلف إلى منزل آخر أرحب وأوسع كائن فوق مخزن قديم. وقد بدأ الكتابة بالفصل الحادى والأربعين «دون أن تكون لدى أدنى فكرة عما يمكن أن يكون من فصول قبل هذا الفصل المشار إليه أو بعده».

وتتألف «الرواية الجديدة» - هذه هى التسمية التى يطلقها الكثير من النقاد على التوجهات الطليعية فى الأدب القصصى فى أمريكا اللاتينية، وربما أمكن القول أيضا

فى هذه الحالة «مضاد القصة» – من ثلاثة أجزاء : يحمل الجزء الأول أو القسم الأول منها عنوان «من هذا الجانب»؛ حيث يتضمن عدة فصول تبدأ من الأول المسبوق «بالقائمة الإرشادية» التى تنوه إلى واحدة من أنماط قراءة الرواية، وينتهى بالفصل السادس والثلاثين. أما القسم الثانى فيحمل عنوان «من ذلك الجانب». ويتضمن عدة فصول تنتهى بالفصل رقم 56، وهو فصل تنتهى عنده واحدة من القراءات العديدة التى يشير إليها كورتاثار، أما الجزء الأخير منها فيحمل عنواناً هو «من الجوانب الأخرى»، ويتبع المؤلف هنا العنوان بعنوان جانبى «فصول يمكن الأستغناء عنها». الأمر الذى حدا ببعض النقاد إلى اعتبار هذا الجزء الأخير وكأنه بمثابة درج الخيّاط؛ أى أن به الكثير من الأدوات والأشياء المتشابكة، أو بمثابة «الفِيَش البحثية» التى كان يجب أن تلزم الدوسيهات بعد أن يفرغ الباحث من تحرير بحثه.

عندما يتحدث كورتاثار من بداية الرواية قائلا: «هذا الكتاب مكوَّن – على طريقته – من عدة كتب»؛ إلا أننا نبرز منها اثنين ..» فإن المرء لايستغرب أبدا أن كل قراءة بالشكل الذى حدده المؤلف [قراء تين] أو بالشكل الذى حددته إحدى شخصيات الرواية «موريلّى»، سوف تحدو بنا إلى رؤية لمضمون مانقرأ، نعم إننا نقرأ نفس العمل، ولكن من خلال عدة مواطن ومناظير متنوعة. هم مجموعة من الأصدقاء يجمعهم نادٍ خاصٍ بهم يطلق عليه "La Serpiente" وبين هؤلاء الأصدقاء نجد قصة العلاقة بين «لاماجا»، تلك الفتاة القادمة من أمريكا اللاتينية للبحث عن الرزق فى باريس وبين أوراثيو أوليڤيرا ذلك الأرجنتينى الذى يعيش بدوره فى العاصمة الفرنسية، وهى علاقة عاطفية انتهت بطريقة ما. وإذا ما كان هذا هو الخيط الرئيسى فى الجزء الأول من الرواية فإن الجزء الثانى هو محاولة لإعطاء مفهوم جديد للمثلث التقليدى فى الرواية [ترافلر – صديق الطفولة لأوراثيو – تاليتا – زوجة ترافلر، وهى النموذج الذى يشبه «لاماجا» تلك المحبوبة التى أخذ يبحث عنها أوليڤيرا فى الجزء الثانى»] والعمل على أن يجد شكلا جديدا من أشكال الحب رغم أنه نمط خطير ومثير. يمكن القول إن الحجلة قصة رومانسية وقصة حب وقصة عاطفية وقصة عشق ....

يمكن القول أيضا إن مضمون هذه الرواية هو مغامرة شخصية وبحث ذاتى يقوم به أوليڤيرا الذى يوظف كل شئ فى سبيل الوصول إلى الحقيقة والجوهر والمركز ... إلخ،

وسوف يلاحظ القارئ أن مصطلح «البحث» يتكرر كثيراً؛ الأمر الذى يثير انتباه لوثيا (لاماجا). وربما كان البحث أيضا عبارة عن طرح نظرية فى الأدب، بما فى ذلك اللغة كعائق عند استخدامها كوسيلة للتعبير، وتطبيقات هذه النظرية على الرواية نفسها؛ أى أننا فى دائرة مايطلق عليه النقاد «الرواية الجديدة» بملامحها التى تختلف عن «الرواية الجديدة» فى أوربا، والذى كان سائدا خلال الخمسينيات والستينيات، وذلك ما أشار إليه د/ عبد الملك مرتاض فى كتابه «فى نظرية الرواية» الصادر فى سلسلة عالم المعرفة» [عدد 240]. ورغم الاختلاف؛ فهناك جامع مشترك ألا وهو الرؤية الداخلية للعالم. كما أننا يمكن أن نعرج بالتجديد على بعض تلك المظاهر الواردة فى كلا المفهومين لمصطلح «الرواية الجديدة»، سواء فى أوربا أو بالنسبة لكُتَّاب أمريكا اللاتينية فيما بين : الكولاج والحوار الداخلى واستخدام الأقواس وباقى علامات الترقيم واستخدام أنماط مختلفة من الخطوط. يلاحظ أيضا الاهتمام بالجانب اللغوى لا على أساس تنميق العبارة وإنما على اعتبار اللغة كعائق عند محاولة التعبير، كما أن معظم المؤلفين يلجأون إلى «السرّد الخطى N. Lineal»، والجديد فى الأمر هو استخدام لعبة المناظير المختلفة. يلاحظ أيضا إدخال عناصر من السيرة الذاتية. كما يلجأ بعض الكتّاب إلى الخلط بين شخصيات العمل الواحد؛ حيث يجد القارئ صعوبة فى تحديد ملامح الشخصية على نهج مايحدث فى الحياة اليومية. هناك أيضا عرض لوجهات النظر المختلفة؛ مما يؤدى بنا إلى القول - ببساطة - بأن الحقيقة نسبية. والهدف من كل تلك التقنيات الجديدة هو التقليل من الذاتية وتأثيرها فى تصوير الواقع. أى أن هناك إيحاءً بالغموض الذى يدركه القارئ من خلال تأمله لذاته، والفارق هو أن الروّاى فى مثل هذه القصص هو الكائن الوحيد الذى يمسك بخيوط الحلم[١٣].

٣- ملامح الرواية الجديدة من خلال "الحجلة" :

يجابه قارئ هذه الرواية وغيرها من الروايات صعوبات جمة قد تحول دون مواصلة قراءته للنص السردّى، وخاصة إذا ما كان من ذلك النوع من القرّاء الذين أطلق عليهم مويلىّ [أحد شخصيات الرواية] «بالقارئ الأنثى» Lector hembra. وفيما يتعلق بهذا المصطلح فلقد واجه المؤلف «كورتاثار» انتقادات فى هذا المقام، الأمر الذى حدا به إلى

الاعتذار عن ذلك، وأشار إلى أنه ربما كان من الأمثل استخدام مصطلح «القارئ السلبى» Lector Pasivo؛ إذ ليس من الضرورى أن تكون الأنثى سلبية بشكل دائم(١٤). وعموما؛ فإن المؤلف أو الروّاى يرغب فى قيام القارئ بالاتصال بالعالم الذاتى من خلال المعايشة والتأمل الذاتيين ...» هذا القارئ سوف يفتقد وجود كوبرى للتوصيل وإيجاد العلاقة السببية. إنه تقديم الأشياء فى حالتها الأولية [الفصل 97]، حقا «لقد تغير الشكل الخاص بالقصة [....] - يقول موريلّى - أما بالنسبة لى فإننى أتساءل فيما إذا كنت سأتمكن فى يوم من الأيام من إبراز أن البطل الحقيقى والوحيد الذى يهمنى هو القارئ بالدرجة التى يتمكن فيها، من خلال إسهام كتابتى، من التحول من الحالة التى هو عليها وإثارة استغرابه وجعله يشعر بالهذيان [الفصل 97، 99]. المؤلف - إذن - يبحث عن القارئ النشط. والحقيقة - كما يقول أندريس أموروس فى المقدمة - أن كل التجديد الذى حدث فى القصة المعاصرة يكمن أساسا فى البحث عن ذلك القارئ النشط. الذى يتعاون فى إعادة الإبداع، وهذا هو هدف كل قراءة حقيقية. فما مهمة هذا القارئ النشط إزاء رواية مثل هذه؟

لقد أشرنا قبلا إلى أن أول شئ تقع عليه عينا القارئ هى تلك القائمة الإرشادية التى تقول: «هذا الكتاب مكوّن، على طريقته، من عدة كتب»، وهنا يجد القارئ نفسه أمام خيارات عديدة تؤكدها القائمة الإرشادية ولو أنها تنوه وتخفف الأمر داعية القارئ إلى أن يختار بين إحدى قراءتين. لكن الدعوة الأكثر جرأة تأتى فى داخل فصول الرواية؛ حيث ينوه «موريلّى» إلى أن من الممكن فتح كتابه والبدء فى قراءة فصول من أى نقطة شاء القارئ، وعليه أن يعيد تنظيمه على طريقته هو، فربما خرج بشئ يختلف، فلكل قراءة هدف ومقصد ونتائج.

هذه الرواية هى ابنة عصرها: فقد جرت أحداثها فى كل من باريس وبوينوس أيرس خلال فترة الخمسينيات؛ حيث جرت الإشارة فى أكثر من موضع إلى تاريخ تلك الأحداث [الفصل الثانى] وإلى أحداث بعينها كان لها صداها فى فرنسا وأوربا وربما العالم أجمع مثل: الثورة الجزائرية، وقضية مساعدة ثوار الجزائر، وكذلك أصداء بناء السد العالى فى مصر، وإنقاذ آثار النوبة، ومنها معبدا أبى سمبل. ومن المعروف أن كورتاثار هو كاتب واسع الثقافة لدرجة شديدة مع مافى ذلك من إيجابيات وسلبيات؛

فهو شديد الوعى بثقافة عصره والثقافة الإنسانية بشكل عام، لايفرّق فى ذلك بين حقل فنى وآخر؛ فهناك أعلام الموسيقى والغناء والرسم والتصوير والإبداع الأدبى بشتى صنوفه من شعر ونثر ومسرح، والتصوف والفلسفة سواء القادمة من الشرق أو تلك التى تعتمد فى الأساس على المفاهيم الغربية التى يرفض كورتاثار أن تكون الفيصل الأخير فى إدراك الواقع. لقد ملأ الرواية بالكثير من أسماء هؤلاء الأعلام، وماعلى القارئ إلا أن يبحث ويسترشد لتكتمل الصورة عنده، وهى التى قدمها له المؤلف فى «حالتها الأولية».

يلاحظ القارئ أيضا أن اللغة هى عقبة أمام المبدع وخصوصا فى هذه الرواية. وهذه مقولة أصبحت معهودة منذ زمن، ربما لاتقول شيئا لقارئ اليوم، لكن علينا أن نعرض للأسس التى تقوم عليها حتى ندرك السبب أو الأسباب التى حدت بكورتاثار إلى هذا الاستخدام للغة، والذى سنعرض ملامحه فيما بعد. أشرنا قبل ذلك إلى أن كورتاثار يرفض أن تكون القوانين الأرسطية هى الميكانيزم الوحيد لإدراك الواقع. فهناك ميكانيزم آخر يجعلنا نشعر به وهو البعد السحرى Fantástico «الذى يقع مرة واحدة ولا يتكرر. هناك حدث آخر، لكنه لايعود للحدوث مرة أخرى. وعكس ذلك يحدث فى القوانين المعتادة»[١٥] ويرى كورتاثار أنه عندما يفك المرء الوثاق الذى يربطه بوعى العقل يمكن له أن يكتشف الواقع الحقيقى (...) وتشير «أنا ماريا فرنانديث A. M. fernandez[١٦] إلى التلاقى فى نظرية الرواية بين كل من أورتيجا إى جاسيت [المفكر والفيلسوف الأسبانى] وكورتاثار الذى يتحدث – فى رأيها – فى نفس اتجاه أورتيجا لكنه لايشير إليه بصراحة. كما تنقل عن كورتاثار قوله بأن التطور العقلى للإنسان أسهم بشكل تدريجى فى إزالة مايسمى بالرؤية السحرية وأحل محلها كل المفاهيم المتعلقة بتاريخ الفلسفة والعلم، كما أن الرؤية السحرية – فى نظر كورتاثار – هى وسيلة معرفية أو رغبة فى المعرفة تقف على قدم وساق مع الرؤية العقلية. إذ يمكن الجمع بينهما رغم أن هناك صراعا قائما بينهما. هذا الصراع ظهر بشكل جلى قديما، كما أنه لازالت بقاياه قائمة حتى اليوم مثلما نراه مثلا فى الصراع القائم بين الطبيب والمشعوذ Curandero.[١٧] أمام هذا الصراع أو اختلال هذا التوازن بين وسيلتى المعرفة هاتين يطرح كورتاثار الحل إنه «الشعر»، وهو بديل ذو طبيعة أدبية لمجابهة التناقض

بين ماهو عقلى وماهو سحرى. كما أن السرّد القصصى هو المحصلة الجمالية لوضع استُخدمت فيه اللغة من منظورين : مايمكن أن نطلق عليه «اللغة العلمية»؛ أى اللغة التى تسمى الأشياء بمسمياتها اللغة الشعرية الرمزية والحدسية حيث يكون للكلمة والوقفة والصمت قيمة مساوية لما تدل عليه أى لغة مباشرة[١٨]. هاهو الشعر يدخل إلى عالم الرواية ويكسر لعبة الشكل والمضمون، وهنا يزول أى اختلاف بين الرواية والقصيدة؛ ورغم ذلك فالمؤلف لايعنى بذلك استخدام «القوالب الشعرية» أو «النثر الشعرى» أو «الأسلوب الفنى» على طريقة المبدعين[١٩]. الرواية - إذن - نشأت من خلال اللغة؛ أى أنها هجوم مباشر على اللغة، ويشير كورتاثار إلى التناقض القائم بين مايريده الكاتب من تدمير *اللغة واستخدامه لها* فى بنائه الروائى: «فالحجلة» قد بنيت على أكثر من مستوى «فمن جانب ... هناك محاولة تفجير العقل الذى اتسم بالثقافة الزائدة عن الحد. وهناك أيضا محاولة تدمير الأداة نفسها التى يستخدمها العقل: ألا وهى اللغة ومحاولة البحث عن لغة جديدة. وعندما يتم تعديل الأسس اللغوية فمن المنطقى أن تتغير معها مقاييس العقل[٢٠]». غير أن المبدع عندما يحارب هذا العدو اللغوى فإنه مضطر إلى استخدام نفس أسلحته، وليس أمامه من سبيل آخر إلا هذا.

وهدف موريلّى – كما يقول روناالد [أحد شخصيات الحجلة] فى الفصل 99 – هو أن يعيد للفظة كيانها ومكانتها «وكأننا نستخدم عود ثقاب لأول مرة». تمثلت الثورة على اللغة فى محاولته ابتكار لغة جديدة أطلق عليها مصطلح الجليجليكية glíglico، وقد بدأت الإشارات الأولى لهذه اللغة الجديدة فى الحوار الدائر بين لاماجا وأوليڤيرا[الفصل 20] وهى لغة لايفهمها إلا كلاهما؛ فهما عاشقان وعلى علاقة حميمة ببعضهما. لكن ليس معنى هذا أن لمفردات هذه اللغة معانى فى القاموس، بل إن القصد منها موسيقى - وذلك عندما سئل أندريس أموروس عن معنى كل هذا فأشار إلى محدثيه إلى قراءة الفصل رقم 68 بصوت مرتفع – وهو الفصل الذى كتب بكامله باستخدام هذه اللغة الجديدة اللهم إلا أدوات الربط سواء بالنسبة للجملة أوعلى مستوى السياق – ثم عقب على تلك القراءة بقوله إن مغزى كل هذا هو استدعاء مشهد عشق من منظور موسيقى خالص»[٢١]؛ أى أن المؤلف قصد إبراز البعد الموسيقى فى لغة النثر، وإذا لم تستطع - أيها القارئ - أن تدرك المعنى فلا ضير، فقد عرفت حقيقة المشهد وماعليك إلا أن تتخيله

وتعيشه وتقوم بعملية إحلال ألفاظ مكان أخرى إن أردت البحث عن المعنى وسط هذه الدلالات الموسيقية. ويمكن القول أيضا بأن هذه اللغة المبتكرة ماهى إلا دعابة مقصودة، وفوق كل هذا فإنها لغة قاصرة على اثنين من العشاق حميمة مثلها مثل الموقف الغرامى الذى هما فيه.

«إن مايريده موريلّى – يقول كورتاثار على لسان إحدى شخصيات روايته، الفصل 99 – هو أن يعيد للغة حقوقها. إنه يتحدث عن تطهيرها وعقابها، فيبدل «ينزل» مكان «يصعد»، كرر ذلك كوسيلة تنظيف صحى. لكن مايبحث عنه فى واقع الأمر هو أن يعيد للفعل «ينزل» كل رونقه، وذلك حتى يمكن العودة إلى استخدامه مثلها ...» كما أنه – موريلى - لايبدى كبير اهتمام باللغة باستثناء الجانب الجمالى (...) فمجرد الكتابة من أجل هذا البعد ماهى إلا شعوذة وكذب، الأمر الذى يستثير القارئ الأنثى» [الفصل 99]. كما يركز كورتاثار على الحساسية الشديدة التى يجدها عندما يستخدم المفردات. «وقد قلت ذلك أكثر من مرة، ولن أملّ من قوله هو أننى أدين بهذا لبورخيس Borges (....) فأول شئ فاجأنى هو حالة الجفاف Sequedad (...) فلقد تم التعبير بطريقة تثير الإعجاب، لكن يبدو أن الأمر ليس فى الإضافة، بل فى الحذف؛ فأدركت أن بورخيس يقلل قدر استطاعته من استخدام الصفات[٢٢].

والقارئ للنص الأسبانى سوف يلاحظ أنه كثيراً مايلجأ أحيانا إلى كتابة بعض المفردات بشكل مخالف لقواعد الإملاء المعهودة. كذلك يلجأ كثيرا إلى استخدام الحرف الصامت "H" فى مواضع وكلمات ليست لها صلة؛ فكأننا بذلك أمام من يقوم بإعطاء الكلمة جرعة من المضاد الحيوى حتى يعيد إليها الحياة والحيوية السابقة، وحتى يزيل عن المفردات ماعلق بها من تراكمات ومايكتنفها من أصداء وانعكاسات تحول دون استخدامها من جديد بنفس الشكل الذى كانت عليه لأول مرة.

يتعرض أيضا للكثير من المفردات التى أصابها الموت، ومع ذلك نجدها قائمة فى القاموس، وسوف يلاحظ القارئ أن المؤلف كثيرا مايلجأ إلى قطع الخطاب وترك الجملة معلقة دون اكتمال. كما يلجأ أحيانا إلى تعداد الأشياء بطريقة فوضوية، وذلك حتى تتهيأ له الفرصة للجمع بين ماهو مادى وماهو غير مادى.

يسترعى الفصل 34 انتباه القارئ بشدة؛ إذ لايكاد يبدأ قراءة السطر الأول من النص الأسبانى حتى يفاجأ بأن الجملة لم تكتمل ويبدأ المؤلف نصا آخر. هناك - إذن -

نصان : أحدهما يتعلق بالحوار الداخلى لأوليڤيرا وهو جالس على حافة السرير يقلب فى الكومودينو على قصة للكاتب والروائى الأسبانى جالدوس، فيتصفح أوليڤيرا الرواية المذكورة ويفكر فى الوقت نفسه. نحن - إذن - أمام موقف عادى نعيشه كل يوم؛ أى أننا أحيانا مانقرأ أيضا ونحن نفكر فى شئ آخر. وقد عكس لنا المؤلف هذا الوضع فى شكل ضفيرة مكونة من جناحين ليسا متباعدين: إذ جمع بينهما في زمن واحد، ووثق من الوشائج بينهما بتكرار عبارات من قصة الروائى الأسبانى فى سياق الحوار الداخلى. وقد قمنا عند ترجمة النص بإحداث الشرطة المائلة (/) وذلك للفصل بين سطر وآخر من أسطر الفصل المذكور. ثم يعرج الراوى بعد ذلك إلى العودة إلى السياق العادى للسرّد فى آخر فقرات الفصل المذكور.

يستحث المؤلف القارئ ويستنهض همته عندما يأخذه معه فى مشوار سَرْدِيّ مختلف [الفصل 96] وكأننا أمام حوار مسرحى. غير أن المؤلف أراد تصوير الموقف بهذه التقنية تصويرا دقيقا. هناك على سلم المنزل وأمام الشقة التى يسكن فيها موريليّ يقف معظم أعضاء النادى [بابس وروناالد صديقها وإيتين وونج وبيريكو] يحاولون فتح الباب بمفتاح أعطاه موريلّى لأوليڤيرا بعد أن قام هذا الأخير بزيارته فى المستشفى الذى نقل إليه إثر تعرضه لحادث مرورى. فجأة يظلم المكان (السلّم) ويدور حوار بين هؤلاء الأصدقاء، ولكن الجمل التى ساقها الراوى متراصة إلى جوار بعضها البعض، ومنها ماهو بالفرنسية، ومنها ماهو بالإنجليزية، ومنها ماهو بالأسبانية. وكأن لسان حال الراوى يقول: عليك أيها القارئ أن تنسب كل جملة لقائلها من خلال اللغة المستخدمة وإيقاع الجمل التى تحمل بصمة قائلها. وكأن القارئ أصبح شريكا يعرف طبيعة كل واحد من هؤلاء الأصدقاء أو إن شئنا القول هو أحد أبطال هذه الرواية.

المؤلف يستنفر فيه، أى فى القارئ، ثقافته ووعيه بما حوله، وإذا ماكان كورتاثار قد بدأ كتابة روايته بالفصل رقم41؛ فإنه يدعونا إلى قراءة ثانية تبدأ بالفصل رقم 73، ويأخذ بيد القارئ من خلال القائمة المدرجة فى بداية القصة، ومع ذلك يداعبه كثيرا، ومن بين هذه الدعابات أنه يدعوه إلى قراءة الفصل رقم 131، ثم الفصل 58، ثم العودة إلى 131، وهكذا يدخل به فى حلقة، ويتأمله من بعيد ليرى كيف يخرج منها. البعد المرح هو أحد جوانب هذه الرواية التى بدأت بالفصل 41، الذى يعبر بوضوح عن

اللامعقول فى هذا العالم، وخاصة فيما يتعلق بإيقاع الحياة اليومية، وماعلى المرء إلا أن يلجأ للدعابة الساخرة والمرة فى آن معا. لكنها لاتعبر بحال من الأحوال عن استحالة الوصول إلى مخرج من الوضع الذى يجد الإنسان المعاصر نفسه فيه. هناك - إذن - أمل يحدونا بالوصول فى يوم من الأيام إلى الدائرة والمركز والكيبوتز الذى نعلم به. ولو أنه يخبو أحيانا لدرجة قد تعرض خطواتنا للزلل وفقدان معالم الطريق. والانتقال من فصل إلى آخر طبقا للقائمة الإرشادية هى نوع من الثورة على طريقة السّرد التقليدية التى طرحها أمامنا من خلال التنويه بالقراءة الأولى؛ فكأننا أمام الرواية ومضادها. ويحاول المؤلف الإفادة - إلى أقصى حد - من القراءة الثانية فعندما يتناول فى أحد الفصول - التعذيب فى الصين خلال الخمسينيات أو عن الوضع الدرامى المتأزم الناتج عن وفاة الطفل روكا مادور فى فصل آخر فإنه يحدثنا فى الفصل التالى له (فى القراءة الثانية) عن إعلان فى الصحف يتحدث عن تأثير السوستة الضارة عندما يتم تركيبها فى بنطلونات الصغار. ويحدثنا فى الفصل التالى للفصل الخاص بالتعذيب فى الصين عن السادية عند بعض الأطفال وهم يعاملون المخلوقات الصغيرة، ويحدثنا عن حكم الإعدام وأنه لازال سائدا فى الكثير من الولايات الأمريكية. وبعد عبارة «هذا الكتاب هو على طريقته، مكون من عدة كتب» يفتح المؤلف الأفق أمام القارئ يمارس هو الآخر قدراته الإبداعية «مبارك ذلك الذى يعثر على الثنائى الخاص به» ألا وهو القارئ النشط. هو القارئ الباحث مثله فى ذلك مثل أوليفيرا الباحث وراء الوصول إلى غاية تبدو بعيدة المنال، لكنها ليست مستحيلة. والحجلة تدخل بذلك فى الاتجاهات الرئيسية للرواية فى أمريكا اللاتينية؛ إذ إن هذا الفن الإبداعى «هو أداة للفحص والتمحيص والاكتشاف وليس فنا يُستخدم فى التِّبْيان وإعطاء الدروس»(٢٣).

القارئ النشط هو ذلك الذى يخلف وراءه جانبا تلك التقنيات القصصية فى السّرد وكافة أنماط الرواية خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، هو الذى يخلّف وراءه البناء النفسى للشخصيات، وهو الذى يعلن استعداده منذ اللحظة الأولى ليتقبل الأمر بهدوء ويتابع مع المؤلف أو الرّاوى خيوط الرواية. فأول عبارة فى القصة تقول «هل سأجد لاماجا؟ فمن هى هذه الفتاة؛ وما أصلها؛ ومافصلها؛ وماهى الخلفية

والاجتماعية لها؛ لقد ترك الرّاوى كل ذلك جانبا ودخل ينافى جو شعرى فيه الغموض والإيحاء، فالغموض هنا نابع من أننا لانعرف أى شئ عن لاماجا، أما الإيحاء فمن خلال اللغة «باريس هى مجاز ضخم». «لكن الضوء ذا اللون الغليط بين اللون الرمادى وورق الزيتون، الذى يطفو على سطح النهر، لايكاد يجعلنى أميّز الأشياء أو هيكلها النحيف الذى يرتسم على صفحة ...» [الفصل الأول]. المؤلف يطرح القضية «هل سأجد»؛ أى أن أمامى طريقًا طويلاً وشاقًا من أجل الوصول إلى غايتى ومقصدى. وهو طريق تكتنفه الصعاب. لاماجا عنده هى الكمال بعينه. إنه يبحث عن النهر الميتافيزيقى، لكنها ـ وبغرابة شديدة ـ تسبح فى هذا النهر.

ومن خلال السطور الأولى للرواية يدخل بنا المؤلف إلى البعد الآخر للواقع ألا وهو البعد الأسطورى أو البعد الذى يخرج عن الأطر العقلية على النهج الأوربى «كان شيئا طبيعيا للغاية عبور الشارع وصعود السلالم المؤدية إلى الكوبرى والوصول إلى منتصف هيكله النحيف والاقتراب من لاماجا التى كانت تبتسم دون إحساس بالمفاجأة، فهى على قناعة مثلى بأن لقاء الصدفة ليس به الكثير من الصدفة فى حياة كلينا، وأن الناس الذين يتواعدون على اللقاء فى ساعة محددة هم أنفسهم الذين يشعرون بالحاجة إلى ورق مسطّر للكتابة وهم أنفسهم ...». ها نحن أمام رفض المنطق على أساس اعتباره الوسيلة المعرفية الوحيدة. «وكل مايطمح إليه هو إزاحة النظام العقلى الوضعى الذى تتمثل أهم معطياته فى الرأسمالية. إنه يهاجم نفاق المجتمع الغربى، ويشير بوضوح إلى الأقنعة التى تقهر الإنسان فى هذا الطريق الذى يقود إلى اللا إنسانية بشكل تدريجى ،ويتجه أيضا إلى تأليه العادات»(٢٤).

على إبراهيم على منوفى

إرشـــــــادات

هذا الكتاب مكوّن، على طريقته، من عدة كتب. إلا أننا نبرز منها اثنين. وعلى ذلك فالقارئ مدعوّ ليختار واحدا من الطريقين الآتيين عند القراءة :

يمكن قراءة الكتاب الأول بالطريقة المعتادة بدءا من الفصل الأول وانتهاءً بالفصل رقم 56، وسوف يجد فى نهاية هذا الفصل ثلاث نجمات تعنى «انتهى». وليس أمام القارئ فى هذه الحالة إلا الاستغناء عن الفصول التالية دون أىّ قلق.

أما الكتاب الثانى فتبدأ قراءته من الفصل رقم 73، وعلى القارئ أن يتبع فى هذا المقام الفصل التالى المشار إليه فى نهاية كل فصل. وفى حالة اللبْس على القارئ أن يسترشد بالقائمة التالية :

73 - 1 - 2 - 116 - 3 - 84 - 4 - 71 - 5 - 81 - 74 - 6 - 7 - 8 - 93 -
68 - 9 - 104 - 10 - 65 - 11 -136 - 12 - 106 - 13 - 115 - 114 - 117 - 15 -
120 - 16 -137 - 17 - 97 - 18 - 153 - 19 - 90 - 20 - 126 - 21 - 79 - 22
- 62 - 23 - 124 - 128 - 24 - 134 - 25 - 141 - 60 - 26 - 109 - 27 - 28
- 130 - 151 - 152 - 143 - 100 - 76 - 101 - 144 - 92 - 103 - 108 - 64 -
155 - 123 - 145 - 122 - 112 - 154 - 85 - 150 - 95 - 146 - 29 - 107 - 113
- 30 - 57 - 70 - 147 - 31 - 32 - 132 - 61 - 33 - 67 - 83 - 142 - 34 -
87 - 105 - 96 - 94 - 91 - 82 - 99 - 35 - 121 - 36 - 37 - 98 - 38 - 39
- 86 - 78 - 40 - 59 - 41 - 148 - 42 - 75 - 43 - 125 - 44 - 102 - 45 -
80 - 46 - 47 - 110 - 48 - 111 - 49 - 118 - 50 - 119 - 51 - 69 - 52 - 89
- 53 - 66 - 149 - 54 - 129 - 139 - 133 - 140 - 138 - 127 - 56 - 135 -
63 - 88 - 72 - 77 - 131 - 58 - 131.

وحتى يسهل على القارئ متابعة الفصول؛ فإننا نكررّ رقم كل فصل أعلى كل صفحة.

ولما كان الأمل يحدونى فى أن أكون مفيداً للشباب بخاصة، وأن أسهم فى إصلاح العادات، فقد قمتُ بتأليف هذه المجموعة من العظات والنصائح والمبادئ التى تعتبر حجر الأساس للأخلاق العامة الشديدة الصلة بالسعادة الروحية والحياتيّة لكافة الناس

من كل الأعمار والفئات الاجتماعية، وذات الصلة الحميمة بالازدهار والاستقرار ليس فقط فى إطار الجمهورية المدنية والمسيحية التى نعيش فى كنفها بل فى إطار أى جمهورية أو نظام أقرّه أكثر الفلاسفة تعمقًا ودراسة

- روح الإنجيل والأخلاق العامة، بناءً على العهدين القديم والجديد.

فى فصل الخريف تراودنى أفكار مجنونة وغريبة؛ منها، على سبيل المثال، رغبتى فى أن أتحول إلى واحد من طيور النورس، وأن أطير إلى بلاد فيها الحرارة مرتفعة، أو أن أتحول إلى نملة لأختبئ جيدا فى أحد الجحور وأتغذى على الأطعمة التى تم تخزينها خلال فصل الصيف. أو أن أتحول إلى حية مثل تلك الحيات التى توجد فى حدائق الحيوان داخل صندوق زجاجى به تدفئة حتى لاتتجمد الحية من البرد. وهذا مايحدث للبشر المساكين الذين لايجدون المال ليتمكنوا من شراء الملابس أو يتقوا البرد باستخدام مدافئ الكيروسين أو الفحم أو شراء الخشب أو الوقود من مشتقات البترول. لكن عندما يتوفر المال لدى المرء يمكن له الدخول إلى أى حانة، ويطلب أحد المشروبات الكحولية القوية حتى يشعر بالدفء من جديد رغم أنه لاتجدر المبالغة فى تناولها؛ ففى المبالغة هناك الإدمان مع مايترتب عليه من تهالك بنية الجسد وتدهور الأخلاق. وعندما يدخل المرء فى هذا المنحدر الأخلاقى السيىء فلا أحد بقادر على إنقاذه من الوقوع فى الهاوية السحيقة. ولن يمدّ إليه أحد يده ليخرجه من هذا المستنقع الآسن والموحل، فكأنه يشبه النسر الذى كان أيام الصبا يجول هنا وهناك ويطير متنقلا بين قمم الجبال، لكن عندما أصابه وهن الشيخوخة سقط من عَل وكأنه طائرة قاذفة للقنابل تعطل موتورها الأخلاقى. أتمنى أن يكون ما أكتبه مفيدا لمن يريد أن يتبصر جيداً سلوكياته ،وألا يندم وقتما لاينفع الندم ،وذلك عندما يضيع كل شئ بسببه.

ثيسار بروتو،

مايروق لى أن أكون عليه إذا لم أكن على غير ما أنا عليه.

(فصل : كلبُ القديسِ برنالدو)

من هذا الجانب

Rien ne Vous tue un hamme comme d'être abligé de représenter un pays.

لاشىء أصعب على المرء أكثر من أن يجد نفسه مضطرا لتمثيل بلد.

جاك ڤاشيه «رسالة إلى أندريه بريتون»

1

هل سأجد "لاماجا" كثيرا ما اكتفيتُ بإلقاء إطلالة، وأنا قادم من شارع سيين[١]، Seine متجها إلى القوس المؤدى إلى شارع لواى دى كونتى[٢] Quai de Conti، لكن الضوء ذا اللون الخليط بين الرمادى وورق الزيتون، الذى يطفو على سطح النهر، لايكاد يجعلنى أميز الأشياء أو هيكلها النحيف الذى يرتسم على صفحة بونت دى أرت[٣] Pont des Artes. كنت أحيانا أتنقّل بين هذا الجانب وذاك، وأحيانا أخرى أتوقف عند السياج الحديدى وأنا أميل باتجاه المياه. كان شيئا طبيعيا للغاية عبور الشارع وصعود السلالم المؤدية إلى الكوبرى والوصول إلى منتصف هيكله النحيف والاقتراب من "لاماجا" التى كانت تبتسم بدون إحساس بالمفاجأة، فهى على قناعة مثلى بأن لقاء الصدفة ليس به الكثير من الصدفة فى حياة كلينا، وأن الناس الذين يتواعدون على اللقاء فى ساعة محددة هم أنفسهم الذين يشعرون بالحاجة إلى ورق مسّطر للكتابة، وهم أنفسهم أيضا الذين يستخلصون معجون الأسنان بالضغط على الأنبوب من أسفل.

لكنها قد لاتكون الآن على الكوبرى فربما تطل بوجهها الناعم الملامح على الأبواب القديمة فى حى جيتو دِلْ ماداى[٤] ghette del Marais بوجهها الناعم الملامح وجلدها الشفاف. أو ربما تتحدث مع إحدى بائعات البطاطس المحمّرة أو أنها تأكل السجق الساخن فى طريق سيباستوبول[٥] Sébastopol. ومع ذلك صعدت حتى الكوبرى، لكنها لم تكن هناك. إنها ليست الآن فى طريقى، ورغم أن كل واحد منا يعرف سكن الآخر بكل دقائقه أى هاتين الحجرتين الطلابيتين فى باريس، وكل كارت بوستال يذكرّ إمّا بـ براك[٦] Braque أوجيرلاندايو[٧] Ghirlandaio أو ماكس إرنست[٨] Max Ernest، وكلها قد تم لصقها على الحوائط ذات الهيكل البسيط المكسّو بالورق ذى اللون المثير. ورغم كل ذلك لم يبحث كل واحد منا عن الآخر فى مسكنه. كنا نفضل اللقيا على الكوبرى أو فى شرفات إحدى المقاهى أو فى إحدى دور سينما كلوب أو أن نجلس القرفصاء إلى جوار أحد القطط فى الحىّ اللاتينى. كنا نمشى دون أن نبحث عن بعضنا البعض، لكننا نعرف أن نسير لنلتقى. آه يا ماجا، فى كل امرأة تشبهك هناك صمت حاد يتزاحم بقوة يُصِمُّ الآذان، وهو صمت شفاف يتهاوى بحزن فى النهاية وكأنه مظلة واقية من المطر تغلق. إنه مظلة واقية من المطر ياماجا، فهل تتذكرين تلك المظلة القديمة التى ألقينا بها

1

فى أحد شعاب حديقة(٩) Parc Montsouris فى إحدى الأمسيات الباردة خلال شهر مارس. ألقينا بها لأنك وجدتها فى ميدان كونكورد(١٠) Place de la Concorde، وكان بها بعض التلف ثم استخدمتها كثيرا، وخاصة عندما كنت تضعينها على صدور الناس فى المترو أو الأتوبيس وأنت لاهية ومتعثرة تفكرّين فى العصافير الملوّنة أو تحملقين فى حركات نُحبَابَتَيْن تطيران فى سقف العربة. فى ذلك المساء هطل المطر بغزارة، وأردت، بحركة فيها اعتزاز، فتح المظلة عندما دلفنا إلى الحديقة وتجمعت فى يدك كارثة عبارة عن صواعق باردة وسحب سوداء ونتف من القماش تتساقط من بين الأسلاك التى تفككت، عندئذ كنا نضحك كالمجانين والمطر يغرقنا ونحن نفكرّ فى أن المظلة التى وجدناها فى أحد الميادين يجب أن تموت فى حديقة ولايمكن أن تدخل فى المسار غير النبيل بإلقائها فى القمامة أو إلقائها على قارعة الطريق.و عندئذ قمتُ بتطبيقها قدر ما استطعت وذهبنا بها إلى أقصى نقطة فى الحديقة بالقرب من كوبرى صغير يعبر فوق خط السكك الحديدية وألقيت بها من عَلُ، بكل ما أملك من قوة، إلى عمق ذلك الشِّعب الملئ بالحشائش المبتلة بالماء، بينما صدرت عنكِ صيحة بدت لى - ولو بكل غامض كأنها لعنات مذبحة والكرية Walkyria. وغرقت المظلة فى الشِّعب كأنها مركب تترك نفسها للمياه الخضراء والعاصفة، إلى ذلك البحر الذى هو أكثر هدوءا فى الصيف عنه فى الخريف، إلى هذه الموجة المميتة ياماجا، إلى غير ذلك من التشبيهات الكثيرة التى أخذنا نعددها طوال فترة ليست بالقصيرة وكأننا عاشقين لـ جوان فيل(١١) Join Ville وللحديقة، ونحن متعانقان كأننا شجرتان مبتلتان بالماء أو كأننا ممثلتان سينمائيتان فى أحد الأفلام المجرّية الكئيبة. بقيت المظلة هناك بين الحشائش القصيرة والطويلة كأنها حشرة وطئتها الأقدام. لم تتحرك ولم تفتح أى من أسلاكها مثلما كان فى الماضى. انتهت، نهاية المطاف. آه يا ماجا، لكننا لم نكن سعداء.

ما الأمر الذى كنت قادمة لأجله إلى بونت دى آدت Pont des Arts؟ يبدو لى أننى كنت أفكرّ يوم الخميس من شهر ديسمبر فى العبور إلى الضفة اليمنى لتناول النبيذ فى المقهى الصغير الكائن فى شارع لومبارد(١٢) Lombards ومتى تقرأ لى الكفّ مدام ليونى وتنبئنى بالرحلات والمفاجآت. لم آخذك معى أبدا لتقرأ لك الكف مدام ليونى فربما أصابنى الخوف من أن تقرأ تلك السيدة إحدى الحقائق عنى من خلال كفّك. وذلك لأنك كنت دوما مرآة رهيبة، وآلة مرعبة للتكرار، وماسميناه حبًا ربما تمثل فى أن

1

أقف أمامكِ وأنا أحمل زهرة صفراء فى يدى، بينما تمسكين أنت بشمعتين من اللون الأخضر، فى الوقت الذى يحمل فيه الهواء إلى وجهنا مطرا بطيئا للرفض والوداع وتذاكر المترو، وبالتالى لم آخذك أبدا إلى مدام ليونى. أعرف - فقد سبق أن قلت ذلك لى - أنك لايعجبك أن أراك وأنت تدخلين المكتبة الصغيرة الكائنة فى شارع ڤيرنيل(١٣) Verneuil، فهناك رجل طاعن فى السّن مشغول جدا يقوم بإعداد الآلاف من «الفيش» ويعرف كل مايمكن عن علم التاريخ. كنت تذهبين إلى هناك لتلعبين مع إحدى القطط كما كان العجوز يجعلك تدخلين دون أن يوجّه إليك أية أسئلة، وكان يسعده أنك تساعدينه أحيانا فى جلب أحد الكتب من الأرفف العلوية. كما كنت تتلمسين الحرارة إلى جوار المدفأة ذات الماسورة الضخمة السوداء، ولم يكن يروق لك أن أعرف أنك تذهبين إلى هناك لغرض التدفئة. لكن كان يجب الحديث عن كل هذا فى اللحظة المناسبة، غير أن من الصعب تحديد تلك اللحظة؛ حتى تلك التى أنا متكئ فيها الآن على جانب الكوبرى أشاهد إحدى المراكب الشراعية الصغيرة الجميلة كأنها صرصار يلمع من النظافة وذات لون يشبه رواسب النبيذ وهى تعبر وعلى متنها امرأة تضع على وسطها مريلة بيضاء وتقوم بنشر ثياب على سلك مشبوك فى مقدمة المركب، أخذتُ أتأمل شبابيكها الصغيرة المدهونة باللون الأخضر والموضوع عليها ستائر هانزل وجريتل(١٤) Hansely Gretel. وحتى الآن - ياماجا - كنت أسأل نفسى فيما إذا كان هناك معنى لهذا التجوال، ذلك أنه لكى يصل المرء إلى شارع لومبارد Lombards كان من الأنسب لى عبور كوبرى سان ميشيل San Michel وكوبرى شانج Chang. لكن لو كنت هناك مثلما كان الحال فى العديد من المرات لكنتُ قد عرفت أن للمسار الذى اتخذته معنى. أما الآن فقد قلت من حدة دفْع فشلى بأن أطلقت عليه تجوالا. وبعد ذلك، أى بعد أن رفعت ياقة معطفى، لم يكن هناك مناص إلا السير على أرصفة الموانئ حتى أدخل إلى تلك المنطقة المليئة بالمحلات الكبرى التى تنتهى عند ميدان شاتاليت Chatalet والعبور تحت الظل البنفسجى لبرج الأجراس تورسان جاك Tour Saint Jacques ثم مواصلة السير فى الشارع الذى أسكن فيه، وأنا أفكر فى مدام ليونى، وفى أننى لم أجدك.

أعرف أننى وصلت يوما إلى باريس، أعرف أننى مكثت زمنا لا أعيش حياتى، إذ

1

كنت أفعل مايفعله الآخرون وأرى مايرونه. أعرف أنك كنت تخرجين من مقهى كائن فى شارع شيرش ميدى[١٥] Cherche Midi وتحدثنا. فى ذلك المساء لم يكن أى شئ على مايرام، ذلك أن عاداتى الأرجنتينية كانت تمنع علىّ العبور المستمر من هذا الرصيف إلى ذاك لنرمق الأشياء التافهة الموضوعة فى فترينات لاتكاد تكون مضاءة، ونسير فى شوارع لا أتذكرها. فى هذه اللحظات كنت أتبعك وأنا عكر المزاج، وأراك على أنك متسلطة وغير جيدة التربية حتى تعبت من أنك غير متعبة، ثم دخلنا إحدى مقاهى بول ميش Boul' Mich؛ وفجأة، وبينما نتناول الكرواسون، حكيت لى جزءا كبيرا من حياتك.

كيف أمكن لى أن أشك أن ذلك الذى كان يبدو أكذوبة كبرى لم يكن إلا حقيقة. إنه فيجارى[١٦] Figari ومعه زهور بنفسج المساء ووجوه زرقاء ضاربة للسواد وجوع وضربات فى الأركان. وبعد ذلك صدقتك، وبعد ذلك كانت هناك الأسباب والحجج، كانت هناك مدام ليونى التى قرأت يدى التى نامت مع تحديك وكررت على نفسى كلماتك تقريبا. «إنها تعانى فى مكان ما. إنها دائما تعانى. إنها مرحة وتعشق اللون الأصفر، وعصفورها المفضّل هو «الشحرور Mirl، وساعتها هى الليل والكوبرى الذى تفضله هو كوبرى دى أرت Pont des Arts» [إنها مركب شراعية قديمة ياماجا، فلماذا لم نرحل فيها عندما كان أمامنا متسع من الوقت؟].

تمعنى هذا فلم نكد نعرف بعضنا البعض حتى أخذت الحياة تفعل اللازم بدقة متناهية لمباعدتنا عن بعضنا. ولما كنت لاتستطيعين المداراه أدركت أنه لكى أراك كما أريد أنا كان من اللازم البدء بإغماض العينين فأشهد فى البداية أشياء كأنها نجوم صفراء (تتحرك فى سائل مخملى) ثم بعد ذلك قفزات حمراء من الفكاهة والساعات والولوج البطئ فى عالم – ماجا – الملئ بالعثرات والبلبلة، لكنه أيضا ملئ بنباتات السرخس الذى يحمل توقيع الرسّام كلى[١٧] Klee وملئ بلوحات الرسام ميرو[١٨] Miró المرايا الرمادية لفييراداسيلبا Vieira da Silva، إنه عالم كنت تتحركين فيه كأنك حصان ى لعبة الشطرنج لكنه يتحرك كأنه الفيل أو البرج؛ كنّا فى تلك الآونة نذهب إلى سينما لوب لنشاهد الأفلام الصامتة، وكنت أنا مع ثقافتى، هذا ليس حقيقيا، وأنت أيتها لسكينة لم تدركى أى شئ على الإطلاق عنى؛ ذلك الصرير الأصفر وهذا الاختلاج سابق على ميلادك، أى ذلك الاستحلاب المتموّج حيث كان الموتى يركضون. وفجأة

1

كان يمر من هناك هارولد لويد(١٩) Harold Llay، وعندئذ كنت تنفضين عن نفسك مياه الحلم، وكنت تقنعين نفسك فى النهاية بأن كل شئ على مايرام، وكذلك بابست(٢٠) Pabst فريتز لانج(٢١) Fritz Lang. كنت أشعر بشئ من الملل لحرصك على الكمال وأنت تنتعلين حذاءً مقطوعاً، وترفضين قبول ماهو مقبول. كُنَّا نتناول الهامبورجر فى كارّيفور دى لو أوديون Carrefour de l' odéo، وننتقل على دراجة إلى مون برناس(٢٢) Montpar-nasse أو إلى أى فندق أو إلى أى مخدّة. وأحيانا أخرى كنا نواصل سيرنا حتى بورت دى أورليانز(٢٣) Porte d' Orléans وأخذت معرفتنا بمنطقة الأراضى البور الواقعة خلف طريق جوردان Jourdan تتحسن تدريجيا، حيث كان يجتمع هناك بين الحين والآخر أعضاء «نادى سيربينت» C. de la Serpiente للحديث مع عراف أعمى، ويالها من مقابلة مثيرة. كنا نترك الدراجات فى الشارع نتوغلّ بعض الشئ ونتوقف لننظر إلى السماء؛ فهذه المنطقة هى واحدة من المناطق القليلة فى باريس حيث السماء أكثر قيمة من الأرض. كنا نجلس على تلال القمامة، وندخّن لبعض الوقت، وكانت ماجا تداعب شعرى أو تدندن بترانيم لم تؤلف من قبل، إنها دندنة لامعنى لها تقطعها التنهدات أو الحديث عن الذكريات. كنت أنا أنتهز الفرصة للتفكير فى أشياء عديمة الفائدة، وهذه وسيلة بدأت أستخدمها منذ سنوات مضت وبالتحديد عندما كنت فى إحدى المستشفيات، ومع مرور الوقت بدت الوسيلة ثرية وضرورية. ومن خلال الجهد الكبير الذى أبذله فى لَمْلَمَة شتات بعض الصور الهامشية والتفكير فى الروائح والوجوه كنت أستطيع أن أستخرج من اللاشئ زوجا من الأحذية ذات اللون البنى، كنت قد انتعلته فى أولا باريّا Olauarría عام 1940. كان له كعب من الكاوتش ونعل رقيق. وعندما تمطر السماء كانت المياه تنفذ منه إلى أعماق روحى. وعندما يتم حمل هذا الحذاء فى يد الذكريات تتوارد باقى الذكريات وحدها : فهناك وجه السيدة/ مانويلا على سبيل المثال، أو الشاعر إرنستو مورّونى Ernesto Morroni. لكننى كنت أباعد هذه الأشياء الأخرى، إذ إن قواعد اللعبة تتمثل فى استحضار مالا قيمة له ولامعنى والذى هو إلى زوال. ولما كانت الرعشة تعترينى من عدم القدرة على التذكر وتهاجمنى العتّة التى تريد الاستمرار، وأصاب بالبلاهة بسبب تقبيل الزمن، كان الأمر ينتهى بى إلى أن أرى إلى جوار الحذاء علبة صغيرة هى شاى الشمس Té Sol، كانت قد أعطتنى إياها أمىّ فى بوينوس أيرس. وكذلك ملعقة الشاى، إنها ملعقة مصيدة حيث

1

الفئران السوداء تحترق حيّة فى فنجان الماء وهى تقذف فقاعات. ولما كنتُ على قناعة بأن الذاكرة تختزن كل شئ وليس فقط الحب الكبير «لاس ألبيرتيناس»[٢٤] Las Albertinas أو الأحداث العاطفية الكبرى والكلى، كنت ألحّ على إعادة بناء محتوى ماكان على منضدة العمل الخاصة بى فى فلورست ومنها وجه فتاة لاتستوعبها الذاكرة وتدعى جيكربتن Gekrepten وكمية الريش ذات الملعقة الموجودة فى صندوق العدة الذى هو من الدرجة الخامسة، وينتهى بى الأمر إلى الرعدة وفقدانى الأمل (لأننى لم أتذكر أبدا هذه الرّيش رغم أننى أعرف أنها كانت هناك فى صندوق العدّة فى منطقة خاصة لكننى لا أتذكر كم كان عددها أو اللحظة التى أصبح فيها العدد إما اثنين أو ستة). عندئذ كانت لاماجا تقبلنى وتنفث دخان السجائر فى وجهى وكذلك زفيرها الدافئ، لحظتها كنت أتذكر ثم نضحك ونعود للسير من جديد بين أكوام الزبالة بحثًا عن ذلك النادى. فى هذه الآونة أدركت أن البحث هو قبلتى وعنوان من يخرجون ليلا دون هدف محددّ والدافع لمن يلقون البوصلة جانبا. ومع لاماجا كنا نتحدث عن أى شئ حتى الإرهاق. فهى الأخرى لها خطواتها (كذلك كان لقاؤنا وكذلك أشياء أخرى قائمة مثل الكبريت) مثل أن تجعل متنفسها استثناءً دائما، وأن ترى نفسها فى وضع يختلف عما عليه الناس، وهذا دون الحط من شأن أحد ودون أن نظن أننا شئ عظيم مثل مالدوروريس[٢٥] Maldorores أو ميلموث[٢٦] Melmoths اللهم إلا أننا نهيم على وجهنا. ولايبدو لى أن اليراع يمكن أن تخرج بفائدة من حقيقة لامراء فيها، وهى أنها واحدة من الأعاجيب الكبرى لهذا السيرك، ومع ذلك يكفى افتراض أن لها وعيا لندرك أنه كلما انتفخت بطنها، فإنها تشعر بنوع من زغزغة الزهو. ويمكن أن نجد لاماجا على نفس الشاكلة فيما يتعلق بردود الأفعال غير المتوقعة التى تصدر عنها وتضع فيها نفسها بسبب فشل قوانين حياتها. فقد كانت من هؤلاء الذين يقضون على الكبارى بمجرد عبورها، أو من هؤلاء الذين يبكون وينتحبون؛ لأنهم رأوا فى فترينة العرض ورقة اليانصيب التى فازت بخمسة ملايين. وبالنسبة لى فقد تعوّدت أن تحدث لى أشياء أصفها بأنها متواضعة، بأنها غير عادية. وأننى لم أشعر بكثير من الفزع عندما كنت أدلف إلى الغرفة وهى مظلمة لآخذ ألبوم أسطوانات وأشعر أثناءها بأن هناك حشرة ضخمة تسير على ظهر كفىّ، وكانت قبل ذلك قد اختارت ظهر الألبوم لتنام عليه، أو أن

1

أجد بعض الزنابير الكبيرة ذات اللون الرمادى أو الأخضر داخل علبة السجائر، أو أن أسمع صفير أحد جرارات القطارات فى اللحظة المناسبة وبنفس درجة الإيقاع التى يتناغم فيها مع إحدى مراحل سيمفونيات بيتهوفن أو دخول إحدى أكشاك التبوّل من معدن الحديد فى شارع / ميديرس Médicis وأشاهد رجلا وهو يتبول وبعد أن ينتهى يستدير نحوى ويظهر لى قضيبه بألوان ومقاس غريب وهو يمكسه فى كفّه وكأنه شئ مهيب وثمين، وأدرك فى الوقت نفسه أن ذلك الرجل يماثل تماما رجلا آخر (رغم أنه لم يكن هو نفسه) ألقى محاضرة قبل ذلك بأربع وعشرين ساعة حول «الطوطم والتابو[٢٧] Tátems y tabúes لفرويد فى لاسال دى جيوجرافى La Salle de Geographie، وأطلع الجمهور على الكثير من الأشياء الغريبة بالإمساك بها ووضعها على كف يده مثل بعض العصىّ الصغيرة من العاج وريش عصفور القيثارة وعملات طقسية وحفريات سحرية ونجوم البحر وأسماك مجففة وصور لبعض العاهرات الملكية وقرابين قدمها صيادون وجعارين ضخمة محنطة تثير رعدة لذيذة تسري فى جسد السيدات المحترمات.

عموما ليس من السهل الحديث عن لاماجا التى تتجوّل فى هذه اللحظات فى شارع بيل ڤيل Belle Ville أو بانتين Pantin وتنظر إلى الأرض حتى تجد أى قطعة من أى شئ أحمر. وإلا ستظل على حالها هذا طوال الليل، وسوف تقلب فى صناديق القمامة وهى على قناعة بأنه سوف يحدث لها شئ فظيع إذا لم تجد ذلك الملبس الذى يستخدم كفدية أو أن تعثر على إشارة بالعفو أو بتأجيل الموضوع. أعرف ماهية ذلك الأمر، فأنا ممن يذعنون لتلك الإشارات، وأحيانا مايكون علىّ العثور على قطعة قماش حمراء. ومنذ صغرى تعودت على أنه إذا ماسقط من يدى شئ على الأرض فعلى أن أرفعه وإلا ستحدث كارثة، ليس لى، ولكن لشخص أكنّ له الحب وأن اسمه يبدأ بأول حرف من اسم الشئ الذى سقط على الأرض. والأسوأ من هذا هو أن لاشئ يوقفنى عندما يسقط شئ منىّ على الأرض ولاينفع فى هذا المقام أن ينهض أحد ويرفعه بدلا منى؛ فالنحس سوف يحل بنفس الدرجة. لقد ظهرت كثيرا فى شكل المجنون بسبب ذلك. والحقيقة أننى مجنون عندما أفعله، أى عندما أسارع فى جمع أجزاء لوح أو قصاصات ورقة سقطت من يدى مثلما حدث ليلة أن وقعت منى قطعة السكر فى مطعم بشارع إسكريب Scribe وهو مطعم فاخر يؤمه الكثير من المدراء والساقطات من ذوات

1

المستوى، والزيجات الاجتماعية. كنا مع رونالد وإيتين عندما سقطت منى قطعة من السكر وأخذت تتدحرج حتى وصلت تحت مائدة بعيدة عن المائدة التى نجلس عليها وأول شئ استرعى انتباهى هو الكيفية التى تدحرجت بها قطعة السكر. فمن المعتاد أن قطعة السكر عندما تسقط على الأرض تظل كما هى فى نفس المكان وذلك لأسباب بديهية. لكن قطعة السكر هذه كانت تتدحرج كأنها كرة نفتالين الأمر الذى أثارنى. ووصل الأمر بى إلى الظن بأنهم خطفوها من بين يدىّ. كان رونالد يعرفنى جيداً. نظر إلى المكان الذى استقرت فيه قطعة السكر وأخذ يضحك. الأمر الذى زاد من خوفى الذى اختلط بالغيظ. اقترب منى أحد عمّال المطعم وهو يظن أنه سقط منى شئ ثمين مثل قلم باركر أو طقم أسنان، ولم يكن مافعله إلا إثارة ضيقى، وعندئذ انحنيت على الأرض، وأخذت أبحث عن قطعة السكر بين أقدام وأحذية الزبائن الذين ملأهم الفضول ظنا منهم (وعندهم حق فى هذا) أننى أبحث عن شئ مهم. كان على المائدة امرأة شقراء ضخمة الجثة وأخرى أقل ضخامة، لكنها عاهرة أيضا، بالإضافة إلى اثنين من المدراء، أو لهما وظيفة من هذا القبيل. وأول شئ فعلته هو أننى أدركت أن قطعة السكر مختفية عن ناظرىّ رغم أننى شاهدتها وهى تقفز متجهة نحو الأحذية (التى كانت تواصل حركتها كأنها أرجل دجاج) والأسوأ أن الأرضية كان بها سجادة اتسخت من كثرة الاستعمال ومع ذلك اختبأت قطعة السكر بين الوبر ولايمكن العثور عليها. انحنى عامل المطعم أسفل المائدة من الناحية الأخرى فأصبحنا اثنين من ذوات الأربع تتحرك بين أحذية الدجاج الذى أخذ فى القرقرة بجنون، واصل الفتى بحثه وهو على قناعة بأنه سيعثر على الباركر أو لويس الذهبى. وعندما أصبح كلانا تحت المائدة بالكامل سألنى عن الشئ الذى أبحث عنه فأفصحت له عنه، فما كان منه إلا أن تهدّلت ملامح وجهه لدرجة يجب معها وضع مُثَبِّت له، ولما لم تكن عندى رغبة فى الضحك، كما أن الخوف عطلّ المعدة عن عملها وسيطرت علىّ خيبة أمل كبرى (نهض العامل وهو شديد الحنق) وأخذت فى الإمساك بأحذية السيدتين والنظر تحت منحى الكعب والنعل حتى أجد قطعة السكر. كانت الدجاجتان تقرقران. أما المديران الديوك فكانا ينقران ظهرى وأنا أسمع قهقهات رونالد وإيتين، وأتحرك من مائدة لأخرى للعثور على قطعة السكر التى اختبأت تحت إحدى أرجل المائدة من طراز الإمبراطورية الثانية. كما أصاب الغضب كل من

1

فى المكان بما فيهم أنا بسبب قطعة السكر التى قبضت عليها بيدى، وشعرت كأنها تذوب فى العرق، وأنها تتحول وتتحلل بشكل قذر كأنها من النقمة اللصيقة. إنها واحدة من تلك الأحداث التى تقع كل يوم.

(- 2)

2

هنا، كان الأمر فى البداية كنوع من الاستنزاف وضربات سياط فى الاستخدام الداخلى، والشعور الأبله بوجود جواز السفر ذى الجلدة الزرقاء فى جيب الجاكتة، وأن مفتاح الفندق موضوع فى مكانه معلق على اللوحة. إنه الخوف والجهل والانبهار : هذا الشئ اسمه كذا، وذلك الآخر يطلب بتلك الطريقة، والآن سوف تبتسم تلك المرأة. وفى نهاية هذا الشارع سوف نجد حديقة النباتات Jardin des Plantes. باريس عبارة عن كارت بوستال رسمه الفنان كلى Klee، وموضوع إلى جوار مرآة قذرة. ظهرت لاماجا ذات مساء فى شارع شيرش ميدى Cherche Mid، وعندما كنت أصعد إلى غرفتى الكائنة فى شارع/ تومب إيسوار lomb Issoire كنت آتى بزهرة أو بكارت بوستال لكلى Klee أو ميرو Miró، وإذا لم تتوافر النقود لدىّ كنت أختار ورقة من أوراق شجر الموز فى الحديقة : فى تلك الآونة كنت أجمع الأسلاك والأدراج الفارغة من الشوارع فى الصباح الباكر، وكنت أصنع بها أشياء متحركة وأطرا تدور حول المدافئ والماكينات عديمة الجدوى التى كان لاماجا تساعدنى فى رسمها. لم نكن عاشقين، كنا نمارس الحب بكثير من العفة والتمنع، وبعد ذلك نسقط في صمت رهيب، وتتحول رغوة كئوس البيرة إلى طبقة كثيفة وتقل درجة البرودة ويتغير طعمها، بينما ننظر إلى بعضنا البعض، ونشعر بأن ذلك كان الزمن. كانت ماجا تنهض وتلف وتدور بلا هدف فى أنحاء الحجرة. وقد شهدتها أكثر من مرّة وهى معجبة بجسد تشاهده فى المرآة وتمسك بثديها بكلتا يديها كأنها تماثيل سورية تطوف ببصرها رويدا رويدا بأنحاء جلدها فى مداعبة لطيفة لم أستطع أبدا مقاومة الرغبة فى النداء عليها لتجلس إلى جوارى وأشعر بها وهى تقع شيئا فشيئا فوقى ثم تنحنى بعد أن ظلت وحيدة فى لحظة عاشقة فيها جسدها.

فى تلك الفترة لم نكن نتحدث كثيرا عن روكا مادور(١) Rocamadour كانت المتعة أنانية؛ إذ تتعثر بنا وهى تئن وتربطنا بيديها المليئة بالملح. وصل الأمر بى لقبول الفوضى التى عليها ماجا وكأنها الظروف الطبيعية لكل لحظة. ننتقل من حديثنا عن روكا مادور إلى الحديث عن طبق شوربة شعرية أعيد تسخينه، وعن خلط النبيذ بالبيرة والليموناتة. ثم نجرى إلى الشارع حتى تقوم العجوز التى تقف على الناصية بإعداد دستتين من المحار لنا، ونعزف على البيانو الهيكلى الخاص بمدام نوجيت مقطوعات لشوبرت(٢)

2

Schubert ومقدمات موسيقية لباخ أو أن نعزف مقطعا من أوبرا[٣] Porgy and Bess، ونتناول شريحة لحم مشوية مع الخيار المشوى. تبدو لى الفوضى التى نعيش فيها ضرورية أو بمعنى آخر النظام الذى يتحول فيه بيديه - بشكل تدريجى - إلى ديسكو وأرشيف للمراسلات التى يجب الرد عليها، رغم أننى لم أرد أن أحدّث ماجا عنها. لقد استغرقت وقتا قصيرا لأدرك أنه لايجب طرح الواقع على ماجا بطريقة منهجية وبالتالى فإن إطراء الفوضى كان سيستثيرها مثل نقدها. فالأمر بالنسبة لها هو أن ليس هناك فوضى، وقد عرفتُ ذلك فى اللحظة التى عرفت فيها محتوى شنطة يدها (كان ذلك فى مقهى بشارع ريامير Réamur، وكان المطر يتساقط وقد أخذنا نعبر عن رغبة كل منا فى الآخر) وقد قبلت بهذا، وساعدت عليه بعد أن عرفت ماهيته. فى ظل هذه النواقص كانت تدور علاقتى بمعظم الآخرين، فكم من مرة وأنا متمدد على السرير - وهذا لايحدث إلا أياما قليلة - كنت أسمع لاماجا وهى تبكى؛ لأنها رأت طفلا فى المترو وجعله الذكريات الخاصة بـ روكامادور تطوف برأسها، أو أن أراها وهى تقوم بتصفيف شعرها بعد أن قضت فترة مابعد الظهيرة جالسة تتأمل لوحة ليونور دى أكيتانيا Leo-na de Aquitania وترنو بلهفة إلى أن تشبهها، فى هذه اللحظات كان يراودنى نوع من التجشّؤ العقلى الذى يتمثل فى أن كل هذه البدايات فى حياتى ماهى إلا بلاهة مؤلمة فالأمر لايعدو مجرد حركة جدلية فى اختيار اللاسلوك مقابل السلوك، والاحتشام اليسير مقابل الاحتشام المشاع. كانت لاماجا تمشط شعرها وتمشطه ثم تعود لتمشيطه. تفكر فى روكامادور وتغنى بعض ألحان هوجو وولف[٤] HugoWolf (سيئ)، كانت تقّبلنى وتسألنى الرأى فى تسريحة شعرها ثم تبدأ فى الرسم على وريقة صفراء كان كل ذلك هو الذى عرضته، بينما أنا قابع هناك على سرير، تراكمت عليه القذارة عن عمد، أحتسى بيرة قصدتُ ألا تكون باردة. هكذا كنت أنا وحياتى، أنا وحياتى مقابل حياة الآخرين. وإذا ماكنت معتزا بأننى كسول وعلى وعى بذلك وطوال شهور وشهور وتقلّبات كثيرة كان شاهدا على فيها لاماجا ورونالدو روكامادور، وفترة النادى والشوارع وأمراضى الأخلاقية وغير ذلك من التقيّحات وبيرت تريبات Berthe Trépat والجوع أحيانا، وذلك العجوز ترونيل Trouille الذى كان يساعدنى فى الخروج من المأزق وطوال ليالى مفعمة بالموسيقى والسجائر وبعض الأمور المُخْزية بعض الشئ.

2

ورغم كل هذا فإننى لم أشأ مجاراة البوهيميين فى فكرتهم فى أن تلك الفوضى ماهى إلا نظام روحى علوى أو أن أطلق عليها أى تسمية أخرى بالية مثل السابقة. كما لم أشأ قبول فكرة أنه يكفى القليل من الاحتشام (احتشم يافتى!) للخروج من هذه الوهدة السحيقة. هكذا التقيت بـ لاماجا التى كانت شاهدا وجاسوسا علىّ دون أن أدرى، وكنت أشعر بالغيظ؛ لأننى أفكر فى كل هذا وأستغرق وقتا طويلا رغم أننى أعرف أنه كان يكفينى القليل من التفكير فيما يجب أن أكون، فعقلانية العبارة - فى نظرى - ليست على درجة كبيرة من الـ Ego (أنا)(٥) أو شيئا من هذا القبيل، وعلى هذا كنا نسير على الشاطئ الأيسر، وكانت لاماجا، التى لاتعرف أنها جاسوس أو شاهد علىّ، تعبر عن إعجابها الشديد بما أنا عليه من معرفة شديدة التنوع وقدراتى الأدبية بما فى ذلك الجاز كول(٦) Jazz Cool التى كانت تعتبر أمورا شديدة الغموض بالنسبة لها. أما أنا فكنت على النقيض منها، وأشعر بقربى من لاماجا، كنا متحابين كأننا مغناطيس وبرادة الحديد، نقوم بالكر والفرّ أو الكرة والحائط. أظن أن لاماجا كانت ترنو إلىّ، وربما ظنت أننى تطهرت من مفاهيم سابقة أو أننى انتقلت إلى عالمهم الأكثر الملئ بالفحش والشاعرية. وفى قمة السعادة الهشة والهدنة المزيفة مددتُ يدى ولمست الكرة باريس ومادتها التى لاتنتهى ماهيتها وهى منكفئة على نفسها، وعجينة الهواء وكل ماكان يرسم على النافذة والسحب والنوافذ فى الحجرات المائلة السقف. إذن ليست هناك فوضى، إن العالم لازالت به بعض العفونة، لكنه قائم من مجموعة من العناصر تدور، كل حول محورها، إنها خليط من الشوارع والأشجار والأسماء والشهور. ليس هناك فوضى تفتح الطريق للنجاة. لم يكن هناك إلا القذارة والبؤس، والأكواب بها بقايا بيرة وشرابات حريمى ملقاة فى أحد الأركان وسرير تفوح منه رائحة الجنس وتستقر عليه بعض الشعرات، لم يكن هناك إلا امرأة تتحسس أوراكى بيدها الناعمة الشفافة وتطيل فى المداعبة التى تخرجنى هنيهة من هذا الوعى بالفراغ الكامل. لكن تأخرت كثيرا، وهكذا كان دوما، فرغم أننا قد نمارس الحب مرات عديدة فإن السعادة لابد وأن تكون شيئا آخر، ربما كانت شيئا أكثر حزنا من هذه الطمأنينة وهذه المتعة، إنها هواء كوحيد قرن خرافى أو جزيرة. أو السقوط اللانهائى فى السكون. لم تكن لاماجا تدرى أن قبلاتى ماهى إلا عيون أخذت ترى إلى مسافة أبعد منها، وأننى أسير كائنىّ متهيئ

2

للخروج وقد انخرطت فى شخصية أخرى فى هذه الدنيا مثل قائد سفينة يقف على مقدمتها السوداء التى تقطع سطح مياة الزمن وترفضها.

خلال تلك الفترة من عام نيفٌ وخمسين[٧] أخذت أشعر بنفسىٍ فى مأزق بين لاماجا ومفهوم آخر مختلف يعبر عما كان يجب أن يكون. كان من البلاهة التمرّد على الدنيا الخاصة بـ لاماجا وعلى دنيا روكامادور، وفى الوقت الذى كانت تشير فيه كل الدلائل على أننى بدأت استعادة استقلالى، فإننى قد لا أشعر بالحرية. كنت شديد النفاق، وكان يضايقنى ذلك التجسس على جلدى وعلى ساقىّ وعلى طريقتى فى المتعة إلى جوار لاماجا، وكذلك زهوى كأننى ببغاء فى قفص وأنا أقرأ كير كجارد[٨] من وراء قضبان القفص، وأعتقد أن أكثر شئ كان يضايقنى هو أن لاماجا لاتعى أنها شاهدة علىّ، وفى الوقت ذاته قد تكون على قناعة من أننى ذو سيادة فى الاكتفاء بنفسى. لكن لا، فما كان يغيظنى فى الحقيقة هو أن أعرف أننى قد لا أتمكن أبدا من الاقتراب كثيرا من حريتى مثل تلك الأيام التى كنت أشعر فيها بسيطرة عالم لاماجا علىّ. وأن شغفى بحريتى كان يعنى الاعتراف بالهزيمة. كان يؤلمنى ذلك الاعتراف رغم الاصطدام المكتوم بالآخرين ورغم إثارة الانتباه بما نفعل ورغم انفصال كل منا عن الآخر، لم أكن أتمكن من فتح طريق لى على سلم محطة جاردى مونبارناس Gare de Montparnsse؛ حيث كانت لاماجا تجرّنى لزيارة روكامادور. لماذا لايقبل المرأ ماكان يحدث دون محاولة تفسيره ودون الحديث عن النظام أو الفوضى وعن الحرية وعن روكامادور، مثله فى ذلك مثل من يقوم بترتيب الأصص وبها إبرة الراعى فى أحد الأحواش الداخلية لمنزل فى شارع كوتشابابمبا؟ ربما كان من الضرورى السقوط إلى أعماق البلاهة للوصول إلى سُقّاطة باب المرحاض أو باب «حديقة الزيتون» Jardin de los Olives. كان يدهشنى - مؤقتا - أن يصل الخيال بـ لاماجا إلى أن تسمى ابنها بـ روكامادور. لقد تعبنا فى النادى من البحث عن الأسباب، واقتصرت لاماجا على القول بأن ابنها يسمىّ مثل والده، لكن لما كان الأب قد اختفى كان من الأنسب أن تسميه روكامادور وترسل به إلى الريف حتى يربونه فى الحضانة، كانت ماجا تقضى أسابيع متوالية دون أن تتحدث عن روكامادور، وكان ذلك يتوافق دائما مع آمالها فى أن تصبح ذات يوم مغنية ليدر Lieder. فى ذلك الحين كان رونالد يجلس أمام البيانو ورأسه كأنها رأس كاوبوى،

2

وتترنم لاماجا بأغانى هوجو وولف لكن بقوة ترتجف لها السيدة/ نوجيت وهى جالسة فى الحجرة المجاورة تقوم بإعداد عقود من البلاستيك لبيعها فى شارع سيباستوبول Sébastopo. وبتدما كانت لاماجا تغنى لشومان[٩] Schumann ترااللتى روقنا كثيراً، لكن كل شئ يرتبط بالقمر وماكنا سنفعله فى تلك الليلة، ويرجع كذلك لـ روكامادور فلا تكاد ماجا تتذكره حتى يذهب الغناء إلى الشيطان، ويبقى روناالد وحده جالسا أمام البيانو، ويستغل الفرصة ليمارس ويطبق أفكاره عن بيبوب bebop أو أن يمتعنا باحدى تنويعات الجاز Blues.

لا أريد الكتابة عن روكامادور – اليوم على الأقل – إذ أنا بحاجة ماسة للاقتراب من نفسى بشكل أفضل وأترك كل شئ يبعدنى عن المركز. وينتهى بى الأمر دائما إلى الإشارة إلى المركز دون أى ضمان فيما إذا كنت أعرف ما أقوله. إننى أترك نفسى رهنا للمصيدة السهلة الخاصة بالهندسة، والتى من خلالها تحاول أن تنظم حياتنا على الطريقة الغربية : هناك المحور والمركز وسبب الماهية و Omphalos وأسماء أخرى تنسب إلى الحقبة الهندية – الأوربية. كذلك فإن هذه الحياة التى أحاول وصفها، وباريس التى أتحرك فيها كأننى ورقة جافة، لن ترى إلا إذا كان هناك هذا الشغف بالمحور وببدن العامود. كم هناك من الكلمات والمسمّيات التى تطلق على نفسه الشئ الغامض. أحيانا ما أصل إلى إقناع نفسى بأن البلاهة تسمى مثلثا، وأن حاصل ضرب ثمانية فى ثمانية يساوى الجنون أو كلبا؛ وعندما أعانق لاماجا، هذا التحديد الضبابى، أتصور أن هناك سببا قويا يحدونى لصنع دمية من لبابة الخبز يماثل الدافع وراء كتابة رواية لن أكتبها أبدا أو تقديم النفس دفاعا عن الأفكار التى تنقذ الشعوب. يقوم البندول بأداء وظيفته فى الحال فأعود فى هذه اللحظة إلى تلك الأشياء المهدئة : دمى لامعنى لها، ورواية مهمة، وموت بطولى. أضعها كلها فى صف واحد مرتبة: الأصغر فالأكبر : الدمية ثم الرواية ثم البطولة. إننى أفكر فى سلّم القيم الذى درسه أورتيجا اى جاست[١١] وكذلك شيلر[١٢] : الجمالى والأخلاقى والدينى. الدينى والجمالى والأخلاقى. الأخلاقى والدينى والجمالى. الدمية ثم الرواية. الموت ثم الدمية. يزغزغنى لسان ماجا. روكامادور ثم الأخلاق ثم الدمية، ثم لاماجا. اللسان ثم الزغزغة ثم الأخلاق.

(– 116)

3

كانت السيجارة الثالثة للسهاد والأرق تحترق بين شفتى أوراثيو أوليڤيرا[١] H.Oliveira وهو جالس على السرير. داعب برقة شعر لاماجا مرة أو مرتين وهى نائمة ورأسها فى الاتجاه المقابل له. كان الوقت فجر الاثنين وقد استغرقا مساء الأحد وأثناء الليل فى القراءة والاستماع إلى الأسطوانات أو النهوض لتسخين القهوة أو تناول بعض الطعام. وفى نهاية إحدى رباعيات هايدن[٢] Haydn نامت لاماجا، فما كان من أليفيرا إلا أن فصل الكهرباء عن جهاز الأسطوانات وهو على السرير: إذ لم يعد يرغب فى مواصلة الاستماع إلى الموسيقى. ظل الجهاز يدور بعض الوقت دون أن يصدر عنه أى صوت. لم يكن يعرف لماذا هو كذلك، لكن هذا النحو من الكسل الأحمق جعله يفكر فى التحركات غير المجدية ظاهريا التى تقوم بها الحشرات، وكذلك بعض الأطفال. لم يستطع النوم، فكان يدخن وهو ينظر إلى النافذة المفتوحة إلى النافذة ذات الحجرة المائلة السقف، حيث كان هناك عازف كمان. يتدرب حتى ساعة متأخرة من الليل أحيانا. لم يكن الجو حارا، لكن جسد ماجا جعله يشعر بالحرارة فى فخذه، وكذلك جنبه الأيمن ،فأخذ يبتعد رويدا رويدا وهو يفكر فى أن الليل سيطول عليه.

كان يشعر بأنه على أفضل حال، وهذا يحدث له دوما عندما يصل مع لاماجا إلى نهاية اللقاء دون مصادمات أو مشاحنات. لم يكن يبدى كثير اهتمام برسالة أخيه المحامى الأرجنتينى الكبير والتى سطرها له فى أربع ورقات من الورق الخفيف الخاص بالرسائل التى ترسل بالطائرة؛ تحدث فيها عن واجبات القرابة والمواطنة التى أهملها أوليڤيرا. كانت الرسالة رائعة السبك، فما كان منه إلا أن لصقها على الحائط حتى يتمتع الأصدقاء بقراءتها. لكن أهم ماتحويه الرسالة هو أنه سيرسل له نقودا عبر الحقيبة السوداء، لكن أخاه كان يطلق عليها مسمى آخر هو «القومسيونجى». فكر أوليڤيرا فى شراء بعض الكتب التى كان يريد قراءتها، وأن يعطى لاماجا ثلاثة آلاف فرنك لتفعل بها مايحلو لها، بأن تشترى مثلا دمية على شكل فيل ضخم تكاد تصل إلى الحجم الطبيعى وذلك لإفزاع روكامادور. وفى الصباح سوف يذهب [illegible] جوز توريل ليحصل [illegible] على الخطابات التى وصلت إليه من أمريكا اللاتينية. إن [illegible]، وفعل شيء [illegible] الحصول على المراسلات أشياء لاتساعد على النوم. معرفة ماهو [illegible] من تعبير: عمل شئ، أى عمل الخير، أو القيام بالتبول، أو قضاء الوقت. إنه العمل بكل

3

ماتحمله الكلمة من أبعاد. ووراء كل حدث هناك احتجاج، فكل حدث كان يعنى الخروج من أمر ما للوصول إلى أو تحريك شئ ماحتى يكون هنا وليس هناك، أو دخول هذا المنزل بدلا من عدمه أو بدلا من دخول المنزل المجاور. أريد القول بأن وراء كل فعل هناك الحاجة إلى شئ لم يتم حتى الآن، وأن من الممكن عمله. إنه الاحتجاج المقنّع فى مواجهة استمرار الحاجة والنقصان الذى عليه الحاضر. والظن بأن الحدث كان يمكن أن يؤدى إلى الوفاء الكامل أو أن مجموعة الأحداث المتراكمة يمكن أن تساوى حياة جديدة. بهذا الاسم لم يكن إلا ضربا من الخيال طرأ بعقل أحد الأخلاقيين. كان من الأفضل الرفض؛ ذلك أن رفض القيام بشئ هو الاحتجاج بعينه وليس قِنَاعَهُ. أشعل أوليڤيرا سيجارة أخرى ووجد نفسه مجبرا على الابتسام بسخرية والاستهزاء بنفسه من خلال الحدث نفسه. لم يكن يهتم بالتحليلات السطحية التى تنحو إلى التسلية ونصب الفخاخ اللغوية. والشئ الوحيد الحقيقى هو التعب الذى يشعر به فى فم المعدة والشك فى أن هناك شيئا ما لايعمل جيدا أو أنه لم يكد يعمل أبدا بشكل جيد. لم يكن ذلك يمثل مشكلة، بل تمثلت فى رفضه للأكاذيب الجماعية منذ الصغر، أو العزلة الناقمة؛ حيث كان عليه أن يدرس النظائر المشعة أو فترة حكم الرئيس الأرجنتينى بارتولوميه ميترى[٢] Bartolomé Mitre. وإذا ماكان قد اختار شيئا منذ صغره، فلم يكن إلا الدفاع عن نفسه من الانخراط السريع والشغوف بالتحصيل «الثقافى»، وهى وسيلة تمارسها الطبقة المتوسطة الأرجنتينية بكثرة لإبعاد الجسد عن الواقع الوطنى وعن أى واقع آخر، وبذلك تظن نفسها أنها بمنأى عن الفراغ والخواء المحيطين به، وربما تمكن بفضل هذا النوع من الكسل الذى اعتاده، كما عرفه بذلك رفيقه ترافلر، من أن يباعد نفسه عن الدخول فى هذا النظام المنافق (الذى انخرط فيه الكثير من أصدقائه بحسن نية، ذلك أن الأمور كان من الممكن تحقيقها، وهناك أمثلة على ذلك) الذى يباعد نفسه عن جوهر المشاكل من خلال التخصص فى أى نظام، وممارسته تقود، وياللسخرية، إلى قمة المفاخر الأرجنتينية. أما فيما عدا ذلك فقد كان يبدو له أن هناك مخادعة وسهولة فى خلط المشكلات التاريخية مثل الذات الأرجنتينية أو الذات فى الأسكيمو بالمشاكل المتعلقة بالفعل أو الامتناع عنه . كان قد عاش عمرا كافيا لتساوره الشكوك حيال ذلك الأمر. الذى يتمنع عليه رغم أنه أمام ناظرى كل واحد: ألا وهو ثقل الذات

3

فى دائرة الشئ. كانت لاماجا واحدة من النساء القليلات اللاتى لاينسين أبدا الفكرة القائلة بأن الوجه يؤثر دائما فى الفكرة التى يمكن أن تنشأ عن الشيوعية أو الحضارة الكريتية – الميكينيّة وأن شكل اليدين يكون حاضرا دائما فيما قد يشعر به صاحبها إزاء أعمال جيرلادايو ghirlandaio أو دستوفسكى. وبذلك ليس أمام أوليفيرا إلا الإقرار بأن فصيلة دمه، وقضائه فترة الطفولة محاطا بأعمام عظام، وحالات الحب فى فترة اليفاعة وتعرضه بسهوله لحالات الضعف والوهن كلها يمكن أن تكون عناصر أساسية فى رؤيته الخاصة للعالم. كان من الطبقة المتوسطة ومن إحدى المدن الساحلية، ودرس فى المدارس الوطنية، لكن كل هذه الأشياء لا يتم علاجها هكذا. والأمر السيىء هو أنه الخوف من المبالغة فى تحديد وجهة النظر بدقة أدى إلى ثقل بل وقبول نعم ولا لكل شئ والنظر إلى كفتى الميزان من خلال اللسان. ففى باريس كان كل شئ بالنسبة له بوينوس أيرس والعكس صحيح : وفى الجانب الأكثر حرصا فى الحب كان يعانى ويذعن للخسارة والنسيان. وهذا موقف صريح للغاية بل وسهل، وسرعان ما يتحول إلى بداهة وتكنيك. إنه الذكاء الحاد للمشلول وعمى الرياضى الأبله. يبدأ مسيرة الحياة بخطوات وئيدة على طريقة الفيلسوف وطريقة المتسوّل ثم يقوم تدريجيا بتخفيض الحركات الحيوية عند وجود أى بادرة للحوار. وعندما يستعمل وعيه يحاول أن يتجنب الخديعة ولايقتنص الحقيقة. إنه سكون علمانى، وهدوء فلسفى معتدل، ولا مبالاة يقظة. كان مايهم أوليفيرا هو أن يشهد دونما حماس العرض الخاص بتقسيم الثورى توباك – أمارو[٤] Tupac- Amarú ، وألا يقع فريسة ذلك الإحساس الفقير بحب الذات (مثل الانتساب إلى سلالة السكريبّو Criollo أو إلى حىّ أو ثقافة أو فلكلور) والذى يعلن عنه أمامه كل يوم تحت أنماط مختلفة. وذات مساء، عندما كان فى العاشرة من عمره، كان هناك جمع من الأعمام والعظات الدينية والخطب السياسية التاريخية فى ظل مجموعة من الجنّات، عبر بخوف عن ردّ فعله إزاء التوليفة الأسبانية – الإيطالية – الأرجنتينية «هذا ما أقوله أنا!» مواكبا ذلك بكلمة قوية كان يجب أن تكون بمثابة التأكيد القاطع. هذا ما أقوله أنا ! هذا ما أقوله أنا ! وفكرّ أوليفيرا فى «أنا» هذه. أى قيمة تأكيدية كانت لها ؟ إنه الأنا للكبار. فأى علم بمغاليق الأمور كان له؟ وبعد أن بلغ الخامسة عشرة من عمره أدرك فحوى هذه العبارة «إن ما أعرفه جيدا هو أننى لا

3

أعرف شيئا»، وبدا له الصمت المطبق شيئا لا مناص منه، ولم يعد يتحدى الناس بهذه الطريقة. هذا ما أقوله أنا. وبعد ذلك بدا له مسليا كيف أنه فى الدوائر الثقافية الأعلى، وكذا قيمة السلطات والنفوذ والثقة الناجمة عن القراءات الجيدة والألمعية، كلها تتجب «هذا ما أقوله أنا»، ولكن بطريقة مُخَفَّفَة ومستترة حتى بالنسبة لهؤلاء الذين ينطقون بها. والآن أخذت التراكيب التالية تحل محلها مثل «اعتقدت دوما» «إذا ماكان هنا شئ أنا متأكد منه» «من البديهى أن»، لكنها لاتضع فى اعتبارها أبداتأمل وجهة النظر المعارضة. وكأننا نجد الجنس البشرى حريصا على الفرد حتى لايتركه يتقدم أكثر من اللازم فى طريق التسامح والشك الذكى والتذبذب العاطفى. لكن فى لحظة معينة يظهر «الكالّو»، وضرورة تحديد الموقف : إما أسود أو أبيض، إما راديكالى أو محافظ، إما شاذ جنسيا أو متعدد الشذوذ. إما تجريدى أو ملموس، إما أن يكون نادى «القديس لورنثو» أو نادى «بوكاجونيور Bova Juniors»[٥] إما اللحم أو الخضار، إما التجارة أو الشعر وكان الأمر جيدا، ذلك أن الإنسانية لاتستطيع أن تثق فى أنماط مثل أوليڤيرا. كانت رسالة أخيه تعبيرا صادقا عن هذا النفور.

وفكر «وأسوأ مافى الأمر» هو «أن الموقف يؤدى بالضروة إلى» الحيوان الكسول الضعيف Animula Vagula blandula فما العمل؟ وبهذا السؤال باعد النوم جفونى. أو بلوموف: ماذا نحن فاعلون؟ إن الأصوات العظمى فى التاريخ تدعو إلى المشاركة فى الحدث مثل هاملت وريفنجى! فهل نحن ننتقم من أنفسنا ياهاملت أو أن الأمر لايعد مجرد اتجاه فنّى على طريقة شيبدالى[٦] Chippendale والشباشب ونار جيدة؟ فالسورى أثنى كثيرا على مارتا Marta رغم كل شئ. فهل تقدم على المعركة ياعرجون[٧] Arjuna؟ لايمكن لك أيها الملك غير الحازم أن تنكر القيم. إنه الكفاح للكفاح والعيش كأنه مخاطرة، فكر فى رواية «ماريو الأبيقورى[٨]» Mario el Epicuréo وفى ريتشار هيلارى[٩] Richar Hillary وفى كيو Kyo وفى لورانس العرب. سعداء هم هؤلاء الذين يختارون والذين يقبلون بأنه قد تم اختيارهم. إنهم الأبطال الوجهاء والقديسين والفارين الكاملين».

ربما. لم لا ؟ لكن ربما كانت وجهة نظره مثل وجهة نظر الثعلبة وهى تنظر إلى عناقيد العنب. وربما كانت له أسبابه، لكنها أسباب بائسة ومحزنة. إنها الأسباب الخاصة بالنملة عندما تقف أمام الجرادة. وإذا ما انتهى الأمر بالبصيرة النافذة إلى اللافعل، فهل نشك فيها؟ وهل هى بذلك لاتخفى نوعا من العمى؟ إن بلاهة البطل

3

العسكرى عندما يقفز وهو محمّل بالبارود، كابرال هو جندى بطل متوج بأكاليل الغار، قد تشير إلى رؤية علوية ولحظة خاطفة تطلّ من خلالها على المطلق الذى يتجاوز حدود الوعى (لاتطلب ذلك من أحد جنود الصف)، إنه التوهج العقلى فى الساعة الثالثة صباحا ومن على السرير وبعد أن دخّن نصف السيجارة، وبالتالى أصبحت أقل قدرة وفعاليةً من بصيرة إنسان غبى.

تحدث عن هذا كله مع لاماجا التى استيقظت من نومها، وكانت تقترب منه وكأنها تموء من غلبة النعاس. فتحت لاماجا عينيها وأخذت تفكر ثم قالت:

– أنت لاتستطيع ، أنت تفكر كثيرا قبل أن تقدم على فعل شئ.

– إننى أنفذ المبدأ القائل بأن التمعن يجب أن يسبق العمل أيتها الحمقاء.

– قالت لا ماجا: تنفذ المبدأ، ياله من أمر معقد، إنك مثل شاهد، إنك مثل من يذهب إلى المتحف ويشاهد اللوحات. وما أريد أن أقوله إن اللوحات هناك، قائمة وأنت فى المتحف قريبا وبعيد فى الوقت ذاته. أنا لوحة ورروكامادور هو أيضا لوحة. وأنت تعتقد أنك فى هذه الحجرة ولست هناك. إنك تنظر إلى الحجرة ولست فيها.

– قال أوليڤيرا: إن هذه الفتاة سوف تستهزئ بسانتو توماس.

– قالت ماجا: لماذا القديس توماس؟ أليس أحمق؛ لأنه كان يريد أن يرى ليؤمن؟

– قال أوليڤيرا: بلى ياعزيزتى. وهو يفكر فى أن لاماجا أشارت إلى القديس الحقيقى. يالها من امرأة سعيده لقدرتها على الإيمان دون أن ترى، وأنها تستطيع أن تشكّل شيئا ملموسا بالاستمرار فى الحياة. يالها من سعيدة إذ إنها داخل الحجرة من حقها المدينة فى كل ماتلمس وتتعايش معه. إنها سمكة تعيش عند مصب النهر، وهى ورقة فى الشجرة وسحابة فى السماء، وصورة شعرية فى قصيدة. سمكة وورقة وسحابة وصورة : هذا هو بالضبط إلا إذا ....

(– 84)

4

بهذه الطريقة بدأ فى التجوال فى باريس الرائعة وتركا نفسيهما ليقودها توجه الليلة، كما أذعنا لمسارات نجمت عن مقولة المتسول، أو عن نافذة حجرة ذات سقف مائل مضاءة فى آخر شارع مظلم، متوقفين فى الميادين الصغيرة المظلمة التى يباح فيها بالأسرار ليتبادلا قبلة على أحد المقاعد أو تأمل الخطوط العرضية والطولية للعبة الحجلة[1] والطقوس الطفولية المكونة من الحصية والقفز بقدم واحدة للدخول إلى السماء. كانت لاماجا تتحدث عن صديقاتها فى مونتفيديو، وعن سنوات الطفولة، وعن شخص يدعى ليديسما، وعن أبيها. بينما ينصت أوليڤيرا دون رغبة وهو يتألم بعض الشئ لعدم قدرته على الأهتمام بما تقول، كانت مدينة مونتيفيديو مثل بوينوس أيرس كما كان فى حاجة إلى توطيد نقطة هشة يقاطعها عندما [ما الذى يفعله الآن ترافلر، ذلك الهائم على وجهه، وأى مشاكل طريقة أوقع نفسه فيها منذ رحيله؟ وكذلك البلهاء المسكينة جيكريتن Gekrepten ومقاهى وسط المدينة] ولهذا كان ينصت إليها مكرها، كما كان يستخدم غُصيّنا يرسم به على الحصى، بينما تشرح له ماجا السبب فى أن كلا من شيمب وجراثييلا كانتا فتاتين طيبتين، وكم تألمت هى لأن لوثيانا لم تذهب إلى المركب لوداعها. كانت لوثيانا Snob، وهذا لايمكن لا أن تتحمله بالنسبة لأحد.

سأل أوليڤيرا وقد أبدى شيئا من الاهتمام: مامعنى كلمة Snob؟

– حسن.

قالت لاماجا وهى مطأطئة الرأس وقد علا وجهها تعبير يسبق قول واحدة من الترّهات: حسن.

– أنا جئت فى الدرجة الثالثة، لكنى أعتقد أننى إذا ماحجزت فى الدرجة الثانية لكانت قد أتت لوثيانا لوداعى.

قال أوليڤيرا:

– إنه أفضل تعريف سمعته على الإطلاق.

قالت لاماجا:

– كما أن روكامادور كان هناك.

وبهذه الطريقة عرف أوليفيرا بوجود روكامادور فى مكان يسمى فى مونتفيديو – بتواضع – كارلوس فرانثيسكو. لم يبدُ على لاماجا أنها مستعدة للبوح بالكثير عن

4

جذور روكامادور اللهم إلا رفضها لحالة إجهاض، لكن هاهى قد بدأت تأسف لما فعلت - لكننى لا آ سف لذلك فى حقيقة الأمر فالمشكلة هى كيف سأحيا. فمدام إيرينى تقبض منى مبلغا كبيراً، وعلىّ أن أتلقى دروسا خصوصية فى الغناء، وكل هذا مكلف. لم تكن لاماجا تعرف جيدا السبب الذى من أجله جاءت إلى باريس. وأدرك أوليڤيرا أنه لو حدث لبْس فى اتجاه الرحلة أو شركة السياحة وتأشيرات السفر لكان قد انتهى بها المطاف فى سنغافورة أو رأس الرجاء الصالح. والأهم لديها كان يتمثل فى مغادرة مونيڤيديو، وأن تجد نفسها وجها لوجه مع ماتسميه هى بتواضع شديد «الحياة». والميزة التى كانت لها فى باريس هو معرفتها الجيدة بالفرنسية، وبذلك يمكن مشاهدة أفضل اللوحات والأفلام؛ أى الثقافة فى أشهر تعبيراتها. كان قلب أوليڤيرا يجنّ لهذا الوضع (كان روكامادور بالنسبة لماجا وسيلة للانخراط فى الطبقة البرجوازية، وهذا ليس بطيب، دون أن تعرف السبب) وكان يفكر فى واحدة من أجمل صديقاته فى بوينوس أيرس اللاتى هن غير قادرات على الذهاب بعيدا عن بحر بلاتا Mar del Plata رغم الكثير من المفاهيم الميتافيزيقية والرغبات الجارفة فى الحصول على خبرة كونية. لكن هذه الصغيرة تحمل طفلا صغيرا فى يدها قد صعدت على متن مركب ووجدت لنفسها مكانا فى الدرجة الثالثة ورحلت لتدرس الغناء فى باريس دون أن يكون فى جيبها مليم واحد. والأدهى من هذا أنها الآن تقوم بإعطائه دروسا حول طريقة التأمل والنظر، وهى دروس يثق فى صحتها، اللهم إلا وقفاتها المفاجئة فى الشارع لتسترق النظر إلى أحد الممرات؛ حيث لايوجد شئ، لكن عندما تلمح هناك شيئًا من الخضرة أو الضوء تدخل بطريقة تلقائية حتى لاتتضايق البوابة ثم تطل على المنور الكبير حيث قد تجد فى بعضها تمثالا قديما أو إحدى الأصص الكبيرة وبها نبات اللبلاب أو قد يكون المنور خاويا اللهم إلا البلاط المستدير المتهالك وبعض الطحالب الخضراء على الحوائط وعينه لساعاتى أو عجوز يجلس إلى الظل فى أحد الأركان والقطط الكثيرة التى تموء هنا وهناك السوداء منها والبيضاء وقد سيطرت على الزمن وعلى البلاطات الدافئة وقد أصبحت صديقة دائمة للاماجا التى كانت تجيد مداعبتها فى منطقة البطن، وتتحدث إليها بلغة تجمع بين البلاهة والغموض وكأنها معهم على موعد ثابت، وتسدى النصائح وتطلق التحذيرات. وفجأة كان أوليڤيرا يستغرب نفسه وهو يسير مع لاماجا، ولم يكن من

4

المجدى التعبير عن سخطه، ذلك أن أكواب البيرة كانت تقلب فوق لاماجا أو أن يقوم بإخراج رجله من تحت المائدة حتى يتعثر فيها النادل ويبدأ في صبّ لعناته. كان سعيدا رغم أنه كان مغتاظا طوال الوقت بسبب بسيط وهو أن الأشياء لاتتم كما يجب أن يكون، وكذلك تجاهل الأرقام الكبيرة للحساب. ورغم ذلك تقف مشدوهة أمام أبسط الأمور أو أن تتوقف في وسط الشارع. (بينما سيارة الرينول السوداء تفرمل على بعد مترين منها ثم يطل السائق برأسه ويلعن ويسب بنغمة فيها صعلكة) كانت تتوقف كأنها تريد أن ترى شيئا وهي في منتصف الشارع مثل منظر للبانتيون Panteón أفضل بكثير من مشاهدته عن قرب. إلى غير ذلك من أمور من هذا القبيل.

كان أوليفيرا يعرف كلا من بيريكو وروناالد. كما قدمته لاماجا إلى إيتين، وهذا بدوره قدمهما إلى جريجوروفيوس Gregorovius. أخذ «نادى دى لاسيربينتى» C. de la Sérpiente يتشكل أثناء ليالى سان جيرمان دى باريس. كان الجميع يقبلون لاماجا في الحال، وكأنه تواجد طبيعي لامناص منه رغم أنهم قد يسخطون، إذ كان عليهم أن يفسروا لها كل مايقولون أو أن تقوم هي بإلقاء ربع كيلو من البطاطس المقلية في الهواء، وذلك لأنها لاتستطيع استخدام الشوكة بطريقة جيدة، وكثيرا مايهبط الطعام المقلى على الناس الذين هم على المائدة المجاورة، ولم يكن هناك مخرج إلا طلب الصفح أو أن يقول إن لاماجا غير واعية بما تفعل. لم تكن لاماجا تتصرف جيدا في دائرة المجموعة، وقد أدرك أوليفيرا أنها تفضل أن ترى كل واحد من أفراد النادى على حدة، وأن تخرج إلى الشارع بصحبة إيتين أو بابس، وأن تضعهما في عالمها دون أن تقصد ذلك أبدا لكنها تضعهما هكذا؛ لأنهما أناس لاينتظرون شيئا آخر إلا الخروج عن المسار المرسوم للأتوبيسات وللتاريخ، وبذلك فإن كل أعضاء النادى كانوا يدينون بالشكر لماجا بشكل أو بآخر رغم أنهم قد يغرقونها بالسّباب لأقل الأسباب. كان إيتين واثقا من نفسه كأنه كلب أو صندوق كان يقف جامدا عندما توجه إليه لاماجا واحدة من عباراتها المعهودة أمام آخر لوحاته. حتى إن بيريكو روميو كان يتعطف بالقول بأن - كل - صفات - الأنثى - تجتمع - عند - لاماجا. ظلا طوال أسابيع أوشهور (كان من الصعب على أوليفيرا أن يعدّ الأيام وهو سعيد بلا مستقبل) تجولا وتجوّلا في باريس وهما يتفرجان على أشياء ويتركان نفسيهما للأحداث التي تقع ويتحابان

4

ويتعاركان، كل ذلك بغض النظر عن الأخبار التى ترد فى الصحف اليومية والواجبات الأسرية وأى صيغة أخرى من الضرائب الحكومية أو الأخلاقية.

– فلنستيقظ.

كان أوليڤيرا يتفوّه بهذه الكلمة بعض المرّات.

– لماذا؟

كانت لاماجا تجيب وهى تنظر إلى المركب المربعة الشكل وهى تمر تحت كوبرى Pont Neuf– توك، توك، هل فى رأسك عصفور. توك، توك ينقرك فى كل لحظة، إنه يريد أن تقدم له طعاما من الأرجنتين. توك، توك.

– كان يهمهم :

– حسن، لاتخلطى بينى وبين روكامادور. سوف ينتهى الأمر إلى أن نتحدث باللغة الجليجليكية[٣] "gliglico" مع عامل المخزن أو البوابة، وبذلك يحدث هرج ومرج. انظرى إلى هذا النمط الذى يسير خلف السوداء.

– إننى أعرفها، إنها تعمل فى مقهى بشارع بروڤنس Provence. إنه شغوف بالنساء ،وهذا المسكين معروف بذلك.

– هل حدث شئ من السوداء معك؟

– بالطبع، وبغض النظر عن هذا فقد أصبحت صديقتي وأهديتُ لها اصبع أحمر الشفاه الخاص بى كما أهدتنى هى كُتِّيبا لمؤلفّ اسمه Retef، لا .. انظر ... Retif[٤]

– نعم أتفهم الأمر. هل أنت متأكدة أنك لم تضاجعيها؟ لابد وأن الأمر مثير للفضول وخاصة فى حالة امرأة مثلك.

– هل ضاجعت أنت رجلا يا أوراثيو؟

– بالطبع؛ إنها التجربة.

كانت لاماجا تنظر إليه بغيظ وهى تظن أنه يسخر منها بسبب غيظه مما قالته له عن العصفور الذى يسكن رأسه توك توك، من ذلك العصفور الذى يطلب منه طعاما أرجنتينيا. وعندئذ قفزت عليه، وقد فاجأ ذلك زوجين كانا يسيران فى شارع / سان سوبليس San Suplice، وأخذت تنعكش شعره وهى تضحك. وحاول أوليڤيرا أن يمسك بذراعيها وضحك كلاهما، بينما الزوجان ينظران إليهما. كان الرجل على وشك

4

الابتسام أما الزوجة فقد هالها هذا النوع من السلوك.

اعترف أوليفيرا:

– عندك حق، لا علاج لى؛ إذ أتحدث عن الاستيقاظ بينما أنا على مايرام نائما.

كانا يتوقفان أمام فترينة لقراءة عناوين الكتب. وكانت ماجا تسأل وتسترشد بالألوان والأشكال. كان يجب تصنيف فلوبير، وأن يقول لها من هو مونتسكيو، وأن يفسّر لها كيف كان الروائى ريمون رديجيت[٥] R. Radiguet والتحدث إليها عن العصر الذى عاش فيه الروائى تيوفيل جوتيير[٦] T. Gautier كانت ماجا تنصت وهى ترسم بإصبعها على الفترينة. «هناك عصفور فى رأسك يطلب منك أن تقدم له طعاما أرجنتينيا». كان أوليفيرا يفكر بصوت مسموع «يالى من مسكين»

– كان يقول لها :

– لكن ألا تدركين أنك بهذه الطريقة لن تتعلمى شيئا ياعزيزتى؟

إنك تريدين أن تثرى نفسك ثقافيا فى الشارع وهذا غير ممكن، ولهذا عليك أن تشتركى فى مجلة Reader's Digest.

– آه، لا لهذه القذارة.

«عصفور فى الرأس» كان أوليفيرا يردد. ليس هى بل هو. لكن ما الذى يوجد فى رأسها؟ إنه هواء أو صوت قديم، إنه شئ لايجيد التلّقى. لم تكن الرأس التى يوجد بها المركز. «اغمض عينيك واضرب الهدف». كان يفكر أوليفيرا «إنه نظام زن[٧] Zen الخاص بالتنشين بالقوس. لكن كان يصيب الهدف، ذلك أنه لايعرف أن ذلك هو النظام. أما أنا فعلى العكس توك توك ،وهكذا نمعن».

عنما كانت ماجا تتساءل بشأن مسائل مثل فلسفة زن Zen (كانت أمور يمكن أن تحدث فى النادى، حيث تتحدث دوما عن تطلعاتها وعن حكم قديمة حتى يظن أنها ليست سطحية، وعن الوجه الآخر للميداليات، وعن الوجه الآخر للقمر). كان جريجوروفيوس يجتهد فى أن يشرح لها مبادئ الميتافيزيقا، بينما يرشف أوليفيرا كأس البرمود وينظر إليهما بتلذذ. لم يكن من الحكمة شرح أى شئ لاماجا. كان الروائى فاكونير[٨] Facounnier على حق فى رأيه فى أناس على شاكلتها؛ إذ كان الغموض يبدأ مع بداية الشرح. كانت لاماجا تستمع إلى الكلام عن هذه القضايا وتلك الأمور وتفتح

4

عينيها الجميلتين اللتين تقطعان حبل الميتافيزيقا على جريجوروفيوس. وفى النهاية تقنع نفسها بأنها فهمت الـ زن Zen وتتنهد بعمق. كان أوليفيرا وحده يرى ماجا وهى تنظر بين الفينة والأخرى إلى تلك الشرخات الكبرى التى كانوا جميعا يبحثون عنها بطريقة جدلية.

كان ينصحها:

– لاتتعلمى بيانات بلهاء – لماذا تشترين نظّارة رغم أنك لست فى حاجة إليها؟

كانت لاماجا تثق وتعجب كثيرا بكل من أوليفيرا وإيتين، فهما قادران على النقاش طوال ساعات ثلاث دون توقف. كان يوجد مايشبه دائرة من الطباشير حول إيتين وأوليفيرا. وكانت هى تريد دخول تلك الدائرة وتدرك السبب فى أن مبدأ اللاتحديد كان مهمًا جدا فى الأدب، ولما كان موريلّى، الذى كانا يتحدثان عنه كثيرا وشديدى الإعجاب به، يريد أن يحوّل كتابه إلى كرة زجاجية، حيث يجتمع الكونان الصغير والكبير فى رؤية فيها التلاشى.

كان إيتين يقول :

– من المستحيل أن أشرح لك هذا، إن ذلك هو الميكانو Meccano رقم 7 ، وأنت لاتزالين عند الرقم 2.

تشعر لاماجا بالحزن، وكانت تأتى بورقة صغيرة من أوراق الشجرة وتضعها على حافة الطريق، وتجلس لتتحدث إليها بعض الوقت وكانت تأخذها فى كف يدها وتجعلها تنام على ظهرها أو على بطنها، وتقوم بتسريح شعرها، وينتهى بها الأمر إلى أن تنتزع منها الحشو وتتركها كهيكل فتصبح شبحا أخضر اللون وقد أخذت ترسم على جلدها. كان إيتين ينتزعها منها فى حركة بها فظاظة وينظر إلى الضوء من ورائها. كانوا يعجبون بهذه الأشياء على هذه الشاكلة، وقد اعتراهم بعض الخجل لفظاظتهم معها، وكانت لاماجا تنتهز الفرصة لتطلب نصف لتر آخر من الشراب وبعض البطاطس المقلية إذا ما كان ذلك ممكنا.

(– 71)

5

كانت أول مرة فى فندق بشارع/ ڤاليت Valette. كانا يسيران هائمين ويتوقفان بين الحين والآخر أمام مداخل المنازل. والمطر على شكل رذاذ يثير الضيق خصوصا بعد تناول الطعام لابد من عمل شئ للحيلولة دون الوقوف تحت هذا التراب المتجمد، ولنزع هذه المعاطف التى تفوح منها رائحة الكاوتش. وفجأة التصقت لاماجا بأوليڤيرا وتبادلا النظرات كأنهما اثنين من البلهاء، فندق، كانت العجوز واقفة خلف المكتب الملئ بالصدأ، بادلتهما التحية المتفهمة، وأى شئ يمكن للمرء أن يفعله فى ظل هذا الطقس الردئ؟ العجوز عرجاء، كانت تجر إحدى رجليها. يتألم المرء كثيرا عندما يشاهدها وهى تصعد السلم درجة درجة وتتوقف فى كل واحدة لتجرّ الرجل المصابة، واستمرّت على هذا المنوال حتى الدور الرابع. كانت تفوح رائحة شئ طرّى، ربما كان شوربة. فعلى السجادة الموجودة فى الممشى هناك بقعة زرقاء اللون كأنها جناحان. كان للحجرة نافذتان عليهما ستارة حمراء تم رفؤها ومليئة بالرقع. كان هناك ضوء مبلل يتسلل كأنه ملاك إلى السرير ذى المفرش الأصفر.

حاولت لاماجا بطريقة بريئة أن تكون أديبة فوقفت إلى جوار النافذه وهى تتصنع النظر إلى الشارع، بينما أوليڤيرا يتأكد من ترباس الباب. لابد وأن يكون هناك تعليمات لاستخدام هذه الأشياء، وربما كان هذا هو مايحدث له بصفة دائمة. وأول شئ كان يفعله هو وضع حافظة النقود على الترابيزة والبحث عن السجائر والنظر إلى الشارع وتدخين سيجارة بعمق ثم التعليق على ورق الحائط والانتظار، والانتظار والقيام بكل مايجعل الرجل مهيأ، وأن تكون الفرصة والوقت مهيأين أمامه للمبادرة. وفى لحظة معينة أخذا يضحكان فقد كانا على قدر كبير من السذاجة ألقيا بغطاء السرير الأصفر فى أحد الأركان فأصبح كأنه دمية غير مركبة جيدا ومسنودة للحائط.

تعودا إجراء مقارنة بين مفارش الأسرة والأبواب واللمبات والستائر. كانت حجرات الفنادق من الدرجة الخامسة أفضل من فنادق الدرجة السادسة بالنسبة لهما. لكن لم يكن لهما أى حظ فى فنادق الدرجة السابعة، فقد كان يحدث آى شئ مثل وقع ضربات فى الحجرة المجاورة أو أن مواسير التدفئة كان يصدر عنها صوت رهيب. كان أوليڤيرا قد روى لـ لاماجا حكاية تروب مان[1] Troppmann فكانت تنصت إليه وهى ملتصقة به. كان عليه أن يقرأ قصة تورجانيف Turguéniev. وكان كل شئ عليه قراءته طوال هذين العامين عجيبا (لايعترف لماذا كانا اثنين). وفى يوم آخر يحكى قصة بيتيوت Petiot

5

ومرة أخرى يعود إلى فايدمان Waidmann ومرة أخرى كريست Christe. كان الفندق يفتح شهيتهما دائما للحديث عن الجرائم. إلا أن لاماجا أحيانا ما تغزوها موجة جدٍ فتسأل، وهى تنظر إلى السماء الصافية، عن المدرسة السينية فى الرسم Sienes وفيما إذا كانت ضخمة كما يؤكد ذلك إيتين، وإلا فإن الأمر يتطلب الاقتصاد حتى يتم شراء جهاز إسطوانات، وعن أعمال هوجووولف التى أحيانا ماتترَنح بها ثم تتوقف فى منتصف الطريق وقد نسيت البقية واعتراها الغيظ مما حدث. كان يطيب لأوليڤيرا ممارسة الحب مع لاماجا، فلا شئ أكثر أهمية عندها من ذلك، كما أنها تمارسه بطريقة يصعب فهمها، كانت وكأن المتعة تسيطر عليها، كانت تجد نفسها فيها للحظة، ولهذا كانت تتمسك بهذه اللحظة وتطيلها. إنها مثل لحظة الاستيقاظ ومعرفة الاسم الحقيقى. وبعد ذلك يعتريها خمول فتسقط فى منطقة كأنها الغروب وهذا ماكان يسعد أوليڤيرا الذى يخشى الكمال دوما. إلا أن لاماجا كان تعانى بالفعل عندما تسترجع ذكرياتها وكل ماكان عليها أن تفكر فيه ولاتستطيع. فى هذه اللحظة كان من الضرورى تقبيلها قبلة حارة، وتشجيعها على ممارسات أخرى، وأحيانا تنمو وهى تحته فتمسك به بشدة وتتحول كأنها حيوان مسعور وقد تحجرت نظراتها والتوت يديها نحو جسمها، وأصبحت غامضة وعجيبة كأنها تمثال يطوف بأحد الجبال ويحاول أن ينتزع الزمن بأظافره وسط الزغطة وشخير شكّاء يمتد إلى مالا نهاية. وذات ليلة ضربت فى جسده بأسنانها وعضته فى كتفه حتى سالت منها الدماء، لأنه كان يسير جانباً وقد اعتراه بعض الشرود. ثم كان هناك اتفاق غامض دون كلمات منطوقة. شعر أوليڤيرا وكأن لاماجا تنتظر موته وهو شئ لم يمثل فيها «أناها» المستيقظة أو طريقة غامضة تنادى بالإفناء، أى ضربة السكينة المرفوعة التى تهبط ببطء فتقضى على نجوم الليل وتعيد المكان إلى الأسئلة والرعب. لكنه هذه المرة خرج عن طوره وكأنه مصارع أسطورى، تعنى المصارعة بالنسبة إليه إعادة الثور إلى البحر والبحر إلى السماء، فجعل لاماجا تقضى ليلة مليئة بالفكر لدرجة أنهما لم يتحدثا بعد ذلك عن هذه الليلة إلا قليلا وجعلها باسيفاى Pasifae.[٢] قام بتطبيقها واستخدمها كأنه يافع وعرفها وطالبها بأن تتصرف كما ينبغى مثل باقى الساقطات. قام بتبجيلها وأخذها بين ذراعيه ورائحة الدم تفوح منها وجعلها ترتشف المنىّ الذى يسيل من الفم وكأنه نوع من تحدّى لوجوس Logos قام بمصّ تجاعيد بطنها والأرداف ورفعها لتكون فى مواجهته وليدهنها من نفسها

5

فى هذه العملية الأخيرة للتعارف التى يمكن للرجل وحده أن يؤديها للمرأة. أثار غيظها فى جلدها وشعرها واللعّاب والشكوى، وأفرغ كل مافيها حتى آخر نقطة من عافيتها وألقى بها على مخدة وملاءة وشعر بها وهى تبكى من السعاده وهى مستندة إلى وجهه، وأن سيجارة جديدة كانت قد أعادتها إلى الليلة فى تلك الحجرة وذلك الفندق.

شعر أوليڤيرا بالقلق بعد ذلك من أن تظن أنها مترعة، وأن الألعاب قد تتحول إلى تضحيات. كان يخشى فى الأساس الشكل الناعم للرقة التى تتحوّل إلى حب كأنه حبّ الكلاّب. لم يكن يريد أن تتحول الحرية، وهى اللباس الوحيد الذى تليق فيه لاماجا إلى أنوثة طيّعة وحريصة. شعر بالهدوء، ذلك أن عودة لاماجا إلي القهوة السوداء والاغتسال فى البيديه رافقها نوع من السقوط فى أسوأ أنواع الإبهام. لقد عوملت أسوأ معاملة فى تلك الليلة وقد انفتحت على مسّام مكان ينبض ويتمدّد، وكان وقع أول الكلمات على هذا الجانب بمثابة ضربات سوط ثم كانت عودتها إلى حافة السرير كأنها هلَع متزايد يبحث عن مباعدة نفسه من خلال الابتسامات والآمال الغامضة. كل هذا جعل أوليڤيرا يشعر بالرضا. ولما لم يكن يحبها، كما أن الرغبة سوف تنحسر (فهو لم يكن يحبها وسوف تنحسر الرغبة) ويحاول أن يباعد نفسه عن أى نوع من التضحية وكأنه يتقى شر الوباء. وطوال أيام، وطوال أسابيع، وطوال عدة شهور مارسا الحب فى كل حجرة فى فندق وفى كل ميدان وعلى كل الأوضاع وكل طلعة نهار فى إحدى مقاهى الأسواق السيرك العنيف، والعملية الخفيفة، والتوازن البصير. وبهذه الطريقة عرف أن لاماجا كانت تأمل أن يقوم أوراثيو بقتلها، وأن يكون القتل فريداً من نوعه، أو أن يؤدى إلى الدخول فى مصاف الفلاسفة، أى أن يكون حديث الأعضاء فى «نادى لاسيربينتى» La Serpiente : كانت تريد أن تتعلم وأن تبنى نفسها. وكان أوراثيو يحظى بالإطراء، وأنها تناديه ليقوم بمهام مقدم قرابين التطهير، ولمّا لم يكن هناك بد من التقائهما، ففى الحوار يتضح أنهما مختلفان، وكل واحد منهما يسير فى طريق مضاد، (وهذا ماكانت تعرفه هى وتدركه جيدا)، لهذا فإن الطريقة الوحيدة للقاء هو أن يقتلها فى الحب؛ حيث تتمكن من لقائه فى سماء غرف الفنادق وتحدث المواجهة بينهما وهما متكافئان ولايغطى جسدهما شئ، هناك فقط يمكن بعث المستحيل بعد أن يكون هو قد خنقها بعذوبة، وأن يترك خيط لعابه يسقط فى الفم المفتوح وهو ينظر إليها جامدا، وكأنه يعود للتعرف عليها من جديد، وتكون هى ملكة فى الحقيقة، ويأخذها إلى جواره.

(- 81)

6

كانت الطريقة هى التواعد، بشكل غير واضح، على اللقاء فى أحد الأحياء فى ساعة معينة. يروق لهما تحدّى خطر اللّالقَاء وقضاء اليوم كُلّ وحده يجتر غيظه وهو جالس فى أحد المقاهى أو على أحد المقاعد فى ميدان من الميادين أو قراءة - كتاب - آخر. وأوليڤيرا هو صاحب نظرية كتاب - آخر، وقبلتها على سبيل التراضى؛ فالأمر بالنسبة لها يعنى أن كل الكتب تعنى كتاب - نقص، وكانت تودّ لو أنها شديدة التعطش طوال زمن لانهائى (يقدرّ طوله بحوالى ثلاث أو خمس سنوات) لقراءة جوته وهوميروس وديلان توماس Dylan Thomas وماورياك[1] Mauriac وفالكنر Faulkner وبودلير وروبرتو أرلت R. Arelt والقديس أوغسطين إلى غير ذلك من الأسماء التى يتردد ذكرها أثناء الحوارات التى تدور فى النادى. كان أوليڤيرا يرد على ذلك بهز كتفيه باحتقار ويتحدث عن التشوهات التى أحدثها نهر البلاتا فى سلالة من القراء جاءت فى الوقت الضائع ومكتبات تغص بمدعيات العلم غير مؤمنات بالشمس والحب وقد جئن من بيوت طغت فيها رائحة حبر المطبعة على جمال رائحة الثوّم. كان فى تلك الآونة يقرأ القليل؛ إذ كان مشغولا آنذاك بمشاهدة الأشجار والخيوط الرقيقة التى كان يجدها ملقاة على الأرض، وكذلك الأفلام القديمة فى مكتبة السينما ومطاردة النساء فى الحى اللاتينى. وأدى عدم وضوح اتجاهاته الثقافية إلى دخوله فى تأملات لا طائل من ورائها، وعندما كانت لاماجا تطلب منه العون، أى تحديد تاريخ معين أو شرح أمر ما كان يزودها بها دون اهتمام وكأنها أمور غير مفيدة «الأمر أنك تعلم ذلك» كانت تقول بشئ من النقمة. وبالتالى كان يحاول أن يشرح لها الفرق بين العلم بالشئ ومعرفته ويقوم بتدريبها على ذلك، لكن لاماجا لم تكن ملتزمة بالتمارين التى تصيبها بخيبة الأمل.

وإذا ماكانت هناك منطقة لم يزوراها قبل ذلك يتواعدان هناك، وغالبا مايلتقيان. كانت اللقاءات أحيانا لاتصدق لدرجة أن أوليڤيرا كان يطرح من جديد مشكلة الاحتمالات، ويتناولها من كل جانب بشكل فيه ريبة. ألا يحتمل أن لاماجا قررت أن تدخل فى هذا الاتجاه عند ناصية شارع/ ڤوجيراد Vaugirard فى اللحظة التى قرر هو فيها عدم مواصلة السير فى شارع بوسى[2] Buci قبل الناصية التى دخلت فيها بخمس نواصٍ أخرى، وأخذ وجهته إلى شارع/ موسيولوبريس Monsieur le Prince دون أدنى سبب، وقد ترك العنان لنفسه ليجدها فجأة أمامه واقفة تتأمل إحدى الفترينات وقد

6

استغرقت فى تأمل قرد محنّط. وعندما يجلسان فى أحد المقاهى يقوم كل واحد منهما بالحديث تفصيليا عن مساره والتغيرات المفاجئة التى حدثت ويحاول أن يشرحها وكأنها نوع من تراسل الأفكار، ثم الفشل فى ذلك، ومع هذا التقيا وسط هذه الغابة المتشابكة من الشوارع، وغالبا ماكانا يلتقيان ويضحكان كأنهما مجنونان، أو كأنهما واثقين من قوة تزيدهما ثراء. كان أوليڤيرا شغوفًا بالسلوكيات اللاعقلانية التى عليها لاماجا بما فى ذلك احتقارها الرزين للعمليات الحسابية البسيطة. وماكان بالنسبة له عملية تحليل الاحتمالات القائمة واختيار أحدها أو الوثوق ببساطة فى التنبؤات، كان يبدو لها شؤما. «وإذا لم تجدنى؟» كانت تسأله. «لست أدرى لكن هاأنت هنا..». كانت الإجابة تجعل السؤال المطروح فى غير محله، وكانت تظهر ابتذال أسسه المنطقية. وبعد ذلك كان أوليڤيرا يشعر بأنه أكثر قدرة على الصراع ضد ماهو مدون فى الكتب. وعلى النقيض من ذلك كانت لاماجا تنزلق بفضل هذا الاحتقار إلى معلوماتها المدرسية. هكذا كانا وكأنهما الثنائى بونش آند جودى[٣] Punch and Judy متنافران ومتجاذبان، وكأن الأمر أنه عندما لايكون هناك حب فإنه يتحول إلى صورة ملونة أو إلى نبات حمّيض دون أية كلمات. لكن الحب، هذه الكلمة ....[٤]

(– 7)

7

ألمس فمك بإصبع واحد، ألمس حافة فمك، وسوف أرسمها كما تخرج من بين يدى، وكأن فمك يفتح قليلا لأول مرة، ويكفينى أن أغمض عينى لأمحو كل شئ ثم أبدأ من جديد، وهكذا فى كل مرة يولد الفم الذى أعشقه، أى الفم الذى تختاره يدى وترسمك فى الوجه، إنه فم تم اختياره من بين كل الأفواه وبحرية كاملة اخترته لأرسمه بيدّى فى وجهك وعلى سبيل الصدفة التى لا أود تفسيرا لها يتطابق مع فمك الذى يبتسم تحت يدى التى ترسمه لك.

تنظرين إلىّ، وبالقرب تنظرين إلىّ، وتقتربين رويدا رويدا، وعندئذ نلعب لعبة السيكلوب[1] وينظر كل منا للآخر كلما اقترب منه ثم تتضخم العيون وتقترب من بعضها البعض، وتنضم كل عين إلى الأخرى، وينظر السيكلوبان كل للآخر وقد اختلطت أنفاسهما ثم تتلاقى الأفواه بطريقة دافئة وتغض كل فم الشفتين ولايكاد اللسان يستند إلى الأسنان بل يظل كل لسان يتحرك فى مكانه: حيث يدخل ويخرج هواء ثقيل له رائحة قديمة وصمت. عندئذ تقوم يدّى بإغراق نفسها فى شعرك ومداعبة أعماق شعرك ببطء ونحن نتبادل القبلات، وكأن الفم قد امتلأ بالأزهار أو الأسماك أو الحركات المليئة بالحيوية والرائحة الغامضة، وإذا ماعضضنا بعضنا فإن الألم لذيذ، وإذا ماغرقنا فى تلاشٍ مؤقت وعميق، وأن يمتص كل واحد منا نفس الآخر فإن هذا الموت الفورى جميل. فهناك لعاب واحد وطعم واحد، لفاكهة ناضجة، أما أنا فأشعر وأنت ترتعشين إلى جوارى، كأنك على صفحة الماء.

(– 8)

8

كنا نذهب فى المساء لنشاهد الأسماء على رصيف ميناء Quai de la Megisserie خلال شهر مارس، شهر تقلبات الطقس، نذهب إلى المخبأ الذى يدخله ضوء الشمس الأصفر الذى يميل إلى الاحمرار قليلا فى كل يوم يمرّ، كنا نسير على الرصيف المطل على النهر ونحن غير عابئين ببائعى الكتب القديمة، فلن يعطونا شيئا مقابل، وكنا نتحين اللحظة التى نرى فيها الأحواض الزجاجية للأسماك (كنا نسير ببطء مؤخرين لحظة اللقاء)، فنرى جميع الأحواض وهى معرضة للشمس، وكأن مئات من الأسماك معلقة فى الهواء بألوانها الوردية والسوداء. العصافير الساكنة فى هوائها المستدير. كانت السعادة الغامرة غير المفهومة تحيط بخصرينا، وكنت تغنين وتجذبيننى لعبور الشارع والدخول إلى عالم الأسماك المعلقة فى الهواء.

يرفعون أحواض الأسماك، وكذلك الحواجز الكبيرة إلى الشارع حتى يراها السياح والأطفال الشغوفون بها والسيدات الهاويات جمع مثل هذه المخلوقات الغريبة (550 فرنك للسمكة) وكانت الأحواض تحت الشمس وملحقاتها من الجرادل وخراطيم المياه التى تخلطها الشمس بالهواء. بينما العصافير الوردية والسوداء تدور وهى ترقص فرحة فى مساحة صغيره من الهواء. إنها عصافير بطيئة وباردة. كنا نشاهدها ونحن نقترب بعيوننا من الزجاج لدرجة التصاق الأنف به، فتغضب لذلك البائعات الطاعنات فى السن وهن يحملن شباك صيد الفراشات المائية. وكان فهمنا يزداد سوءا كل يوم عن ماهية السمك. لكننا كنا نواصل سيرنا فى هذا الطريق ونقترب من السمك الذى لايفهم كنا ننتقل من حوض إلى آخر، وكنا شديدى القرب منها كأنها صديقتنا البائعة فى المحل الثانى، والتى قالت لك وهى قادمة من بونت نوف Pont Neuf «الماء البارد يقتل السمك، إن من المحزن أن المياه الباردة...» وكنت أنا أفكر فى خادمة الفندق التى كانت تسدى لى النصائح بشأن نبات السّرْخَس» لاتروه، وضع طبقا من المياه فقط تحت الأصيص، وعندما يريد أن يشرب يفعل، وعندما يرفض لايشرب ...» وكنا نفكر أيضا فى ذلك الشئ العجيب الذى قرأناه وهو أن وجود سمكة واحدة فى الحوض يجعلها تصاب بالحزن، وعندئذ يكفى أن توضع أمامها مرآة فتسعد السمكة..

ندخل المحلات حيث المزيد من الأنواع الأكثر حساسية، وحيث العديد من الأحواض الخاصة التى بها ترمومتر وبعض الديدان الحمراء. كنا نكتشف، ونحن نستغرب ذلك، أن البائعات يغضبهن بعض التصرفات والحب وشكل السير، وكن متأكدات أننا لن

8

نشترى منهن شيئا بسعر 550 فرنك للقطعة. كان الزمن اللذيذ وكأنه قطعة شيكولاته ناعمة المذاق أو مربى برتقال من مارتينيكا التى كنا شديدى الإعجاب بها ونتحدث عنها بالكثير من التشبيهات حتى نستطيع أن نصل إلى ماهيتها. هذه السمكة كأنها مرسومة بيد جيوتو Giotto ألا تذكرين؟. أما هاتان الأخريان فتلعبان كأنهما كلبان يلهثان. أو أن سمكة ما تعتبر ظل سحابة بنفسجية .... كنا نكتشف كيف أن الحياة تستكين فى أشكال ليس لها البعد الثالث وأنها تختفى. إذا مابقيت على خط مستقيم أو تركت ولو شرطة وردية دون حركة رأسية فى الماء. تكفى ضربة واحدة بالزعانف حتى تعود الحياة هناك من جديد بالعينين والزعانف التى تشبه الشارب والبطن البارز أحيانا، ويطفو هناك شريط شفاف من البراز الذى لم ينفصل عن جسم السمكة. وتكفى حصوة صغيرة تقذف فجأة حتى يأتى السمك بالقرب منا، وتجعله يتخذ أبهى وأنقى صورة، وتلزمه، وهذه الكلمة الأخيرة هى واحدة من الكلمات الكبيرة التى كنا نستخدمها فى ناحية ما فى تلك الأيام.

(– 93)

9

دخلا إلى شارع/ ڤانو Vaneau عبر شارع ڤارين Varennes. كان المطر يتساقط على شكل رذاذ، وازداد إمساك لاماجا بذراع أوليڤيرا وازداد التصاقها بمعطفه الواقى من المطر الذى كانت تفوح منه رائحة الشوربة الباردة. بينما إيتين وبيريكو يتناقشان فى تفسير العالم من خلال الرسم والكلمة. كان أوليڤيرا يشعر بالملل فطوّق خصر ماجا بذراعه. يمكن أن يكون هذا بمثابة تفسير، وهو ذراع يضم خصرا ناحلا ودافئا. كان يشعر بإيقاع حركة العضلات وهو يمشى وكأنه لغة ملحة تثير الملل، أو كأنه منهاج برليتس[١] Berlitz الذى يطبق بالحاح أد – بّ – ك، أد – بّ – ك. إنه ليس تفسيرا : إنه فعل محض ى– ح – ب–، ى– ح – ب –، وبعد ذلك تأتى دوما أداة الربط. فكر أوليڤيرا بطريقة نحوية، آه لو تتمكن ماجا أن تدرك كيف أن الاستجابة للرغبة تثيرها، ويالها من طاعة وحيدة غير مجدية كما قال أحد الشعراء، وهى بخصرها الدافئ، وهذا الشعر المبلل الذى ينسدل على خدها، والجو العام للوحات تولوز لوتريك[٢] Toulouse Lautrec الذى تبدو عليه لاماجا وهى تسير ملتصقة به. كانت أداة الربط أوالضمير النحوى هو البداية "Te quiero" فالتعّدى أولا ثم التفسير بعد ذلك وليس العكس. إنه نوع من اكتشاف الطريقة المضادة للتفسير، وأن عبارة أحـ – ب – ك، أحـ – ب – ك يمكن أن تكون صرّة العجلة والزمن؟ كل شئ يعود ليبدأ. ليس هناك مطلق، وبعد ذلك يجب تناول الطعام أو اللاتناول، فكل شئ تحدث له أزمة. فالرغبة كل عدة ساعات ليست شديدة الاختلاف وهى شئ مختلف فى كل مرة : إنها خدعة الزمن لخلق الأوهام «الحب مثل النار يظل مشتعلا دائما وهو يتأمل الكلّ، لكنه سرعان مايسقط فى لغة تختلف عن المألوف».

– يهمهم إيتين :

– تفسير، تفسير، إذا لم تُسَمّوا الأشياء فإنكم لاترونها. وأن هذا يسمى كلب، وذلك يسمى منزل، كما كان يقول ذلك بطل قصة دوينو Duino. يا بيريكو يجب التّبيان وليس الشرح: أرسم إذن أنا موجود.

– قال بيريكو روميرو :

– تبيان ماذا؟

– تبيان الأسباب التى بها نعيش.

– قال بيريكو:

– هذا الحيوان يظن أن ليس هناك حواسّ أخرى غير البصر ومايتأتى عنه.

قال إيتين:

9

– إن الرسم هو أكثر من مجرد منتج مرئى، إننى أرسم بكل مافىّ، وفى هذا المقام لا أختلف عن ثيربانتس أو تيرسو ... إلخ. ومايجعلنى أستشيط غضباً هوالهوس بالتفسيرات. والـ Logos يفهم فقط على أنه فعل.

– قال أوليڤيرا وهو عكر المزاج :

– إلى آخره، إننا نتحدث عن الحواسّ، أما ماتتحدثون عنه فيبدو لى أنه حوار الصمّ.

ازداد التصاق لاماجا بأوليڤيرا «والآن ستنطق هذه بواحدة من تفاهاتها» فكرّ هو، «إنها بحاجة للاحتكاك أولا واتخاذ قرار لارجعة فيه»، شعر بنوع من الحنان الناقم. إنه شئ فيه تناقض كبير كأنه الحقيقة نفسها» لابد من اختراع الكلمة اللذيذة ولسعة النحلة. لكن ماهية الماهيات فى هذا العالم لم تكتشف بعد. إن بيريكو على حق. فالسبب الأعظم gran Logos قائم. يالأسف، ماينقص هو نداء الأنثى للذكر طلبا للتلقيح على سبيل المثال، والضوء الأسود الحقيقى، ومضاد المادة الذى يجعل جريجوريفيوس يفكر كثيرا.

– سأل أوليڤيرا :

– آه، هل سيأتى جريجوروفيوس للاستماع للأسطوانات؟ كان بيريكو يجيب بنعم أما إيتين فيعتقد أنه بالنسبة لموندريان(٢) Mondrian.

– قال إيتين :

– تأمل قليلا فى موندريان، تختفى الإشارات السحريّة لـ كلى Klee. وكان هذا الأخير يراهن على الصدفة وعلى فوائد الثقافة. فالحساسية المحضة يمكن أن تشفى غليلها مع موندريان. أما بالنسبة لـ كلى فهناك الحاجة إلى مزيج من أشياء أخرى. إنه مصفىّ للأصفياء. إنه صينى فى الحقيقة. أما موندريان فهو يرسم المطلق. تقف أمام لوحاته عريانا تماما، وبعد ذلك تكون النتيجة أحد أمرين : أنك ترى أو لاترى. إن المتعة والزغزغة والتنويهات والرعب أو اللذة تزيد عن حد الكمال.

– سألت ماجا :

– هل تفهم مايقول؟ أرى أنه غير محق بالنسبة لـKlee.

– قال أوليڤيرا وهو يشعر بالملل :

– العدل والظلم ليس لهما علاقة بهذا، فما يريد أن يقوله هو شئ آخر. فعليك ألا تجعلى الأمر مسألة شخصية.

– لكن لماذا يقول بان كل هذه الأشياء الجميلة لاتخدم بالنسبة لموندريان.

– إنه يريد أن يقول بأن أعمال كلى Klee تحتم أن يكون المرء حاصلا على دبلوم فى الفنون أو فى الآداب على الأقل ،بينما موندريان يطالب بالتخصص فيه وانتهى الأمر.

9

قال إيتين:

– ليس الأمر كذلك.

– قال أوليڤيرا :

– إنه كذلك بالفعل، طبقا لما قلته فإن لوحة من لوحات موندريان تكفي في حد ذاتها. فالأنا يتطلب منك براعتك قبل خبرتك. إنني هنا أتحدث عن البراعة الفِرْدَوسيّة وليس عن البلاهة. تأمل جيدا في التشبيه الذى ذكرته وهو الوقوف عريانا أمام اللوحة. إنه تشبيه يذكّر بما قبل آدم. وعلى النقيض من ذلك فإن كلى Klee هو أكثر تواضعا؛ لأنه يطالب بالمشاركة المتعددة الجوانب من قبل المشاهد ولايكتفى بنفسه. إن كلِي فى الواقع هو تاريخ، أما موندريان فيخرج عن نطاق التاريخ، وأنت تتمنى الوصول إلى المطلق. هل أشرح لك؟

– قال إيتين :

– لا: يا للفظاعة. كيف تمطر !

– قال بيريكو :

– ها أنت تتحدث الفرنسية ،وكذلك رونالد الملعون، الذى يعيش للشيطان.

– قال أوليڤيرا :

– فلنسرع، وماعلينا إلا أن نقاوم المطر بأجسادنا.

– ها أنت تبدأ. إننى أفضل مطرك ودجاجتك، وكيف يسقط المطر فى بوينوس أيرس. هناك رجل يدعى بدرو ميندوثا(٤) P. Mendoza يتأمل فى أمر الذهاب لاستعماركم – المطلق.

قالت ماجا وهى تضرب برجلها حصوة صغيرة فى تنقلها من نقرة مياه إلى أخرى ماهو المطلق يا أوراثيو ؟

قال أوليڤيرا:

انظرى، هى تلك اللحظة التى يصل فيها شئ ما إلى أقصى عمقه.

وإلى أقصى مدى يصل إليه وإلى أقصى معنى له، وبعد ذلك يفقد أهميته بالكامل.

– قال بيركو :

– هاهو وونج Wong قادم ،الصينى قادم فى حالة يرثى لها كأنه شوربة طحالب.

رأوا فى الوقت ذاته جريجوروفيوس الذى ظهر عند ناصية شارع بابيلون Babylone وهو يحمل – على عادته – حافظة أوراق مليئة بالكتب. توقف كل من وونج وجريجورفيوس تحت أحد أعمدة الكهرباء (بدا أنهما يستحمان سويا) وأخذا يتبادلان التحية فى جوّيه شئ من الرسميات. وفى مدخل بيت رونالد سمع صوت إغلاق المظلة الواقية من المطر وأن فردا ما يحاول إشعال عود ثقاب؛ لأن لمبة السلم كانت مكسورة. يالها من ليلة، وسمع

9

صعود غامض ثم وقفة عند أول صينية للسلم، ذلك أنه كان هناك اثنان يتبادلان القبلات وهما جالسان على إحدى درجات السلم ومستغرقين فى تبادل القبلات.

– قال إيتين:

– هيا، هذا ليس أوان البلاهة.

– اصمت – أجاب صوت مكتوم اصعدوا، اصعدوا، أنتم لستم بشرا. اصمتى ياعزيزتى.

– قال إيتين :

– يالك من تافه، إنه جى مونوند، وهو صديق عزيز علىّ.

كان روناالد وبابس ينتظرونهما فى الدور الخامس وكل واحد منهما يحمل شمعة وتفوح منهما– رائحة الفودكا من النوع الرخيص. صدرت إيماءة عن وونج فتوقف الجميع على السلم وصدر عنه فجأة النشيد الخاص «بنادى الثعبان» C. de la Serpiente، ثم دخلوا إلى الشقة مهرولين قبل أن يخرج الجيران ليستطلعوا الأمر.

استند روناالد إلى الباب، كان يرتدى قميص كاورهات وكأنه أحد الهنود الحُمْر.

– إن المنزل محاط بالمناظير. حلت اللعنات، وفى العاشرة مساءً سوف يعيش هنا إله الصمت والويل كل الويل لمن يدنس هذه المقدسات. بالأمس أتى أحد سكان الأدوار السفلية لتأنيبنا. يابابس، ماالذى يقوله ذلك السيد الهمام؟

– يقول لنا :«شكاوى متكررة».

– قال روناالد وهو يقوم بموارية الباب حتى يدخل جوى مونود Guy Monod:

– وما الذى نفعله نحن ؟

– قالت بابس وهى تخرج ضرطة عنيفة بفمها، وتلوح بذراعها إشارة جنسية:

– نحن نفعل ذلك .

سأل روناالد:

– وفتاتُكَ؟

– قال جوى :

– لست أدرى، لقد ضلت الطريق، أعتقد أنها ذهبت، وربما عندما كنا على السلّم، وفعلت ذلك فجأة. فأنا لم أجدها فى الأدوار الأعلى. هذا لا أهمية له. إنها سويسرية.

(– 104)

10

السحب الرقيقة والمتناثرة ذات اللون الأحمر تكسو سماء الحى اللاتينى ليلاً، والهواء الرطب الذى لازالت تعلق به بعض قطرات المطر التى يقذف بها الهواء، غير المنتظم السرعة، إلى النافذة التى يصدر من ورائها ضوء واهن، والزجاج المكسور الذى أُصلح أحد أجزائه باستخدام شريط لاصق ذى لون وردى. هناك حمائم من رصاص منكمشة، فوق المواسير المصنوعة من الرصاص، وقد اختبأت جيدا تحت مزاريب المياة. أما الحافة المتوازية السطوح التى تحميها النافذة فهى مليئة بالطحالب وتفوح منها رائحة الفودكا والشمع والملابس المبتلة وبقايا طبيخ، وماذلك إلا الورشة الغامضة لبابس التى تقوم بصنع السيراميك، وكذلك الموسيقى لرونالد. إنها كلها مقر النادى الملئ بالكراسى المصنوعة من البامبو وسيزلونجات زالت عنها أصباغها وأجزاء من أقلام رصاص وسلك ملقى على الأرض وطائر أمّ الصخر المحنّط وقد أصاب العفن نصف الرأس. وموضوع عام أسُيئ طرحه وجهاز إسطوانات قديم زين داخله على شكله بومه ولكن بطريقة فجة وخليط من القرقرة والاحتكاك والصرير الذى لايتوقف. هناك ساكسافون مزعج عزف فى ليلة من الليالى يوم **28** أو **29**، وكأن الصوت يعبر عن الخوف من الضياع، تصاحبه آلة من آلات ضبط الإيقاع وكأننا فى مدرسة للفتيات، وبيانو كيفما اتفق. لكن كان الجيتار يدخل بعد ذلك وكأنه يعلن دخول آلة آخرى، وفجأة (كان رونالد قد توقع ذلك بأن رفع إصبعه) يشذ عن الإيقاع نفير ويقضى بذلك على أول نوتتين موسيقيتين من الموضوع وقد تعلّق بهما وكأنه معلّق على الترامبولين. قام بيكس Bix بالقفزة فى منتصف المقطوعة. هذه الصورة الواضحة رسمت على صفحة الصمت فى قمة الإقلاع. هناك اثنان من الموتى يتصارعان وقد تكوّر كل منهما واستحال التفاهم بينهما، هما بيكس[١] Bix وإيدى لانج[٢] Eddie Lang (الذى كان إسمه سلفادورى ماساو Salvatore Massaro) وكانا يلعبان الكرة «ها أنا قادم يافيرجينيا». أين دفن بيكس؟ فكرّ أوليفيرا وأين دفن إيدى لانج؟ وكم من اميال العدم تفصل بينهما بعد أن كان الجيتار يصارع النفير فى ليالى باريس «المستقبلية»، وشراب الچن ضد الحظ العاثر، الچاز؟

– الحال جيد هنا، فالجو حار والمكان مظلم.

– يابيكس. يالك من مجنون عظيم. ضع Jazz me blues أيها ال...

– إنه تأثير التقنية على الفن

10

– قال رونالد وهو يضع يده على مجموعة من الأسطوانات، ويحاول أن يرى ماهو مكتوب على التكيت.

– هؤلاء الناس السابقين على الأسطوانة الكبيرة لايستغرقون أكثر من ثلاث دقائق وهم يعزفون. أما الآن فإنك تجد طائرا أخرق هو ستان جيتس[٣] Stan Getz الذى يقف أمام الميكروفون لمدة خمس وعشرين دقيقة. ويمكن له أن يعزف بمزاجية عالية ويعطى أحسن ماعنده. أما المسكين بيكس فلم يكن أمامه مناص إلا الاعتماد على الكورس ولاشئ أكثر، فلم يكد يدخل فى طور الاندماج وفجأة يتوقف كل شئ. لقد استشاط غضبا عندما كانا يسجلان أسطوانات.

– قال بيريكو :

– ليس كثيرا، كان الأمر بمثابة تأليف «سوناتات» بدلا من الأناشيد، كما أننى لا أفهم شيئا فى مثل هذه الأمور المتعبة. لقد أتيت لأننى تعبت من القراءة فى حجرتى منذ كنت أقرأ دراسة لخوليان مارياس[٤] وهو كتاب لن ينتهى أبدا.

(– 65)

11

ملأ جريجورفيوس الكأس بالفودكا، وأخذ يرتشف منها بخفة. هناك شمعتان مضاءتان على حافة المدفأة، حيث كانت بابس تحتفظ عليها بالشرابات المتسخة وزجاجات البيرة. ومن خلال الكأس الذى كساه البخار من الخارج عبّر جريجور فيوس عن إعجابه بالشمعتين اللتين تعيشان بعيدا عن عالمهم وعلى النقيض منهم وكأنهما نفير بيكس وهو يدخل ويخرج فى زمن مختلف. كان حذاء جوى مونود يضايقه بعض الشئ؛ حيث كان مستلقيا ونائما على الكنبة أو كان يستمع وهو مغمض العينين. جاءت لاماجا لتجلس على الأرض وهى تضع سيجارة مشتعلة فى فمها. كان ضوء الشموع الخضراء ينعكس على عينيها. تأمّلها جريجورفيوس وقد أثارته، كما تذكر شارعا فى مدينة مورلى Morlaix أثناء المساء وكذلك جسرا مرتفعا وسحبا.

– هذا الضوء يماثلك تماما، إنه شئ يروح ويغدو ويتحرك طوال الوقت.

– قالت لاماجا :

– مثل ظل أوراثيو ، إذ يطول أنفه ويقصر. إنه رائع.

– قال جريجوروفيوس :

– إن بابس هى راعية الظلال، وبفضل صناعة الصلصال، وهذه الظلال المحددة.... كل شئ هنا يتنفس، ويعاود المرء الاتصال المفقود. فالموسيقى تساعد على ذلك وكذا الفودكا والصداقة... هذه الظلال على الكورنيش. إن الحجرة لها رئتين وشيئًا ينبض. نعم إن الكهرباء[١] الـ eleática قد مضت على الظلال. وهاهى الآن تشكل جزءا من الأثاث والوجوه. لكن هنا يحدث العكس ... انظرى إلى هذا الهيكل: إن ظله يتنفس، إن الحلية الحلزونية تعلو وتهبط. كان الإنسان يعيش آنذاك ليلة فيها طراوة وفيها قابلية وفى حوار مستمر. أما الرعب والخوف فياله من جمال ليطلق الفنان العنان لخياله ....

ضم يديه بحيث لايكاد يباعد بين الإبهامين : فظهر ظل كلب على الحائط وهو يفتح فمه ويحرك أذنيه. كانت لاماجا تضحك، وعندئذ سألها جريجوروفيوس عن مدينة مونيفيديو، ضاع خيال الكلب فجأة، ذلك أنه لم يكن متأكدا من أنها من أورجواى: تحدث عن ليستر يونج[٢] Lester Young وعن كانساس سيتى ....Kansas City Six-Sh (وضع رونالد إصبعه فى فمه).

– إن أوروجواى تبدو لى غريبة. لابد وأن مونتفيديو مليئة بالأبراج والأجراس الضخمة المصهورة بعد المعارك. لابد وأن فى المدينة عظايا ضخمة على شاطئ النهر.

11

– قالت لاماجا :

– بالطبع، إنها مزارات وللوصول إليها نركب الأتوبيس المتجه إلى / بوثيتوس.

– وهل يعرف الناس فى مونتفيديو لوتريمونت ميدا Lautreamont؟

– وماهو ذاك ؟

تنهّد جريجوروفيوس وشرب المزيد من الفودكا. ليستر يونج L. Young عازف الساكس وديكى ويلز Dickie Wells عازف المتردّدة Trombon وجون سيمون J. Simmons الكونتوباس وجو جونس Joe Jones ضابط الإيقاع. أغنية Four o' Clock Drag. نعم إنها عظايات ضخمة. كأنها آلات المترددة على شاطئ النهر، الـ blues يجر نفسه وربما كان يريد أن يقول عظاية الزمن. إنه زحف لاينتهى منذ الرابعة فجرا. أو أن الأمر drag شئ مختلف تماما. «آه، Lautréamont» كانت لاماجا تقول وهى تتذكر فجأة. «نعم أعتقد أن الكثيرين يعرفونه».

– كان من أوروجواى رغم أنه لايبدو ذلك.

– قالت لاماجا وهى تستعيد نشاطها :

– لايبدو ذلك .

– فى الواقع، لو تريامونت ... لكن رونالد ظهر عليه الغيظ، فقد ذكر واحدا ممن هم من مُثُله العليا لابد من الصمت، وهذا مؤسف. فلنتحدث بصوت منخفض، وأن تحكى لى عن مونتفيديو.

– آه، ياللسّخف إذنْ – قال إيتّين وهو يرمقهما بحنق. كانت الذبذبة تحرك الهواء وتتخذ اتجاه سلالم خاطئة وتترك درجة دون الصعود عليها ثم تقفز خمس درجات مرة واحدة، وتعاود الظهور من جديد فى أعلى مكان. كان ليونيل هامبتون(٣) L. Hampton يوازن «أنت هنا يا أميّ الجميلة»، ثم يقفز فيسقط وهو يدور بين الزجاج، ويدور فى حلقة تكاد تتسع لقدم، تتكون مجموعة من النجوم بشكل فورى، خمسة، ثلاثة، وعشرة نجوم. فيقوم بإطفائها بمقدمة الخف. كان يستلقى وهو يحمل مظلة يابانية. تلفّ فى يده بسرعة كبيرة. ثم عزفت الأوركسترا فى النهاية؛ فهناك النقير Trompete يدوّى، والعودة إلى الأرض، ويسقط البهلوان. آخر الثمرة، انتهى. كان جريجوروفيوس يستمع إلى صوت هامس هو عن مونتفيديو من خلال لاماجا، وربما كان سيعرف المزيد عنها وعن طفولتها وفيما إذا كان اسمها سابقا لوثيا أو ميمى. كانت الفودكا قد وصلت به

11

للدرجة التى جعلت الليلة عظيمة، فكل شئ حوله ينطق بالوفاء والأمل. فهاهو جوى مونود قد رفع ساقيه عن مكانهما، وبالتالى لم يعد حذاؤه الغليظ يؤثر على عُصعص جريجورفيوس. أما لاماجا فقد اتكأت عليه قليلا فأصبح يشعر، ولو قليلا، بدفء جسمها فى كل حركة له لينطق بجمله أو يواصل الاستماع إلى الموسيقى. وعندما يثنى جريجورفيوس جسمه بشدة يتمكن من تمييز ملامح الركن الذى يقوم فيه كل من رونالد وونج باختيار الأسطوانات ووضعها على الجهاز. أما أوليڤيرا وبابس فكانا جالسين على الأرض وهما يستندان إلى حائط مغطى ببطانية سميكة. كان أوراثيو يتناغم مع نفثات الدخان بينما الفودكا قد استولت على عقل بابس واستولى عليها كذلك الإيجار المتأخر وبعض الأصباغ التى تزول عند ثلاثمائة درجة؛ فهناك اللون الأزرق الذى يتحول إلى تموجات برتقالية، الأمر الذى لايحتمل. كانت شفتا أوليڤيرا تتحركان فى صمت بين نفثات الدخان. كان يتحدث بصوت منخفض وكأنه حديث داخلى وهو متكئ إلى العداء، وكان مايدور من حديث يجعل أمعاء جريجوروفيوس تتلوّى، ولم يكن يدرى لماذا، فربما كان غياب أوراثيو هو أنه ترك له لاماجا لتلعب بعض الوقت، لكنه هناك يحرك شفتيه فى صمت، يتحدث مع لاماجا وسط دخان السجائر وموسيقى الچاز وهو يضحك فى أعماقه من الحديث كثيرا عن لوترِيامونت ومونت فيديو.

(– 136)

12

كانت اجتماعات النادى تروق دائما لجريجوروفيوس ذلك أنه لم يكن ناديا أبدا، وبذلك يتفق مع مفهومه عن ذلك النوع من الإنشاءات. أما رونالد فقد كان يعجبه النادى للفوضوية التى عليها ومن أجل بابس، وكذلك للطريقة التى يهلكون بها أنفسهم دون اهتمام بأى شئ، وقد أسلموا أنفسهم لقراءة أعمال كل من كارسون ماك كولر[١] Carson Mc Cullers وميلر Miller ورايموند كينو[٢] R. Queneau والاستماع لموسيقى الچاز وكأنها تمرين متواضع للتحرّر والمصارحة دون مواربة بأنهم فشلوا فى الفنون. ويمكن القول بأنه كان يروق له أوراثيو أوليڤيرا، حيث كانت له علاقة به مؤشرها المطاردة، أى أن جريجوروفيوس يشعر بالغيظ من وجود أوليڤيرا فى اللحظة التى يراه فيها، بعد أن أخذ يبحث عنه فترة لكنه لايعترف بذلك، أما عن أوراثيو فقد كان يستعذب الغموض الرخيص الذى يلف به جريجوروفيوس أصوله الأسريّة ونمطية حياته. كان يسليّه أن يكون جريجوروفيوس محبا لـ لاماجا وأن يظن أن أوليڤيرا لايعرف. كما أن كليهما يقبل بالآخر ويرفضه فى الوقت نفسه، وكأن ذلك نوع من المصارعة بعد ارتداء حلة المصارعة الملتصقة بالجسد. كان هذا أيضا نوعا من التمرينات التى تكمن وراء اجتماعات النادى. كان يتبارزان كثيرا فى إظهار الألمعية وإعداد الكثير من التلميحات التى تجعل لاماجا تفقد صبرها وتثير غيظ بابس. كانا يكتفيان بذكر أى شئ حسبما اتفق، كما يفكر الآن جريجوروفيوس فى أنه هناك نوع من المطاردة التى لا أمل من ورائها بينه وبين أوراثيو، وفجأة يطلب أحدهما عون السماء «لقد هربت منه...». وفى الوقت الذى ترمقهما لاماجا بنوع من التواضع الفاقد الأمل فالآخر قد ارتفع فى طيرانه وارتفع لدرجة أننى تمكنت من صيده. وينتهى بهما الأمر للضحك من نفسيهما، لكن بعد فوات الأوان، ذلك أن أوراثيو كان ينتابه الامتعاض من استعراض الذاكرة هذا، كما أن جريجوروفيوس يشعر بأنه المقصود بذلك الامتعاض فتزداد إثارته فيتولد بين الاثنين نوع من النغمة المتواطئة. وبعد ذلك بدقيقتين يعودان لنفس الممارسة. كانت هذه هى لقاءات النادى بالإضافة إلى أشياء أخرى.

قال جريجوروفيوس وهو يملأ الكأس :

– نادراً ماتناول المرء هنا فودكا سيئة مثل هذه المرة يالوثيّا، كنت تقصين علىّ طفولتك. والأمر لايكمن فى أنه يصعب علىّ تصورها على شاطئ النهر وشعرك مضفرا ووجنتاك متوردتين تماما مثل أهالى ترانسلفانيا الذين أنا منهم. وهذا قبل أن تصاب بالشحوب من جراء هذا الطقس اللوتثى[٣] Luteciano.

– سألت لاماجا :

12

– اللوتثى ؟

تنهد جريجوروفيوس وأخذ يشرح لها، بينما تسمع لاماجا بتواضع من يتعلم، وهذا ماكانت تفعله كثيراً حتى يهاجمها السّهو فينفذ الموقف. قام رونالد الآن بوضع أسطوانة جديدة لهاوكنز Hawkins. وبدا أن لاماجا مغتاظة من هذه الشروح التى تقضى على الموسيقى، كما أنها لم تكن الشروح التى تنتظرها كأنها زغزغة أو تنهيدة عميقة كما كان هاوكنز يفعلها قبل أن يواصل عزفه من جديد. تماما مثلما كانت تفعل هى عندما يبدى أوراثيو اهتماما بأن يشرح لها بيتا من الشعر فيه غموض، بأن يضيف إليه هذا الغموض السحرى. ولو كان هو الذى يشرح لها «اللوتثية» بدلا من جريجوروفيوس لكان كل شئ قد غمرته السعادة بما فى ذلك موسيقى هاوكنز واللوتثيين وضوء الشموع الخضراء والزغزغة والتنهيدة التى كانت الحقيقة الوحيدة لديها، وهى شئ يمكن مقارنته بـ روكامادور أو فم أوراثيو، أو مقطوعة موسيقية لموزار؛ فلم يكن من الممكن الاستماع إليه جيداً ،ذلك أن الأسطوانة قد تقادمت.

– قال جريجوروفيوس بتواضع :

– لاتكونى هكذا، ماأريده هو أن أفهم حياتك بشكل أفضل، أى أنت والمراحل التى عشتها.

– قالت لاماجا :

– حياتى! لن أقصها حتى ولو كنت ثملة. ولن تستطيع فهمى بطريقة أفضل حتى أقُصّ عليك طفولتى على سبيل المثال. فأنا لم أمرّ بمرحلة الطفولة.

– ولا أنا. فقد كنت فى الهرْسك.

– أما أنا فكنت فى مونتفيديو. سوف أقول لك شيئا. أحلم أحيانا بالمدرسة الابتدائية. إنه لأمر فظيع أن أستيقظ وأنا أصيح. وعند الخامسة عشرة. أنا لست أدرى فيما إذا كنت قد عشت مرة سن الخامسة عشرة.

– قالها جريجوروفيوس بنغمة غير واثقة :

– أعتقد أننى عشتها.

– وأنا أيضا. فقد كنت فى منزل به مَنْوَر والكثير من الأصص. وكان والدى يتناول ماتى (شاى من الباراجواى) ويقرأ المجلات الفارغة. هل يزورك والدك؟ أى هل ترى شبحه مرة أخرى..

12

– قال جريجوروفيوس :

– لا، لكن مـا أراه هو أمي وخاصـة في جلاسكو. تعود أمي أحيانا في جلاسكو، لكن ليس على شكل شبح. إنها بمثابة ذاكرة باهتة جدا. وهذا كل شئ. يهضمه الملح الفوّار هذا شئ سهل. وماذا بالنسبة لك؟

– قالت لاماجا بنفاد صبر :

– لست أدرى! إنها تلك الموسيقى وهذه الشموع الخضراء. هاهو أوراثيو قابع فى الركن كأنه هندى. لماذا علىّ أن أحكى لك كيف تعود أمىّ؟ لكن منذ عدة أيام كنت فى المنزل فى انتظار أوراثيو وقد حلّ الظلام. كنت جالسة بالقرب من السرير، بينما كانت تمطر. كان الوضع شبيها بما تحويه هذه الأسطوانة. نعم، كان شيئا من هذا القبيل. كنت أرمق السرير وأنا أنتظر أوراثيو، ولست أدرى لماذا كانت مرتبة السّرير موضوعة بطريقة معينة. وفجأة رأيت والدى وظهره لى ووجهه مغطى كعادته دوما، حيث كان يسكر وبعد ذلك يذهب لينام. كنت أرى ساقيه. وهيئة اليد موضوعة على صدره. شعرت أن شعرى يقف من الفزع، وكنت أريد الصراخ، أو أى شئ من هذا القبيل الذى تشعر به المرأة. وربما شعرت بالخوف ذات مرة .... كنتُ أريد الخروج مسرعة، كان الباب بعيدا، فى نهاية ممرّات وممرات. ويبدو الباب أكثر بعدا كلما تقدمت، وكانت المرتبة الوردية تصعد وتهبط. كما كنت أسمع شخير والدى. وبين لحظة وأخرى سوف تطل إحدى الأيدى، والعيون ثم الأنف المعقوفة. لا، لايلزم أن أقصّ عليك كل هذا. وفى النهاية صرخت كثيرا لدرجة أن الجارة التى تسكن الدور الذى تحتى أنقذتنى، وأعدت لى فنجانا من الشاى. وبعد ذلك عاملنى أوراثيو على أننى مصابة بالهستيريا.

داعب جريجوروفيوس شعرها، فطأطأت لاماجا رأسها. «حسن» فكّر أوليڤيرا وهو يرفض مواصلة الاستماع لبهلوانيات ديزى جيلسبيه[٤] Dizzy Gillespie دون أن يضع الشبكة الواقية على الأرجوحة العليا. «حسن، كان لابد أن يكون». إنه مجنون بهذه المرأة، وهو يقول لها ذلك باستخدام أصابعه العشرة. ياله من تكرار للألعاب. إننا ننتحل نفس القوالب المستهلكة ونتعلم، كالبلهاء، الدور المعروف سلفا للجميع. لكن إذا ماكنت أنا نفسى الذى أقوم بمداعبة شعرها وهى تحكى لى أشياء أرجنتينية ونتألم لما حدث، عندئذ لابد من الذهاب معا إلى المنزل وقد لعبت الخمر برؤوسنا جميعا ووضعها على السرير بعناية ومداعبتها وخلع ملابسها ببطء وفك كل زرار بخفة وكذا المشابك

12

الأخرى، وهى لاتريد، تريد، لاتريد، تتصلب، تغطى وجهها، تبكى، تعانقنا، وكأنها تقترح علينا شيئا مهيبا وتساعد على خلع اللباس الداخلى وتلقى بالحذاء بأطراف قدميها، وهذا يبدو لنا أنه نوع من الاحتجاج ويستثيرنا إلى أقصى درجة، آه، إنها غير نبيلة، غير نبيلة. لابد وأننى سوف أقوم بتمزيق وجهك ياصديقى المسكين أوسيب جريجوروفيوس. دون مزاج ودون أسف مثلها، يفعل ديزى Dizzy ذلك على آلته دون أسف أو مزاج. ليس هنا مزاج على الإطلاق مثل ذلك الذى يعزفه ديزى.

– قال أوليڤيرا :

– إنه القرف بعينه؛ ابعد هذه القذارة من الطبق، فلن أعود إلى النادى مرة أخرى إذا ماكان علىّ أن أستمع إلى هذا القرد العالِم.

– قال رونالد ساخرا :

– إن السيد لاتروق له موسيقى البوب انتظر لحظة وسوف نضع لك أسطوانة لبول فيتمان[٥] P. Whiteman.

– قال إيتين :

– هناك حل وسط ؛ إنه توافق بين كافة الآراء : فلنستمع إلى بيسى سميث[٦] Bessie Smith يارونالد ياحبيبى، الحمامة فى القفص البرونزى. ضحك كل من رونالد وبابس ولم يعرف السبب فى ذلك بشكل جيد، وأخذ رونالد يبحث فى الرّف الخاص بالأسطوانات القديمة. كانتريشة الجهاز تقرقر بشكل فظيع، وكأن هناك شيئًا أخذ يتحرك فى العمق وكأن هناك طبقات وطبقات من القطن تفصل بين الصوت والآذان. كانت بيسى تغنى وهى معصوبة الوجه وقد وضعت فى سلة مليئة بالملابس المتسخة كان الصوت كأنه غريق يرتطم بالملابس ويصعد ويستغيث دون وجل أو طلب إحسان «أريد أن أكون لعبة أحد ما». ثم يتماسك منتظرا. هناك صوت قادم من الناصية ومن منزل به نساء مسنّات «أكون لعبة أحد ما»، إنه أكثر دفئا وشوقا. يتأوه الآن «أريد أن أكون لعبة أحد ما».

لسع أوليڤيرا فمه برشفة كبيرة من الفودكا، ووضع ذراعه على كتفى بابسى واستند إلى جسمها المريح. «الشفعاء» فكر أوليڤيرا وهو يغرق نفسه بنعومة فى دخان السجائر. كان صوت بيسى ينحف فى نهاية الأسطوانة، والآن سوف يقوم رونالد بقلبها على الوجه الآخر، ومن هذا الجزء المتهالك تولد مرة أخرى أغنية Empty Bed Blues ذات ليلة من ليالى العشرينيات فى ركن ما من الولايات المتحدة. كان رونالد قد أغمض عينيه، بينما يديه فوق ركبتيه تتحركان بخفة متابعة الإيقاع. أغمض كل من وونج وإيتين عيونهما.

12

كانت الحجرة شبه مظلمة، وكان يسمع صوت الريشة وهى تحتك بالأسطوانة القديمة. كان أوليڤيرا لايكاد يصدق بأن كل ذلك يحدث : لماذا هناك، ولماذا النادى، ولماذا هذه الاحتفالات البلهاء، ولماذا هى هكذا هذا الـ bleus عندما تغنيها بيس؟» «الشفعاء» فكر أوليڤيرا مرة أخرى وهو يتمدد إلى جوار بابس التى ذهبت الخمر برأسها تماما وأخذت تبكى فى صمت وهى تستمع إلى بيس ترتجف على الإيقاع. المنتظم أو تأخيره. تنتحب من داخلها حتى لاتبتعد أبدا عن Los blues للسرير الخالى، واليوم التالى، والحذاء الملقى فى بركة المياة والإيجار المتأخر والخوف من الشيخوخة وصورة الشروق فى المرآة القائمة على حافة السرير، الموسيقى والحنين اللانهائى للحياة «الشفعاء». إنه اللاواقع الذى يشير إلى لاواقع آخر، تماما مثل صور القديسين الذين يشيرون إلى السماء وبأصابعهم. لايمكن أن يكون ذلك موجودا، وأننا هنا فى الواقع أن أكون أنا فردا اسمه أوراثيو. وذلك الشبح الذى هناك، وصوت سوداء ماتت منذ حوالى عشرين عاما فى حادثة سيارة! إنها حلقات فى سلسلة غير موجودة. كيف نبقى هنا، وكيف نحن مجتمعون هذه الليلة اللهم إلا إذا كان ذلك مجرد لعبة من الأوهام، ذات قواعد مقبولة ومتفق عليها، ومجرّد أوراق لعب فى يد صانع لايمكن تخيلّه...».

– قال أوليڤيا لبابس هامسًا فى أذنها :

– لاتبكى ..لاتبكى ياBabs. كل هذا ليس حقيقة.

– قالت بابس وهى «تنف» :

– آه، نعم، نعم هذه حقيقة .. نعم هذه حقيقة.

– سوف يكون – سوف يكون، وقبّلها على خدها – لكنه ليس الحقيقة.

– قالت بابس وهى تبلع المخاط وتدور بيدها بين جانب وآخر :

– مثل تلك الظلال رغم أن المرء حزين يا أوراثيو فكل شئ جميل.

لكن كل هذا من غناء بيس وخرير كوليمان هوكنز Coleman Hawkins. ألم يكن مجرد أوهام ولم يكن شيئا أسوأ من ذلك بمعنى أنه وهم لأوهام أخرى إلى آخر ذلك من سلسلة طويلة متجهة نحو الوراء، أى نحو قرد ينظر إلى نفسه على صفحة المياة فى أول يوم من أيام العالم؟ لكن بابس كانت تبكى، وقد قالت : «آه، نعم، نعم ذلك حقيقة». أما أوليڤيرا فقد أخذت الخمرة برأسه، فكان يشعر أن الحقيقة هى فى ذلك. أى فى أن

12

بيس وهوكنز لم يكونا إلا أوهاما، والأوهام والتخيلات هى و حدها القادرة على تحريك عشاقهما. إنها الأوهام وليست الحقائق. كان هناك أكثر من ذلك، هناك الشفاعة والدخول من خلال الأوهام إلى منطقة لايتخيلها إنسان ومن غير المجدى التفكير فيها، فكل نوع من التفكير يدمرّها وهو لم يكد يقترب منها لتطويقها. إنها تدمن دخاناً تأخذ بيده وتبدأ معه فى الهبوط إذا ما كان الأمر هبوطا، وتظهر له مركزا إذا ماكان الأمر كذا، وتضعه فى المعدة حيث تغلى الفودكا هناك بلذّة على شكل زجاج وفقاقيع. إننى شئ يختلف عن أى وهم مهما كان جميلا وغير قابل للتحقيق حتى ولو كان يسمى الخلود. وعندما أغمض عينيه قال لنفسه إذا ماكان هناك طقس ولو كان فقيرا قادرا على انتزاعه ليظهر له المركز بشكل أفضل، وجذبه نحو مركز لايمكن تصوره، فربما لن يكون كل شئ مفقودا. ولو تغيّرت الظروف بعد عدة تجارب لكان الوصول إلى ذلك ممكناً. لكن بلوغ ماذا؟ ومن أجل ماذا؟ لقد لعبت الخمر برأسه لدرجة أنه أصبح غير قادر على وضع افتراض للعمل، أو أن يكوّن فكرة عن الطريق المفروض السير فيه. غير أنه لم يكن سكران بالكامل حتى يتوقف عن التفكير الاستنتاجي. وكان يكفيه ذلك التفكير ليشعر بأنه يباعده أكثر وأكثر عن شئ بعيد جدا وعظيم جدا حتى يتجلّى من خلال هذا الضباب غير الرشيق لكنه الأنسب، إنه تأثير الفودكا، وتأثير لاماجا، وتأثير بيس سميث. أخذ يرى حلقات خضراء تدور بقوة. فتح عينيه. لقد اعتاد على أنه بعد سماع الأسطوانات يأتى الغثيان.

(- 106)

13

كان الدخان يغمر روناالد الذى أخذ يسحب الأسطوانة تلو الأخرى دون أن يجهد نفسه ليعرف ما الذى يفضله الآخرون. كما كانت بابس تنهض من على الأرض بين الفينة والأخرى وتقلب هي الأخرى في مجموعة الأسطوانات القديمة مقاس ٧٨، وتختار خمسًا منها أوستًا وتتركها على الترابيزة بمتناول روناالد الذى كان يميل إلى الأمام ويداعب بابس التى كانت تتلوى وهى تضحك وتجلس على ركبتها ولو للحظة، ذلك أن روناالد يريد أن يكون هادئا حتى يسمع Don't you play me cheap Because I look so meek «لاتعاملينى باحتقار» «لأننى يبدو على الإذعان».

وتتلوى بابس على ركبتى روناالد وقد أثارتها طريقة Satchmo فى الغناء. كان الموضوع شعبيا جدا لدرجة استباحة مساحات من الحرية لم يكن روناالد أن يسمح بها عندما كان Satchmo يغنى "Yellow Dog Blues"، كما أن الزفير الذى كان يطلقه روناالد على رأسها محمل بالفودكا وطبق Souerkraut الذى كان يهز بابس بقوة. ومن المنظور العلوى الذى اتخذته وكأنه منظور هَرمى جميل من الدخان والموسيقى والفودكا والـ Sauerkraut ويدى روناالد التى تروح وتجئ مداعبة. تلطّفت بابس بإلقاء نظرة إلى أسفل وحاجباها مقطبين وترى أوليفيرا على الأرض وقد استند بظهره إلى الحائط الذى تغطيه البطانية، وهو يدخن وقد أفقدته الخمرة وعيه تماما. ويظهر وجهه مثل أبناء أمريكا اللاتينية وبه مسحة من نغمة ومرارة، بينما تلوح ابتسامة على شفتيه أحيانا بين كل نفس من الدخان. إنهما شفتا أوليفيرا التى تاقت لهما مرة من المرات (ليس الآن)، كانتا تتحركّان بشكل واهن جداً. أما باقى الوجه فأضحى كأنه مغسول وغائب لاملامح له. ومهما كانت درجة حب أوليفيرا لموسيقى الچاز فإنه لم يدخل أبدا فى صميمه مثل روناالد. فالچاز بالنسبة له يمكن أن يكون جيدا أو سيئا، ساخنا أو باردا، أبيض أو أسود، قديما أو حديثا، من شيكاغو أو نيوأورليانز. لكن لن يكون من صميم الچاز: أى لن يكون ذلك مثلما كان Satchmo وروناالد وبابس يرددون Baby don't you play me cheap because I look so meek ويأتى بعد ذلك دخول النفير فجأة ذلك العضو الأصفر وهو يحرك الهواء ويحدث متعة التقدم والتقهقر، وفى النهاية هناك نوتات ثلاث صاعدة كأنها منوّم من الذهب الخالص. إنها وقفة حيث تهتز كل أرجاء الدنيا فى لحظة لاتحتمل، وعندئذ يأتى الإنزال من خلال الحدة الشديدة منزلقا وهابطا كأنه صاروخ فى ليلة جنسية، هناك يد روناالد تداعب رقبة بابس وهناك قرقرة إبرة الجهاز، بينما تدور الأسطوانة، أما الصمت الذى كان فى أى موسيقى حقيقية فقد أخذ يهبط ببطء من على الحوائط، ويخرج من تحت الكنبة وينتشر كأنه شفاه أو شرانق.

13

– قال إيتين :

– «ياسلام»

– قال رونالد وهو يفتشّ فى مجموعة الأسطوانات التى اختارتها بابس :

– نعم إنها العصر الذهبى لآرمسرونج .. إنها فترة مماثلة لمرحلة العملقة عند بيكاسو إذا ما أردنا القول. أما الآن فكلاهما أصبحا خنزيرين. وإذا ما فكرّ المرء فى أن الأطباء يخترعون إكسيرا لاستعادة الشباب ... فإنهما سيظلان مرابطين صدورنا عشرين عاما أخرى.

– قال إيتين :

– على صدورنا نحن لا.. فنحن قد أطلقنا عليهما النار فى اللحظة المناسبة، وليتهم يطلقون علىّ نفس الطلقة عندما تحين ساعتى.

– قال أوليفيرا وهو يتثاءب :

– إنها الساعة المناسبة. إنك لاتطلب شيئا، بيبى لكن هذا حقيقى فقد أطلقتا عليهما الطلقة القاضية. لقد كانت الطلقة وردة بدلا من الرصاصة. ومابعد ذلك فليس إلا التعوّد والورق الكربونى، والتفكير فى أن أرمسترونج قد ذهب الآن إلى بوينوس أيرس لأول مرة، لايمكن للمرء أن يتصور آلاف البلهاء وهم على قناعة بأنهم يستمعون إلى موسيقى من العالم الآخر، أما Satchmo فهو يستخدم حيلا أكثر من أى ملاكم عجوز محاولا مداراة النتوءات، ومُتعبًا ومتهما بالنقود ولايعنيه فى شئ مايفعله؛ فهو يؤدى عملا روتينيا. وإذا ماكان هناك أصدقاء أعزاء علىّ يضعون أصابعهم فى آذانهم إذا ما أرادت أن تسمعهم "Mahogny Hall Stomp" منذ عشرين عاما؛ فإنهم الآن يدفعون الكثير من المال من أجل الاستماع إلى تلك المقطوعات التى أعيد قلبها. ومن الواضح أن بلادى ماهى إلا انتحال، وهذا يجب أن أقوله بكل حب.

– قال بيريكو وهو يمسك بقاموس :

– بادئين بك .. لقد جئت إلى هنا لتسير وتضع نفسك فى نفس قالب مواطنيك الذين ذهبوا إلى باريس ليتربوا عاطفيا، وهذه التربية تتم فى إسبانيا من خلال المواخير ومباريات مصارعة الثيران.

– قال أوليفيرا وهو يتثاءب من جديد :

– وكذلك من خلال الكونتيسة باردو باثان وعموما فإنك على حق ياببيى. إننى كان يجب أن أكون مع ترافلر ألعب النرد. حقا إنك لاتعرفه ولاتعرف شيئا عن كل ذلك، فلماذا الكلام ؟

(115 –)

14

خرج من الركن الذى كان فيه ووضع قدمه فى مكان بعد أن تحسسه جيدا ليختار المكان بعناية، ثم تقدم بالقدم الأخرى وبنفس درجة الحذر، وبينما هو على بعد مترين من رونالد وبابس أخذ يضم نفسه حتى جلس على الأرض.

– قال وونج وهو يشير بإصبعه إلى المَنْور الكائن فى الشبّاك المائل :

– إنها تمطر وبينما كان أوليڤيرا يضرب سحابة الدخان بيده ببطء رمق يونج بنظرة فيها سعادة:

– حمداً لله أن هناك من قرر أن يضع نفسه على مستوى سطح البحر فلا يرى إلا الأحذية والركَب فى كل مكان. أين كأسك تش؟

– قال وونج :

– هناك.

وبعد هنيهة اتضح أن الكوب ملئ بالشراب وفى متناول اليد. أخذ يشربان وهما يستحسنان الشراب، بينما وضع لهما رونالد أسطوانة لجون كولترين[1] John Coltrane مما جعل بيريكو يصدر إشارة يعبر فيها عن ضجره. وتلا ذلك أسطوانة لسيدنى بيتش[2] Sidney Bechet فى الأيام الخوالى لباريس، وكأن بالمقطوعة نوعا من السخرية من الثوابت فى أمريكا اللاتينية وأسبانيا.

– هل صحيح أن سيادتك تقوم بإعداد كتاب عن التعذيب؟

– قال وونج :

– آه، ليس بالضبط.

– ماهو إذن ؟

– كان فى الصين مفهوم مختلف للفن.

– أعرف ذلك؛ فكلنا قرأ للصينىّ ميربو[3] Mirbeau. هل صحيح بحوزتك صور عن التعذيب، تم التقاطها فى بكين عام ألف وتسعمائة وعشرين أوشئ من هذا القبيل؟

– قال وونج وهو يبتسم :

– آه، لا.. إنها صور باهتة جدا ولاتستحق أن أريك إياها.

– هل صحيح أنك تحمل أفظع صورة فى جعبتك ؟

– قال وونج :

– آه، لا.

– وأنك أظهرتها لبعض النساء فى أحد المقاهى ؟

14

– قالوونج :

– كُنّ يلحن كثيرا، والأسوأ من هذا أنهن لم يفهمن شيئا.

– قال أوليڤيرا وهو يمدّ يده :

– فلنرها.

أخذ وونج ينظر إلى يده وهو يبتسم، إذ كان أوليڤيرا شديد السُّكْر، حتى يلح فى الطلب. شرب المزيد من الفودكا وغيرّ الوضع الذى كان عليه. وضعوا فى يده ورقة مطبقة أربع تطبيقات. وعوضا عن يونج كانت هناك ابتسامة قط من القطط Cheshire ونوع من الاحترام بين الدخان. كان طول العامود يبلغ مترين، لكن كان هناك ثمانية أعمدة. أى عمود واحد مكرر ثمانى مرات فى أربع مجموعات تتكون كل واحدة منها من صورتين. ويمكن مشاهدتها من اليسار إلى اليمين ومن أعلى إلى أسفل. كان العامود هو نفسه رغم وجود اختلافات طفيفة فى المنظور، والشئ الوحيد الذى يتغير تمّثل فى المحكوم عليه والذى تم ربطه فى العامود، وكذلك فى وجود الحاضرين (كانت هناك امرأة على اليسار) وكذا فى الوضع الذى عليه الجلاّد الذى كان يقف دوما فى الناحية اليسرى وكأنه نوع من اللطف مع المصوِّر. هناك أيضا عالم فى السلالات البشرية يمكن أن يكون أمريكيا أو من الدنمارك، قوى البنيان، لكن الكاميرا الكوداك قديمة تعود إلى عام ألف وتسعمائة وعشرين. وهى كاميرات فورية وسيئة للغاية. وبغض النظر عن اللقطة الثانية، عندما قررت نصال السكاكين فصل الأذن اليمنى، حيث كانت ترى ويرى باقى الجسد وهو عريان، فإن باقى الصور قد تجمع فيها الدم الذى كان يغطى الجسم وكذلك الحالة السيئة للفيلم أو التحميض؛ مما جعلها مثيرة للرثاء خاصة فى الصورة الرابعة؛ حيث لم يكن المحكوم عليه إلا كتلة سوداء يبرز منها الفم المفتوح وذراع ناصع البياض. أما الصور الثلاث الأخيرة فقد كانت متماثلة تقريبا اللهم إلا الوضع الذى عليه الجلاد، فهو يميل إلى جوار شنطة السكاكين ويستخرج النصل (لكن كان عليه أن يحتال ويحاول البدء بالقطع الأكثر قوة) وربما كان ينظر فيما إذا كان الذى وقع عليه التعذيب حيًا ذلك أن هناك قدما كانت تنزلق إلى الخارج رغم ضغط الحبال الموثق بها، كما أن رأسه كانت تميل إلى الوراء والفم مفتوح دائما، أما على الأرض فإن الرقة الصينية جعلتها مكسوّة بالنشارة، ذلك أن بركة الدماء لم يتسع حجمها، وكان شكلها بيضاويا يحيط بالعامود. «الصورة السابعة هى الصورة الخطيرة». كان صوت يونج يأتى من بعيد، من وراء الفودكا والدخان، وكان ينبغى أن

14

ينظر إلى هذه الصورة بشكل جيد، ذلك أن الدم كان يسيل على طرفي الصدر اللذين هبطا إلى الداخل (مابين الصورة الثانية والصورة الثالثة) لكن يُرَى فى الصورة السابعة ظهور سكين قاطع، ذلك أن شكل الفخذين المفتوحين قليلا أخذ يتغير، وعندما نقرب الصورة من نظرنا يرى أن التغيير لم يكن فى الفخذين بل بين أصلهما ingle، وفى مكان البقعة الباهتة فى الصورة الأولى، كأن هناك فتحة يسيل منها الدم، أى كأنها دماء تسيل على فخذ فتاة تم اغتصابها. وإذا ماكان يونج لايعير اهتماما بالصورة الثامنة فلابد أنه على حق، ذلك أن المحكوم عليه لايمكن أن يكون على قيد الحياة. فلا أحد يترك رأسه هكذا تسقط على الصدر «طبقا لمعلوماتى فإن العملية تستغرق ساعة ونصف ساعة»: قال يونج ذلك بصوت مهيب. أعيد تطبيق الورقة مرة ثانية، وفتحت حافظة أوراق جلدية ذات لون أسود وكأنها فم تمساح صغير لتلتهم الورقة وسط الدخان. «من المؤكد أن بكين ليست مثل الأمس. أنا شديد الأسف لأننى أطلعتك على شئ بدائى لكن هناك وثائق أخرى لايمكن للمرء أن يحملها فى جيبه. ومن الضرورى الحديث عن تفسير لذلك إنها البداية». كان الصوت قادما من بعيد كأنه امتداد للصور وختام مهيب يصدر عن محام. بدأ صوت المغنى بيج بل برونزى(٤) Big Bill Broonzy يترنم بأغنية See, see, rider. وكما هى العادة فإن كل شئ يلتقى كأنه لقاء الشتيتين، وهناك تلصيق Collage فظ كان يجب ضبطه بمزيد من الفودكا والفلسفة الكانتية. إنها مهدئات ضد أى تخثرات سريعة فى الواقع. أو كأن الأمر يتمثل غالبا فى أن يغمض المرء عينيه ويستند إلى العداء، أى إلى العالم الوثير الذى عاشه فى ليلة تم اختيارها بعناية من بين أوراق اللعب المفتوحة. «انظر باريس» كان بيج بيل يغنى، وهو ميت آخر «انظر ماذا فعلت».

(– 114)

15

فى تلك الآونة كان من الطبيعى أن يتذكر الليلة التى قضاها فى قناة سان مارتين Saint Martin والاقتراح الذى عرضوه عليه (ألف فرنك) ليشاهد فيلما فى منزل طبيب سويسرى. لم يكن إلا واحدا من رجال دول المحور، وقام بترتيب الأمور لتصوير عملية شنق بكل تفاصيلها. كان الفيلم مكونا من شريطين صامتين، لكن التصوير كان رائعا. وكان الاقتراح على أساس ضمانى الجودة، كما يمكنه دفع المبلغ عند الخروج.

وفى اللحظة الحاسمة والتى سيقول فيها لا للعرض وأن يغادر هذا المقهى وبرفقته الفتاة السوداء (من هايتى) صديقة صديقه الطبيب السويسرى، توفّر لديه من الوقت مايتمكن معه من تخيل المشهد وأن يتصور – ولِمَ لا – نفسه مكان الضحية. فليس هناك كلام له قيمة أمام القيام بشنق إنسان أيا ما كان، لكن إذا ماكانت الضحية تعرف أن هناك كاميرا (كان من اللائق أن يتم إبلاغها) ستقوم بتصوير كل لحظة تمر وتأثيرها على قسمات وجهها، وكذا كل واحدة من التواءاته لإمتاع الناس فى المستقبل.... «وأيا كانت وطأة ذلك علىّ فلن أكون لامباليا مثل إيتين» فكرّ أوليڤيرا، «ومايحدث هو أننى أصر على الفكرة غير المسبوقة والقائلة بأن الإنسان خلق لشئ آخر حينئذ يكون واضحا ... ماهى الوسائل البائسة لإيجاد مخرج وسبب لهذا المأزق». وأسوأ مافى الأمر هو أنه تأمل ببرود شديد الصور التى أظهرها له يونج وذلك لأن المحكوم عليه لم يكن والده ،كما أنه قد مضى على حادثة بكين هذه أربعون عاما.

– قال، إنه أوليڤيرا لبابس التى عادت معه بعد شجار مع رونالد:

– انظرى كان يصر على الاستماع إلى المغنية[1] Ma Rainey ويظهر احتقاره للموسيقى فاتس ويلر[2] Fats Waller – إنه أمر لايصدقه عقل أن يكون المرء حقيرا إلى هذه الدرجة، ما الذى كان يفكرّ فيه المسيح وهو على فراشه قبل أن يخلد للنوم؟ وفجأة بينما يبتسم المرء يتحول كل شئ إلى مرارة.

– قالت بابس :

– آه، الهوَسَ الرهيب لا، وخصوصا هذه الساعة.

– كل شئ يتسم بالسطحية يافتاة، كل شئ هو ظاهرى. اسمعى عندما كنت صغرًا أفعل ذلك مع الكبريات من الأخوات فى الأسرة إلى غير ذلك من سلسلة القمامة العائلية. أتعرفين لماذا؟ حسن، هذا لكثير من الأسباب التافهة ومن بينها فإن أى حالة وفاة – كما يقلن – أو أى شئ يحدث فى المنطقة المحيطة هو أهم بكثير من جبهة

15

الحرب أو زلزال يقضى على عشرة آلاف شخص وأشياء من هذا القبيل. كم أن المرء قمئ لدرجة لايمكن تخيلها ياپابس، ومن أجل هذا يجب أن يكون قد قرأ كل أعمال أفلاطون ولعدد من القساوسة ولجميع الكلاسيكيين دون استثناء، أضف إلى ذلك معرفة مايجب معرفته بشأن الإدراك، وفي هذه اللحظة وبالتحديد يصل المرء إلى حالة من القماءة لايمكن تخيلّها، لدرجة أنه يصبح قادرا على الإمساك بتلابيب والدته الأمية، وأن يعبر عن سخطه؛ لأن السيدة منهمكة بسبب موت الروسىّ الذى كان على الناصية أو إبنة أخ الجارة التى تسكن الدور الثالث. وعندما يحدثها المرء عن الزلزال فى باب المندب أو عن الهجوم الذى وقع عند نهر فاردر إنج Vardar Ingh ويحاول أن يدفع بهذه التعسة إلى أن تأسف لمجرد القضاء على ثلاثة فرق من الجيش الإيرانى ...

– قال بابس :

– اهدأ، تناول جرعة يافتى ولاتتحول فى نظرى إلى سفّاح.

– فى الحقيقة يمكن أن نطبق على كل ذلك المقولة الشائعة : عيون لاترى قلب لايحسّ. قولى لى أى ضرورة تكمن فى أن نضرب على رؤوس هؤلاء العجائز من خلال تزمت اليفاعة وقماءتها وقذارتها؟ تش، أى سُكْر أنا عليه يا أخى! إنى ذاهب إلى المنزل. لكنه لايريد الابتعاد عن البطانية الشديدة الدفء، وكذلك البعد عن تأمل جريجوروفيوس وهو فى هذا اللقاء العاطفى مع لاماجا. انتزع نفسه بقوة وكأنما ينتف المرء ريش ديك عجوز وقد تصلبت جثته فأصبح يقاوم وكأنه على قيد الحياة. ثم تنهّد وهو يشعر بالرضا؛ لأنه قد تعرف على موضوع Blue Interlude وهى أسطوانة كانت بحوزته ذات مرة فى بوينوس أيرس. فلم يكن يتذكر حتى أفراد الأوركسترا ماعدا بينى كارتر Benny Carter وربما تشو برى[٣] Chu Berry. وكان يستمع العزف المنفرد الصعب لتيدى ديلسون[٤] Teddy Wilson. قرر البقاء حتى تنتهى هذه الأسطوانة. كان يونج قد قال بأن السماء تمطر. لابد وأن هذا العازف هو تشو برّى، اللهم إلا إذا كان هاوكنز بشخصه. لكن لا، لم يكن هاوكنز «غير معقول أن حالة الفقر المتنامى التى نحن جميعا عليها»، فكرّ أوليڤيرا وهوينظر إلى لاماجا التى كانت تنظر بدورها إلى جريجوروفيوس، وهذا الأخير كان يحملق فى الهواء. «سوف ينتهى بنا الأمر للذهاب إلى مكتبة مازارين Maz-arine ونقوم بإعداد بطاقات بحثية عن نبات تفاح الجن Mandrágoras وزنوج البانتو Bantú أو عن التاريخ المقارن لمقص الأظافر». أىْ تصوّر عدد كبير من الموضوعات

15

التافهة والقيام بعمل ضخم لبحثها ومعرفتها معرفة حقيقية، وبالنسبة لتاريخ مقص الأظافر تم البحث فى ألفى كتاب للتأكد من أنه حتى عام **1675** لم يكن يذكر بهذا الاسم. وفجأة فى ماجونثيا Maguncia يقوم أحد ما برسم صورة سيدة تقوم بقصّ أحد أظافرها. لكن الآلة التى تستخدمها ليست مقصاً بالتحديد بل شيئا يشبهه. ففى القرن الثامن عشر يسجل شخص يدعى فيليب ماك كينى Philip Mckinney براءة اختراع أول مقص له زنبرك. كان هذا فى بالتيمور : ثمَّ حلّ المشكلة؛ إذ يمكن للأصابع أن تضغط بكامل قوتها حتى تقطع أظافر القدمين المستعصية ثم يعود المقص ليفتح من جديد بشكل آلى. الحصيلة هى خمسمائة بطاقة بحثية خلال عام من العمل. وإذا ما انتقلنا الآن إلى اختراع مسمار البريمة أو استخدام فعل «gond فى الأدب الـ Pali خلال القرن الثامن. كل شئ يمكن أن يكون مهماً باستثناء الحوار الدائر بين لاماجا وجريجوروفيوس. مثل العثور على أحد المتاريس أو أى شئ أو بينى كارتر أو مقص الأظافر أو الفعل gond أو كوب آخر أو عملية الخوزقة التى يقوم بها أحد الجلادين بعناية دون أن ينسى أيا من التفاصيل أو شامبيون جاك دوبريه Ch. J. Duprée وقد تاه فى الـ Blues الذى كان أفضل منه (كانت إبرة الجهاز تحدث جلبة مزعجة).

قولى له مع السلامة، مع السلامة ياويسكى	Say goodbye, goodbye to whiskey
يالورد، إلى اللقاء مع الجن	Lordy, so long to gin,
قولى له مع السلامة، مع السلامة ياويسكى	Say goodbye, goodybe to whiskey
يالورد، إلى اللقاء مع الجن	Lordy, so long to gin.
ما أريده هو السيجار	I just want my reefers,
ما أريده فقط هو أن أعود للسكُّر من جديد	I just want to feel high again--

الأمر المؤكد هو أن رونالد سوف يعود للاستماع إلى بيج بيل برونزى وقد حدثه فى هذا تراسلات كان أوليفيرا يعرفها ويحترمها. كما أن بيج بيل سوف يحدثهم عن أحد المتاريس الأخرى بنفس درجة الصوت والنبرة التى تحكى بها لاماجا لجريجوروفيوس طفولتها فى مونتفيديو، غير أن بيج بيل يحكى دون مرارة :

قالوا إذا ماكنت أبيض فهذا جيد	They said if you white, you all right.
وإذا ماكنت أسمَر فابق هنا	If you brown, stick aroun',
لكن لما كنت أســوداً	But as you black Mm,

15

mm, brother, get back, get back, get back.

إذن، إذن، فعليك بالتراجع، بالتراجع، بالتراجع

– أعرف أنه لايجنى المرء طائلا من وراء ذلك – قال جريجوروفيوس – فالذكريات لاتفيد إلا الماضى الأقل أهمية.

– قالت لاماجا :

– نعم، لن يجنى المرء شيئا.

– لهذا السبب، فإذا ماكنت قد طلبت منك أن تحدثينى عن مونتفيديو فهو لأنك بالنسبة لى تبدين كأنك ملكة فى ورق الكوتشينة، أراك من الوجه لكن بلا خلفية. وأقول لك هذا حتى تفهيمننى.

– ومونتفيديو هى الخلفية ... ترّهات، ترّهات، ترهات. ماذا تعنى سيادتك بالزمن القديم؟ الأمر بالنسبة لى يعنى كل ماحدث لى حتى ليلة الأمس.

– قال جريجوروفيوس :

– هذا أفضل، أنت الآن ملكة ،لكن ليس فى ورق اللعب.

– هذا بالنسبة لى لايعنى منذ وقت طويل. يعنى بعيد، شديد البعد، لكن ليس منذ وقت طويل. إنك تعرف يا أوراثيو جيدا المناطق المسقوفة فى ميدان إندبندينثيا، فى ذلك الميدان الحزين الملئ بالشوايات. من المؤكد أنه كان هناك اغتيال، كما أن الباعة يعلنون عن الصحيفة اليومية وهم فى هذه السقيفة.

– قال أوراثيو :

– وكذلك ورق اليانصيب وكافة الجوائز.

– إنها والسياسة وكرة والقدم و...

– إنه البخار الناجم عن الجرى، والشراب الكحولى آنكاب Ancap واللون المحلى.

– قال جريجوروفيوس :

– لابد وأن الأمر غريب

وضع نفسه بشكل يغطى به على نظرات أوليڤيرا ويبقى وحده مع لاماجا التى كانت تنظر إلى الشموع وتتابع الإيقاع بقدمها.

– قالت لاماجا :

– لم يكن هناك وقت فى موبنيڤيديو فى ذلك الحين، كنا نعيش بالقرب من النهر فى

15

منزل كبير به حوش داخلي مكشوف. كان عمري دوما ثلاثة عشر عاما. أتذكر ذلك جيدا - السماء صافية، وثلاثة عشر عاما من العمر، ومُدَّرسة المرحلة الخامسة والحول الذى بها. وذات يوم أحببت شابا أشقرا كان يبيع الصحف فى الميدان. كانت له طريقة خاصة فى نطق كلمة «صحافة» تجعلنى أشعر بوجود فراغ هنا .... كان يرتدى بنطلونات طويلة، لكن عمره لم يتجاوز الاثنى عشر عاما. لم يكن والدى يعمل، وكان يقضى فترة مابعد الظهيرة وهو يتناول الشاى فى البهو. فقدت أميّ عندما بلغت الخامسة من العمر، وربتنى بعض العمات اللاتى انتقلن إلى الريف بعد ذلك. وعندما كنت فى الثالثة عشرة من العمر كنا أنا ووالدى وحيدين فى المنزل. كان كأنه دير صغير وليس منزلا. كان هناك إيطالى وامرأتان مسنتان ورجل أسود يعيش مع زوجته؛ حيث كانا يتشاجران أثناء الليل، وبعد ذلك يعزفان على الجيتار ويغنيان. كانت عينا الرجل الأسود ملونتان وفمه مبلل دائما. كنت أشعر ببعض القرف منهما وأفضل اللعب فى الشارع. وإذا مارآنى والدى على هذا الحال كان يجعلنى أدخل المنزل ويضربنى. وذات يوم وبينما كان يضربنى رأيت الأسود وهويتجسّس علينا من خلال الباب الموارب. لم ألاحظ مايحدث فى البداية، إذ ظهر كأنه يحك فخذه ويفعل شيئا بيده .... كان والدى منهمكا للغاية وهو يضربنى بالحزام. من الغريب أن يفقد الإنسان براءته فجأة دون أن يعرف أنه دخل مرحلة أخرى فى الحياة. فى تلك الليلة قام الأسود وزوجته السوداء بالغناء فى المطبخ حتى ساعة متأخرة. كنت فى حجرتى وقد بكيت كثيرا لدرجة أننى شعرت بعطش شديد لكنى لم أشأ الخروج. كان والدى يتناول الشاى على الباب. كان الجو شديد الحرارة ولايمكنك أن تدرك ذلك فكلكم أيها السادة من بلاد باردة. إنها الرطوبة وخاصة عندما تكون بالقرب من النهر. يبدو أن الأمر أسوأ فى بوينوس أيرس، يقول أوراثيو إنه أسوأ بكثير. أنا لست أدرى. فى تلك الليلة كنت أشعر أن الملابس التصقت بجسدى؛ والجميع يتناول الشاى بكثرة. خرجت مرتين أو ثلاث مرات لأشرب من الصنبور الذى كان فى الحوش مثبتا بين نبات المالبون. بدا لى أن مياه هذا الصنبور أكثر برودة لم تكن ترى أى نجمة، كما أن رائحة المالبون كانت فظّة. إنها نباتات غليظة لكنها جميلة، عليك أن تداعب بيدك ورقة من أوراق المالبون. آطفأت الحجرات الأخرى نورها. كان والدى قد ذهب إلى حانة راموس الأعور. أدخلت الكرسى والشاى والغلاية الفارغة؛ فقد كان يترك كل ذلك دائما على الباب، ويمكن أن

15

يسرقها أحد أفراد الجوار. أتذكر أننى عندما عبرت الحوش كان القمر قد بزغ ويرى جزء منه فتوقفت لأنظر. القمر دائما يشعرنى بالبرودة. كنت أومن بتلك الأشياء. كان عمرى ثلاثة عشره عاما لا أكثر. ثم شربت بعد ذلك من الصنبور وعدت إلى حجرتى التى كانت فى الدور العلوى. فصعدت سلما حديديا أصبت عليه بالتواء فى عقبى عندما كنت فى التاسعة. وعندما أخذت فى إشعال الشمعة الموجودة على الكومودينو امتدت يد ساخنة وأمسكت بكتفى. وشعرت أنها تغلق الباب بينما تقوم يد أخرى بإغلاق فمى وأخذت أشعر برائحة تنفس الأسود الذى كان يتحسس جسدى ويقول لى أشياء فى أذنى ويلعق وجهى وينتزع ملابسى، ولم أتمكن من فعل شئ حتي مجرّد الاستغاثة، ذلك أننى كنت أعرف أنه سوف يقتلنى إذا ماصرخت وأنا لا أريد أن يقتلونى، فأى شئ أهون من القتل والموت الذى هو الحماقة الكبرى. لماذا تنظر إلىّ بهذا الشكل يا أوراثيو؟ إننى أقصّ عليه كيف اغتصبنى الأسود الذى كان يسكن فى الدير. إن جريجوروفيوس يرغب فى معرفة كيف كانت حالى فى أوروجواى.

– قال أوليڤيرا :

– عليك أن تقصىّ ذلك بكل التفاصيل.

– قال جريجوروفيوس :

– يكفى أن تكون لدىّ فكرة عامة.

– قال أوليڤيرا :

– لاتوجد أفكار عامة.

(– 120)

16

عندما غادر الحجرة كان الفجر قد اقترب .أما أنا فلم أكن أعرف كيف أبكى.

– قالت بابس :

– هذا القذر .

– قال إيتين :

– أوه. تستحق ماجا عن جدارة هذا التكريم، والشئ الوحيد المثير للفضول كالعادة هو الطلاق الشيطانى فى الشكل والمحتوى. ففى كل ماتحكيه هو نفس مايحدث بين العشاق بغض النظر عن المقاومة الضعيفة والعدوانية القليلة.

– قال أوليفيرا :

– الفصل الثامن، القسم الرابع – الفقرة أ– دار نشر Presses Universitaires Françaises.

– قال إيتين :

– أسكتْ.

– قال رونالد :

– باختصار هل الوقت مناسب للاستماع إلى شئ مثل تسجيل Hot and Both-ered[1].

– قال أوليفيرا وهو يملأ كوبه :

– إنه عنوان مناسب لمثل تلك الذكريات، كان الأسود شجاعا.

– قال جريجوروفيوس :

– ليس هذا مجالا للسخرية

– أنت الذى بدأت ياصديقى.

– إنك سكران يا أوراثيو.

– هذا أكيد، إنها اللحظة الكبرى، ساعة البصيرة. أيتها الفتاة لابد لك أن تبحثى عن عمل فى مصحة لأمراض الشيخوخة. انظرى إلى أوسيب. إن ذكرياتك الحميمة جعلته يصغر عشرين سنة على الأقل.

– قالت لاماجا حنقة :

– هو الذى طلب ذلك وعليه ألا يقول الآن أن هذا لايعجبه. أعطنى المزيد من الفودكا يا أوراثيو.

16

لكن لم يبدُ على أوليفيرا أنه كان مستعدا لمزيد من التدخل بين لاماجا وجريجوروفيوس الذى كان يغمغم بتفسيرات لاتكاد تسمع. بينما كان صوت يونج يسمع بوضوح أكثر وهو يعرض إعداد القهوة. لابد أن تكون ساخنة جدا وقوية، وهذا سرّ تمّ تعلمه فى كازينو منتون Menton. أقر النادى الاقتراح بالإجماع. تصفيق. وبشغف قبل رونالد تيكيت إحدى الأسطوانات، وضعها على الجهاز الذى يعمل وقرّب منها الإبرة بشكل مهيب. وفى لحظة سيطر إلينجتون عليهم جميعا Ellington بالإيقاع الشعبى الشهير للنفير، بينما دخل بيبى كوكس Baby Cox بنعومة ثم أنعم منها كان جونى هودجس Johnny Hodges فى تصاعد الإيقاع el crescendo (لكن الإيقاع كان قد أخذ فى التصلب بعد مرور ثلاثين عاما. إنه نمر عجوز رغم أنه قرن حتى الآن) بين riffs وحرة فى الوقت ذاته، إنه معجزة صغيرة وصعبة :«أنا أغنى إذن أنا موجود». اتكأ على البطانية السميكة، وأخذ يتطلع إلى الشموع الخضراء من خلال كأس الفودكا (كنا سنرى لنشاهد الأسماك على رصيف كواى دى ميجيسير Quai de la Mégisserie) وكان من البساطة التفكير فى أن ماقد يسمىّ بالواقع قد تنطبق عليه الجملة التالية التى يعبر فيها الدوق Duke عن استخفافه «لاتغنى أى شئ إلا إذا كانت هذه الرقصة»، لكن لماذا توقفت يد جريجوروفيوس عن مداعبة شعر لاماجا، هاهو المسكين أوسيب لايدرى ماذا يقول وقد اعتراه حزن عميق لكشف خبايا الماضى. كان من المؤلم أن اعترته حالة التصلب فى هذا الجو: حيث تساعد الموسيقى على كسر المقاومة وتسيطر وكأنها تنفّس مشترك، والسلام الذى يملأ قلبا واحدا ضخما ينبض من أجل الجميع ويتولى مسئولية الجميع. والآن هناك صوت منكسر قادم من أسطوانة متهالكة يفتح لنفسه مكانا ويحاول أن يطرح الدعوة القديمة لعصر النهضة، والخمريات الحزينة القديمة و«لنحيا الحاضر» شيكاغو عام **1929**م.

You so beautiful but you gotta die some day,
You so beautiful but you gotta die some day,
All I want's a little lovin' before you pass away.

أنت جميلة جمالا أخاذا، لكن ستموتين يوما ما
أنت جميلة جمالا أخاذا، لكن ستموتين يوما ما
كل ما أريده هو بعض الحب قبل أن تموتى.

16

من حين لآخر يحدث أن تتوافق كلمات الأموات مع مايفكر فيه الأحياء (إذا ماكان هناك من كانوا يعيشون والآخرون موتى). «أنت جميلة جمالا أخاذا». أنا لا أريد أن أموت دون أن أفهم السبب فى مجيئى إلى الوجود. إنه الـ bleus ورينيه دومال R.Daumal، أوراثيو أوليڤيرا، لكنك ستموتين يوما ما» «أنت جميلة جمالا أخاذا»، ولهذا كان جريجوروفيوس يلح على معرفة الماضى الخاص بـ لاماجا، حتى يموت بشكل أقل من هذا الموت نحو الوراء الذى هو عبارة عن الجهل بالأشياء التى يجرفها الزمن. وتثبيتها فى زمنها، «ستموتين يوما ما» «أنت جميلة جمالا أخاذا» حتى لايعشق شبحا يتركه ليداعب شعره تحت الضوء الأخضر. مسكين يا أوسيب. هاهى الليلة تنتهى نهاية سيئة بعد أن كان كل شئ رائعا. وكذا حذاء جوى مونود but you gotta die some day والزنجى إيونيو (وبعد أن تستعيد لاماجا ثقتها سوف يحدث مايتعلق بـ ليد بسما، والرجال الذين لاقوها ليلة الكرنفال والأسطورة الكاملة فى مونتفيديو) وفجأة نجد خطوة فى الصميم إذ يظهر إيريل هاينز[٢] Earl Hines الذى كان يعرض تنويعة أخرى من «ليس لى أحد»، لدرجة أن بيريكو الذى كان منهمكا فى قراءة بعيدة عن الجو العام رفع رأسه مستنداً إلى فخذ جريجوروفيوس، وكان ينظر إلى الباركيه والسجادة التركية ونبات أحمر يتوه فى الأصيص وكوبا فارغا إلى جوار قائم ترابيزة. كانت تريد التدخين لكنها لن تطلب من جريجوروفيوس سيجارة، دون أن تعرف السبب فى رفضها ذلك، ولن تطلب ذلك من أوراثيو لكنها كانت تعرف السبب فى أنها تطلب من أوراثيو، لم تكن تريد أن تنظر إلى عينيه فسوف يعود للضحك من جديد انتقاما من التصاقها بجريجوروفيوس، وأنها لم تقترب منه طوال الليلة. كانت تشعر بعدم الحماية وأخذت تراودها أفكار عليا، وبعض أبيات الشعر التى تنتحلها حتى تشعر أنها ليست بمعزل، فمن ناحية «ليس لى أحد ولا أحد يهتم بى»، فهذا ليس حقيقيا ذلك أن هناك اثنين على الأقل من الحاضرين قد اعتراهما الحزن بسببها بالإضافة إلى بيت من الشعر للشاعر الفرنسى بيرس[٣] Perse الذى يقول «أنت هنا ياجى وأنا ليس أمامى أحد ألجأ إليه إلا أنت، حيث كانت لاماجا تختبئ وتحتضن الصوت» أنت هناك ياحبى، كما أن القبول الواهن بالحتمية التى تتطلب إغماض العينين والشعور بالجسد على أنه قربان، وكأنه شئ يمكن لأى واحد أن يأخذه ويلطخه ويرفع من قيمته مثل إيرنيو، وأن موسيقى هاينز تتوافق مع البقع الحمراء والزرقاء التى كانت تتراقص على أهدابها وتتنادى دون

16

أن يعرف السبب. ڤولانى، إلى اليسار ڤولانا (ولا أحد يهتم بى) وتدور بجنون، إلى أعلى ڤولانى، وتظل ساكنة كأنها نجمة ذات لون أزرق يشبه ألوان بييرو فرانشيسكا[٤] Pierodellafrancesca و«لاملجأ لى إلا أنت»، فولانا وڤولانى، لايمكن لرونالد أن يعزف على البيانو مثل إيريل هاينز. و فى الحقيقة يجب أن يكون لديها هى وأوراثيو هذه الأسطوانة للاستماع إليها ليلا فى ظلمة الحجرة وتعلّم حب بعضهما البعض باستخدام تلك الجمل وهذه المداعبات الممتدة والعصبية «ليس لى أحد» على الظهر وعلى الأكتاف والأصابع والقفا وإدخال الأظافر فى الشعر ثم إخراجها من جديد لكن رويدا رويدا، ثم يعقب ذلك زوبعة وڤولانى تندمج مع ڤولانا «أنت هناك ياحبى مع «ولا أحد يهتم بى» كان أوراثيو هناك، لكن لم يعن بها أحد ولم يقم أحد بمداعبة رأسها. لقد اختفت ڤالين وڤولانا كما كانت أهدابها تؤلمها، لأنها تغمض عينيها بقوة. كان يسمع صوت رونالد وهو يتحدث ورائحة قهوة، إنها رائحة رائعة للقهوة. ياعزيزى وونج، وونج، وونج، وونج.

اعتدلت فى جلستها وهى تغمض عينيها وتفتحهما. نظرت إلى جريجوروفيوس الذى بدا وكأنه فقد شيئا من قدره وأصبح قذرا. هناك من قدمّ له فنجانا.

(– 137)

17

– قالت لاماجا :
- لا أحب الحديث عنه لمجرد الكلام.
– قال جريجوروفيوس :
– حسن كنت أسأل فقط.
– يمكن أن أتحدث عن شئ آخر إذا ماكنت تريدنى أن أتكلم.
– لاتكونى سيئة.
– قالت لاماجا :
– إن أوراثيو مثل حلوى الأقوكاتو.
– ماهى حلوى الأقوكاتو ؟
– أوراثيو هو مثل كوب ماء وسط العاصفة.
– قال جريجوروفيوس:
– آه لابد وأنه ولد فى تلك الفترة التى تتحدث عنها مدام ليونى عندما تلعب الخمر برأسها قليلا! إنه زمن لم يشعر أحد فيه بالسكينة، كانت الخيول تجرّ الترام والحروب تدور فى الحقول. ولم يكن هناك علاج للأرق كما تقول مدام ليونى.
– قال جريجوروفيوس :
– إنه العصر الذهبى الجميل فى أوديسا Odessa حدثونى أيضا عن أزمنة من ذلك النوع. كانت أمى رومانسية تسدل شعرها ... يذرعون الأناناس فى الشرفات، وفى أثناء الليل لم يكن هناك حاجة لاستخدام الأوانى المخصصة للبصق. كان الزمن غير عادى. لكننى لست أرى أوراثيو فى إطار غذاء ملكات النحل هذا.
– ولا أنا. لكن ربما كان أقل حزنا. إن كل شئ هنا يؤلمه بما فى ذلك الأسبرين. فى الحقيقة جعلته يتناول حبة من الأسبرين فى الليلة الماضية بسبب ألم فى أضراسه فأمسك بها وأخذ ينظر إليها، وتكلف الكثير من الوقت فى اتخاذ قرار بلعها. قال لى أشياء غريبة منها أنه مما ينقل العدوى تناول أشياء لايعرفها المرء جيدا، وهى الأشياء التى اخترعها آخرون لتهدئة أشياء أخرى غير معروفة .... أنت تعرفه جيدا عندما يأخذ فى تقليب الأمور على أكثر من وجه.
– قال جريجوروفيوس :
– لقد كررت كثيرا كلمة «شئ» ليس هذا لطيفا، ومع ذلك يوضح جيدا ما الذى يحدث لأوراثيو. إنه ضحية الانغلاق، وهذا بديهى.
– قالت لاماجا :
– ومامعنى الانغلاق؟
– إنه ذلك الإحساس غير المريح الذى يتولد من أنه عندما ينتهى الغرور يبدأ

17

العقاب. أنا متأسف لاستخدام لغة فيها تجريد ومجاز. لكنى أريد أن أقول إن أوليڤيرا لديه حساسية شديدة - من الناحية الباثوليچية - ضد أى شئ يفرض عليه مما حوله، ومن العالم الذى يعيش فيه ومن أى شئ صادفه، وأقول ذلك مستخدما عبارات لطيفة. ويمكن قول ذلك فى كلمة واحدة، تزعجه الظروف. وبإيجاز أكثر العالم يؤلمه. لقد شككتِ فى ذلك يالوثيا وببراءة عذبة تتصورين أن أوليڤيرا سوف يكون أكثر سعادة فى أى واحدة من الأركادياس الصغيرة Las Arcadéas التى تصنعها مدام ليونى ومن هن على شاكلتها فى هذا العالم. هذا دون الحديث عن أمى، أم الأوديسا Odessa. أعتقد أنك لم تصدقى حكاية الأناناس،

- قالت لاماجا :

- ولاحتى أوانى البصق من الصعب تصديق ذلك.

عنّ لجوى مونود الاستيقاظ عندما كان كل من رونالد وإيتين يتفقان على الاستماع إلى جيلى رول مورتون(١) Jelly Roll Morton. وفتح إحدى عينيه وقرر بأن هذا الظهر الذى يحجب ضوء الشموع هو ظهر جريجوروفيوس. أصابته رعشة عنيفة، فالشموع الخضراء التى تُرى من عند السرير أحدثت لديه انطباعا سيئا، كما أن المطر الذى يتساقط على المنور، يختلط، بشكل غريب، ببقايا صور حلم، إذ كان يحلم أنه فى مكان غريب لكنه مشمس؛ حيث كانت جابى تسير عريانة، وتلقى بلبابة الخبز لبعض الحمام الكبير وكأنه بط قد اعترته البلاهة. «أعانى من الصداع» قال جوى لنفسه. لم يبد أى اهتمام بالمغنى جيلى رول مورتون. رغم أنه كان مسليا الإنصات إلى صوت المطر فى المنور، بينما كان جيلى رول يتغنى بهذه الكلمات «توقف عند الناصية وقد ابتل حذاؤه ودخلت المياه إلى قدميه» ومن المؤكد أن وونج قد كوّن على الفور نظرية تتعلق بالزمن الفعلى والزمن الشعرى، لكن هل حقيقى أو وونج تحدث عن إعداد قهوة؟ بينما جابى تلقى بلباب الخبز للحمام، بينما وونج يدخل بصوته، بين ساقى جابى وهى عريانة فى حديقة مليئة بالزهور العنيفة، قائلا : «هناك سرّ تعلمته فى كازينو مينتون» ومن المحتمل جدا أن يهل علينا وونج وهو يحمل ماكينة القهوة مليئة عن آخرها.

كان جيلى رول يعزف على البيانو محددا الإيقاع بنعومة باستخدام حذائه، وذلك لعدم وجود أى آلة إيقاعية. كان يمكن لجيلى رول غناء Mamie's Blues وقد اتكأ إلى الخلف قليلا على شيزلونج، بينما عيناه مثبتتان فى هيكل فى السماء الصافية أو ربما

17

كانت ذبابة تروح وتغدو فوق عينى جيلى رول. كانت الحياة على هذا المنوال، قطارات تروح وتغدو محملة بالمسافرين، بينما يبقى المرء على الناصية ورجلاه مبتلتان، وفى الوقت نفسه يستمع إلى بيانو يعمل ميكانيكيا وإلى ضحكات مجلجلة تداعب الفترينات الصفراء فى الصالة حيث لايتوفرّ المال دائما للحصول على تذكرة الدخول «لقد أخذ منى حبى». لقد ركبت بابس الكثير من القطارات على مدار حياتها. إذ يطيب لها السفر بالقطار خاصة إذا ماكان هناك صديق فى انتظارها وفيما إذا ماكان رونالد يتحسس فخذها بيده بعذوبه مثلما هو الحال الآن، ويرسم لها الموسيقى على جلدها. «اثنين – تسعة عشر، لقد أخذ منى حبى»، ومن المؤكد أن هناك قطارا آخر سوف يأتى بها فى رحلة العودة، لكن من يدرى فيما إذا كان جيلى رول سيكون على ذلك الرصيف وجالسا إلى ذلك البيانو وفى تلك الساعة التى غنى فيها الخاصة Mamie Desdume، والمطر الذى يتساقط على مَنْور فى باريس فى الواحدة صباحا والأقدام المبللة وفتاة الليل التى تغمغم بـ «إذا لم تستطع أن تعطينى دولاراً فأعطنى سنتيمًا لعينًا». وقد قالت بابس كلمات مثل هذه فى ثينثيناتى Cincinati. كما أن كل النساء قلن أشياء مثل هذه ذات مرة وفى مكان ما بما فى ذلك على فراش الملوك. كانت لدى بابس فكرة خاصة جدا عن أسرة الملوك، وعلى أى الأحوال فإن امرأة ما قالت عبارة مثل هذه «إذا لم تستطع أن تعطينى مليون دولار فأعطنى الورقة الملعونة ذات الألف دولار» إنها مسألة نسبية، ولماذا كان عزف جيلى رول على البيانو حزينا، وكأنه ذلك المطر الذى أيقظ جوى ودفع بـ لاماجا للبكاء، كما أن وونج لم يظهر ومعه القهوة.

– قال إيتين وهو يتنهّد :

– طفّ الصاع، وأنا لا أدرى كيف يمكن لى تحمل تلك القذارة: إنه مثير لكنها قذارة.

– إنه ليس ميدالية لبيسانيلّو(٢) Pisanello– قال أوليڤيرا .

– كما أنه ليس قنبلة من قنابل شوينبرج(٣) Schoenberg– قال رونالد – لماذا طلبته منى؟ إنك تفتقر إلى الذكاء والشفقة. هل حدث لك ذات مرة أن كانت قدماك فى المياة فى منتصف الليل؟ حدث ذلك لجيلى رول؟ وهذا يُرَى عندما يغنى، إنه شئ معروف أيها العجوز.

– قال إيتين :

17

– إننى أرسم بشكل أفضل عندما تكون قدماى حافيتين وعليك ألا تقول لى حججا خاصة بـ Salvatien Army. ومن المستحسن أن تضع شيئا أكثر ذكاء مثل سولات سونى رولنز[٤] Sonny Rollins. والأنماط الإنسانية لمنطقة الشاطئ الغربى تدفعنا – على الأقل – للتفكير فى جاكسون بولوك[٥] Jackson Pa llock أو توبى[٦] Tobey. وسوف نرى أنهما انتقلا من عصر البيانولا وصندوق الدنيا.

– قال أوليفيرا وهو يتثاءب :

– إنه قادر على الاعتقاد بتقدم الفن، لاتُعِرْهُ اهتماما يارونالد. وعليك أن تخرج بيدك غير المشغولة بشئ، أسطوانة أغنية[٧] Stack O'Lee Blues إذ بها سولو على البيانو أعتبره جديراً بالاستماع إليه.

– قال إيتين :

– فيما يتعلق بتطور الفن فما ذلك إلا أكاذيب جد معروفة لكن فى موسيقى الچاز يوجد عدد كبير ممن يمارسون الابتزاز شأن أى نوع من أنواع الفنون. فهناك فارق بيِّنًا للموسيقى التى يمكن ترجمتها فى شكل انفعال ما. وهناك انفعالات تود لو تتحول إلى موسيقى. إنه ألم أبوى وضحكة ساخرة ذات لون أصفر وبنفسجى وأسود. لايابنى إن الفن يبدأ مما وراء هذا وذاك، لكن غير ذلك على الإطلاق.

لم يبد على أحد من الحاضرين الاستعداد لمقارعته ذلك أن وونج ظهر وهو يحمل القهوة، بينما رونالد يهز كتفيه وكان قد وضع الأسطوانة الخاصة بـ وارين بنسلفانيا Waring's Pensasylvanians ومن خلال صرير رهيب كان يصل الصوت الذى يسعد أوليفيرا. إنه صوت نفير ولايعرف من يعزفه ثم البيانو بعد ذلك؛ يصل كل هذا من خلال دخان فونوغراف قديم وتسجيل غير سليم وأوركسترا من النوع العادى، وكان ذلك سابقا على موسيقى الچاز، أى على هذه الأسطوانات القديمة، ومن خلال الاستعراضات فى المراكب وليالى Storyville نشأت الموسيقى العالمية الوحيدة فى هذا القرن وهى شئ يقرب بين بنى الإنسان بشكل أقوى وأفضل من لغة الأسبرانتو ومن منظمة اليونسكو ومن الخطوط الجوية. إنها موسيقى بدائية جدا لدرجة أنها تبعد عن الدخول فى مصاف العالمية، لكنها جيدة جدا لتقص حكايتها من خلال رفضها وإنكارها والشارلستون وخروجها على الدين وغناءها blues ورقصاتها Stamp و Fox-hat و Shimmy، الأمر الذى جعل من الممكن تصنيفها وتبويبها وتمييز هذا الأسلوب من

17

ذاك مثل الـ Swing والـ bebop والـ cool، إنها عملية ذهاب وإياب من وإلى الرومانسية والكلاسيكية، الجاز الدماغى الساخن، إنها الموسيقى - الإنسان، إنها موسيقى لها تاريخ وتختلف عن الموسيقى الحيوانية البلهاء الخاصة بالرقص مثل الـ polk والفالس والسامبا. إنها موسيقى تهئ الجو للتعارف والاحترام المتبادل سواء كنت فى كوبنهاجن أو ميندوثا أو رأس الرجاء الصالح. هى التى كانت تقرب الشباب الصغير من بعضهم البعض وهم يحملون أسطواناتهم تحت إبطهم وتجعل لهم ملامح وإيقاعا، وكأن ذلك شفرة للتعارف والتقارب، وأن يشعر المرء بأنه أقل عزلة بعد أن أحاط به كل من رؤساء المكتب والأسر والحب المرّ. إنها موسيقى تسمح بكافة التخيلات والأمزجة وجمع الأسطوانات طراز 78 المتهالكة التى تتضمن عزف فريدى كيبارد(٨) Freddie Keppard أوبونك جونسون(٩) Bunk Johnson والرجعية المتميزة والرجعية المتميزة لديكسى لاند Dixieland والتخصص الأكاديمى فى بيكس بيدربيك Bix Beiderbecke أو القفز نحو المغامرة الكبرى لثيولينوس موتك(١٠) Thelonis Monk وهوراس سيلفر(١١) Horas Silver أو تيد جون Thad Jones أو تكلّف إيرول جارنر Errol garner أو آرت تاتوم(١٢) Art ta-tum، هناك التوبة والجحود والشغف بالمجموعات الصغيرة والتسجيلات الغريبة تحت اسم مستعار ومسميات فرضتها ماركات صناعة الأسطوانات، أو ما عنَّ للقائمين على الأمر - كل هذا الخليط كان يتم الاستماع إليه يوم السبت ليلا فى حجرة الطابعة أو فى البدروم الخاص بالشلّة حيث تفضّل الفتيات الرقص وهن يستمعن إلى ستار دوست(١٣) "Star Dust" When your man is going to put you down وتفوح منهن بعذوبة وبطء رائحة الكولونيات والبرفانات ورائحة الجلد والحرّ وتسمعن بقبلة عندما يتأخر الوقت، هناك من قام بوضع أسطوانة The blues with a feeling فلم يعد يرقص أحد. لقد توقف الجميع وهم يميلون يمنة ويسرة ويتحول كل شئ إلى قذارة وسفالة، ويودّ كل رجل لو انتزع هذا الصديرى الدافئ بينما تقوم اليدان بمداعبة الظهر، أما الفتيات فقد فتحن أفواههن بعض الشئ وأخذن يسلمن أنفسهن لذلك الخوف اللذيذ والليل، وعندئذ يصعد صوت النفير الذى يملك عليهن لبهن من خلال الرجال، ويأخذهن من خلال جملة واحدة ساخنة تجعلهن يسقطن كل واحدة بين ذراعى رفيقها وكأنهن شجرة قطعت للتو، وهناك سباق لايتحرك وقفزة فى هواء الليل على المدينة ويظل الأمر كذلك حتى يظهر صوت بيانو يعيدهن إلى وعيهن وقد فقدن طاقتهن، وأصبحن فى حالة هدوء وهن

17

لازلن عذراوات حتى السبت التالى. كل ذلك من خلال موسيقى تفزع أصحاب القفا المفضض، وهؤلاء الذين يؤمنون بأن لاشئ حقيقى إلا إذا كان هناك برنامج مطبوع وترتيبات مسبقة، وهكذا يمضى العالم بينما موسيقى الجاز ليست إلا عصفورا يهاجر أو ينتقل أويرتحل أو يقفز فوق الحواجز ويخدع نقاط التفتيش الجمركى، إنه شئ يجرى وينتشر، وهذه الليلة فى فينا نجد إيلا فيتزجيرالد[١٤] Ella Fitzgerald تغنى، بينما كينى كلارك Kenny Clarke يفتح فى باريس كهفًا Cave. أما فى بربيجنان Perpignan فتلعب أصابع أوسكار بيترسون[١٥] Oscar Peterson هناك Satchmo فى كل مكان قد سكن القلوب فى كل من وارسو وبرمنجهام وميلان وبوينوس أيرس وجنيف وفى العالم أجمع وذلك بفضل موهبة أعطاها له الله. إنه المطر والخبز والملح، إنه شئ يختلف تماما عن الطقوس الوطنية والتقاليد التى لايمكن كسرها واللغات والفلكلور : إنه سحابة لاتعرف الحدود وجاسوس الهواء والماء، إنه نموذج فريد، إنه من الماضى، ومن أسفل، يسهم فى إحداث مصالحة بين المكسيكيين وأهالى النرويج والروس والأسبان ويعيد ضمهم إلى النار المركزية المظلمة المنسّية. إنه أبله وسيئ ويعيدهم إلى جذور تمت خيانتها، إنه يشير إليهم قائلا بأنه ربما كانت هناك طرق أخرى، وأن الطريق الذى بدأوا السير فيه لم يكن الوحيد كما لم يكن أفضل الطرق. أو ربما كانت هناك طرق أخرى، وأن ما اختاروه هو الأفضل، أو ربما كانت هناك طرق ممتعة فى السير ولم يسيروا فيها أو ساروا فيها حتى المنتصف، وأن الإنسان دائما يعلو دائما على مجرد كونه إنسانا ودائما أقل من كونه إنسانا، أو أكبر من كونه إنسانا؛ ذلك أن فى داخله ذلك الذى تشير إليه موسيقى الجاز وتركز عليه وتعلن عنه. وهو أقل من كونه إنسانا إذ إنه من خلال هذه الحرية استطاع القيام بلعبة جمالية أو أخلاقية، وصنع قاعدة الشطرنج واحتفظ لنفسه بدور الفيل أو الحصان، إنه نوع من تعريف الحرية يتم تدريسه فى المدارس خاصة فى المدارس التى لم ولن يدرس فيها للأطفال أول إيقاع ragtime وأول جملة فى الـ blues ... إلخ.

يمكن لى الجلوس فى هذا المكان والتفكير على بعد ألف ميل
يمكن لى الجلوس فى هذا المكان والتفكير على بعد ألف ميل
لايمكن لى تذكر الآخر منذ أن حلّ بى الحزن.
(– 97)

18

لم يكن يكسب شيئـا من وراء تساؤلاته حول مـاالذى يفعله هناك فى مثل هذه الساعة ومع هؤلاء الناس، هؤلاء الأصدقاء الأعزاء غير المعروفين سواء فى أمسهم أو غدهم، هؤلاء الناس الذين ليسوا إلا عرضا بسيطا فى المكان والزمان. بابس ورونالد وأوسيب وچيلى رول وأختاتون : أى فارق بينهم؟ إنها نفس الظلال التى تعكسها نفس الشموع الخضراء. إنها حالة السُكْر فى أعلى درجاتها. إنها الفودكا غير الأصليّة حادة القوة. آه لو كان ممكنا التفكير فى استنتاج لكل ذلك وفهم النادى، وفهم «العربة الباردة» وفهم حب لاماجا وفهم كل خيط من خيوط العرائس والسير وراء هذه الخيوط وصولا إلى الأصابع وإدْراك كل عروسة أو كل محّرك للعرائس، وكأننا فى عيد الغطاس. فَهْم كل ذلك لا على أساس أنه رمز لواقع لايمكن بلوغه بل على أساس أنها قوة داعمة (أى لغة تستخدم وأية قلة حياء)، أو مماثلة لحظ البداية فى مسابقة كان يجب الدخول فيها فى هذه اللحظة، بأن يخرج الإنسان من الجلد السميك للبطانية الدافئة والتى تشم لها رائحة طيبة وقوية لدرجة يخشى المرء معها الخروج إلى بسطة السلم والهبوط بمفرده والخروج إلى الشارع وحده، وأن يبدأ المشى، المشى وحده، حتى يبلغ الناصية،الناصية وحدها. والوصول إلى مقهى ماكس، ماكس وحده، وعمود الإنارة الكائن فى شارع بليتشاس Bellechasse؛ حيث ... حيث كان وحده، وربما ابتداء من هذه اللحظة.

لكن كل شئ فى إطار ميتا - فيز - يقى؛ ذلك أن أوراثيو، الكلمات ... أى أن الكلمات بالنسبة لأوراثيو ... (يالها من قضية تم التعرض لها كثيرا فى لحظات الأرق). أن يأخذ لاماجا من يدها، تحت المطر وكأنه دخان السيجارة، وهى شئ يُشكّل جزءا من المرء تحت المطر. العودة لممارسة الحب معها، لكن من أجلها بعض الشئ وليس لتعلم الإعراض السهل أو النفور الذى ربما يكون غطاء لعدم جدوى الجهد، والسخف الذى يساعد على تعلّم علم الجبْر فى جامعة لاهدف لها، خصصت لكلاب عالة أو بنات ضباط الجيش. أخذت خيوط الفجر تضرب فى المنْور، إنه الوجه الحزين جداً لـ لاماجا وهى تنظر إلى جريجوروفيوس وهو ينظر إليها Struthin' with some barbecue.

وبابس التى عادت تبكى من جديد من أجلها وقد جلست خلف رونالد الذى لم يكن

18

يبكى، لكن كان وجهه مغطى بالدخان الذى بدا وكأنه التصق به والفودكا التى تحوّلت إلى هالة تشبه هالات القديسين، هذا هو بيريكو الشبح من أمريكا اللاتينية وقد صعد على كرسى بلا مسند للظهر أو اليدين كرمز للاستخفاف والأسلوبية المبتذلة. آه لو كان كل ذلك قابلا للاستنتاج، آه إذا لم يكن كل ذلك، وهو فى الواقع لم يكن إلا لكونه هناك حتى يكون أحد ما (أى فرد، أما الآن فهو، ذلك أنه كان الذى يفكر، وعلى أى الأحوال كان هو القادر على أن يعرف أنه يفكر. آه ياديكارت أيها العجوز الملعون!) حتى يكون أحد ما، من كل ذلك الذى كان هناك، قادرا على الإلحاح، وأن يعض وينهش وينتزع، لست أدرى ماذا، لكن يجب أن ينهش حتى يصل إلى العظام، ومن كل هذا قد يمكن طلاق سراح زِيزَ سلام، أو صرّار الليل، ويمكن الدخول من أى باب إلى أى جنّة، إلى جنة مجازية بالنسبة للآخرين مثلما أن الماندله Mandala مجازية بالنسبة للآخرين. ويمكن أن نقطف وردة من هذه الحديقة: هذه الزهرة يمكن أن تكون لاماجا أو بابس أو وونج، لكنها مشروحة وشارحة، وقد تم إرجاعهم إلى الأصل بخروجهم من شخصيتهم فى النادى؛ إعادتهم وخروجهم وظهورهم، ربما كان كل ذلك ليس إلا شوقا للجنة على ظهر الأرض، أو نموذجا مثاليًا للنقاء. إلا أن النقاء اليوم أصبح محصلّة لامناص منها للتبسيط، سواء طار الفيل، أو الأبراج، وقفز الحصان، وسقطت العساكر، وفى وسط رقعة الشطرنج وقف الملوك وقد أصبح حجمهم كبيرا كأنهم أفيال من فحم الأنتراسيت وقد أحيطوا بأصفى وأنقى مافى الجيش. وعند الفجر تتكسر الرماح التعسة، وسوف يعرف الحظ، وسوف يكون هناك سلام. إنه نقاء مثل النقاء فى جماع التماسيح الأمريكية، وليس النقاء الخاص بمقولة آه يامريم، يا أمى، والأقدام قذرة. إنه نقاء سقف من الحجر الأسود وعليه يقف الحمام ويلقى بروثه على السيدات وقد جنَّ جنونهن من الغيظ ومن حزَم الفجل .. نقاء ... يا أوراثيو من فضلك.

(كفى هيّا، هيّا إلى الفندق، وخذى حماما، واقرئى قصة «عذراء باريس»[1] أو قصة «إناث الذئب فى ماتشيكول»[2] وتخلصّ من هذا السّكر) النقاء. كلمة فظيعة. بوريه وبعد ذلك وقفة. تنبهى بعض الشئ. وما الفائدة التى يمكن أن يكون السيريالى بريست Bris-set قد جناها؟ لماذا تبكى؟ من يبكى؟ يجب فهم البوريه وكأنه عيد الغطاس Damn the language الإدراك. وليس البصيرة : الإدراك. إنه الشك فى فردوس يمكن استرجاعه:

18

لايمكن أن نكون هنا، حــتى لايمكن أن نكون بريست[٣]؟ Brisset. الإنســـان أصله الضفادع ... «أعمى كأنه خفاش وسكران كأنه فراشة إرهاق ملكى أمام الأبواب التى يمكن أن ...» (هناك قطعــة من الثلج فى الدمــاغ. يجب الخلود إلى النوم. مــشكلة : جونى دودس[٤] Johnny Dodds أو البدتونيكولاس؟ إنه دودس فهذا شبه أكيد. ملاحظة : اسأل رونالد) بيت من الشعر سيىء يضرب بجناحيه فى المنْور :«قبل السقوط فى بحر العدم مع آخر انبساطة للقلب ....» أى حاله سكر يا أبى. «أبواب الإحساس لـ[٥] Aldley Huxdousخذ لنفسك قطعة من مخدر المسكالينا والباقى ليس إلا فرحة غامرة وإســهال» لنكن جادين (نعم، كـان جـونى دودس وقد تأكـدت من ذلك بطريقـة غيـر مباشرة. أما ضابط الإيقاع فلا يمكن أن يكون إلا زوتى سينجلتون[٦] Zutty Singleton، أما عازف الكلارينيت فهو جونى دودس. إنه الچاز، العلم الاستنتاجى، وهذا فى غاية السهولة بعد الرابعة صباحا. غير منصوح به للسيدات) لنكن جادين. يا أوراثيو قبل أن نتهيأ ونخرج متجهين إلى الشارع فلنسـأل أنفسنا وروحنا على طرف يدنا (على طرف يدنا؟). فى وسط اللسـان، أو أى شئ من هذا القـبيل. أسـمـاء الأمـاكن، والمختـارات الوصفية، وجزءان مـُ- صَ- وّ - ران). لنسأل أنفسنا فيما إذا كان من الواجب البدء فى المهمة من أعلى أو من أسفل (لكن حسن، إننى أفكّر بوضـوح، إن الفودكا تثبت الأشياء كأنها فراشات على سطح كرتونى. أ هو أ، «إبريل هو الشهر الأكثر قسوة» كل شئ فى مكانه، وهنـاك مكان لكل وردة هـى وردة هى وردة ....) «أوف، تنبــــه لـ Jabberwocky أصاب أوراثيو المزيد من الانزلاق ورأى بوضـوح كل ماكان يريد رؤيته. لم يكن يدرى فيما إذا كان يجب البدء فى المهمة من أعلى أو من أسفل مع أنه ركّز كل حواسه، أو كما هو الحال عليه الآن، فى حالة الشتات واللاتماسك فهو منتبه إلى المنور والشموع الخضراء وإلى الوجه الحزين لـ لاماجا وإلى ما رينى Ma Rainy التى تغنى Jelly Beans Blues. أو ربما كان على ذلك الحال، أى مشتتا وواعيا للإشارات المرسلة ويمتص كأنه أسفنجة، مثله مثل كل شئ كان حوله؛ فلم يستحق منه إلا نظرة قصيرة بعينيه الحقيقتين. لم تكن حالة السكر تحول دون أن يشعر أنه فتت كل أجـزاء بيته وبداخله هو لم يعد أى شئ فى مكانه. ومع هذا - هذا حقيقى، هذا حقيقى ورائع - نجدها على الأرض أو فى السقف أو تحت السرير أو طافية، وكان هناك نجوم وقطع

18

من الخلود وقصائد هى الموسيقى ووجوه ضخمة لنساء وقطط حيث يضطرم غيظ أنواعها، وفى خليط الزبالة «وشراع من لسانه من معدن اليشم»؛ حيث الكلمات تتشكل فى ضفيرة ليل نهار، وفى معارك رهيبة للنمل ضد أم أربع وأربعين والسّب فى حالة تعايش مع أنقى إشارة للجوهر. والصورة الواضحة مع أسوأ الأفاقين. تنتصر الفوضى وتجرى فى الحجرات وعلى خصلات شعرها قد علقت عيون من زجاج وامتلأت الأيدى بورق اللعب الذى لايمكن توليفه ورسائل تنقصها التوقيعات والعنوان. وعلى الموائد كانت أطباق الشوربه تبرد، وامتلأت أرضية المنزل بالبنطلونات الملقاة وبالتفاحات الفاسدة والضمادات المتسخة. وفجأة نما وكبر كل ذلك وتحول إلى موسيقى صاخبة، كان أفظع من الصمت المخمل للبيوت المنظمة التى يعيش فيها أقرباؤه من ذوى السمعة الحسنة. ووسط هذه الفوضى حيث نجد الماضى غير قادر على العثور على زرار قميص والحاضر كان يحلق ذقنه بشقفة زجاج لعدم وجود أمواس فربما دفنت فى إحدى الأصص، وفى خضم زمن كان ينفتح كأنه دوّارة هواء على أى رياح، كان هناك رجل يتنفس حتى أصبح غير قادر على المزيد، وكان يشعر أنه يعيش حتى الجنون فى دائرة تأمل الفوضى المحيطة به، ويسأل فيما إذا كان لكل هذا معنى. إن كل فوضى لها مايبررها إذا ماكان عليها أن تخرج من الحالة التى هى عليها. وربما من خلال الجنون يمكن الوصول إلى العقلانية شريطة ألا تكون العقلانية التى يكمن خطؤها فى الجنون. «الانتقال من الفوضى إلى النظام» فكر أوليفيرا. «نعم لكن أى نظام يمكن أن يكون بحيث لايبدو بأنه الأكثر فحشا ورعبا وغير قابل للإصلاح ضمن كل حالات الفوضى؟ إن النظام عند الآلهة هو الإعصار أو اللوكيميا، والنظام عند الشعراء هو نقيض المادة، والمكان الصلب وزهور شفاه ترتعش. أى حالة سكر أنها عليها، يا أمى لابد من الخلود إلى النوم فى الحال» كانت لاماجا تبكى، واختفى جوى. أما إيتين فقد ذهب وراء بيريكو، لكن جريجوروفيوس وونج ورونالد كانوا يتأملون الأسطوانة التى تدور ببطء بسرعة **33,5** لفة/ دقيقة لا أكثر ولا أقل. وفى كل هذه الدورات كان Oscar's Blues، أوسكار بلور، ومن الواضح أن أوسكار كان يعزف على البيانو، اسمه أوسكار بيتر سون. إنه عازف بيانو بهيئة النمر والقماش المخملى، هو عازف بيانو حزين وضخم الجثة، إنه عازف على البيانو، بينما يتساقط المطر فى المنور. كل ذلك فى النهاية، أدب.

(- 153)

19

– قالت لاماجا وهى تداعب شعره :

– أعتقد أننى أفهمك إنك تبحث عن شئ لاتعرف ماهيته. كما أننى أيضا لا أعرف عنه شيئا. إلا أنهما شيئان مختلفان. ذلك الذى كانوا يتحدثون عنه فى الليلة السابقة ... نعم أنت تبدو كأنك موندريان Mondrian أما أنا وڤييرا دا سيلڤا Vieira da Silva.

– قال أوليڤيرا :

– آه، وعلى ذلك فأنا موندريان.

– نعم يا أوراثيو.

– تريدين القول إننى أتسم بالدقة.

– أنا أقول موندريان.

– ألم يخطر ببالك الشك فى أنه وراء موندريان، ذلك يمكن أن يبدأ واقعا هو ڤييرا دا سيلڤا ؟

– قالت لاماجا :

– آه بلى، لكنك لم تخرج حتى الآن من واقع موندريان، فأنت خائف، وتريد أن تكون واثقا، لست أدرى من ماذا ... إنك مثل طبيب ولست كشاعر.

– قال أوليڤيرا :

– لنترك الشعراء ولاتجعلى موندريان يقف فى وضع غير مقبول بإحداث المقارنة.

– إنه أعجوبة، لكن بدون هواء. إننى أعرف بعض الشئ فى الداخل. وعندما تبدأ فى الحديث بأنه يجب العثور على الوحدة، فإنى فى هذه اللحظة أرى أشياء جميلة، لكنها ميتة وليست إلا زهورا مجففة وأشياء من هذا القبيل.

– لنر يا لوثيا : هل تعرفين جيدا مامعنى الوحدة؟

– قالت لاماجا :

– أنا اسمى لوثيا، لكنك لايلزم عليك أن تنادينى بهذا الاسم الوحدة نعم أعرف مامعناها. إنك تريد أن تقول بأن كل شئ يجتمع فى حياتك حتى تتمكن من رؤيته فى وقت واحد؛ أليس كذلك؟

– بلى، بشكل أو بآخر – تنازل أوليڤيرا – إنه لأمر عجيب ذلك المتمثل فى الجهد الكبير الذى تبذلينه لإدراك المفاهيم المجردة. الوحدة، التعددية ... ألست غير قادرة على إدراكها دون الحاجة لذكر أمثلة؟. لا، لست قادرة على ذلك. حسن لنر : حياتك أليست وحدة بالنسبة لك؟

– لا، لا أعتقد. إنها أجزاء وأشياء مرت بى.

19

– لكنك بدورك مررت بها أيضا مثل مرور الخيط بهذه الحجارة الخضراء. وبمناسبة الحديث عن الحجارة. من أين أتى ذلك العُقْد؟

– قالت لاماجا :

– أعطاه لى أوسيب كان ملكا لوالدته التى من أوديسا Odessa. بلع أوليڤيرا الشاى ببطء. وصلت لاماجا حتى السرير المنخفض الذى أعارها إياه رونالد حتى تتسع الحجرة لروكامادور. وأخذ فى الاعتبار السرير وروكامادور وصياح الجيران. لم يعد هناك مكان للعيش، لكن بوسع أى إنسان إقناع لاماجا بأن روكامادور سوف يتماثل للشفاء بشكل أسرع فى مستشفى الأطفال. كان من الضرورى مرافقتها إلى الريف يوم أن تلقت تلغراف مدام إيرينى، ولَفّ روكامادور فى خرق وبطاطين وإعداد سرير كيفما اتفق والتضحية بكل ماهو ثمين، وتحمل بكاء وصياح روكامادور عندما يحين وقت إعطائه التحاميل أو وقت الرّضعة. فلا شئ يمكن أن يدارى طعم الأدوية. تناول أوليڤيرا كوبا آخر من الشاى وهو ينظر بغيظ إلى علبة Deuche Grammophon Gessellschaft التى أعطاها له رونالد ولايعرف متى سوف تستمع إليه دون أن يتقلب روكامادور أويعْوى. كان يفزعه عدم المهارة التى عليها لاماجا وهى تقوم بفك اللفة أو وضعها لروكامادور، وكذا غناؤها الذى لايحتمل لإلهاء الطفل والرائحة التى تنبعث بين الحين والآخر من سرير روكامادور والقطن والصراخ والأمان الأبله الذى كان يبدو على لاماجا بأن لاشئ خطير وأن ماتقوم به حيال ابنها هو ماكان ينبغى أن تفعله، وأن روكامادور سوف يشفى فى غضون يومين أو ثلاثة. كل شئ غير كاف بالمرة، بشكل أو بآخر. لماذا هو موجود هناك؟ قبل ذلك بشهر كان لكل واحد منهما حجرته وبعد ذلك قررا العيش سويا. فقد قالت لاماجا إنه بهذه الطريقة يمكنهما توفير الكثير من المال وسوف يشترون جريدة واحدة ولن تتبقى كسرات خبز، كما أنها سوف تقوم بكىّ ملابس أوراثيو، والتدفئة والكهرباء ... كان أوليڤيرا على وشك الإعجاب بهذا الهجوم المباغت المتعلق بالمشاعر العامة. قبل الأمر فى النهاية، ذلك أن العجوز ترويل كان يمر بمصاعب مالية، وكان يدين له بحوالى ثلاثين ألف فرنك. وفى تلك اللحظة استوى الأمر عنده سواء فى العيش مع لاماجا أو بمفرده. كان شديد التروى، وكان من عادته أن يجتر كثيرا كل شئ وكأنه يصعد به، لكنه لايمكن تجنبه. ووصل الأمر به إلى الظن بأن وجود لاماجا سوف ينقذه من التأملات الزائدة عن الحد، لكنه لم يشك لحظة واحدة

19

فيما كان سيحدث مع روكامادور. ورغم كل هذا كان يتمكن من الانعزال للحظات حتى يتمكن بكاء روكامادور من إعادته إلى المزاج العكر. «سوف ينتهى بى الأمر إلى ما آل إليه مصير أبطال والترباتر» فكرّ أوليڤيرا. «مناجاة داخلية الواحدة تلو الأخرى. هى الرذيلة المحضة. وماريو الأبيقورى، الرذيلة المحضة. الشئ الوحيد الذى ينقذنى من الموقف هو رائحة البول التى لهذا الطفل».

– قال أوليڤيرا :

– كان عندى شك دائم بأنك يمكن أن ينتهى بك الأمر إلى مضاجعة أوسيب.

– قالت ماجا :

– إن حرارة روكامادور مرتفعة.

تناول أوليڤيرا كوبا آخر. لابد من العناية بمثل هذه الأعشاب، ففى باريس يصل سعر الكيلو إلى خمسمائة فرنك فى الصيدليات. ولم تكن إلا أعشاب مثيرة للتقزز، والتى كان محل بيع المنظفات الكائن فى محطة سان لازار Saint-lazare يعلن عنها «شاى برّى. إنه شراب الهنود» مدر للبول ومضاد حيوى وملّين. ولحسن الحظ، فإن المحامى الفذّ، وهو أخوه بالمناسبة، قد شحن له خمسة كيلو جرامات من ميناء كروث دى مالطا Cruz de Malta وها قد بقى منها القليل «إذا ما انتهت الأعشاب فأنا فى مأزق» فكرّ أوليڤيرا. «فالحوار الوحيد الحقيقى لى هو مع ذلك الفنجان الأخضر» كان يدرس التأثير الفعّال لذلك المشروب وتنفس الأعشاب وهى تتمدد فى الماء، وأنها عندما تمتص الماء تنزل وتتراكم فوق بعضها البعض وقد فقدت كل بريق لها وكل رائحة إلا إذا حفزها للحركة، من جديد صبّ كمية من المياه. إنها رئة أرجنتينية بديلة، لهؤلاء العزّل والحزانى. منذ فترة وأوليڤيرا يبدى اهتمامه بأشياء لاقيمة لها، كما أن هناك الآن ميزة وهى التأمل فى الفنجان الأخضر، وأن ذكاءه الغادر لن يتصور أبدا أن يلصق بالفنجان الأخضر بعض المفاهيم مثل تلك الترهات، غير اللائقة التى تهز الجبال والقمر والأفق والفتاة البالغة والعصفور والحصان. «هذا الشاى يمكن أن يهدينى أيضا إلى مركز» كان يفكر. (أخذت بالفكرة القائلة بأن لاماجا وأوسيب كانا معا تذوب شيئا فشيئا وتفقد صلابتها. وفى لحظة معينة أصبح الفنجان الأخضر أكثر قوة، وأخذ يطرح بركانه العاتى وفراغه الملئ بالفقاقيع وبخاره الذى يصعد على شكل خصلات فى هواء الحجرة الشديد البرودة رغم وجود المدفأة التى يجب ملؤها فى حوالى التاسعة). «وهذا

19

المركز الذى لا أعرف ماهو» ألا يصلح كتعبير طبوغرافى لإحدى الوحدات؟ إننى أسير فى حجرة ضخمة أرضيتها من البلاط. وواحدة من هذه البلاطات هى النقطة الصحيحة التى يجب أن أتوقف عندها حتى ينتظم كل شئ فى منظوره السليم. «النقطة الصحيحة» قالها أوليڤيرا بنوع من التضخيم والسخرية ليتأكد من أن الأمر لن يظل إلا مجرد كلمات. «إنه مربع يجب من خلاله البحث عن الزاوية المضبوطة (والشئ المهم فى هذا النموذج هو أن الزاوية جادة للغاية، ويجب أن يلصق المرء الأنف فى اللوحة حتى تتحوّل مجموعة الخطوط التى لامعنى لها إلى لوحة لفرانثيسكو الأول أو لمعركة سينجاجليا[١] Singaglia وهو شئ مثير إلى أبعد حد)» لكن يبدو أن هذه الوحدة، التى هى جماع الأحداث التى تحدد ملامح حياة، تستعصى على الظهور قبل أن تنتهى الحياة نفسها وكأنها عشب شاى مغسول. ومعنى هذا أن كتّاب السير قد يرون الوحدة وهذا ليست له أية قيمة فى نظر أوليڤيرا. المشكلة تكمن فى اقتناص وحدته دون أن يكون بطلا أو يكون قديسا أو خارجا على القانون أو أحد أبطال الملاكمة أو نصير الإنسان أو راعيا. إنه اقتناص الوحدة فى قمة التعددية، وأن الوحدة يمكن أن تكون الدوّامة فى الإعصار وليس خلاصة الشاى الذى غُسِل وأصبح باردا.

– قالت لاماجا :

– سوف أعطيه ربع أسبرينة.

– قال أوليڤيرا :

– إذا استطعت أن تجعليه يبتلعها فأنت أعظم من أمبروسيو بارى[٢] Ambrosio Paré ... جئت لأتناول الشاى. وقد انتهيت منه.

إن قضية الوحدة كانت تقلقه ذلك أنه بدا له الوقوع فى أسوأ مطب. أثناء الدراسة، هناك فى شارع ڤيامونت Viamonte، خلال عام 1930 تأكد وهو يشعر بالمفاجأة (أولا) والسخرية (ثانيا) أن هناك العديد من الأنماط الإنسانية كانت تدخل ضمن وحدة مفترضة للشخص (Persona) الذى لم يكن يتعدى حدود المفرد اللغوى، وأن هناك إيضاح مبكر للشخصية (Carácter). هؤلاء الناس أسسوا لأنفسهم مجموعة من المبادئ لم يتم قبولها بحب ولم تكن إلا إقالة الكلمة، وذلك المفهوم الفعلى، والرفض والجذب والتعدى.

وهكذا نجد كلمة الواجب، وماهو أخلاقى، وماهو لا أخلاقى، واللاّحب، والعدل، والشفعة، وماهو أوربى، وماهو أمريكى، والنهار والليل، والزوجات والخطيبات

19

والصـديقـات، والجيـش والبنوك والعلم والذهب الأمـريكى أو الروسى والفن التـجـريدى ومعركة كاسيروس[٣] Caseros، كل ذلك يمكن أن يبدو كأنه أسنان أو شعر، أى شئ مقبول وقد تم ضَمّهُ، وأصبح شيئا لايُعاش ولايتم تحليله، ذلك لأنه هكذا وتيمّمنا ويكملنا ويقـوينا. إن اغـتصـاب الكلمـة للرجل والانتقـام الرهيب الذى قـام به الفـعل ضـد والده جعلت أية تأمـلات لأوليڤيرا مليئة بعدم الثقـة المرّ. ودفع ذلك به للافادة من عدوّه ليفتح لنفسه طريقا يصل من خلاله إلى درجة ربما أمكن له فيهـا تحييده ومواصلة الطريق – كيف ذلك؟ وبأى وسـائل؟ وفى أى ليلة بيضـاء أو فى أى يوم كله ظلام دامس؟ – حـتى المصـالحة الكاملة مع نفسـه ومع الواقـع الذى يعيش فيـه. يتم الوصـول إلى الكلمـة دون كلمـات (ياله من بعيد وياله من وضـع غير مـحتمل الحدوث) وبدون وعى يعقل، يقتنص الوحدة العـميقة. وهو شـئ قد يكون فى النهـاية مـثل معنى لذلك الذى لم يكن إلا كيانا قائما. الآن يتناول الشـاى ويتأمل عجز روكامادور المكشوف وأصابع لامـاجا وهـى تروح وتغـدو حـاملة القطن، ويسـمـع صـراخ روكـامـادور الذى لم يكن يروق له أبدا أن يفكوا اللفّة المغطّى بها.

(– 90)

20

– قال أوليڤيرا :

– كان عندى شك دائم بأنه يمكن أن ينتهى بك الأمر لمضاجعته غطت لاماجا ابنها الذى أخذ يقل صراخه، ومسحت يديها ببعض القطن.

– قال أوليڤيرا :

– من فضلك اغسلى يديك كما ينبغى وأبعدى كل هذه القذارة من هنا.

– قالت لاماجا :

– فى الحال.

تحمّل أوليڤيرا نظرتها (وهذا كان أمرا مكلفا عنده دائما)، فجاءت لاماجا بإحدى الصحف وفتحتها على السرير ثم وضعت القطن داخلها ولفتها ثم خرجت من الحجرة وذهبت لتلقى باللفة فى حجرة الحمام الكائنة على البسطة. وعندما عادت، وقد أصبحت يديها حمراوين ولامعتين، قدمّ لها أوليڤيرا كوبا من الشاى. وجلست على الكرسى المنخفض، وأخذت تشرب الشاى بانتظام. إنها تقضى على المشروب ؛لأنها تحرك الشّفاطة وتقلّب كأنها تصنع البولنتا (العصيدة).

– قال أوليڤيرا وهو يخرج دخان السيجارة من أنفه :

– عموما، على أى حال كان يمكنكما إخبارى بذلك، سوف أدفع الآن ستمائة فرانك للتاكسى حتى أحمل حاجياتى إلى مكان آخر والعثور على حجرة وهذا ليس بالأمر السهل فى هذه الفترة.

– قالت لاماجا :

– ليس هناك دا ع لذهابك إلى متى سوف تواصل تخيل أمور زائفة ؟

– قال أوليڤيرا :

– أتخيل أمورا زائفة؟! إنك تتحدثين وكأنك تجيدين الحوار فى أفضل القصص الأرجنتينية. ولم يبق أمامك الآن إلا الضحك من أعماقك من فظاظتى التى لاتضارع، ويكون ذلك ختاما مابعده ختام.

– قالت لاماجا وهى تنظر بعينيها إلى السرير :

– لاتبك أكثر من ذلك... لنتحدث بصوت منخفض. سوف ينام ويستغرق فى النوم من تأثير الأسبرين. أنا لم أضاجع جريجوروفيوس.

– لا، بل إنك ضاجعته.

– لا يا أوراثيو. هل لدى أسباب تمنعنى من أن أقول لك ذلك؟ فمنذ أن عرفتك لم

20

يكن لى عشيق آخر إلا أنت. لايهمنى إذا ماقلت ذلك بشكل سيىء مما يجعلك تضحك من كلماتى. إننى أتكلم بما أقدر عليه، ولست أدرى كيف أقول ما أشعر به.

– قال أوليڤيرا وهو يشعر بالملل وقدم لها كوبا آخر من الشراب :

– حسن، حسن، الأمر ــ إذن ــ هو أن ابنك جعلك تتغيرين. فقد تحولت منذ أيام إلى هذا الذى يقولون عنه الأم.

– لكن روكامادور مريض.

– قال أوليڤيرا :

– ربما هذا، ماذا تريدين؟ إن التغيرات بدت لى بطريقة أخرى؛ ففى الحقيقة أننا لانتحمل بعضنا البعض بما فيه الكفاية.

– أنت الذى لاتتحملنى، أنت لاتتحمل روكامادور.

– هذا حقيقى؛ فالطفل لم يكن ضمن حساباتى. فالرقم ثلاثة هو رقم سئ داخل غرفة واحدة، والتفكير أنه مع أوسيب سوف تكون رابعة هذا شئ لايحتمل.

– ليس لأوسيب أى علاقة بهذا.

– قال أوليڤيرا :

– ليتك تقومين بتسخين البطاطس المحمَّرة .

– كررت لاماجا :

– ليس له أى علاقة؛ لماذا تصرّ على معاناتى أيها العبيط؟ أنا أعرف أنك مرهق ولم تعد تحبنى. كما أنك لم تحبنى أبدا، فقد كان شيئا آخر، لم يكن إلا نمطا من الأحلام. هيّا يا أوراثيو، لاتجبر نفسك على البقاء. فلقد حدث لى هذا كثيرا جدا ....

نظرت إلى السرير. كان روكامادور قد نام.

قال أوليڤيرا وهو يقوم بتغيير الأعشاب :

– مرات كثيرة – إنك تتبسمين بالصراحة، وهذا صالح جدا للسيرة العاطفية الذاتية. وليقل ذلك أوسيب. يعرفك ويسمع منك على الفور حكاية الأسود. هذه واحدة.

– على أن أقول ذلك، أنت لاتفهم.

– ولن أفهم، لكنه أمر سئ.

– أعتقد أن علىّ أن أقوله رغم ماقد يكون به من سوء. فمن العدل أن أقول ذلك لإنسان، وكيف عشت إذا ما أراد ذلك. إننى أتحدث عنك وليس عن أوسيب. أنت يمكن لك أن تحكى لى شيئا عن صديقاتك إذا ما أردت؛ لكن كان علىّ أن أقول لك كل شئ. أتعرف أن هذه هى الطريقة الوحيدة لأجعلهم يذهبون قبل أن أبدأ حب رجل آخر. إنها الطريقة الوحيدة لأجعلهم يخرجون من الباب ويتركوننا وحدنا فى الحجرة.

– إنه نوع من التكفير عن النفس؛ فَلِمَ لاتكون مناسبة.؟فى البداية الأسود.

20

– قالت لاماجا وهى تنظر إليه :
– نعم، الأسود فى البداية، وبعد ذلك ليديسما.
– طبعا، ليديسما بعد ذلك.
– والثلاثة الذين أمسكوا بى فى الحارة ليلة الكرنفال.
– قال أوليڤيرا وهو يشرب الشاى :
– من الأمام .
– والسيد ڤيسنت شقيق صاحب الفندق.
– من الخلف.
– وأنت.
– من الخلف، لكن أن تضمينى إلى القائمة وأنا موجود ليس إلا التأكيد على شكوكى، وفى الحقيقة حتى تكتمل القائمة كان عليك أن تذكرى اسم جريجوروفيوس. كانت لاماجا تحرّك الشفاطة وطأطأت رأسها؛ فانسدل شعرها كله على وجهها ومحا بذلك التعبير على قسمات وجهها الذى تلصص عليه أوليڤيرا بنوع من اللامبالاة.

– وبعد ذلك أصبحت صديقة
عجوز صيدلانى
وابن أحد الضباط
وأخرجك الريح من هذا ...

كان أوليڤيرا يدندن هذا التانجو. شفطت لاماجا الشاى وحركت كتفيها دون أن تنظر إليه. «يامسكينة» فكّر أوليڤيرا. مدّ يده بقوة إلى شعرها ودفعه بقسوة وكأنه يفتح ستارة. أحدثت الشفاطة صوتا جافا بين أسنانها.
– قالت لاماجا وهى تلمس فمها بإصبعين يرتعشان :
– كأنك ضربتنى؛ هذا لا يهمنى لكن ...
– قال أوليڤيرا :
– هذا يهمك لحسن الحظ إذا لم تكونى تنظرين إلىّ هكذا لكنتُ سأحتقرك. أنت رائعة حتى مع روكامادور وكل شئ.
– وبماذا يعود علىّ قولك هذا؟
– هذا يقيدنى.
– نعم، هذا يقيدك. كل شئ يقيدك فى سبيل ماتبحث عنه.
– قالها أوليڤيرا بدقة :
– ياعزيزتى، الدموع تقضى على طعم الشاى. وهذا معروف.

20

– ربما يفيدك أيضا أن أبكى.

– نعم، ولكن بالدرجة التى أشعر فيها أننى مذنب.

– اذهب يا أوراثيو ،فهذا سيكون أفضل.

– ربما، تصوّرتى أننى إذا ماذهبت الآن فإننى أقوم بشئ شبيه بالبطولة. أى أننى أتركك وحيدة دون مال ومعك ابنك المريض.

– قالت لاماجا وهى، بطريقة هوميرية، وسط الدموع:– نعم يكاد يكون بطولة، هذا حق.

– ولما كنت أقاوم أن أكون بطلا، فمن الأفضل، فى نظرى، البقاء حتى نعرف ماهو هدفنا كما يقول أخى بأسلوبه الجميل.

–إذن ابق.

– لكن هل تفهمين كيف ولماذا أرفض تلك البطولة؟

– نعم، بالطبع.

– هيا اشرحى لماذا لن أرحل؟

– لن ترحل لأنك شديد البرجوازية وتأخذ فى اعتبارك مايفكّر فيه رونالد وبابس وباقى الأصدقاء.

– مضبوط. من الجيد أن ترين أنك لاعلاقة لك بقرارى. فلن أبقى تضامنا معك أو شفقة عليك أو أنه يجب العناية بـ روكامادور. وأقل من كل ذلك هو وجود شئ مشترك بيننا .

– قالت لاماجا :

– أحيانا ماتكون شديد الكوميدية .

– قال أوليڤيرا :

– بالطبع بوب هوب(١) Bob Hope إنها نظرة إلى الجانب الذى أنا فيه.

– عندما تقول بأنه ليس بيننا أى شئ مشترك يتحرك فمك بطريقة ....

– هكذا بعض الشئ. أليس كذلك؟

– بلى، هذا لايصدق.

كان عليهما أن يخرجا مناديل الجيب ويغطيا الوجه بكلتا اليدين ويقهقها لدرجة أن روكامادور كان على وشك الاستيقاظ. كان شيئا فظيعا. ورغم أن أوليڤيرا كان يفعل مافى وسعه حتى تتحكم فى نفسها وهو يعض المنديل وتتساقط دموعه من الضحك

20

فإنها قد انزلقت من الكرسى رويدا رويدا؛ إذ كانت أرجله الأمامية أكثر قصرا مما ساعدها على السقوط حتى أصبحت بين ساقى أوليڤيرا الذى كان يضحك ضحكة متقطعة بسبب الزغطة ويقهقه ثم أخرج المنديل من فمه.

– قال أوليڤيرا متضرعا :

– بيِّنى لى مرة أخرى كيف يكون فمى عندما أقول تلك الأشياء.

– قالت لاماجا :

– هكذا.

ومرة أخرى أخذ يتلويّان حتى أن أوليڤيرا انطبق على نفسه ضاغطا على كرشه. فرأت لاماجا وجهه فى وجهها، وكانت عيناه تلمعان بين الدموع وتبادلا قبلة معكوسة، هى فوق أما هو فقد انسدل الشعر عليه كأنه أهداب. تبادلا قبلة وقد عضّ كل منهما الآخر قليلا فلم يكد كل فم يتعرف على الآخر؛ إذ كانت الأفواه مختلفة وتبحث عن بعضها من خلال اليدين، من خلال شبكة قوية من الشّعر المنسدل وكذا الشاى الذى سكب على حافة الترابيزة وأخذ السائل يتساقط على تنورة لاماجا.

– غمغم أوليڤيرا وهو يلصق شفتيه بشفتى لاماجا :

– قولى لى كيف كانت مضاجعة أوسيب، بسرعة، ذلك أن دمى يتصاعد بشدة إلى رأسى ولايمكن أن أظل هكذا؛ إنه لأمر فظيع.

– قالت لاماجا وهى تعض شفتيه :

– يفعل ذلك بشكل جيد أفضل منك كثيرا، وبتواتر أكثر.

– هل te retila la murta لن تكذبى علىّ. هل يفعلها معك حقيقة.

– كثيرا، ومن كل جانب، وأحيانا بشكل يزيد عن الحد. إنه إحساس رائع.

– وهل يجعلك تضعين الـ Polineos بين الـ argustas.

– نعم، وبعد ذلك نقوم بـ entreturmemos los porcios حتى يقول هو كفى، كفى، كما أنى لا أستطيع المزيد. لابد من الوصول إلى أقصى شئ، هل تفهمنى. لكن هذا لايمكنك أن تدركه ذلك أنك تملّ بسرعة.

– دمدم أوليڤيرا وهو يعتدل :

– أنا وغيرى هذا الشاى أصبح لايطاق سوف أخرج إلى الشارع بعض الوقت.

– قالت لاماجا :

– ألا تريدنى أن أواصل ما أحكيه عن أوسيب؟ بالإجليجى.

20

- الإجليجى يثير ضجرى كثيرا. كما أنك لاتتمتعين بسعة الخيال، إذ تقولين نفس الأشياء دوما. «الملل» gunfia ياله من تجديد. ولايقال، «أحكى عن».

- قالت لاماجا بغيظ :

- الإجليجية هى ما اخترعته أنا، فأنت تقول أى شئ وتشعر بالتفوّق، وهذا ليس بالإجليجية الحقيقية.

- عودة إلى أوسيب.

- لاتكن أحمق يا أوراثيو. أقول لك بأننى لم أضاجعه. هل علىّ أن أؤدى يمين القسم الأعظم؟

- يبدو لى أننى سوف أصدقك فى نهاية الأمر.

- قالت لاماجا :

- وبعد ذلك فأغلب الظن أننى قد يؤدى بى الأمر لمضاجعة أوسيب. لكن سوف تكون أنت الذى أردت ذلك.

- لكن هل يروق لك هذا النمط ؟

- لا. المسألة هى أنه يجب أن أدفع ثمن الدواء. فأنا لا أريد منك أى نقود. كما أننى لايمكن أن أطلب من أوسيب أى نقود وأتركه على هذا الحال.

- قال أوليفيرا :

- نعم أعرف إنه الجانب الطيب فيك؛ فالجندى الذى صادفته فى الحديقة لم يهن عليك أن تتركيه حتى لايبكى.

- ولاهذا يا أوراثيو. ها أنت ترى أننا جد مختلفين.

- نعم، إن الرحمة ليست نقطة قوتى. لكن يمكننى أيضا أن أبكى فى واحدة من هذه المواقف وعندئذ تقومين ....

- قالت لاماجا :

- لم أرك تبكى إن هذا بالنسبة لك هو بمثابة مهملات.

- بكيت ذات مرة.

- من الغيظ فقط - إنك لاتعرف البكاء يا أوراثيو، فهو أحد الأشياء التى لاتعرفها.

جذب أوليفيرا لاماجا وأجلسها على ركبتيه. وفكرّ فى أن لاماجا وخاصة دماغها كانت تحزنه. إنها تلك الرائحة التى قبل ذلك .... «البحث من خلال» فكرّ بطريقة غامضة «حقا، البكاء هو واحده من الأشياء التى لا أعرفها، هو ذاك البكاء والشفقة على النفس».

20

- قال لها وهو يقبّل شعرها :
- لم نحب بعضنا أبدا.
- قالت لاماجا وهى تغمض عينيها :
- لاتتحدث باسمى فأنت لاتستطيع أن تعرف فيما إذا كنت أحبك أم لا. وهذا أيضا لاتعرفه.
- أتظننى أننى أعمى إلى هذا الحد ؟
- على العكس، من المناسب جدا لك أن يكون بك شئ من العمى.
- آه. إنها حاسة اللمس التى تحل محل التعرف على الأشياء، والغريزة التى تذهب إلى ماوراء الذكاء؛ إنه الطريق السحرى والليلة المظلمة للروح.
- هذا يناسبك - أصرّت لاماجا كلهم قلّ فهمهم لما يقول، وكانت تريد مداراة ذلك.
- انظرى ما أنا عليه يكفينى لأعرف أن كل واحد يمكن أن يذهب لحال سبيله. أعتقد أننى بحاجة لأكون بمفردى يالوثيا. فى الحقيقة أنا لا أعرف ماالذى سأفعله؛ فأنا أعاملك أنت وروكامادور، يبدو لى أنه يستيقظ الآن بشكل ليس فيه عدل، وأريد ألا أظل فى هذا الطريق.
- لاتشغل بالك بى وبروكامادور.
- أنا لا أشغل بالى، لكن ثلاثتنا مربوطين إلى بعضنا البعض من الأرجل، وهذا غير مريح أو جمالى؟ فلن أكون أعمى بما فيه الكفاية ياعزيزتى، لكن عصب البصر يسمح لى أن أرى أنك سوف تكونين على أحسن حال بدونى. غير أنه لم تنتحر أى واحدة من صديقاتى حتى الآن رغم أن كبريائى يدمى عندما أقول ذلك.
- نعم يا أوراثيو.
- أى أننى إذا ماإستطعت الوصول إلى قدر مناسب من البطولة لأتركك هذه الليلة أو غدا، فهذا لايشكل أى أزمة.
- لاشئ.
- قالت لاماجا :
- سوف تأخذين ابنك من جديد إلى مدام إيرينى وتعودين إلى باريس لتمارسى حياتك.
- هو ذاك.
- سوف تذهبين إلى السينما كثيرا، وستواصلين قراءة الروايات، وسوف تتنزهين، وأنت تعرضين حياتك للخطر بالسير فى أسوأ الأحياء وأصعب الأوقات.

20

- كل ذلك.

- سوف تجدين أشياء كثيرة غريبة فى الشارع، وسوف تجلبينها إلى المنزل، وسوف تقومين بصناعة بعض الأشياء. كما أن وونج سوف يعلمك بعض الحيل السحرية، وسيظل أوسيب خلفك على بعد مترين ويديه معقودتان وعلى مهابة متواضعة.

- قالت لاماجا وهى تعانقه وتخبئ وجهها :

- من فضلك يا أوراثيو .

- وبالطبع سوف نلتقى فى الأماكن الغريبة بطريقة سحرية مثل تلك الليلة فى ميدان الباستيل Bastille. أتتذكرين؟

- فى شارع داڤال Daval.

- كان الخمر قد لعب برأسى كثيرا وظهرت أنتِ على الناصية، وأخذ كل واحد منا ينظر إلى الآخر نظرة فيها بلاهة.

- ذلك أننى كنت أظن أنك سوف تذهب فى تلك الليلة إلى حفل موسيقى.

- كما أنك قلت لى إنك على موعد مع مدام ليونى.

- لهذا بدا لنا الأمر شديد الطرافة.

- كنت ترتدى بلوفرا أخضر وتوقفت على الناصية للتسرية عن أحد الشواذ جنسيا.

- لقد طردوه ضربا من المقهى، وكان يبكى بحرقة.

- أتذكر مرة أخرى أننا التقينا بالقرب من رصيف كوى دى جيماب Quai de Jemmapes.

- قالت لاماجا :

- كان الجو حارا .

- لم تشرح لى أبدا وبشكل جيد ما الذى كنت تبحث عنه فى هذا الميناء.

- أوه. لم أكن أبحث عن شئ.

- كنت تحمل قطعة نقود فى يدك.

- لقد وجدتها عند السياج، إذ كانت تلمع بقوة.

- وبعد ذلك ذهبنا إلى ميدان الجمهورية P. de la Republique حيث البهلوانات وكسبنا كيسا من الكرملّة.

- كانت فظيعة.

20

– ومرة أخرى كنت خارجا من محطة مترو موتون دوفيرنيت Mouton-Duvernet وكنت جالسة فى شرفة مقهى برفقة أسوَد وفيليبينى.

– وأنتَ لم تقل لى أبدا ما الذى كنت تفعله فى هذه المنطقة.

– قال أوليڤيرا :

– كنت ذاهبا إلى متخصصة فى علاج أمراض القدم إذ كان عندها صالة انتظار مغطاة حوائطها بورق لونه بين البنفسجي والفوشيا، ومنه منظر يحتوى على مراكب ونخيل وعشاق متعانقين تحت ضوء القمر، تصورًى هذا المشهد مكرر خمسمائة مرة فى مساحة 12 × 8.

– هل كنت تذهب لهذا السبب وليس لأجل إزالة كالّو.

– قالت لاماجا وهى ترفع رأسها وترمقه بتركيز :

– يا ابنتى لم يكن كالّو. لقد كانت «سنطة» فى بطن القدم، يبدو أنها Avitaminosis.

– هل شفيت منها جيدا؟

استيقظ روكامادور مع أول قهقهة وأخذ يتشاكى. تنهد أوليڤيرا، والآن سوف يتكرر المشهد، سوف يرى لاماجا من ظهرها لفترة وهى منكفئة على السرير ويديها تروح وتغدو. أخذ يتناول الشاى ويدخن سيجارة بحب، لم يكن يريد التفكير. ذهبت لاماجا لتغسل يديها ثم عادت – تناولا كوبين من الشاى، ولم يكد أحدهما ينظر إلى الآخر.

– قال أوليڤيرا :

– أفضل مافى هذا الأمر هو أننا لانعير اهتماما لمثل هذه الأمور. لاتنظرى إلىّ هكذا. إذا مافكرت قليلا سوف تدركين ماالذى أريد قوله.

– قالت لاماجا :

– أدرك ذلك أنا لا أنظر إليك بهذه الطريقة لهذا السبب.

– أه هل تعتقدين أن ...

– نعم بعض الشئ، لكن من الأفضل ألا نتحدث فيه من جديد.

– أنت على حق ـ حسن ـ سوف أخرج لجولة فى الشارع.

– قالت لاماجا :

– لاتعد .

– قال أوليڤيرا :

– علينا ألا نبالغ أين تريدين أن أذهب لأنام؟ هناك فرق بين عقدة لا حلّ لها وبين

20

النسيم الذى يهب فى الشارع، لابد وأن الحراسة خمسة تحت الصفر.

– قالت لاماجا :

– سوف يكون من الأفضل ألا تعود يا أوراثيو أجد سهولة فى قول ذلك الآن. أتفهم ؟

– قال أوليفيرا :

– حسن يبدو لى أننا نتعمق كثيرا فى تهنئة بعضنا البعض بما لنا من أسلوب جيد.

– أنا حزينة كثيرا لأجلك يا أوراثيو.

– آه، هذا لا. ببطء توقفى هناك.

– أنت تعرف أننى أرى أحيانا. أرى بوضوح. فكرت منذ ساعة أن أفضل حلٍّ هو إلقاء نفسى فى النهر.

– مجهولة فى نهر السين .... لكنك تعرفين العوم كأنك بجعة.

– أصرّت لاماجا :

– أنا حزينة لأجلك أدرك الآن. ففى الليلة التى التقينا فيها خلف نوتردام رأيت أيضا أن ... لكنى لم أرد تصديقه. كنت ترتدى قميصا جميلا أزرق اللون، كانت هذه أول مرة ذهبنا فيها إلى فندق. أليس كذلك؟

– لا، لكن يستوى الأمر. وعلمتنى أن أتحدث بالأجليجى.

– إذا ماقلت لك إننى فعلت كل هذا شفقة.

– هيا – قال أوليفيرا وهو ينظر إليها فزعا.

– كنت معرضا فى تلك الليلة للخطر. كان يرى ذلك وكأنه صوت إنذار قادم من بعيد... لايمكن شرح ذلك.

– قال أوليفيرا :

– إن الأخطار التى أتعرض لها ميتافيزيقية، صدقينى.

ولن يستطيع أحد أن يخرجنى من الماء ولو استخدم الخُطَّاف، وسوف أنفجر من انسداد فى أمعائى، ومن الأنفلونزا الآسيوية ومن سيارة بيجو **403**.

– قالت لاماجا :

– لست أدرى! أفكر أحيانا فى الانتحار، لكنى أرى أننى لن أفعل ذلك. ألا تعتقد أننى لن أفعل ذلك من أجل روكامادور. فقبله كانت تستوى الأمور عندى. ففكرة الانتحار بدت لى جيدة، لكنك الذى لاتفكر فيه ... لماذا تقول - إذن - أخطار ميتافيزيقية؟ هناك أيضا أنهار ميتافيزيقية يا أوراثيو. أنت سوف تلقى بنفسك فى واحد من هذه الأنهار.

20

– قال أوليڤيرا :

– ربما وهذا سوف يكون نهر التاو Tao.

– بدا لى أنه يمكننى حمايتك. لاتقل شيئا. ولقد أدركت بعد فترة قصيرة جدا أنك لست بحاجة إلىّ. كنا نمارس الحب كأننا موسيقيان اجتمعا ليعزفا سوناتا.

– رائع ماتقولين.

– كان هكذا. فالبيانو يسير لحاله والكمنجة تسير فى طريقها، ومن اجتماع الإيقاعين تخرج السوناتا. لكنك ترى أننا لم نلتق فى الحقيقة. لقد أدركت ذلك فى الحال يا أوراثيو، لكن السوناتات كانت رائعة.

– نعم ياعزيزتى.

– والجليجليجو.

– ياسلام.

– وكل شئ، والنادى، وتلك الليلة فى كواى دى برس تحت الأشجار عندما اصطدنا النجوم حتى الفجر، وقصصنا حكايات الأمراء، وكنت عطشانا، واشترينا زجاجة نبيذ فوار. كانت غالية الثمن، وشربنا على ضفاف النهر.

– قال أوليڤيرا :

– وعندئذ حضر المتسوّل وأعطيناه نصف الزجاجة.

– وهذا المتسوّل كان يعرف الكثير؛ يعرف اللاتينية وأشياء من الشرق، كما أنك ناقشته حول ...

– ابن رشد على ما أعتقد.

– نعم ابن رشد.

– والليلة التى أمسك فيها الجندى بعجزى أثناء احتفالات فوار دى ترون Foire du Trône فما كان منك إلا صوبت له لكمة فى وجهه فأخذونا جميعا إلى الحبس.

– قال أوليڤيرا ضاحكا :

– يجب ألا يسمع روكامادور ذلك .

– لحسن الحظ لن يتذكرك روكامادور أبدا فلم يختزن أى شئ حتى الآن. إنه مثل العصافير التى تأكل اللّباب الذى يلقى لها. تنظر إليك وتأكل اللباب وتطير ... ولايتبقى شئ.

– قال أوليڤيرا :

– لا لايتبقى شئ.

كانت الساكنة التى فى الدور الثالث تصيح وهى على بسطة السلم، وقد أخذت الخمر برأسها كالعادة. فى مثل هذه الساعة. ألقى أوليڤيرا نظرة غير مركزة على الباب. لكن

20

لاماجا ضمته إليها، وأخذت تنزلق حتى أمسكت بركبتيه، وأخذت ترتعش وتبكى.

– قال أوليڤيرا :

– لماذا أنت منهارة هكذا؟ تمرّ الأنهار الميتافيزيقية من أى ناحية فلا يجب أن يذهب المرء بعيدا ليجدها. انظرى، لا أحد أغرق نفسه عن حق إلا أنا. أعدك بشئ : أن أتذكرك فى آخر لحظة حتى يكون الفراق أكثر مرارة. إنها قصة مسلسلة قوية، وغلافها يحمل ألوانا ثلاثة.

– غمغمت لاماجا وهى تضغط على ساقيه :

– لاتخرج .

– سوف أتجول بعض الشئ لا أكثر من هذا.

– قالت لاماجا :

– لنخرج سويا أنت ترى أن روكامادور نائم، وسوف يظل على هذا الحال حتى يحين وقت إعداد الرضعة له. لدينا ساعتان هيّا بنا إلى المقهى الذى فى الحىّ العربى. ذلك المقهى الحزين حيث نقضى فيه وقتًا ممتعا.

لكن أوليڤيرا كان يريد الخروج وحده. أخذ يخلص ساقيه رويدا رويدا من عناق لاماجا. كان يداعب شعرها ومررّ أصابعه على العقد وقبلها فى رأسها فى المنطقة التى خلف الأذن، وقد سمعها تبكى وشعرها مسدول على وجهها «لا للابتزاز» فكرّ. «فلنبك وجها لوجه، ولكن ليس بهذه الطريقة الرخيصة التى يتم تعلّمها من السينما»، رفع وجهها وأجبرها على النظر إليه.

– قال أوليڤيرا :

– السافل هو أنا اتركينى لأدفع الحساب. وأبكى من أجل ابنك فربما يموت. لكن لاتذرفى الدموع علىّ بلا جدوى. يا إلهى، منذ زمان إميل زولا لم ير مشهد هكذا. اتركيى لأخرج من فضلك.

– لماذا؟ – قالت لاماجا دون أن تتحرك من مكانها وهى تنظر إليه كالكلب.

– لماذا ماذا ؟

– لماذا ؟

– آه. أتريدين القول لماذا كل هذا؟ حاولى أننا تعرفى، أعتقد أنه لانتحمل كثيرا من الذنب أنا أو أنت. لسنا بالغين يالوثيا. إنها جرأة، لكن ثمنها غال جدا، فالشباب الصغار يتجاذبون من شعرهم بعد أن انتهوا من اللعب. لابد وأنه شئ من هذا القبيل. لابد وأن نفكر فيه.

(– 126)

21

يحدث نفس الشئ لكل الناس، حيث إن تمثال جانو Jano ليس إلا تبذيرا غير مفيد. فى الواقع فإنه بعد الأربعين عاماً نجد أن الوجه الحقيقى لنا أصبح فى القفا ونحن ننظر إلى الخلف وقد فقدنا الصبر. إنه مايسمى بالمكان العام. لايمكن عمل شئ إزاءه، بل يجب قوله هكذا باستخدام الكلمات التى تلوى شفاه المراهقين ذوى الوجه الواحد، من كثرة الملل. إنه محاط بفتية يرتدون وفتيات اتسخت ملابسهن بشكل لذيذ تحت بخار كافيتريات بيع القهوة باللبن الكائنة فى سان چرمان – دى – برى Saint Germain - des- Prés, وهم يقــــرأون دوريل[١] Durrell وبوڤـــــوار[٢] Beauvoir ودوراس[٣] Dras ودواسوت[٤] Douassot وكينو Queneau وساروت[٥] Sarraute. وها أنا هناك، أرجنتينى متفرنس (فظيع، فظيع) وقد ابتعدت عن موضتى المراهقة del cool وفى اليدين بشكل لايتسق مع الجو العام هل أنتم مجانين لرينيه كريفيل[٦] René Crevel، وفى الذاكرة كل المدرســة الســرياليــة، وفى Plevis لأنطونين أرتود[٧] Antonin Artaud، وفى الآذان مقطوعة Ionisations لإدجار ڤاريس[٨] Edgar Varése. وفى العيون بيكاسو (لكن يبدو أننى موندريان، وهذا ماقالوه لى).

Tu sémes des sylabes pour récolter des élales- أنت تسكب سلفاته بين أفخاذ سكان الناحية - كريڤل يسخر منى.

– أقوم بعمل أستطيع أن أجيب عليه.

– وهذا n'arrêtera - t- elle donc pas de secouer l'arabe á sanglots أأنت لم تتوقف عن هز الشجرة بالشهيق والزفير؟

– إنك غير عادل – أقول له – فلا يكاد يبكى ولايكاد يشكو. من المحزن أن يصل المرء إلى لحظة فى الحياة؛ حيث يكون أسهل عليه فتح كتاب عند ص **96**، والحوار مع المؤلف، من المقهى إلى القبر، ومن الملل إلى الانتحار، بينما هناك أحاديث تدور على الموائد المجاورة عن الجزائر وأديناور[٩] وميجانو باردو[١٠] وجو تديبرت Guy Trébert وسيدنى بشت Sidny Bechet وميشيل بوتور[١١] M. Butor وعن نابو كوف Nabokov وزاو ووكى[١٢] Zao-wu-ki ولويسون بوبيت lauisen Bobet. وفى بلادى يتحدث الفتيان عن

21

ماذا يتحدث الفتيان فى بلادى؟ لم أعد أدرى، فأنا أعيش بعيدا، لكنهم لايتكلمون عن سبيلمبرجو Spilimbergo ولاعن خوستوسواريث[١٣] J.Suarez. ولا عن التيبورون دى كيا Tiburón de Quillá ولاعن بونينى Bonini، لايتحدثون عن ليجيسامو[١٤] Leguisamo. وكما هو طبيعى. النتوء هو فى الطبيعة والواقع حيث أصبحا، دون أن يدى المرء، عدوّين. فى بعض الأحيان يبدو ماهو طبيعى كأنه مزيف إلى أبعد الحدود. والواقع فى سن العشرين يسير بمحاذاة الواقع عند الأربعين، وفى كل جانب هناك موس جيليت تشق الجوال. أكتشف عوالم جديدة تعيش بشكل متوازٍ وبعيدة. ويزداد شكّى فى أن الاتفاق هو أسوأ التطلعات. لماذا هذا التعطش إلى كلية الوجود؟ لماذا هذا الصراع مع الزمن؟ أنا أيضا أقرأ ساردت Sarraute. وأتأمل صور جوتريبرت وهو مقيد بالسلاسل لكنها أمور تحدث لى، إما إذا كنت أنا الذى أقرر فإن قرارى فى الغالب هو نحو الوراء. تعبث يدى فى المكتبة وتخرج مؤلفا لـ كريڤل وتخرج مؤلفا لروبروتو أرلت Roberto Arlt وتخرج جارّى Jarry. إنى شغوف باليوم، ولكن من منظور الأمس (هل قلت إنى شغوف؟) وهكذا تمضى الأمور؛ فكيف وأنا فى هذا العمر يكون الماضى حاضرا والحاضر هو مستقبل غريب وغامض حيث الفتية يرتدون البلوفرات والفتيان ينسدل شعرهن ويشربون جميعا قهوة بالكريمة، ويداعب بعضهم البعض برقة بطيئة كأنها مداعبات فقط أو النباتات مع بعضها؟

يجب الكفاح ضد ذلك.

يجب العودة إلى الحاضر.

يبدو أننى موندريان. أنا ....

لكن موندريان كان يرسم حاضره منذ أربعين عاما.

(صورة لموندريان وهو يشبه تماما قائدا أوركسترا «خوليو دى كارو، ذلك» يضع العدسات وشعره مكوى ورقبته جامدة. انطباع عام يخلو من الذوق، ويثير التقزز وهو يرقص Piba diquera. أى نوع من الحاضر كان يشعر موندريان وهو يرقص؟ هذه اللوحات التى رسمها وهذه الصورة التى تخصه .... هوة شاسعة).

إنك عجوز يا أوراثيو. ياكينتو أوراثيو أوليڤيرا، إنك عجوز يافلاكو، إنك واهن وعجوز يا أوليڤرا.

21

- إنه يصب سلفات الحديد والنحاس بين أفخاذ الأرباض.

استهزأ كريفل.

ماذا أنا فاعل له؟ في خضم الفوضى العظمى لازلت أومن بأنني دوارة رياح. وبعد العديد من اللفّات لابد من الإشارة إلى شمال وإلى جنوب.وعندما نقول عن أحد إنه دوارة رياح فهذا يدلّ على ضيق أفقه؛ حيث ترى اللفّات لكن لايُرى المقصد أى سن السهم الذى يبحث عن مكان ليثبت فيه والبقاء فى نهر الرياح.

هناك أنهار ميتافيزيقية. نعم ياعزيزتى. طبعا وأنت ستكونين معنية بابنك الذى يبكى بين الحين والآخر، أما هنا فهذا يوم آخر، وهاهى الشمس الصفراء التى لاتدفئ. أنا أسكن فى شارع سان جيرمان - دى - برى، وفى كل مساء عندى موعد مع ڤيرلين/ هذا المهرجّ الضخم لم يتغير، وللبحث عن مغامرات عاطفية .... ومقابل إدخال عشرين فرنك فى الفتحة يغنى لك ليو فيرّى[١٥] Leo Ferré عشقه، أو جيلبرت بتيو[١٦] Gilbert Becaud أو جوى بيرت[١٧] Gry Béart. أما فى بلادى : إذا ماشئت أن ترى الحياة بلون وردى / ضع عشرين سنتيم فى الفتحة ... وربما قمت بتشغيل الراديو (سيحل موعد سداد الإيجار يوم الاثنين القادم، سوف أبلغك) وتنصت لموسيقى الغرفة، فربما كان موزار. أو أنك وضعت أسطوانة وجعلت الصوت منخفضا حتى لايستيقظ روكامادور. يبدو لى أنك لاتضع فى الاعتبار جيدا أن روكامادور اشتدّ عليه المرض شديد الهزال ومريض، وأنه ربما يعنون به أفضل فى المستشفى. لكنى لايمكن أن أتحدث إليك فى مثل هذه الأشياء، لنقل انتهى كل شئ، وأننى أسير هائما على وجهى أبحث عن الشمال والجنوب إذا ماكنت أبحث بالفعل. إذا ماكنت أبحث عنه بالفعل. لكن إذا ماتركت البحث عنهما، ماهذا؟. آه ياحبى. أشتاق إليك. وتؤلمنى كثيرا فى جلدى وفى حنجرتى وفى كل شهيق أشعر أن الفرا غ يدخل إلى صدرى وأنت لست هناك.

- قال كريڤل :

- أنت؟! أنت على استعداد دائما تتسلق الأدوار الخمسة من أجل العرّافات التى تقوم بفتح أبواب المستقبل على مصراعيها ولِمَ لا. لماذا لايجب البحث عن لاماجا، فلأكثر من مرة كنت أكتفى بإطلالة وأنا قادم من شارع السين/ Seine متجها إلى القوس الذى يؤدى إلى كواى دى كونت Quai de Conti. ولا أكاد أميز أشكال الأشياء بسبب الضوء الذى يجمع بين الرمادية ولون الزيتون، ويرى طافيا على النهر. هاهو شبحها النحيف يرسم على بونت دى أرت Pnt des Arto، وكنا نتجول بحثا عن الظلال، ونتناول

21

المقلية فى شارع فوبرج س ت. دنيس Faubourg St. Denis، ونتبادل القبلات إلى جوار المراكب القديمة الكائنة فى قناة سان مارتين – معها كنت أشعر بنمو شئٍ جديد، وهناك البوادر الرائعة للغروب، أو تلك الطريقة التى ترسم بها الأشياء نفسها عندما نكون سويا وإلى جوار السور المحيط ببرج/ كور دى روان Cour de Rohan يصعد المتشردون إلى المملكة المخيفة والمقبضة الخاصة بالشهود والقضاة ... لماذا لايجب عشق لاماجا وتملكها تحت عشرات من الأسقف مقابل ستمائة فرنك. وعلى أسرة مغطاة بمفارش منسول قماشها وقد علتها القذارة، وإذا ماكنت فى هذه الحجلة التى تصيب بالدوار، وفى هذا السباق لتذكر الماضى كنت أتعرف على نفسى وأعرف اسمى، وأخيرا حتى عندما أخرج من الزمن وأقفاصه المليئة بالقرود والتنكيت والفترينات أوميجا إلكترون جيرارد بيرجو ڤاشيرون آند قسطنطين Omega Electron Girard Perregaud Vacheron and Constantin؛ حيث أسجل الساعات والدقائق الخاصة بالواجبات الخاصة بالواجبات المقدسة للخصي. فى جو تسقط فيه آخر القيود وتتحول المتعة إلى مرآة للمصالحة، إنها مرآة للقبرة، لكنها مرآة أو أنها شئ بمثابة قربان للكينونة، ترقص حول المركب ومقدمة للحلم بأن يكون الفم فى الفم دون أن يبتعد بعضنا عن الآخر أحيانا، وتتلاصق كل أجزاء جسدينا بدفئها، وتتحول الأذرع إلى دليل نباتى وتقوم الأيادى بمداعبة الفخذ والرقبة ...

– قال كريفل :

– إنك تلجأ إلى الحكايات .

– لا أيها العجوز، فهذا يحدث على الأصح فى الجانب الآخر من البحر، وهذا مالا تعرفه. منذ زمن وأنا لا أتلاحم مع كلمات. إننى لازلت أستخدمها مثلك ومثل الآخرين. لكننى أنظفها كثيرا قبل أن أرتديها.

يشعر كريفل بعدم الثقة، أتفّهم ذلك. ينبت بينى وبين لاماجا حقل من الكلمات. ولاتكاد تفرقنا بضع ساعات أو عدة أمتار وألى يسمى ألماً وحبًا يسمى حباً. وكلما تقدمّ بى الزمن سوف يقل إحساسى ويزداد تذكرى. لكن ماهى الذكرى إلا إذا كانت لغة المشاعر وقاموس الوجوه والأيام وأنواع الطيب التى تعود كلها مثل الأفعال والصفات ضمن دائرة الخطاب وقد تقدمت بعض الشئ إلى الشئ نفسه، أى إلى الحاضر المحض وتصيبنا بالحزن أو تعطينا الدرس المستفاد حتى تتحول الذات إلى قاضٍ كنسيّ والوجه الذى ينظر إلى الخلف يفتح عينيه بقوة، ويمحو الوجه الحقيقى

21

شيئا فشيئا مثل الصور القديمة، وفجأة يصبح جانو Jano واحدا آخر منّا. أقول كل هذا لكريفل، لكننى أتحدث مع لاماجا، حيث إننا الآن بعيدان عن بعضنا. ولا أتحدث إليها بالكلمات التى لم يكن من ورائها جدوى إلا البعد عن فهم بعضنا. الآن، وقد تأخر الوقت، أبداً فى انتقاء كلمات جديدة. إنها كلماتها، الكلمات التى تدخل فى إطار ذلك الذى تفهمه لكن ليس له اسم، إنها نسائم وتوتّرات تغّير من طابع الجّو بين جسدين أو تملأ جوّ الحجرة أو بيت شعر بالتبر. لكن ألم نعش هكذا طوال الوقت ونحن انمزق بعضنا بعذوبة؟ لا، لم نعش هكذا. ربما كانت تريد ذلك، لكنى عدت من جديد لوضع النظام الزائف التى يخفى الفوضى، وعدت إلى تصوّر أننى ألقى بنفسى فى دائرة حياة عميقة حيث يمكن لمس المياة الرهيبة بأطراف القدم. هناك أنهار ميتافيزيقية، إنها تسبح فيها مثل تلك القبرة التى تسبح فى الهواء وتدور حول برج الأجراس وهى تشعر بالغرابة وتترك نفسها لتسقط حتى تعلو بشكل أفضل بقوة الدفع. إننى أصف وأعرف وأرغب تلك الأنهار، لكنها تسبح فيها. إننى أبحث عن الأنهار وأجدها وأنظر إليها وأنا على الكوبرى، أما هى فتسبح فيها لكنها لاتعرف، مثلها مثل القبرّة. إنها ليست فى حاجة إلى أن تعرف مثلى، يمكن لها أن تعيش فى الفوضى دون أن يوقفها أى وعى بالنظام. هذه الفوضى التى هى نظامها الغامض، هذه البوهيمية الجسدية، والروح هى التى تفتح لها الباب الحقيقى على مصراعيه. فحياتها ليست فوضى إلا فى ناظرى، فقد دفنت نفسى فى أحكام مسبقة بحيث أصبحت أسَفّه وأحترم فى الوقت نفسه. إننى أنا المحكوم عليه بإطلاق سراحه من قبل لاماجا التى تحاكمنى دون أن تعرف. آه. اتركينى أدخل. اتركينى لأرى يوماً ما كيف ترى عيناك.

غير مفيد أيها المحكوم عليه باطلاق سراحه؛ عد إلى المنزل واقرأ إسبينوزا. لاماجا لاتعرف من هو إسبينوزا(١٨) Spinoza. إن لاماجا تقرأ روايات روسية وألمانية لاحصر لها، كما تقرأ لبيريث جالدوس. ثم تنساها كلها فى الحال. لن تشك أبدا أنها أدانتنى بقراءة إسبينوزا. إنها قاض لامثيل له. إنها قاضٍ من خلال اليد وسيرها فى وسط الطريق. وقاضٍ؛ لأنها تنظر إلىّ فقط وتتركنى عريانا، قاضياً؛ لأنها غبية وغير سعيدة وغير مستقرة وكاثوليكية وأقل من لاشئ. ولكل ذلك الذى أعرفه من خلال معرفتى المُرّة باستخدام المكيال العفن للجامعى والرجل المستنير، لهذا كله فهى قاضٍ. اتركى نفسك

21

أيتها القبرة لتسقطى بهذه المقصّات الحامية التى تقطع سماء سان جيرمان دى برى Saint Germain -des- Prés وانتزعى هاتين العينين اللتّين تنظران دون أن تبصر. إننى محكوم علىّ، دون حق فى الاستئناف، وسوف أساق سريعا إلى تلك السّقّالة الزرقاء حيث يدفعوا بى يدى المرأة وهى تعنى بابنها، وسوف ينفذ الحكم سريعا وسرعان مايكون النظام الكاذب بأننى وحدى أستعيد الأهلية والأنا العلمية والوعى. ومع العلم الغزير هناك شوق غير مفيد للحزن على شئ مثل المطر هنا فى الداخل أو أن السماء تمطر أو أنه يشم رائحة الأرض المرويَة، والكائنات الحية؛ نعم الكائنات الحيّة.

(- 79)

22

انحصرت الآراء فى أن العجوز قد انزلق، وأن السيارة قد «خرقت» الضوء الأحمر. وأن العجوز كان يريد الانتحار. ذلك أن الأمور تزداد سوءا كل يوم فى باريس، وأن المرور كان فظيعا، والعجوز لم يكن السبب، أو كان هو السبب، وأن فرامل السيارة لم تكن فى حالة جيدة. العجوز كان يقود بطريقة متهوره وأن المعيشة تزداد غلاء كل يوم، وأن الأجانب فى باريس تجاوزوا الحد المعقول، وأنهم لايفهمون قوانين المرور، وأنهم يستولون على أماكن العمل من الفرنسيين.

لم تظهر على العجوز كدمات كبيرة. كان يبتسم ببلاهة، ويمسح بيده على شاربه. وصلت سيارة إسعاف، وضعوه على النقالة، أخذ قائد السيارة يلوّح بيديه ويشرح كيفية وقوع الحادث أمام رجل البوليس والفضوليين.

– إنه يعيش فى المنزل رقم **32** بشارع مدام Madame – قال فتى أشقر، تبادل بضع جمل مع أوليڤيرا وباقى الفضوليين – إنه كاتب. أنا أعرفه يؤلف كتبا.

– لقد أصابه ولقى الصدمات فى رجليه، لكن السيارة قد فرملت بالكامل.

– قال الفتى :

– لقد أصيب فى صدره فلقد انزلق العجوز فوق قاذورات كثيرة.

– قال أوليڤيرا :

– لقد أصيب فى رجليه .

– قالها رجل قصير القامة جدا :

– طبقا لوجهة النظر .

– قال الفتى :

– لقد أصابته السيارة فى صدره؛ وقد رأيته بهاتين العينين.

– فى تلك الحالة .... أليس من المستحسن إبلاغ أسرته؟

– ليست له أسرة؛ إنه كاتب.

قال أوليڤيرا :

– آه.

– عنده قطٌ وكتب كثيرة؛ فقد ذهبت إليه ذات مرة لأسلمه لفة من قبل البوابة وجعلنى أدخل المنزل. الكتب هناك فى كل مكان. كان لابد أن يحدث له ماحدث، فالكُتّاب كثيرا مايسيرون لاهين. أما بالنسبة لى، فحتى تدهمنى سيارة ...

كانت تسقط بعض قطرات المطر التى أسهمت فى فض حلقة الشهود. قام أوليڤيرا برفع ياقة البالطو وأبرز أنفه للهواء البارد، وأخذ يسير على غير هدى. كان متأكدا أن

22

العجوز لم يصب بأذى كبير، لكن مازال يرى وجهه الهادئ أو ربما الحائر وهم يضعونه على النقالة تحيطه عبارات التشجيع والملاطفة «لا عليك، لاشئ يستحق ... لا عليك، التى قالها عامل الإسعاف وهو رجل ذو شعر أحمر، وكان يجب عليه أن يقولها لكل الحاضرين. «إنها العزلة الكاملة» فكر أوليڤيرا «ليس كثيرا لأننا وحدنا، فهذا شئ جد معروف. فأن يكون المرء وحيدا فهى عزلته فى إطار معين حيث يمكن من خلالها لآخرين أن يكونوا على اتصال بنا إذا ماكان الأمر ممكنا. لكن أى أزمة أو حادثة فى إحدى الحارات أو إعلان الحرب تؤدى جميعها إلى تداخل الأطر المختلفة، ويتحول رجل - ربما كان جهبذا فى اللغة السنكسريتية أو الفيزيقا - إلى «جدو» Pépère بالنسبة لعامل النقالة الذى يسعفه فى حادثة. فقد وضع إدجار آلان بو E. A. Poe فى غربة يد، وفيرلين كان بين يدى أطباء غير مهرة، ونرڤال وأرتود Artaud كانا فى رعاية الأطباء النفسيين. ما الذى كان يعرفه عن كيتس Keats فقد ذلك الطبيب الإيطالى الذى كان يستنزفه ويقتله جوعا. فإذا ما كان هناك رجل مثلهم قد التزموا الصمت، وهذا أغلب الاحتمالات، فإن الآخرين ينتصرون دون سوء قصد، ودون أن يعرفوا ذلك الذى أجريت له العملية، ذلك الذى يعانى من مرض السلّ، ذلك الجريح العريان الملقى على سرير وقد اشتدت به العزلة وهو محاط بكائنات تتحرك كأنها وراء زجاج فترينة ومن زمن آخر..».

دلف إلى أحد مداخل البيوت وأشعل سيجارة. كان المساء يحل بالمكان، وكانت مجموعة من الفتيات تخرج من المتاجر وهن فى حاجة إلى الضحك والتحدث بصوت مرتفع والتدافع، ويجلين عن أنفسهن هذا الصدأ خلال ربع ساعة قبل السقوط فى دائرة البوفتيك والمجلة الأسبوعية. واصل أوليڤيرا سيره. ودونما حاجة لإضفاء المزيد من الدرامية؛ فإن الموضوعية الشديدة التواضع توضحّ أن باريس أصبحت تعيش اللامعقول وحياة التبعية. ولما فكر فى الشعراء كان من السهل تذكر كل هؤلاء الذين أدانوا عزلة الإنسان وهو إلى جوار أخيه الإنسان. والكوميديا الساخرة فى تبادل التحية. وطلب «المعذرة» عند المرور بأحد على السلالم والمقعد الذى يترك للسيدات فى المترو وإظهار الأخوية فى السياسة والرياضة. ويظهر فقط نوع من التفاؤل البيولوجى والجنس الذى يمكن أن يكون تمويها لدى البعض على أنهم فى جزيرة معزولة، وهو ماكان يحزن جون دون[1] Johon Donne. فالاتصال فى الفعل والسلالة والمهنة والسرير وملاعب التنس كأن اتصالا بين الأغصان والأوراق التى تتداخل ويداعب بعضها البعض من شجرة إلى أخرى. أما الجذوع فتعبر بشمم عن توازيها الذى لايدخل فى باب المصالحة. «فى جوهر

22

الأمر يمكن لنا أن نكون على السطح» فكرّ أوليڤيرا. «لكن قد يكون من الضرورى العيش بطريقة أخرى. لكن مامعنى العيش بطريقة أخرى؟ ربما كان ذلك يتمثل فى العيش بطريقة غير معقولة لينتهى الأمر إلى القضاء على اللامعقول. أن يجذب المرء نفسه بقوة من الداخل بحيث تؤدى القفزة إلى الوقوع بين أذرع الآخر. نعم وربما هو الحب، لكن الآخر Otherness تدوم مثلما تدوم امرأة، وخاصة فيما يتعلق بالمرأة. لاتوجد Otherness «الآخر» فى جوهر الأمر، فلا نكاد نجد إلا الـ togetherness (الأتحاد الملائم). وهذا أفضل من لاشئ»... الحب هذا الحقل الكونى يعطى الذات. ولهذا عنّ له فى تلك اللحظة أنه كانت هناك ظلمة فى البداية : دون أن يملك المرء نفسه فليس هناك ملك للآخر. ومن سيملك نفسه فى الواقع؟ ومن ذا الذى عاد من نفسه ومن العزلة المطلقة، التى تعنى أن ليس هناك حتى الرفقة مع النفس، وأن لامناص من دخول السينما أو الماخور أو بيت أحد الأصدقاء أو فى مهنة تستولى عليه أو الزواج حتى يكون على الأقل، وحيدا – بين – الآ–خر– ين؟ ومما هو من تناقضات الأمور فإن أقصى حالات العزلة تؤدى إلى أقصى حالات التبعية وإلى التشوف إلى رفقة الآخر وإلى الإنسان المعزول فى صالة المرايا والأصداء. غير أن أناسىّ مثله وغيره كثيرون من الذين قبلوا أنفسهم (أو كان كل يرفض نفسه لكن يعرفها عن قرب) دخلوا فى أسوأ تناقض ألا وهو الوصول – ربما – إلى حافة الآخر وعدم القدرة على تجاوزها. والآخر الحقيقى المكّون من الاتصالات الحساسة والتوافق الرائع مع العالم لايمكن أن يكون من منظور واحد فقط. فأمام اليد الممدودة لابد وأن تكون هناك يد أخرى تردّ عليها من الخارج؛ أى من الآخر.

(– 62)

23

توقف عند أحد النواصى وقد ملّ تأملاته الحادة (وهذا الذى يحدث له فى كل لحظة - ليس يدرى لماذا- والمتمثل فى أنه يفكرّ أن العجوز الجريح قد يكون على سرير فى إحدى المستشفيات ويحيط به الطلاب والممرضات بطريقة لطيفة وغير شخصية. ويسألونه عن اسمه وسنه ومهنته. وسوف يقولون له إن الأمر بسيط ويزيلون عنه الألم بحقنة وضمادة). توقف أوليڤيرا ليتأمل ماكان يحدث حوله. فهى ناصية مثل أى ناصية فى أى مدينة، تمثل النموذج الكامل لما كان يفكر فيه وتكاد تباعده عن المزيد من إجهاد نفسه. ففى المقهى (كان الأمر يستدعى دخول المقهى وتناول كوب من النبيذ) كانت هناك مجموعة من البنائين تتحدث مع رئيسها وهى واقفة على طاولة البار. وكان هناك اثنان من الطلاب يقرآن ويكتبان على إحدى التربيزات. يراهما أوليڤيرا وهما يرفعان رأسيهما وينظران إلى مجموعة البنائين ثم يعودان إلى الكتاب أو إلى الكراسة، ثم ينظران من جديد. من صندوق زجاجى إلى آخر. النظر، والانعزال والنظر : كان ذلك كل شئ. وفوق الشرفة المغلقة للمقهى بدت السيدة التى تسكن الدور الأول وهى تخبط شيئا أو تقوم بتفصيل فستان إلى جوار النافذة. كانت رأسها المصففة الشعر تتحرك بطريقة إيقاعية. أخذ أوليڤيرا يتصوّر ماتفكر فيه وفى المقص والأولاد الذين سيعودون من المدرسة من لحظة وأخرى، وفى الزوج الذى أنجز يوم عمله فى أحد المكاتب أو البنوك. البناؤون والطالبان والسيدة، والآن جاء متسوّل ظهر من شارع متعامد وهو يحمل زجاجة نبيذ أحمر تبرز من جيبه، ويدفع أمامه عربة طفل ملأها بالصحف القديمة والعلب الصفيح والملابس القديمة والمتسخة ودمية دون رأس ولفةً من المكان الذى خرج منه وذيل سمكة. البناؤون والطالبان والسيدة والمتسوّل، وفى الأكشاك المخصصة لبيع ورق اليانصيب، وكأنها نصيب مخصصة للتشهير بالمجرمين، هناك سيدة عجوز تتناثر بعض خصلات شعرها من تحت كوفية ذات لون رمادى، وقد وضعت يديها فى قفاز أزرق تظهر منه أطراف أصابعها TRAGE MERCREDI وهى تنتظر الزبون دون أمل. وتضع موقدا من الفحم إلى جوار قدميها وقد وضعت نفسها فى تابوت رأس، هادئة تكد تتجمد من البرد وتقدم الحّظ وتفكرّ، لست أدرى فى ماذا، فربما كانت مجموعة من الأفكار والتكرارات الخاصة بتخاريف الشيخوخة، وفى المدرسة التى كانت تهديها بعض الحلوى أيام طفولتها، وفى الزوج الذى توّفى فى Somme، وفى الابن الذى يرتحل من مكان إلى آخر بغرض التجارة. وفى المساء تجد غرفتها على السطح بدون مياة ساخنة والشوربة المطبوخة لثلاثة أيام. والبورجر البقرى

23

الذى هو أرخص من البوفتيك TIRAGE MERCREDI. البناؤون والطالبان والمتسوّل وبائعة ورق اليانصيب، توجد كل مجموعة وكل واحد فى صندوق زجاجى، لكن إذا ماسقط عجوز تحت عجلات سيارة سوف نرى سباقا نحو مكان الحادث. وتبادل للانطباعات فيه نبرة الحماس والنقد ونقاط الاختلاف والاتفاق حتى تعود قطرات المطر من جديد فيرجع البناؤون إلى طاولة البار والطالبان إلى الترابيزة والـ X إلى X والـ Z إلى Z.

«إن العيش بطريقة لاعقلانية يمكن أن يقضى ذات مرة على اللاعقلانية التى لاتنتهى» كرّر أوليڤيرا على نفسه، «لكن سوف يبللّنى المطر، علىّ أن أدخل إلى أى مكان» رأى اللافتات الخاصة بصالة الجغرافيا Salle de Géographie فلجأ إلى المدخل. كانت هناك محاضرة عن أستراليا تلك القارة المجهولة، واجتماع تلاميذ يسوع مونت فاڤيت Cristo de Montfauet. وعزْف على البيانو تقدمه السيدة / تريبات Berthe Trêpat. ودعوة للاشتراك فى حلقة دراسية عن المناخ. تحوّل إلى جودوكا Judoka خلال خمسة أشهر. ومحاضرة حول تعمير ليون. كانت حفلة العزف على البيانو سوف تبدأ على الفور، كما أن تكلفة التذكرة بسيطة. نظر أوليڤيرا إلى السماء وهز كتفيه ثم دخل. كانت تراوده فكرة الذهاب إلى منزل رونالد أوإلى مرسم إيتين. لكن كان من الأفضل أن يكون ذلك ليلا. بدا له من الطريف – دون أن يرى لماذا – أن يكون اسم عازفة البيانو بيوت تريبات. كما بدا له من الطريف اختباءه فى حفلة موسيقية ليهرب من نفسه، وهذا برهان ساخر على كثير من الأفكار التى أخذ يقلّبها على وجوهها فى الطريق. «لسنا شيئا»، فكّر وهو يقوم بوضع مبلغ مائة وعشرين فرنكا على مستوى أسنان العجوز الموضوعة فى قفص شباك التذاكر. أعطته تذكرة فى الصف العاشر، وهذا سوء تصرّف مقصود من العجوز؛ فالحفلة على وشك أن تبدأ، ولم يكن هناك أحد إلا بعض الصُلّع من الطاعنين فى السن وبعض ذوى الذقون ومجموعة أخرى تجمع بين السمتين السابقتين وتبدو عليهم علامات أنهم من حىّ واحد أو لهم روابط أسرية. بالإضافة إلى امرأتين تتراوح أعمارهما بين أربعين وخمسة وأربعين عاما وقد ارتديتا معاطف قديمة وتحملان فى أيديهما مظلات للوقاية من المطر يتساقط منها الماء. وعدد قليل من الشباب معظمهم متزاوج وهم يتناقشون بحدة ويتدافعون، وسمع صوت مضغ حبات

23

الكرملة وقرقعة الكراسى من طراز فيينا. كان إجمالى الحاضرين عشرين شخصا. وكانت الرائحة تقول بأنها أمسية ممطرة. فكانت الصالة باردة جدا وعالية الرطوبة، وتصدر همهمة أصوات من وراء الستار. أشعل أحد الطاعنين فى السن «البيبة» فأسرع أوليڤيرا بإخراج سيجارة «جلواز»، لم يكن يشعر أنه بحالة جيدة، فقد دخلت المياه إلى فردة من حذائه، كما أن رائحة البخر والملابس المبتلة كانت تشعره ببعض القرف. أخذ ينفخ بشكل متوالٍ حتى يقوم بتسخين السيجارة وكرمشتها. رنّ جرس متقطع من الخارج فصفّق أحد الشباب بحماس. قامت حاجبة السينما العجوز، التى ترتدى قبعة مائلة وتضع ماكياجا يؤكد أنها كانت نائمة، بإغلاق ستارة المدخل. فى هذه الأثناء تذكر أوليڤيرا أنهم أعطوه برنامجا. كان عبارة عن ورقة مكتوبة بشكل ردئ حيث تمكن بعد لأى من معرفة أن السيدة بيرت تريبات حاصلة على الميدالية الذهبية، وسوف تعزف «الحركات الثلاث غير متواصلة» لروزيه بوب Rose Bob (فى الفترة الأولى) ومقطوعة «باڤانا من أجل الجنرال ليكليرك» لألكس ألكس A. Alix (الفترة الأولى المدينة) وخلاصة ديليبس – سان سايتز «Sintes Délibes-saint-saëns» لنفس الفنان والعازفة بيرت تريبات.

«يا للإزعاج»، فكّر أوليڤيرا «ياله من برنامج مزعج». ظهر رجل خلف البيانو، دون أن يعرف بالضبط كيف وصل. كان أبيض الشعر وله لغد معلق فى رقبته، يرتدى حلة سوداء ويداعب بيده الوردية اللون السلسلة المعلقة فى الصديرى الفانتازيا. بدا الصديرى سميكا فى نظر أوليڤيرا. دوت بعض التصفيقات المكتومة التى صدرت عن آنسة ترتدى معطفا واقيا من المطر بنفسجى اللون وتضع على عينيها نظارة ذات شنبر من الذهب. وبصوت شديد الشبه بصوت الببغاء تولى العجوز ذو اللّغد تقديم الحفل الموسيقى، وأشار فى تقديمه إلى أن روزى بوب كانت تلميذة سابقة فى العزف على البيانو لمدام بيرت تريبات. وأن المقطوعة الموسيقية «الباڤانا» لألكس ألكس ألفها أحد ضباط الجيش البارزين الذى ظهر تحت اسم مستعار. كما أن المقطوعات المشار إليها كانت تستخدم، أساسا، أحدث وسائل التأليف الموسيقى. وفيما يتعلق بالمقطوعة «Síntesis Delibes-Saint Saëns» (وهنا رفع العجوز ناظريه بنوع من الشرود) فهى تمثل فى إطار الموسيقى المعاصرة بعدا من الأبعاد التجديدية العميقة وصفتها مؤلفتها

23

مدام تريبات بأنها «توليفة بين الأشتات». كان الوصف صادقا بالدرجة التى كانت العبقرية الموسيقية لكل من ديليبس وسان سانز تنْحو إلى التناضحْ والتداخل والتناغم، وهى سمات قد أصابها الجمود بسبب الفردية المبالغ فيها فى الغرب. وآلت إلى عدم التطورّ والتشابك، إلا أن العبقرية الإبداعية لمدام تريبات أنقذتها من هذا المصير. هذا حقيقى فالحساسية الشديدة التى هى عليها أدّتْ بها إلى اقتناص نقاط التقاء كانت خافية على عامة المستمعين، وتولّت هى المهمة النبيلة والشاقة فى أن تكون حلقة وصل من خلالها يمكن أن يلتقى فيها أعظم أبناء فرنسا. لقد حان الوقت للقول بأن مدام بيرت تريبات – بغض النظر عن نشاطها كمدرسة للموسيقى – سوف تحتفل قريبا بعيدها الفضىّ فى خدمة التأليف الموسيقى. لم يجرؤ المقدم فى مقام كهذا، وهى كلمة بسيطة تلقى فى بداية حفل موسيقى ينتظره الجمهور بشغف، أن يقوم بتحليل التأليف الموسيقى لمدام تريبات رغم أنه كان شديد الاهتمام به – ويمكن تلخيص الجمالية الموسيقية لهؤلاء الذين يستمعون لأول مرة لأعمال روزيه بوب ومدام تريبات، فى أنها عبارة عن تكوينات مضادة للبنائية، أى أنها خلايا صوتية مستقلة بذاتها، وهذا ثمرة الإلهام المحض. وتترابط تلك الخلايا من خلال التوجّه العام للعمل، لكنها تحررت تماما من أية قوالب كلاسيكية، أو سلّم الاثنتى عشرة نغمة، أو اللانغم (كررّ الكلمتين الأخيرتين بتركيز خاص). فعلى سبيل المثال نجد أن مقطوعة «الحركات الثلاثة غير المتصلة» لروز بوب، التلميذة النجيبة لمدام تريبات، تبدأ من نقطة رد الفعل داخل الفنانة إزاء صوت باب يغلق بقوة. أما النغمات الاثنتين والثلاثين (acordes) التى تشكل الحركة الأولى فلم تكن إلا عدة تتابعات لهذا الصوت على المستوى الجمالى. لم يتصور الخطيب أنه يفشى سرا إذا ما أشار إلى جمهور الحضور المثقف أن تقنية تأليف[1] «Sínteors Délibes- Saint-Saëns» لها صلة حميمة بالقوى الأولية والباطنية للإبداع. ولن ينسى أبدا أنه حضر مرحلة من مراحل تأليف هذه المقطوعة، وأنه ساعد مدام تريبات فى العمل على بندول rabdomàntico من خلال النوت الموسيقية لكلا الأستاذين حتى يتسنى اختيار تلك الجمل التى يكون تأثيرها على البندول مؤكدا ذلك الإلهام الأصيل للفنانة. ورغم أنه كان يمكن أن يضيف الكثير إلى ماقاله إلا أنه كان يعتقد أن واجبه هو الانتهاء مما يقول، ولكن ليس قبل أن يؤكد على أن مدام/تريبات تعتبر واحدة من الفنارات البارزة للروح الفرنسية والمثل الحىّ على العبقرية التى لاتدركها الجماهير العريضة.

23

تحرك لغد العجوز بقوة، ولم يستطع النطق بالمزيد من جراء التأثر والكُحّة فاختفى وراء الستار. أربعون يدا قامت بالتصفيق المكتوم. ضاعت رؤوس بعض عيدان الثقاب تمطّى أوليڤيرا، ما أمكنه، فى مقعده وجلس بشكل أفضل. لابد وأن العجوز الذى تعرضّ للحادثة يشعر أنه فى وضع أفضل وهو على سرير المستشفى وهو غارق فى النعاس الذى يعقب الصدمة. كما أنه سعيد فى أنه يرفض أن يكون سيّد نفسه، ويتحول السرير إلى مركب وأجازة ونوع من الخروج عن مسار الحياة اليومية. «قد أقرر الذهاب لعيادته فى أحد الأيام القادمة» كان يقول لنفسه، «لكن ربما أنسف له الجزيرة الجرداء وأتحول إلى أثر لقدم فى الصحراء. يالك من حسّاس».

أدى التصفيق إلى أن يفتح عينيه ويشهد الانحناءة الصعبة التى تعبّر بها مدام بيرت تريبات عن شكرها للجمهور. وقبل أن يتمعن فى وجهها جيدا تصلبت عينيه فى الحذاء الذى تنتعله وهو حذاء رجالى لايمكن لأى تنورة أن تدار به. إنه حذاء كاروهات بدون كعب وأشرطة أنثوية لافائدة لها. ومابعد ذلك كان متصلبا وواسعاً فى الوقت ذاته. إنها امرأة سمينة وضعت نفسها فى كورسيه لايرحم. لكن مدام تريبات لم تكن سمينة ولانكاد نطلق عليها صفة الامتلاء بعض الشئ. لابد وأنها تعانى بعض آلام الظهر «اللومباجو»؛ مما يؤدى إلى تحركها ككتلة وهى الآن فى وضع المواجهة تقدم تحياتها بصعوبة. وبعد ذلك سوف يكون لها بروفيل وهى تنزلق بين الكرسّى والبيانو وتفّرد نفسها بطريقة هندسية حتى تستقيم جلستها. ومن هذا المكان أدارت الفنانة رأسها فجأة وحيّت الجمهور من جديد، لكن لم يكد يكون هناك تصفيقا. «لابد وأن هناك أحدا على أعلى المسرح يحركّ الخيوط» كان يحب العرائس والشخوص المتحركة، وكان ينتظر الكثير من «التوليف بين الأشتات». نظرت بيرت تريبات إلى الجمهور من جديد، بدا وجهها المستدير، وكأن عليه دقيق، يكثف بوضوح كل نتوءات القمر، أما الفم فكان مثل كرزة قرمزية اللون امتدت حتى أخذت شكل مركب مصرى. ثم عادت لوضع البروفيل. تأمل أنفها المدبب الصغير على شكل منقار ببغاء، ثم أصابع البيانو هنيهة بينما ارتاحت الأصابع عليها بدءا بالدوه حتى السّى وكأن يديها شنطتين من الشمواه المتهالك. أخذت تسمع الاثنين والثلاثين نغمة فى الحركة الأولى غير المستديمة. وبين الحركة الأولى والثانية مضت خمس ثوان ثم خمس عشرة ثانية بين الثالثة والرابعة.

23

وعند الوصول إلى النغمة رقم خمسة عشر كانت روز بوب قد أمرت بوقفة لمدة خمس وعشرين ثانية. لاحظ أوليڤيرا - الذى جذبه حسن الاستخدام لطرائق الموسيقى ڤيبرن[٢] Webern. فى البداية - لاحظ أن بعض الأحداث أدت إلى تدهور الموقف بسرعة. فبين النغمتين السابعة والثامنة سمع صوت كحة، وبين الثانية عشرة والثالثة عشرة سمع صوت حكة عود ثقاب. وبين الرابعة عشرة والخامسة عشرة سمع تكرار هذه العبارة «آه، ياسوء الحظ» نطقتها فتاة شقراء. وعند النغمة العشرين قامت سيدة من السيدات العجائز وكأنها موضوعة فى محاولة للتخليل والحفظ، بالضغط بقوة على المظلة الواقية من المطر وفتحت فمها لتقول شيئا مفاده أن النغمة الحادية والعشرين زادت بشكل فيه تطويل. وكان أوليڤيرا يتسلّى بالنظر إلى بيرت تريبات، ويشك فى أن عازفة البيانو كانت تدرس تلك النغمات بطرف عينيها. ومن خلال هذا الطرف، مع وضع البروفيل الذى عليه بيرت تريبات، يمكن أن تتسلل نظرة رمادية وسماوية - خطر لأوليفيرا أنها بهذه النظرة ربما كانت تحسب عدد تذاكر الدخول. وعند النغمة الثالثة والعشرين اعتدل أحد السادة، به صلع شديد، فى جلسته وهو غير راضٍ. وبعد أن زفر بقوة معبرا عن سخطه خرج من الصالة وكل ضربة بكعب حذائه تضرب مسمارا فى الصمت لمدة ثمانى ثوان فرضتها روز بوب - وابتداء من النغمة الرابعة والعشرين قل عدد الوقفات، ومن الثامنة والعشرين حتى الثانية والثلاثين سمع إيقاع وكأنه مسار جنائزى له سماته الخاصة أبعدت بيرت تريبات قدميها عن بدّال البيانو ووضعت يدها اليسرى على حجرها وبدأت فى عزف الحركة الثانية. هذه الحركة استمرت أربعة أوزان Compa. ويشتمل كل واحد من هذه الأوزان على ثلاث نوتات متساوية القيمة. أما الحركة الثالثة فكانت فى الأساس عبارة عن الخروج من أطراف أصابع البيانو والتقدم نحو المركز وتكرار هذه العملية من الداخل إلى الخارج، كل ذلك فى إطار نغمات ثلاث تؤدى فى وقتين Tresillos» إلى غير ذلك من لمحات تزيين النغمة. وفى لحظة معينة لاتدل على أن شيئا سوف يحدث توقفت العازفة عن مواصلة العزف واعتدلت بطريقة مفاجئة ووجهت تحية تكاد تكون متحدّية، لكن أوليڤيرا استخلص منها مابدا له أنه عدم ثقة وربما خوف. صفق فتى ورفيقته بقوة، ووجد أوليڤيرا نفسه يصفق بدوره دون أن يدرى لماذا (وعندما عرف السبب اغتاظ وتوقف عن التصفيق) استعادت تريبات وضع

23

البروفيل الذى كانت عليه فى الحال ومررّت أحد أصابعها على البيانو بلا مبالاة منتظرة الصمت. ثم أخذت تعزف مقطوعة «باڤانا من أجل الجنرال ليكليرك». •

وخلال الدقيقتين أو الثلاث دقائق التالية وزّع أوليڤيرا اهتمامه بين هذا المساء غير العادى الذى تلقى به بيرت تريبات بكل ما أوتيت من قوة وسرعة وبين الإشارات التى تصدر على استحياء أو بوضوح من قبل العجائز والشباب لمغادرة الصالة. ومقطوعة باڤانا هى خليط من جمل لـ ليزت[٣] Liszt ورشمانيتوف[٤] Rachamaninov وهى تكرار لايتغير لموضوعين أو ثلاثة ثم الدخول بعد ذلك فى تنويعات لاتنتهى، فيها أجزاء من البسالة (عزفتها بشكل سيىء فيه خروق وشقوق فى كل مكان) واللحظات المهيبة حيث النعش على عربة مدفع لكن ألكس ألكس كسر ذلك بالفرقعات التى أسلم نفسه لها بمتعة. تصورّ أوليڤيرا مرة أو مرتين أن تسريحة الشعر الخاصة بالسيدة/ تريبات سوف تسقط فجأة، لكن هناك عدد من بنس الشعر تمسك بها وكأنها مسلحة وسط الوميض والرعد الذى هو جوّ مقطوعة «باڤانا». ثم جاء دور النغمات السريعة والمتلاحقة التى تعلن النهاية. وتكررت الموضوعات الثلاث بشكل متوال (كان أحدهما شديد الشبه بـ دون خوان لـ إشتراوس) ثم أمطرت تريبات العديد من النغمات التى تزداد حدة والتى تنتهى بتذكّر هستيرى للموضوع الأول وبالنغمتين فى النٌوت الأكثر خطورة. كان إيقاع آخرهما زائفا ناحية اليد اليمنى، لكنها أشياء يمكن أن تحدث لأى إنسان، صفق أوليڤيرا بحرارة وهو يشعر بقضاء وقت طيب.

وقفت العازفة فى مواجهة الجمهور وكأن هناك زنبركا يحركها، وحيت الحاضرين. بدا أنها تعد من بقى فى الصالة، فلم يكد يبقى إلا ثمانية أو تسعة أفراد. خرجت بيرت تريبات واثقة من نفسها من الناحية اليسرى، ثم قامت موظفة الصالة بإغلاق الستارة وقدمت حبات الكرملة.

لم يكن الأمر يستحق البقاء، ورغم ذلك ففى هذا الحفل الموسيقى يوجد جوّ يُشْعر أوليڤيرا بالسعادة، وعلى أى الأحوال فإن تريبات المسكينة كانت تحاول تقديم أعمال للجمهور لأول مرة؛ الأمر الذى كان مثار جدال فى هذا العالم الذى تسيطر عليه موضة الرقصات البولندية وسوناتا «Claro de luna» لبيتهوفن ورقصة النار. كان هناك شئ يحرك النفس فى وجه هذه الدمية المحشوة بقصاصات القماش والقطيفة والبوبلين

23

الطويلة، والتى وضعت فى عالم فج ملئ بأباريق الشاى المكسّرة والسيدات العجائز اللائى سمعن عزف إدوارد ريسلر[٥] E. Risler واجتماعات الفن والشعر فى صالات مغطاة حوائطها بورق من الموضة القديمة وميزانيات تبلغ أربعين ألف فرانك شهريا وتضرُّع عفوى للأصدقاء حتى يصل المرء إلى نهاية الشهر، والاهتمام بالفن الأ- صيـ - ل على طريقة أكاديمية ريموند دونكان Raimond Duncan، ولم يكن الأمر بحاجة لخيال واسع لتصوّر الهيئة التى عليها ألكس ألكس وروزيه بوب والحسابات التى يقومون بإجرائها قبل استئجار صالة للحفل الموسيقى والبرنامج المنسوخ على الآلة الكاتبة بواسطة طالب متطوع وقوائم المدعوين التى لاطائل من ورائها والإحساس بخيبة الأمل من وراء الستار عندما ترى الصالة وبها عدد قليل، لكن يجب الأداء بنفس الطريقة، الميدالية الذهبية والخروج بنفس الطريقة. كان الأمر بمثابة فصل من فصول سيلين[٦] Céline. كان أوليفيرا يعرف أنه غير قادر على تصوّر يتجاوز الجو العام وعن محاولة البقاء غير المجدية لمثل تلك الأنشطة الفنية التى تؤديها مجموعات مهزومة وغير مجدية. «ماكان ينقصنى هو أن أكون وسط هذا الجو الملئ برائحة النفتالين» عبّر أوليفيرا بغيظ «هناك عجوز سقط تحت سيارة، والآن تريبات، ولسنا بحاجة للحديث عن الجو الكئيب خارج المبنى وعن نفسى. وخاصة عن نفسى».

بقى فى الصالة أربعة أفراد، وبدا له أن من الأفضل الجلوس فى الصف الأول لمزيد من الرفقة لمن تقوم بتنفيذ حكم الإعدام. بدا له هذا التصرف لطيفا حيث يعبر عن التضامن. لكنه وإن جلس فى المقدمة فقد قضى فترة الانتظار وهو يدخن. وبطريقة غير مفهومة، فى اللحظة التى عادت فيها تريبات للظهور من جديد، قررت سيدة من الحضور مغادرة المكان فنظرت إليها محدقة قبل أن تبذل جهدها لتحية الصالة التى تكاد تخلو من الحضور. تصوّر أوليفيرا أن السيدة التى خرجت للتو تستحق ركلة فى عجزها. وسرعان ما اكتشف أن ردود أفعاله هذه تعكس نوعا من التأييد لتريبات رغم مقطوعات الباقانا التى عزفتها ورغم روزيه بوب «منذ فترة لايحدث لى مثل هذا» فكّر. «لنر فيما إذا كنت بدأت أضعف مع مرور السنين»، هناك الكثير من الأنهار الميتافيزيقية وفجأة يجد نفسه راغبا فى الذهاب إلى المستشفى لزيارة العجوز، ثم إنه يصفق لهذه المجنونة الموضوعة فى كورسيه، غريبة. ربما كان السبب هو البرد الذى

23

يشعر به فى الحذاء.

بينما مرت ثلاث دقائق أو أكثر على بداية مقطوعة «Síntesis Delibes Saint- Saêns» خرج الثنائى - رجل وامرأة- الذى كان بمثابة العصب الرئيسى للجمهور. تصوّر أوليڤيرا من جديد أنه لمح نظرة تريبات كأنها تفادى الموقف، وفجأة بدا أن أصابعها ويديها بدأت تتصلب وأخذت تعزف وهى تميل نحو البيانو وتبذل جهدا كبيرا وتنتهز أى وقفة لتنظر شزرا إلى الصالة حيث يجلس أوليڤيرا وسيد تلوح على وجهه ابتسامة يستمعان وقد أبديا اهتماما كبيرا. لم يتأخر كثيرا «التوليف بين الأشتات» فى التعبير عن مكنونه حتى بالنسبة لشخص لايعرف شيئا مثل أوليڤيرا، وبعد أربعة أوزان من Route d' Omphale تلتها أربعة أخرى من Les Filles de Cadix قامت اليد اليسرى بعزف Mon Coeurs' ouvre à ta voix بينما تقوم اليد اليمنى، بشئ من التشنّج، بإدخال موضوع أجراس لكمى Lakmé، ثم تقوم كلتا اليدين بعزف جمل من Danse Macobre الرقصة المأساوية والحزينة Coppélia إلى آخر ذلك من الموضوعات المذكورة فى البرنامج مثل نشيد لفيكتور هوجو وجان دى نيڤيل Jean de Nivelle و«على ضفاف النيل»، كل ذلك بشكل تبادلى مع الموضوعات الشهيرة، ولما كان المفهوم هو الشتات كان من المستحيل تصور إنجاز أفضل من هذا، ولهذا فعندما بدأ السيد ذو الابتسامة المريحة فى الضحك بصوت منخفض، وأدبا منه وضع قفازا على فمه، لم يكن أمام أوليڤيرا إلا القبول بأن الرجل على حق ولايمكن أن نطالبه بأن يصمت. وربما ساور تريبات نفس الشك ذلك أنها تدخل المزيد من الجمل المتنوعة، ويزداد بذلك توقف يديها فتواصل عزفها بأن تهز عضديها وتحك كتفيها وكأنها دجاجة تبحث عن وضع مريح فى قفصها. ومن جديد تعزف جملة من يفتح قلبى على صوتك من جديد، وجملة أين تذهب الشابه نيروز؟ وهما نغمتان مؤلفتان، وتلاحق سريع فى الختام Les filles de Cadix ترا لا-لا-لا- وكأنها زغّطة، وعدّة نوت مجتمعة إلى جانب (مفاجأة) بيير بولير(٧) Pierre Boulez. صدرت عن السيد ذى الابتسامة اللطيفة صرخة ثم خرج مهرولا وهو يضع القفاز على فمه فى اللحظة التى أنزلت فيها تريبات يديها لتنظر بثبات إلى أصابع البيانو وتمرّر وترية طويلة، لانهاية لها، هناك فراغ لامناص منه بين أوليڤيرا وتريبات، فلم يعد أحد فى الصالة إلا كلا الاثنين.

23

- قال أوليڤيرا مدركا أن التصفيق غير مناسب :

- براڤو .. براڤو يامدام. دارت تريبات بعض الشئ على الكرسى، دون أن تنهض من مكانها، ووضعت مرفقها على حافة البيانو، تبادلا نظرة، نهض أوليڤيرا واقترب من حافة خشبة المسرح.

- مهم جدا - قال :

- صدقينى ياسيدتى لقد استمعت إلى حفلك الموسيقى باهتمام بالغ.

ياله من ابن قحبة.

كانت تريبات تنظر إلى الصالة الخالية من المستمعين. كان أحد رموشها يرتعد بعض الشئ، وبدا أنها كانت تسأل نفسها سؤالا أو تنتظر شيئا، شعر أوليڤيرا أنه يجب أن يواصل حديثه.

- إن فنانة مثلك تدرك جيدا عدم الفهم والجهل الذى عليه الجمهور، وفى حقيقة الأمر أعرف أنك تعزفين لنفسك أنت.

- لنفسى أنا -

كررت تريبات الجملة بصوت كأنه الببغاء وهو شديد الشبه بصوت ذلك الرجل الذى قام بتقديم الحفل.

- لمن إذن إذا لم يكن ذلك ؟ قال أوليڤيرا وهو يتسلق إلى المسرح وكأنه يحلم. إن الفنان لايضع فى اعتباره إلا النجوم كما قال نيتشه.

- قالت تريبات وهى تشعر بالمفاجأة :

- من أنت ياسيدى؟

- أوه، إننى واحد ممّن يهتمون بالظواهر .... كان من الممكن سرد المزيد من الكلمات، وإذا ماكان فى كل ذلك شئ مهّم فليس إلا شيئا من الرفقة دون أن يرى المرء لماذا. كانت تريبات تستمع إلى الكلام ولازالت شاردة بعض الشئ. اعتدلت فى جلستها بعد شئ من الجهد ونظرت إلى الصالة والستارة.

- قالت :

- نعم، لقد تأخر الوقت وعلى أن أعود إلى المنزل .

- قالت ذلك، وكأنها تتحدث مع نفسها كنوع من العقاب أو شئ من هذا القبيل.

- قال أوليڤيرا وهو ينحنى :

- هل أحظى بمرافقتك بعض الوقت؟ إذا لم يكن هناك من ينتظرك فى إحدى غرف الكواليس أو على بوابة الخروج.

23

– لن يكون هناك أحد. فلقد ذهب فالنتين بعد التقديم. ما رأيك فى التقديم؟
– قال أوليفيرا وهو يزداد وثوقا بأنه كان يحلم، وأنه يروق له الاستمرار فى هذا الحلم.
– مهم .
– قالت تريبات :
– يمكن لفالنتين أن يفعل أشياء أفضل، وفى رأيى أنه لأمر منفّر من جانبه ... نعم منفرّ .... وهو الذهاب وتركى وحدى كأنى خرقة قماش.
– لقد تحدث عنك وعن مؤلفاتك بإعجاب شديد.
– مقابل خمسمائة فرنك تجده قادرا على أن يتحدث بإعجاب عن سمكة ميتة.
إنها خمسمائة فرنك! – كررت تريبات وقد استغرقت فى تأملاتها.
«إننى أمثل هنا دور الأبله» قال أوليفيرا لنفسه. فإذا ماحيّاها وعاد إلى الصالة ربما لم تكن الفنانة لتتذكر عرضه. لكن الفنانة أخذت تنظر إليه فرآها أوليفيرا وهى تبكى.
– إن فالنتين حقير. كلهم ... كان هناك أكثر من مائتى شخص وقد رأيتهم سيادتك. إنهم أكثر من مائتين. وهذا عظيم بالنسبة للتقديم لأول مرة أليس كذلك؟ والجميع دفعوا ثمن تذكرة الدخول ولاتظن أننا أرسلنا دعوات مجانية. إنهم أكثر من مائتى ولم يبق الآن إلا سيادتك، لقد ذهب فالنتين، وأنا ....
– هناك عدم حضور ينظر إليه على أنه انتصار حقيقى.
– قال أوليفيرا هذه العبارة برنين لايصدق.
– لكن لماذا ذهبوا؟ فلقد رأيتهم يذهبون؟ أقول لك إنهم أكثر من مائتين، ومنهم أناس من علية القوم؛ فلقد رأيت مدام /روش ودكتور/ لاكور ورأيت مونتلبير الأستاذ الذى شهد آخر حفل للمسابقة الكبرى فى العزف على الكمان... أعتقد أن مقطوعة «بافانا» لم ترقهم كثيرا، وأنهم تركوا المكان لذلك. أليس كذلك؟ لأنهم ذهبوا قبل أن أعزف مقطوعتى «Síntesis» وأنا متأكدة من هذا فقد رأيتهم.
– قال أوليفيرا :
– بالتأكيد يجب القول بأن مقطوعة بافانا ...
– قالت تريبات :
– ليست بافانا بشكل مطلق إنها مقطوعة هى القذارة بعينها. والسبب فى ذلك هو فالنتين. فلقد حذرونى أن فالنتين يضاجع ألكس ألكس فلماذا يجب علىّ أن أدفع الثمن؟ وأنا الحاصلة على الميدالية الذهبية، وسوف أطلعك على القراءة النقدية لأعمالى وانتصاراتى فى جرينوبل Grenoble وفى بوى Puy...

23

كانت دموعها تسيل وتأخذ مسارها حتى الرقبة، وتتوه بين نتوءات الرقبة وجلدها الذى بدت عليه الشيخوخة. أخذت ذراع أوليڤيرا وهزّتها. تكاد تتعرض لحالة هستيرية بين لحظة وأخرى.

– قال أوليڤيرا متعجلا :

– لماذا لاتبحثين عن معطفك ولنخرج؟ سوف يساعد هواء الشارع على انتعاشك. ويمكن أن نتناول أى مشروب، وهذا بالنسبة لى سوف يكون ...

– كررت تريبات :

– تناول أى ميدالية ذهبية.

– قال أوليڤيرا بطريقة غير لائقة :

– مايحلو لك ياسيدتى.

وصدرت عنه حركة ليخلّص نفسه، لكن الفنانة ضغطت على ذراعه وازداد اقترابها منه. وصلت إلى أنف أوليڤيرا رائحة العرق بعد الحفلة وقد اختلطت برائحة النفتالين واللبان الجاوى (أضف إليها البول والدهانات الرخيصة). فى البداية كان روكامادور والآن تريبات هذا لايصدق. «الميدالية الذهبية»، كانت الفنانة تكرر هذه العبارة وهى تبكى وتبتلع ريقها. وفجأة أخذت تنتحب فاهتزت وكأنها تطلق نغمة فى الهواء «وكل ذلك هو مايحدث دائما...» فهم أوليڤيرا الذى كان يحاول بلا جدوى، مباعدة الأحاسيس الشخصية ليلجأ إلى نهر ميتافيزيقى. وبدون أية مقاومة تركت تريبات نفسها تتجه إلى الستائر حيث كانت موظفة الصالة تنظر إليها وهى تحمل نظارتها فى يدها وكذا القبعة المزينة بالريش.

– هل تشعر السيدة بأنها ليست على مايرام؟

– قال أوليڤيرا :

– إنه الانفعال هاهى تتحسن، أين معطفها؟

بين لوحات الإعلانات والترابيزات المتقادمة وآلة الهارب والشماعة، كان هناك كرسى علق عليه معطف واقٍ من المطر أخضر اللون، ساعد أوليڤيرا تريبات التى كانت مطأطئة الرأس لكنها لاتبكى. خرجا من خلال باب صغير وممشى مظلم متجهين إلى ليل الشارع. كان المطر يتساقط فى شكل رذاذ.

– قال أوليڤيرا الذى لم يكن معه إلا أقل من ثلاثمائة فرانك :

– لن يكون من السهل العثور على تاكسى .. هل تعيشين بعيدا.

– لا، إننى أعيش بالقرب من البانتيون Panthéon. كما أننى أفضل السير.

– نعم، هذا أفضل.

23

أخذت تريبات تسير ببطء وهى تحرك رأسها فى هذا الجانب وذاك الآخر. وبوضع غطاء الرأس المتصلّ بالمعطف كان الهواء يدخل بقوة وكأنه أوبو روى[٨] Ubu Roi، فما كان من أوليڤيرا إلا أن رفع ياقة القميص وياقة المعطف.

– قالت الفنانة :

– إنك إنسان لطيف لم يكن من اللازم أن تفعل ذلك. مارأيك فى مقطوعتى الموسيقية ؟

– أنا ياسيدتى مجرّد هاو. الموسيقى بالنسبة لى هى بمثابة ...

– قالت تريبات :

– لم ترق لك

– فى الحفلة الأولى ...

– لقد عملنا لشهور طويلة مع ڤالنتين. ليل َنهار بحثا عن مصالحة بين العبقريات.

– على أى الأحوال سوف تعترفين ياسيدتى بأن ديليبس ....

– كررت تريبات :

– إنه عبقرى وقد أكد ذلك أمامى إيريك ساتى[٩] Erik Sati ومهما يقل دكتور لاكور بأن ساتى كان لى .... كيف يمكن قول ذلك. إنك ياسيدى تعرف جيدا أن ساتى كان مقتنعا بما يقول، نعم، كان مقتنعا. من أى البلاد أنت أيها الشاب؟

– من الأرجنتين ياسيدتى، وأقول لك بالمرّة أننى لست شاباً.

– آه، الأرجنتين. السهول المترامية الأطراف ... أتظن ياسيدى أنهم قد يهتمون بأعمالى؟

– أنا متأكد من ذلك ياسيدتى.

– ربما أمكن لك أن تهيئ لى مقابلة مع السفير. فإذا ما كان تيبود[١٠] Thibaud قد يسافر إلى الأرجنتين ومونتيفيديو. فلم لا أذهب أنا التى تعزف موسيقى من تأليفها؟

– سأل أوليڤيرا الذى كان يشعر بشئ كأنه غثيان :

– هل تؤلفين كثيرا؟

– أنا مستغرق فى عملى رقم ثلاثة وثمانين، أليس كذلك. لنر ... أتذكر الآن أنه كان علىّ التحدث مع مدام نوليت قبل خروجى ... فهناك حسابات معلقة. الإجمالى مائتى فرد. ومعنى هذا .... استغرقت فى همهماتها، وسأل أوليڤيرا نفسه فيما إذا كان من الأرحم مواجهتها بالحقيقة، لكنها كانت تعرفها إنها تعرف الحقيقة بالطبع.

– قالت تريبات :

– إنها فضيحة قمت بالعزف فى نفس الصالة منذ عامين ووعد بولينك[١١] Poulenc

23

بالحضور .... هل أخذت ذلك فى اعتبارك؟ بولينك بشحمه ولحمه. كنت ملهمة فى ذلك المساء، وللأسف فإن بعض الالتزامات طرأت له بشكل مفاجئ الأمر الذى حال دون حضوره ... لكن نعرف جميعا مايحدث مع الموسيقيين الذين هم على الموضة.... وفى تلك الليلة قبضت منى السيدة نوليت أقل من النصف - ثم أضافت بغيظ - النصف بالضبط. وبالطبع سوف يكون نفس الشئ وبحساب مائتى فرد...

- قال أوليفيرا وهو يأخذها برفق من مرفقها لتدخل شارع سين Seine:

- ياسيدتى إن الصالة كانت شبه مظلمة وربما أخطأت فى تقدير عدد الحضور.

- قالت تريبات :

- أوه، لا.. أنا واثقة بأننى لم أخطئ، لكنك جعلتنى أخطئ فى الحسبة التى أقوم بها، معذرة لابد من حسابها مرة أخرى .... ثم عادت للاستغراق فى الهمهمة وتحريك شفتيها وأصابعها بشكل دائم وهى غائبة تماما عن المسار الذى يأخذها فيه أوليفيرا وربما فقدت أيضا الإحساس بحضورها. وكل مايمكن أن تقوله بصوت مرتفع كان من الممكن أن تقول لنفسها. كانت باريس مليئة بالناس التى تتحدث مع نفسها فى الشارع. وأوليفيرا لم يكن استثناءً والاستثناء الوحيد هو أننى أقوم بدور الأبله مع العجوز، ومرافقة هذه الدمية الباهتة القماش إلى منزلها، هذه البلونة المسكينة المنفوخة، حيث تتراقص البلاهة والجنون مكونتين باقانا حقيقية هذه الليلة. «إنه لأمر منفرّ، لابد من الإلقاء بها على أى درجة سلم ووطء وجهها بالقدم وسحقها وكأنها حشرة، وتحطيمها وكأنها بيانو يسقط من الدور العاشر. والرأفة الوحيدة بها هو إخراجها مما هى فيه والحيلولة دون استمرارها فى المعاناة وكأنها كلب يعيش وسط أوهامه لكنها لاتصدقها، إنها تصنعها حتى لاتشعر بالمياة وهى تدخل حذاءها وأن المنزل خاو على عروشه أو أن به هذا اللاعالم من الشعر الأبيض. إننى أشعر بالقرف منها، سوف أتركها على الناصية القادمة. كما أنها لن تدرك ما أنا فاعله ياله من يوم، ياله من يوم.

إذا ماعبر بسرعة من شارع لوبنو Lobineau فلن تناله أبدا، لكن ربما وجدت العجوز الطريق إلى منزلها. نظر أوليفيرا إلى الخلف وانتظر اللحظة التى هز فيها ذراعه وكأن هناك ثقلا يقع عليه أو معلقا به. لكنها كانت يد تريبات، كما ازداد إمساكها بذراعه وبكل ثقلها بينما هو ينظر إلى شارع لوبنو ويساعد الفنانة فى الوقت ذاته على عبور الشارع. واصل معها فى شارع تورنون Tournon.

- قالت تريبات :

- من المؤكد أنه أشعل نار المدفأة وليس الأمر هو أن الجو بارد فى الواقع بل لأن

23

النار هى صديق الفنانين. أليس كذلك؟ سوف تصعد لتناول كأس معى ومع ڤالنتين.

– قال أوليڤيرا :

– آه، لا ياسيدتى، هذا لايجوز ومبلغ فخرى هو أننى أرافقك حتى باب منزلك. إضافة إلى ذلك ...

– لاتكن متواضعا أيها الفتى. فأنت شاب. أليس كذلك؟ من الملاحظ أنك شاب فَتِى، ذراعك على سبيل المثال .... كانت أصابعه قد انتفخت بعض الشئ بسبب ضغط كم البالطو – أنا أبدو أكبر من سنى، فأنت تعرف كيف تكون حياة الفنان.

– قال أوليڤيرا :

– لايمكن أبدا، فيما يتعلق بى فقد تجاوزت الأربعين: أى أنك ياسيدتى تمدحيننى.

كانت الجمل تخرج منه هكذا، ولم يكن هناك مايمكن عمله. لقد طفّ الصاع. كانت تريبات تتحدث عن أيام مضت وهى معلقة بذراعه، وبين الفينة والأخرى تتوقف فى منتصف الجملة ويبدو أنها تعود مرة أخرى للحسابات. وأحيانا أخرى تضع إصبعها فى أنفها بطريقة عفوية وتنظر بغيظ لأوليڤيرا. وحتى تتمكن من وضع إصبعها فى أنفها كانت تخلع قفازها بسرعة متصنعة بأن هناك أكلان فى كف يدها فتهرشه بيدها الأخرى (بعد أن تكون قد سحبتها بشكل مهذّب من ذراع أوليڤيرا) وترفعها بحركة وكأنها تضعها على البيانو ثم تنبش أحد فتحات أنفها فى أقل من ثانية. كان أوليڤيرا يتظاهر بأنه ينظر إلى الجانب الآخر وعندما يعود برأسه تكون تريبات قد تعلقت بذراعه من جديد بعد أن لبست القفاز. وسارا على هذا النحو وهما يتحدثان – بينما يتساقط المطر، كانا يتحدثان عن أشياء مختلفة – وعندما مرّ بقصر لوكسمبورج كانا يتحدثان عن باريس وعن الحياة التى أصبحت صعبة للغاية وعن المنافسة الحادة من قبل الشباب المندفع وعديم الخبرة وعن الجمهور الذى أصبح جاهلا ولايوجد علاج له وسعر شرائح البوفتيك فى سوق سان چيرمان أو فى شارع بوس Buci وهى الأماكن الممتازة لشراء البوفتيك الجيد بسعر معقول. وبطريقة مهذبة سألت تريبات أوليڤيرا مرتين أو ثلاث عن مهنته وتطلعاته وماقد فشل فيه، لكنه قبل أن يتمكن من الرّد على أسئلتها كان الحديث يعود من جديد لينصب على اختفاء ڤالنتين غير المبرّر والخطأ المتمثل فى عزف مقطوعة باڤانا لألكس ألكس، ولم تفعل هذا إلا لأنها ضعيفة أمام ڤالنتين. وسوف تكون هذه آخر مرة «هذا اللوطى» غمغمت تريبات. كان أوليڤيرا يشعر بأن يده بدأت تؤلمه تحت قماش المعطف «من أجل هذه الحثالة، علىّ أنا أن ألمس برازا

23

برازا ليس له رأس أو قدمين بينما لى خمسة عشر عملا فى انتظار تقديمها لأول مرة ...». وبعد ذلك كانت تتوقف تحت المطر وهى هادئة داخل معطفها الواقى من المطر (لكن المياة بدأت تدخل لأوليڤيرا من منطقة الرقبة أمّا ياقة المعطف التى هى من جلد الأرنب أو الفئران فقد أخذت تصدر رائحة تشبه رائحة قفص فى إحدى حدائق الحيوانات. ويحدث له هذا كلما أمطرت السماء ولايمكن فعل شئ). وتظل تنظر إليه وكأنها تنتظر إجابة. يبتسم لها أوليڤيرا برقة وهو يميل فى سيره متجها بها إلى شارع ميديسيس Médices.

– تقول تريبات :

– إنك متواضع جدا ياسيدى، ومحافظ جدا، حدثنى عن نفسك لنر. لابد وأنك شاعر. أليس كذلك؟ آه كان فالنتين أيضا عندما كنا فى مرحلة الشباب... إنها «أنشودة الشفق» ياله من نجاح فى ميركير دى فرانس Merecure de France... أرسل إليها تيبودت[١٢] Thibaudet بكارت تهنئة. أتذكر ذلك وكأنه وصل هذا الصباح. كان ڤالنتين يبكى وهو فى السرير، فقد كان الأمر مثيرا للشجن.

حاول أوليڤيرا أن يتصور ڤالنتين يبكى وهو منكفئ على وجهه على السرير، لكن الشئ الوحيد الذى استطاع رؤيته هو ڤالنتين فى صغره وهو أحمر اللون وكأنه سرطان البحر. إنه يرى فى الواقع روكامادور يبكى فى سريره وهو منكفئ على وجهه ويرى لاماجا وهى تحاول أن تضع له أحد التحاميل بينما يقاوم ويتقوس ويهدب بعجزه من بين يدى لاماجا الخرقاوين. وربما وضعوا للعجوز الذى أصيب فى الحادث تحاميل أيضا. إنه أمر لايصدق فقد أصبحت التحاميل موضة هذه الأيام. ويجب أن نحلّل فلسفيا هذا الاتجاه والاهتمام بفتحة الشرج. والارتقاء بها لتكون بمثابة فم ثان وأنها تجاوزت مهمتها فى الإخراج بل أصبحت تمتص وتزدرد هذه الطلقات ذات اللون الوردى والأخضر والأبيض وذات الشكل الأيروديناميكى. لكن تريبات لم تترك له فرصة للتركيز. كانت تريد أن تعرف شيئا عن حياة أوليڤيرا وتضغط على ذراعه بيد واحدة وأحيانا بكلتا يديها وتتجه إليه بعض الشئ وكأنها فتاة مغرمة به أثناء الليل. حسن إنه أرجنتينى يعيش منذ فترة فى باريس ويحاول أن .... لنر. ما الذى كنت تحاول أن ؟ كان من المؤلم شرح ذلك من البداية أو النهاية. إن ماكان يبحث عنه ...

– قالت تريبات :

– الجمال، العلو، والغصن الذهبى؛ لاتقل شيئا إننى أخمن جيدا. أنا أيضا قدمت

23

إلى باريس من بو Pau منذ بضع سنوات باحثة عن الغصن الذهبى لكننى كنت ضعيفة وشابة، كنت ... لكن ما اسمك ياسيدى؟

– قال أوليڤيرا :

– اسمى أوليڤيرا.

– أوليـڤـيرا .... ومـصدره الزيتـون، البـحـر الأبيض المتـوسط .... أنا أيضـا من الجنوب. كلانا الرُّعب يافتَى. كلانا الرّعب يافتى. ولسنا مثل فالنتين الذى هـو من ليل بـ Lille فـأهل الشمـال يتسمون بالبرود كـأنهم أسمـاك. إنهم زئبقيون. هل تؤمن ياسيدى بالعمل العظيم Gran Obra؟ إنه فولكانللى[١٣] Fulcanelli. إنك تفـهمنى .... لاتقل شيئا أخذت فى اعتبارى أنك مبتدئ. وربما لم تبلغ الدرجة التى يتحدثون عنها، أما أنا .... انظر هاهى مقطوعتى الموسيقية Síntesis على سبيل المثال. إن ماقاله ڤالنتينى صدق. إن حسـاسيتى للإشعـاعـات الضـيلة كانت تظهـر لى الأرواح التوأم، وأعتقد أن العمل الموسيقى الذى ألفته يعكس ذلك؛ أوليس هكذا ؟

– بلى هو كذلك.

– إن لك ياسيدى Karma، وهذا مـايمكن تخمينه فى الحـال .... كانت اليد تضغط بقوة إذْ أخـذت الفنانة تدخل فى طـور التأمل، ولهذا كـانت فى حاجـة إلى أن تحـتضن أوليڤيرا الذى لم يبد أيه مقاومـة محـاولا أن يجعلها تعبـر الميدان والسير فى شارع سوڤلوت Soufflot «آه لو رآنى إيتين أو وونج سوف تقوم الدنيا» كان أوليڤيرا يفكر. لماذا كان عليه أن يهتم بما يفكر فيه إيتين أو وونج، وكأن المستقبل يكتسب أهمية بعد الأنهار الميتافيزيقية التى اختلطت بالقطن المتسخ. «يبدو وكأننى لست فى باريس، ومع هذا فـأنا واع تمامـا لما يحـدث لى. إذ يضـايقنى أن هذه السيـدة العـجوز المسكينة أخـذت التعاسة تدب فى روحها وفجـأة وحالة الغرق التى عليها بعد عزف باڤانا ودرجـة الصفر الضخمة التى حصلت عليها فى الحفل الموسيقى. إننى أسوأ من خرقة ملقاة فى المطبخ وأسوأ من القطن المتسخ. إننى ليست لى عـلاقـة بى أنا»، ولمّا كـان قد بقى له ذلك فى تلك الساعة وهو تحت المطر وملتصقا بتربيات، أى بقى له الشعور، وكأنه الضوء الأخير الذى أخذ ينطفئ فى منزل أخذت اللمبات تطفأ فيه الواحدة تلو الأخرى، بقى له أنه لم يكن ذلك، وأنه ينتظر نفسه فى مكان مـا، وأن ذلك الذى يسـير فى الحى اللاتينى وهو يجر عجوزا هستيرية، ربما كانت عاشقة لنسـاء مثلها، ليس إلا البديل، بينما الآخر، الآخـر ... «هل بقيت هناك فى حيك، حَىّ الماجـرو Almagro؟ أو هل غـرقت فى الرحلة،

23

وفى مخادع القحاب والخبرات الكبرى والفوضى الكبرى الضرورية؟ إن كل شئ يبدو لى كأنه عزاء، إنه لمن المستحب أن يظن الإنسان أن بمقدرته العودة إلى نفسه رغم أنه لايكاد يوقن بهذا الآن. فالإنسان الذى يشنقوه لابد أن يستمر فى اعتقاده بأنه سوف يحدث شئ فى آخر دقيقة مثل زلزال، وأن الحبل الذى يقطع مرتين ومع ذلك يجب التماس العذر له. والاتصال الهاتفى من قبل الحاكم أو التجمهر الذى سوف يفك وثاقه. والآن قد بقى القليل من الوقت أمام هذه العجوز لتلمس قاربى».

لكن تريبات استغرقت فى خطراتها وشطحاتها وتحمستْ، وأخذت تحكى عن لقائها مع جيرمين تيلفرّى(١٤) Germaine Tailleferre فى لاجاردى ليون Gare de Lyon وكيف أن تيلفرّى قالت لها إن «مقدمات لمعيَّنات برتقالية اللون Preludios para rombos narainja كان عملا مهماً وأنها سوف تتحدث مع مارجريت لونج(١٥) Marguerite Long لتجعلها تشارك فى حفل موسيقى.

– كان يمكن أن ينجح ياسيد أوليڤيرا، وتأكيداً لقدراتى. لكن رجال الأعمال أنت تعرف ذلك. إنه الطغيان الذى لايعرف الحياء، لدرجة أن أكبر العازفين هم ضحايا .... يفكر فالنتين أن أحد عازفى البيانو من الشبان الذين لاوزاع عندهم يمكن ... لكن هاهو مصيرهم الفشل مثل العجائز. إنهم على نفس الشاكلة.

– ربما أنت نفسك فى حفل آخر ....

– قالت تريبات وهى تخفى وجهها رغم أن أوليڤيرا حاول أن ينظر إليها :

– لا أريد أن أعزف أكثر من ذلك؛ إنه لأمر مخجل أن أظهر حتى الآن على خشبة المسرح لأقدم أعمالى الموسيقية لأول مرة. فمكانى هو الإلهام، هل تعرف ذلك. إننى يجب أن أكون الملهمة لمن يقومون بالتنفيذ. وعليهم جميعا أن يهرعوا إلىّ ليطلبوا منى السماح لهم بأن يعزفوا مؤلفاتى، وعليهم أن يتضرعوا إلىّ .. نعم أن يتضرعوا إلىّ. أما أنا فقد أسمح، ذلك أنى أعتقد أن أعمالى هى بمثابة يجب أن تشعل حساسية الجمهور سواء هنا أو فى الولايات المتحدة والمجر ... نعم، قد أسمح لكن قبل ذلك عليهم أن يطلبوا شرف عزف أعمالى.

ضغطتْ على ذراع أوليڤيرا بحميّة، وقد قررّ، دون أن يدرى لماذا، السير فى شارع سان جاك Saint Jaques. وأخذ يسير وهو يجر الفنانة برقة. كان يهب هواء مثلج

23

ويضرب وجهيهما بحيث كانت قطرات المطر تسقط فى عيونهما وفى الفم، لكن تريبات بدت ذاهلة عن هذا الجو البارد وهى معلقة بذراع أوليڤيرا وتتلعثم ببعض العبارات التى كانت تنتهى بزغطة أو ضحكة قصيرة تعبر عن الغضب أو السخرية. لا، إنها تعيش فى شارع سان جاك. لا، كما أنه لايهم معرفة أين تعيش. تستوى الأمور عنده حتى لو استمر على هذا الحال طوال الليل. هناك أكثر من مائتى فرد حضروا حفل عزف مقطوعة «Síntesis» لأول مرة.

– سوف يقلق ڤالنتين إذا لم تعودى سيادتك.

– قال أوليڤيرا وهو يفكر فى شئ يريد أن ينطق به، وربما كان دافعه هو دفع هذه الكرة الموضوعة فى الكورسيه والتى تتحرك كقنفذ تحت المطر والرياح، وبعد خطاب طويل حدثت أثناءه نوبات انقطاع بدا أن من الممكن الاستنتاج بأن تريبات تعيش فى شارع إستراباد Estrapad. كان أوليڤيرا شبه شارد وهو يجفف المياة من على عينيه بواسطة اليد الأخرى. وقام بتوجيه نفسه وكأنه أحد أبطال روايات جوزيف كونراد(١٦)، وهو يقف على مقدمة المركب. وفجأة اعترته رغبة فى الضحك، (وهذا ماكان يؤذى معدته الخاوية حيث تتلوى عضلاتها. كان ذلك غير عادى ومؤلم وعندما سيحكيه لوونج فلن يصدقه). والحديث ليس عن تريبات التى واصلت تعداد مفاخرها فى مونبيليه Montpellier وفى باو Pau وهى تذكر الميدالية الذهبية بين الحين والآخر، ولن يتحدث عن غلطته فى عرضه مرافقتها؛ لم يع جيدا من أين، وماهو سبب هذه الرغبة فى الضحك؟ فربما كانت مسببة عن أمر مسبق، يرجع إلى وقت مضى وليس من الحفل الموسيقى رغم أنه الأمر الأكثر إضحاكا فى العالم. هل هى سعادة أو شئ وكأنه تجسيد للسعادة. إنها السعادة رغم أن من الصعب عليه تصديق ذلك. ربما ضحك لسعادته، وأن هذه السعادة نقية وصافية بدرجة غير مفهومة. «إننى على وشك الجنون فكرّ. «ومع هذه المختلة معلقة بذراعى لابّد أنها معدية». لم يكن هناك أى سبب يجعله يشعر بالسعادة؛ فالمياه تدخل إلى نعل الحذاء وتدخل من عند الرقبة. وتريبات معلقة بقوة بذراعه. وفجأة تنتابها نوبة فتنتحب كلما تذكرت ڤالنتين. إنه نوع من ردّ الفعل المشروط الذى لايمكن أن يكون مصدر سعادة لأحد بما فى ذلك المجانين. كان أوليڤيرا يود لو يضحك بصوت مرتفع، لكنه يسند تريبات باهتمام بالغ ويسير معها برفق فى اتجاه شارع إستراباد رقم 4، ولم تكن لديه الدوافع ليفكر فى الأمر، وأكثر من ذلك محاولة فهمه. ومع ذلك فكل شئ على مايرام، فهو يرافق تريبات إلى رقم ٤ فى الشارع محاولا

23

ألا تتعثر فى برك المياة أو تسير تحت شلالات المياة المتساقطة من على أسطح المنازل وأفاريزها على ناصية شارع كلوتيلد Clotilde. وكانت أدنى إشارة لتناول كأس (مع ڤالنتين) فى المنزل هى فكرة جيدة بالنسبة له. لكن لابد من صعود خمسة أوستة أدوار وهو يجّر الفنانة ثم يدلف إلى حجرة ربما لم يقم ڤالنتين بإشعال المدفأة منها (لكن كانت هناك سلمندرا جميلة وزجاجة كونياك، ويمكن أن يخلع حذاءه ويضع قدميه بالقرب من النار، ويتحدث عن الفن وعن الميدالية الذهبية)، وقد يعود مرة أخرى إلى منزل تريبات وڤالنتين، وقد أتى معه بزجاجة نبيذ ومرافقتهما ورفع معنوياتهما. بدا الأمر وكأنه القيام بزيارة العجوز فى المستشفى والذهاب إلى أى مكان لم يخطر على باله الذهاب إليه قبل ذلك، كأن تكون المستشفى أو شارع إستراباد. قبل السعادة، وذلك الإحساس الذى جعل معدته تتلوى كانت هناك يد تمتد إلى داخل الجلد وتأخذ فى تعذيبه عذابا لذيذا (علىّ أن أسأل وونج عن يد ممدودة داخل الجلد).

– الدور الرابع، أليس كذلك؟

– قالت تريبات :

– بلى، هذا المنزل ذو الشرفة، إنه مبنى يعود للقرن الثامن عشر. يقول ڤالنتين إن نينون دى ليكول Ninon de lenclos. آه، حقا، إن ڤالنتين يكذب طوال الوقت؛ إنها لاتكاد تمطر، أليس كذلك؟

– وافق أوليڤيرا :

– إن المطر يسقط، ولكن بدرجة أقل فلنعبر الشارع الآن إذا مارغبت.

– قالت تريبات وهى تنظر إلى المقهى الذى على الناصية :

– الجيران، بالطبع. هناك العجوز التى تسكن فى الدور الثامن... لايمكن لك تصور كمية الكحوليات التى تشربها. ألا تراها هناك جالسة على الترابيزة الجانبية؟ إنها ترمقنا. سوف ترى فى الغد الإهانات....

– قال أوليڤيرا :

– من فضلك ياسيدتى، خذى حذرك من هذه البركة.

– أوه. أنا أعرفها وأعرف صاحب المقهى. إنهما يكرهاننى. كما أن ڤالنتين، والحق يقال، تصرّف ضدهما فى بعض المواقف .... فهو لايطيق العجوز التى تسكن فى الثامن. فذات ليلة كان عائدا فيها إلى المنزل، وقد لعبت الخمر برأسه كثيرا، فقام

23

بتلطيخ باب منزلها بروث القطط. ورسم فوقه .... لن أنسى ذلك أبدا .. كانت فضيحة ... فقد وضع ڤالنتين نفسه فى البيانو وهو يحاول أن يزيل عن نفسه بقايا روث القطط؛ إذ بلغ من فرط حماسه الفنى أن لطخ نفسه أيضا. وكان علىّ أن أتحمل أسئلة البوليس والعجوز وكل الحى .... ياله من موقف مررتُ به وأنا من على هذا الصيت .... ڤالنتين رهيب، إنه يتصرف كطفل.

كان أوليڤيرا سيعود ليرى الرجل ذا الشعر الأبيض واللغد والميدالية الذهبية، كان الأمر وكأن طريقا فتح فجأة فى وسط الحائط، وكان يكفى أن يطل المرء بكتفيه والولوج إليه، وتهيئة مكان للدخول فى الحجر، وعبور هذه الكتلة والخروج لرؤية شئ آخر. كانت اليد تضغط على معدته لدرجة الغثيان. كان سعيدا بدرجة لاتتصور.

– قبل الصعود من المستحسن أن أتناول «Fine» المخلوط بالمياه.

– قالت تريبات وهى تتوقف عند الباب وتنظر إليه: هذا المسار الجميل جعلنى أشعر ببعض البرد، أضف إلى ذلك المطر ....

– قال أوليڤيرا وهو يشعر بخيبة الأمل :

– بكل سرور، لكن ربما كان من الأفضل أن تصعدى وتخلعى حذاءك على الفور؛ فقد ابتل عقبيك.

– قالت تريبات :

– حسن، هناك تدفئة فى المقهى، أنا لا أعرف فيما إذا كان ڤالنتين قد عاد أم لا. إنه قادر على السير هنا وهناك باحثًا عن أصدقائه، وفى مثل هذه الليالى يعشق أى امرأة.. إنه مثل كلب صغير .. صدقنى.

– وقام أوليڤيرا برسم صورة ماهرة :

– وربما جاء وأشعل المدفأة وكأس من البونش Ponche وجورب من الصوف ... عليك ياسيدتى أن ترعى نفسك جيدا.

– أوه، أنا قوية مثل شجرة. غير أننى لم أحضر معى نقودا لأدفعها فى المقهى. وسوف يكون علىّ أن أعود إلى صالة الحفلات الموسيقية حتى يعطونى نصيبى ... ومن الطبيعى أنه من غير المنصوح به السير ليلا وأنا أحمل مبلغا كبيرا من المال. هذا الحى للأسف ....

– قال أوليڤيرا :

– سوف أكون فى غاية الرضا فى أن أقدم لك ماترغبين فى تناوله وقد استطاع

23

إدخال تريبات عند مدخل الباب وكان يخرج من ممرّ المنزل هواء دافئ ويحمل بخارا به رائحة بعض الأطعمة أو صلصة الفطريات. أخذت تذهب عنه حالة السعادة وكأنها قررت السير وحيدة في الشارع بدلا من البقاء معه عند مدخل الباب. لكن كان يجب العمل ضد ذلك فالسعادة لم تكد تدوم عدة لحظات. غير أنها كانت جديدة كل الجدة ومختلفة، وفي تلك اللحظة التي ذكر فيها ڤالنتين وهو في البانيو ملطخ بروث القطط كان هناك إحساس بإمكانية السير خطوة إلى الأمام، خطوة حقيقية، خطوة دون استخدام الأقدام والسيقان. إنها خطوة في داخل الحائط الحجري والتقدم وإنقاذ النفس من الجانب الآخر. ومن المطر الذي يضرب في الوجه والمياة التي تدخل إلى الحذاء. من المستحيل فهم كل هذا الذي كان من الضروري فهمه كالعادة دوما. إنها سعادة، إنها يد تحت الجلد وتضغط على معدته، إنها الأمل – وإذا ماكان من الممكن التفكير في كلمة مثل هذه، وإذا ماكان ممكنا عنده أن يكون هناك شئ ولو غامض تحت مفهوم كلمة الأمل؛ فهذا هو الحمق بعينه وهو الشئ الجميل الذي لايصدق، لكنه الآن يذهب ويبتعد تحت المطر ذلك أن تريبات لم تدعه إلى الصعود إلى منزلها. وتعود به إلى المقهى الذي على الناصية، وتعود به إلى الوضع السابق، وإلى كل ماحدث طوال اليوم. إنه كريفل والكبارى التي على نهر السين والرغبة في الذهاب إلى أي مكان وإلى العجوز وهو ملقى على الثقالة. والبرنامج المنسوخ على الآلة الكاتبة. وروزيه بوب والمياة التي دخلت في الحذاء. وبحركة بطيئة للغاية، وكأن المرء يزيح عن صدره جبلا، أشار أوليڤيرا إلى كلا المقهيين اللذين يكسر ضوؤهما ظلام المكان. لكن تريبات لم تفضل واحدا منهما على الآخر، وفجأة نسيت نواياها وأخذت تغمغم بشئ دون أن تترك ذراع أوليڤيرا وتنظر، كأنها محكوم عليها، في اتجاه ممرّ المنزل.

– قالت فجأة وقد سمرّت ناظرها في أوليڤيرا حيث كانت عيناها تلمعان وتدور فيهما دمعة :

– لقد عاد إنه هناك. أنا آسفة وهو مع أحد، وهذا أكيد فكل مرة يقوم بتقديمي في إحدى الحفلات يعود مهرولاً ليضاجع أحد أصدقائه.

كانت تنتحب وهي تدفن أصابعها في ذراع أوليڤيرا وتلف في كل لحظة لتلقي نظرة في الظلام. سمع صوت مواء مكتوم، وصوت جدي ناعم توقف عند حنية السلم. لم يكن

23

أوليفيرا يدرى ما الذى يقوله وانتظر بأن أخرج سيجارة وأشعلها ببطء.

– قالت تريبات بصوت منخفض جدا لدرجة لايكاد يسمع :

– المفتاح ليس معى، إنه لايترك لى المفتاح عندما يذهب لمضاجعة أحد.

– لكن لابد وأن ترتاحى ياسيدتى.

– ما الذى يهمه هو فيما إذا كنت أريد أن أرتاح أو حتى يقضى علىّ. لقد أشعلا نار المدفأة واستهلكا مابقى من كمية قليلة من الفحم التى أهداها لى الدكتور ليموان. ولابد أنهما عريانان. نعم، وعلى سريرى، عريانين قذرين. وعلىّ غدا أن أنظف كل شئ؛ إذ إن ڤالنتين سيكون قد تقيأ على الملاءة. دوما ... غدا، وكأن ذلك شئ أبدى. أنا. فى الغد.

– قال أوليڤيرا :

– ألا يعيش فى الجوار أحد الأصدقاء حيث يمكن أن تقضى الليلة عنده؟

– قالت تريبات وهى تنظر إليه بغيظ :

– لا. صدقنى يافتى. إن أغلب أصدقائى يعيشون فى منطقة نويلى Neuilly، أما هنا فإنك تجد تلك العجوزات اللاتى لايخرسن. وكذا الجزائريين الذين يعيشون فى الثامن، أسوأ سلالة.

– قال أوليڤيرا :

– إذا ماقبلت يمكننى أن أصعد وأطلب من ڤالنتين أن يفتح لك الباب

– وربما إذا ما انتظرت سيادتك فى المقهى يمكن أن نحل الأمر.

– قالت تريبات وهى تجرجر صوتها وكأنها سكرانة :

– ما الذى ستحله لن يفتح لك الباب. إننى أعرفه جيدا. سوف يلتزمان بالصمت ويطفئان الأنوار. فهما ليسا فى حاجة إلى الإضاءة الآن؟ وسوف يشعلان النور بعد ذلك؛ أى عندما يتأكد ڤالنتين أننى ذهبت للنوم فى أحد الفنادق أو إلى مقهى لقضاء الليلة.

– إذا ماقمتُ بالطرق على الباب بقوة سوف ينتابهما الذعر. لا أظن أن ڤالنتين يحب مثل هذا النوع من الفضائح.

– إنه لايهمه شئ، فعندما يكون فى مثل هذا الموقف لايعنى بشئ على الإطلاق وقد يصل به الأمر إلى أن يرتدى الملابس ويذهب إلى قسم الشرطة الكائن على الناصية وهو يغنى الـ Marsellesa وكان على وشك أن يفعلها مرة من المرات. فقد أمسك به روبرت صاحب المحل، فى الوقت المناسب وصعد به إلى المنزل. كان روبرت رجلا طيبا.

23

إلا أنه كانت له هو أيضا فعلاته، وكان متفهما.

– قال أوليڤيرا مصرا :

– اتركينى لأصعد، وف تذهبين سيادتك إلى المقهى الذى على الناصية وتنتظرينى هناك، سوف أقوم بترتيب الأمور؛ فلا يمكن لك أن تظلى هكذا طوال الليل. أضاء النور فى ممر المنزل فى الوقت الذى أخذت فيه ترىبات ترد فيه على أوليڤيرا بحميّة. قفزت وخرجت إلى الشارع وابتعدت عن أوليڤيرا بمسافة كبيرة. أما هو فقد بقى فى مكانه ولايدرى ماذا يفعل. كان هناك اثنان ينزلان بسرعة ومرا من جانبه دون أن ينظرا إليه واتجها نحو شارع توين Thouin. وبنظرة عصيبة فاحصة إلى الوراء عادت ترىبات للاحتماء بباب المنزل، فقد كان المطر يتساقط بغزارة.

دخل أوليڤيرا باحثا عن السلم بدون رغبة، ومع ذلك كان يقول لنفسه إن هذا هو الشئ الوحيد الذى يمكن فعله. ولم يكد يتقدم خطوات ثلاث حتى أمسكت ترىبات بذراعه وأعادت وجهه نحو باب المنزل. كانت تنطلق منها الأوامر والنفى والتضرعات وقد اختلط كل ذلك فى نوع من القرقرة فى شكل نوبات حيث اختلطت الكلمات وعلامات التعجب. ترك أوليڤيرا نفسه لها وقد ترك نفسه لأى شئ. كان النور قد انطفأ لكنه عاد للاشتعال من جديد بعد بضع ثوان. وسمعت أصوات وداع فى الدورالثانى أو الثالث. تركت ترىبات أوليڤيرا واستندت إلى الباب وهى تتصنع أنها تقوم بوضع أزرار المعطف الواقى من المطر وكأنها تتهيأ للخروج. ولم تتحرك حتى مرّ إلى جانبها الرجلان اللذان نزلا على السلم وقد ألقيا نظرة غير فضولية على أوليڤيرا وهمهما بكلمة «معذرة» عند المرور على أحد. فى أحد الدهاليز فكر أوليڤيرا للحظة أن يصعد السلم، لكنه لم يكن يعرف الدور الذى تعيش فيه الفنانة، دفن بغيظ وقد لفه الظلام من جديد وهو ينتظر أن يحدث أى شئ أو لايحدث شئ على الإطلاق. ورغم المطر فإن انتحاب ترىبات يصل إليه بوضح أكثر. اقترب منها ووضع يده على كتفها.

– من فضلك يامدام ترىبات لاتضعفى هكذا. قولى لى ما الذى يمكن أن نفعله، لابدّ وأن هناك حلاً.

– همهمت الفنانة :

– اتركنى، اتركنى .

– إنك مرهقة وعليك أن تخلدى للنوم. وعلى أى حال لنذهب إلى أحد الفنادق. أنا أيضا ليس معى نقود، لكن سوف أحاول التوصل إلى اتفاق مع صاحب الفندق، وسوف أدفع له فى الغد. أنا أعرف فندقا فى شارع ڤاليت Valette فليس بعيدا عن المكان.

23

– قالت تريبات وهى تستدير وتنظر إليه :

– فندق .

– إنه حل سيىء ، لكن الأمر هو قضاء الليلة.

– وحضرتك تريد الذهاب بى إلى فندق.

– ياسيدتى، سوف أرافقك حتى الفندق، وسوف أتكلم مع المالك حتى يعطونك حجرة.

– إلى فندق، تريد حضرتك الذهاب بى.

– قال أوليڤيرا وقد فقد صبره :

– لا أبغى شيئا لايمكن لى أن أدعوك إلى منزلى فليس لى منزل. وأنت لاتتركينى أن أصعد حتى أحاول أن أجعل ڤالنتين يفتح لك الباب هل تفضلين أن أذهب؟ وفى هذه الحالة أقول لك طابت ليلتك.

لكن من يدرى فيما إذا كان كل ذلك يقوله أو يفكرّ فيه فقط. لم يكن أبدا أكثر بعدا عن هذه الكلمات إلا فى هذه اللحظة. وربما كانت أول ماينطق به فى وقت آخر. لم يكن من الواجب أن يتصرف هكذا. لايدرى كيف يتصرف. لكن لم يكن التصرف هكذا. بينما تريبات تنظر إليه وهى ملتصقة بالباب. لم يتفوه بشئ بل بقى ساكنا إلى جوارها، ورغم أن الوضع لايصدق فقد كان يريد المساعدة وعمل أى شئ من أجل تريبات التى أخذت تنظر إليه بقسوة وترفع يدها ببطء، وفجأة لطمت أوليڤيرا الذى تقهقر وقد اختلط عليه الأمر. مباعدا نفسه عن تلقى الصفعة بكاملها، لكنه شعر بضربة الأصابع الناعمة ولمسة الأظافر.

– كررت تريبات :

– إلى فندق لكن هل أنتم تستمعون لمثل ماعرضه علىّ؟

كانت تنظر إلى الممرّ المظلم، وهى تقلّب عينيها، أما فمها المزين بطريقة عنيفة فكان يتحرك وكأنه كائن مستقل له حياته الخاصة. وأثناء هذه البلبلة التى عاشها أوليڤيرا ظن أنه رأى من جديد؛ يرى لاماجا وهى تحاول أن تضع بها التحاميل لروكامادور، بينما يتلوى الصغير ويضم إليتيه وهو يصرخ بصوت عال. هاهى تريبات تحرك فمها من مكان إلى آخر وعيناها مثبتتان فى جمهور غير مرئى يشاهدها فى ظلمة الممرّ. وهاهى تسريحة شعرها اللامعقولة تهتز بشدة كلما اهتز رأسها بعنف.

– غمغم أوليڤيرا وقد وضع إحدى يديه على الخربشة التى نزفت بعض الدم

– من فضلك كيف يمكن أن تتصورى هذا؟

23

لكن نعم، كان يمكنها تصور ذلك (وهذا ما قالته بصوت عال، بينما عاد الضوء من جديد إلى الممر) كانت تعرف جيدا أى نوع من الفسقة هؤلاء الذين يسيرون وراء السيدات فى الشوارع، لكنها لن تسمح (أخذ باب الحارسة يفتح ورأى أوليڤيرا وجها كأنه لفأرة ضخمة لها عينان صغيرتان تنظران بنهم). لن تسمح لمارد رهيب، أو زئر نساء مبتدئ أن يهاجمها عند مدخل منزلها. ولذلك فهناك البوليس وهناك القضاء. كان هناك أحد ينزل على السلم بسرعة. هو فتى علق فى شعره بعض الزينة ويبدو مثل الغجر واتكأ الفتى على درابزين السلم ليرى ويسمع بهدوء ... وإذا لم يتمكن الجيران من حمايتها فهى قادرة على أن تجبر الآخرين على احترامها؛ فهذه ليست المرة الأولى التى يقوم فاسد وإنسان منحط ....

وعلى ناصية شارع تورنيڤورت Tournifort أدرك أوليڤيرا أن السيجارة لازالت بين إصبعيه وقد أطفأتها قطرات المطر وتجعدّت. استند إلى أحد أعمدة الإنارة ورفع وجهه وترك المطر يغرقه بالكامل. وعلى ذلك فلن يلاحظ أحد شيئا، لن يلاحظ أحد شيئا على هذا الوجه المبلل بالمطر. ثم عاد للسير ببطء وهو مطأطئ الرأس وقد زرّر رقبة المعطف. وكما هى العادة كان جلد الياقة ينضح بالرائحة العفنة ورائحة الدباغة. لم يكن يفكرّ فى شئ. كان يشعر أنه يسير وكأنه يرى كلبا ضخما أسود اللون يسير تحت المطر. إنه شئ له أرجل ثقيلة. له صوف يتدلى ثقيل ويتحرك تحت المطر. ومن حين لآخر كان يرفع يده ويمسح بها على وجهه. لكنه ترك المطر يسقط فوق وجهه، وكان يحرك شفته ويشرب شيئا مملحًا يجرى على جلده. وبعد فترة طويلة وعندما اقترب من حديقة النباتات Jardin des Plantes عاد لتذكر أحداث اليوم. وإحصائها الواحد تلو الآخر وأنه، على أى حال، لم يكن من الحماقة الشعور بالسعادة وهو يرافق السيدة العجوز إلى منزلها، وكما هى العادة فقد دفع ثمن هذه السعادة غير العاقلة. وهاهو الآن يؤنب نفسه على ذلك، ويقوم بتفكيك كل ماسبق حتى لايتبقى منه شئ إلا ما اعتاد عليه وهو فتحة يهب من خلالها الزمن واستمرارية فى اللاتحديد دون أن تكون هناك آفاق معلومة. «لانبدع الأدب». كان يفكر وهو يبحث عن السيجارة بعد أن جفف يديه قليلا فى دفء جيوب بنطلونه «لنترك الكلمات فى مكانها لنترك الكلمات القوادّة بلمعانها وبريقها. لقد حدث ماحدث وانتهى الأمر. ترييات. إنها شديدة الحمق. لكن كان من

23

المناسب الصعود وتناول كأس معها ومع ڤالنتين. وخلع الحذاء ووضعه بجوار المدفأة. في الحقيقة أنني كنت سعيدا لذلك السبب؛ أي لفكرة خلع حذائي وتجفيف الجورب. لقد خذلتك. فماذا أنت فاعل معها. لنترك الأمور كما هي. فعليّ أن أخلد إلى النوم. لم يكن هناك أي سبب آخر، لايمكن أن يكون هناك سبب آخر. فإذا ماتركت لنفسي العنان سوف أعود إلى الحجرة وأقضي الليلة في تمريض الطفل»، وفي الاتجاه المؤدي إلى شارع سوميرارد Sommerard يستغرق المرء مايقرب من عشرين دقيقة تحت المطر. وبذلك يكون من الأفضل الاتجاه إلى أول فندق أمرّ به وأنام. ولم يعد الكبريت يشتعل. كان الأمر مثيرا للضحك.

(– 124)

23

– قالت لاماجا وهى تجفف الملعقة بخرقة غير نظيفة :

– لا أستطيع التعبير عما أريد وربما كانت هناك أخريات يستطعن التعبير عنه، لكننى كنت هكذا دائما. فمن السهل كثيرا الحديث عن الأمور المحزنة أكثر من الحديث عن الأمور المضحكة.

– قال جريجوروفيوس :

– إنه قانون إنها المقولة الكاملة، والحقيقة العميقة. وعندما نذهب بذلك إلى مستوى دهاء الأب، فإنه يتحلل فى تلك المقولة التى تشير إلى أن الأدب السيىء هو ابن المشاعر الطيبة إلى غير ذلك من هذا القبيل. السعادة لايمكن تفسيرها يالوثيا، وربما لأنها اللحظة الأنسب لحجج مايا Maya.

نظرت إليه لاماجا حائرة. تنهد جريجوروفيوس.

– حجج مايا – كررّ – لكن يجب ألا نخلط الأمور ببعضها. لقد رأيت سيادتك أن الكارثة هى أمر، لنقل، ملموس وربما كان ذلك لأنه يتولد عنها نوع من الثنائية : الشئ والفاعل – ولهذا فإنها تظل أمدا طويلا فى الذاكرة، ولذلك يمكن أن تحكى جيدا المصائب التى تقع.

– قالت لاماجا وهى تقلب اللبن على السخان :

– الأمر أن السعادة هى أمر يخص فردا واحدا. أما الكوارث فهى تخص الجميع.

– قال جريجوروفيوس :

– إنه إستنتاج صحيح جدا وأريد أن قول لك إننى لست كثير الأسئلة؛ ففى تلك الليلة كنا مجتمعين فيها فى النادى ... حسن. لدى رونالد فودكا تفكّ عقدة اللسان. فلا تصورينى على أنى شيطان أعرج. كنت أريد فقط أن أفهم أصدقائى بشكل أفضل. أنت وأوراثيو ... عموما هناك شئ غير مفهوم، إنه نوع من الغموض المركزى. يقول رونالد بابس إنكما زوجان مثاليان؛ فأنتما تكملان بعضكما. وأنا لا أرى أنكما تكملان بعضكما إلى هذا الحد.

– وماذا يهم ؟

– ليس هذا هو المقصد، لكنك كنت تقولين لى إن أوراثيو قد رحل.

– قالت لاماجا :

– لاتوجد علاقة إننى لا أعرف التحدث عن السعادة، لكن ذلك لايعنى أننى لم أكن سعيدة. وإذا ما أردت يمكن أن أقصّ عليك لماذا رحل أوراثيو. لماذا يمكن أن أكون أنا

24

الراحلة لولا وجود روكامادور - أشارت بغموض إلى الشنط والأوراق التى اختلطت ببعضها والأوانى والأسطوانات التى تملأ الحجرة - يجب الحفاظ على كل هذا. ويجب البحث عن مكان يذهب المرء إليه ... لا أريد أن أبقى هنا. إنه لجو كئيب.

- يمكن لإيتين أن يحصل لك على حجرة جيدة الإضاءة. عندما يعود روكامادور إلى الريف. يمكن أن سعرها سبعة آلاف فرنك شهريا. وإذا لم يكن لديك مانع فإننى سوف أقيم فى هذه الحجرة. فهى تروق لى ولها جوّ خاص، وهنا يمكن للمرء أن يفكر ويقضى وقته بشكل جيد.

- قالت لاماجا :

- لاتظن ذلك فى حوالى السابعة تبدأ الفتاة التى تسكن فى الدور السابع فى الغناء Les amants du Havre «عاشقا هافر» إنها أغنية دقيقة، لكن مع تكرارها ...

لما كانت الأرض كروية

لاتقلق ياحبى

لاتقلق ياحبى

- قال جريجوروفيوس بنغمة غير مبالية :

- حسن .

- نعم. إنك تفلسف الأمور جيدا، وربما قال ذلك ليديسما. لا، أنت لم تعرفه. كان السابق على أوراثيو فى أورجواى.

- أهو الأسود ؟

- لا، الأسود كان اسمه إيرينيو.

- إذن؛ فإن قصة الأسود حقيقية ؟

نظرت إليه لاماجا باستغراب، حقا إن جريجوروفيوس غبى وباستثناء أوراثيو (وأحيانا...) فإن كل الذين رغبوا فيها كانوا يتصرفون دائما كالبلهاء. أخذت تقلّب اللبن وهى متجهة إلى السرير، وحاولت أن تجعل روكامادور يشرب ملعقة. صاح الطفل ورفض. كان اللبن يتساقط على رقبته «طوبى طوبى طوبى» كانت لاماجا تقول ذلك بصوت فيه نوع من نغمة التنويم محاولة أن تنجح فى وضع ملعقة اللبن فى فم روكامادور الذى احمرّ وجهه ولم يكن يريد شراب اللبن. لكنه يتنازل فجأة دون أن يعرف أحد ويبتلع اللبن الملعقة تلو الأخرى بعد أن انزلق بعض الشئ إلى أقصى السرير. بينما جريجوروفيوس يشعر بالرضا العميق وهو يحشو البايب ويشعر كأنه أب.

24

– قالت لاماجا وهى تضع الكسرولة إلى جوار السرير :

– تشين تشين ، وأخذت تلف روكامادور جيدا، فقد أخذ النوم يداعب جفونه – لازالت حرارته مرتفعة حتى الآن إذ تبلغ تسع وثلاثين درجة ونصف.

– ألا تقيسين له الحرارة بالترمومتر ؟

– من الصعب أن أضع له الترمومتر، إذ يظل يبكى بعد ذلك عشرين دقيقة، وأوراثيو لايمكنه تحملّه. إننى أعرف ذلك من حرارة جبهته. لابد وأن حرارته تزيد على تسع وثلاثين درجة لا أفهم لماذا لاتنخفض الحرارة؟!

– قال جريجوروفيوس :

– أخشى أن مايحدث هو إجراء التجارب عليه أليس ذلك اللبن مضرا مع ارتفاع حرارة الطفل ؟

– قالت لاماجا وهى تشعل سيجارة جلواز :

– ليس كثيرا بالنسبة لطفل ربما كان من الأفضل إطفاء النور حتى ينام سريعا. مفتاح النور هناك إلى جوار الباب.

كان يصدر عن المدفأة شعاع اكتسب قوة عندما جلسا وجها لوجه ودخنًا بعض الوقت دون أن يتبادلا الحديث. كان جريجوروفيوس يرى سيجارة لاماجا وهى تعلو وتنخفض، فكان وجهها الهادئ ينعكس عليه الضوء لثانية فيتحول إلى جمرة. وتلمع عيناها وهى ترمقه. ثم يعود كل شئ إلى الظلمة حيث أخذ أنين روكامادور وآهاته يخفتان شيئا فشيئا ثم أعقب ذلك زغطة تتكرر كل فترة. دقت الساعة الحادية عشرة.

– قالت لاماجا :

– لن يعود، وعموما فسوف يعود بحثا عن حاجياته، الأمر سواء، انتهى كل شئ كبوت Kaputte.

– قال جريجوروفيوس بحذر :

– أتساءل إن أوراثيو شديد الحساسية، ويجد صعوبة كبيرة فى تحركاته فى باريس. يعتقد أنه يفعل مايريد. وأنه يشعر بحرية كبيرة هنا لكنه يتخبط فى الحوائط. والدليل على هذا مايحدث له فى الشارع، فقد راقبته فترة من الوقت عن بعد.

– قالت لاماجا بشئ من اللطف :

– تتَجسّس .

– لنقل الملاحظة.

– فى الحقيقة، كنت أنت الذى تراقبنى رغم أننى لم أكن معه.

24

– هذا ممكن، ففى تلك اللحظة لم يحظر ببالى التفكير فى الأمر. إذ كنت شديد الاهتمام بسلوكيات من أعرفهم، وهذا أكثر تشويقا من مشاكل لعب الشطرنج. فلقد اكتشفت أن وونج يمارس العادة السريّه. وأن بابس تمارس نوعا من الصدقات الينسينية Jansenista فهى تدير رأسها للحائط وتمد يدها بكسرة خبز بها شئ فى الداخل. لقد مرت علىّ فترة ركزّت جهدى فيها على دراسة والدتى. كان ذلك فى الهرسك منذ فترة طويلة. أدجال Adgalle كانت تسحرنى؛ إذ كانت تصمم على وضع باروكة شقراء، بينما أعرف أنا أن شعرها أسود. لم يكن أحد يعرف ذلك القلق، فلقد استَقّر بنا المقام هناك بعد وفاة الكونت روسلر Rossler. وعندما كنت أسألها (لم أكد أبلغ العاشرة آنذاك، كانت فترة مليئة بالسعادة) كانت أمىّ تضحك وتجعلنى أقسم أننى لن أقول الحقيقة. لقد كنت أفقد صبرى إزاء هذه الحقيقة التى تخفيها والتى كانت أكثر بساطة وجمالا من الباروكة الشقراء. هذه الأخيرة ليست إلا عملا فنيا، وكانت أمى تستطيع أن تمشط شعرها بتلقائية كاملة فى حضور الخادمة دون أن يساورها الشك. لكن عندما تبقى وحدها كنت أود، لست أدرى لماذا، الاختباء تحت الكنبة أو خلف الستائر البنفسجية وقررت إحداث ثقب فى جدار المكتبة الذى يؤدى إلى التسريحة الخاصة بأمى. وقمت بالعمل أثناء الليل عندما ظن الجميع أننى نائم. وهكذا تمكنت من رؤية أدجال وهى تخلع الباروكة الشقراء وتسدل شعرها الأسود الذى يجعلها تبدو مختلفة وجميلة للغاية، وبعد ذلك تخلع الباروكة الثانية وتظهر رأسها وكأنها كرة بلياردو، أو أى شئ مثير للتقزز حيث تقيأت فى تلك الليلة معظم الجلاّش على المخدة.

– قالت لاماجا بتمعّن :

– طفولتك تشبه بعض الشئ طفولة سجين زندا[1] Zenda.

– قال جريجوروفيوس :

– كانت عالما من الباروكات وأتساءل ما الذى قد يفعله أوراثيو لو كان فى مكان؟ فى الحقيقة كنا سنتحدث عن أوراثيو. كنت تريدين أن تقولى لى شيئا.

– قالت لاماجا وهى تنظر إلى سرير روكامادور :

– غريب أمر هذه الزغطة، هذه هى المرة الأولى التى تحدث له.

– ربما كان الهضم.

– لماذا يصر الجميع على أن آخذه إلى المستشفى؟ وقد قال لى الطبيب الذى له وجه

24

النملة هذا المساء؛ فلا أريد أن آخذه، فهذا لايروق له. إننى أفعل له كل مايجب. جاءت بابس هذا الصباح وقالت إن الحالة ليست خطيرة. كما أن أوراثيو يعتقد أن الحالة ليست خطيرة جدا.

– ألن يعود أوراثيو ؟

– لا، سوف يرحل للبحث عن أشياء.

– لاتبكى يا لوثيا.

– إننى أخرج المخاط. ها قد زالت عنه الزغطة.

– احكى لى يالوثيا فيما إذا كان يفعل ذلك بشكل جيد.

– لا أتذكر شيئا. الأمر لايستحق. نعم إنى أتذكر. لماذا؟ ياله من اسم غريب : أدجال.

– نعم، ومن يدرى فيما إذا كان الاسم الحقيقى أم لا. لقد قالوا لى ...

– مثلما هو الحال مع الباروكة الشقراء اللون والباروكة السوداء – قالت لاماجا.

– مثل كل شئ – قال جريجوروفيوس – حقا، لقد ذهبت عنه الزغطة. وسوف يظل نائما حتى الصباح. متى تعرفتما على بعضكما أنت وأوراثيو ؟

(– 134)

25

كان من المستحسن أن يصمت جريجوروفيوس أو يتحدث فقط عن أدجال ويتركها تدخن فى ظلمة الحجرة وهى بعيدة عن أبعادها وعن الأسطوانات والكتب التى يجب أن تحزمها حتى يستطع أوراثيو أن يأخذها معه عندما يجد حجرة. لكن كان الأمر غير مُجد. فقد كان يصمت هنيهة. منتظرا أن تقول شيئاً، وينتهى به الأمر إلى توجيه الأسئلة. فالجميع كان لديهم شئ يسألونها عنه وكأنهم يتضايقون أن تغنى «أيها الوغد الصغير» أو أن تقوم برسم أشياء صغيرة مستخدمة أعواد الثقاب المستعملة أو تداعب القطط التى بها قذارة فى شارع سوميرارد Sommerard أو إرضاعها لروكامادور.

– ترنمت لاماجا :

– إذن أيها الوغد الصغير الحياة لاتعنينا فى شئ.

– قال جريجوروفيوس وكأنه يتذكر :

– أنا أيضا أعشق أحواض أسماك الزينة، لكنى فقدت أى اهتمام بها عندما بدأت أمارس العمل الخاص بالرجال. ففى دوبروفينك Dubrovnik عملت فى بيت دعارة حيث ذهب بى إلى هناك بحّار دانمركى كان عشيق أمى فى تلك الآونة؛ أمى التى فى أوديسا Odessa. فإلى جوار السرير كان هناك حوض سمك جميل، كما أن السرير أيضا كان به شئ من الحوض بفرشة ذى اللون السماوى المتقادم بعض الشئ، وقد قامت العجوز الشقراء برفعه بعناية قبل أن تمسك بى وكأنها تمسك أرنبا من أذنيه. لايمكن للمرء أن يتصور الخوف، يالوثيا، أو الرعب من كل ذلك. لقد كنا ممددّين على الظهر؛ الواحد إلى جوار الآخر. كانت تداعبنى بطريقة آلية، وبينما أشعر بالبرد تحدثنى هى عن أى شئ مثل الشجار الذى حدث للتو فى البار والأمطار الرعدية خلال شهر مارس ... كانت الأسماك تتنقل وتتنقل؛ كانت هناك سمكة سوداء ضخمة أكبر من باقى السمك. كانت السمكة تتنقل وتتنقل مثل يدها التى تداعب فخذىّ صعودا وهبوطا ... لم تكن ممارسة الحب عندئذ إلا ذلك. إنها سمكة تتنقل وتتنقل بهوس. إنها صورة مثل غيرها من الصور وهى حقيقة. إنه تكرار لانهائى لرغبة عارمة فى الفرار والخروج من الزجاج والدخول فى شئ آخر.

– قالت لاماجا :

– من يدرى يبدو لى أن الأسماك لاتريد الخروج من الحوض؛ فهى لاتكاد تلمس الزجاج بأنفها.

25

فكرّ جريجوروفيوس أن الفيلسوف تشيستوف[١] Chestov تحدث فى موضع ما عن أحواض السمك ذات الحواجز المتحركة والتى يمكن رفعها فى لحظة معينة دون أن تجرؤ الأسماك التى تعودت على المساحة العبور إلى الجزء الآخر. إذ تصل إلى نقطة معينة فى مياة الحوض ثم تدور وتعود دون أن تعرف أن الحاجز قد زال وأنه يكفى مواصلة التقدم ....

– لكن الحب يمكن أيضا أن يكون ذلك .. قال جريجوروفيوس – إنه لأمر جميل تأمل الأسماك فى الأحواض، وفجأة تخرج إلى الهواء الطلق وتطير كأنها الحمام. إنها أمل أحمق بالطبع. إننا جميعا نتراجع بسبب الخوف من أن تصطدم أنوفنا بشئ غير طيب. وعن الأنف كحد للعالم يمكن أن يكون موضوعا للتسلية. هل تعرفين كيف يعلمون القطط ألا تحدث أى قذارة فى الحجرات؟ إنها عصا على الأنف، وهو أمر فظيع. أعتقد أن باسكال[٢] Pascal كان أكثر خبرة فى عالم الأنوف أكثر مما يمكن أن نستنتجه من تأملاته عن الأنف المصّرية.

– قالت لاماجا :

– باسكال ؟ أى تأملات مصريّة؟

تنهد جريجوروفيوس. الجميع يتنهدون عندما تقوم بتوجيه أى سؤال. ومنهم أوراثيو، وإيتين بصفة خاصة. ذلك أنه لم يكن يتنّهد فقط بل كان «يشخر» ويتأفف ويتهمها بالغباء. «إنه لأمر محزن جدا أن يكون المرء جاهلا» ـ فكرت لاماجا وهى ناقمة. وكل مرة لاتروق أسئلتها لأحد ينتابها إحساس حزين، وكأن هناك كتلة بنفسجية تحيط بها للحظة. كان من الضرورى أخذ نفس عميق، وتزول بذلك الكتلة البنفسجية وتبتعد كأنها الأسماك، وتتفتت أشلاء وكأنها طائرات ورقية فى الأراضى البور فى Pocitos بوثينوس، أو الصيف على الشواطئ وبعض البقع البنفسجية فى اتجاه الشمس، وهذه الأخيرة تسمى رَعْ وهى مصريّة مثل باسكال. هاهى أصبحت لاتهتم كثيرا بتنهدات جريجورفيوس، فبعد أوراثيو لم تعد تهمها تنهدات أى إنسان آخر عندما توجه سؤالا له. وعلى أى الأحوال فإن البقعة البنفسجية تبقى هنيهة، وتنتابها الرغبة فى البكاء، ويستمر ذلك هنيهة مثل تلك التى تستغرقها فى نفض رماد السيجارة من خلال تلك الممارسة التى تؤدى إلى اتساخ السجاد على افتراض أنه موجود.

(– 141)

26

– قال جريجوروفيوس :

باريس ـ فى جوهر الأمر ـ هى مجاز ضخم.

ضرب على البايب وضغط قليلا على التبغ. أشعلت لاماجا سيجارة «جلواز» أخرى وأخذت تترنم. كانت مرهقة لدرجة أنها لم تغضب لعدم فهمها العبارة، ولما لم تسارع بتوجيه الأسئلة كعادتها قرر جريجوروفيوس تفسير مايقول. كانت تسمع وهى بعيدة، وقد ساعدتها ظلمة المكان على ذلك وكذا السيجارة. كانت تسمع عبارات متفرقة، وذكر اسم أوراثيو أكثر من مرة وعن حيرته، ومايقوم به معظم أعضاء النادى فى السير على غير هدى، والأسباب الكامنة وراء الاعتقاد بأن كل ذلك يمكن أن يكون له مدلول معين. وخلال بضع لحظات ترتسم إحدى عبارات جريجورفيوس فى الظلمة فتأخذ اللون الأخضر أو الأبيض، وأحيانا تكون على طريقة الرسام أتلان[1] Atlan، وأحيانا أخرى على طريقة إستيبى[2] Estéve. وبعد ذلك يكون هناك صوت يجمع شتات نفسه وينمو كأنه مانسيير Manessier أو ويفردولام[3] Wifredo lam أو بيابيرت[4] Piaubert، أو إيتين أو ماكس إرنست Max Ernest. كان الأمر مسليا، إذ يقول جريجوروفيوس :« ... وكلهم ينظرون إلى الوجهة البابلية – لنقلها هكذا – وحينئذ ...» كانت لاماجا ترى أن الكلمات تفصح لنا عن المتألق ديرول[5] Deyrolle أو بيسيير Bissiére، لكن جريجوروفيوس كان يتحدث الآن عن عدم جدوى الوجود التجريبى، وفجأة تصبح الكلمات فريدلاندر Friedländer أو الحساس ڤيلون[6] Villon الذى يكثف الظل ويجعله يهتز، إنه الوجود التجريبى، ويصبح اللون الأزرق كأنه دخان، وورود، تجريبية، ولون أصفر شاحب، وفراغ حيث ترتعش شرارات بها بياض.

– قالت لاماجا وهى تنفض السيجارة :

– ها قد نام روكامادور، علىّ أيضا أن أنام بعض الوقت.

– لن يعود أوراثيو هذه الليلة على ما أظن.

– لست أدرى. أوراثيو مثل القطط، وربما تجد المرء جالسا هناك على الباب، وربما ركب القطار المتجه إلى مارسيليا.

– قال جريجوروفيوس :

– يمكن أن أبقى إذ يمكنك أن تنامى، بينما أقوم أنا برعاية روكامادور.

– لكن لا أشعر بنعاس. فطوال هذا الوقت أرى أشياء فى الهواء بينما أنت تتحدث. لقد قلت «إن باريس هى مجاز ضخم»، وعندئذ كانت عندى مايشبه هذه الإشارات

26

لسوجاى Sugai، يخالطها الكثير من الأحمر والأسود.

– قال جريجوروفيوس :

– كنت أفكر فى أوراثيو إنه مثير للغرابة كيف أن أوراثيو أخذ يتغير خلال هذه الشهور التى تعرفت عليه خلالها. أتصور أن هذا لم يسترع انتباهك فأنت شديد القرب ومسئولة عن هذا التغيير.

– لماذا هى مجاز ضخم ؟

– إنه متواجد هنا مثلما يبدأ آخرون فى أى حالة هروب؛ فإما الفوودوو Voodoo أو الماريجوانا. إما أن يكون بيير بوليز Pierre Boulez أو ماكينات الرسم لتينجلى(٧) Tinguely. إنه يخمن وجود مفتاح فى مكان ما فى باريس أو فى يوم من الأيام أو فى إحدى الوفيات أو أى لقاء. إنه يبحث عن المفتاح بجنون. خذى فى اعتبارك أننى أقول مثل المجنون. أى أنه فى الواقع لايعى بأنه يبحث عن المفتاح أو أنه – المفتاح – موجود. إنه يتصور هيئته وأقنعته. ولذلك أتحدث عن المجاز.

– لماذا تقول بأن أوراثيو قد تغير ؟

– سؤال مهم ياالوثيًا، عندما عرفت أوراثيو نظرت إليه على أنه مثقف هاو، أى مثقف غير مدقق. أنتم أيها السادة هكذا فى تلك النواحى. أليس كذلك؟ فى ماتو Matto وجروسو Grosso. تلك الأماكن.

– هذان المكانان يقعان فى البرازيل.

– إذن هما فى بارانا Paraná. ياللذكاء واليقظة والألمام بكل شئ أكثر منا نحن. الأدب الإيطالى على سبيل المثال أو الإنجليزى. وكل العصر الذهبى الأسبانى، وبالطبع فالمعرفة بالآداب الفرنسية أمر ظاهر للعيان. كان أوراثيو يمثل كلَّ هذا كما يلاحظ عليه بشكل يزيد عن الحّد. ومن مثار إعجابى أنه قد تغير لهذا الشكل فى فترة زمنية قصيرة. لقد تحول الآن إلى إنسان فظّ ، وهذا واضح بمجرد النظر إليه. حسن لم يتحول إلى الفظاظة، لكنه يفعل مافى وسعه.

– دمددمت لاماجا :

– لاتقل ترّهات .

– افهمينى أريد القول إنه يبحث عن الضوء الأسود، عن المفتاح، وأخذ يدرك بأن أشياء مثل هذه لاتوجد فى المكتبات. وفى الحقيقة أنت التى علمته ذلك، وإذا مارحل فذلك لأنه لن يغفر لك هذا على الإطلاق.

– لن يرحل أوراثيو بسبب هذا.

26

– هناك أيضا مجاز، إنه لايعرف لماذا يرحل، أما أنت فهى ذلك الذى يرحل بسببه ولايمكن له معرفته إلا إذا قررّ أن يثق بى.

قالت لاماجا وهى تتزحلق من على الكرسى وتجلس على الأرض

– لا أعتقد ذلك، كما أننى لا أفهم شيئا. ولاتذكر بولا Pola. فلا أريد الحديث عن بولا.

– قال جريجوروفيوس بلطف :

– واصلى النظر لكل مايرسم فى الظلام يمكن أن نتحدث عن أشياء أخرى بالطبع. هل تعرفين أن الهنود الشيكرين، بفضل إلحاحهم فى طلب مقصّات من المبشرين، لديهم الآن تلك المجموعات وفيها يعتبر هؤلاء الناس بأنهم المجموعة الإنسانية الأكثر إنتاجا لها قياسا على تعدادهم؟ لقد قرأت ذلك فى مقال لألفريد مترو(8) Alfred Métrax الدنيا مليئة بأشياء غير عادية.

– لماذا باريس هى مجاز ضخم؟

– قال جريجوروفيوس :

– عندما كنت صبيا كانت مربيات الأطفال يمارسن الحب مع الفرسان المسلحين بالرّماح والذين كانوا يقومون بأعمالهم فى منطقة بوزسوك Bozsok. ولما كنت أضايقهن عند قيامهن بتلك المهام، كن يتركننى أدور فى صالون ضخم ملئ بالسجاد المفروش والمعلق على الحائط، والذى يمكن أن يكون صانع المتع التى لدى مالت لوردس بريج(9) Malte Laurids Brigge. وفى سجادة من كل هذا نجد مخططا لمدينة أوفر(10) Ofir طبقا لما وصلت إلى الغرب من خلال الأسطورة. كنت أجلس على ركبتى وأدفع كرة صفراء بأنفى أو بيدىّ وأسير فى الخط المرسوم لنهر شان تن Shan-Ten وأعبر الأسوار التى يحرسها الجنود السود المسلحون بالرماح، وبعد المرور بالعديد من المخاطر وباصطدام رأسى فى أرجل الترابيزة المصنوعة من خشب الماهوجنى الموضوعة فوق وسط السجادة. وكنت أصل إلى مقر إقامة ملكة سبأ وأبقى نائما كأننى يرقة فوق منصة القدماء الخاصة لتناول الطعام. نعم باريس هى مجاز ضخم. ما الذى يمثله شكلها؟ آه. إنها الطفولة المفقودة، الاقتراب، الاقتراب! لقد أتيت إلى هذه الحجرة عشرين مرة، إلا أنى غير قادر على تذكر الرسم الذى على تلك السجادة ....

– قالت لاماجا :

– لقد تهالكت لدرجة أنه لم يبق فيها الكثير من الرسومات أعتقد أنها عبارة عن زوج من الطواويس يتبادل قبلة بالمنقار. أما الباقى فيميل إلى اللون الأخضر. صمت كلاهما وهما يستمعان لوقع أقدام تصعد السلم.

(– 109)

27

– قالت لاماجا :

– أو بولا أعرف عنها أكثر مما يعرف أوراثيو.

– دون أن تكونى قد رأيتها على الإطلاق يالوثيا؟

– قالت لاماجا وقد نفد صبرها :

– إننى رأيتها كثيرا لقد جاء بها أوراثيو وهى فى الشعّر، وفى المعطف الخفيف، كان يرتعد منها. وكان يغتسل منها.

– قال جريجوروفيوس :

– حدثنى كل من إيتين وونج عن تلك المرأة فقد رأياها ذات يوم فى ترّاس أحد المقاهى فى سان كلود S. Cloud. النجوم وحدها تعرف ما الذى كان يفعله كل أولئك الناس فى سان كلود. لكن الأمر حدث هكذا. كان أوراثيو ينظر إليها كأنها جرثومة على مايبدو. وبعد ذلك انتهز وونج ذلك الموقف ليضع نظرية غاية فى التعقيد عن الإشباع الجنسى، فطبقا له يمكن التقدم فى طريق المعرفة طالما تم الوصول فى لحظة معينة إلى مقابل معين من الحب (إنها كلماته، اعذرينى، إنها المصطلحات الصينية) الذى تجسده الروح فجأة على مستوى آخر ويدخل فى إطار سيريالى. هل تظنى ذلك يالوثيا؟

– أظن أننا نبحث عن شئ من هذا القبيل، لكن مايحدث هو أننا نُخْدع أو نَخْدع. باريس هى حب عظيم بطريقة عمياء. فكلنا ولهون لكن هناك شيئا أخضر، هو نوع من الطحالب، لا أدرى. كان نفس الشئ فى مونتفيديو. فلايمكن للواحدة منا أن تعشق أحدا عشقا حقيقيا، إذ سرعان ماتقع أشياء غريبة مثل حكايات خاصة بالملاءات والشعر، وبالنسبة للمرأة هناك حكايات أكثر يا أوسيب مثل الإجهاض، عموما.

– الحب، الجنس. هل تتحدث عن نفس الشئ ؟

– قالت لاماجا فإذا :

– نعم ماكنا نتحدث عن الحب نتحدث عن الجنس، لكن ليس كثيرا عن الموضوع معكوسا. لكن الجنس Sexualidad هو شئ مختلف عن الجنس فى نظرى.

– قال أوسيب بطريقة غير متوقعة :

– دعينا من النظريات هذه المفاهيم مثل تلك التوليفات .... وربما كان أوراثيو يبحث فى بولا عن شئ لم تعطه له على ما أظنّ. لنتحدث عن الأمر من منظور عملى.

27

– قالت لاماجا :

– إن أوراثيو يبحث دوما عن العديد من الأمورإنه يشعر بالإرهاق منّى؛ لأنى لا أعرف كيف أفكر، وذلك هو كل شئ. أتصور أن بولا تفكّر طول الوقت.

– ذكر أوسيب :

– ياله من حب مسكين ذلك الذى يتغذى على الفكر .

– قالت لاماجا :

– لابد أن نكون منصفين، بولا هى امرأة جميلة، وأعرف ذلك من خلال العينين اللتين ينظر إلىّ بهما أوراثيو عندما يعود إلىّ بعد أن كان معها. كان يعود وكأنه عود ثقاب أشعل للتو وقد نما فيه اللهب لكنه لايكاد يستمر ثانية، ومع ذلك فهو رائع.! إنه نوع من الصرير ورائحة كبريت قوية، وهذا اللهب الضخم الذى يخبو بعد ذلك. كان يعود على تلك الحال ذلك أن بولا تملؤه بالجمال. كنت أقول له ذلك يا أوسيب وكان من العدل أن أقوله. كنا قد ابتعدنا عن بعضنا بعض الشئ رغم أننا كنا لازلنا متحابين. هذه الأمور لاتحدث فجأة. فقد كانت بولا تأتى وكأنها الشمس تطل من النافذة. علىّ دائما أن أفكّر فى أشياء بتلك الطريقة حتى أعرف أننى أقول الحقيقة. كانت تدخل حتى وقت قليل وتنتزع منى ظلى. أما أوراثيو فقد كان يحترق كأنه على ظهر سفينته، وكأنه يتحمّر. كان سعيدا سعادة غامرة.

– لم أكن لأصدق. بدا لى أنك ... عموما. أن بولا سوف تمضى مثلها مثل أخريات. وفى هذا المقام يجب أن نذكر فرانسواز على سبيل المثال.

– قالت لاماجا وهى تلقى برماد السيجارة على الأرض :

– لا أهمية لذلك فإذا ماتحدثت عنها فكأننى أتحدث عن أنماط مثل ليديسما على سبيل المثال. حقيقى أنك لاتعرف شيئا عن ذلك الأمر. كما أنك لاتعرف كيف انتهت القصة مع بولا.

– لا.

– قالت لاماجا :

– بولا سوف تموت وليس السبب هو دبابيس الإبرة، فقد كانت تلك أكذوبة رغم أننى فعلتها. صدقنى لقد فعلتها وأقولها بكل جدية. سوف تموت بسرطان الثدى.

27

– وأوراثيو...

– لاتكن قذرا يا أوسيب. فأوراثيو لم يكن يعرف شيئا عندما ترك بولا.

– من فضلك يالوثيا، أنا ....

– إنك تعرف جيدا ما تقوله وماتريده هنا هذه الليلة يا أوسيب. لاتكن سافلا. ولاتُلمّح بهذا.

– لكن ماذا من فضلك؟

– بأن أوراثيو كان يعرف مابها قبل أن يتركها.

– كرر جريجوروفيوس :

– من فضلك ولا حتى ...

– قالتها لاماجا برتابة :

– لاتكن قذرا ما الذى ستكسبه من وراء تلطيخ صورة أوراثيو؟ ألا تعرف أننا منفصلين ، وأنه دخل بينما المطر يتساقط ؟

– قال أوسيب وكأنه يتكوّر على الكرسى :

– أنا لا أقصد شيئا أنا لست هكذا يا لوثيا. إنك طوال حياتك تسيئين فهمى. ربما على أن أركع على ركبتى مثلما فعلها قبطان الجرافين Graffin وأتوسل إليك أن تصدقينى وأن ...

– قالت لاماجا :

– اتركنى وشأنى بولا أولا وأنت ثانيا. إنها كل هذه البقع التى على الحوائط وهذه الليلة التى لاتنتهى. إنك قادر على أن تفكر بأننى أقتل بولا.

– هذا لم يخطر ببالى على الإطلاق.

– كفى، كفى. فأوراثيو لن يغفر لى ذلك على الإطلاق رغم أنه قد لايكون عاشقًا لبولا. إنه لأمر مضحك. إنها دمية مكونة من لاشئ وعليها بقع شمعة أعياد الميلاد. إنها شمع أخضر جميل. أتذكر ذلك.

– يالوثيا، لا أستطيع تصور أنك ...

– لن يغفر لى ذلك أبدا رغم أننا لانتحدث عنه. هو يعرف بالأمر؛ فقد رأى الدمية ورأى الدبابيس. ألقى بها على الأرض وداس عليها بقدمه. ولم يلاحظ أن مافعل كان الأسوأ، وأن الخطر يزداد. بولا تعيش فى شارع دوفين Dauphin. وكان يذهب ليراها كل مساء تقريبا. فهل قصت عليه حكاية الدمية الخضراء يا أوسيب؟

27

– قال أوسيب بعدوانية وضيق :

– من المحتمل جدا، كلكم مجانين.

– إن أوراثيو كان يتحدث عن نظام جديد، وعن إمكانية العثور على حياة أخرى. إنه كان يشير إلى الموت عندما يتحدث عن الحياة. كان الشؤم وكنا نضحك كثيرا. قال لى إنه كان يضاجع بولا، وعندئذ فهمت أنه ليس من الضرورى أن أغضب أو أتشاجر معه. يا أوسيب أنا لم أكن مغتاظة جدا فى الحقيقة، إذ يمكن لى أنا أن أضاجعك الآن إذا ماراق لى ذلك. إنه لأمر من الصعب شرحه. فليس الأمر خيانة وأشياء من هذا القبيل. فكلمة خيانة عند أوراثيو وكذا كلمة خداع تجعلانه شديد الغضب. وعلى أن أعترف أنه منذ أن عرفنا بعضنا قال لى إنه لايعتبر نفسه مجبرا. ولقد صنعت الدمية؛ لأن بولا دخلت حجرتى، وبذلك طفّ الصاع. وأجدها قادرة على سرقة ملابسى وارتداء شراباتى واستخدام أحمر الشفاه الخاص بى وإعداد الرضعة لروكامادور.

– لكنك قلت إنك لاتعرفينها.

– كانت فى أوراثيو أيها الأحمق. أيها الأحمق، أيها الأحمق أوسيب. مسكين يا أوسيب. ياالك من أحمق فى معطفه، فى جلد الياقة. إنك رأيت أن معطف أوراثيو فيه جلد عند الياقة. كانت بولا هناك عندما كان يدخل، وكانت فى طريقة نظره للأشياء وعندما كان يخلع ملابسه هناك فى ذلك الركن ويستحم - وهو ثابت - فى هذا الطشت. أتراها يا أوسيب؟ عندئذ كانت بولا تخرج من جلده، وكنت أراها كأنها البلازما الظاهرية وأمسك نفسى عن الإجهاش بالبكاء وأنا أفكر أننى فى منزل بولا لن أكون هكذا. ولن تشك بولا أبدا أننى فى شعره أو فى عينيه أو فى شعر صدره. لست أدرى لماذا. وعلى العموم فقد أحببنا بعضنا جيدا. لست أدرى لماذا. ذلك أننى لا أعرف كيف أفكر وهو يحتقرنى، من أجل تلك الأشياء.

(– 28)

28

هناك من كان يصعد السلم.

– قال جريجوروفيوس :

– ربما كان أوراثيو .

– قالت لاماجا :

– ربما لكن يبدو لى أنه الساعاتى الذى يسكن الدور السادس، فهو يعود متأخرا. ألا يروق لك الاستماع إلى الموسيقى؟

– فى هذه الساعة؟ سوف يستيقظ الطفل.

– لا. فسوف نخفض صوت الأسطوانة، وليتنا نستمع إلى رباعية. ويمكن أن نجعل الصوت منخفضا بحيث نسمع نحن فقط. سوف نرى.

– قال جريجوروفيوس :

– لم يكن أوراثيو .

– قالت لاماجا وهى تشعل عود ثقاب :

– لا أدرى .

وتلقى نظرة على بعض الأسطوانات المرصوصة فوق بعضها فى أحد الأركان.

– ربما جلس خارج المنزل فأحيانا يعجبه هذا، وأحيانا يصل إلى الباب ويغير رأيه. قم بتشغيل جهاز الأسطوانات بالضغط على هذا الزر الأبيض الذى عند حافة المدفأة.

كانت هناك كرتونة وكأنها كرتونة أحذية. جلست لاماجا على ركبتها ووضعت الأسطوانة على الجهاز وسط ظلمة الغرفة، أحدث الاحتكاك بكرتونة الأحذية بعض الصوت. استقرت نغمة بعيدة فى الهواء وأصبحت فى متناول الأيدى. بدأ جريجوروفيوس يحشو البايب وهو لازال يشعر ببعض الأشياء. لايروق له شوينبرج Schoenberg لكن السبب كان شيئا آخر. الوقت المتأخر والطفل المريض ونوع من التعدّى. هو ذاك، التعدى. إنه أحمق. لكن تحدث له نوبات مثل هذه؛ حيث ينتقم نظام ما من الوحدة التى كان فيها. كانت ملقاة على الأرض ورأسها تكاد تكون موضوعة فى كرتونة الأحذية وبدا أنها نائمة. من حين لآخر كان يسمع شخير روكامادور، لكن جريجوروفيوس استغرق فى الاستماع إلى الموسيقى، واكتشف أنه يمكن أن يتنازل ويسير على رأى الطرف الآخر دون احتجاج ويفوض الآخر لفترة فى ابن فيينا الذى مات وورى التراب كانت لا ماجا تدخن وهى ملقاة على الأرض. كان وجهها يرى بين الفينة والأخرى وهى مغمضة العينين وشعرها على وجهها، وكان خداها يلمعان وكأنها تبكى. لكن ليس من الضرورة أن يكون بسبب البكاء. كان من البلاهة تصور أنها تبكى. وعلى الأصح كانت تزم شفتيها بغيظ عندما تسمع الضربات المكتومة فى سقف

28

الحجرة. الضربة الثانية، ثم الثالثة. أصاب جريجوروفيوس الفزع، وكان على وشك الصراخ عندما أحسّ بيد تمسك بعقبه.

– لاتقلق إنه العجوز الذى يسكن فى الدور العلوى.

– لكننا لانكاد نسمع شيئا.

– قالت لاماجا بطريقة غامضة :

– إنها مواسير المجارى فكل شئ يوضع من هناك. وقد حدث لنا هذا مرات سابقة.

– قال جريجوروفيوس :

– إن السمع هو علم مثير للعجب .

– قالت لاماجا :

– سوف يصاب بالتعب إنه أحمق.

ظلت الضربات تسمع واعتدلت لاماجا وهى غاضبة وخفضت أكثر صوت جهاز الأسطوانات، مرت ثمانى أو تسع نغمات، وقفة، ثم استؤنفت الضربات.

– قال جريجوروفيوس :

– مستحيل من المستحيل أن يسمع ذلك الرجل شيئا.

– إنه يسمع أفضل منا. وهذا أسوأ مافى الأمر.

– هذا المنزل هو مثل أذن ديونيسوس Dionisos.

– من؟ الذى لم يكن سعيدا بالمرة وبالتحديد فى الحركة الموسيقية. ويواصل ضرباته. سوف يستيقظ روكامادور.

– ربما كان من الأفضل...

– لا. لا أريد. وعليه أن يهدم السقف. وسوف أضع له أسطوانة لماريو موناكو(١) Mario Monaco حتى يتعلم. لكن للأسف ليس عندى أى أسطوانة له. ياله من أحمق. وحيوان قذر.

– قالها بترنيمة عذبة :

– يالوثيا لقد تجاوزت الساعة منتصف الليل.

– زمجرت لاماجا :

– الوقت دائما سوف أترك هذه الحجرة. فلايمكننى أن أخفض صوت الأسطوانة أكثر من هذا فلا نكاد نسمع شيئا. انتظر سوف تقوم بتكرار الحركة الأخيرة. لاتلق بالا.

توقف صوت الضربات وظلت الرباعية تعزف إلى النهاية دون أن يسمع الشخير الهادئ لروكامادور. تنهدت لاماجا ورأسها تكاد تكون فى داخل مكبر الصوت. عادت الضربات من جديد.

– قالت لاماجا :

28

– ياله من أحمق الأمر على هذا الحال دائما.
– لاتلحى يالوثيا.
– لاتكن غبيا. لقد مللت منهم، بودى لو طردتهم جميعا. ماذا لو أنى أريد الاستماع إلى شوينبرج، فيما لو كان ليضع لحظات....
أخذت تبكى ثم رفعت البيك آب بيد واحدة مع آخر نغمة، ولما كانت إلى جوار جويجوروفيوس وهى تميل على مكبر الصوت لتوقف التشغيل، كان من السهل على جريجوروفيوس أن يمسك بخصرها ويجعلها تجلس على إحدى ركبتيه. وأخذ يمسح بيده على شعرها ويرفعه عن وجهها. كانت لاماجا تبكى بشكل متقطع وهى تكح وتدفع بزفيرها المحمل برائحة الدخان فى وجهه.
– أيتها المسكينة، أيتها المسكينة – كان يكررّ وكلماته ترافق مداعبات يده – لا أحد يحبها، لا أحد. كلهم يتصرفون بسوء مع المسكينة لوثيا.
– قالت لاماجا وهى تبلع مخاطها بشكل نهم :
– ياغبى إنى أبكى لأنى أريد ذلك وحتى لايواسينى أحد. يا إلهى أى ركبتين حادتين انغرستا فىّ كأنهما مقصّ.
– توسل جريجوروفيوس :
– استمرى هكذا قليلا من الوقت .
– قالت لاماجا :
– لا أريد ولماذا يواصل هذا الأحمق ضرباته تلك ؟
– لاتعيريه اهتماما يالوثيا. مسكينة....
– أقول لك إنه يواصل ضرباته. هذا لايصدق.
– نصحها جريجوروفيوس بشكل غير لائق :
– اتركيه يواصل ضرباته .
– قالت لاماجا وابتسمت فى وجهه.
– أنت الذى كنت قلقا قبل ذلك .
– من فضلك آه لو تعرفينى...
– قالت لاماجا فجأة بنغمة متفهّمة :
– أوه. أعرف كل شئ. لكن كن هادئا. أوسيب إن ذلك الرجل لم يكن يضرب بسبب صوت الأسطوانة. يمكننا أن تضع أسطوانة أخرى إذا ماشئتنا.
– ياللهول، لا.
– لكن ألا تسمع، إنه يواصل ضرباته ؟

28

- قال جريجوروفيوس :

- سوف أصعد إليه وأصفعه على وجهه .

- استندت لاماجا ونهضت دفعة واحدة وأفسحت له الطريق :

- الآن وقل له إنه ليس من العدل أن يوقظ الناس فى الواحدة صباحا. هيا. اصعد. إن باب منزله هو الأيسر، ومعلق عليه حذاء.

- حذاء معلق على الباب ؟

- نعم، العجوز مجنون تماما. هناك حذاء وجزء من أكورديون أخضر اللون. لماذا لاتصعد؟

- قال جريجوروفيوس بنبرة تعب :

- لا أعتقد أن الأمر يستحق كل شئ مختلف، وغير مُجدٍ. يالوثيا أنت لم تدركى أن .... عموما، وعلى أى الأحوال فإن هذا الرجل يمكن أن يتوقف عن الضربات.

ذهبت لاماجا إلى أحد الأركان وخلعت شيئا معلقا بدا من بعيد فى الظلمة أنه منفضة من الريش، ثم سمع جريجوروفيوس ضربة مدوية فى السقف. ساد الصمت فى الدور العلوى.

- قالت لاماجا :

- والآن يمكن لنا أن نستمع لكل مانريد .

«أسأل نفسى» فكرّ جريجوروفيوس، وقد ازداد الإرهاق به.

- قالت لاماجا :

- لنستمع مثلا إلى سوناتا لبرامز[٢] Brahms. ياله من شئ رائع. لقد تعب من الدّق على السقف، انتظر حتى أعثر على الأسطوانة. لابد وأنها هناك، لا أرى شيئا. «إن أوراثيو هناك خارج الحجرة» - فكر جريجوروفيوس، «يجلس على بسطة السلّم ويسند ظهره للباب ويسمع كل شئ. إنه مثل شخصيات التاروت Tarot، ويجب أن ينصرف. إنه مثل متعدد الأسطح؛ حيث إن كل فنان وكل وجه له معنى للوهلة الأولى وهو المعنى الزائف ثم يضم إليه المعنى غير المباشر وهو الإلهام. هكذا كان برامز وأنا والضربات على السقف وأوراثيو : هناك شئ يتجه ببطء فى طريق فهمه. كل شئ غير مجد فيما عدا ذلك» وتساءل ما الذى قد يحدث إذا ماحاول من جديد معانقة لاماجا فى ظلام الحجرة؟ «لكنه هناك يستمع وقد تكون لدية قوة التحمل على الاستماع وهو يستمع إلينا، فهو منفرّ أحيانا». أضف إلى ماسبق أنه يخشاه، وهذا مايصعب عليه الاعتراف به.

- قالت لاماجا :

- لابد وأنها هذه الأسطوانة نعم فالتيكيت عليه جزء مفضض واثنين من العصافير .. من الذى يتحدث هناك فى الخارج؟

«إنه مُجّسم متعدد السطوح أو شئ يتبلور رويدا رويدا فى الظلام» فكر

28

جريجوروفيوس «سوف تقول هى الآن ذلك، وسوف يقع فى الخارج الآخر وأنا ... لكنى لا أعرف ماهو ذلك وماهو الآخر».

– قالت لاماجا :

– إنه أوراثيو .

– إنه أوراثيو ومعه امرأة.

– لا من المؤكد أنه العجوز الذى يسكن فوقنا.

– أهو الذى يعلق الحذاء على الباب ؟

– نعم، صوته يشبه صوت امرأة عجوز. إنه مثل صوت طائر العقعق، ويضع فوق رأسه دائما طاقية من الأستراكان.

– نصح جريجوروفيوس :

– يستحسن ألا تضعى الأسطوانة لننتظر ونرى ما الذى يجرى.

– قالت لاماجا وهى مغتاظة :

– لن نتمكن إذن من الاستماع لأسطوانة برامز .

«إنها ثورة على القيم مثيرة للسخرية» فكرّ جريجوروفيوس «إنهما على وشك الإمساك بتلابيب بعضهما على بسطة السلم ولاتفكر هى إلا فى الاستماع للسوناتة»، لكن كانت لاماجا على حق. كانت دائما الوحيدة التى على حق» إننى أصدر أحكاما مسبقة أكثر مما كنت أفكر» قال جريجوروفيوس لنفسه «يعتقد المرء أنه طالما يمارس حياة الأفرنجى affrnchí ويقبل بالتطفل المادى والروحى لـ لوتيثيا Lutecia فقد أصبح إلى جانب المذهب السابق على الآدمية. يالى من أحمق. لاضير».

قال جريجوروفيوس متنهدا :

– أما الباقى فهو الصمت[٣]

– عقبت لاماجا بصوت كان به نغمة أنفية :

– الصمت، ياللعجب قالت لاماجا التى كانت تعرف الإنجليزية جيدا؛ سوف ترى أنهما سوف يبدآن من جديد. والعجوز سيكون هو البادئ بالحديث. هاهو – لكن ماذا فعلت سيادتك من أمر مشين لنر بماذا يردّ عليه أوراثيو. يبدو لى أنه يضحك بصوت منخفض، وعندما يبدأ فى الضحك لايجد الكلمات، إنه أمر لايصدق. سوف أفتح لأرى مايحدث.

– كنا فى وضع جيد جدا.

– غمغم جريجوروفيوس وكأنه يرى ملاك الطرد وهو قادم جيرارد دافيد Gerard David، وفان در ويدن Van der Weiden، مايسترو دى فليمال

28

Maestro de Flemalle في مـثل هذه السـاعـة يلاحظ أن كل الملائكة، دون أن يدرى السـبب، فلامنكيون، وجوههم مكتنزة تعلوها البلاهة، لكنهم مـشرقـون وعليهم تطريز مـعين واسـتنكاريون بطريقة برجوازية. إن والدى طلبه، وعندئذ سيكون من الأفضل أن تذهبوا أيها الفسقة. أصبحت الحجرة مليئة بالملائكة لقد نظرت إلى السمـاء، فماذا رأيت؟ ثلّة من الملائكة تتبعنى. إنها النهاية المعتادة، هم الملائكة البوليس والملائكة المحصلّين الملائكة، الملائكة. إنها العفونة ويالها من عفونة مثل تيار الهواء المثلج الذى يدخل إليه من فتحتى البنطلون، وكذلك الأصوات التى تزأر على بسطة السلم وبنية لاماجا على الباب.

– قال العجوز :

– ليس بهذا الشكل إن الحيلولة دون أن ينام الناس فى هذه الساعة هو أمر غبى. سوف أقوم بإبلاغ الشرطة. ثم ماذا تفعل هناك، هل أنتم مختفون وراء الباب؟ كان يمكننى قطع لسانك الطويل. هذا شئ مشين إذن.

– اذهب لتنام أيها العجوز.

كان أوراثيو يقول ذلك وهو ملقى على الأرض بطريقة مريحة.

– وكيف أنام مع الفوضى التى تقوم بها زوجتك الطيبة؟ هذه وقاحة لكنى أحذرك. هذا لن يمر دون عقاب. وسوف تعرف جيدا ما أقول.

– قال أوراثيو وهو يتثاءب :

– وبالنسبة لأخى الشاعر فقد وصلتنا منه أخبار هل تمعنت جيدا فى هذا النمط.

– قالت لاماجا :

–إنه أحمق لقد وضعت الأسطوانة، وجعلت الصوت منخفضا، ومع ذلك يدّق على السقف. ثم أوقف الموسيقى ويظل يواصل ضرباته. ما الذى يريده إذن؟

– حسن، إنها حكاية الرجل الذى ترك فردة حذاء تسقط.

– قالت لاماجا :

– لاأعرفها .

– قال أوليڤيرا :

– هذا ماهو متصّور وعموما فإن الطاعنين فى السن يهموننى الاحترام المختلط بمشاعر أخرى نحوهم. لكن بالنسبة لهذا الرجل فإنى على استعداد لأشترى له زجاجة فورمالين وأضعه فيها ليتركنا وشأننا.

28

- قال العجوز :

- وفضلا عن ذلك فهو يسبنى بلغته التى لا أفهمها وهى لغة دخيلة وقذرة. نحن هنا فى فرنسا نستحق مايحدث لنا لابد أن نطردكم. إنكم عار. وأنا أتساءل ما الذى تفعله الحكومة؟! العرب كلهم أوغاد وعصابات من القتلة.

- قال أوليڤيرا :

- وعليك أن تختتمها بالأملاح الأسطورية، آه لو تعرف عدد هؤلاء الحقيرين الذين يجمعون المال فى الأرجنتين ماذا كنتما تسمعان؟ لقد وصلت للتو وأنا مبتل بسبب المطر.

- إنها رباعية لشوينبرج. وأنا الآن أريد الاستماع لسوناتا لبرامز، ولكن بصوت منخفض.

- من المستحسن أن نترك ذلك للغد.

قال أوليڤيرا مسايرا وقد اتكأ على مرفقه ليشعل سيجارة جلواز Rentrez chez vous, monsieur, on vous emmerdera plus pour ce sau [عد إلى بيتك ياسيد وإلا ستتعرض لمتاعب لم تخطر لك على بال].

- قال العجوز :

- Des faineants [تسالى] كلهم قتلة De tueurs, tous.

كانت الطاقية المصنوعة من الأستراكان ترى فى ضوء عود الثقاب. وكان يرتدى بيجامة سميكة وله عينان تنظران بغيظ. كانت الطاقية تلقى بظلها العملاق على السلم. كانت لاماجا تشعر بالذهول. نهض أوليڤيرا وأطفأ عود الثقاب بنفخة. ودخل الحجرة وأغلق الباب بخفة.

- قال أوليڤيرا :

- أيها التافه لست أرى أى شئ.

- قال جريجوروفيوس :

- أيها التافه الحمد لله الذى أزحته عن طريقك.

- لنقل إن العجوز على حق أضف إلى ذلك كبر سنه.

- قالت لاماجا :

- كبر السن ليس سببا .

- ربما لايكون السبب، لكنه وسيلة حماية.

- قال أوليڤيرا :

- لقد قلت يوما إن الدراما التى تعيشها الأرجنتين هى أنها تدار بواسطة العجائز.

28

– لقد أسدل الستار على تلك الدراما ومنذ أن تولى بيرون أصبح الأمر معكوسا، ومن يسيطر الآن هم الشباب، وربما كان هذا أسوأ من ذاك. فماذا يفعل المرء. والدوافع المتعلقة بالسن والجيل والأتعاب والطبقة ماهى إلا أخطاء لاتحصى، وأعتقد أننا إذا ماكنا نهمس فى آذان بعضنا بطريقة غير مريحة فمرجعه إلى أن روكامادور ينام بعمق كأنه من الأبرياء.

– نعم، لقد نام قبل أن نبدأ فى الاستماع إلى الموسيقى. إنك مبتل للغاية يا أوراثيو.

– لقد ذهبت إلى حفل موسيقى.

– عزف البيانو – فسرّ أوليڤيرا.

– قالت لاماجا :

– آه حسن، اخلع معطفك وسوف أعد لك شراب الشاى الساخن.

– مع كوب من الخمر (Caña) فقد بقى منها نصف زجاجة هناك.

– سأل جريجوروفيوس :

– ماهى الـ Caña؟ هل هى تلك الخمر التى يسمونها «دبوسا»؟

– لا إنها تشبه أكثر الـ باراكbarak وهو مشروب جيد بعد الحفلات الموسيقية وخاصة فى الحفلات التى تقدم لأول مرة والآثار الناجمة التى لاتوصف. آه لو أضأنا إضاءة حقيقة لاتؤذى عينى روكامادور.

أضاءت لاماجا أباجورة، ووضعتها على الأرض صانعة بذلك نوعا من رامبراندت[٤] Rembrandt حيث وجده أوليڤيرا مناسبا. إنها عودة الابن العاق. إنها صورة العودة رغم أنها قد تكون مؤقتة وعارضة، ورغم أنها قد لاتعرف جيدا لماذا عاد وأخذ يصعد شيئا فشيئا وألقى بنفسه أمام الباب ليسمع من بعيد نهاية الرعية ومايهمهم به أوسيب ولاماجا. «لابد وأنهما مارسا الحب كثيرا» فكرّ وهو ينظر إليهما. لكن لا. من المستحيل أن يكون قد ساورهما الشك فى عودته تلك الليلة. وهما يرتديان ملابسهما كما أن روكامادور فى وسط السرير. فإذا ماكان بين كرسيين، وكان جريجوروفيوس بدون الحذاء ومشمّرا كم القميص .... أضف إلى ذلك، أى أهمية لهذا إذا ماكان الوجود الطاغى هناك هو نفسه ومعطفه مبلل، وأصبح رثّ المظهر.

– قال جوريجوروفيوس :

– السمع، ياله من شئ جميل أن يمد الصوت من خلال المادة ويصعد الأدوار وينتقل من حائط إلى آخر ليصل إلى مقدمة السرير. إنه أمر لايصدق. ألم تمارسا الغطس ذات مرة؟

28

– وقال أوليـڤيرا وهو يلقى بالمعطف فى أحد الأركان ويجلس على كرسى بدون مسند للظهر أو اليدين :

– لقد حدث لى ذات مرة .

– يمكن أن يسمع كل مايتحدث به الجيران فى الدور الأسفل؛ فالأصوات تنتقل من خلال المواسير على ما أعتقد. وذات مرة كنت فى جلاسجو Glasgovu وعرفت أن الجيران من تروتسكا trotzkistas.

– قالت لاماجا :

– صورة جلاسجو تشبه الجو الردئ، والميناء الملئ بالناس المحزونين.

– قال أوليڤيرا :

– سينمائية أكثر من اللازم لكن هذا المشروب – الشاى – هو نوع من العفو، يعيد الأمور إلى نصابها بطريقة لاتصدق. ياللهول لقد دخلت مياه كثيرة فى الحذاء. انظر، إن كوبا من الشاى هو بمثابة نقطة فى نهاية الفقرة. وبعد تناوله يمكن البدء بفقرة جديدة.

سوف أجهل دوما هذه المتع القادمة من السهول الفسيحة – قال جريجوروفيوس، لكن جرى الحديث أيضا عن مشروب آخر على ما أعتقد.

– أمر أوليڤيرا :

– هات الـ Caña أعتقد أنه لازال هناك أكثر من نصف زجاجة.

– سأل جريجوروفيوس :

هل تشترونه من هنا؟

«لماذا يسأل بصيغة الجمع؟» فكر أوليڤيرا «من المؤكد أنهما تمرّغا طوال الليل، وهذا مؤشر واضح، على أية حال».

– لا، إن أخى يرسل لى. لى أخ يعمل محاميا وهو رائع المستوى. يرسل لى بالمشروب ويؤنبّنى. أتلقى كل شئ بغزارة.

أعطى لاماجا كوب الشاى بعد أن فرغ منه، وجلست هى القرفصاء إلى جوار قدميه وهى تحمل الـ Pava بين ركبتها. أخذ يشعر بتحسن. شعر بأصابع لاماجا تلمس عقب إحدى رجليه وتلمس رباط الحذاء. تركها تخلع له الشراب وهو يتنهد، أخرجت لاماجا الشراب مبتلاً ولفّت رجله فى ورقة مزدوجة من Figaro literaíre ملحق الفيجارو الأدبى. كان الشاى ساخنا جدا ومراً. أعجب جريجوروفيوس بشراب الكانيا Caña فلم يكن مثل الباراك لكنه شبيه به. كان هناك كتالوج تفصيلى بأنواع المشروبات المجرية

28

والتشيكية، وبعض مشروبات الأيام الخوالى. كان يسمع صوت المطر، ولكن بشكل ضعيف. كان الجميع فى حالة جيدة وخاصة روكامادور الذى ظل أكثر من ساعة دون أن يصدر عنه أى صوت. كان جريجوروفيوس يتحدث عن ترانسيلفانيا ومغامرات كانت له فى سالونيك. تذكر أوليفيرا أن على ترابيزة الكومودينو هناك جلوازاً وشبشبا قماشيا. حاول واقترب من السرير. «ومن باريس فإن الإشارة لشئ قد يكون بعيدا عن فيينا يبدو كأنه محض خيال أدبى» كان يقول جريجوروفيوس بصوت فيه نغمة الاعتذار. وجد أوراثيو السجائر وفتح باب الكومودينو ليخرج الشبشب. وفى الظل كان يرى برُفيل روكامادور بشكل غير واضح كان مستلقيا على ظهره. لمس جبهته بإصبعه دون أن يعرف السبب. «لم تكن أمىّ تتحمسّ فى الإشارة إلى ترانسلفانيا، فقد كانت تخشى أن ترد خواطر حكايات الوطاويط وكأن ذلك ... وكذا التوكاى، فأنت تعرف...» وعندما كان أوراثيو مستندا على ركبتيه وهو إلى جوار السرير رأى بشكل أفضل «تصور ذلك من مونيفيديو» كانت لاماجا تقول. «يظن المرء أن الإنسانية واحدة، لكن عندما يعيش إلى جانب الثيروٍ .... هل التوكاى عصفور؟». «حسن، بعض الشئ» إنه رد الفعل الطبيعى، فى تلك الحالات. لنرى : أولا ... («مامعنى بعض الشئ ؟ هل هو عصفور أو ليس بعصفور؟»). لكن لم يكن هناك إلا مداعبة الشفتين بأحد الأصابع، وعدم وجود إجابة. «لقد خولتُ لنفسى تصورّ شئ فيه القليل من الأصالة يالوثيا. ففى كل نوع جيد من النبيذ يرقد عصفور نائما» إنه التنفس الصناعى، إنها الحماقة. وهى حماقة أخرى جعلت يديه ترتعشان بذلك الشكل. لم يكن ينتقل حذاءه، وملابسه مبتلة (وكان من الضرورى أن يفرُك بالكحول وربما بالعمل بقوة).

ذات مساء كانت روح النبيذ تغنّى فى الزجاجات، قال أوسيب بإيقاعية: «أعتقد أنه من الخمريات ....» كان من الممكن لُمس الصمت الحانق الذى عليه لاماجا وملاحظتها العقلية : أنكريونت، شاعريونانى لم يقْرَأه أحد أبدا، كلهم يعرفونه إلا أنا – ولمن سيكون بيت الشعر هذا : un sair l' âme du Vin ؟ روح النبيذ ذات مساء ؟ انزلقت يد أوراثيو بين الملاءات. تكلفّ الكثير من العناء فى لمس بطن روكامادور الصغيرة وفخذيه الباردين وفى الناحية العليا من الجسم بدا أن هناك بعض الدفء لكن لا. لقد كان باردا «وضع الرِّجل فى القالب» فكر أوراثيو «يجب الصراخ وإشعال النور وإحداث جلبة وصخب، لماذا؟» لكن، ربما كان، حتى الآن .... «عندئذ كان معنى ذلك أن هذا الحسّ الغريزى لايفيدنى فى شئ، هذا الذى أعرفه من تحت. فإذا ماصرخت فإننى

28

بذلك مع تريبات، ومن جديد أعيش المحاولة البلهاء ثم أندم. لابد من وضع القفاز، ويجب أن أفعل مايجب فعله فى مثل هذه الحالات. آه، لا، كفى. لماذا يشعل النور والصراخ إذا كان كل ذلك غير مجدٍ؟ إننى أكون مثل الكوميديان الكامل، الكوميديان الديّوث. وأقصى مايفعله المرء هو ...» سمع صوت احتكاك كوب جريجوروفيوس بزجاجة الـ Caña «نعم إنه شديد الشبه بالباراك» وضع سيجارة جلواز بين شفتيه وقام بإشعال عود ثقاب وهو ينظر بقوة

ـ قالت لاماجا التى كانت تقوم بتغيير الأعشاب :

«سوف توقظه» نفخ أوراثيو عود الثقاب بغلظة. إنها عملية معروفة تلك التى تقول بأن حدقة العين عندما تتعرض لشعاع ... إلخ. «أصبح الأمر واضحا». «إنه مثل الباراك، لكنه أقل منه رائحة».

كان جريجوروفيوس يقول.

– قالت لاماجا :

– ها قد عاد العجوز للطرق على السقف مرة أخرى .

– قال جريجوروفيوس :

– لابد أنها نافذة صغيرة .

– لاتوجد نوافذ صغيرة فى هذا المنزل. لقد جن جنونه وهذا مؤكد.

إنتعل أوليڤيرا الشبشب وعاد إلى الكرسى. كان الشاى رائعا ساخنا ومُرًّا. سمعت طرقتين فى الدور العلوى ،ولكن دون قوة.

– خمن جريجوروفيوس :

– إنه يقتل الصراصير .

– لا، إن عينيه محمرّتان ولايريد أن يتركنا ننام. اصعد لتقول له شيئا يا أوراثيو.

– قال أوليڤيرا :

– اصعدى أنت لست أدرى لماذا، لكنه يخشاك أكثر منى. فمعك لايتحدث عن كراهية الأجانب والتفرقة العنصرية وأنواع أخرى من التفرقة.

– إذا ماصعدت فسوف أتفوه بعبارات يقوم على إثرها باستدعاء البوليس.

– إنها تمطر كثيرا ادخلى إليه من المنظور الأخلاقى، وعليك أن تثنى على ديكوات باب منزله. وتحدثى عن مشاعرك كأم. هيا اعملى بما أقول.

– قالت لاماجا.

28

– لا أكاد أرغب فى الصعود.

– قال أوليفيرا بصوت منخفض :

– هيا أيتها الرقيقة .

– لكن لماذا تريد أن أصعد أنا ؟

– لأنى أرغب فى ذلك. وسوف ترين أنه سيتوقف عما يفعل.

وقعت طرقتان ثم طرقة. نهضت لاماجا وخرجت من الحجرة. تابعها أوراثيو، وعندما سمع أنها تصعد السلم أشعل النور ونظر إلى جريجوروفيوس. وبإصبع واحد أشار إلى السرير. وبعد دقيقة أطفأ النور بينما جريجوروفيوس يعود إلى كرسيه.

– قال أوسيب وهو يمسك بزجاجة الـ كانيا فى الظلام :

– إنه أمر لايصدق .

– بالطبع، أمر لايصدق ولامناص منه وكل ذلك. لاشئ من سجل الوفيات أيها العجوز. كان يكفى أن أترك هذه الغرفة ليوم واحد حتى تقع أحداث جسام. عموما فبعض الأشياء تكون بمثابة عزاء للأخرى.

– قال جريجوروفيوس :

– لا أفهم .

– إنك تفهمنى جيدا، وهو كذلك، وهو كذلك، لايمكن أن تتصور مدى لامبالاتى بذلك.

أدرك جريجوروفيوس أن أوليڤيرا يحدّثه بدون تكلّف، وأن ذلك قد غير الأمور كان بالإمكان ... لقد قال شيئا عن الصليب الأحمر، وصيّدليات الخدمة الليلية.

– قال أوليڤيرا :

– افعل ماتريد، فالأمر عندى سيان ماهو هذا اليوم ... ماذا، يا أخى؟

آه، لو أمكنه الأستلقاء فى السرير ويظل نائما لمدة عامين «دجاجة» فكرّ. لقد سرت عدوى اللاحركة إلى جريجوروفيوس فكان يشعل البايب ببطء. كان يسمع صوت كلام قادم من بعيد. إنه صوت لاماجا مختلطا بصوت المطر وصوت العجوز وهو يرد عليها بصوت مرتفع. وفى شقة أخرى سمع صوت باب يفتح حيث خرج البعض يحتجون على الجلبة.

– قال جريجوروفيوس :

– فى جوهر الأمر عندك حق لكن هناك مسئولية قانونية على ما أعتقد.

– قال أوليڤيرا :

– نحن ضالعون فى الأمر حتى آذاننا وخاصة كليكما. فأنا يمكننى أن أبرهن على أننى

28

وصلت فى وقت متأخر. إنها حالة أم تترك الطفل يموت بينما تقوم برعاية عاشق على السجادة.

– إذا ماكنت تريد إفْهامى...

– هذا ليستله أهمية على الإطلاق.

– لكن ماتقوله كذب يا أوراثيو.

– يستوى الأمر عندى. فالمضاجعة هى واقعة هامشية. أنا ليست لى علاقة بكل ذلك. فلقد صعدت لأننى كنت مبتلا وكنت أريد تناول الشاى. اصمت هناك أحد قادم.

– قد يكون من المناسب الاتصال بإدارة المساعدة العامة. – قال جريجوروفيوس.

– حسن ،إتصل. ألا يبدو أن هذا هو صوت رونالد ؟

– قال جريجوروفيوس وهو ينهض :

– لن أمكث هنا لابد من عمل شئ. أقول لك لابد من عمل شئ.

– لكن أنا أيضا على قناعة تامة، تش× الفعل، دائما هو الفعل Die Tätigkeit أيها العجوز. كان عددنا قليلا وولدت الجدة، تحدثا بصوت منخفض فسوف توقظان الطفل.

– التحية :

– قال رونالد.

– قالت بابس وهى تفعل مافى وسعها لإدخال المظلة الواقية من المطر :

– أهلا.

– قالت لاماجا التى جاءت من خلفهما :

– تكلما بصوت منخفض لماذا لاتغلقى المظلة حتى تتمكنى من الدخول ؟

– قالت بابس :

– عندك حق يحدث لى هذا فى كل مكان. لاتحدث جلبة يارونالد. لقد أتينا فقط لنمكث بضع لحظات ولنقص عليكم ماحدث لجوى. إنه أمر لايصدق هل احترقت الفيوزات عنده ؟

– لا. إنه من أجل روكامادور.

– قال رونالد :

– تحدثى بصوت منخفض، وضعى هذه المظلة القذرة فى أحد الأركان.

– قالت بابس :

– من الصعب جدا إغلاقها مع أنها سهلة الفتح.

– قالت لاماجا وهى تغلق الباب :

– لقد هددنى العجوز باستدعاء البوليس كاد يضربنى كان يصرخ فىّ كالمجنون. يا

28

أوسيب على سيادتك أن ترى ماعنده فى الحجرة، إذ يمكن أن يرى بعض مافيها من علم السلم. هناك ترابيزة محملة بالزجاجات الفارغة وفى الوسط هناك طاحونة هواء ضخمة تكاد تكون بالحجم الطبيعى مثل تلك الطواحين الموجودة فى ريف أوروجواى. كانت الطاحونة تدور بفعل تيار الهواء، وأنا ظللت أتلصص عليه من نافذة الباب. كان لعاب العجوز ينزل من فمه غيظا.

– قالت بابس :

– لا أستطيع أن أغلق المظلة وسوف أتركها فى ذلك الركن.

– قالت لاماجا :

– إنه يبدو كأنه خفاش، أعطها لى وسوف أغلقها. أترين كيف أن الأمر سهلا ؟

– قالت بابس لرونالد :

– لقد انكسر فيها سلكان .

– قالت رونالد :

– لاتضايقى نفسك كما أننا سوف نذهب على الفور. كنا نريد فقط أن نقول لهم إن جوى قد تناول علبة من الجاردينال gardenal.

– قال أوليفيرا الذى لم يكن يشعر نحوه بأى استلطاف.

– ياله من ملاك مسكين .

– قد وجده إيتين على وشك الموت. أما بابس وأنا فقد ذهبنا إلى Vernissage (هل على أن أحدثك عن ذلك، إنه رائع) أما جوى فقد صعد إلى البيت وتجرع السمّ وهو فى السرير. أخذت بالك.

– قال أوليفيرا :

– إنها ليست طريقة مهذّبة هذا شئ يؤسف له.

– قالت بابس :

– لقد ذهب إيتين إلى المنزل بحثا عنا، ولحسن الحظ فإن كل أصدقائنا معهم المفتاح ، وسمع أن هناك من يتقيأ، داخل المنزل كان جوى هناك. كان يموت. فما كان من إيتين إلا أن خرج مسرعا للبحث عن نجدة. لقد ذهبوا به إلى المستشفى: إن حالته خطيرة.

– أضافت بابس وهى تشعر بهول الموقف :

ومع هذا المطر .

– قالت لاماجا :

28

– إجلسا هناك لا ياروناld، إذ تنقصه إحدى الأرجل. الحجرة مظلمة لكن ذلك من أجل روكامادور. تحدثوا بصوت منخفض.

– قال أوليڤيرا :

– يجب إعداد بعض القهوة لهما ياله من طقس، تش.

– قال جريجوروفيوس :

– علىّ أن أذهب لست أدرى أين وضعت المعطف الواقى من المطر. لا، هناك لا يالوثيا...

– قالت لاماجا :

– إبق لتناول القهوة، وعموما فليس هناك مترو فى هذه الساعة. كما أننا على أحسن حال هنا. يمكنك أن تطحن بناً طازجا يا أوراثيو.

– قالت بابس :

– هناك رائحة مكان مغلق .

– قال رونالد غاضبا :

– إنها تحب شارع دَوْمَا أذون Ozono إنها مثل الحصان، لاتعشق إلا الأشياء النقية التى لايخالطها أى شئ آخر. مثل الألوان الأولية. والسلم الموسيقى. ليست من البشر، صدقينى.

– قال أوليڤيرا وهو يحاول البحث عن مطحنة البن :

– الإنسانية هى مثال كما أن الهواء له أيضا تاريخه، تش. فالانتقال من الشارع المبلل بالمياه وبه هذا الأوزون الضخم، كما تقولون أنتم، إلى طقس حيث تولى خمسون قرنا تجهيز الحرارة والجودة .... بابس هى نوع من Rip van Winkle فيما يتعلق بالتنفسّ.

– قالت بابسى بسرور :

– أوه ريب ڤان وينكل كانت جدتى تحكيه.

– قال رونالد :

– فى إيداهو Idaho، إننا نعرف ذلك حسن. حسن، مايحدث هو أن إيتين اتصل بنا منذ نصف ساعة فى البار الكائن على الناصية ليقول لنا إنه ربما كان من الأفضل أن تقضى الليلة خارج المنزل أو حتى نعرف فيما إذا كان جوى سوف يتقيأ الجاردينال. وقد يكون من غير المناسب أبدا أن يصعد الـ flics ويجدوننا هنا، إنهم أصدقاء كثيرون إضافة إلى ذلك مايتعلق بأعضاء النادى، فهم فى حالة يرثى لها فى الفترة الأخيرة.

28

- قالت لاماجا وهى تجفف الفناجين بفوطة :

- وما العيب فى النادى؟

- لاشئ. لكن لنفس ذلك السبب يشعر المرء أنه أعزل. فقد شكا الجيران كثيرا من الضوضاء ومن الأسطوانات الموسيقية، وأننا ندخل ونخرج طوال الوقت.... إضافة إلى ذلك فإن بابس تشاجرت مع البوابة ومع كل السيدات اللاتى فى العقار فأعمارهن تتراوح بين الخمسين والستين.

- قالت بابس، وهى تمضغ حبة كرملة أخرجتها من شنطة يدها :

- إنهم شديدو الإزعاج تفوح منهن رائحة الماريجوانا رغم أن الواحدة منهن تقوم بإعداد الجلاش.

تعب أوليڤيرا من طحن البن وأعطى المطحنة لرونالد. أخذت لاماجا وبابس تتحدثان بصوت منخفض وتتناقشان حول الأسباب التى من أجلها أقدم جوى على الانتحار. وبعد البحث الكثير فى المعطف الواقى من المطر استلقى جريجوروفيوس على الكرسى. كان شديد السكون. كان البايب فى فمه وهو مطفأ. يسمع صوت المطر على النافذة. «شوينبرج برامز» فكر أوليڤيرا وهو يأخذ سيجارة جلواز «لاحرج، ففى مثل هذه الظروف عادة مايسطع شوبان أو مقطوعة توديسموزيك من أجل سيجفريدو Todesmusid Para Sigfrido . أدت العاصفة التى وقعت أمس فى اليابان إلى مقتل مابين ألفين إلى ثلاثة آلاف شخص. الحديث هنا من الناحية الإحصائية...» لكن الإحصائية لم تحل دون مواصلة استمتاعه بالسيجارة. تمعنها جيدا وأشعل عود ثقاب آخر. كانت سيجارة جلواز مصنوعة بدقة بيضاء ناصع لونها وعليها حروف رفيعة وتبغها الجاف كأنه شعر عرّيف يحاول الهرب من الطرف الرطب «دائما أبلل السجائر عندما أكون فى حالة عصبية» فكر «عندما أفكر فى موضوع روزيه بوب ... نعم كان يوما شديد الإزعاج، ومابنتظرنا». إن أفضل طريقة كانت تتمثل فى إبلاغ الأمر لرونالد حتى يقوم هذا بدوره بإبلاغ بابس باستخدام واحد من أنظمة اتصالاته التى تشبه التراسل من خلال الأحاسيس والتى كانت تثير استغراب بيريكو روميرو. إنها نظرية الاتصال، واحدة من تلك الموضوعات المثيرة التى اصطادها لنا الأدب على حسابه حتى ظهر لنا أنصار هاكسيلى Huxley أو أنصار بورخيس Borges فى الجيل الجديد. رونالد ينضم الآن إلى حديث الهمس الدائر بين لاماجا ولازال يدير الطاحونة ولكن ببطء. والقهوة بذلك لن يتم إعدادها إلا بعد اللفة الخمسمائة وألف. ترك أوليڤيرا نفسه ينزلق من على الكرسى المزعج طراز الفن الجديد وجلس على الأرض بشكل أفضل واتكأ برأسه على

28

رصّة من الصحف اليومية. فى سقف الحجرة هناك وميض فوسفورى لابد وأنها من وحى الخيال أكثر من أى شئ آخر. أغمض عينيه لكن الوميض الفوسفورى استمر لحظة، قبل أن تبدأ حلقات بنفسجية اللون فى الانفجار الواحدة تلو الأخرى، بوف، بوف، بوف، كان من البديهى أن كل واحدة منها تنسب إلى انقباض القلب أو انبساطه. وفى أحد الأماكن فى هذا المنزل يرن جرس التليفون. فى مثل تلك الساعة وفى باريس، هذا أمر غير عادى. «ميت آخر» فكر أوليڤيرا «لايمكن الاتصال فى هذه المدينة التى تحترم النوم إلا لهذا السبب» تذكر المرة التى قام فيها صديق أرجنتينى حديث الوصول إلى باريس بالاتصال به فى العاشرة والنصف مساءً. وماحدث بعد ذلك هو كيفية البحث فى الدليل والعثور على أى تليفون فى نفس العقار والاتصال به فورا. هاهو الرجل الطيب الذى يسكن فى الدور الخامس يرتدى «روب دى شامبر» ويطرق الباب ويقول له بأن هناك من يتصل بك تليفونيا. ارتدى أوليڤيرا بلوفر على عجل وصعد إلى الدور الخامس ووجد سيدة يلوح على قسماتها الغيظ، وعرفت أن البيب إيرميدا فى باريس ومتى سنلتقى تشى. أحمل لك أخبارا عن كل الناس ترافلر وشباب الـ بيدو Bidú ... إلخ. تحاول السيدة أن تخفى غيظها فى انتظار أن يبكى أوليڤيرا لموت إنسان عزيز عليه جدا. لكن أوليڤيرا لم يكن يدرى ماذا يفعل، فى الحقيقة ياسيدتى وياسيدى إننى أشعر باختلاط الأمر علىّ، إنه صديق آت من بعيد، وحضراتكما تدركان أنه ليس مدركا للعادات هنا .... أو الأرجنتين، المواعيد الكريمة والمنزل المفتوح والوقت الذى لايساوى شيئا والمستقبل أمامنا كل شئ بوف، بوف، لكن وسط كل ذلك الذى كان هناك على بعد أمتار ثلاثة قد لايكون هناك شئ. ولم يكن هناك بوف، بوف، لقد تم القضاء على نظرية الاتصال بالكامل. لاماما ولا بابا ولا باب ولا بيبى ولا بوف بوف لاشئ اللهم إلا بشاعة الموت ويحيط به أناس ليسوا بـ Salteños. ومكسيكيون لمواصلة الاستماع الموسيقى. والسهر طوال الليل والخروج مثلهم من خلال أحد أطراف اللفّة، وهم أناس ليسوا بدائيين للغاية جاوزوا هذه الفضيحة إما بقبولها أو الاتفاق معها، كما أنهم لم يحققوا ذاتهم بما فيه الكفاية حتى يرفضوا كل فضيحة والانخراط ولو مرة واحدة بالصدفة على سبيل المثال فى الثلاثة آلاف الذين قضى عليهم إعصار فيرونيكا «لكن كل ذلك ليس إلا أنثروبولوجيا رخيصة». فكر أوليڤيرا وهو واع لشئ وكأنه يرد بداخل معدته ويجعلها تتلوّى. وفى النهاية السمة التشريحية «تلك هى الاتصالات الحقيقية، إنها البلاغات التى تأتى من تحت الجلد. ولايوجد قاموس لتلك الاتصالات

28

تشى» من الذى أطفأ لمبة رامبراندت Renbrandt . لايتذكر، ومنذ هنيهة مضت كان هناك تراب ذهبى على مستوى الأرضية. ومهما حاول تذكر ماحدث منذ أن وصلت بابس مع رونالد، لايمكن عمل شئ، وفى لحظة معينة قامت لاماجا (لماذا أنا متأكد أنها كانت لاماجا) أو ربما جريجوروفيوس بإطفاء الأباجورة.

– كيف ستقومين بإعداد القهوة فى الظلام؟

– قالت لاماجا وهى تقلب بعض الفناجين :

– لا أدرى، كان هناك بصيص من الضوء قبل ذلك.

– قال أوليڤيرا :

– أشعل الضوء يا رونالد؛ إنه هناك تحت الكرسى الذى تجلس عليه، وعليك أن تدير الأباجورة، إنه النظام الكلاسيكى.

– قال رونالد :

– كل ذلك أحمق.

دون أن يتمكن أحد من معرفة ما إذا كان يقصد طريقة إضاءة اللمبة. قضى الضوء على الكرات البنفسجية وزاد استحسان أوليڤيرا لطعم السيجارة. أصبح الآن فى حالة جيدة للغاية؛ فالحرارة مرتفعة، سوف يتناولون القهوة.

– قال أوليڤيرا لرونالد :

– تعال إلى هنا سوف تكون فى وضع أفضل مما كنت على ذلك الكرسى؛ إذ إن به شيئاً بارزاً فى الوسط يدخل فى الآلية. ويمكن لوونج أن يضمه إلى مقتنياته من بكين. أنا واثق من ذلك.

– قال رونالد :

– أنا على أفضل حال هنا رغم أن ذلك قد يفسر بشكل سيِّئ – لست فى وضع مريح. تعال، ولنر فيما إذا كانت تلك القهوة سيتم إعدادها أم لا أيتها السيدات.

– قالت بابس :

– قالت لاماجا دون أن تنظر إليه :

– إن سعادتك تقوم بدور الذكورة هذه الليلة هل هو دائما معك هكذا؟ تقريبا ساعدينى على تجفيف هذه الصينية.

انتظر أوليڤيرا أن تقوم بابس بالحديث عن مهمة إعداد القهوة، وعندما نهض رونالد من على الكرسى وجلس بالقرب منه جلسة التذرى قال له بضع كلمات فى أذنه. وعندما

28

سمعها جريجوروفيوس تدخل فى الحديث عن القهوة وكان ردّ رونالد هو الإطراء على بن موكا والتدهور فى طريقة إعداده. وبعد ذلك عاد رونالد للجلوس على كرسى فى الوقت المناسب لتناول القهوة فى الفنجان الذى قدمته له لاماجا. عادت الضربات من جديد فوق السقف، ضربتين، ثلاث. انفعل جريجوروفيوس وشرب مافى الفنجان جرعة واحدة. كان أوليڤيرا يمسك جماح نفسه حتى لايقهقه. ربما كانت القهقهة قد ساعدته على تخفيف الألم فى معدته. كانت لاماجا تشعر بالمفاجأة، فهى فى الظل تراقبهم جميعا الواحد تلو الآخر، وبعد ذلك بحثت عن سيجارة على الترابيزة فى محاولة منها الخروج من موقف لاتفهمه. إنه نوع من الحلم.

– قالت بابس بإيقاع بلاڤاتسكى Blavatsky :

– أسمع دفع خطوات لابد وأن هذا العجوز مجنون. لابد من أن نأخذ حذرنا. فى كانساس سيتى Kansas city حدث ذات مرة... لا إنه واحد يصعد السلم.

– قالت لاماجا :

– السلم أخذ يرتسم فى الأذن أتألم كثيرا لموقف الصُّم. أشعر الآن وكأن يدى على السلم أمدّ بها على الدرج الواحدة تلو الأخرى. وعندما كنت صغيرة حصلت على عشر درجات من عشرة فى مؤلف؛ إذ كتبت حكاية جلبة صغيرة. كانت جلبة طريفة تروح وتغدو وتحدث لها أشياء ...

– قالت بابس :

– أنا، على العكس ... أوكى أوكى. ليس من الضرورى أن تقرصنى.

– قال رونالد :

– ياروحى اصمتى بعض الشئ حتى نتمكن من معرفة من الذى يصعد. نعم إنه مَلِك الألوان، هو إيتين. إنه الحيوان الأكبر فى قصة نهاية العالم.

«لقد تلقى الأمر بهدوء» فكر أوليڤيرا «كان موعد ملعقة الدواء فى الثانية على مايبدو. ولدينا أكثر من ساعة لنكون فى وضع هادئ» لم يكن يفهم أو يريد فهم السبب فى هذا التأخير، وهذا الرفض لشئ معروف. رفض، سلبى... «نعم إن هذا يماثل النيجاتيف للواقع لما – يجب – أن – يكون ... أى .... لكن لاتتحدث عن الميتافيزيقا يا أوراثيو. آه يايوريك المسكين، كفى لايمكننى تفاديه، يبدو لى أن الوضع أفضل هكذا، وعلى ذلك فإذا أضأنا النور وأذعنا الخبر وكأنه حمامة. إنه النيجاتيف. الضد تماما... الاحتمال الأغلب أنه لازال حيّا، وأننا جميعا أموات. فكرة أكثر تواضعا : لقد قتلنا لأننا مسئولون عن موته. أى أننا محرضون على شئ

28

معين... آه ياعزيزى إلى أين أنت ذاهب؟ إنك مثل الحمار وعلاقته بالجزرة المعلقة بين عينيه. وكان إيتين ليس إلا. كان الحيوان الضخم الملوّن.

– قال إيتين :

– لقد تم إنقاذه إنه ابن القحبة، له أرواح أكثر من قيصر بوريجا César Boriga. أما ذلك، لاتدرون ماهو معنى التقيوء ....

– قالت بابس :

– اشرح، فسّر .

– غسيل المعدة، وحقنة شرجية مكونة من أشياء لا أدرى ماهى، وحقن فى أماكن كثيرة، وسرير مهيأ لتكون رأسه مائلة إلى أسفل. تقيأ كل ما أكله فى مطعم أوريستياس Orestias؛ فقد تناول الغذاء فيه على مايبدو. إنه لفظيع، كان فى القئ بقايا محشى ورق عنب. هل لاحظتم أننى مبتل لهذه الدرجة ؟

– قال رونالد :

– توجد قهوة ساخنة ومشروب اسمه كانيا وهو مشروب قذر. صدرت عن إيتين بوف وألقى بالمعطف الواقى من المطر فى أحد الأركان واقترب من المدفأة.

– كيف حال الطفل يالوثيا ؟

– إنه نائم، لمدة طويلة لحسن الحظ.

– قالت بابس :

– ليكن صوتنا منخفضا.

– شرح إيتين بصوت فيه نبرة تعاطف :

– لقد استعاد وعيه فى حوالى الحادية عشرة كان فى حالة يرثى لها. لقد تركنى الطبيب لأكون إلى جوار السرير وتعرف جوى علىّ «إنك صنف من الحمقى» قلت له «اذهب إلى الجحيم» ردّ على. فهمس الطبيب فى أذنى قائلا بأن تلك بادرة طيبة. كان فى الصالة مرضى آخرون، وقد قضيت وقتا طيبا رغم أن المستشفيات بالنسبة لى ....

– سألت بابس :

– هل عدت إلى المنزل هل كان عليك الذهاب إلى قسم البوليس ؟

– لا. لقد تم حلّ كل شئ. على أى الأحوال كان من المناسب أن تظلوا حضراتكم هنا هذه الليلة، فإنك لو رأيت وجه البوابة عندما أنزلوا جوى ...

– قالت بابس :

28

– ابن الداعرة.

– لقد تصنّعت المهابة وعندما مررت إلى جوارها رفعت يدى وقلت لها «يامدام، الموت له احترامه دائما. فهذا الشاب قد انتحر؛ لأنه تعرض لآلام عشق كريزلر Kreisler» تجمّدت فى مكانها – صدقونى، كانت تنظر إلىّ وقد تحجرت عيناها كأنهما بيضتان مسلوقتان. وعندما مرت الثقّالة بالباب اعتدل جُوى وقد اتكأ بخدّه على يده الشاحبة وكأنه جالس فى التوابيت الخاصة بحضارة ما قبل الرومان. ويتقيأ أمام البوابة، كان لون القئ أخضر وقد سقط فوق ممسحة الأرجل. كان العمال الذين يحملون الثقالة يتلوّون من كثرة الضحك. كان شيئا لايصدق.

– طلب رونالد :

– أريد المزيد من القهوة، اجلس سيادتك هنا على الأرض؛ فهى الجزء الأكثر دفئا فى المكان، قهوة جيدة لإيتين المسكين.

– قال إيتين :

– لست أرى شيئا، ولماذا علىّ أن أجلس على الأرض؟

– قال رونالد:

– لترافقنا أنا وأوراثيو؛ إذ تقوم بتكوين حلقة حراسة .

– قال أوليڤيرا :

– لاتكن أحمق .

خذ بكلامى، واجلس هنا وسوف تعرف أمورا لايعلم بها حتى وونج. الكتب البراقة ودرجات كهانة، وخلال هذا الصباح كنت أتسلى بقراءة الباردو Bardo. إن أهالى التبت هم مخلوقات غير عادية.

– سأل إيتين وهو يحشر نفسه بين أوليڤيرا ورونالد وقد تجرّع محتوى الفنجان دفعة واحدة – الشراب :

– من جعلك مبتدئا؟ قال إيتين بعد أن شرب جرعة – هو منتج أرجنتينى على ما أظن. يالها من بلاد، يا إلهى.

– قال أوليڤيرا :

– لاتتحدث بسوء عن وطنى تشبه ذلك العجوز الذى يسكن فوقنا.

– شرح رونالد :

– لقد أخضعنى وونج لعدة تجارب ؛ حيثيقول إن لدّى قدرا كافيا من الذكاء. لأبدأ فى تدميره بشكل إيجابى. واتفقنا على أن أقوم بقراءة الباردو بعناية ثم ننتقل إلى المراحل الأساسية فى

28

البوذية. هل هناك جسد غير مرئى يا أوراثيو. يبدو أن المرء عندما يموت ... عبارة عن جسم عقلى، أتفهمنى ...

لكن أوراثيو كان يتحدث بصوت منخفض فى أذن إيتين الذى كان يزوم ويتّحرك وتأتى منه رائحة الشارع الملئ بالمياة ورائحة المستشفى التى تفوح منه طبيخ الكرنب وقد انخرط فى نوع من اللامبالاة وفى المتاعب التى لاتحصى مع البوّابة. ولما كان روناك قد توقف عن سرد مايتحدث به كان فى حاجة لأحد حتّى يكمل له شرح الباردو. واتجه إلى لاماجا التى كان هيكلها يرتسم أمامه وكأنها هنرى مور فى الظلام أو أنها عملاقة ترتدى الملابس من الأرض، فهناك الركبتان اللتان على وشك الخروج من الكتلة السوداء للجونلة وبعد ذلك الجسد الذى كان يصعد إلى السقف، لكن يوجد فوقه كتلة من الشعر الذى يزداد سوادا عن الظلمة المحيطة، وفى كل ذلك الظل الموجود بين الظلال تلمع عينا لاماجا وهى موضوعة فى الكرسى وتحاول من وقت لآخر ألا تنزلق وتسقط على الأرض بسبب الأرجل الأمامية القصيرة للكرسّى.

– قال إيتين وهو يشرب جرعة :

– إنه موضوع مزعج .

– قال أوليڤيرا :

– يمكنك الذهاب إذا شئت لكنى أعتقد أن لاشئ هام سوف يحدث. ففى هذا الحىّ تقطع أمور مثل هذه فى كل لحظة.

– قال روناك :

– سوف أبقى هذا المشروب. قلت لى ما اسمه؟ ليس سيئا للغاية، له رائحة الفاكهة.

– قال إيتين :

– يقول وونج إن يونج Jung كان متحمسا للباردو. وهذا مفهوم، كما أن على الوجوديين أن يقرؤوه بتعمق أيضا. انظر عند محاسبة الميت يقوم الملك Rey بوضعه أمام مرآة، لكن تلك المرآة هى الكاما Kama وهى عبارة عما فعله الميت طوال حياته. ويرى الميت فى المرآة كل أعماله، سيئاته وحسناته لكن صورة هذه الأعمال لا علاقة لها بأى واقع بل هى نوع من عرض من صور عقلية ... ربمّا لم يبد الشعور بالفزع على العجوز يونج، بل قلّت قدرته على الكلام. ينظر ملك الموتى إلى المرآة لكن مايفعله فى الواقع هو النظر فى ذاكرتك. هل يمكن تصور وصف أفضل من ذلك للتحليل النفسى؟ كما أن هناك شيئاً أكثر غرابة مما سبق ياعزيزتى وهو أن الحكم الذى ينطق به الملك ليس حكما بل هو حكمك أنت. أنت نفسك تحكمين على نفسك دون أن تدرين. ألا ترين أن سارتر كان يجب عليه أن يذهب للعيش فى لاهاسا Lhasa؟

28

– قالت لاماجا :

– هذا لايصدق، هل ذلك الكتاب هو أحد كتب الفلسفة؟

– قال أوليڤيرا :

– إنه كتاب من أجل الموتى .

صمت الجميع وهم ينصتون لصوت المطر. شعر جريجوروفيوس بالحزن من أجل لاماجا التى لابد أنها تنتظر تفسيرا ولا تجرؤ على المزيد من الأسئلة.

– قال لها :

– إن كهنة اللاّما يقومون بالإفصاح عن بعض المسائل لمن يحتضرون وذلك حتى يرشدونهم فى العالم الآخر ويساعدونهم على إنقاذ أنفسهم، على سبيل المثال .... كان إيتين قد استند بكتفه إلى كتف أوليڤيرا، وجلس رونالد جلسة الترزى يترنم بـ Big Lip Blues «الشفة الممتلئة» وهو يفكر فى جيلى رول فقد كان ميِّته المفضل. أشعل أوليڤيرا سيجارة جلواز، وفى لحظة انعكس شكل النار على وجوه الأصدقاء وكأننا نرى لاتور La Tour وانتزعت جريجوروفيوس من الظل، وربطت غمغمته بشفتيه اللتين تتحركان، وبطريقة فظة جعلت لاماجا تجلس على الكرسى، لقد عكست النار على وجهها النهم الذى يبدو فى لحظة الجهل والشرح، ولفت بابس الهادئة بطبقة رقيقة وكذا رونالد الموسيقى الغارق فى ارتجالاته المولولة. عندئذ سمعت ضربة فوق السقف فى اللحظة التى انطفأ فيها عود الثقاب.

«يجب أن يحاول العيش» تذكر أوليڤيرا «لماذا؟» لقد قفز بيت الشعر إلى الذاكرة وكأنه وجوه الأصدقاء فى ضوء عود الثقاب. جاء لحظيا وربما بغير قصد. كان كتف إيتين يشعره بالدفء وينقل له وجودا خادعا وقربا أكثر من الموت. هذا الكبريت الذى انطفأ كان سيقضى على الوجوه مثلما هو الحال الآن وكان سيقضى على الأشكال مثله مثل الصمت الذى أخذ يلتف حول الضربة التى سمعت فى السقف.

– علق جريجوروفيوس وكأنه يصدر حكما نهائيا :

– وعلى هذا فإن الباردو يعود بنا إلى الحياة وإلى الحاجة إلى حياة نقية، وخاصة عندما لايكون هناك مناص، عندما نلتصق بالسرير ونحن نعانى من السرطان.

– قالت لاماجا وهى تتنهد :

– آه لقد فهمتَ الكثير مثل بعض قطع الصورة المفرقة Puzzle أخذت توضع فى مكانها المناسب رغم أن ذلك لن يكون على نفس درجة الكمال التى عليها الكاليديسكوب

28

Calidescapio؛ حيث نجد أن كل قطعة زجاج وكل غصن وكل حبة رمل تبدو كاملة فى مكانها ومتوازية ومثيرة للملل لك دون مشاكل.

– قال أوليڤيرا :

– إنها مصطلحات غربية، الحياة والموت، عالمنا والعالم الآخر، ليس ذلك مايعلّمه الباردو يا أوسيب رغم أننى ليست عندى أدنى فكرة عما يعلمه لك الباردو. هو على أى الأحوال شئ أكثر مرونة وأقل حتمية.

– قال إيتين الذى كان يشعر أنه فى أحسن حال :

– انظر رغم أن الأخبار التى رواها له أوليڤيرا سرت فى أمعائه كأنها سرطان البحر، لكن لاشئ من ذلك فيه تناقض – انظر، أيها الأرجنتينى العزيز، إن الشرق ليس شيئا كبيرا من العالم الآخر كما يقول بذلك المستشرقون. فلا تكاد تتعمق بعض الشئ حتى تشعر بنفس ماتشعر به دوما. إنها محاولة غير مفهومة لانتحار الذكاء من خلال الذكاء نفسه. إنه العقرب وهو يرشق زبانه فى نفسه وقد سئم من كونه عقربا، لكنه فى حاجة إلى هذا التعقرب للقضاء على العقرب. ففى مدْرَاس وفى هايدلبيرج نجد أن جوهر القضية لايختلف : فهناك نوع من الخطأ لايوصف فى بداية البدايات. ومنه تنبثق هذه الظاهرة التى أحدثكم عنها فى هذه اللحظة وأنتم تسمعون. إن كل محاولة لشرحه تفشل لسبب بسيط يدركه أى إنسان وهو أنه لكى نقوم بالتعريف والفهم لابد وأن نكون خارج مانقوم بتعريفه وفهمه. أنا، إذ تقوم كل من مدراس وهايدلبيرج بتعزية نفسيهما بالقيام بصناعة المواقف حيث نجد أساس بعضهما التأمل وأساس بعضهما الآخر الحدْس، ورغم ذلك فلا توجد اختلافات واضحة بين التأمل والحدس، وهذا ما يدركه أى تلميذ فى المرحلة الثانوية. وهكذا نجد أن الإنسان يبدو واثقا من نفسه عندما يطأ أرضا لاتتعلق به بشكل جوهرى؛ وهذا عندما يلعب وعندما يغزو وعندما يتسلح بذرائعه التاريخية على أساس الـ ethos وعندما يوكّل الغموض المركزى إلى قسْ من أى ملّة، وأيا كان الأمر فهناك المفهوم الغريب القائل بأن السلاح الرئيسى، أى اللغز الذى ينتزعنا بقوة إلى الدرجة الحيوانية، ماهو إلا خدعة كاملة. وتأتى بعد ذلك المحصلة التى لامناص منها وهى اللجوء إلى دائرة الوحى والإلهام والتلعثم والليلة المظلمة التى تعيش فيها الروح والرؤى الجمالية والميتافزيقية. إن مدراس وهايدليبيرج هما وجهان مختلفان لنفس التذكرة الطبية. فأحيانا يسيطر الينْ Yin وأخرى اليانج Yang، لكن فى كلا طرفى الصعود والهبوط هناك اثنين من الإنسان القديم -Homo Sapi

28

ens غير مفهومين يضربان بقوة على الأرض ليركب كل واحد على حساب الآخر.

– قال رونالد :

– إنه لأمر غريب وعلى أى الأحوال فمن البلاهة إنكار الواقع رغم أننا لانعرف ماهو. ولنقل إنه محور الصعود والهبوط. كيف يمكن أن هذا المحور لم يجد حتى الآن فى فهم مايدور فى الأطراف؟ ابتداء من إنسان نياندرتال ...Neaanderthal.

– قال أوليفيرا وهو يزيد من اتكائه على إيتين :

– إنك تستخدم كلمات هذه الكلمات يطيب لها أن يقوم المرء بإخراجها من الدولاب ويجعلها تلف أرجاء الحجرة. الواقع، إنسان نياندرتال، انظر إليهن كيف تلعبن وكيف تدخل إلى آذاننا وتنزلق إلى الداخل.

– قال إيتين متجهما :

– هذا حقيقى، ولهذا أفضل أصباغي وألوانى؛ فأنا أكثر ثقة.

– واثق من ماذا ؟

– من تأثيرها.

– من تأثيرها عليك، على أى الأحوال، وليس تأثيرها على بداية منزل رونالد. فألوانك ليست أكثر ثقة من كلماتى أيها العجوز.

– ألوانى لاتحاول أن تفسّر شيئا.

– وهل تكتفى بأنه لايوجد تفسير؟

– قال إيتين :

– لا، لكننى فى الوقت ذاته أفعل أمورا تزيل عنى غصة الإحساس بالفراغ. وهذا هو أفضل تعريف لمصطلح homo sapiens.

– قال جريجوروفيوس متنهدا :

– ليس تعريفا بل عزاء نحن فى الواقع لسنا إلى مثل الكوميديا عندما يصل المرء إلى المسرح مع بداية الفصل الثانى. فكل شئ جميل لكن المرء لايفهم شيئا، فالممثلون يتحدثون ويتصرفون، ولسنا نعرف لماذا ولاماهو السبب. إننا نسقط عليهم جهلنا ويبدون أمامنا كأنهم مجانين يدخلون ويخرجون بعزيمة واضحة. لقد قالها شكسبير. وإلا لكان من واجبه أن يقولها.

– قالت لاماجا :

– أعتقد أنه قالها.

– قالت بابس:

28

– نعم قالها .

– قالت لاماجا :

– أرأيت ؟

– قال جريجوروفيوس :

– تحدث أيضا عن الكلمات ولم يفعل أوراثيو شيئا إلا طرح المشكلة فى نمطها الجدلى أو بعبارة مثل هذه. إنها على طريقة ويتجنسين Wittgenstein الذى أكن له الكثير من الإعجاب.

– قال رونالد :

– لا أعرفه لكن حضراتكم ستكونون على اتفاق معى فى أن مشكلة الواقع لايمكن مواجهتها بالتنهدات.

– قال جريجوروفيوس :

– من يدرى، من يدرى يارونالد.

– هيا، اترك الشعر لمناسبة أخرى. أنا موافق على أنه لايجب الوثوق بالكلمات، لكن الكلمات تأتى فى الواقع بعد ذلك لآخر، أى بعد تواجدنا هنا هذه الليلة جالسين حول أباجورة صغيرة.

– طلبت لاماجا :

– تحدث بصوت منخفض .

– أصر رونالد :

– أنا أحسّ بدون أية كلمات، أعرف أننى هنا ذلك ما أسميه الواقع رغم أنه لايكون إلا ذاك.

– قال أوليڤيرا :

– تمام، كن هذا الواقع ليس ضمانا لك أو لآخر، اللهم إلا إذا حولته إلى مضمون، ومن هناك إلى قناعة، وإلى بناء مفيد، لكن مجرد وجودك على يسارى وأنا على يمينك يجعل من الواقع واقعين على الأقل. وليكن معلوما أننى لا أريد التعمق، وأبين لك أنك وأنا كائنان غير متصلين على الإطلاق، اللهم إلا من خلال المشاعر والكلمة، وهى أمور يجب ألا نثق فيها إذا ماكان المرء جادا.

– أصر رونالد :

– كلانا موجود هنا فلا يهم كثيرا على اليمين أو على اليسار. كلانا ينظر إلى بابس والجميع يسمع ما أقوله.

– أعرب جريجوروفيوس عن أسفه :

– لكن هذه الأمثلة التى تسوقها تصلح فقط للأطفال يابنى إن أوراثيو على حق، فلايمكن أن تقبل ببساطة ذلك الذى تعتقد أنه الواقع. وأقصى شئ يمكنك قوله هو أنك

28

أنت، فذلك لايمكن رفضه دون أن يحدث استغراب بديهى. فالخطأ هو فى الأنا ergo ومايلى الأنا ergo وهذا واضح تماما.

– قال أوليڤيرا :

– لاتطرح الأمر وكأنه قضية مدرسية لتبق فى دائرة دروسه الخاصة بالهواة الذين هم نحن. لنبق عند ذلك الشئ المثير الذى يسميه رونالد بالواقع. وأنه يؤمن بواقع واحد. هل لازلتم تعتقدون بأنه واقع واحد يارونالد ؟

– نعم، لكن أعترف لك بأن طريقتى فى الإحساس به وفهمه مختلفة عن طريقة بابس، وأن واقع بابس يختلف عن واقع أوسيب وهكذا على التوالى. غير أن ذلك يشبه الآراء المختلفة بشأن لوحة الجيوكاندا أو حول سلطة نبات الهندباء الخسّية. الواقع هناك ونحن بداخله نفهمه على طريقتنا لكننا داخله.

– قال أوليڤيرا :

– الشئ الوحيد الهام هو ذلك المتعلق بفهم الواقع على طريقتنا تعتقد سيادتك أن هناك واقعاً مسلّماً به؛ لأننا أنا وأنت نتحدث فى هذه الغرفة، وهذه الليلة. ولأنك وأنا نعرف أنه خلال ساعة أو فترة من هذا القبيل سوف يحدث فى هذا المكان أمر محدّد. كل هذا يعطيك ثقة كبيرة فى الوجود، على ما أظن. تشعر أنك واثق من نفسك وجالس ومتمكن من نفسك ومن هذا الذى يحيط بك. لكن إذا أمكنك فى الوقت نفسه أن تحضر هذا الواقع من خلالى أو من خلال بابس، وإذا ماتمكنت من إيجاد مكان لك، تفهمنى، واستطعت أن تكون الآن فى نفس هذه الحجرة من خلال تواجدى أنا وكل ماأكون وماكنت وكل ماكانت وتكون بابس فقد تفهم أن حب الذات الرخيص هذا لايقوم لك أى واقع صحيح. إنه يعطيك فقط اعتقادا قائما على الرعب، وحاجة لتأكيد مايحيط بك حتى لاتسقط فى الفخ وتخرج من الجانب الآخر حيث لاتعرف إلى أين.

– قال رونالد :

– إننا جد مختلفان وأعرف هذا جيدا. لكننا نلتقى فى عدة نقاط خارجة عن أنفسنا. فأنت وأنا ننظر إلى تلك الأباجورة، وعلى أفضل الأحوال قد نكون ننظر إلى نفس الشئ. لكن لايمكن أن نكون واثقين بأننا لانرى نفس الشئ. هاهى هناك أباجورة. يا للشياطين.

– قالت لاماجا :

– لاترفع صوتك سوف أعد لكم المزيد من القهوة.

28

– قال أوليڤيرا :

– هناك إحساس بأننا نشير فوق آثار قديمة. إننا تلاميذ صغار، إذ نرفض حججا عفا عليها الزمان ولا أهمية لها. وكل ذلك ياعزيزى رونالد هو لأننا نتحدث بطريقة جدلية. نقول : أنت، أنا، اللمبة، الواقع. عد خطوة إلى الوراء من فضلك. عليك أن تهم بها فهذا لايكلف شيئا. الكلمات تختفى. هذه اللمبة هى حافز حسىّ لا أكثر. والآن خطوة أخرى إلى الوراء. فما تسميه رؤيتك وهذا الحافز الحسّى تصبح العلاقة بينهما غير مفهومة، ولكى يتم تفسيرها لابد من أن تخطو من جديد خطوة إلى الأمام وسوف يذهب كل شئ إلى الشيطان.

– لكن تلك الخطوات إلى الوراء تعتبر بمثابة التراجع فى الطريق الذى سارته الإنسانية ـ احتج جريجوروفيوس.

– قال أوليڤيرا :

– نعم وهنا تكمن المشكلة الكبرى، وهو معرفة ما إذا كان ماتسميه بالإنسانية قد سارت إلى الأمام أو كما كان يبدو لكلاجيس(*) Klages، على ما أعتقد، ففى لحظة معينة سار فى طريق خطأ.

– بدون لغة لايوجد إنسان. وبدون تاريخ لايوجد إنسان.

– وبدون جريمة لايوجد قاتل. لابرهان أمامك لتثبت أن الإنسان لم يكن ليختلف عما هو عليه الآن.

– قال رونالد :

– ليس الأمر سيئا للغاية .

– أى نقطة للمقارنة تتوفر عندك لتظن أن الأمر كان جيدا؟ لماذا كان علينا أن نخترع تمدن ونعيش وقد غمرتنا الأشواق إلى الفردوس المفقود، وتقوم بصنع المثل، هل ننظر إلى مستقبل معين؟ إذا ماتمكنت الدودة من التفكير والقدرة على، فإنها قد تفكر فى أن الأمور بالنسبة لها ليست سيئة للغاية. إن الإنسان يلجأ إلى العلم وكأنه بمثابة مايسمى بالملاذ الآمن الذى لم أعرف ماهيته حتى الآن. يقوم العقل من خلال اللغة بعزل بنية معمارية مناسبة كأنها الإيقاع الجميل لتكوين اللوحات الخاصة بعصر النهضة، ثم يغرسنا فى وسط المكان. ورغم أن العلم، أى العقل يعيش على الفضول وعدم الرضا فإنه يبدز فى تهدئتنا. «إنك هنا، فى هذه الحجرة مع أصدقائك وأمام هذه الأباجورة. لاتفزع. فكل شئ يسير على مايرام. ولنر الآن : ماهى طبيعة تلك الظاهرة

28

المضيئة؟ هل عرفت ماهية مايسمى باليورانيوم المخصبّ ؟ هل يروق لك علماء النظائر، هل كت تعرف أننا نحوّل الرصاص إلى ذهب؟» كل شئ يدعو للفضول والدّوار، لكن ذلك ابتداء من المقعد الذين نحن جالسون عليه ومرتاحون.

– قال رونالد :

– أنا أجلس على الأرض وغير مرتاح بالمرة، وأقول ذلك إحقاقا للحق. اسمعنى يا أوراثيو : إن رفض هذا الواقع ليس له معنى. إنه هنا ونتشارك فيه، والليلة تمضى بالنسبة لكلينا، والمطر ينزل فى الخارج وهذا يعرفه كلانا. ماذا أدرى أنا عن ماهية الليلة والزمن والمطر لكنها هنا وخارجة عنى. إنها أمور تحدث لى، ولايمكن فعل شئ حيالها.

– قال أوليڤيرا :

– هذا واضح لا أحد ينفى ذلك تشى. إن ما لانفهمه هو السبب فى أن ذلك يحدث هكذا. لماذا نحن هنا، والمطر يسقط فى الخارج، إن اللامنطقى ليس الأشياء بل هو أن الأشياء قد تكون هناك ونشعر بها نحن أنها لامعقولة. بالنسبة لى، تفّر منى العلاقة القائمة بينى وبين ذلك الذى يحدث لى فى هذه اللحظة. إننى لا أنفى أنها تحدث لى، لكنها تحدث لى. وهذا هو اللامعقول.

– قال إيتين :

– ليس هذا واضحا بما فيه الكفاية .

– لايمكن أن يكون واضحا وإلا كان زائفا وإن كان من الممكن أن يكون حقيقة علمية لكنه زائف ومطلق. إن الوضوح مطلب ثقافى ليس إلا. ليتنا نتمكن من المعرفة الواضحة والفهم الواضح على هامش العلم والعقل. وعندما أقول «ياريت» ربما أقول وأتفوه بعبارة حمقاء. ومن المحتمل أن الملاذ الآمن الوحيد يمكن أن يكون العلم، اليورانيوم 235، وتلك الأشياء. أضف إلى هذا يجب أن نعيش.

– قالت لاماجا وهى تصب القهوة :

– نعم وفوق هذا يجب أن نعيش.

– قال أوليڤيرا وهو يضغط على إحدى ركبتيه :

ـ افهمنى يارونالد إنك أكبر بكثير من ذكائك، وهذا معروف. على سبيل المثال، وهذا الذى يحدث لنا الآن هنا ماهو إلا لوحة من لوحات ريمبراندت حيث لايكاد يلمع ضوء فى أحد الأركان وليس ضوءا فيزيقياً، ليس ذلك الذى تطلق عليه بهدوء أباجورة وعدد الواطات والبوجيهات. إن اللامعقول هو الاعتقاد بأننا يمكن أن نقتنص إجمالى مايكوننا فى هذه

28

اللحظة أو فى أى لحظة أخرى وتخمينه على أنه شئ متناسق. أو شئ مقبول إذا ما أردت هذه اللفظة. وفى كل مرة تحدث لنا فيها أزمة فهذا هو اللامعقول بالكامل. ولتدرك أن الجدلية يمكنها فقط تنظيم الدواليب فى لحظات السكون. وتعرف جيدا أنه عند الوصول إلى ذروة الأزمة نتصرف غريزيا، عكس ماهو متوقع، مرتكبين بربّرية لايمكن توقعها. وفى تلك اللحظة بالتحديد يمكن القول بأن كان هناك شئ كأنه إشباع الواقع. أليس كذلك؟ إن الواقع يندفع ويظهر بكل قوته، وفى تلك اللحظة نجد أن طريقتنا الوحيدة لمواجهته هى التخلىّ عن الجدلية. وهى اللحظة التى نطلق فيها النار على إنسان، ونقفز من على السور ونتناول فيها علبة جاردينال مثل جوى، وأن نفك أسْر الكلب، ويصبح الحجر حرا لأى غرض. إن العقل يساعدنا فقط فى تجفيف الواقع بهدوء. أو تحليل عواصفه المستقبلية. لكن لايساعدنا على حلّ أزمة فورية. غير أن تلك الأزمات ماهى إلا براهين ميتافيزيقية، تشى، وحالة قد تكون الوضع الطبيعى والعادى لإنسان القرد منتصبا، إذا لم نمسك بها من خلال العقل.

– القهوة ساخنة، خذوا حذركم.

– هذه الأزمات التى يعتبرها أغلب الناس على أنها مثيرة للعجب ولامعقولة. فأنا شخصيا لدى انطباع بأنها تساعد على تبيان اللامعقول الحقيقى، الذى هو العالم المنظم والهادئ وحجرة يتواجد فيها عدد من الناس يتناولون القهوة فى الثانية صباحا، دون أن يكون لكل هذا فى الواقع أى معنى ولاحتى متعة، مثلما نحن عليه فى وضع طيب إلى جوار هذه المدفأة المشتعلة بطريقة غامضة. إن المعجزات لاتبدو لى لامعقولة. فاللامعقول هو مايسبقها ومايلحقها.

– قال جريجوروفيوس وهو ينزع عن نفسه الكسل :

– ومع ذلك يجب محاولة العيش.

«هاهو» فكرّ أوليڤيرا «برهان آخر سوف أحتفظ به، ومن بين ملايين أبيات الشعر الممكنة يختار هو البيت الذى فكرت فيه منذ حوالى عشر دقائق؛ مايسميه الناس الصدفة».

– قال إيتين بصوت ينم عن النعاس :

– حسن، ليس الأمر هو محاولة العيش، ذلك أن الحياة قد وهبت لنا. ومنذ زمن يشك كثير من الناس أن الحياة والكائنات الحية هما شيئان مختلفان. الحياة تعيش لنفسها؛ راق لنا هذا أم لا. وقد حاول جوى أن يكذّب هذه النظرية، لكن المبدأ الذى نتحدث عنه لانزاع فيه من الناحية الإحصائية. وتشهد بذلك معسكرات الاعتقال والتعذيب. وربما كان الأمل، من بين كل مشاعرنا، هو الشعور الوحيد الذى ليس لنا فى

28

الحقيقة. فالأمل مردّه إلى الحياة، إنه الحياة نفسها تدافع عن نفسها .. إلخ. وبهذا سوف أخلد للنوم ذلك أن مشكلة جوى قد أرهقتنى كثيرا اليوم. ياروناالد، عليك أن تأتى غدا صباحا إلى المرسم، فلقد انتهيت من لوحة «طبيعة ميتة» وسوف تعجبك كثيرا.

– قال رونالد :

– لم يقنعنى أوراثيو، أنا على اتفاق بأن معظم مايحيط به هو لامعقول، لكن ربما نطلق هذه التسمية على كل مالا نفهمه حتى الآن. وسوف يفهم ذات مرة.

– قال أوليفيرا :

– إنه متفائل لطيف يمكننا أيضا أن ندخل التفاؤل فى حساب الحياة المحضة. ماتقوم به قدرتك هو أنه لامستقبل لك، وهذا منطقى فى معظم حالات اللا أدريين. أنت دائما حى، أنت دائما فى الحاضر، وكل شئ ينظم لك بطريقة مرضية، وكأننا نشاهد لوحة لڤان إيك[٦] Van Eyck. لكن إذا حدث لك ذلك الشئ الرهيب وهو عدم الإيمان، وفى الوقت نفسه ألقيت نظرة على الموت، على هذا الشئ المفزع فإن المرآة سوف تعلوها طبقة ضباب كثيفة.

– قالت بابس :

– كفى ياروناالد لقد تأخر بنا الوقت، النعاس يُغالبنى.

– انتظرى انتظرى، إننى كنت أفكرّ فى موت والدى. نعم، شئ مما تقوله حقيقى. هذه الحجرة لم أتمكن من إدخالها فى إطار هذه المعضلة. كانت شيئا غير مفهوم. لقد كان رجلا شابا وسعيدا يعيش فى ألاباما. كان يسير فى الشارع عندما سقطت فوقه شجرة. كان عمرى آنذاك خمسة عشر عاما. جاءوا للبحث عنّى فى المدرسة، لكن هناك العديد من الأمور اللامعقولة يا أوراثيو. الكثير من حالات الوفيات أو الأخطاء.... ليس الأمر فى العدد على ما أظن، ليس اللامعقول الكامل كما تعتقد أنت.

– اللامعقول هو الذى قد لايبدو لامعقولا– قالها بنوع من الصفير – اللامعقول هو أنك تفتح الباب فى الصباح وتجد زجاجة اللبن على العتبة، وتظل هادئا لأن ذلك حدث لك بالأمس وسوف يحدث لك فى الغد. إنه ذلك الركود. ليكن ذلك هكذا، إنه الافتقار المشبوه إلى الاستثناءات، أنا لا أدرى، تشى، قد يكون من المناسب محاوله سلوك طريق آخر.

– قال جريجوروفيوس غير واثق :

– برفض الذكاء ؟

– لست أدرى، ربما استخدامه بطريقة أخرى، هل ستتم البرهنة على أن المبادئ المنطقية

28

هى اللحم والظفر مع ذكائنا؟ آه لو أن هناك شعوبا قادرة على البقاء فى إطار نظام سحرى... حقيقة أن الفقراء يأكلون الدود بدون طهى، لكن ذلك أيضا هو مسألة قيم.

– قالت بابس :

– الدود، ياللقرف! ياعزيزى رونالد لقد تأخر الوقت.

– قال رونالد :

– فى جوهر الأمر إن مايضايقك هو الشرعية فى كل أنماطها. فعندما نلاحظ أن شيئا ما أخذ يعمل بشكل جيد تشعر وكأنك فى سجن. لكننا جميعا على شئ من ذلك، إننا مجموعة ممن يطلق عليهم الفاشلين، فلم ندرس ونحصل على شهادة جامعية إلى باقى تلك الأشياء. ولذلك نحن فى باريس يا أخى، كما أن اللامعقول عندك ينحصر، فى الأول والآخر، فى نوع من المثالية غير الواضحة، لكنها فوضوية، ولم تستطع تحديد ملامحها.

– قال أوليڤيرا :

– لك الحق كل الحق ويااله من أمر جيد أن يخرج المرء إلى الشارع ولصق الإعلانات التى تطالب بحرية الجزائر. وماينتظر عمله فى ميدان الكفاح الاجتماعى.

– قال رونالد :

– إن العمل يمكن أن يجعل لحياتك معنى وقد قرأت ذلك فى أعمال مالرو على ما أظن.

– قال أوليڤيرا :

– دار نشر N. R. F.

– قال أوليڤيرا :

– وعكس هذا تظل تَسْتَمْنى، وكأنك قرد تقلِّب الأمر بشأن المشاكل الزائفة وتنتظر أمرا ما لست أدرى ماهو، إذا ماكان كل ذلك لامعقول يجب أن نفعل شيئا لتغييره.

– إن الجمل التى تقولها لها عندى رنين إنك لاتكاد تعتقد أن النقاش يدور حول شئ تعتبره أنت محددا مثل عملك acción فتزهو بما تقول. أنت لاتريد أن تَتَنَبَّه إلى أن العمل، مثل اللاعمل يستحق ذلك الزهو .. كيف يمكن أن يتصرف المرء دون أن يكون هناك موقف مسبق، أى نوع من المفاهيم لما نعتقد أنه خير وحقيقى؟ إن مفاهيمك عن الحقيقة والخير ماهى إلا مفاهيم تاريخية، إذ تدخل فى دائرة سلوكيات موروثة. لكن التاريخ والسلوكيات فى نظرى يثيران شكا كبيرا.

– قال إيتين وهو يعتدل فى جلسته :

– أحيانا يطيب لى أن أستمع إليك وأنت تتحدث بمزيد من الإسهاب عما تسميه

28

بالموقف المركزى. فربما كان فى المركز نفسه فجوة كاملة.

– قال أوليڤيرا :

– لاتظن أننى لم أفكر فى هذا لكن حتى لو كانت هناك أسباب جمالية، وهى أسباب أنت قادر جدا على تمييزها، فإنك ستقبل بين أن يضع المرء نفسه فى مركز ما وبين التجول على المحيط الخارجى. هناك فارق نوعى يجعلنا نفكر.

– قال جريجوروفيوس :

– يا أوراثيو إنك تستخدم كثيرا تلك الكلمات التى لم تنصحنا بها المرة منذ فترة وجيزة. إنك رجل لايطلب منه خطب بل أشياء أخرى. أشياء فيها ضباب وغير مفهومة مثل الأحلام، والصدف والإلهام، وفوق كل هذا الدعابة السوداء.

– لقد ضرب الرجل الذى يسكن فوق، على السقف مرة أخرى – قالت بابس.

– قالت لاماجا :

– لا، إنه المطر لقد حانت الساعة إعطاء الدواء لروكامادور.

– لازال أمامك المزيد من الوقت – قالت بابس وهى تميل بسرعة لتنظر إلى ساعة يدها فى ضوء اللمبة – إنها الثالثة إلا عشر دقائق. هيا بنا يارونالد لقد تأخرنا كثيرا.

– قال رونالد :

– سوف نذهب فى الثالثة وخمس دقائق

سألت لاماجا :

– لماذا فى الثالثة وخمس دقائق؟

– فسرّ جريجوروفيوس :

– ذلك أن الربع ساعة الأول هو جيد دائما .

– طلب إيتين :

– صبّ لى كأسا آخر من الكانيا، يالسوء الحظ لم يبق عندى شئ. أطفأ أوليڤيرا السيجارة. «إنه الاهتمام» فكر أوليڤيرا شاكرا إنهم أصدقاء حقيقيون بما فيهم أوسيب ذلك الشيطان المسكين. والآن أمامنا ربع ساعة لردود الأفعال المتوالية والتى لايمكن لأحد تجنبها، لا أحد، ولاحتى التفكير أنه فى القادم وفى مثل تلك الساعة نفسها أو تذكر كل شئ بالتفصيل يمكن أن يغير درجة الأدرينالين أو اللعاب أو العرق الذى نشعر به الآن فى أيدينا ... هذه هى البراهين التى لايريد رونالد أن يفهمها أبدا. ما الذى فعلته هذه الليلة؟ كان شيئا فظيعا بعض الشئ وعن عمد، وربما كان من الممكن التدرّب على تجربة بالونة الأكسجين، أو شئ من هذا

28

القبيل. كنت أحمق، في الـواقع، وقد كـان من الممـكن أن نمـد في حيـاة مسيو ڤالديمار[٧] Valdemar.

– قال رونالد في أذنها :

– يجب أن نعدّها .

– لاتقل ترّهات من فضلك. ألا تشعر أنها مهيأة ،وأن الرائحة تسبح في الهواء؟

– قالت لاماجا :

– ها أنتم تتحـدثون بصـوت منخـفض جدا في الوقت الذي لايستلزم ذلك. «أنت تتحدثين» فكر أوليڤيرا.

– غمغم رونالد :

– الرائحة ؟ أنا لا أشعر بأي رائحة.

– قال إيتين وهو يهتز كأنه يشعر بالبرد :

– حسن. السـاعة تقتـرب من الثـالثة يارونالد افعل شيئا، إن أوراثيو لن يكون عبقرية، لكن من السهل الإحساس بما يريد أن يقوله لك والشئ الوحيد الذي يمكننا فعله هو البقاء بعض الوقت وتحمل ماسيتأتي. وأنت يا أوراثيو، أتذكر الآن، ذلك الذي قلته اليوم عن لوحة رمبرانديت كان جيدا للغاية. هناك مايسمى بما وراء الرسم Meta-pintura مثل مايسمى بما وراء الموسيقى Metamúsica. كما أن العجوز كان يتعمق كثيرا في كل مايفعله. لكن عميان المنطق والعادات الجيدة هم وحدهم الذين يمكن أن يقفوا أمام لوحات رمبرانديت دون أن يشعروا أن هناك نافذة تطل على شئ آخر، إنها إشارة. هذا في منتهى الخطورة بالنسبة للرسم، لكن على العكس...

– قال أوليڤيرا :

– الرسم هو نوع مثل باقي الأنواع ولايجب حمايته كثيرا بصفته نوعا. وفيما عدا ذلك فأمام كل لوحة من لوحات رمبرانديت هناك مائة رسّام، وبذلك فإن الرسم بمنأى بالكامل.

– قال إيتين :

– لحسن الحظ.

– وافق أوليڤيرا :

– نعم لحسن الحظ، لحسن الحظ يسير كل شئ في أفضل مسار ممكن له. أشعلي اللمبة الكبيرة يابابس. مفتاح النور يوجد خلف الكرسي الذي تجلسين عليه.

– قالت لاماجا وهي تنهض :

28

– أين يمكن العثور على ملعقة نظيفة .

بذل أوليڤيرا جهدا بدا له منفّرا حتى لاينظر إلى عمق الحجرة. كانت لاماجا تفرك عينيها وهى مأخوذة. أما بابس وأوسيب والجميع فكانوا ينظرون بطريقة مستترة ثم يديرون رؤوسهم وينظرون مرة أخرى. بدأت بابس فى تهيئة نفسها لتأخذ لاماجا بين ذراعيها، لكن لمحت شيئا على وجه رونالد فتوقفت. اعتدل إيتين فى جلسته ببطء وقد فرد بنطلونه الذى لازال مبلّلا. أما أوسيب فقد بدأ يخرج من دائرة الكرسى ويتحدث عن معطفه «الآن يجب أن يضربوا على السقف» فكرّ أوليڤيرا وهو يغمض عينيه «عدة ضربات متوالية» فكر أوليڤيرا بطريقة مهيبة. لكن كل شئ يحدث على العكس، فبدلا من إطفاء الأنوار نشعلها. كما أن المسرح هو فى هذا الجانب. لاعلاج للأمر» نهض بدوره وهو يشعر بوجع فى عظامه من جراء السير طوال اليوم وكل ماحدث أثناءه. وجدت لاماجا الملعقة على رف المدفأة خلف رصّة من الأسطوانات والكتب. أخذت تنظفها بطرف فستانها وتفحصّتها جيدا فى ضوء اللمبة، «سوف تقوم بصب الدواء فى الملعقة وبعد ذلك يقع منها نصف الجرعة حتى تصل إلى حافة السرير» قال أوليڤيرا لنفسه وهو يستند إلى الحائط. كان الجميع صامتين لدرجة أن لاماجا نظرت إليهم باستغراب ووجدت صعوبة فى فتح زجاجة الدواء، كانت بابس تريد مساعدتها بأن تمسك الملعقة. كما أن وجهها ممتقع، والأمر كأن لاماجا تقوم بفعل شئ رهيب لايمكن ذكره، وظلت كذلك حتى صبت لاماجا الدواء فى الملعقة ووضعت زجاجة الدواء كيفما اتفق على حافة الترابيزة التى لاتكاد تتسع لشئ من كثرة ماعليها من أوراق وكراسات. كانت تمسك بالملعقة مثل بلوندين[٨] Blondin لاعبة السيرك، أو كأنها ملاك القديس الذى يقع فى هوة؛ أخذت تشير وهى تجر الشبشب واقتربت من السرير وإلى جوارها بابس تتلوى قسمات وجهها وتمسك نفسها لتنظر ولاتنظر، وتنظر بعد ذلك إلى رونالد وإلى الآخرين الذين أخذوا يقتربون من ورائها. وكان آخرهم أوليڤيرا والسيجارة مطفأة فى فمه.

– قالت لاماجا وهى تتوقف إلى جوار السرير :

– دائما مايتساقط الدواء منى ...

– قالت بابس وقد أقتربت بيديها من كتفيها لكن دون أن تلمسها :

– يالوثيا سقط السائل على الكوڤرته وفوق الملعقة.

صرخت لاماجا واستلقت على السرير ووجهها لأعلى، وبعد ذلك على جانبها وقد التصقت يداها ووجهها بعروس غير مبالية ومظلومة. كانت ترتعش وتهتز وهى غير مقتنعة وتعامل بقسوة وبحنان لكن بلاجدوى.

– قال رونالد :

28

– ماذا يحدث، كان علينا أن نهيئها لقد أخطأنا. إنها وقاحة منّا. كل الناس يتحدثون عن ترّهات ، وعن ذلك وذلك...

– قال إيتين بجفاء :

– لاتكن هستيريا افعل مثلما فعل أوسيب فلم يفقد أعصابه، عليك بالبحث عن ماء كولونيا ، وإذا ماكان هناك شئ يصلح فى نظرك. سمعت العجوز فى الدور العلوى، هاقد بدأ مرة أخرى.

– قال أوليڤيرا وهو ينظر إلى بابس التى كانت تحاول انتزا ع لاماجا من السرير :

– الأمر يستحق يالها من ليلة بالنسبة له، يا أخى.

– قال رونالد :

– فليذهب إلى الجحيم أخرج إليه وأصفعه على وجهه هذا العجوز ابن القحاب إذا لم يحترم آلام الآخرين ....

– قال أوليڤيرا :

– موافق هاهو ماء الكولونيا. خذ منديلى رغم أن بياضه ليس ناصعا. حسن. لابد من الذهاب إلى قسم البوليس.

– قال جريجوروفيوس الذى كان يحمل معطفه على ذراعه :

– يمكننى أن أذهب.

– لكن من الواضح، أنك واحد من العائلة.

– كانت بابس تقول :

– آه لو أمكنك البكاء وهى تداعب جبهة لاماجا التى أسندت وجهها إلى المخدة، وكانت نظرتها ثابتة فى اتجاه روكامادور.

– أريد منديلا مبللا بالكحول من فضلكم، أريد شيئا يساعدها على أن تسترد وعيها.

أخذ رونالد وإيتين يدوران حول السرير. تتكرر الضربات فوق السقف بطريقة إيقاعية، وفى كل مرة ينظر رونالد إلى أعلى، وفى إحدى هذه المرات هزّ قبضته إلى أعلى بطريقة هستيرية. كان أوليڤيرا قد تقهقر إلى جوار المدفأة، ومن هناك كان ينظر ويصمت. كان يشعر أن الإرهاق أخذ يغزوه ويشده إلى أسفل، وكان يتنفس ويتحرك بصعوبة. أشعل سيجارة أخرى كانت آخر مافى العلبة. أخذت الأمور تتحسن بعض الشئ، قامت بابس مسرعة بانتقاء ركن فى الغرفة ثم قامت بإعداد نوع من السرير الصغير باستخدام كرسيين وبطانية، وكانت تتسامر مع رونالد (كان شيئا مثيرا أن ترى إشاراتها من فوق لاماجا التى غرقت فى هذيان بارد وفى حوار داخلى محموم

28

لكنه جاف ومتشنج) وكانا يغطيان عينى لاماجا بمنديل فى لحظة معينة (إذا ماكان المنديل مبللا بماء الكولونيا فسوف يصيبونها بالعمى»؛ قال أوليفيرا لنفسه). كانا يساعدان إيتين، بسرعة غير عادية، فى رفع روكامادور ونقله إلى السرير المرتجل ويقومان فى الوقت ذاته بنزع الكوفرته من تحت لاماجا ليضعوها فوقها وهما يتحدثان معها بصوت منخفض ويداعبانها ويدفعانها إلى استنشاق المنديل. كان جريجوروفيوس قد وصل إلى الباب ويقى هناك دون أن يقرر الخروج وظَلّ ينظر عفويًا إلى السرير، وبعد ذلك لأوليفيرا الذى كان يدير له ظهره لكنه يشعر أنه يراه. وعندما قرر الخروج كان العجوز قد وصل إلى بسطة السلمّ وهو مسلحٌ بعصا، فعاد أوسيب إلى داخل الحجرة بقفزة واحدة. هوت العصا على الباب «وهكذا كان يمكن للأمور أن تتعقد» قال أوليفيرا لنفسه وهو يتقدم خطوة نحو الباب. أما رونالد الذى خمّن مايحدث فقد اندفع غاضبا بينما تصيح بابس بعبارة بالإنجليزية. أراد جريجوروفيوس اتّقاء ذلك لكن كان رد فعله متأخرا. خرج رونالد وأوسيب وبابس وتبعهم إيتين الذى كان ينظر إلى أوليفيرا وكأنه الوحيد الذى حافظ على شئ من رباطة الجأش.

– قال له أوليفيرا :

– هيا اذهب إليهم حتى لايرتكبوا حماقة، يكاد يصل عمر العجوز إلى ثمانين عاما وهو مجنون.

– كان العجوز يصيح على بسطة السلم :

– Tous des cons! كلكم حمقى إنكم مجموعة حثالة. كما أنكم تظنون أن ذلك سوف يمرّ هكذا دون عقاب. أيها التلّ من القاذورات. والشئ المثير أنه لم يكن يصرخ بقوة. ومن الباب الموارب عاد صوت إيتين وكأنه كارامبولا : «Ta gueule pépère» اصمت أيها العجوز. أمسك جريجوروفيوس بذراع رونالد، لكن من خلال الضوء الذى يخرج من الغرفة أدرك رونالد أن الرجل طاعن جدا فى السّن واقتصر على أن يلّوح فى وجهه بقبضته وهو أقل اقتناعا فى كل مرة. نظر أوليفيرا مرة أو اثنتين فى اتجاه السرير حيث بقيت لاماجا شديدة السكون تحت الكوفرته. كانت تبكى وجسمها يهتز من البكاء بينما فمها فى المخدة. وبالتحديد فى المكان الذى كانت فيه رأس روكامادور. بماذا تعود علىّ لطمة أوجهها لولد صغير – كان العجوز يقول – هذه ليست طريقة تصرف نحن فى باريس ولسنا فى الأمازون. ارتفع صوت إيتين وغطى على الصوت الآخر مقنعا إياه. قال أوليفيرا لنفسه إنه لن يكون من الصعوبة الذهاب إلى السرير وأن يميل ليحدث لاماجا فى أذنها بكلمات. «لكن ذلك أفعله من أجلى أنا» فكر «إنها هناك وقد تجاوزت أى شئ. أما أنا فسوف أنام بعد ذلك بشكل أفضل رغم أن ذلك قد لايكون إلا مجرد

28

كلام. أنا، أنا، أنا. أنا سوف أنام بعد أن أقبّلها وأواسيها وأكرر كل ماقاله هؤلاء.

– حسن، أنا أيها السادة من الذين يحترمون آلام الأم،

قال صوت العجوز :

– معذرة عمتم مساءً سيداتي سادتي.

كان المطر يضرب بقوة وكأنه سيل. يضرب النافذة. لابد وأن باريس أصبحت فقّاعة ضخمة تكاد تكون شهباء حيث يبزغ من خلالها الفجر رويدا رويدا. اقترب أوليڤيرا من الركن حيث بدا معطفه كأنه جذع إنسان محطم ومفعم بالرطوبة. ارتدى المعطف ببطء وهو ينظر دائما في اتجاه السرير وكأنه ينتظر شيئا. كان يفكر في ذراع بيرت تريبات وفي ذراعه هو والسير تحت المطر. «بماذا أفادك الصيف، أيها البلبل الذي على الثلج؟» ذكر ذلك البيت من الشعر بطريقة ساخرة. «لقد تعفّن، تشئ، تعفّنًا كاملا. وليس معي المزيد من السجائر» يجب الذهاب إلى مقهى بربرت Bérbert ، وعلى أي الأحوال فإن الصباح سوف يكون منفرا للغاية هنا وفي أي مكان.

– قال رونالد وهو يغلق الباب :

– ياله من عجوز أحمق .

– قال إيتين :

– عاد إلى حجرته أعتقد أن جريجوروفيوس ذهب لإبلاغ البوليس هل ستبقى هنا؟

– لا، من أجل ماذا؟ لن يروق هذا للبوليس إذا ماوجد أناسا كثيرين في مثل هذه الساعة. ومن الأفضل أن تبقى بابس، فوجود امرأتين هو حجة مناسبة في مثل هذه الحالات. فهذا أكثر حميمّية، هل تدرك ذلك ؟ نظر إليه إيتين.

– أود أن أعرف لماذا يرتعش فمك كثيرا .

– قال أوليڤيرا :

إنه اصطكاك عصبي .

– هذا – الاصطكاك وكذا الهواء البارد يكون تأثيرهما سيئا عندما يجتمعان. أرافقك هيا.

– هيا.

كان يعرف أن لاماجا أخذت تتماسك وهي في السرير وتنظر إليه. وضع يديه في جيوب معطفه وتوجه إلى الباب. قام إيتين بحركة وكأنه يسدّ عليه الطريق وبعد ذلك تبعه. رآه رونالد وهو يخرج وهز كتفيه بغيظ «كل هذا غير معقول» فكر. شعر بعدم الراحة من فكرة أن يكون كل شئ لامعقول، لكنه لم يدر لماذا. أخذ يساعد بابس، ويعمل على أن يكون مفيدا بالقيام بوضع بعض المياه على الكمّادات. بدأت الضربات على السقف.

–

(- 130)

29

– قال أوليڤيرا :

– خذ.

كان جريجوروفيوس جالسا يقرأ إلى جوار المدفأة وهو يرتدى الروب دى شامبر. كان قد ثَبَّت لمبة على الحائط بواسطة مسمار. وصنع من ورق الصحف «طاقية» لتنظيم ضوء اللمبة.

– لم أكن أعرف أن معك مفتاح.

– قال أوليڤيرا وهو يلقى بمعطفه فى الركن المعتاد :

– محاولات للعيش، سوف أترك لك المفتاح فقد أصبحت الآن مالك المنزل.

– لفترة محددة فقط – فالجو هنا بارد جدا أضف إلى ذلك وجود العجوز الذى يسكن فوق، فقد أخذ يدق على السقف هذا الصباح لمدة خمس دقائق، دون أن نعرف لماذا.

– إنه الجمود. فكل شئ يستمر وقتا أطول بعض الشئ مما ينبغى، فأنا على سبيل المثال أصعد هذه الأدوار وأخرج المفتاح وأفتح ... الجو مكتوم هنا.

– قال جريجوروفيوس :

– إن البرد شديد، كان لابد من تهوية الحجرة بفتح النافذة حوالى ثمان وأربعين ساعة بعد تبخير المكان.

– وهل ظللت هنا طوال الوقت؟ أهل العطف. يالك من نموذج.

– لم يكن من أجل ذلك، فقد كنت أخشى أن ينتهز أحد الجيران الفرصة ويستولى على الحجرة. وقد قالت لى لوثيا ذات مرة إن المالكة هى عجوز مجنونة. وأن هناك بعض الجيران لايسددون الإيجار منذ عدة سنوات. كنت أنا قارئا ممتازا للقانون المدنى فى بودابست.، وهى عادات لامناص منها.

– الأمر هو أنك ظللت هنا كمُتيِّم أحيِّيك ياعيونى. آمل ألا تكون قد ألقيتما بالأعشاب الخاصة بى فى الزبالة.

– آه، لا، إنها هناك على الكومودينو. بين الجوارب. لقد أصبحت هناك مساحة كبيرة خالية.

– قال أوليڤيرا :

– على مايبدو، لقد استولت على لاماجا رغبة عارمة فى النظام. فلم أعد أرى الأسطوانات أو القصص، تشى، لكن وأنا أفكر فيه الآن ...

– قال جريجوروفيوس :

– لقد أخذت كل شئ

29

فتح أولڤيرا درج الكومودينو وأخرج الأعشاب وأعد الشاى. ثم أخذ يشفط بهدوء وهو ينظر فى أرجاء الحجرة. كانت كلمات أغنية «ليلتى الحزينة» تتراقص فى رأسه. قام بالعدّ على أصابعه : الخميس والجمعة والسبت. لا. الاثنين والثلاثاء والأربعاء. لا، الثلاثاء ليلا، بيرت تريبات، أحبتنى، وهذا أفضل شئ فى حياتى، الأربعاء (حالة سكر من كثرة الشراب لم تحدث لى إلا قليلا. وليس خلط الفودكا مع النبيذ الأحمر) تركت روحى جريمة / وشوكة فى القلب، الخميس والجمعة يركب رونالد سيارة على سبيل الاستعارة ويزور جوى مونود. وكأنه قفاز مقلوب، كميات ضخمة من القئ الأخضر اللون، أصبح بعيدا عن دائرة الخطر. كنت أعرف أننى أحبك، وأنك سعادتى، وأملى، وخيالى، السبت، إلى أين؟ إلى أين، فى أى مكان إلى جوار ميرى – لو– روا Marly-le-Roi، والإجمالى هو خمسة أيام، لا، هم ستة، حوالى أسبوع، ولازالت الحجرة باردة جدا بالرغم من المدفأة. أوسيب، ياله من رجل ضفدعة، ملك الراحة.

– قال أوليڤيرا، وهو يرتمى على الكرسى :

– أى أنها غادرت وبالقرب منه La papita اومأ جريجوروفيوس بالإيجاب. كان الكتاب مفتوحا وموضوعا على ركبتيه، وكان الانطباع هو أنه يريد (بشكل مؤدب) مواصلة القراءة.

– وتركت لك الحجرة.

– قال جريجوروفيوس :

– كانت تعرف أننى كنت أمرّ بموقف حرج، فأخت جدتى لم تعد ترسل لى المعاش ومن المحتمل أنها قد ماتت. السيدة بابنجتون Miss Babingnton تلتزم الصمت، لكن نظرا للموقف فى قبرص.... من المعروف أن له انعكاسات على مالطة : الرقابة إلى غير ذلك. عرضت علىّ لوثيا مقاسمتها الحجرة بعد أن أعلنت سيادتك أنك ستغادر. ولم أكن أدرى هل أقبل أم لا، إلا أنها ألحتّ.

– هذا لايتسق كثيرا مع لعبتها.

– لكن كل ذلك كان فى السابق.

– أتقصد قبل تبخير الحجرة ؟

– بالضبط.

– لقد كسبت ورقة اليانصيب يا أوسيب.

– قال جريجوروفيوس :

– إنه لأمر محزن فكل شئ كان يمكن أن يحدث بشكل مختلف.

29

– لاتكن شكاء أيها العجوز. فهى حجرة بثلاثة ونصف، بمعدل خمسة آلاف فرنك شهريا، بالإضافة إلى المياه...

– قال جريجوروفيوس :

– كنت أود أن يكون الموقف واضحا بيننا. هذه الحجرة...

– ليست حجرتى، نمت هادئا. كما أن لاماجا غادرت.

– على أى الأحوال ....

– إلى أين ؟

– تحدثت عن مونتفيديو.

– ليس معها من المال مايكفى.

– تحدثت عن بيرخيا Perugia.

– أى عن لوكا Luca. إنها منذ أن قرأت رواية[1] Sparkeubroke وهى شغوفة بتلك الأشياء. قل لى بصراحة أين هى ؟

– ليست عندى أدنى فكرة يا أوراثيو. قامت يوم الجمعة الماضى وملأت الشنطة بالكتب والملابس وحزمت أشياء كثيرة، وبعد ذلك أتى اثنان من السود وأخذا كل ذلك. وقالت لى إن بإمكانى أن أبقى هنا، ولمّا كانت تبكى طوال الوقت فلا تظن أنه كان من السهل الكلام معها.

– قال أوليفيرا وهو يشرب الشاى :

– كم أود أن أصفعك على وجهك .

– وماذنبى أنا ؟

– ليس الأمر هو ذنبك، تشى. إنك قذر على الطريقة الديسكوفسكية وكذلك ظريف فى الوقت ذاته. إنك من النوع المراهن على الطريقة الميتافيزيقية. فعندما تبتسم بهذه الطريقة يدرك المرء أنه لايمكن فعل شئ.

– قال جريجوروفيوس :

أوه، ها أنا قد عدتُ، فميكانيكية Challenge and response هى للبرجوازيين. أنت مثلى، ولهذا لن تضربنى، لاتنظر إلىّ هكذا، أنا لا أعرف شيئا عن لوثيا. وقد رأيت واحدا من السود وهو الذى يتردد على مقهى بونابرت. فعلى الأفضل يمكن أن يدلكّ على مكانها. لكن لماذا تبحث عنها الآن؟

– فسّر هذه الكلمة «الآن».

هز جريجوروفيوس كتفيه.

29

– قال :

– كانت «السهرة إلى جوار جثة الميت» جديرة، خاصة بعد أن أزحنا البوليس عن كاهلنا. ومن الناحية الأجتماعية تسبب غيابك فى تعليقات متناقضة؛ فالنادى كان يدافع عنك لكن الجيران والعجوز الذى يسكن فوق...

– لاتقل لى إن العجوز حضر هذه السهرة.

– لايمكن تسميتها سهرة على الميت. فلقد سمحوا لنا بالإبقاء على جثة الطفل حتى منتصف اليوم. وبعد ذلك جاء دور إدارة الخدمة الوطنية التى اتسمت بالفعالية والسرعة. وهذا قول واجب.

– قال أوليڤيرا :

– أنا أتصور ماحدث لكن ذلك ليس سببا يجعل لاماجا تنتقل من المكان دون أن تقول شيئا.

– كانت تتصور طوال الوقت أنك كنت مع بولا.

– قال أوليڤيرا :

– هو ذلك إذنْ

– إنها أفكار يبتدعها الناس. والآن نتبادل الحديث بأنا وأنت. بسببك أرى أنه من الصعب علىّ الآن أن أقول لك بعض الأشياء. إنه تناقض - وهذا بديهى لكن هذا هو الأمر. وربما لأنها خطاب رفع فيه التكلّف بشكلٍ زائف. وأنتم من دفعونى إلى ذلك فى تلك الليلة.

– حسن يمكن أن نرفع الكلفة بينك وبين الشخص الذى كان يضاجع امرأتك.

– لقد تعبت من القول بأن ذلك ليس حقيقيا. وأنت ترى أن ليس هناك أى سبب حتى تكون هناك كلفة بيننا. وإذا ماكانت لاماجا قد ضاقت بها السبل حقا فإننى أقدرّ أن ذلك كان فى دائرة الألم فى تلك اللحظة، نص الوقت الذى يعانق فيه المرء نفسه ويعزيها ... لكن الأمر لم يكن هكذا، أو لايبدو ذلك على الأقل.

– قال أوليڤيرا :

– هل قرأت شيئا فى الصحيفة اليومية

– الانتماء ليست له أى علاقة. يمكننا أن نواصل حديثنا دون رفع الكلفة. هاهى، فوق المدفأة.

حقا ليس للانتماء علاقة. ألقى أوليڤيرا بالجرنال وتناول كوبا آخر من الشاى. لوكا، مونتفيديو الچيتار فى الدولاب، سوف يكون معلقا دوما... وعندما يوضع كل شئ فى الشنطة ويتم حزم الأمتعة فلايمكن للمرء أن يستنتج أن (حذار : ليس كل استنتاج بمثابة برهان) لا أحد فيها يعزف شيئا. ولايجعل أوتاره تهتز. ولايجعل أوتاره تهتز.

29

– حسن، سوف أبذل جهدى لمعرفة أين ذهبت. لن تكون بعيدة عن هنا.

– قال جريجوروفيوس :

– هذا سوف يكون بيت سيادتك دائما وربما تأتى أدجال Adgalle لقضاء الربيع معى.

– هى أمك ؟

– نعم. كان تلغرافا مثيرا الشجن، مع إشارة إلى اسم الله. كنت لحظتها أقرأ الآن الـ Sefer Yetzirab وأحاول تقصى التأثيرات الأفلاطونية الجديدة. أدجال هى امرأة قوية للغاية فى عالم السّرية cafalística. وسوف تدور مناقشات رهيبة.

– هل نوهت لاماجا بشكل أو بآخر بأنها سوف تنتحر ؟

– حسن، النساء، كما معروف.

– بالتحديد.

– قال جريجوروفيوس :

– لا أعتقد كانت تلح على موضوع مونتفيديو.

– إنها بلهاء ليس معها أى نقود.

– فيما يخص مونتفيديو وفيما يخص الدمية الشمعية.

– آه الدمية. وكانت تفكر هى ...

– تعتبر ذلك مؤكدا. سوف تبدى أدجال اهتمامها بالموضوع وهو ماتسميه سيادتك بالتوافق .... لم تكن لوثيا تعتقد أنه كان توافقا. ولا أنتم أيضا فى حقيقة الأمر. قالت لوثيا لى إنه عندما اكتشفت سيادتك الدمية الخضراء ألقيت بها على الأرض وأخذت تطؤها بقدميك.

– قال أوليفيرا بحرارة :

– أكره الغباء .

– لقد غرزت الدبابيس كلها فى الصدر ولم تغرز إلا واحدا فى منطقة العضو. هل كنت تعرف سيادتك أن بولا كانت مريضة عندما حطمت الدمية الخضراء ؟

– نعم.

– هذا سوف يثير اهتمام أدجال للغاية. هل تعرف نظام اللوحة المسمّمة؟ يتم خلط السمّ بالألوان ويتم انتظار مطلع القمر المناسب لرسم اللوحة. حاولت أدجال ذلك مع والدها، لكن حدث تشويش .... وعلى أى الأحوال فإن العجوز توفى بعد ذلك بثلاثة أعوام بمرض الدفتريا. كان وحيداً فى القلعة. كان عندنا قلعة فى ذلك العصر وعندما شعر بالاختناق حاول

29

القيام بعملية فتح الرغامى Traqueotomía أمام المرآة بأن غرس فى نفسه أنبوبا أو شيئا من هذا القبيل. وجدوه ملقى على أول السلم. لست أدرى لماذا أقص عليك ذلك.

– لأنك، على ما أظن، تعرف أن هذا لايهمنى.

– قال جريجوروفيوس :

– حقا، يمكن أن يكون الأمر كذلك هيا لنعدّ القهوة. فى هذه الساعة يقرأالمرء أن الليل قد حل رغم أنه لايرى الظلام.

أمسك أوليڤيرا بالجرنال. وبينما أوسيب يضع الكسرولة على المدفأة. أخذ يقرأ الخبر من جديد. شقراء. عمرها اثنتان وأربعون سنة. أى بلاهة فى التفكير بأن ... رغم ذلك، واضح «وبدأت أعمال إنشاء السد العالى[٢] فى أسوان قبل ذلك بخمس سنوات، وعلى ذلك سوف يتحول الوادى الأوسط للنيل إلى بحيرة ضخمة ومبانى ضخمة سوف تكون من أجمل المبانى على ظهر هذه البسيطة».

(107)

30

إنه سوء تفاهم مثلما تحدثت، تشى. لكن القهوة تناسب اللحظة. هل شربت كل الكانيا؟

– سيادتك تعرف «السهر إلى جوار جثة الميت»...

– الجسد الصغير. واضح.

شرب روناك كثيرا. كان متأثرا للغاية ولا أحد يعرف لماذا. أما بابس فكانت تشعر بالغيرة، حتى لوثيا نفسها كانت تنظر إليه باستغراب. لكن الساعاتى الذى يسكن فى السادس أتى إلينا بزجاجة المشروبات الكحولية القوية aguardiente وشربنا كلنا منها.

– هل أتى كثير من الناس ؟

– انتظر. كنا أعضاء النادى، لكن سيادتك لم تكن من بينهم («لا، أنا لم أكن هناك») والساعاتى الذى يقيم فى السادس، البوابة وابنتها وسيدة كانت تشبه العثّة. أمّا ساعى البريد المتخصص فى توزيع التلغرافات فقد مكث بعض الوقت، ورجال الشرطة الذين كانوا يتلصصون لمعرفة هل قتل الطفل أم كانت وفاة طبيعية إلى غير ذلك.

– أنا أستغرب أن البوليس لم يتحدث عن تشريح الجثة.

– تحدث رجال البوليس عن ذلك. وقد احتجت بابس على ذلك احتجاجا فظيعا، ولوثيا .... جاءت امرأة، وأخذت تنظر بعض الوقت وتلمس الجثة ... لم يكن فى السلّم مكان ليسعنا جميعا وكان البرد شديدا. لقد فعل البوليس بعض الأشياء، لكنه بعد ذلك تركنا فى حالنا. ولست أعرف كيف وصلت شهادة الوفاة إلى حافظة نقودى، إذا ما أردت أن تراها.

– لا، واصل الحكاية، فأنا أنصت إليك رغم أنه لايبدو ذلك. احك ولاشئ أكثر، تشى. إننى شديد التأثر. هذا لايلاحظ علىّ لكن يمكن أن تصدقنى. أنا أنصت إليك هيا أيها العجوز، أنا أتخيّل المشهد بالكامل، لن تقول لى إن روناك لم يساعد فى إنزال الجثة على السلمّ.

– نعم فعلها هو وبيريكو والساعاتى. أما أنا فكنت أرافق لوثيا.

– من الأمام.

– وكانت بابس فى آخر الطابور مع إيتين.

– من الخلف.

– وخلال المسافة بين الدورين الرابع والثالث سمعت ضربة قوية. قال روناك إن

30

العجوز الذى يسكن الخامس هو الذى فعلها وأنه ينتقم. عندما تصل أمىّ سوف أقول لها بأن تنشئ علاقة مع العجوز.

– أمك ؟ أدجال ؟

– إنها أمى، التى فى الهرسك. هذا المنزل سوف يروق لها. إنها شديدة الحساسية فى التلقى. وقد حدثت أشياء كثيرة فى هذا المكان... فأنا لا أقصد الدمية الخضراء فقط.

– لنر، اشرح لماذا أمك شديدة الحساسية. لنتحدث، تشى، لابد من حشو الشلّت. املأها بالنُسَالة.

(– 57)

31

تخلى جريجوروفيوس منذ وقت طويل عن توّهمه الفهم، وعلى أى الأحوال كان يروق له أن يكون لسوء الفهم نوع من النظام أو السبب. وأيا كانت حالة اللعب بأوراق التاروت فإن فتحها كان عملية استنتاجية دوما، وكانت تتم على مستطيل ترابيزة أو فوق مفرش السرير. إنها محاولة يتمكن فيها من يتناول هذا المشروب الكريه القادم من السهول فى أمريكا الجنوبية من الكشف عن النظام الذى يكمن وراء هيامه على وجهه. أو أن يخترعه فى التّو على أسوأ حال. وبعد ذلك قد يكون من الصعب عليه الهروب من خيوط العنكبوت. وبين جرعة الشاى والأخرى كان أوليڤيرا يركزّ حتى يتذكر أى لحظة من الماضى أو يجيب على أسئلة. وكان من جانبه يسأل باهتمام ساخر بتفاصيل الدّفن وتصرفات الناس. وقليلا ماكان يشير إلى لاماجا، لكن كان يرى أنه كان يشك فى أن هناك إحدى الأكاذيب. مونتفيديو، لوكا، ركن فى باريس. قال جريجوروفيوس لنفسه إن أوليڤيرا لو عرف أين هى لوثيا فسوف يخرج مسرعا. يبدو أنه متخصص فى القضايا الخاسرة. يخسرها أولا ثم يتراجع كالمجنون ثانيا.

– قال أوليڤيرا وهو يغير الأعشاب :

– سوف تسعد أدجال بفترة إقامتها فى باريس إذا ماكانت تبحث عن الجحيم فما عليك إلا أن تبين لها واحدة من تلك الأشياء. وليكن هذا فى مستوى متواضع بالطبع، لكن الجحيم أصبح زهيد الثمن. فالرحلات إلى الجحيم الآن : هى رحلة فى المترو فى السادسة والنصف أو الذهاب إلى مخفر البوليس لتجديد رخصة الإقامة.

– بالنسبة لسيادتك لكم يروق لك أن تعثر على المدخل الكبير أليس كذلك؟ الحوار مع أياكس Ayax ومع جاك كليمنت[1] Jaques Clement ومع كيتل Keitel ومع تروبمان Troppmann.

– نعم، لكن الفتحة الأكثر اتساعا هى فتحة الحوض. حتى إن ترافل نفسه لايفهم، انظر فيما إذا كان ذلك شيئا قليلا. ترافلر هو صديق لاتعرفه أنت.

– قال جريجوروفيوس – وهو ينظر إلى الأرض :

– حضرتك، تخفى اللعبة.

– مثلا ؟

– لا أدرى، هى اختلاجة. فأنت لاتفعل شيئا منذ أن عرفتك إلا البحث، لكن يواتينى الإحساس بأنك تضع فى جيبك ماتبحث عنه.

– لقد تحدث المتصوفة عن ذلك لكن دون أن يذكروا الجيوب.

31

– وفى الوقت نفسه تسهم فى تعكر صفو حياة عدد من الناس.

– إنهم يسمحون بذلك أيها العجوز، ولست بحاجة إلا لإحداث دفعة صغيرة وأدخل وكل شئ مهيأ. ليس هناك قصد سيئ.

– لكن ما الذى تقصده من وراء ذلك يا أوراثيو؟

– حق المدينة.

– هنا ؟

– إنه نوع من المجاز. ولما كانت باريس مجازا آخر (لقد سمعتك تقولها ذات مرة) يبدو لى من المناسب أننى جئت من أجل ذلك.

– لكن لوثيا ؟ وبولا ؟

– قال أوليڤيرا :

– كميات غير متجانسة، تعتقد سيادتك أن طبيعتهن الأنثوية تسمح بوضعهن فى نفس الطابور. وهاتان، ألا تبحثان أيضا عن سعادتهما؟ وسيادتك أيها المتزمت المفاجئ أليس وجودك هنا بفضل إلتهاب سحائى أو بفضل المرض الذى قد وجدوا الطفل مريضا به ؟ الحمد لله أن كلينا ليس من عشاق التظاهر بما ليس فينا، وإلا لكان أحدنا قد خرج ميتا بينما يخرج الآخر وقد وضعت فى يده الكلابشات. وهذا شئ أساسى عند شولوكوف(٢) Cholokov صدّقنى. لكننا لانحتقر بعضنا. المرء يشعر بحماية شديدة فى هذه الغرفة.

– قال جريجوروفيوس وقد عاد ينظر إلى الأرض من جديد :

– حضرتك، إنك تخفى اللعبة.

– يا أخى إيلوثيدا، سوف تصنع لى معروفا.

– أصّر جريجوروفيوس :

– حضرتك لديك فكرة إمبريالية فى قاع رأسك. حق المدينة الخاص بك؟ سيطرة مدينة. إن حنقك: طموح أسئ علاجه. لقد أتيت إلى هنا لتعثر على تمثالك وهو ينتظرك فى أحد جوانب ميدان دوفين Dauphine، لكن مالا أفهمه هو التقنية الخاصة بك. الطموح. لم لا؟ إنك متميّز للغاية فى بعض الجوانب. لكن كل مارأيتك تفعله حتى الآن كان عكس مايمكن أن تقوم به طموحات أخرى. هناك إيتين على سبيل المثال، ولندع الحديث عن بيريكو.

– قال أوليڤيرا :

– آه إن عينيك تفيدانك فى شئ على مايبدو.

31

– كرر أوسيب :

– عكس ذلك تماما‌لكن دون التخلى عن الطموح. وهذا مالا أفهمه.

– أوه، الشرح، حضرتك تعرف ... كل شئ شديد الغموض يا أخى. ولنقل إن هذا الذى تسميه طموحا لايمكن أن يؤتى ثماره إلا من خلال الرفض. هل تروق لك التركيبة؟ ليس ذلك لكن ما أريد قوله هو بالتحديد مالا يمكن قوله. لابد من اللف والدوران كالكلب الذى يبحث عن ذيله. ومن خلال ذلك ومع ماقلته لك عن حق المدينة يجب أن يكون كافيا بالنسبة لك يابن دولة الجبل الأسود.

– أفهم ولكن بطريقة فيها الكثير من العتامة. إذن حضرتك ... لكن يكون طريقا مثل الذى يسلكه من هو واسع الثقافة أو شيئا من هذا القبيل. آمل ذلك.

– لا، لا،

– إنه رفض علمانى لنقله هكذا؟

– ولاذلك. إننى لا أرفض شيئا. بل إننى ـ وببساطة ـ أفعل مافى وسعى حتى ترفضنى الأشياء. ألا تعرف أنه لكى تفتح ثقبا يجب أن تتولى إخراج التراب وإبعاده ؟

– لكن حق المدينة، إذن ...

– بالضبط، ها أنت تضع الإصبع على الجرح. تذكر قوله «لانكون من هذا العالم» وعليك الآن أن تقوم بترفيعه (بَرْيِهِ) ببطء شديد.

– هو طموح يضرب بكل شئ عرض الحائط، ثم العودة من جديد إذن ؟

– شئ قليل، لمحة من ذلك، لايكاد يصل إلى جزء، شئ لاقيمة له. آه أيها العبوس ابن ترانسلفانيا.

– غمغم جريجوروفيوس وهو يبحث عن البايب :

– حضرتك والآخرون .... غمغم جريجوروفيوس وهو يبحث عن البايب – يالها من قلة ذوق – لصوص أبديّون، وفخاخ الفضاء، كلاب الله وشعوب تمشى على السحب. الحمد لله على أننى أتمتع بالثقافة ، ويمكننى تعدادهم. خنازير نَجْمية.

– قال أوليڤيرا:

– إنك تشرّفنى بهذه الأوصاف، وهذا دليل على أنك أخذت تدرك جيدا.

– ياه. إننى أفضل استنشاق الأوكسجين والهيدروجين بنفس النسب التى هيأها الله؛ فقدراتى وتفاعلاتى الكيماوية هى أقل بكثير من التى عليها حضراتكم. والشئ الوحيد الذى يهمنى هو الحجر الفلسفى. وهو شئ بسيط بالمقارنة بفخاخكم

31

وأحواضكم واستنتاجاتكم الوجودية.

– منذ فترة طويلة لم يدر بيننا حوار جيد حول الميتافيزيقا. أليس كذلك؟ لم يعد هناك صلة بين الأصدقاء، بل أصبح هذا السير على الموضة، فرونالد يفزع منهما. أما إيتين فلا يخرج من المجموعة الشمسية. أشعر بأننى فى وضع جيد مع سيادتك.

– قال جريجوروفيوس :

– فى الحقيقة قد كان من الممكن أن نصبح أصدقاء إذا ماكان عند سيادتك شئ من البشرية. وأظن أن لوثيا قد قالت ذلك لك أكثر من مرة.

– كل خمس دقائق. يلعب الناس كثيرا بكلمة «إنسانى»، لكن لاماجا، لماذا لم تبق مع سيادتك الذى تشع إنسانية ؟

– لأنها لاتحبنى؛ فالإنسانية فيها متسع لكل شئ.

– وسوف تعود الآن إلى مونتفيديو وسوف تسقط فى تلك الحياة التى ...

– ربما ذهبت إلى لوكا. وسوف تكون فى وضع أفضل فى أى مكان مما هو معك. وهو نفس ماحدث مع بولا أو مع الآخرين. ولتعذرنى على صراحتى.

– لكن هذا جيد يا أوسيب أوسيبڤيتش. مماّ نخدع بعضنا ؟ فلا يمكن العيش إلى جوار عرائس الظل وإلى جوار مروض العثة. فلا يمكن قبول رجل يقضى نهاره وهو يرسم بالحلقات المتموجة الألوان التى تحدثها قطرات البترول فى مياه نهر السين. فأنا ومعى أقفالى ومفاتيحى المصنوعة من الهواء، أنا أكتب باستخدام الدخان. وسوف أوفر عليك الردّ لأننى أراه : لاتوجد مواد أكثر صرامة من تلك التى تدخل فى أى مكان وتتنفس دون أن تدرى فى الكلمات أو الحب أو الصداقة. لقد آن الأوان لكى يتروكونى وحدى، ووحدى. وسوف تقر أننى لا أمسك بتلابيب أحد. تنازل يابن البوسنة. وربما لن تعرفنى فى المرة القادمة عندما ترانى فى الشارع.

– أنت مجنون يا أوراثيو. أنت مجنون بغباء. لأن ذلك يروق لك.

أخرج أوليڤيرا من جيبه قصاصة من جريدة كانت هناك، منذ متى ؟ لايعرف : إنها تتضمن قائمة بالصيدليات الليلية التى تلبى طلبات الجمهور من الثامنة مساء الاثنين حتى الثلاثاء فى نفس الساعة.

– الجزء الأول – قرأ – ريكولكيستا 446 (5488 – 31) قرطبة 336 (8845 – 32) إسميرالدا Esmeralda 599 (1700 – 31) سارمينتو Sarmiento 581 (2021 – 32).

31

– ماهذا ؟

– التماسات الواقع. أشرح لك : استعادة الأرض Reconquista هى شئ فعلناه مع الإنجليز. أما قرطبة فهى الضليعة. وإيسميرالدا فهى الغجرية التى شنقت بسبب حبها لرئيس الشماسة. أما سارمينتو فقد أخرج ريحا ذهب مع الريح. الكوبليه الثانى : Recon-quista فهو شارع الحمّص والمطاعم اللبنانية. وقرطبة هى الكعك الرائع. وإيسميرالدا هى نهر كولومبى. سارمينتو لم يتغيب عن المدرسة أبدا. الكوبليه الثالث : Reconquista هى صيدلية. إسميرالدا صيدلية أخرى وسارمينتو صيدلية. الكوبليه الرابع ....

– وعندما أصرّ على أنك مجنون فهو أننى لا أرى مخرجا لرفضك الشهير.

– فلوريدا **620** (**2200** – **31**).

– لم تذهب إلى الجنازة، فرغم أنك ترفض أشياء كثيرة إلا أنك غير قادر على أن تنظر إلى أصدقائك وجها لوجه.

– إبيوليتو يرجوين Hipálito Yrigoyen **749** (**0936** – **34**).

– ولوثيا هى فى وضع أفضل عندما تكون فى قاع النهر وليس على سريرك.

– لوليفار **800**. رقم التليفون غير واضح. فإذا مامرض طفل من أطفال الحىّ فلن يتمكنوا من الحصول على التّراميسين.

– فى قاع النهر، نعم.

– كورّينتس Corrientes **117** (**1468** – **35**).

– أو فى لوكا أو فى مونتفيديو.

– أو فى ريبادابيا Rivadavia **1301** (**7841** – **38**).

– قال جريجوروفيوس وهو ينهض :

– احتفظ بهذه القائمة من أجل بولا سوف أخرج، أما سيادتك فافعل مابدا لك. فلست فى منزلك لكن لما لم يكن هناك وقع لأى شئ. وعلى المرء أن يبدأ من الصفر إلخ .... اختر لنفسك ماتريد من هذه الأوهام. سوف أنزل لأشترى زجاجة من المشروبات الكحولية aguardiente. لحق به أوليڤيرا وهو على الباب ووضع كفه على كتفه.

– قال وهو ينظر إلى وجهه ويبتسم :

– لاڤال lavalle **2099** كانجايو Cangallo **1501** بويرّيدون Pueyrredon **53**.

– قال جريجوروفيوس :

– لاتوجد أرقام التليفونات.

31

– قال أوليڤيرا وهو يرفع يده :

– أخذت تفهم فى جوهر الأمر تعرف سيادتك أننى لايمكننى أن أقول لك شيئا ولا لأحد آخر.

توقفت الخطوات عند مستوى الدور الثانى «سوف يعود» ـ فكر أوليڤيرا «إنه يخشى أن أحرق له السرير أو أمزق الملاءات، ياله من مسكين» وبعد لحظة واصلت الخطوات نزول السلم.

جلس على السرير ونظر فى الأوراق التى فى درج الكومودينو فوجد رواية لبيريث جالدوس[٣] وفاتورة من الصيدلية. كانت ليلة الصيدليات. وبعض الأوراق التى عليها كتابات بالرصاص. لقد أخذت لاماجا كل شئ، لكن بقيت رائحة من الأمس وهى رائحة ورق الحائط والسرير ذو المفرش المقلّم ورواية لجالدوس، أىّ فكرة. وعندما لم يكن فيكى بوم[٤] Vicki Baun كان روجرمارتين دى جارد Roger Martin du Gard ومن هناك القفزة غير المفهومة إلى تريستان الإيرميت[٥] Iristan L'Hermite، وطوال ساعات يكرر «أحلام المياة التى تحلم» أو لوحة عليها Pantungs أو قصص شويتر Schwitters، وهى نوع من الفدية أو التوبة فى أرقى درجاتها وأكثر سرّية وفجأة السقوط فى جون دون باسوس Johon Dos Passos وقضاء خمسة أيام يلتهم كميات كبيرة من الحروف المطبوعة.

– كانت الأوراق التى عليها آثار أقلام الرصاص عبارة عن رسالة.

(– 32)

32

بيبى روكامادور، بيبى بيبى، روكامادور :

ياروكامادور، أعرف أن ذلك يشبه المرآة؛ فأنت تنام أو تنظر إلى قدميك. أما أنا فأمسك بمرآة وأعتقد أنك أنت. لكنى لا أصدق. أكتب لك لأنك لاتعرف القراءة، ولو كنت تعرفها لما كتبت لك أو أكتب لك عن أشياء مهمة. وسيكون علىّ ذات يوم أن أكتب لك بأن تتصرّف جيدا أو أن تتدثر. يبدو أنه غير قابل للتصديق ياروكامادور ذات مرة. أكتب لك الآن على المرآة ومن حين لآخر أقوم بتجفيف إصبعى لأنه يبتل بالدموع. لماذا ياروكامادور؟ أنا لست حزينة، أمك هى «الوِحْشة»، لقد التهمت النيران منى el borch الذى أعددته لأوراثيو. سيادتك تعرف من هو أوراثيو ياروكامادور. إنه السيد الذى أحضر لك الأرنب المصنوع من القماش المخملى يوم الأحد. وكان يشعر بكثير من الملل ذلك أن كلينا كنا نتحدث مع بعضنا، وكان هو يريد العودة إلى بابس، وعندئذ أجهشت بالبكاء فما كان منه إلا أن أظهر لك كيف أن أذنى الأرنب اللعبة تتحركان. كان جميلا فى هذه اللحظة، أريد أن أقول إنه أوراثيو. وسوف تفهم يوما من الأيام ذلك الوضع ياروكامادور.

ياروكامادور، من البلاهة البكاء بهذا الشكل، لأن الـ borsch قد التهمت النيران. الحجرة مليئة بالبنجر السكرى ياروكامادور، وسوف تتسلى إذا مارأيت قطع البنجر والكريمة وقد ألقت بكل شئ على الأرض. الحمد لله، فعندما يصل أوراثيو أكون قد انتهيت من تنظيف المكان. لكن علىّ أولا أن أكتب لك. فالبكاء بهذه الطريقة فيه بلاهة شديدة. إذ تلين الكسرولات وترى وكأنها هالات منعكسة على زجاج النافذة. ولم نعد نسمع غناء الفتاة التى تسكن فوق، والتى تغنى طوال اليوم أغنية Les amants du Havre «عشاق ميناء الهافر»، وعندما نكون سويا سوف أغنيها لك. اسمع Puisque la terre es rond, mon amour t'en fait pas, monamour t'en fait pas ... «لاتقلق ياحبيبى طالما أن الأرض مستديرة».

إن أوراثيو يغنى تلك الأغنية صفيرًا عندما يكتب أو يرسم، وسوف تروق لك ياروكامادور، سوف تروق لسيادتك. يغضب أوراثيو كثير لأننى أحب الحديث عنك قبل بيريكو. لكن الوضع فى أوروجواى مختلف. بيريكو هو ذلك السيد الذى لم يحضر لك شيئا ذلك اليوم لكنه كان يتحدث كثيرا عن الأطفال والتغذية. هو يعرف أشياء كثيرة. وسوف يأتى اليوم الذى تحترمه كثيرا ياروكامادور. وسوف تكون غبيا إذا ما إحترمته. إذا ما احترمته .إذا ما احترمته ياروكامادور.

32

ياروكامادور، إن مدام إيرينى ليست مَسْرورة من كونك لذيذا وسعيدا وكثير البكاء والصياح والتبوّل. تقول هذه السيدة إن كل شئ على مايرام، وإنك طفل تثير الإعجاب، وبينما تتحدث تضع يديها فى جيوب المريلة كما تفعل بعض الحيوانات الخبيثة. وهذا مايخيفنى ياروكامادور، وعندما قلت ذلك لأوراثيو ضحك كثيرا. لم يع أننى أسفت لذلك وأنه بالرغم من عدم وجود أى حيوان خبيث يخبئ يديه فإنى أشعر، لا أعرف ما أشعر به، فلست قادرة على تفسيره. آه ياروكامادور لو أستطيع أن أقرأ فى عينيك ماحدث لك خلال الخمسة عشر يوما، لحظة بلحظة. أعتقد أننى سوف أبحث عن قابلة جديدة رغم أن أوراثيو قد يثور ويرغى ويزبد لكن لاتهتم بما يقوله عنى. ستكون مربية لاتتحدث كثيرا ولايهم ماذا تقوله فيما إذا كنت سيئا أو أنك تبكى ليلا أو أنك لاتريد تناول الطعام. لايهم أنها ليست خبيثة عندما تقول لى ذلك، أو تقول لى شيئا لايمكن أن يؤذيك. كل شئ غريب ياروكامادور، فمثلا يطيب لى النطق باسمك وكتابته فى كل مرة ألمس فيها طرف أنفك فتضحك. أما مدام إيرينى فهى عكس ذلك؛ إذ لاتناديك باسمك أبدا؛ إذ تقول «الطفل» تَصَوّر، إنها تقول «الطفل» وتقول «هذا الصعلوك» وكأنها قد وضعت قفازا من الكاوتش لتتحدث. وربما لبست القفاز، ولذلك تضع يديها فى المريلة، وتقول إنك جميل وطيب.

هناك شئ اسمه الزمن ياروكامادور. إنه عبارة عن حيوان يسير ويسير، لايمكن لى أن أشرح لك هذا فأنت صغير جدا، لكنى أريد القول بأن أوراثيو سوف يصل على الفور.

هل أتركه يقرأ رسالتى حتى يقول لك شيئا هو الآخر؟ لا، أنا أيضا لا أريد أن يقرأ أحد رسالة كتبتها لنفسى فقط، إنها سر كبير بيننا ياروكامادور. أنا لم أعد أبكى، أنا سعيدة، لكن من الصعوبة بمكان فهم الأمور. فأنا فى حاجة إلى وقت طويل لأفهم القليل من ذلك الذى يدركه أوراثيو والآخرون على الفور. ورغم ذلك فهؤلاء الذين يفهمون الأمور بشكل جيد لايستطيعون فهمك وفهمى. فهم لايفهمون أننى لايمكن أن أبقيك معى وأطعمك وأغير لك اللفّة وأعمل على أن تنام أو أن تلعب. لايفهمون، وهذا لايهمهم فى الواقع. لكنى أنا التى يهمنى ذلك كثيرا. أعرف أننى لايمكن أن أبقيك معى، فذلك غير سليم بالنسبة لكلينا. فعلىّ أن أكون بمفردى مع أوراثيو وأعيش مع أوراثيو، لست أدرى إلى متى، وأساعده فى البحث عما يبحث عنه، وأنت أيضا تبحث ياروكامادور، فسوف تكون رجلا ،وسوف تبحث كأبله كبير.

32

الأمـر هكذا ياروكامـادور : فـى باريس نبـدو كـأننا طحـالب، وننمـو على درابزينات السـلالم، ونقضـى الوقت فـى حجرات مظلمة تفوح منها رائحة الشحـوم حيث يقوم الناس بممـارسـة الحب طـوال الوقت، وبعد ذلك يقومـون بقلّى البيض ويستمـعون لأسطوانات ڤيڤالدى Vivaldi ويشـعلون السجـائر ويتحدثون مثل أوراثيو وجريجوروفيوس وونج وأنا ياروكامـادور، ومـثل بريكو ورونـالد وبابس. نقوم جـمـيعـا بمـمارسـة الحب وقلى البيض وندخن، آه، لايمكنك أن تعرف كل ماندخنه والحب الذى نمارسه واقفين أو مستقلين أو على الركبتين وباليدين والفم ونحن نبكى أو نغنى، وفى الخارج يوجد كل شئ، فالنوافذ تفتح على الهـواء وهذا يبـدأ بطائر الدورى، أو تسـرب المياة. يسـقط المطر بكثـرة هنا ياروكامـادور أكثر من الريف؛ فتصدأ الأشيـاء والقنوات وأرجل الحمـام والسلوك التى يستـخدمهـا أوراثيو فى صناعة بعض المنحـوتات. لاتكاد توفر لدينا مـلابس، ونحـاول الاكتفاء بالقليل منها مثـل معطف جيد وحذاء لاتتسرب المياة إلى داخله. إننا قذرون جدا، كل الناس قذرون وبهم جمال فى كل باريس ياروكامـادور. والأسرة فيهـا رائحة الليل ورائحـة الكوابيس وتحتـهـا كتب وزنابيـر. وأوراثيو ينام وينتـهى المطاف بالكتـاب تحت السرير. هناك مشاجـرات رهيبة؛ ذلك أن الكتب تختفى ويظن أوراثيو أن أوسيب سرقها منه، ثم تعود للظهور من جديد وتضحك. ولايوجد مكان لأى شئ ولاحتى زوج من الأحذية ياروكامـادور. وحـتى يمكن وضـع طشت الغسيل على الأرض لابد من رفع جهاز الأسطوانانت لكن أين نضعه إذا مـاكانت الترابيزة ممتلئة بالكتب. أنا لايمكن لى أن أبقـيك هنـا، ورغم أنك قـد تكون صـغـيـرا فـلايمكن أن يكون هـناك مـتسـع لك، إذ ستصطدم بالحوائط. وعندما أفكر فى ذلك أجهش بالبكاء ولايفـهم أوراثـيو ويظن أننى سيئـة. وأنه غيـر سليم مـا أفـعله بعدم إحضـارك مـعى هنا رغم أننى أعـرف أنه قـد لايتـحملك وقتـا طويلا. لا أحـد هنـا يتـحملّ وقتـا وطويلا. بما فى ذلك أنا وأنت، يجب العيش فـى صراع، إنه القـانون، والطريقـة الوحيـدة المجـدية، لكنها تؤلم يـاروكامـادور، وهذا قـذر ومـرّ. ذلك لايروق لك أنت الذى ترى أحيـانا الخـراف الصـغيـرة فى الريف أو تسمع العـصـافيـر وهى تقف على دوارة الرياح فوق المنزل. إن أوراثيو يعـاملنى على أننى عـاطفـية، وعلى أننى مـادية، وعلى أننى كل شئ، وذلك لأنى لا أحـضـرك أو لأننى أريد إحضـارك، لأننى أتنازل. ذلك أنى أريد أن أحضـر لأراك، وفجأة أفـهم أنه لايمكن لى الذهاب ولأنى قـادرة على السيـر سـاعة كاملة تحت المطر إذا مـاعرفت أن فى أحد الأحيـاء يعـرض فيلـم بوتيـمكين Potemkin ولابد من مشـاهدته حـتى لو سـقطت السمـاء

32

على الأرض ياروكامادور، ذلك أن العالم لايهم إذا لم يكن عند المرء القوة ليواصل اختياره لشئ حقيقى وإذا ماقام المرء بتنظيم نفسه وكأنه درج ويضعك أنت فى ناحية والأحد فى ناحية وحب الأم واللعبة الجديدة و La gare لوباسان. والقطار والزيارة التى يجب القيام بها. لا أرغب فى الرحيل ياروكامادور وأنت تعرف أن ذلك جيد ولست حزينة. أوراثيو على حق فأنا لا أهتم أحيانا بأى شئ يتعلق بك، وأعتقد أنك سوف تشكر لى هذا يوماً ما عندما تفهم وعندما ترى أن من المناسب أن أكون على ما أنا عليه. لكننى فى الوقت نفسه أبكى ياروكامادور، وأكتب لك هذه الرسالة فلست أدرى وربما كنت مخطئة وربما كنت سيئة أو أننى مريضة أو بى بعض الحماقة، القليل منها، ورغم ذلك فهذا شئ فظيع. الفكرة نفسها تصيبنى بمغص، فأصابع القدم عندى أصبحت كلها فى الداخل. وسوف أمزق الحذاء إذا لم أستطع إخراجها، وأحبك كثيرا ياروكامادور، يابيبى روكامادور، يافص الثوم، أحبك كثيرا أيها الأنف السكرى، أيها الشجيرة ،أيها الحصان اللعبة ..217..

(-132)

33

«تركنى وحدى عمداً،، فكر أوليفيرا وهو يفتح ويغلق درج الكومودينو» إما أن يكون لطفًا أو سفالة من أحط الأنواع، وهذا طبقا لوجهة نظره. فربّما كان يقف على السلم ويتصنت كأنه سادى عتيد. ينتظر الأزمة الكرامازوفية الكبرى، والهجوم الثيلينى Celinesco أو أنه يسير على أحد أطراف قدميه الهَرْسَكّية، وعند الكأس الثانية Kusch أى فيما يتعلق بـ Bebert بعد التاروت الذهبى ويطرح تقاليد صعود أدجال. إنه تعذيب للجسد على مذبح الأمل: مونتفيديو، نهر السين، أو لوكا. وتنويعات أخرى: المارنى Marne و.Perugs لكن عندئذ، سيادتك، فى واقع الأمر...».

أشعل سيجارة جلواز مستخدما ما بقى من السيجارة السابقة، ونَظَرُه فى الدّرج مرة أخرى. أخرج الرواية وهو يفكر بشكل غامض فى الأسى وهو موضوع النظرية. الأسَى لنفسه: كان ذلك أفضل «لم ابغ السعادة أبدا» فكرٌ وهو يقلبٌ صفحات الرواية بطريقة بغير انتباه: ليس ذلك حجّة أو تبريراً... لسنا فى هذا العالم إذن. لماذا سأشعر بالأسى نحوها؟ هل لأنى وجدت رسالة موجهة لابنها وفى الحقيقة هى فى الأساس إلىّ أنا؟ أنا، مؤلف الرسالات الكاملة إلى روكاما دور. لايوجد أى سبب للشعور بالأسى. فأينما كانت يظل شعرها كأنه برج يكوينى من بعيد وتمزقنى بغيابها. تريدن تريدا. سوف تنظم أحوالها جيدا بدونى وبدون روكامادور. إنها ذبابة زرقاء رائعة تطير نحو الشمس وتصطدم أحيانا بالزجاج، ينزف أنفها. وتحدث المأساة. وبعد ذلك بدقيقتين تستعيد سعادتها وتقوم بشراء تمثال صغير من إحدى المكتبات، وتعود جريا وتضعه فى ظرف وترسل به إلى واحدة من صديقاتها الهائمات اللاتى لهن أسماء إسكندينافية واللاتى انتشرت فى بلاد غاية فى الغرابة. كيف يمكن أن تأسى لحال قطة أو لحال لبؤة؟ إنها ماكينات الحياة والبرق الكامل. وخطئى الوحيد هو أننى لم أكن قابلا للاحتراق بما فيه الكفاية حتى يمكن لى تدفئة يديها ورجليها كما تريد. إنها اختارتنى كالعلّيقة المشتعلة وأنا الآن بالنسبة لها إناء ماء تحمله على عنقها. مسكينة، ياللكارثة.»

فى سبتمبر عام 80، بعد شهور قليلة من وفاة/ والأشياء التى تقرئينها هى قصة مكتوبة بشكل سيئ للأسف/ والدى، قررت الابتعاد عن عالم التجارة، وتركته/ طبعة

34

فاسدة، ويتساءل المرء كيف يمكن أن يهتم/ إلى شركة أخرى تقوم بصناعة نبيذJereg لها سمعتها الطيبة مثل تجارتى؛/ بشئ من هذا القبيل. والتفكير فى أنه قد انقضت ساعات كاملة يلتهم/ قمت بطلب الائتمانات بما استطعت، وأجرّت العقارات ونقلت/ هذه الشورية الباردة وفاسدة الطعم، الكثير من القراءات التى لا تُصدَّق،/ الخمّارات ومتعلقاتها، وذهبت للعيش فى مدريد./ وهى مَجَلّتى Fnanc Sain و Elle ، المجلات الحزينة التى كانت تعيرها لها/ أما عمى (العمومة من الأب) السيد رفائيل بوينو/ بابس. وذهبت للعيش فى مدريد وأتصور أنه بعد أن/ جوثمان وأتايدى، فقد أراد لى أن أسكن فى منزله إلا أنتى. التهمت خمس أو ست صفحات ينتهى الأمر بالمرء بتداخل التروس مع بعضها/ قاومتُ ذلك حتى لا أفقد استقلالى. وتمكنت فى نهاية الأمر/ ومن الصعب عليه البعد عن القراءة، وهو أمر قريب بعض الشئ من عدم التمكن/ من التوصل إلى حل وسط، موفقًا بين/ من النوم أو التبوّل، إما الإذعان أو السيّاط أو اللعاب./ حريتى المريحة وبين احترام رغبة قريبى/ استطعت فى النهاية التوصل إلى حل وسط، يالها من لغة/ بأن استأجرت حجرة قريبة من مسكنه ووضعت نفسى/ مكونة من جمل سابقة السكّ وذلك لنقل أفكار شديدة التعفّن،/ فى المكان المناسب حيث يمكن لى أن أكون بمفردى عندما أريد أو التمتع. والعملات من يد ليد ومن جيل عفونة،/ بدفء الجو الأسرى عندما يكون ذلك ضروريا كان يعيش/ بأقصى حالات الاضطراب اللغوى الاستمتاع بدفء الجو الأسرى/ السيد الطبيب، أريد القول. كنا نعيش فى الحىّ الذى/ ذلك جيد، حقا إنه جيدّ. آه ياما كيف أمكنك ابتلاع/ بنى فى المكان الذى كانت به صوامع الغلال. أما حجرة/ هذه الشوربة الباردة وما معنى الصوامع؟ تشى. قضيت ساعات طويلة/ عمى فقد كانت رئيسية بسعر ثمانية عشر ألف ريال، كانت حجرة جميلة وجوها مرح،/ وأنا أقرأ هذه الأشياء، وربما كنت على قناعة بأنها كانت/ إلا أنها لا تكفى لعدد كبير من أفراد الأسرة. أما أنا فقد أخذت الدور الأرضى، الحياة، وكنت على حق إنها الحياة، ولهذا يجب القضاء/ الذى هو أقل بعض الشئ من الرئيس، لكنه واسع/ عليها. (الرئيس، ما هو ذلك؟). وفى بعض

34

الأمسيات/ بحيث يزيد عن حاجتى وحدى، وزينته بأبهى أنواع الزينة ووضعت فيه.
خطر لى أن أتأمل كل الفترينات الموجودة فى/ كل وسائل الراحة التى تعودت عليها./
القسم المصرى الكائن فى اللوفر، وكنت أعود وأنا شديد الرغبة فى تناول الشاى/
حمدا لله أن كان ما معى من المال يكفينى وزيادة./ والخبز بالسكريا، كنت ملتصقة
بالنافذة، ومعك/ كانت انطباعاتى الأولى هى الشعور بالمفاجأة الطيبة فيما يتعلق/
قصة ضخمة وغير جيدة، وأحيانا ما يصل بك الأمر إلى البكاء، نعم/ بشكل مدريد؛
حيث لم أكن أعيش هناك منذ/ لا تنفى ذلك، كنت تبكين ذلك أنهم قاموا بقطع رأس/
زمن جونثا لويرابو[٢]. وما كان مثار العجب/ أحد ما فكيف تحضنينى بكل ما أوتيت
من قوة، وكنت تريدين أن تعرفى/ هو جمال واتساع الأحياء الجديدة والوسائل/ إلى
أين ذهبت لكنى لم أقل لك ذلك لأنك كنت/ التجريبية للاتصال، والتحسن الواضح
على/ عبارة عن عبء فى متحف اللوفر، ولا يمكن السير وأنت إلى جانبى./ واجهة
المبانى، والشوارع وحتى الناس./ كان جهلك يتسبب فى تعكير صفو أى متعة أيتها
المسكينة/ والحدائق الرائعة الجمال التى أنشت فى الميادين/ وحقيقة السبب فى ذلك
هو أنك كنت تقرئين قصصا كبيرة وسيئة كانت عندى/ التى كانت متربة، وكذلك المبانى
الفخمة التى أقامها الأغنياء وكذلك/ على سبيل الأنانية (الميادين المتربة)، حسن، إننى
أفكرّ فى/ المحلات الكثيرة والفخمة وهى ليست أقل من/ ميادين القرى التابعة
للمحافظات أو فى شوارع لاديوخا/ تلك التى توجد فى باريس أو لندن وهى ترى من
الخارج، وأخيرا هناك/ عام اثنين وأربعين، حيث الجبال البنفسجية اللون عند مغيب
الشمس/ وفرة من المسارح الجميلة المهيأة لكل الطبقات والأذواق والقدرات المالية./
تلك السعادة المتمثلة فى أن يعيش المرء وحده فى أبعد منطقة فى العالم، والمسارح/
وقد جعلنى هذا الذى لاحظته على المجتمع بعد ذلك/ الجميلة. عن أى شىء يتحدث ذلك
النمط؟ لقد أشار هنا إلى/ أدرك التغيرات الحارة التى طرأت على/ إلى باريس وإلى
لندن، وتحدث عن الأذواق عن الثروات/ عاصمتنا منذ عام ٦٨؛ إذ إن التقديم كان
يشبه القفزات/ ها أنت ترين يا ماجا ها أنت ترين. فهذه العيون تجرّ نفسها/ التى تتم
كيفما اتفق بمثابه السير بخطى ثابتة من تلك التى يقوم بها من/ بشكل ساخر وتذهب
إلى حيث تذهبين وقد اعترتك الانفعالات، وأصبحت مقتنعة/ يعرفون إلى أين هم

34

ذاهبون؛ إلا أنها لم تكن مع ذلك أقل واقعية. فى/ بأنك كنت ترتكبين عملا بربريا؛ لأنك كنت تقرئين/ كلمة واحدة شعرت بحساسية فى أنفى من ثقافة الأوربيين،/ لأحد الروائيين الإسبان الذى تظهر صورته على الغلاف من الداخل،/ والحياة الرغْدَةِ والثروة والعمل.

لكن النمط كان يتحدث عن حساسية من الثقافة الأوربية والعمل، وكنت/ عمى هو رجل أعمال شهير فى مدريد./ مقتنعة بأن تلك القراءات تساعدك على فهم/ كما شغل مناصب هامة فى زمن سابق فى/ الكون الصغير والكون الكبير، وغالبا ما كان يكفى أن/ الحكومة: شغل منصب القنصل الأول، وبعد ذلك شغل منصب ملحق. أصل أناصى تقومين إلى درج الترابيزة الخاصة بك وتخرجين - فقد كان عندك/ فى السفارة، وبعد ذلك أجبره الزواج على أن يستقر به المقام فى/ ترابيزة عمل وذلك لا يمكنك أن تتركيه أبدا/ البرلمان، كما خدم لبعض الوقت فى دائرة المالية بدعم وتشجيع/ فقد أدركت ماهية وطبيعة العمل الذى يمكن أن تؤدينه على/ برابو موريو(٣)، وفى نهاية المطاف فإن احتياجات أسرته/ هذه الترابيزة نعم، كنت تستخرجين من الدرج صفحة وعليها قصائد/ دفعته إلى التخلى عن الأمان المزعج المتمثل فى الراتب/ لـ تريستان الأيرميت T.L. Hermite، على سبيل المثال أو محاضرة لبوريس/ والدخول فى عالم الآمال والمغامرات الخاصة بالعمل الحرّ، وكانت/ دى شوليزير، وكنت ترينني إياها مترددة بعض الشئ/ طموحات متواضعة، حيث الاستقامة والنشاط والألمعية والعلاقات/ وعلى شئ من الخيلاء، كمن اشترى أشياء عظيمه وسوف يقوم/ المتعددة. كرّس جهده فى موضوعات مختلفة وبعد مرور/ بقراءتها فى الحال. لم تكن هناك حيلة/ بعض الوقت مستغرقا فى مثل تلك المهام كان يشعر بسعادة فيما يقوم به/ لافهامك بأنك لن تصلى إلى أى شئ بهذه الطريقة/ وبأنه أجلّ كل الملفات إلى أجل غير مسمى وكان يعيش من ذلك/ وأن هناك أشياء قد تأخر المرء كثيرا فيها وأخرى سابقة/ مع هذا، بأن يوقظ النائمين فى الأرشيف/ لأوانها، وكنت دوما على وشك فقدان الأمل/ وباعث الهمة فى نفوس هؤلاء الذين هم على المكاتب مهيئا/ وفى مركز السعادة والمرح، كان/، بكل ما فى وسعه، الطريق لبعض الذين حادوا عن القضبان./ هناك ضباب كثيف فى قلبك الحائر. وباعث الهمة/ كانت صداقاته تساعده وهى صداقات لأناس من هذا الحزب أو ذلك الآخر،/ فى نفوس هؤلاء الذين هم على المكاتب، لا، لا يمكن أن تفعل هذا معى/ وكذلك علية القوم الذين كان يعرفهم فى كل مؤسسات الدولة./ من

34

أجل ذلك، فكمتبك هو مكتبك وأنا لم أضعك هناك/ لم تكن هناك أبواب مغلقة بالنسبة له. ويمكن الظن بأن/ أو آخذك من هناك، كنت أنظر إليك فقط وأنت تقرئين رواياتك/ البوابين فى الوزارات المختلفة يدينون له بوضعهم ذلك/ وتتفحصين أغطية ورسوم صفحاتك/ وكانوا يحيونه على اعتبار أنه من المكان. سمعت ذات مرة أنه خلال بعض الفترات/ وأشجعك، وأن أقوم بفعل أشياء تأمل كل امرأة أن يقوم الرجل/ قد كسب الكثير من المال، وذلك بأن شارك فى بعض موضوعات/ بأدائها نحوها، وأن يقوم ببطء يلف خيط حول خصرها/ شهيرة متعلقة بمناجم الفحم والسكك الحديد، لكن، وفجأة تجعلها تطنطن وتلف حول نفسها، وأن يعطيها الحافز الذى/ كانت كرامته المتوجسة عائقا أمامه فى أحيان أخرى،/ ينتزعها من شغل الإبرة أو الكلام،/ عندما استقر بى المقام فى مدريد، كان وضعه المالى،/ الكلام الذى لا يتوقف بشأن الكثير من الموضوعات المتعددة/ على ما يرام طبقا لظواهر الأمور. لم يكن يفتقر إلى/ الناجمة عن اللاشىء. انظرى إذا كا كنتُ مخيفا وما الذى لدىّ/ شئ، لكن لم تكن لديه مدّخرات، وهذا فى الحقيقة لرجل أخذت حياته تقترب/ أن علىّ أن أفقدك (ولا حتى أفقدك، قبل أن/ من نهاية المطاف، ولم يكد يتوفر لديه الوقت حتى يتمكن/ يكون على أن أكسبك)، وهذا فى الحقيقة. كان شيئا غريب بالنسبة/ من استعادة الأرض التى خسرها.

لرجل، مداهن، منذ فترة طويلة/

كان آنذاك رجلا أكثر شبابا مما يبدو عليه لم تُسمَع تلك الكلمة، كيف أخذت لغتنا نحن الذين من أصل/ كان يرتدى الثياب الأنيقة التى يرتديها الشباب، مهذب و/ كرييّو Criallo، فعندما كنت صغيرا كنت أعى الكثير من المفردات/ مميزا. كان يحلق دقنه كلها وشاربه وأصبحت هذه العادة/ أفضل من الوقت الراهن، وكنت أقرأ تلك الروايات، وكانت لدى حصيلة/ التى تمسك بها كنوع من الوفاء للجيل السابق/ هائلة من المفردات غير أنها غير مجدية على الإطلاق،/ الذى تنسب إليه تلك العادة. كانت رقته ولطف معشره/ مهذبا ومميزا، نعم هو ذلك. كنت أتساءل عمّا إذا كنت/ من الصفات المتوازية، ولم ترجع أبدا كفتهما إلى جوار الأسرية غير المتأنية/ تضعين نفسك فى بنية هذه الرواية، أو أنها تكون لك/ أو إلى العجرفة. ففى الحوار تكمنى/ بمثابة حافز

لتذهبى إلى هناك، إلى بلادك العجيبة/ قيمته الأساسية وكذلك نقطة ضعفه، فلما كان يعرف/ حيث كنت أحسدك بلا جدوى بينما تحسدينني أنت على/ قدرته على الكلام كان يضعف أمام الرغبة فى الدخول فى/ زياراتى لمتحف اللوفر، والتى كنت تشكّين فى فحواها رغم أنك لم تقولى/ التفاصيل الصغيرة ويطيل حكاياته بشكل مرهق. فأحيانا/ شيئا. وهكذا أخذنا نقترب إلى ذلك كان لابد/ يبدأ السرد من البداية وينمق حكاياته بتفاصيل صبيانية/ أن يحدث ذات يوم عندما قد تستوعبين جيدا أننى/ مغرقة فى التفاصيل، وكان من اللازم أن تقول له أن بحق الله/ لن أعطيك إلا جزءا من وقتى ومن/ عليك أن تختصر. وعندما كان يتحدث عن حادثة قنص (وهى ممارسة/ حياتى، وأن يطيل حكايته بشكل مرهق/ يعشقها كثيرا)، كان يقضى وقت طويلا/ هو ذلك بالضبط، وأصبح أنا ثقيل الظل حتى أسترد ذاكرتى/ بدءا بالاستهلال وحتى لحظة خروج الطلقة، وهذا يؤدى بالمستمع/ لكن كم كنت رائعة فى النافدة، حيث ينعكس اللون الرمادى للسماء على/ إلى أن تصعد روحه إلى بارئها التسرية عن نفسها من الموضوع/ خدّك وتمسكين بالكتاب فى يديك وفمك دائما/ وعندما يسمع صوت السقوط، كان يشعر ببعض الفزع. لست أدرى/ به بعض النهم والعيون متشككة. لقد ضاع وقت طويل/ فيما إذا على أن أحسب سخطه المستمر، على جهاز الدمع/ معك، وكنت كنوع من القوالب الذى/ كعيب فيه أم لا فأحيانا، خاصة فى الشتاء يجعل/ كان من الممكن أن تكونى هو تحت نجم آخر، وبذلك يكون أخذك بين ذراعىّ/ عيناه مبللتان وحمراوان وكأنه يبكى/ وممارسة الحب معك مهمة شديدة الحنو/ وتنزل دموعه مخاطا ولعاباً. لم أعرف رجلا/ وشديدة الاقتراب من حالة السُكر. وهنا كنت أخدع نفسى/ لديه هذا العدد الهائل والمتنوع من المناديل المطرزة على اليد. ولهذا/ وكنت أترك نفسى لأسقط فى ذلك الفخار الأبله الذى عليه المثقف/ وللعادة التى كان عليها قى التباهى بالمنديل الأبيض فى يده/ الذى يظن نفسه مهيأ للفهم (وتنزل دموعه مخاطا ولعابا؟)،/ اليمنى أو فى كلتا يديه، كان صديقى، الأندلسى،/ لكنه وببساطة تعبير قذر) كان مجهزا/ يجب المزاح وهو إنسان طيب، لكننى سوف أتحدث عنه بعد ذلك،/ لفهم إذا كانت هناك رغبة فى الضحك يا ماجا. سمعت وذلك هو فقط/ يطلق على عمى فيرونيكا.

34

من أجلك ولا تقصيه على أحد. ياماجا إن القالب/

كان يعبر لى عن مودته الصادقة، وخلال الأيام الأولى/ المفزغ هو أنا، وكنت ترتعدين، وكأنك لهب نقي وحر/ لإقامتى فى مدريد لم يبتعد عنى وذلك ليساعدنى/ وكأنك نهر من الزئبق، وكأنك التغريدة الأولى/ فى كل ما يتعلق بإقامتى ويساعدنى فى آلاف الأشياء./ للعصفور عندما يشقشق النهار، ومن الجميل أن أقوله لك/ وعندما كنا نتحدث عن الأسرة وأتناول أنا موضوع/ مستخدما الكلمات التى تملك شغاف قلبك، ذلك أنك لم تكونى تعتقدين أن/ ذكريات طفولتى والطرائف التى تحدث من والدى كان يداخل/ ذلك لايوجد خارج دائرة قصائد الشعر وأن من حقنا استخراجها/ العم الطيب نوع من القلق العصبى، والحماس المحموم/ إلى أين ذهبت، وأين سنكون اعتبارا من اليوم، إننا نقطتان/ للشخصيات العظيمة التى رفعت من شأن/ فى كون غير مفهوم، قريبتان أو بعيدتان، إننا نقطتان تبدعان/ لقب بوينودى جوثمان ويخرج المنديل وينوه لى بحكايات/ خطا، نقطتان تبتعدان وتقتربان بشكل/ لا تنتهى. كان يرانى بمثابة آخر سلسلة/ عشوائى (للشخصيات العظيمة التى رفعت من شأن لقب بوينو/ الذكور فى سلالة تتسم بالموصفات الثرية و،/ دى جوثمان، لكن انظرى إلى ذلك التكلف الذى عليه هذا النمط يا ماجا/ كان يداعبنى وينظر إلىّ وكأننى طفل صغير رغم/ كيف أمكنك تجاوز الصفحة الخامسة...) لكن لن أشرح/ إننى أبلغ من العمر ست وثلاثين عاما.. عمى المسكين! فى ذلك الإفصاح عن/ لك ذلك الذى يسموّنه حركات بدونويدس brownoideos، وبالطبع/ عن الودّ والعطف كان يزيد نبع عينيه/ لن أشرح لك ذلك ورغم هذا يا ماجا فكلانا/ وأكتشف وجود أَلَمْ سرًى وشوكة)/ يقوم بتشكيل نموذج. فأنت عبارة عن نقطة فى مكان ما/ رقيقة مغروزة فى قلب ذلك الرجل الرائع./ أما أنا فنقطة أخرى فى مكان ما وأخذنا ننتقل، فربما أنت الآن/ لست أدرى كيف أمكننى اكتشاف ذلك: لكن كنتُ/ فى شارع هاشيت، أما أنا الآن، فأكتشف فى حجرتك/ على يقين من وجود الجرح الذى يحاول أن يداريه وكأننى أراه/ الخالية هذه القصة، وغدا سوف تكونين فى شارع جار دى ليون Gare de lyon (إذا/ بعينىّ هاتين وألمسه بأصابعى. كان خيبة أمل/ما ذهبت إلى لوكا يا حبى) أما أنا ففى شارع شيمين فير Chemin vert،/ عميقة ومسيطرة والأسف لأننى غير متزوج/ حيث اكتشفت نوعا رائعا من النبيذ ورويدا/ بواحدة من بناته الثلاث، إنه التناقض فى المشاعر الذى

34

لا منجى منه ذلك/ رويدا يا ماجا أخذنا نكوّن نموذجا غير معقول،/ أن بناته الثلاث! يالأسف! كن قد تزوجن.

ونرسم بحركتنا نموذجا مماثلا لذلك ترسمه الذباب عندما يطير فى أجواء حجرة وينتقل من هنا إلى هناك، وفجأة يغير مساره وسط الطريق ومن هنا إلى هنا، ذلك هو ما يطلق عليه الحركة البدونويديس، هل تدركين الآن؟ إنها نوع من الزوايا المستقيمة وخط يصعد من هنا إلى هناك ومن العمق حتى الواجهة وإلى أعلى وإلى أسفل مصحوب بالتقلصات؛ حيث يتوقف فجأة ثم يبدأ فى السير فى اللحظة ذاتها، ولكن فى اتجاه آخر، كل ذلك يضع رسما ونموذجا وشيئا غير موجود مثلك ومثلى مثل النقطتين التائهتين فى باريس؛ حيث تنتقلان من هنا إلى هناك مانعة رسمها، وترقصان من أجل لا أحد ولا حتى لنفسيهما .إنه نموذج لم ينته وغير مفهوم.

35

نعم يا بابس نعم. نعم يا بابس، لنطفئ النور darling، تصبحين على خير.

نوما هادئا، الخروف الصغير تلو الآخر، ها قد انقضى كل شئ أيتها الصغيرة، ها قد انقضى. الجميع يتصرفون بشكل سيئ جدا مع المسكينة بابس، سنلغى أسماءنا من قوائم النادى حتى نعاقبهم. الجميع يتصرفون بشكل سيئ جدا مع المسكينة بابس، فإيتين سيئ وبيريكو سيئ وأوليڤيرا سيئ. هذا الأخير هو أسوأهم جميعا. إنه ذلك العضو فى محاكم التفتيش كما وصفته بذلك الجميلة، الجميلة بابس نعم يا بابس نعم.

Rok -a- bye- baby تورا ـ لورا ـ لورا ـ نعم يا بابس نعم. وعلى أى الأحوال كان لابد أن يقع شئ فلا يمكن معاشرة هؤلاء الناس دون أن يحدث شئ، تشر، بيبى، تشى. حسن، ها قد نامت فى هدوء. لقد انتهى النادى يا بابس، وهذا أكيد. فلن نرى أورايثو بعد ذلك أبدا، إنه الضالّ أورايثو. لقد تحطم النادى هذه الليلة وكأنه قطعة من الكيك بلغت السقف والتصقت به. يمكن لك الاحتفاظ بالقلاية يا بابس. فلن ينزل أكثر من ذلك ولا تظلى هكذا فى حالة انتظار. تشى، darling لا تبكى. يالها من حالة سكر تمرّ بها هذه المرأة لدرجة أن روحها تفوح منها رائحة الكونياك.

تزحلق بروناك بعض الشئ، واتكأ على بابس، وعليه النوم. نادى، أوسيب، بيريكو فنتالسك؛ لقد بدأ كل شئ لينتهى، مثل الآلهة الغيورة والبيضة المقلية المخلوطة بأوليڤيرا، والسبب المحدد يكمن فى البيضة المقلية اللّعينة. وطبقا لرواية إيتين لم تكن هناك حاجة لإلقاء البيضة فى الزبالة، إنها رائعة تلك الألوان الخضراء المعدنية، وقد غضبت بابس على طريقة هوكوزاى Hokusei: كانت رائحة البيضة كأنها رائحة القبور التى تؤدى بالإنسان فكيف يمكن أن يجتمع النادى على بعد خطوتين من البيضة وأجهشت بابس بالبكاء فجأة، وصعد تأثير الكونياك عليها إلى أقصى درجة. أدرك رونالد أنه بينما تتم مناقشة موضوعات أبدية كانت بابس قد تناولت وحدها أكثر من نصف زجاجة كونياك، وكان الهدف من البيضة المقلية هو التقليل من تأثير الكونياك ولم يستغرب أحد وخاصة أوليڤير أن بابس سوف تقوم من خلال قلى البيضة بهضم عملية الدفن شيئا فشيئا. وأن تعد نفسها، فى خضم الزغطة وخفقان القلب لتطرد من أمعائهاكل ما يتعلق بالطفل وباقى ما عندها. كانت الابتسامات التى حاول وونج أن تسود بين بابس وأوليڤيرا الساهى عن اللحظة، غير مجدية. لم تجد أيضا الإشارات إلى طبعة. مقابلة لغة OiL بلغة OC والفرنسى البروفنسالى يبين Allier- Linites و Loire: هناك تناغم صوتى وأصول صرفية طبقا لتأكيد وونج من خلال س. إسكوفير "S.tscoffier" وهو كتاب له أهمية عظمى استماع أوليڤيرا حكاية رجل محاكم التفتيش (المتسلط)، وأن يرفع حاجبيه علامة على الحيرة والإعجاب، وأمعن النظر

35

لجريجوروفيوس، وكأن هذا الأخير يمكن أن يوضح له النعت. كان النادى يعرف أن بابس وقد أفلت عقالها هى بابى المنجنيق. وقد وقع ذلك أكثر من مرة. والحل الوحيد هو التحلق حول محررة المحضر والمكلفة بالبوفية فى انتظار أن يفعل الوقت فعله، فلا يوجد بكاء أبدى ذلك أن الأرامل يتزوجن من جديد. لا يمكن عمل شئ، فقد سكرت بابس وأخذت تترع بين المعاطف والكوفيات الخاصة بأعضاء النادى، وتعود من الردهة وتريد أن تصفى حساباتها مع أوليفيرا، وكانت هذه هى اللحظة المناسبة لحديث مع أوليفيرا بأمر رجل محاكم التفتيش، والتأكيد بطريقة مسيلة للدموع على أنها فى حياتها الكلابية تعرفت على إنسان ما شديد الانحطاط، وغليظ القلب، وابن قحبة، وسادى، وخبيث، وجلاد، وعنصرى، ولا يستطيع أن يفعل الحد الأدنى من الخير، كومة قمامة وعفن، وكومة إخراج بشرى وقذر ومريض بالزهرى، وقد تلقى بيويبكو هذه الأشياء بفرح غامر وكذا إيتين. كما كانت مثار تعليقات متناقضة من الآخرين ومنهم العضو الجديد المختص به.

كانت بابس الزوابع وإعصار الجنس الإقليمى: أصبحت المنازل بوريه. حتّى أعضاء النادى رؤوسهم وتدثروا بالمعاطف الواقية من المطر وأمسكوا بالسجائر بكل قواهم. وعندما تمكن أوليفرا من قول شئ ساد صمت مسرحى. قال أوليفيرا إن اللوحة الصغيرة لنيكولاس دى ستايل[1] Nicolas Destael جميلة جدا، وأن ونج الذى أثر علينا كثيرا بحديثه عن أعمال إسكوفيير Escoffier يجب عليه أن يقرأها ويلخصها فى إحدى الجلسات القادمة للنادى. فنعتته بابس مرة أخرى بأنه رجل محاكم التفتيش، ومن المؤكد أن أوليفيرا فكر فى شئ مسلٍ إذا ابتسم. صفعته بابس على وجهه. فما كان من أعضاء النادى إلا اتخاذ إجراءات سريعة. وابتعدت بابى وهى تبكى وتصرخ وقد أمسك بها وونج برقة متدخلاً بينها وبين رونالد الذى اعتراه غضب شديد. وتحلق أعضاء النادى حول أوليفيرا بحيث أصبحت بابس خارجة عن الحلقة وقد قبلت بـ (أ) الجلوس على أحد الكراسى و (ب) منديل بيريكو. لابد أن التحديدات الخاصة بشارع مونج Mange قد بدأت فى تلك اللحظات، وكذلك أيضا حكاية لاماجا السامرية، كما كان يبدو لرونالد - الذى كان يرى خيالات خضراء وهو يغالب النعاس - إن أوليفيرا سأل دونج فيما إذا كان صحيحا القول بأن لاماجا كانت تُرَى فى شقة مفروشة فى شارع/ مونج، وربما كان ردّ وونج بأنه لا يعرف أو قال إنه يعرف كما أن هناك أحدهم، ومن المحتمل أنها بابس التى أخذت تبكى بصوت عال وهى جالسة على الكرسى ثم عادت لسّب

35

أوليفيرا وألقت فى وجهه إنكار ماجا السامرية لذاتها إلى جوار سرير بولا المريضة. كما أن أوليفيرا أخذ فى تلك اللحظة يضحك وينظر بصفة خاصة إلى جريجوروفيوس، ثم طلب المزيد من التفاصيل حول هذا التفانى من جانب ماجا، وأى عدد إلى آخر ذلك من البيانات الجديرة بسجل العقارات. والآن كان روناك يحاول أن يمد يده ويضعها بين ساقى بابس التى كانت تزأر وكأن زئيرها يأتى من بعيد. كان يطيب لروناك وأصابعه تائهة فى هذه الأراضى الدافئة. كما أن بابس هى العنصر الذى أسفر عنه سرعة حل النادى، وكان من الضرورى توبيخها فى اليوم التالى: هى - أشياء - لا - تُفْعل. لكن النادى كان يحيط بأوليفيرا بشكل أو بآخر، وكأن هناك محاكمة مخجلة. وقد أدرك أوليفيرا ذلك قبل أعضاء النادى أنفسهم فقد جلس وسط الحلقة وأخذ يضحك والسيجارة فى فمه ويديه فى جيوب المعطف الواقى من المطر، وبعد ذلك سأل (لم يسأل أحد بعينه إذ كانت نظرته تقع فوق الرؤوس المتحلقة حوله) فيما إذا كان النادى ينتظر غرامة كبيرة أو شيئا من هذا القبيل. لكن النادى لم يدرك هذا السؤال فى اللحظات الأولى أو أنه فضل عدم فهم السؤال باستثناء بابس التى عادت للصراخ ووصفته بأنه رجل محاكم التفتيش وهى جالسة على الكرسى ويمسك بها روناك وكانت كلماتها ترن وكأنها إيقاع جنائزى فى - تلك - الساعة - المتأخرة - من - الليل - عندئذ أمسك أوليفيرا عن الضحك وكأنه قبل بالحكم الصادر فجأة (رغم أن أحدا لم يكن يحاكمه فالنادى لم يكن هدفه ذلك) وألقى بالسيجارة على الأرض ودهسها بحذائه، وبعد لحظة ابتعد قليلا عن إيتين لتفادى يده التى كانت تتحرك بطريقة غير حازمة. وتحدث بصوت منخفض وأعلن إلغاء عضويته من النادى وهو قرار لا رجعة فيه، وأن النادى الذى بدأ به واستمر مع الجميع يمكن أن يذهب إلى الجحيم.

Dont acte

(121)

36

أصبح شارع دافين غير بعيد، وربما كان من المناسب التوجه إلى هناك للتأكد مما قالته بابس. ومن المؤكد أن جريجوروفيوس عرف منذ اللحظة الأولى أن لاماجا، على عاداتها المجنونة، قد تذهب لزيارة بولا. إنها الصدفة، لاماجا السامرية. اقرأ El crgade «المُعجَنّ» هل انقضى النهار دون أن تقوم بعملها الطيب؟ كان الأمر مضحكا. كل شئ كان يثير الضحك، وربما أمكن القول بأن كانت هناك ضحكة كبرى وذلك ما يسمونه التاريخ. الوصول إلى شارع دافين والطرق بخفة على باب الحجرة الكائنة فى آخر دور ثم لا تظهر لاماجا، التى تدعى لوثيا، لا؛ كان ذلك تصورا زائدا عن الحد. وهى تحمل إناءً للبصاق فى يدها أو إناء لرى الزرع. لا يمكن أن ترى المريضة، فقد تأخر الوقت كما أنها نائمة.

إنه أسموديو[1] Asmodeo أو أنهما تركتاه يدخل وقدمتا له القهوة، لا، الأسوأ من ذلك، وأنهما فى لحظة من تلك اللحظات أجهشتا بالبكاء، ولما كان البكاء معديا فسوف يبدأ ثلاثتهم فى البكاء حتى يتصافوا، وعندئذ يمكن أن يحدث أى شئ. فالنساء اللاتى تعانين من الجفاف مرعبات. أو أن يجعلاه بعد عشرين نقطة من خلاصة نبات ست الحسن الواحدة تلو الأخرى. يجب على، فى حقيقة الأمر، أن أغادر ـ قال أوليڤيرا لقط أسود فى شارع دانتون ـ فهناك واجب جمالى، وهو أن علىّ أن أكمل التمثال. ثلاثة. الرقم. لكن لا يجب نسيان أورفيو Crfec. وربما قمت بحلق رأسى أو ملئها بالرماد أو الوصول إلى حالة التسول. فلم أعد ذلك الذى عرفتاه أيتها النساء. بهلوان، ومهرج، ليلة de empusas، حيوان خرافى lamias، ثقل ظل ونهاية النمرة الكبرى. ياله من أمر مثير للملل أن يكون المرء هو نفسه طوال الوقت. لا مناص منه. لن أراهما بعد ذلك أبدا. وهو مكتوب. وأنت ماذا فعلت بشبابك. إنك عضو محاكم التفتيش. فى الحقيقة هذه الفتاة تخرج علينا بنماذج هو على أى حال عضو تفتيشى على نفسه، وعندئذ .... شاهد القبر المناسب: **كان ضعيفا أكثر من اللازم.** لكن محكمة التفتيش الضعيفة هى محكمة رهيبة فهى تعذيب بالرًهنة ونيران من النشا، ورمال متحركة، وحيوان الرنّة يمتص وهو جاثم على الصدر. وجوهر الأمر هناك الكثير من الرحمة وأنا الذى كنت أتصور نفسى بلا قلب. لا يمكن عشق ما أرغب فيه وبالشكل الذى أرغبه، أضف إلى ذلك مقسمة الحياة مع الآخرين كان لابد من أن يعرف المرء كيف يعيش وحده، وأن يفعل الحب الشديد فعلته، فإما أن ينقذنى أو يقتلنى لكن بدون شارع دافين، وبدون الصغير الذى

36

ماَت، وبدون النادى وباقى الأعضاء.

ألا تعتقد ذلك سيادتك تشى؟

لم ينطق القط بأى شىء

كان الطقس أقل برودة على ضفاف السين عنه فى الشوارع. رفع أوليڤيرا ياقة المعطف وذهب ليتأمل المياة. ولما لم يكن من أولئك الذين يتحرون بحث عن أحد الكبارى ليقف تحته ويفكر قليلا فى أمر الكيبوتز. فمنذ لحظات وفكرة الكيبوتز تراوده. إنه كيبوتز الرغبة، «من المثير للفضول أن تظفر إلى الذهن عبارة كهذه وليس لها أى مدلول، كيبوتز الرغبة، وفى المرة الثالثة لظهورها أخذت تتضح شيئا فشيئا، وفجأة اكتشف أنها ليست جملة لا معقولة وعلى سبيل المثال فإن جملة مثل: الأمل ذلك الوهم يعتبر لا معقولا. فما هى إلا موجز شديد الاختصار والغموض للسير هائما، من قرصنة إلى أخرى. كيبوتز. مستمرة، ومستوطنة، وركن يتم اختياره لإقامة آخر قيمة حيث يخرج المرء إلى الهواء الطلق ليلا ووجهه يغسله الزمن ويتحد بالعالم. ويعمد إلى الجنون الأكبر وإلى المجازفة العظمى والانفتاح على بلورة الرغبة، الانفتاح على اللقاء. حذار يا أوراثيو أشار أوليڤيرا وهو يجلس على أحد المتاريس تحت الكوبرى، وهو ينصت إلى شخير المتسولين وهم تحت طبقة من ورق الصحف.

لم يكن أمرا مؤلما أن يسلم نفسه للحزن ولو مرة واحدة، أشعل سيجارة أخرى منحته شيئا من الدفء وسط الشخير القادم، وكأنه من أعماق الأرض. وقبل بالأسى لوجود مسافة لايمكن قطعها بينه وبين الكيبوتز الخاص به. وما كان الأمل هو مجرد وهم ليس إلا. فليس هناك مدعاة للأحلام والأوهام. بل على العكس من ذلك، يجب الإفادة من التبريد الليلى للاحساس بانقشاع الغمة عن العقل. والتحديد الدقيق لنظام الفلك فوق رأسه. وأن. بحثه غير الواثق لم يثمر إلا الفشل، وربما كان ذلك هو الانتصار بعينه. ذلك لأنه جدير به هو (فقد كان لدى أوليڤيرا صورة جيدة عن نفسه كسلالة بشرية) ولأن البحث عن الكيبوتز بعيد المنال كما أنه بمثابة قلعة لا يمكن السيطرة عليها إلا من خلال الأسلحة الفتاكة وليس بواسطة روح الغرب، فهذه القوى قد خارت بسبب كذبها على نفسها، كما أشير إلى ذلك فى النادى، إنها تلك القيود على الحيوان الإنسان الذى وضع فى طريق لا رجعة فيه. كيبوتز الرغبة وليس كيبوتز الروح

36

أو النفس، ورغم أنه رغبة يمكن أن تكون تعريفا غامضا للقوى غير المفهومة، وكنت أشعر به حاضرا وفاعلا، حاضرا فى كل خطأ، وفى كل قفزة إلى الأمام، ذلك كان يعنى الإنسان، وليس الجسد والروح بل ذلك الكل الذى لا تنضم أجزاؤه، ذلك اللقاء الدائم مع المفتقد، مع كل ذلك الذى يسوق من المشاعر، إنه الحنين الجارف إلى أرض يمكن أن تضرب فيها الحياة من اتجاهات أخرى ومسميات مختلفة رغم أن الموت قد يكون على الناصية ويرفع مكنسته إلى أعلى ورغم أن الأمل ليس إلا مجرد وهم يستمر الشخير، ومن آن لآخر يسمع صوت خرطه.

وفى هذه الحالة لم يكن ارتكاب الخطأ يهم كثيرا، وكأن البحث عن الكيبوتز الخاص به يتم من خلال خرائط صادرة عن الجمعية الجغرافية، واستخدمت أثناءه البوصلات الحقيقة. أى الشمال هو الشمال والغرب هو الغرب. لن يكفى أن يفهم ويدرك بسرعة خاطفة أن الكيبوتز الخاص به لن يكون أكثر استحالة مثلما هو عليه الآن فى تلك الساعة وفى هذا البرد وبعد مرور تلك الأيام، وأنه لو دأب فى البحث عنه بالاتقان مع القبيلة بجدارة ودون أن يلصق به نعت رجل محاكم التفتيش، ودون أن يديروا وجوههم عنه بسبب صدمة، وبدون أن يكون هناك أناس يبكون، وسوء نية ورغبة فى أن يذهب كل شئ إلى الجحيم والعودة إلى ما كان يفعل سابقا، وإلى مكان خال محمى ضمن أى مخزون روحى أو مؤقت.

قد يموت دون أن يبلغ الكيبوتز الخاص به. لكن ها هو الكيبوتز هناك بعيد. كان هناك، وكان هو يعرف أنه هو الآخر، فقد كان رغبته. كانت رغبته هو، كما كان هو الرغبة، كما أن العالم وتمثله عبارة عن الرغبة، كانت رغبته أو الرغبة. لا يهم كثيرا فى مثل تلك الساعة. عندئذ كان يمكن له أن يضع وجهه بين كفيه ولا يترك إلا المساحة الضرورية للسيجارة، ويظل إلى جوار النهر بين المتسولين يفكر فى الكيبوتز.

استيقظت المتسوّلة من حلم رأت فيه أنه جاء إليها أحد. وقال لها مكررا كفى أيتها الداعرة وأدركت أن ثيلستين Celestin قد غادر أثناء الليل وقد حمل معه عربة الأطفال المحملة بعلب السردين (انتهت صلاحيتها) التى أهديت إليهما فى جيتو ماراى Marais. كان توتو ولافلور ينامان كاثنين من البلهاء تحت الخيش، أما الجديد فكان جالسا على مصطبة يدخن السجائر. كان الفجر يبزغ.

36

قامت المتسولة بجمع الأعداد المتوالية لجريدة «فرانس سوار» بعناية، كانت تتدثر بها وأخذت تهرش رأسها قليلا. في السادسة صباحا كانت هناك شوربة ساخنة في شارع/ دي جور du Jaur، ومن المؤكد أن ثيلستين سوف يذهب لتناول الشوربة ويمكن أن ينتزع منها علب السردين إذا لم يكن قد باعها بعد لـ بييون أو لاقاس. ـ قذارة ـ قالت المتسوِّلة، وقد بدأت المشوار المعقد لتعتدل في جلستها ـ وبالمرة هو عجز التحقت بمعطف خفيف أسود اللون يغطيها حتى العقبين. اقتربت من المتسوِّل الجديد. كان على اتفاق معها أن البرد يكاد يكون أسوأ من البوليس. وعندما أعطاها سيجارة وأشعلها لها فكرت المتسولة أنها قد رأته في مكان ما. فقال لها الجديد إنه رآها أيضا في مكان ما. وسرّ كلاهما بهذا النوع من التعارف خلال الساعات الأولى من الصباح. جلست على المصطبة المجاورة وقالت له إن الوقت مبكر لتناول الشوربة. تناقشا في موضوع الشوربة بعض الوقت رغم أن الجديد لا يعرف شيئا عنها. فكان عليها أن تشرح له أين يجد الأماكن التي تقدم أفضل أنواع الشوربة. كان جديدا بالفعل لكنه يبدي اهتمامه بكل شئ وربما واتته الجرأة على سرقة علب السردين من ثيلستين. تحدثا عن السردين ،ووعد الجديد أنه إذا وجد ثيلستين فإنه سيطالبه بها.

ـ حذرت المتسولة :

ـ سوف يخرج الحظاف لابد من التصرف بسرعة وأن تضربه بأي شئ على رأسة. وبالنسبة لتوني فقد عالجوه بخمس غرز للجرح، وكان يزعق لدرجة يسمعه بها أهالي شارع/ بوانتواز إنه العجز ـ أضافت المتشردة وقد أسلمت نفسها للحنين للأيام الخوالي.

كان الجديد يتأمل إشراق الشمس في أحد جوانب ميدان فيرت ـ جالانت، ويرى شجر الصفصاف الذي أخذ يخرج فروعه الرفيعة من الضباب. وعندما سألته المتشردة عن سر ما عليه من رعشة رغم أنه يرتدي المعطف هز كتفيه وقدم لها سيجارة أخرى.كان يدخن ويدخن، ويتحدث وهو ينظر إلى نفسه بإعجاب. أخذت المتسولة تشرح له عادات ثيلستين وأخذ الجديد يتذكر الأمسيات التي رآهما وهي تعانق ثيلستين فوق كل المقاعد وعلى حواجز الكوبري دي آرت وعلى ناصية اللوفر أمام أشجار الموز وكأنهما نمران وتحت بوابات سان جيرمان لاكسروا S.G. l'Awxerrais وذات ليلة في شارع جيب لوكير Git- le Caeur كانا يتبادلان القبلات ويتخاصمان وهما في شدة

36

السكر، وكان يرتدى فانلة رسام. أما المتسولة فقد كانت على عادتها ترتدى أربع أو خمس ملابس، وبعض المعاطف الواقية من المطر والمعاطف الطويلة وتمسك بشنطة لونها أحمر يبرز منها قصاصات عبارة عن أكمام وطائرة ورقية ممزقة. كانت تعشق ثيلستين الذى كان يثير الإعجاب وتملأ وجهه بأحمر الشفاه ونوع آخر كأنه شحوم. ويفرق كلاهما فى مناجاتهما أمام الناس ثم يسيران بعد ذلك فى شارع/ نيڤير Neuer. وعندئذ قالت لاماجا «إنها هى العاشقة، أما هو فلا يبالى» ونظرت إليه لحظة قبل أن تميل لتلتقط حبلا رفيعا أخضر اللون وتلفه على إصبعها.

ـ كانت المتشردة تقول وهى تشجعه :

ـ ليس الجو باردا فى مثل هذه الساعة. سوف أسأل لافلور فيما إذا ما كان معها القليل من النبيذ. فالنبيذ يجعل الليلة تمر بهدوء؛ لقد حمل ثيلستين معه لتدين كانا لى وأخذ علب السردين. لا، لم يبق معها شئ. يمكن لحضرتك أن تذهب لشراء لتر من النبيذ من بار حبيب Habeb فأنت حسن الهندام. وعليك بشراء الخبز إذا ما وجدته

ـ كانت تستلطف الجديد رغم أنها فى حقيقة الأمر تعرف أنه ليس جديدا، فهو يرتدى ملابس جيدة ويمكن أن يقف على طاولة البار فى حبيب ويتناول بيرنود Pernod الكأس تلو الآخر دون أن يحتج الآخرون للرائحة الكريهة وغير ذلك. ظل الجديد يدخن، ويهز رأسه موافقا رغم أن وجهه متجه إلى ناحية أخرى. هو وجه معروف. لو كان ثيلستين هنا لعرفك فى الحال- ... البرد القارص يبدأ فى التاسعة وهو برد يخرج من الطين، من أسفل. لكن يمكننا الذهاب لتناول الشوربة فهى جيدة للغاية.

(وعندما أوشك على رؤيتهما فى قاع نهر/ نيير، وعندما وصل إلى المكان المحدد الذى دهمت فيه سيارة نقل. بيير كورى (بييركورى؟»[1]) سألت لاماجا، مستغربة ومستعدة للتعلم). عادا ببطء إلى الشاطئ العلوى للنهر واستندا إلى صندوق رغم أن مثل هذه الصناديق كانت تبدو لأوليڤيرا جنائزية أثناء الليل وكأنها صف من توابيت الإغاثة متراصة على السياج الحجرى. وفى ليلة شديدة البرد أخذا يتسليان بكتابة RIP بواسطة عصا صغيرة فوق كل صناديق الصفيح. وقد أثار ذلك استلطاف، رجل البوليس وتحدث معها عن أشياء مثل الاحترام للمكان والسياحة، وبالنسبة السياحة لم يعرف السبب جيدا. فى تلك الأيام كان كل شئ كيبوتزا أو أن الكيبوتز يمكن تحقيقه،

36

وكذا السـيـر فى الشـارع مع كـتـابة RIP على صناديق bouqwniotes والإعـجـاب بالمتسولة العاشقة، كل هذا كان عبارة عن جزء من قائمة غير واضحة من التمارين التى يجب ممارستها وإقرارها. وتركها وراء الظهر. وهكذا كان، وكان الجو باردا ولم يكن هناك كيبوتز. باستثناء الكذبة القائلة بالذهاب إلى شراء نبيذ أحمر من أجلها من بار حبيب وصنع نموذج من الكيبوتز مماثل لما لـ كوبلاخان Kubla Khan مع الاحتفاظ بالألقاب والدرجات للعجوز حبيب.

فى زانو دى كوبلاخان In xanoou did Kubla Khan

صدرت الأوامر ببناء قبة رائعة Astately pleeaure- deme decree

ـ قالت المتشردة، وهى أقل استلطافا للجديد :

ـ أجنبى إسبانى، هِهْ؟ إيطالى؟

ـ قال أوليڤيرا :

ـ خليط، وهو يحاول جاهدا أن يتحمل الرائحة.

ـ قالت المتشردة بنغمة إلهام :

ـ لكن سيادتك تمارس عملا على ما يرى .

ـ آه، لا، عموما أنا كنت أحمل الكتب لأحد الطاعنين فى السن، لكن مرت فترة لم نر بعضنا فيها.

ـ ليس هذا ما يخجل طالما أن ليس هناك مبالغة. أنا، عندما كنت شابة ...

ـ قال أوليڤيرا وهو يسند يده على المكان الذى يوجد أسفله أحد الأكتاف :

ـ إيمانويلا فزعت المتسولة عندما سمعت الاسم، ونظرت إليه شزرا وبعد ذلك أخرجت مرآة صغيرة من جيب البالطو الطويل ونظرت إلى فمها. وتساءل أوليڤيرا عن الظروف التى لا تصدق والتى جعلت المتشردة تعالج شعرها بالأوكسجين. انشغلت حتى درجة الاستغراق فى وضع أحمر الشفاه على شفتيها. فأصبح أمامه متسع من الوقت لينظر هو إلى نفسه ويصفها بأنها نفس حمقاء. اليد على الكتف بعد أن كانت على كتف تربيات. مع وجود نتائج معروفة على الملأ. إنها ركلة فى الأرداف تقلبها كما يقلب القفاز. إنه قمئ، وفاسد وخفيف الظل ريب RIP، ريب RIP رغم السياحة.

ـ كيف تعرف أن اسمى إيما ويلا؟

ـ أنا لا أتذكر من قال لى هذا.

أخرجت إيمانويلا علبة حبوب Valda مليئة بالمساحيق الوردية، وأخذت تدهن خدها آه لو كان ثيلستين هنا، من المؤكد أن. وبالطبع فإن. ثيلستين: إنه لا يكل.

36

هناك الكثير من علب السردين،. وتذكرت فجأة.

ـ آه، قالت.

ـ وافق أوليڤيرا وقد أخذ يلف نفسه ما استطاع وسط دخان السجائر :

ـ هذا محتمل

ـ قالت إيمانويلا :

ـ لقد رأيتكما مرات عديدة

ـ كنا نتجول هنا وهناك.

ـ لكنها هى التى كانت تتحدث معى عندما كانت بمفردها: إنها فتاة طيبة. لكن بها شئ من الجنون.

«وقعى على ذلك» فكر أوليڤيرا. كان ينصت لإيمانويلا التى أخذت تستعيد ما فى ذاكراتها بشكل أفضل، كانت هناك علبة من اللوز المغطى بطبقة سكرية وبلوفر أبيض شائع الاستخدام آنذاك وفتاة طيبة لا تعمل ولم تضيع وقتها الذى مضى بعد الحصول على الدبلوم، تنتابها نوبات جنون وتنفق ما معها من فرنكات فى شراء حبوب للحمام فى جزيرة سان لويس. وأحيانا ما ترتسم عليها علامات الحزن الشديد وأحيانا أخرى تكاد تفقد وعيها من كثرة الضحك وأحيانا تتصرف بسوء.

ـ قال إيمانويلا :

ـ تشاجرنا؛ لأنها نصحتنى أن أترك ثيلستين وشأنه، ولم تعد تظهر بعد ذلك أبدا، لكننى كنت أحبها كثيرا.

ـ هل جاءت لتتحدث معك مرات عديدة؟

ـ هذا لا يروق لك، حقا؟

ـ قال أوليڤيرا وهو ينظر إلى الشاطئ الآخر :

ـ ليس ذلك هو القصد لكن نعم، كان ذاك. فالأمر أن لاماجا لن تعترف له إلا بجزء من علاقتها بالمتشردة بالإضافة إلى بعض التعميمات الأخرى .. إلخ. إنها الغيرة من أمور، راجع بروست Praust هو التعذيب الخفى و So no .

كانت السماء ستمطر وبدت شجرة الصفصاف وكأنها معلقة فى الهواء الملئ بالرطوبة، لكن الجو أصبح أقل برودة بعض الشئ، وربما أضاف شيئا مثل: «إنها لم تحدثنى عنك كثيرا» ذلك أن إيمانويلا ابتسمت ابتسامة رضا وخبث واستمرت فى وضع المسحوق الوردى باستخدام اصبع اعتراه اللون الأسود. وبين الفينة والأخرى

36

ترفع يدها وتضرب على رأسها وشعرها الملبّد من كثرة القذارة. والموضوع فوقه توكة قماشية من الصوف مقلمة باللونين الأحمر والأخضر، هذه التوكة لم تكن إلا تلفيحة التقطتها من أحد صناديق القمامة. كان عليه أن يغادر المكان ويتجه إلى المدينة القريبة من المكان فهى أعلى بحوالى ستة أمتار وتبدأ عند السياج الآخر لنهر السين وراء صناديق RIP المصنوعة من الصفيح؛ حيث يدور حوار بين الحمام وهو يهيئ ريشه فى انتظار شروق الشمس حوالى الثامنة والنصف؛ حيث تظهر فى سماء مائلة للغاية ولا يزال ضوء الشمس؛ إذ سوف تتساقط قطرات المطر كما هى العادة.

وعندما تهيأ لترك المكان نادت عليه إيمانويلا بصوت عال، فتوقف فى انتظارها، وصعد السلم سويا. واشتريا لترين من النبيذ الأحمر من بار حبيب ثم سارا معا فى شارع هيروندیل Hirondelle واحتميا بالممر المسقوف. تكرمت إيمانويلا بأن أخرجت مجموعة من أعداد الصحف من بين اثنين من المعاطف التى ترتديها وافترشا ورق الصحف فى أحد الأركان المظلمة بعد أن تأكد منه أوليڤيرا بإشعال أعواد ثقاب واهنة. ومن الجانب الآخر للأبواب كانت تأتى رائحة الثوم والكرنب متقطعة والنسيان الرخيص. أخذ أوليڤيرا يزم على شفتيه وانزلق حتى أصبح فى أقصى الركن واستند إلى الحائط والتصق بإيمانويلا التى أخذت تشرب من الزجاجة وتخنفر تعبيرا عن الانسجام. إنه نوع من عدم تربية الحواس والمتمثل فى فتح الفم إلى أقصى درجة وكذا الأنف وقبول أسوأ الروائح ألا وهو العفن الإنسانى. مرت دقيقة ثم دقيقتان ثم ثلاث، وفى كل مرة يصبح الأمر أكثر سهولة مثل أى مرحلة تعلّم. حاول أوليڤيرا السيطرة على الشعور بالغثيان فأمسك بالزجاجة ولم يستطع النظر إلى فتحة الزجاجة؛ إذ يعرف أنها مضمخة بالروج واللعاب. كما أن الجو المعتم يزيد من حدة حاسة الشم. أغمض عينيه ليحمى نفسه من شئ لا يعرف ما هو. وشرب ربع لتر دفعة واحدة. وبعد ذلك أخذا يدخنان وكل يسند كتفه للآخر وهما يشعران بالرضا. أخذت تزول حالة الغثيان ليس عن هزيمة بل إحساسا بالذل وأخذت تنتظر وهى مطاطئة الرأس، وكان من الممكن البدء فى التفكير فى أى شئ. كانت إيمانويلا تتحدث طوال الوقت، وتتفوه بعبارات مليئة بالطنطنة بين كل زغطة وأخرى، وتونج شبح ثيلستين بأمومة وتقوم بإحصاء علب السردين ويعلو الاحمرار وجهها مع كل نفس من السيجارة كما كان أوليڤيرا يرى طبقات القذارة على جبهتها وشفتيها الملئتين وعليها آثار النبيذ وعصابة الرأس علامة الفخار لإلهة سورية وقد دهسها أقدام أفراد جيش معادٍ ورأس فيلية ممرغة فى التراب

36

وطبقات الدم القذرة، لكنها تحتفظ بتيجانها الأبدية المكونة من مساحات حمراء وخضراء. إنها الأم الكبرى وقد ألقى بها فى التراب ووطئتها أقدام الجنود السكارى الذين كانوا يتسلون بالتبول على نهديها المبتورين، ثم يأتى أكثرهم إضحاكا ويركع على ركبته وسط صيحات الآخرين وذكره منتصبا فوق الآلهة التى سقطت ويستمنى على الرخام ويترك مَنّيه ليدخل فى عينيها، بعد أن قام الضباط بانتزاع الأحجار الثمينة، وفى الفم المفتوح وكأنه يقبل الهوان كقربان أخير قبل أن يطويها النسيان. وكان من الطبيعى أن تقوم إيمانويلا بالبحث عن ذراع أوليڤيرا وترتاح عليه بثقة بينما تبحث يدها الأخرى عن الزجاجة وكان يسمع صوت كلوكلو أثناء الشرب ثم الخنفرة بعد كل جرعة. كان من الطبيعى أن يكون كل شئ إما وجه العملة الأول أو الوجه الآخر. وكأن ذلك هو الرمز المضاد والشكل الممكن للبقاء. ورغم أن أوليڤيرا كان غير واثق من السكّر الذى هو الرفيق الخبيث للخداع الأكبر، فقد كان هناك شئ يقوله بأن هناك كيبوتز، وأن وراء كل ذلك كان هناك أمل فى كيبوتز. لم يكن الأمر يقينا استنتاجيا، لا، أيها العجوز العزيز لا، بحق ما هو عزيز عليك، وليس الأمر لأن الحقيقية فى النبيذ أو هناك جدلية على طريقة الفيلسوف فيتش Fichte أو بعض الشواهد الأخرى لأسبينوزا؛ كان فقط كأنه نوع من القبول فى دائرة الغثيان، فقد دفن هيراقليتوس Heraclito نفسه فى كومة من الروث ليعالج نفسه من الاستسقاء. قال له ذلك أحدهم فى تلك الليلة وهو واحد كأنه من عالم آخر، واح مثل بولا أو وونج. أى من الناس الذين ضايقهم بغية إقامة اتصال معهم من خلال الشق الطيب، وإعادة ابتكار الحب وكأن تلك هى الطريقة الوحيدة للولوج إلى الكيبوتز الخاص به، غطته القاذورات حتى ذقنه، هو هيراقليتوس الغامض. هو مثلهما لكن بدون تناول النبيذ وفوق هذا كان يعمل على علاج نفسه من الاستسقاء. ربما كان ذلك، أى أن القاذورات تغطيه حتى ذقنه، ويأمل، ومن المؤكد أن هيراقليتوس كان عليه أن يبقى وسط القازورات أياما كاملة. وأخذ أوليڤيرا يتذكر أيضا أن هيراقليتوس قال إنه إذا لم يكن هناك أمل فى شئ فسوف يعثر على مالا يتوقع، **ولتقم بلوى رقبة البجعة**، قالها، لكن لا، إنه لم يقل عبارة من هذا النوع. وبينما يشرب جرعة أخرى كبيرة وتضحك إيمانويلا من صوت نزول النبيذ وتداعب ذراعه وكأنها تؤكد له أنها تحتفى برفقته وأن عليه أن يفى بوعده لها بانتزاع علب السردين من ثيلستين، كان كلا اللقبين الخاصين بالبجعة المخنوقة يصعدان وكأنهما تجشّوء من أثر النبيذ. ويدفعانه للرغبة فى الضحك وأن يقصر الأمر على إيمانويلا. لكنه لم يفعل إلا أن أعاد

36

لها الزجاجة وهى شبه فارغة.

فأخذت إيمانويل تغنى بصوت مرتفع «عشاق هافر Amanta du Haure وهى الأغنية التى كانت تترنم بها لاماجا عندما تشعر بالحزن. غير أن إيمانويلا كانت تغنى كلمات هذه الأغنية بنبرة مأساوية وغير متسقة مع اللحن وتتوه منها الكلمات وهى تداعب أوليفيرا الذى ظل يفكر بأن الذى يأمل هو الوحيد الذى سيكفه الباهت على ما هو غير متوقع. وأخذ يغمض عينيه بعض الشئ حتى لا يقبل بالضوء الباهت الذى يخرج من الأبواب. إذ كان يتصور نفسه بعيدا جدا (هل على الشاطئ الآخر للبحر، أو أن ذلك كان نوعا من الحنين للوطن؟) وأن الجو المحيط أكثر نقاءً وأنه لايكاد يوجد شئ عن الكيبوتز الخاص به. من البديهى أنه يحب لوى عنق البجعة حتى ولو لم يقل هيراقليتس بذلك. أصبح يعيش حالة هيام.

«ولما كانت الأرض مستديرة فلا تقلق يا حبيبى»

مع النبيذ والصوت الفاتن الذى يثير الهيام، وسوف ينتهى الأمر بنواح وتعزية للنفس مثل حالة بابس، أيها المسكين أوراثيو الذى رسا فى باريس كيف أمكن لك تغيير شوارعك: كوريّنتس، سويباتشو، إيسميرالدا والرّبض القديم. لكن رغم ما تبذله من جهد خارق فى إشعال سيجارة جلواز أخرى فإنه يرى الكيبوتز فى أعماق عينيك ليس على الشاطئ الآخر من البحر أو ربما كان هناك على الجانب الآخر أو هنا فى ناحية قريبة بشارع جالاند Galande أو جزيرة بوتوPuteowx أو فى شارع تومب إيسوار Rombe Issoire، وعلى أى الأحوال فالكيبوتز الخاص بك هو هناك دائما وليس نوعا من السراب.

ـ ليس سرابا يا إيمانويلا.

ـ قالت إيمانويلا وهى تبحث بيدها بين تنوراتها اللاتى لا تحصى لتعثر على الزجاجة الأخرى :

ـ اصمت .

بعد ذلك انغمسا فى أمور أخرى فقصت عليه إيمانويلا حكاية غريقة رآها ثيلستين عند منطقة جرينيل Crenelle، وأراد أوليفيرا أن يعرف لون شعر الغريقة إلا أن ثيلستين لم ير إلا ساقيها اللذين كانا طافيين بعض الشئ على صفحة النهر. فقام بالانتقال من المكان قبل أن يبدأ البوليس عادته اللعينة باستجواب كل الناس. وعندما شرب معظم محتوى الزجاجة الثانية وأصبحا سعيدين أكثر من أى وقت مضى أنشدت إيمانويلا

36

مقطعا من قصيدة La mort du loup[٣] فقام أوليڤيرا بإدخالها فجأة فى قصيدة مارتين فيرو[٤]. مرت بعض سيارات النقل فى الميدان، وأخذا يسمعان همهمات ديليوس Deli-us، فذات مرة ... لكن كان من غير المجدى أن يحدث إيمانويلا عن ديليوس رغم أنها كانت امرأة شديدة الحساسية ولم تكن تكتفى بالشعر وتعبر باستخدام اليد بأن تحك جسمها فى جسم أوليڤيرا لتباعد البرد عنها وتداعب ذراعه وتترنم ببعض مقاطع أوبرالية وتهجما على ثيلستين. ضغط أوليڤيرا على السيجارة وهى فى فمه حتى شعر بها كأنها جزء منه وأخذ ينصت إليها وتركها تزداد التصاقا به وكان يكرر على نفسه أنه ليس أفضل منها وعلى أسوأ الأمور والافتراضات يمكن أن يعالج نفسه على طريقة هيراقليتوس، وربما لم يكتب بعد الرسالة الأكثر تعمقا القادمة من الظلمة، وترك للطرفة ولصوت تلاميذه بنقل الرسالة فقد تدركها آذان تحسن الاستماع. كان يشعر بظرف ما تقوم به يد إيمانويلا بفك الأزرار على سبيل الصداقة، وأن يفكر فى الوقت ذاته أن الظلمة ربما تكون قد غرقت فى القاذورات حتى ذقنها دون مرض ودون أن تعانى من الاستسقاء، اللهم إلا بغرض رسم صورة قد لايغفرها لها العالم الخاص بها وأظهر ذلك فى صورة حكم أو درس. وأنها مارست حياة المهربين فتجاوزت حدود الزمن حتى اختلطت بالنظرية، ولم تعد إلا جزئية مؤلمة وغير لطيفة إلى جوار المأساة الرائعة Panta rhei. أو أنها نوع من المداواة العظيمة التى قد يدينها حربوقراط، كما أنه يدين أيضا ولأسباب تتعلق بالنظافة العامة قيام إيمانويلا بأوضاع جنسية معينة، بينما هى ساهية غير مبالية بالمرة بالتأمل الذى يدور فى الجزء العلوى، وقد شغلت نفسها فى مهمة لن تخرج منها إلا بالقليل، وكانت تتصرف كذلك بدافع من عزاء النفس حتى يشعر المتشرد الجديد بالسعادة فى أول ليلة من حياته الجديدة، وربما أحبها قليلا كنوع من العقاب لثيلستين، وأن ينسى الأشياء الغريبة التى كان يمضغها بصعوبة بلغته الأمريكية البرية، بينما يزداد التصاقه بالحائط، وأسلم نفسه لتنهداتها وهو يضع يده فى شعر إيمانويلا وهو يظن، ولو للحظة، أن هذا هو شعر بولا (ولذلك كان هذا هو الجحيم) وأنها وثبت عليه وهى بين المعاطف المكسيكية وكروت البوستال التى تحمل رسومات Klee كلى ورباعية دوريل، وذلك يُمتع ويُتمتع به، بينما هى على وعى كامل وفاقدة البصر وبعيدة عن كل هذا قبل أن تطالب بنصيبها فى هذا الوضع الجنسى، مثلها مثل إيمانويلا التى اعتدلت وهى خائفة من البوليس، ثم جلست فجأة وقالت: لم نكن نفعل شيئا ، وتحت اللون الرمادى الذى لا يعرف كيف يملأ البوابات فتح أوليڤيرا

36

عينيه فجأة ورأى ساقى الحارس فوق ساقيه والأزرار مفكوكة بطريقة مزرية، وهناك زجاجة فارغة تتدحرج من جراء ضربة بقدم الحارس. ثم وجه له الركلة الثانية فى فخذه، أما اللكمة فقد أصابت رأس إيمانويلا التى طأطأت رأسها وأخذت تئن وجلست على ركبتيه دون أن يدرى كيف حدث ذلك، وكانت هذه هى الوسيلة المثلى ليضع جسم الجريمة داخل البنطلون الذى انكمش بشكل عجيب وبروح متعاونة حتى يتمكن من قفل البنطلون. وفى حقيقة الأمر لم يحدث أى شئ، لكن كيف يمكن تفسير ذلك لرجل البوليس الذى اقتادها إلى سيارة نقل السجناء وكيف سيشرح الأمر لبابس ويقول لها إن محاكم التفتيش هى شئ آخر ولأوسيب بصفة خاصة، كيف يمكن الرجوع إلى الوراء استعدادا للاندفاع إلى الأمام ثم يترك نفسه يسقط وربما من إنقاذ نفسه فيما بعد، إيمانويلا ليتمكن فيما بعد من ...

ـ طلب أوليڤيرا من رجل البوليس :

ـ لنتركها لشأنها فالمسكينة أكثر سُكرا منى.

طأطأ الرأس فى الوقت المناسب ليتفادى الضربة، قام رجل بوليس آخر بالإمساك به من حزامه، وبدفعة واحدة ألقى به فى عربة السجناء. وألقيا فوقه بإيمانويلا التى كانت تترنم بأغنية شبيهة بـ remps des cérises (٥)ـ إنه زمن الكرز، وتركاهما وحدهما داخل السيارة. أخذ أوليڤيرا يحك فخذه الذى كان يؤلمه بشدة وانضم بصوته إليها ليغنى معها نفس الأغنية إذا ما كانت هى الأغنية. تحركت السيارة وكأنها تندفع من خلال منجنيق.

ـ ترنمت إيما نويلا :

ـ وكل عشقنا

ـ قال أوليڤيرا وقد ألقى بنفسه على المقعد وأخذ يبحث عن سيجارة :

ـ وكل عشقنا ذلك أيتها العجوز، ولا حتى هيراقليتوس.

قالت إيمانويلا :

ـ Tu me fais chier.

وأخذت تبكى بصوت مرتفع .. وكل عشقنا ـ غنتها وهى تنتحب. سمع أوليڤيرا أن رجلى البوليس كانا يضحكان وهما ينظران إليهما من خلال شبكة النافذة «حسن إذا ما كنت أريد الهدوء فسوف يتوفر لى بشكل زائد عن الحد. لابد من الاستفادة بهذا الهدوء، تش. ولاتفعل شيئا مما تفكر فيه؛ فالاتصال بالتليفون لسرد حلم مسلٍ كان

36

أمرا جيدا، لكن كفى، لا يجوز الإلحاح. وليذهب كل لحالة، فالاستسقاء يتم علاجه بالصبر وبالقانورات والوحدة وما دام ذلك فإن النادى قد انفض، انفض كل شئ لحسن الحظ، أما ما بقى فهى مسألة وقت. فرملت السيارة فى إحدى النواصى فى الوقت الذى كانت إيمانويلا تقول فيه بصوت عال «عندما يعود زمن الكرز»، وقام أحد رجال البوليس وفتح النافذة وحذرهما أنهما إذا لم يلتزما الصمت فسوف يحطم وجهيهما ركلا. نامت إيمانويلا على أرضية السيارة مستلقية على بطنها وهى تبكى بصوت مرتفع. ووضع أوليفيرا قدميه فوق مؤخرتها وارتاح فى المقعد، يتم لعبة الحجلة بحجر صغير يتم دفعه بطرف الحذاء. المكونات: رصيف، حجر صغير وحذاء ورسم جميل منقوش بالطباشير وملون بشكل جيد. السماء فى العلالى والأرض تحت. ومن الصعب الوصول بالحجر الصغير إلى السماء، وغالبا ما يتم تقرير الأمور بشكل خاطئ فيخرج الحجر بعيدا عن الرسم. ومع ذلك يتعلم المرء رويدا رويدا كيف يمكن الانتقال من مربع إلى آخر (هناك مجلة على شكل الكاراكول، وأخرى مستطيلة وأخرى خيالية وهذه قليلة الاستخدام) وفى يوم من الأيام يتعلم المرء الخروج من الأرض وتوجيه الحجر حتى السماء، حتى الدخول إلى السماء (وكل عشقنا؛ انتبهت إيمانويلا وهى مستلقية على بطنها) لكن الأمر المزعج هو أنه فى اللحظة التى نصل فيها إلى هذه الدرجة من الارتفاع، وعندما لا يكاد يكون هناك أحد قد تعلم توجيه الحجر حتى السماء، تنتهى الطفولة فجأة ونسقط فى الروايات وفى خضم الألم من أجل الصاروخ الرائع وفى المضاربة والمراهنة على سماء أخرى يجب أن نتعلم كيفية الوصول إليها، ومن ثم الخروج من طور الطفولة «لن أنسى زمن الكرز» ضربت إيمانويلا بقدميها على الأرض». ينسى المرء أنه لكى يصل إلى السماء فهو فى حاجة إلى مكونات هى الحجر الصغير وسن الحذاء. وكان هذا هو ما يعرفه هيراقليتوس وهو وسط القانورات، وربما كانت إيمانويلا كذلك وهى تخرج المخاط بصفحة يدها زمن حصاد الكرز، أو كلا اللوطيين اللذين لا يعرف كيف يجلسان فى سيارة نقل المساجين (لكن الباب كان قد فتح ثم أغلق وسط خليط من الصيحات والضحكات وصفارة) وكانا يضحكان ضحكا هستيريا وينظران إلى إيمانويلا على أرض السيارة، وإلى أوليفيرا الذى كان يريد التدخين لكنه لم يتبق معه سجائر أو كبريت، كما أنه لم يتذكر أن رجل البوليس كان قد فتش جيوبه؛ وكل عشقنا، وكل عشقنا. الحجر الصغير وسن الحذاء، هى تلك المواد التى عرفتها لاماجا بشكل جيد للغاية. أما هو فأقل كثيرا منها، وكذلك النادى بشكل

36

مقبول. كما أنها منذ نشأته في بورثاكو Burgaco أو في الأحياء الفقيرة في مونتڤيديو كانت تشير إلى الطريق المستقيم نحو السماء دون حاجة إلى عرافة أو زن zen أو الترهات المنتقاة، نعم، الوصول إلى السماء من خلال الركلات والوصول برفقة الحجر الصغير (هل باستخدام الصليب؟ إنه لأداة قليلة الاستخدام) وعند الركلة الأخيرة يتم توجيه الحجر نحو الأزرق، الأزرق. وفجأة نجد الزجاج مكسورا، والعقاب هو النوم بدون تناول الحلوى، وأن الطفل سئ، لكن ما الذى يهم إذا ما كان الكيبوتز خلف الزجاج، وليست السماء إلا اسما صبيانيا للكيبوتز الخاص به.

ـ قال أوراثيو :

ـ لكل ذلك علينا أن نغني وندخن يا إيمانويلا، انهضى أيتها العجوز الكثيرة البكاء.

ـ تخور إيمانويلا :

ـ وكل عشقنا.

ـ قال أحد اللوطيين وهو ينظر إلى أوراثيو بنوع من الحنان :

ـ إنه وسيم له سِحْنَةُ أبله، قام اللوطى الآخر بإخراج ماسورة من الصفيح من جيبه، ثم أخذ ينظر من خلال إحدى الفتحات، وتعلو وجهه الابتسامة تتجعّد ملامحه. فما كان من اللوطى الأكثر شبابا إلا أن انتزع منه الماسورة وأخذ ينظر من الفتحة «لا يُرى أى شئ ياجو. قال: «نعم ترى الأشياء يا جميل». قال جو: «لا لا، لا، لا» «نعم ترى.†LOOK THROUGH THE PER PHOLE AND YOU' SEE PATTERNS PRETTY AS VAN BE."

«انظر من خلال الفتحة، وسوف ترى مناظر غاية في الروعة».

«الوقت ليلا ياجو» أخرج جو علبة كبريت ،وأشعل عودا ووضعه أمام الجانب الآخر من المنظار (صندوق الدنيا). صيحات الحماس Patterns Pretty as can b. وكل عشقنا صاحت إيمانويلا وهى تجلس على أرضية السيارة. كان كل شئ يسير بشكل جيد: إذ تأتى كل جزئية في موعدها، الحجلة وصندوق الدنيا؛ واللوطى الصغير ينظر ويمعن النظر، أو يا جو أنا لا أرى شيئا، أريد المزيد من الضوء، المزيد من الضوء يا جو. كان أوراثيو مستلقيا على المقعد وحيًّا الظلمة. ورأس الظلمة الذى كان يطل من روث المواشى ذى الشكل الهرمى بعينيها اللتين تشبهان النجوم الخضراء.

Pattesns pserrey as can be كان الغلام على حق، إنه طريق إلى الكيبوتز، وربما كان الطريق الوحيد إليه. فذلك لا يمكن أن يكون العالم، كان الناس يستخدمون

36

صندوق الدنيا بطريقة خاطئة، وعلى ذلك لابد من إعادته إلى وضعه السليم بمساعدة إيمانويلا ويولا ويابس وماجا ورروكامادور، وأن يلقى المرء بنفسه على الأرض مثلما فعلت إيمانويلا ومن هناك يبدأ النظر، أى من على جبل البَعْر، والنظر إلى الدنيا من خلال فتحة الشرج .and yo'll pattey as can be,

وكان من الضرورى أن يمر الحجر من خلال فتحة الشرج بواسطة ركلة بسّن الحذاء ومن الأرض إلى السماء حيث المربعات مفتوحة. وسوف يتهادى التّيه كأنه خيط ساعة مقطوع؛ مما أدى إلى تفجير زمن الموظفين وأصبح أشلاء متناثرة. ومن خلال المخاط والمنى ورائحة إيمانويلا وروث الظلام قد يتم الدخول فى الطريق الموصل إلى الكيبوتز الرغبة وليس المؤدى إلى السماء (الصعود، هذه كلمة منافقة، السماء glauts vocis)، بل هو السير بخطوات إنسان على أرض إنسان متجها نحو الكيبوتز الكائن هناك بعيدا لكنه على نفس المستوى، كما أن السماء على مستوى الأرض، وهذا على الرصيف المتهالك الذى تدور فوقه اللعبة، وبعد ذلك قد يدخل المرء فى عالم عندما ينطق فيه بكلمة سماء فلن تعنى مجرد كلمة بالية كأنها قطعة قماش فى المطبخ ملطخة بالشحوم Patterns Pretty as can be، وعندما يدفع الحجر ينتهى به الأمر فى الكيبوتز.

(– 37)

ومن ذلك الجانب

Il faut vayager loin èn airnant sa maiscn

Apallinaiere, Les mamelles de Tiresias

يجب أن نسافر بعيداً أو نحب منزلنا

†Led mamelles de Tiresias أبو لونير

37

كان يغتاظ لأنه يُدْعى ترافلر، لم ينتقل أبدا من الأرجنتين حتى ولو كانت الرحلة هى الذهاب إلى مونتفيديو وإلى أسونثيون فى باراجواى، تلك المدن التى تذكر بلا مبالاة واضحة. وظل حتى الأربعين من العمر ملتصقا بشارع/ كاتشيمايو، كما أن عمله كمدير، بالإضافة إلى بعض الأعمال الأخرى فى سيرك «لاس إستريياس»las Estrellas"† لم يكن باعثا على الأقل فى التجوال فى عالم بارنوم [1] Barmum.

تمتد منطقة السيرك من سانتا ف Santa Fe إلى كارمن دى باتا جونسCarwen† de Patagones، مع فترات إقامة مطولة فى العاصمة الفيدرالية لابلاتا روساريو-La Pla† ta y Rorario. وعندما تبدى تاليتا Talite قارئة الموسوعات اهتمامها بالشعوب التى تعيش حياة الترحال والثقافات الخاصة بالرحل كان ترافلو يدمدم ويطرى إطراءً غير صريح على الحوش الملئ بنبات الغرنوق. وعلى السرير النقال وعلى عدم الخروج من الركن الذى بدأ وجودك فيه. وبين كوب من الشاى وآخر كان ينطق ببعض الحكم التى تتأثر بها زوجته، لكن كان يرى أنه مستعد أكثر من اللازم ليكبح جماح نفسه. وعندما ينام كانت تطفر منه أحيانا بعض الكلمات الخاصة بأنه منبت الجذور والمنفى، والانتقال إلى ما وراء البحار والمرور عبر نقاط الجمارك والإمساك بمساطر الطبوغرافيا غير الدقيقة. كانت تاليتا تداعبه عند الاستيقاظ من النوم بادئة بتوجيه ضربات إلى عجزه، وبعد ذلك يضحكان كالمجانين لدرجة كان يبدو معها أن خيانة ترافلر لنفسه سوف تكون فى مصلحة الاثنين. كان يجب الاعتراف بشئ وهو أن ترافلر خلافا لمعظم أصدقائه، لم يكن يلقى اللومّ على الزمن أو الحظ فى أنه لم يسافر على هواه. ولم يكن يفعل إلا تناول المشروب الكحولى ginebra جرعة واحدة ،وكان ينظر إلى نفسه على أنه أبله كبير.

ـ كانت تاليتا تقول عندما كانت تسنح لها الفرصة :

ـ بالطبع، أنا أفضل رحلاته، لكنه أبله لدرجة لا يدرك معها ما يحدث. أنا، ياسيدتى، هى التى حملته على أجنحة الخيال حتى وصلت به إلى حافة الأفق.

كانت السيدة بتلك التساؤلات تعتقد أن تاليتا تتحدث بجدية وتجيب على الأسئلة فى الإطار التالى:

- آه، يا سيدتى، الرجال غير مفهومين (أو لنقل إنهم غير متفهمين).

أو :

- صدقينى؛ فأنا وزوجى خوان أنطونيو على نفس الشاكلة، ودائما أقول له هذا، لكنه

37

فى دنيا أخرى.

أو :

ـ كيف أفهمك يا سيدتى؛ الحياة كفاح.

أو :

لا تكونى سيئة الظن أيتها السيدة. تكفى الصحة والمال، ثم تقوم تاليتا بسرد ذلك على ترافلر، ويتقلب كلاهما على أرض المطبخ حتى تتمزق ملابسها. كان أعظم شئ عند ترافلر هو الاختباء فى دورة المياه، والتصنت ـ بينما يمسك فى فمه بالمنديل أو الفانلة ـ على تاليتا وهى تجعل السيدات اللاتى يقمن فى بنسيون Sobrales يتحدثن، وكذلك بعض الأخريات اللاتى كن يقمن فى الفندق المقابل. وخلال لحظات الأمل والتفاؤل التى لم تكن تدوم طويلا يحول إحدى الغرف إلى راديو ـ مسرح؛ ليسخر من تلك السيدات البدينات دون أن يدركن ما يحدث لهن ويدفعهن للبكاء بحرقة والبحث عن محطة الراديو كل يوم، لكنه لم يكن قد سافر بعد، وكان هذا الموضوع بمثابة غصة فى حلقه.

ـ إنه حجر حقيقى ـ كان ترافلر يشرح ذلك وهو يضع يده على معدته.

ـ أنا لم أرَ حجرا أسود ـ كان يقول مدير السيرك الذى هو كاتم السر لكل هذا الحنين والشوق.

ـ لقد أصبح الحجر هكذا بسبب البقاء فى مكان واحد، والتفكير بأن هناك شعراء كانوا يشكون من كثرة التنقل يافيرّ جوتو!

ـ تحدث معى بالقشتالية تش، ـ كان المدير يقول ذلك، وهو الذى كان يهتز للرجاء الذى يأخذ البعد الشخصى الحاد.

ـ لا أستطيع يا مدير ـ يغمغم ترافلر ويعتذر بطريقة ضمنية؛ لأنه ناداه باسمه ـ الكلمات الأجنبية الجميلة عبارة عن واحة أو درجة من الدرجات. ألن نذهب أبدا إلى كوستاريكا؟ أو إلى بنما حيث ترسو هناك الغلايين الإمبراطورية..؟ مات جارلGardel فى كولومبيا!

ـ ما ينقصنا هو المال تش. كان المدير يقول ذلك وهو يخرج ساعته ـ سوف أذهب إلى الفندق، ذلك أن زوجتى كوكا Cuca غاضبة.

يبقى ترافلر وحيدا فى المكتب، ويتساءل عن شكل الأمسيات فى كونكتيكوت Connecticat، وكنوع من عزاء النفس كان يتذكر أفضل ما فى حياته. ومن بينها على سبيل المثال هو أنه دخل على رئيسه فى مكتبه ذات صباح أحد الأيام من عام **1940**،

37

بقسم الضرائب الداخلية، وهو يحمل كوب ماء فى يده. كان قد فصل من الخدمة بينما كان رئيسه يجفف عرق وجهه باستخدام المناديل الورقية. تلك كانت واحدة من الأحداث الطيبة فى حياته، ففى ذلك الشهر بالتحديد كان سيحظى بترقية. وكما كان زواجه من تاليتا شيئا آخر طيبا فى حياته (رغم أنهما كان يريان عكس ذلك) فهى مقيدة بدبلوم الصيدلة الحاصلة عليه ومآلها الشيخوخة دون الاستئناف لدى الضمادة اللاصقة، كما أن ترافلر مثل لشراء تحاميل ضد الالتهاب الشعبى، ومن خلال الشرح الذى طلبه من تاليتا أطلق الحب رغوته مثل الشامبو تحت الدش. أضف إلى ذلك أن ترافلر كان يصر على أنه أحب تاليتا فى اللحظة التى أنزلت فيها ناظريها وحاولت شرح الأسباب التى تجعل التحاميل أكثر فاعلية بعد التبرز وليس قبله.

ـ تقول تاليتا بعد التذكر :

ـ أيها التعس كنت تفهم التعليمات، لكنك كنت تتصنع عدم المعرفة حتى أتولى أنا الشرح.

ـ الصيدلانية هى فى خدمة الحقيقة ـ رغم أنها قد تكون موجودة فى الأماكن الأكثر حميمية، آه لو عرفت مدى الانفعال الذى صاحب قيامى بوضع أول جرعة للتحاميل هذا المساء بعد أن تركتك. كان لون الجرعة أخضر وحجمها كبير.

ـ قالت تاليتا :

ـ هو الكافور، وأنت حسن الحظ، فأنا لم أبع لك التحاميل برائحة الثوم التى تلاحظ على بعد عشرين مترا.

لكنهما أحيانا ما يعتريهما الحزن ويدركان بطريقة غامضة أنهما لجآ إلى التسلية هذه المرة أيضا كوسيلة قصوى لمحاربة الكآبة التى عليها أهل مدن الموانئ وحياة ليس فيها الكثير (ما الذى يمكن أن يقال بعد «الكثير». الضيق غير الواضح فى فُم المعدة، وهو الحجر الأسود كالعادة).

كانت تاليتا تشرح الاكتئاب الذى عليه ترافلر للسيدة دى جوتوسو

ـ إنه يعتريه خلال فترة القيلولة، وكأنه يدخل إليه من غشاء الجنب.

ـ تقول السيدة دى جوتوسو :

ـ لابد وأنه نوع من الالتهاب فى الأحشاء يقولون إنه المولّد اللعين.

ـ إنه من الروح يا سيدتى، فزوجى شاعر، صدقينى.

كان يحبس نفسه فى دورة المياه، ويضع فوطة على وجهه، وتتساقط الدموع من عينيه من كثرة الضحك.

37

ـ ألم يقولوا لك إنه نوع من السعادة؟ أنت تعرفين ابنى فيكتور؛ إذ ترينه هناك يلعب مع الأشقياء، هو كالزهرة، صدقينى. لكن عندما تنتابه السعادة يضحك بهستيرية؛ إذ يغمض عينيه هاتين السوداوين ويفتح فمه وكأنه ضفدعة، وبعد هنيهة لا يتمكن من فرد أصابع قدميه.

ـ تقول تاليتا :

ـ ليس من الضرورى فرد أصابع القدمين .

تسمع ضحكات ترافلر وهو فى دورة المياه، فتقوم تاليتا بتغيير مسار الحوار بسرعة لتلهى السيدة دى جوتوسو. وعادة ما يترك ترافلر مخبأه وهو يشعر بحزن عميق وتتفهم تاليتا ذلك. لابد من الحديث عن تفهم تاليتا . إنه نوع من الفهم الساخر والحنون والبعيد. حبها لترافلر عبارة عن كسرولات متسخة وليالى طويلة من السهاد وقبول ناعم لخيالات الحنين والاشتياق وعشقه للتانجو وللحيلة، وعندما يشعر ترافلر بالحزن ويفكر فى أنه لم يسافر فى حياته (تعرف تاليتا أن ذلك لا يهمه ؛ذلك أن الأمور التى تقلقه أكثر عمقا من هذا) تتم مرافقته دون التحدث معه بكثرة، وتقديم مشروب الشاى والعمل على توفير السجائر والقيام بمهمة المرأة إزاء الرجل بأن تكون قريبة منه دون أن تغطى على ظله، وهذا هو الصعب فى الأمر. سعيدة تاليتا مع ترافلر وبالسيرك وبتمشيط القط الذى يقوم بالعمليات الحسابية قبل أن يدخل حلبة السيرك، وبتقديم الحسابات للمدير. وأحيانا ما تفكر بتواضع أنها أقرب بكثير عن ترافلر من تلك الأعماق الأولية التى تقلقهما، لكن أى إشارة ميتافيزيقية تفزعها بعض الشئ، وينتهى بها الأمر أن تقنع نفسها بأنه هو الوحيد القادر على القيام بالحفر وإحداث خروج السائل الأسود الملئ بالزيت. كل ذلك كان يظهر على السطح بعض الشئ فى شكل كلمات أو نماذج ويطلق عليه الآخر أو الابتسامة أو الحب هو أيضا السيرك والحياة. وكل هذا من أجل أن تطلق عليه الأسماء الظاهرية وغير المناسبة ولن تلحق به أبدا.

وعندما لا يكون هناك الآخر يتحول ترافلر إلى إنسان يشغل نفسه بالعمل والفعل. وكان يسمى ذلك بالفعل المقيد؛ فليس الأمر هو العمل على القتل. وقد مر طوال العقود الأربعة بمراحل قوية متنوعة: كرة القدم (فى الفريق المدرسى، سنتر فرويد، لم يكن سيئا) ورياضة العدو، والسياسة (سجن لمدة شهر عام **1934** فى سجن (ديبوتوDevato) عمل فى المناحل وتربية الأرانب (مزرعة مانثناريس التى أفلست فى الشهر الثالث؛ إذ أصيبت الأرانب بالأوبئة ولم يتم استئناس النحل) ثم فى قيادة السيارات (مساعد

37

المتسابق مارى مون Marimon، الذى انقلب فى سباق المقاومة Resistencie وكسرت له ثلاثة ضلوع) عمل أيضا فى النجارة (تشطيب الموبيليا التى تلقى على السطح بعد استخدامها، ولم يجن إلا الفشل الذريع) الزواج وركوب الدراجات فى طريق الجنرال بات Paz خلال أيام السبت وذلك باستئجار دراجة. والدافع وراء هذا الفعل هو مكتبة ذهنية وإتقان لغتين وسهولة فى الكتابة واهتمام ساخر بما هو غامض والكرات الزجاجية، وكذا محاولته فى أن يستخرج نبات تفاح الجن من خلال زراعة القلقاس الهندى فى طشت يملؤه بالتراب ويضيف إليه السائل المنوى، فينمو القلقاس بسرعة وتغزو أطراف النبات البنسيون، وتخرج من النوافذ؛ فتتدخل تاليتا بحذر مستخدمة المقص، وكان ترافلر يختبر ساق النبات وهو يشك فى حدوث شئ، ثم يتنازل صاغرا عن تفاح الجن الذى هو الشغل الشاغل وقلق الطفولة وأحياناً ما يشير ترافلر إلى قرين له أكثر حظاً منه، فتقوم هى بمعانقته وتقبيله وهى قلقة وتفعل ما فى وسعها لتباعده عن تلك الأفكار وتأخذه لمشاهدة فيلم لمارلين مونرو التى كان ترافلر يفضلها و- تفرمل - الغيرة الفنية فى ظلمة سينما برسيدنت روكا Presidentc Roca.

(-98)

38

لم تكن تاليتا واثقة من أن ترافلر سيسعد من عودة صديق من أيام الصبا إلى الوطن، فأول شئ فعله ترافلر عندما علم بأن الذى اسمه أوراثيو قد عاد بطريقة عنيفة إلى الأرجنتين على ظهر المركب أندريا ث Andrea C. ركل القط المحاسب ونادى بأن الحياة ما هى إلا مهزلة محضة. وعلى أى الأحوال فقد ذهب لاستقباله فى الميناء ترافقه تاليتا وقد وضعت القط المحاسب فى سلة. خرج أوليڤيرا من الغيلون ومن الجمارك وهو يحمل شنطة واحدة خفيفة، وعندما تعرف على وجه ترافلر رفع حاجبيه وسط مشاعر المفاجأة والغيظ.

ـ ماذا عندك، تشى،

ـ قال ترافلر وهو يضغط على يده مصافحا وسط انفعال لم يكن يتوقعه :

ـ التحية.

ـ قال أوليڤيرا :

ـ انظر هيا بنا إلى إحدى الشوايات فى الميناء لتناول السجق.

ـ قال ترافلر :

ـ أعرفك بزوجتى .

قال أوليڤيرا «سررت بمعرفتك» ومد يده مصافحا دون أن ينظر إليها وسرعان ما سأل عن هوية القط ولماذا أتيا به فى سلة إلى الميناء. شعرت تاليتا بالإهانة من طريقة الاستقبال ووجدتها غير لائقة أبدا وقالت بأنها ستعود بالقط إلى السيرك.

ـ قال ترافلر :

ـ حقا.

ـ إنها تبدو ضعيفة إلى جوار النافذة فى الترام؛ فأنت تعرفين أنه لا يروق له أن يكون بالقرب من المشى.

أخذ أوليڤيرا يتناول نبيذا أحمر ويأكل السجق، ولما لم يتحدث عن شئ ذى بال قص عليه ترافلر أمر السيرك وكيف أنه تزوج تاليتا ولخص له الموقف السياسى والرياضى للبلد، مركزاً على صعود الملاكم باسكوليتو بيريث Pascualito Perz، وقال إنه التقى بـ Fangio فانتخبوا فى باريس بالمصادفة وأن أعوج الساقين هذا بدا نائما. بدأ ترافلر يشعر بالجوع فطلب كرْسَة وسعد بأن أوليڤيرا أخذ أول سيجارة بابتسامة ودخنها بإعجاب، تناولا معا لتراً آخر من النبيذ الأحمر، وتحدث ترافلر عن طبيعة عمله، وأنه لم يفقد الأمل فى العثور على عمل أفضل؛ أى يبذل جهدا أقل ويكسب أكثر، وظل طوال الوقت فى انتظار أن يقول له أوليڤيرا شيئا، ليس يدرى ما هو، أى وجهة يكونا واثقين.

38

منها فى هذا اللقاء بعد زمن طويل.

ـ عرض :

ـ حسن، احك شيئا.

ـ قال أوليڤيرا :

ـ كان الطقس متقلبا جدا ومن حين لآخر يعتدل الجو فى بعض الأيام. هناك أمر آخر: لقد أحسن ثيسار بروتو Cesar Brute القول بأنه لو ذهبت إلى باريس فى شهر أكتوبر فعليك أن تذهب لزيارة اللوفر، وماذا؟ آه، حقا لقد ذهبت مرة إلى فيينا؛ فهناك مقاهى رائعة، وفيها سيدات بدينات يأخذن الكلب والزوج لتناول إستروديل strudel.

ـ قال ترافلر :

ـ حسن، حسن، لست مجبرا على الكلام إذا لم يرق لك ذلك.

ـ فى يوم من الأيام وقع منى قالب سكر تحت الترابيزة فى أحد المقاهى؛ فى باريس وليس فى فيينا.

ـ إذا ما كنت تريد الحديث عن المقاهى؛ فإن الأمر لم يكن يستحق أن تعبر المحيط.

ـ هذا الرجل يفهم ـ قال أوليڤيرا وهو يقوم بتقطيع ضفيرة من السجق، لكن هذا لن تجده فى مدينة النور تشى. مدينة الأرجنتينيين؛ فقد قالوا لى ذلك ـ إنهم يبكون من أجل اللحم البقرى، كما أنى عرفت سيدة كانت تتذكر بحنين وشوق طعم النبيذ المحلى؛ فالنبيذ الفرنسى فى نظرها لا يمكن تناوله مخلوطا بالصودا.

ـ قال ترافلر :

ـ ياللهول .

ـ وكذا الطماطم والبطاطس ،فهما أطعم من هناك ومن أى مكان.

ـ أرى أنك كنت تحك مرفقيك فى الكريمة.

ـ أحيانا، وعموما فمرفقى لم يرَ وقالها، وأقول هذا لأفيد من عبارتك المجازية اللطيفة، يالها من رطوبة يا أخى.

ـ قال ترافلر :

ـ آه، عليك أن تتأقلم من جديد على الطقس.

ظلا على هذا النحو خمسا وعشرين دقيقة.

(-39)

39

لم يكن أوليڤيرا ليقص على ترافلر أنه قام بجولة فى الأحياء الفقيرة عند توقف المركب في مونتفيديو، وأنه أخذ يسأل وينظر هنا وهناك، ويتناول كأسين من الكانيا ليكون محل ثقة أحد السُمر. ولا شئ اللهم إلا العديد من المبانى الجديدة قد وصل إلى الميناء قبل ساعة من إبحار الغليون اندرياث Andrea، وكانت المياه مليئة بالسمك الميت المقلوب على بطنه ويرى طافيا كذلك بعض الواقيات الذكرية على سطح المياه المليئة بالشحوم، ولم يكن أمامه بد إلا العودة إلى المركب فى أنه ربما كان لوكا. وفى الواقع كان لوكا أو بيروضيا Perugia. وذهب كل شئ.

وقبل أن يغادر المركب إلى الوطن الأم قرر أوليڤيرا أن كل ما حدث لم يكن ماضيا، وأن ذلك ليس إلا خدعة عقلية مثل خدع أخرى كثيرة التى يمكن أن تساعد على تصور سهل للمستقبل وقد قوته الألعاب التى تم لعبها. أدرك (وهو وحده على مقدمة السفينة عند الفجر وفى وسط الضباب الأصفر للعدم) أن لاشئ قد تغير إذا ما كان قد قرر البقاء ورفض الحلول السهلة. وإذا ما افترضنا وجود النضج فلم يكن إلا نفاقا. فلم يكن هناك شئ ناضج. ولا شئ يمكن أن يكون أكثر طبيعية من تلك المرأة وهى تحمل قطافى السلة وهى تنتظره إلى جوار مانولو ترافلر. إنها تشبه بعض الشئ، تلك المرأة الأخرى التى (لكن ماذا جناه من التجول فى هذه الأحياء الفقيرة فى مونتفيديو واستئجار تاكسى ليذهب به إلى أبعد نقطة فى الثيرو Cerro، ويسأل عن عناوين قديمة استعادتها ذاكرة غير راضية). كان لابد من مواصلة الطريق أو العودة على بدء أو الانتهاء: ليس هناك كويرى حتى الآن. كان يحمل شنطة فى يده، واستند إلى جدار إحدى الشوايات فى الميناء. وذات ليلة حكى له رجل شبه سكران بعض الطرائف عن المغنى الجوال بيتينوتى وكيف أنه كان يغنى ذلك الفالس: تشخيصى بسيط: أعرف أن لا علاج لى. بدت له كلمة «التشخيص» ضمن كلمات الفالس أمرا لا يقاوم، لكنه الآن يكرر هذه الأبيات بنغمة قاطعة، بينما ترافلر يقص عليه أمر السيرك وأمر L.O.lausse حتى خوان بيرون Juan Peron.

(-86)

40

أدرك أن العودة هى فى واقع الأمر الذهاب فى أكثر من معنى. كان ينمو مع جيكريبتين المسكينة والمتفانية، فى حجرة فندق مقابلة لبنسيون «سويرالس»؛ حيث كان يقيم ترافلر وزوجته، سارت الأمور معهما سيرا حسنا فجيكريبتين سعيدة وكانت تعد فناجين الشاى بطريقة ممتازة، ورغم أنها كانت تمارس الحب بنوع من التثاقل إلا أنها كانت تتمتع ببعض الصفات المنزلية الهامة، فكانت تهئ له الوقت الكافى ليفكر فى الأمر الخاص بالعودة والذهاب، فهذه كانت مشكلة تقلقه أثناء تحصيل عمولات بيع مقاطع الجبردين، انتقده ترافلر فى البداية؛ لأنه كان يصر على أن كل شئ فى بوينوس أيرس وأن هذه المدينة ما هى إلا واحدة من القحاب التى ترتدى الكورسيه. غير أن أوليڤيرا فسر له ولتاليتا أن هذا النقد ملئ بالحب لا يراه المجانين من أمثالهما. وانتهى بهما الأمر فى أنه على حق، وأن أوليڤيرا لا يمكن أن يدخل فى مصالحة منافقة مع بوينوس أيرس، ولما كان قد مكث فترة بعيدا جدا عن البلاد فى أوربا، فإن الأشياء البسيطة والقديمة بعض الشئ كانت تسعده: مثل الشاى وأسطوانات دى كارو De Caro، وأحيانا الميناء فى المساء. كان ثلاثتهم يتجولون كثيرا فى المدينة منتهزين الفترة التى تعمل فيها جيكريبتين فى أحد المحلات، وكان ترافلر يتلصص فى أعماق أوليڤيرا على ملامح المواطنة ويقوم بتسميد الأرض بالكثير من البيرة، لكن تاليتا كانت أكثر عنادا (وهذا ملمح أساسى للامبالاه) وتطالب بالانضمام إلى المكان خلال وقت قصير: فهناك لوحات كلوريندو تستا Clornde testa على سبيل المثال أو أفلام تورى نيلسون[1] Tarre Nilson. كانت تدور مناقشات حادة بشأن بيولى كاسارس[2] Bioy casares. ودافيد بينياس[3] David Vinas والأب كاستيلانى[4] Castellani ومادناوتا Manauta وسياسة YPF [5] وأدركت تاليتا فى النهاية أن أوليڤيرا لا يهمه أن يكون فى بوينوس أيرس أو بوخارست، وأنه لم يعد فى الواقع بل أتوابه. وتحت سطح المناقشة كان يدور هواء وتلاقى الثلاثة فى هوسهم بالبحث عن وجهات النظر التى تخرج الناظر والمنظور إليه من البؤرة.. وبعد مشاجرات بدأت تاليتا وأليڤيرا فى احترام بعضهما البعض. كان ترافلر يتذكر أوليڤيرا عندما كان عمره عشرة أعوام، فكان الألم يعتصر قلبه، وربما كان سبب الألم هو الغازات التى تولدت عن شرب البيرة.

ـ يقول ترافلر :

ـ الأمر بالنسبة لسيادتك هو أنك لست شاعرا لا تشعر مثلنا بأن المدينة هى عبارة عن جوف كبير يتأرجح ببطء تحت السماء، وأن هناك عنكبوتا ضخما تبلغ أرجله القديس

40

بيثنتى وفى بورثاكو Burgaco وفى سراندى Sarandi وفى البالومار Palomar - أما الأرجل الأخرى فهى موضوعة فى المياه، وياله من عنكبوت مسكين بسبب هذا النهر القذر.

ـ قالت تاليتا مشفقة بعد أن أخذت تثق به :

ـ أوراثيو يصبو إلى الكمال؛ إنه الإنسان المغتاظ فوق الجواد الأصيل. عليك أن تتعلم منا، فكلانا من أهالى المدن الساحلية البسطاء ،ومع ذلك نعرف من هو بيير دى ماندريارجيس(٦) Pieyre de Mandiargues.

ـ يقول ترافلر وهو يدور بعينيه :

ـ وفى الشوارع تشير فتيات جميلات العيون ووجوه فى الأرز باللبن وإذاعة راديو الموندو Radio El Mando، كل ذلك ترك طبقة من بودرة التلك عبارة عن أكذوبة مهذبة.

ـ والمتخصصين فى الفلكلور الكانيجى Canyengue وكأنهم خدم. ذكرنى ونحن فى المنزل أن أقرأ لك أيها العجوز اعترافات إيفون جيترى Ivanne Gwtey، إنه لشئ عظيم.

ـ بالمناسبة، تقول السيدة/ دى جوتوسو بأنك إذا لم تعد لها المختارات الشعرية لجيرالد فسوف تضربك على أم رأسك ـ أبلغ تاليتا.

ـ أول شىء هو أن أقرأ الاعتراف على أوراثيو. وعليها أن تنتظر، إنها عجوز مقيتة.

ـ سأل أوليڤيرا :

ـ هل السيدة/ دى جوتوسو هى تلك الظبية التى تقضى يومها تتحدث مع جيكريتين؟

ـ نعم، هما صديقتان خلال هذا الأسبوع، وسوف ترى ذلك خلال بضعة أيام، فالحى الذى نعيش فيه هذه طبيعته.

ـ قال أوليڤيرا :

ـ يغمره ضوء القمر.

ـ قالت تاليتا:

ـ هو أفضل بكثير من سان جيرمان دى بديه الذى تحدثت عنه.

ـ قال أوليڤيرا وهو ينظر إليها وربما أغمض عينيه بعض الشئ.

ـ بالطبع ... وهذه الطريقة فى نطق اللغة الفرنسية، تلك الطريقة، وفيما إذا كان يغمض عينيه بعض الشئ (إنها صيدلانية للأسف)

ولما كان يروق لهم اللعب بالألفاظ اخترعوا فى تلك الأيام الألعاب فى المقابر بادئين باسم خوليو كارسايس(٧) Julio Casars على سبيل المثال عند صفحة 558، ثم اللعب

40

بلفظة hallulla (رغيف رقيق) و hamago (مادة صفراء يخزنها النحل فى بعض الخلايا) و (النسر صياد السمك) و Halogue(زروق من طراز قديم)، (داء الصقور الذى يؤدى إلى تقطيع الريش) و Harambel المتلجلج Harbullista و Harca (عصابة من جنود غير نظاميين) و Harija (غبار الدقيق). ويظلون فى حقيقة الأمر على شئ من مشاعر الحزن وهم يفكرون فى إمكانيات لم تتم الإفادة منها بسبب الطبيعة الأرجنتينية ومرور الزمن - الذى - لا يرحم - وفيما يتعلق بالصيدلانية كان ترافلر يلح كثيرا على أن أصله اسم وثنى لأمة ميروفنجية Merouingia، ثم قام هو وأوليڤيرا بكتابة قصيدة ملحمية تتحدث عن أن الرُّحل من الصيدلانيات قمن بغزو إقليم قطالونيا، وأشعن فيه الرعب ونبات الخَرْبَق eleboro والفلقليات. إنها الأمة الصيدلانية من الخيول الضخمة، إنه التأمل فى الأدغال الصيدلانية آه، يا إمبراطورة الصيادلة، الرحمة بالضعاف والمربوطين مَنْ قرونهم ومن أصابهم الخرس والكسالى.

وفى الوقت الذى كان يقوم فيه ترافلر بالسعى لدى المدير حتى يجعله يدخل السيرك، فإن الهدف الذى هو وراء الأرق كان تناول الشاى فى الحجرة ومحاولة أن يعرف آخر تطورات الآداب الوطنية ولكن دون رغبة حقيقية. ولما أسلم نفسه لتلك المهام هبط الحماس وقلت بشكل واضح مبيعات مقاطع الجبردين. بدأت الاجتماعات فى حوش السيد/ كويسبو صديق ترافلر، وهو الذى كان يؤجر حجرات للسيدة دى جوتوسو ولسيدات أخريات ورجال آخرين شجعه حنان جيكريبتين التى كانت تعامله بلطف كأنه طفل صغير، فكان أوليڤيرا ينام كثيرا لدرجة لايستطيع معها أكثر من ذلك، وخلال فترات اليقظة الداخلية كان ينظر أحيانا فى كتاب صغير لكريبل Creuel الذى وجده فى قاع الشنطة. ثم يتخذ هيئة إحدى شخصيات القصص الروسية. ولا يمكن أن يتمخض أى شئ جيد عن هذه الطريقة المنهجية. وكان هو الآخر واثقا من ذلك، أى من أنه عندما يقوم بإغماض عينيه بعض الشئ يمكن أن ترى بعض الأشياء وقد رسمت بشكل أفضل. وهذا أفضل من رؤيتها أثناء النوم إذ تتضح معالم السحاب meninges. لم يحدث تقدم كبير فى موضوع السعى فى وظيفة، فالمدير لايريد أن يعرف شيئا عن موظفين جدد، وعندما حل الظلام، وقبل أن تتضح معالم الوظيفة، أتى ترافلر وزوجته لتناول الشاى مع السيد كويسبو، وجاء أوليڤيرا أيضا وكان الجميع يستمعون لأسطوانات قديمة على بيك آب كان يعمل بمعجزة، وهذه هى الوسيلة التى يجب الاستماع إلى الأسطونات القديمة من خلالها. كانت تاليتا تجلس أحيانا فى مواجهة

40

أوليڤيرا ليقوما بألعاب القبر أو تحدى النفس أمام لعبة الأسئلة ـ الميزان، اخترعاها مع ترافلر وكانت تروق لهم كثيرا. كان السيد كريسبو ينظر إليهم على أنهم مجانين، بينما هم بلهاء فى نظر السيدة دى/ جوتوسو.

ـ كان ترافلر يقول لأوليڤيرا دون أن ينظر إليه :

ـ لا تتحدث أبدا عن ذلك.

كان أقوى منه. فعندما يقرر مساءلته كان عليه أن يباعد ناظريه دون أن يدرى السبب لكن لم يتمكن من ذكر اسم عاصمة فرنسا؛ إذ كان يشير إليها بـ «ذلك» مثل الأم التى تقوم بتقشير ثمرة جوز الهند باختراع أسماء غير عدوانية للأماكن الحساسة عند الأولاد وهى أشياء من عند الله.

ـ كان يجيب أوليڤيرا :

ـ لا أهمية على الإطلاق اذهب لترى إذا لم تكن تصدقنى كانت هذه أفضل طريقة.

لإثارة حنق ترافلر، الرحال الفاشل. وبدلا من أن يصر على تساؤلاته كانت جيتارنه الرهيبة القديمة التى تنسب إلى بيت أمريكا Casa Anerica تهتز وتبدأ فى ضرب إيقاع التانجو. كانت تاليتا تنظر بطرف عينيها لأوليڤيرا وهى تحمل بعض النغمة. فقد وضع ترافلر فى مخيلتها أن أوليڤيرا إنسان غريب، دون أن يقول ذلك بوضوح بالغ، وأنه بالرغم من أن ذلك ظاهر للعيان، فإن الغرابة لابد وأن تكون من نوع آخر، وتسير فى اتجاه آخر. كانت تمر بعض الليالى والجميع صامت كأنه ينتظر شيئا. كانوا على أفضل حال مجتمعين، لكن الأمر كان بمثابة الهدوء الذى يسبق العاصفة. فى تلك الليالى كانوا يفتحون لعبة الحيانة فتقع بين أيديهم أشياء مثل Cisco (جلبه) Ciaticero (كيسة مذنبة) و cito! لو Cisma (انشقاق) و Cistico (مسال مرارى) وCision (قطع). وفى النهاية يخلدون للنوم وقد تعكر مزاجهم بشكل واضح، ويحلمون طوال الليل بأشياء مسلية ولطيفة ؛أى أن ذلك كان نوعا من العبث.

(– 59)

41

كانت الشمس تضرب وجه أوليڤيرا ابتداء من الثانية بعد الظهر.أضف إلى ذلك كان يصعب عليه فى ظل هذا الحرّ أن يقوم إعوجاج مسمار بالدق عليه على البلاط (والجميع يعرف حجم المخاطر التى ينطوى عليها تقويم إعوجاج مسمار بالدق عليه، إذ تمر لحظة يكون فيها المسمار قد أخذ وضع الاستقامة شبه الكاملة، وعندما يطرق مرة أخرى يلف ويغط بقوة على الأصابع التى تمسك به. إنه لأمر مثير للغيظ) وبإصرار على بلاطة واحدة (لكن الجميع يعرف أن) بإصرار على بلاطة واحده (لكن الجميع) بإصرار.

«ليس هناك أدنى حق». فكر أوليڤيرا وهو ينظر إلى المسامير المبعثرة على الأرض»، كما أن دكاكين الحدادة مغلقة فى مثل هذه الساعة. وإذا ما ذهبت وطرقت على الأبواب فسوف يطردوننى ركلاً وكل ما أريده هو أن أبتا ع منهم مسامير بثلاثين جيتا guitas على أن أقوم المسامير المعوجة، ولا مناص من ذلك.

فى كل مرة يتمكن فيها من تقويم مسمار بنسبة خمسين فى المائة كان المسمار يرفع رأسه ويتخذ وجهته نحو النافذة المفتوحة ويصغر حتى يتطلع ترافلر من النافذة كان يرى جزءا كبيرا من حجرة النوم وهو فى غرفته، وكان هناك هاجس يقول له إن ترافلر فى غرفة النوم وربما فى حالة مضاجعة مع تاليتا. كان ترافلر وزوجته ينامان كثيرا أثناء النهار، ولم يكن ذلك بسبب العناء فى السيرك فقط بل كان على سبيل العمل بمبدأ الكسل الذى يحترمه أوليڤيرا. كان من المؤلم إيقاظ ترافلر فى الثانية والنصف بعد الظهر، لكن أوليڤيرا قد ازرقت أصابعه التى كان يمسك بها المسامير، وأخذت كدمات الدماء فى الانتشار والنضح، وأصبح الإصبع كأنه النرد غير المتقن الصنع. لقد كان أمرا منفرا للغاية. وكلما رأى الكدمات كلما شعر بالحاجة إلى إيقاظ ترافلر. وفوق هذا كان يرغب فى تناول الشاى لكنه لم تتبق عنده أعشاب، أو بمعنى آخر بقى عنده ما يكفى لعمل نصف كوب، وكان من المناسب أن يقوم ترافلر أو تاليتا بإعطائه الجزء الباقى ملفوفا فى ورقة ومربوطا إلى بعض المسامير حتى يقذف إليه عبر النافذة ويمكن تحمل القيلولة بتناول الشاى والمسامير المستقيمة.

«غريبة تلك القدرة التى أتمتع بها فى الصفير» فكر أوليڤيرا وهو حائر. ومن الدور الأسفل حيث كانت تقيم ثلاث نساء وفتاة لأداء الطلبات. كان هناك من يرد عليه بصفير

41

مضاد ومحزن، فهو صفير يشبه غليان الـ Paua وقد اختلط بصفير من فقد أسنانه.
كان أوليڤيرا سعيدا بالاعجاب والمناوأة التى يثيرها صفيره. فلم يمارس الصفير فى كل لحظة بل ادخره للأوقات المهمة. وأثناء الساعات التى يخصصها للقراءة، من الواحدة صباحا حتى الخامسة فجرا ولكن بشكل متقطع، توصل إلى نتيجة غير مؤكدة تقول بأن الصفير لم يكن موضوعا من الموضوعات البارزة فى الأدب. فقليل من المؤلفين كانوا يجعلون الشخصيات التى يبدعونها تمارس الصفير، ليس هناك أى واحد منهم. ويقومون بإدانة أبطالهم بأن يجروا على ألسنتهم مجموعة عبارات تتسم بالرتابة الشديدة (يقول، يجيب، يغنى، يصرخ، يتلعثم، يهمس، يغمغم، يتحدث بصوت منخفض، يتعجب، يتحدث بصوت جهورى) لكن لم يكن هناك أى بطل أو بطلة وقد توج أو توجت لحظة عظيمة فى المسار الحياتى بصفير من ذلك النوع الذى يكسر الزجاج، فالإقطاعيون الإنجليز كانوا يصفرون للنداء على كلابهم، كما أن بعض أبطال قصص شارلز ديكنز كانوا يصفرون للحصول على Cab. أما فيما يتعلق بالأدب الأرجنتينى فالصفير قليل، مما كان مثار خجل. ولهذا ورغم أن أوليڤيرا لم يقرأ شيئا لـ كامبا تشيرس(١) Cambaceres كان يميل إلى اعتباره أستاذا على أساس عناوين مؤلفاته، وأحيانا ما يتصور استمرار يكون فيه الصفير واضحا فى الأرجنتين المرئية وغير المرئية، وأنه سيلفها فى خيطه الرقيق الشفاف، ويجعل العالم فاغرا فمه أمام هذه الطبقة الدهنية المتجعدة التى ليست لها علاقة بصورة القصور التى ترسمها السفارات ومحتوى الملاحق الأسبوعية لكل من صحيفة Prensa التى أسسها چاينثاباث وصحيفة لاناثيون Naeion أسسها ميترى Mitre، وكذلك الصعود والهبوط الذى عليه نادى الكرة بوكا جونيورBoca Juniors والمثقفين المونى فى أغنيةبياجوالا baguala وحى الأدباء "Boedo" «على القبحة التى أنجبته» (البحث عن مسمار) «إنهم يصادرون علىّ حتى مجرد التفكير فى هدوء، وهذه مصيبة»، وفيما عدا ذلك فتلك الخيالات كانت تشعره بالاشمئزاز لسطحيتها رغم أنه قد يكون على قناعة بأنه يجب الإمساك بالأرجنتين من الجانب المخجل، والبحث عن حيائها المختبئ طوال قرن من الاغتصاب بشتى صنوفه كما بيّن ذلك كتّاب المقالات فيها. ومن أجل ذلك كان من الضرورى أن يوضح لنفسه

41

بطريقة ما أنه لا يمكن أن يأخذ الأمر بالجدية التى يريدها. من ذلك الذى يجرؤ على القيام بدور مهرج السيرك الذى يقوم بتفكيك الكثير من السيادة فى الصاروخ المعجزة؟ من الذى يجرؤ على الضحك فى وجهها ليراها وقد احمر وجهها وربما ابتسمت أحيانا وكأنها تقابل أحدا وتتعرف عليه؟ تشى، لكن بيب، يالها من طريقة لتعكير صفو اليوم، لنر فيما إذا كان ذلك المسمار سوف تكون درجة مقاومته أقل من المسامير الأخرى، فشكله ظريف.

«الجو بارد جدا» قال أوليڤيرا لنفسه؛ إذ كان يعتقد فى الإيحاء الذاتى. كان يتصبب عرقا ،وكان من المستحيل عليه الإمساك جيدا بالمسامير وجانبها المعوج متجها إلى أعلى، إذ إن أقل طرقة ستجعل القادوم ينزلق إلى الأصابع المبتلة (من البرد) ويقرصه المسمار ويصيبه بالكدمات (من البرد). وساءت الأمور؛ إذ دخل ضوء الشمس إلى أرجاء الحجرة (كانت بمثابة القمر الذى ينشر ضوءه على السهول المغطاة بطبقة الجليد، أما هو فكان يصفر لحفز الخيل التى كانت تجرّ زحافته)، وفى الثالثة لم يبق أى ركن إلا وغزاه الجليد. كان الجو مهيأ لسقوط الجليد ببطء حتى يسيطر عليه النعاس الذى أجادت وصفه الروايات السلافية. وأصبح مغطى بالبياض القاتل لزهور الفضاء الناعمة. كان ذلك جيدا: زهور الفضاء الناعمة. فى هذه اللحظة هوى القادوم على إصبعه الإبهام. كان البرد الذى غزاه قويا لدرجة أنه استلقى على الأرض ليتغلب على التصلب الذى يحدثه التجمد وبعد هنيهة استطاع الجلوس وهو يهز يده فى كل الاتجاهات، وكان مبتلا من رأسه حتى أخمص قدميه، وربما كان مرد ذلك هو الجليد الذائب أو المطر الخفيف الذى يتناوب مع زهور الفضاء الناعمة، وتساهم فى تطرية جلد الذئاب.

كان ترافلر يربط بنطلون البيجامة، وكان يرى أوليڤيرا جيدا من النافذة وهو يصارع الجليد والسهول. كان على وشك أن يستدير ويقول لتاليتا أن أوليڤيرا سقط على أرض الحجرة ،أخذ يهز يده فى كل اتجاه. لكنه أدرك أن الموقف فيه شئ من الخطورة وأن من المستحسن مواصلة أداء دور الشاهد المتجهم وغير المبالى.

ـ قال أوليڤيرا:

ـ أخيرا تخرج ، يا للهول، ظللت أصفر لك نصف ساعة. انظر إلى يدى وبها الكثير

41

من الكدمات.

ـ قال ترافلر :

ـ ليس السبب هو بيع مقاطع الجبردين .

ـ السبب هو تقديم بعض المسامير، تشى، أنا فى حاجة إلى مسامير مستقيمة وبعض الأعشاب.

ـ قال ترافلر :

ـ هذا أمر سهل، انتظر.

ـ اصنع لفة واقذف بها إلىّ.

ـ قال ترافلر :

ـ حسن لكن أفكر أن ذلك سوف يكلفنى الذهاب إلى المطبخ

ـ قال أوليڤيرا :

ـ لماذا أنت لست بعيدا جدًا عنه.

ـ لا، لكن هناك حبل ممدد وعليه الغسيل إلى غير ذلك من هذه الأمور.

ـ نوه أوليڤيرا :

ـ ادخل من تحت الحبل وإلا فاقطعه؛ فاحتكاك القميص المبتل ببلاط الأرضية هو شئ لا ينسى، ويمكننى أن أقذف لك بسكين برى الأقلام وأراهن على أننى يمكن أن أرشقها لك فى النافذة. ففى صغرى كنت أفعل ذلك على بعد عشرة أمتار .

ـ الأمر السيئ عندك هو أنك ترجع أى مشكلة للطفولة. لقد مللت من تكرار أن عليك أن تقرأ ليون Jung تشى. وها هو أنت تظهر المشكلة بحديثك عن سكين برى الأقلام، ويمكن لأى أحد القول بأنها سلاح عابر للكواكب. لا يجرى أى حديث معك إلا وكانت سكين برى الأقلام واحدة من مكونات الحديث. قل لى ما علاقة هذا بحاجتك إلى قليل من الأعشاب وبعض المسامير.

ـ قال أوليڤيرا وقد أحس بالإهانة :

ـ حضرتك لم تتابع التسلسل المنطقى؛ أول شئ فعلته هو أننى ذكرت اليد المصابة بكدمات وبعد ذلك المسامير، وعندئذ قلت لى إن هناك أحبال الغسيل التى تحول دون دخولك

41

المطبخ، فكان من المنطقى أن دفعنى حبل الغسيل للتفكير فى السكين، يجب على سيادتك أن تقرأ لإدجار بويه تشى. ورغم الأحبال فليس عندك خيوط ،هذا هو ما يحدث لك.

اتكأ ترافلر بمرفقيه على حافة النافذة وألقى نظرة على الشارع، لم يكن هناك إلا مساحة صغيرة من الظل تكاد تلتصق بأرض الشارع. وعندما ترتفع إلى الدور الأول نجد شعاع الشمس فى حالة هياج أصفر يضرب فى كل مكان ويكاد يسحق وجه أوليڤيرا.

ـ قال ترافلر:

ـ إن سيادتك تعيش حالة سيئة كل قيلولة مع هذه الشمس .

ـ قال أوليڤيرا :

ـ هذه ليست الشمس، خذ فى اعتبارك أنها القمر، وأن البرد قارص. لقد أصبحت يدى هكذا بسبب تعرضى لتجمد الأطراف، ثم يعقب ذلك الإصابة بالفرغرنيا، وخلال بضعة أسابيع سوف تزورنى وأنت تحمل زهور الكلاديولاس وتضعها على قبرى.

ـ قال ترافلر وهو ينظر إلى أعلى :

ـ أهذا هو القمر؟ ما سوف آتيك به هو كمادات مبللة با Vieytes.

ـ قال أوليڤيرا :

ـ إن أفضل شئ هناك هو وجود من بهم فحش، خاصة إنك سليط اللسان يا مانو Manei.

ـ قال أوليڤيرا وهو يهز يده وكأنه يحاول فصلها عن ذراعه:

ـ قلت لك خمسين مرة ألا تنادينى بـ مانو.

ـ قال ترافلر :

ـ تناديك تاليتا بـ مانو ـ الفوارق بينك وبين تاليتا هى أمر ظاهر للعيان. لست أدرى السبب فى استخدامك نفس ألفاظها. وسألنى عن ذلك كل سرطانات البحر الناسكة والتكافل (Simbioos)فى كافة أشكاله وباقى الطفيليات.

ـ قال أوليڤيرا :

ـ إن رقة سيادتك تكاد تذيب روحى.

ـ شكرا. كنت تطلب الأعشاب والمسامير. لماذا تريد المسامير؟

ـ قال أوليڤيرا وقد اختلط عليه الأمر :

41

ـ لست أدرى؛ لقد أخرجت علبة المسامير المصنوعة من الصفيح واكتشفت أن كل ما بها من مسامير معوج. فأخذت فى تقويمها فى ظل هذا البرد، وها أنت ترى... لدى انطباع بأنه إذا ما توفرت لدى المسامير المستقيمة فسوف أعرف الغرض منها.

ـ قال ترافلر وهو يدقق النظر إليه :

ـ أمر مهم، أحيانا ما تحدث لسيادتك أشياء مثيرة للفضول؛ فأول شئ هو المسامير وبعد ذلك الغرض منها، **ياله من درس عظيم أيها العجوز.**

ـ لقد فهمتنى سيادتك دوما ـ قال أوليڤيرا ـ أما الأعشاب فهى، كما تتصور، بغرض إعداد شاى بدون سكر.

ـ قال ترافلر :

ـ حسن انتظرنى، ويمكن أن تصفر لى إذا ما تأخرت عليك كثيرا، إذ تجد تاليتا نوعا من التسلية فى هذا الصفير.

أخذ أوليڤيرا يهز يده وهو متجه إلى الحوض ومسح وجهه وشعره بالماء. وظل يفعل ذلك حتى ابتلت الفانلة، ثم عاد إلى جوار النافذة عملا بالنظرية القائلة بأن أشعة الشمس التى تسقط على الملابس المبتلة تحدث إحساسا عنيفا بالبرى «التفكير فى أننى سأموت» قال ترافلر لنفسه «دون أن أرى على الصفحة الأولى أول الأخبار وأبرزها: لقد سقط برج بيزا! إنه لخبر محزن إذا ما تأملناه جيدا».

أخذ يفكر فى عناوين وهى وسيلة تساعد على قضاء الوقت. لقد تعقدت الخيوط الصوفية للنسيج ومات مخنوقا فى لانوس الغرب، ثم أخذ يعدد العناوين حتى مائتى عنوان.

ـ غمغم أوليڤير :

ـ على أن أنتقل من هذا السكن، فهذه الحجرة عظيمة الصغر، وفى الواقع لم يجب أحد.

ـ قال أوليڤيرا برقة :

ـ الأعشاب ،الأعشاب، تشى. لا تفعل بى هذا يا مانو. إننى أفكر فى أنه يمكننا الحديث عبر النوافذ معك ومع توليتا وربما تأتى السيدة/ دى جوتوسو أو الخادمة ، ثم نقوم بممارسة ألعاب الجبانة وغيرها.

«وبعد كل ذلك» فكر أوليڤيرا «يمكننى أن أمارس لعبة الجبانى بمفردى».

أخذ يبحث عن قاموس الأكاديمية الملكية الإسبانى حيث وجد أن كلمة الملكية Real

41

الموجودة على دفة القاموس ممسوحة وفتحه كيفما اتفق وأعدّ لمانو اللعبة التالية:

لقد سئموا من الزبون Cliente ومن cleonasmcs فأخرجوا له الترس el clipeo وجعلوه يبتلع الرخويات المحارية cloaca رغم أنه كان يقلق clocaba بسبب هذا الانحدار clivaso الصاعد للمياة المخلوطة بنبات رأس العصفور clinopodio، وأخذ يحرك العيون clisos كأنه إنسان غليظ clerijon كلوروفيلى clarotico.

- قال أوليڤيرا بإعجاب شديد:

- ياللهول.

فكر أيضا أن كلمة «يطأ» يمكن أن تكون أيضا نقطة بداية، لكنه خرج صفر اليدين عندما اكتشف أنها غير موجودة فى الجبانة. وعلى العكس من ذلك ففى باب Jonuco هناك Jonjabando أى أن هناك اثنين من الـ Jobs شغوفين بالانصراف Joparse. والأمر السيئ هو أن الـ Jerbin كان قدjamado إذ تقيأهم وكأنهم Jacos مصابة بداء وبائى.

«وإنها حقا مقبرة» فكرّ «لست أدرى كيف يستمر تجليد هذه القذارة».

أخذ يكتب ألقابًا أخرى، لكن لم يوفق؛ فقرر إجراء تجربة على الحوارات التقليدية، وأخذ يبحث عن الكراسة التى كان يدون فيها تلك الحوارات بعد استلهامها وهو فى المترو والمقاهى والحانات. كان فى الكراسة حوار شبه منتهى يدور بين إسبان؛ فقام بمراجعته، وقبل ذلك صب على نفسه كوبا من الماء.

حوار تقليدى بين الأسبان.

لويث: ــ عشت عاما كاملا فى مدريد ــ انظر ياسيدى، كان ذلك عام **1925** و....

بيريث: فى مدريد؟ بالأمس تحديدا كنت أقول للدكتور جارثيا ...

لويث: من عام **1925** حتى عام **1926**؛ حيث كنت أعمل أستاذا للأدب فى الجامعة.

بيريث: ــ كنت أقول له «يارجل، إن كل من عاش فى مدريد يعرف ما هو ذلك الأمر».

لويث: ــ لقد أنشأوا كرسيا catedre خصيصا لى حتى أتمكن من إلقاء محاضراتى عن الأدب.

بيريث: ــ بالضبط، بالضبط. أنا كنت أقول بالأمس للدكتور جارثيا الذى هو صديق حميم لى ...

41

لويث: ــ وبالطبع عندما يعيش المرء هناك أكثر من عام، فهو يعرف جيدا أن مستوى الدراسة متواضع جدا.

بيريث: هو ابن باكو جارثيا الذى كان وزيرا للتجارة، وكان يربى ثيران المصارعة.

لويث: ــ هو أمر مخجل. صدقنى، هو أمر مخجل حقا.

بيريث: نعم يا رجل، لا مراء فى ذلك. فذلك الدكتور جارثيا ...

أصاب أوليفيرا بعض الملل من الحوار فأغلق الكراسة «شيبا shiva» فكر فجأة «آه أيها الراقص الكونى، كيف سَيُرى وميضُك أيها البرونز الدائم تحت هذه الشمس لماذا أفكر فى شيبا؟ بوينوس أيرس، يعيش المرء. طريقة عجيبة جدا. حصل على موسوعة. ماذا أفدت من فصل الصيف أيها البلبل. الأسوأ من هذا هو التخصص وقضاء خمس سنوات فى دراسة سلوكيات الجراد acridido لكن انظر، يالها من قائمة لا يصدق محتواها، بيب، انظر إلى ذلك قليلا.

كانت ورقة صفراء اقتطعت من مستند دولى، فربما كان أحد مطبوعات اليونسكو أو هيئة من هذا القبيل، وعليها أسماء أعضاء مجلس برمانيا. خرج أوليفيرا بالقائمة ولم يقاوم رغبته فى إخراج قلم رصاص وكتابة هذه الألعاب الأدبية التى تعتمد على القيم الصوتية Jitanjaferc.

UNu,

U Tin

Mya Bu

Thado Thiri Thudama U E Maung,

Sithu U Cho

Wunna Kyaw Htin U khin Zaw,

Wunna Kyaw Htin U Thein Han,

Wunna Kyaw Htin U Myo Min,

Thiri Pyanchi U Thant,

Thado Maba Thray Sithu U Chan Htoon.

إن المفردات "Wunna Kyaw Htin" الثلاثة بها بعض الرتابة». قال لنفسه وهو ينظر إلى الأبيات: لابد وأن معناها «صاحب السيادة المعظم» تشى، وأفضل من تلك الثلاثة

41

هنا Thiri, Pyanchi U Thant فإيقاعها الصوتى أفضل، وكيف يمكن نطق Htoon؟

– قال ترافلر:

– التحية .

– قال أوليڤيرا :

– التحية، الجو بارد جدا، تشى.

– آسف لأنى جعلتك تنتظر؛ فأنت تعرف، المسامير ...

– قال أوليڤيرا :

– بالتأكيد المسمار هو المسمار، وخاصة إذا ما كان مستقيما هل أحضرت اللفة؟

– قال ترافلر وهو يحك أحد جوانب صدره :

– لا ياله من يوم مزعج، تشى، إنه كالنار.

– قال أوليڤيرا وهو يتحسس الفانلة التى أصبحت جافة تماما :

– أبلغنى حضرتك تعيش مثل السامـاندرا Salamandre تعيشون فى عالم فيه العرافة دائمة. هل أتيت بالأعشاب؟

– قال ترافلر :

– لا، لقد نسيت الأعشاب تماما، ليس معى إلا المسامير.

– حقًا هيا اذهب للبحث عنها، وعليك أن تلفها وتقذف إلىّ باللفة.

نظر ترافلر إلى نافذة مسكنه ثم إلى الشارع ثم نظر إلى نافذة أوليڤيرا فى النهاية.

– قال :

– سوف يكون صعبا؛ سيادتك تعرف أننى لم أُجِدْ التصويب أبدا ولو كان على بعد مترين، وفى السيرك سخروا منى كثيرا.

– سيادتك تقول، سيادتك تقول، وبعد ذلك تتساقط منك المسامير على رأس أحد المارة، وعندئذ تقع الواقعة.

– قال أوليڤيرا:

– ألق إلىّ باللفة، وبعد ذلك تلعب لعبة الجبانة .

– من الأفضل أن تاتى لتأخذ الأعشاب.

– هل أنت مجنون؟ سيكون علىّ أن أنزل ثلاثة أدوار، وأسير وسط الجليد ثم أصعد

أدوارا ثلاثة، هذا لايحدث حتى فى قصة «عشّة العم توم».

– ولست تريد منى القيام بممارسة صعود جبال الأنديز ليلا.

– قال أوليڤيرا بلهجة فيها صرامة:

– ليس هذا ما أقصد.

– كما لا تريد منى القيام بالبحث عن لوح خشب أمام المطبخ لأصنع لك كوبرى.

– قال أوليڤيرا :

– هذه الفكرة ليست سيئة من كافة النواحى؛ فهى تساعدنا على استخدام المسامير، أتولى أنا الجانب الذى يخصنى وأنت الجانب الخاص بك.

– قال ترافلر:

– انتظر، ثم اختفى.

أخذ أوليڤيرا يفكر فى شتيمة قوية يسحق بها ترافلر عند أول فرصة سانحة، وبعد أن قلب فى أوراق الجبانة وألقى على جسمه بكوب ماء وقف تحت الشمس فى النافذة. لم يتأخر ترافلر كثيرا وأخذ يخرج من النافذة لوحا خشبيا ضخما. فى هذه اللحظة أدرك أوليڤيرا أن تاليتا تساهم أيضا فى تحريك اللوح الخشبى، وحياها بصفيره. كانت ترتدى روبا خفيفا أخضر اللون ملتصقا بجسدها وكأنها تشير إلى أنها كانت عريانة.

– قال ترافلر متأففا :

– يالك من غليظ فى أي متاعب تضعنا.

واتت الفرصة لأوليڤيرا:

– اسكت أيها الدودة ذات الطول الذى يتراوح بين عشرة واثنى عشر سنتمترا ولك رجلان فى كل عقدة من العقد الحادية والعشرين المكونة لجسمك ولك أربعة عيون ولك فى الفم فك كأنه القروه ومخالب تقذف بسمّها الزعاف عندما تعمل... قال ذلك كله دفعة واحدة.

– علق ترافلر :

– فَكّ هل تحققت من الكلمات التى تنطقها؟ تشى، إذا ما ظللت فى إخراج اللوح الخشبى من النافذة سوف يصل بقوة الجاذبية أن تقضى علىّ أنا ومعى تاليتا.

41

– قال أوليڤيرا :

– هذا ما أراه، لكن عليك أن تضع فى اعتبارك أن الطرف الآخر للوح الخشبى لازال بعيدا جدا عنى.

– قال ترافلر :

– عليك أن تمد الفك بعض الشئ.

– الجلد لا يسمح بذلك تشى، كما أنك تعرف أننى أعانى من النظر إلى الفراغ من عَل .إننى لست إلا بوصة تفكرّ وهى جيدة التكوين.

– البوصة الوحيدة التى أعرفك بها هى من باراجواى - قال ترافلر غاضبا - فى الحقيقة لست أرى ما الذى نقوم به. لقد أخذ هذا اللوح يزداد ثقلا، وأنت تعرف أن الثقل أمر نسبى، فعندما جلبناه كان خفيفًا جدا. بالطبع لم يتم تعريضه للشمس مثلما هو الآن.

– قال أوليڤيرا متنهداً :

– أعده إلى الحجرة، أفضل خطوة نقوم بها هى التالية: عندى لوح خشبى، لكنه ليس فى مثل طول اللوح الآخر، غير أنه أعرض منه. ثم تقوم بربط اللوحين بحبل. وسأقوم بربط اللوح الخاص بى فى السرير وأفعل أنت ما تريد باللوح الخاص بك.

– قالت تاليتا :

– من الأفضل بالنسبة لنا أن نربطه فى درج الكومودينو، وسوف نستعد بينما تحضر أنت اللوح الخاص بك.

«يالهم من معقدين» فكر أوليڤيرا، وذهب يبحث عن اللوح الذى كان ملقى فى أحد الدهاليز بين باب حجرته وباب حجرة أحد الأتراك الذى يمارس الطب الشعبى. كان لوحا من خشب الأرز ناعما لكن به عقدتين أو ثلاثا. وضع أوليڤيرا إصبعه فى أحد الخروم ولاحظ كيف أن إصبعه يخرج من الجانب الآخر، وتساءل فيما إذا كانت هذه الثقوب سوف تكفى لربط الحبال. كان الدهليز فى شبه ظلام تام (لكن الأمر هو التأثير على البصر من حجرة تدخلها الشمس إلى الظل) على باب حجرة التركى كان هناك كرسى تجلس عليه سيدة سمينة تلبس رداء أسود. ألقى عليها التحية وهو خلف اللوح بعد أن رفعه وأمسك به وكأنه يمسك بترس ضخم (غير فعال).

– قالت السيدة التى ترتدى الأسود :

– مساء الخير يا سيد؛ الجو حار جداً.

– قال أوليڤيرا :

41

- على العكس يا سيدتى إن الجو بارد للغاية.
- لا تكن ظريفا ياسيدى - قالت السيدة - أرجو احترام المرضى.
- لكن يا سيدتى ليس بك أى شئ.
- لا شئ؟ كيف تجرؤ سيادتك على ذلك؟

«هذا هو الواقع» فكّر أوليـڤيـرا وهو يمسك اللوح وينظر إلى السيـدة التى ترتدى الأسود؛ ذلك الذى أقبله فى كل لحظة على أنه الواقع، وهذا غير ممكن، غير ممكن.

- لا يمكن - قال أوليڤيرا.
- قالت السيدة :
- اذهب أيها الرجل قليل الحياء، عليك أن تخجل وأنت تخرج فى هذه الساعة مرتديا الفانلة.
- قال أوليڤيرا:
- إنها Masllarens يا سيدتى.
- قالت السيدة :
- أيها القذر.

«ذلك الذى أعتـقـد أنه الواقع» فكر أوليـڤيـرا، وهو يداعب اللوح ويتكئ عليـه، «هذه الفترينة التى تم صنعها والتى أضيئت خلال خمسين أو ستين قرنا بواسطة الأيدى والخيالات والالتزامات والاتفاقات والحريات السرية».

- كانت السيدة تقول :
- إنها لأكذوبة **أن يكون متقدما فى السن.**

«العمل على أن يكون المرء هو المركز» فكر أوليڤيرا وهو يزداد استنادا إلى اللوح، لكنه أحمق للغاية. هو مركز وهمى مثل محاولة «كلية الوجود». ليس هناك مركز، بل هناك نوع من التلاقى المستمر وتموج للمادة. فطوال الليل أتحول إلى جسد لاحراك فيه، أما على الجانب الآخر من المدينة فتحول بكرة من الورق إلى صحيفة يومية، وفى التاسعة إلا الربع سوف أغادر المنزل، وفى الثامنة وأربعين دقيقة سيكون الجرنال قد جاء إلى الكشك الواقع على الناصية، وفى الثامنة وخمس وأربعين دقيقة ستتحد يدى مع الصحيفة وتتحركان فى الهواء. على بعد متر واحد من الأرض، متوجهتين إلى الترام ...

- قالت السيدة التى ترتدى السواد:
- والسيد بونش الذى أطال وأطال مع المريض الآخر.

رفع أوليڤيرا اللوح ووضعه فى حجرته. كان ترافلر يشير إليه ليسرع بعض الشئ،

41

وحتى يهدئ من استعجاله صفر صفرتين قويتين. كان الحبل فوق الدولاب، وكان عليه أن يصعد على كرسى ليتمكن منه.

– قال ترافلر :

– ليتك تُسرع قليلاً :

– قال أوليڤيرا وهو يطل من النافذة :

– ها هو أنا، ها هو، هل اللوح الذى معك مربوط جيدا، تشى؟

– لقد ربطناه فى درج الكومودينو، كما أن تاليتا وضعت الموسوعة فوقه وهى الموسوعة الخاصة بتعليم الذات: كيليت Quilet.

– قال أوليڤيرا :

– جيد، وبالنسبة للوح الذى معى فسوف أضع فوقه الكتاب السنوى لمعهد الدراسات التربوية والنفسية الذى يرسلونه إلى جيكريتين دون أن يعرف السبب.

– قال ترافلر :

– لكن ما لا أراه واضحا هو كيف سنقوم بربط اللوحين.

وأخذ يحرك الكومودينو حتى يخرج اللوح من النافذة شيئا فشيئا.

– قالت تاليتا التى كانت صاحبة الموسوعة :

– أنتما تبدوان اثنين من القادة الأشوريين وهما يحملان خوازيق دك الأسوار؛ إنه يتضمن موضوعات مثل la Mentalhygienisk Synpunkter i forsk oleundervisning

إنها كلمات رائعة، جديرة بذلك الفتى الشاعر سنورى ستورلسون[١] Snorri Sturlus-son وهو ذائع الذكر فى الأدب الأرجنتينى. إنها صدريات حقيقية من البرونز، وعليها طلسم فى صورة صقر.

– قال ترافلر:

– إنها الأعاصير السرية للنرويج .

– سأل أوليڤيرا مستغربا بعض الشئ :

– هل سيادتك رجل مثقف بالفعل أم أنك تتحدث عنها؟

– قال ترافلر :

– لن أقول لك إن السيرك لا يضيع وقتى، لكن يتبقى عندى بعض الوقت لأضع نجمة على صدرى. هذه الجملة التى تتحدث عن النجمة تطفر على ذهنى دائما عندما أتحدث عن السيرك، وهذا محض عدوى. من أين أتيت بها؟ هل عندك فكرة يا تاليتا؟

41

– قالت تاليتا وهى تختبر متانة اللوح :

– لا، لكن ربما كان مصدرها إحدى الروايات فى بويرتوريكو.

– بعض الكلاسيكيين؟ نوّه أوليڤيرا.

– إن أكثر شئ يضايقنى هو أننى أعرف أين قرأت تلك العبارة.

– قال ترافلر :

– الآن أتذكر حقيقة الأمر، لكن كان كتابا لا ينسى.

– قال أوليڤيرا:

– هذا واضح .

– قالت تاليتا :

– اللوح الذى عندنا فى وضع ممتاز، أما الآن فلست أدرى كيف يمكن ربط اللوحين ببعضهما.

انتهى أوليڤيرا من فك الحبل الملفوف وقسمه إلى جزءين واستخدم أحد الأجزاء فى ربط اللوح بملة السرير وأسند طرف اللوح على حافة النافذة، ثم أخذ يجر السرير فتحول اللوح كأنه ذراع رافعة أخذ يهبط شيئا فشيئا حتى استقر فوق لوح ترافلر، كما ارتفعت أرجل السرير حوالى نصف متر «الأمر السيىء هو أن السرير سوف يرتفع إذا ما أراد أحد عبور الكوبرى» فكر أوليڤيرا بقلق. اقترب من الدولاب وأخذ يدفعه فى اتجاه السرير.

– سألت تاليتا التى جلست على حافة نافذته :

– أليس عندك ثقل بما فيه الكفاية؟ وأخذت تنظر إلى حجرة أوليڤيرا.

– قال أوليڤيرا :

– لنتخذ أقصى التدابير الاحتياطية للحيلولة دون وقوع حادثة قوية دفع الدولاب حتى أصبح إلى جوار السرير ثم قلبه ببطء. كانت تاليتا معجبة بقوة أوليڤيرا على نفس الدرجة من الإعجاب الذى تكنه لكر وابتكارات ترافلر «إنهما من حيوانات ما قبل التاريخ gliptadontesâ فكرت وهى مندهشة ـ فالفترات والعصور السابقة على الطوفان بدت لها ملاذا للحكمة.

زادت سرعة الدولاب وسقط بقوة على السرير فاهتز المكان. سمعت صيحات من أسفل وفكر أوليڤيرا أن التركى الذى يعيش فى الحجرة المجاورة يقوم بتجهيز **ضغط شاماني عنيف**. انتهى من إصلاح وضع الدولاب وركب فوق اللوح كأنه حصان لكن على الجزء الذى هو إلى جوار النافذة من داخل الحجرة.

41

– أعلن :

– سوف يقاوم أى ثقل؛ لن تكون هناك مأساة حتى تغتاظ الفتيات اللاتى تعشن فى الأدوار السفلى. فهن يرين أن ذلك ليست له أية قيمة حتى يسقط أحد ميتا فى الشارع. الحياة، يقلن له.

– ألن تربط اللوحين بالحبل الذى معك؟ سأل ترافلر.

– قال أوليڤيرا :

– انظر تعرف جيدا أن خوفى من السكن فى الأدوار العالية حال دون صعودى إلى مواقع عليا. فمجرد اسم إفرست ينزل علىّ كأنه طلقة أتعرض لها، كما أشعر بالملل نحو كثير من الناس أكثر الملل هو من شيربا تنسينيج sherpa Tensing ، صدقنى.

– هذا يعنى أننا أنا وزوجتى سنقوم بربط اللوحين ـ قال ترافلر.

– وافق أوليڤيرا وقد أشعل سيجارة ماركة 43 :

– هذا هو .

– قال ترافلر لتاليتا :

– أخذت بالك إنه يحاول أن يجعلك تزحفين حتى وسط الكوبرى وتربطى الحبل.

– قالت تاليتا :

– أنا؟

– ها قد سمعت :

– حسن.

– لم يقل أوليڤيرا إن على أن أزحف حتى منتصف الكوبرى.

– لم يقل ذلك، وإنما هو استنتاج. أضف إلى ذلك أنه من اللائق أن تكونى أنت التى تعطينه الأعشاب.

– قالت تاليتا :

– لن أعرف كيف أربط الحبل؛ فأنت وأوليڤيرا تعرفان عمل العقد لكنها تنفك حتى فى الحال لدرجة أنها لا تتكون على الإطلاق.

– أجاب ترافلر :

– سوف نعطيك التعليمات .

ربطت تاليتا روب الحمام وانتزعت فتلة كانت تلفها على إصبعها. كانت فى حاجة لأخذ نفس عميق ،ورغم ذلك فهى تعرف أن ترافلر تضايقه هذه التنهدات.

41

- قالت ذلك لأوليڤيرا بصوت منخفض :
- هل تريد بالفعل أن أكون أنا التى تحمل الأعشاب؟
- قال أوليڤيرا وقد خرج بنصف جسده من النافذة وأسند كلتا يديه على اللوح:
- هل تقولان شيئا؟ كانت الخادمة قد وضعت كرسيا فى الشارع وأخذت تراقبهم، ألقى عليها أوليڤيرا التحية ملوحًا بيده «إنها فاتورة مزدوجة للزمان والمكان، فكر تتصور المسكينة أننا مجانين، وهى الآن تتهيأ لعودة سريعة للوضع الطبيعى، فإذا ما وقع أحد فإنها ستتلطخ بالدماء. كما أنها لا تعرف أن الدماء يمكن أن تلطخها، كما لا تعرف أيضا أنه منذ عشر دقائق مر بأزمة تقلص فى المعدة فى الغرفة المجاورة للمطبخ، وكان السبب هو أنه جر الكرسى إلى الشارع، كما أن كوب الماء الذى شربه فى الثانية وخمس وعشرين دقيقة لم يكن باردا ، وكان طعمه منفرا لتتقلص المعدة التى هى مركز خراج الحكمة. ولم تكف إلا ثلاث حبات من الماغنسيوم ماركة Phillips للقضاء عليه، لكن هذه الواقعة الأخيرة ليس من الضرورى أن تعرفه؛ فهناك بعض الأشياء الناجمة عن أسباب معينة أو المؤثرة يمكن أن تعرف فقط على المستوى الكونى، أقول ذلك مستخدما عبارات بسيطة.
- قال ترافلر :
- لا تتكلم عن شئ، عليك أن تجهز الحبل.
- جاهز وهو حبل متين ، هيا يا تاليتا أنا سوف أصل إليك من هنا.

ركبت تاليتا اللوح وكأنه حصان وتقدمت حوالى خمسة سنتيمترات وهى تسند نفسها بكلتا يديها ثم ترفع ردفيها وتتقدم بعض الشئ.

- قالت :
- هذا الروب غير مريح على الإطلاق، من الأفضل استخدام أحد بنطلوناتك أو شيء من هذا القبيل.
- قال ترافلر :
- هذا لا قيمة له فقد تسقطين وتقضين على ملابسى.
- قال أوليڤيرا :
- لا تستعجلى، تقدمى قليلا حتى أتمكن من إلقاء الحبل.
- قالت تاليتا وهى تنظر إلى أسفل :
- هذا الشارع واسع جدا؛ إنه أوسع بكثير مما لو نظرت إليه من النافذة.

41

- قال ترافلر :

- النوافذ هى عيون المدينة، ومن الطبيعى أن تشوه كل ما ينظر إليه. ها أنت الآن فى نقطة فيها نقاء عظيم، وربما ترين الأشياء كأنك حمامة أوكحصان، ولا أحد يعرف أن له عيونًا.

- نصح أوليڤيرا:

- ابتعد عن أفكار تتعلق بالأدب الفرنسى (N.R.F) وأمسك جيدا باللوح .

- بالطبع، فأنت تغتاظ من أن يقول أحد شيئا كان يروق لك أن تقوله قبله؛ فاللوح يمكن أن أمسك به جيدا بينما أفكر وأتكلم.

- قالت تاليتا:

- لابد أننى قد وصلت إلى منتصف الطريق.

- من المنتصف؟ إنك لم تخرجى بعد من النافذة، لازال أمامك مالا يقل عن مترين.

- قال أوليڤيرا وهو يشجعها :

- أقل من ذلك بقليل سوف أقذف لك بالحبل الآن.

- قالت تاليتا:

- أعتقد أن اللوح ينثنى إلى أسفل.

- قال ترافلر الذى جلس عليه كراكب حصان، لكن من الجزء الذى هو داخل الحجرة :

- لا شئ ينثنى؛ لا يهتز إلا قليلا.

- قال أوليڤيرا :

- وفوق هذا فإن طرف اللوح الخاص بكم يرتكن على الوح الخاص بيوسوف يكون من الغريب أن ينثنى كلا اللوحين فى الوقت نفسه.

- قالت تاليتا :

- نعم، لكن وزنى ستة وخمسين كيلو جرام، وعندما أصل إلى منتصف الطريق فسوف يكون وزنى مالا يقل عن مائتى كيلو جرام، أشعر أن اللوح ينزل أكثر فأكثر.

- قال ترافلر :

- إذا ما نزل فإن أقدامى سوف تكون معلقة فى الهواء، لكن هناك مكان يمكن لى أن أمكنهما من الأرض، والشئ الوحيد الذى قد يحدث هو أن ينكسر كلا اللوحين ،لكن سوف يكون أمرا غريبا لو حدث.

- أكد أوليڤيرا :

- الألياف تقاوم كثيرا فى الاتجاهات الطولية؛ إنه مثل حزمة الأعشاب، إلى غير

41

ذلك من الأمثال الأخرى. أتصور أنك قد أتيت معك بالمسامير والأعشاب.

– قالت تاليتا :

– أضع ذلك فى جيبى. اقذف إلىّ بالحبل دفعة واحدة. إننى متوترة، صدقنى .

– قال أوليڤيرا وقد قذف بالحبل على طريقة رعاة البقر:

– إنه البرد حذار، لاتفقدى توازنك. من الأفضل أن أحزمك به، وهكذا نتأكد أن بإمكانك تلقف الحبل «هذا شئ مثير للفضول» فكر وهو يرى الحبل يمر فوق رأسها «تكتمل حلقات السلسلة تماما إذا ما كان المرء يريد ذلك حقا. والشئ الزائف فى كل ذلك هو تحليله».

– أعلن ترافلر: ها أنت تصلين، لتتهيئى جيدا حتى يمكنك أن تربطى اللوحين بشكل جيد، فهما بعيدين عن بعضهما قليلا.

– قال أوليڤيرا :

– انظر ها أنا قد تمكنت من تطويقها، هاهو أمامك يا مانو لن تقول لى إننى لا أستطيع العمل معكم فى السيرك.

– قالت تاليتا شاكية :

– لقد أصبتنى فى وجهى؛ فالحبل ملئ بالأشواك.

– اقترح أوليڤيرا بحماس :

– سوف ألبس قبعة رعاة البقر وأسير وأنا أصفر وأمسك بكل العالم، وسوف يصفق لى الجمهور، إنه نجاح لم نشهده فى السيرك إلا قليلا.

– قال ترافلر وهو يشعل سيجارة :

– إنك تهذى وقد قلت لك ألا تنادينى بـ مانو.

– قالت تاليتا :

– قواى تخور؛ الحبل خشن وتمسك أجزاؤه ببعضها.

– قال أوليڤيرا :

– إنها الفائدة المزدوجة للحبل؛ إنها وظيفته الطبيعية التى خرّبتها توجهات غامضة تتمثل فى تحييدها. أعتقد أن هذا هو ما يسمونه فى الفيزياء بالأنتروبيا antropia.

– قالت تاليتا :

– لقد قمت بربطه جيدا؛ هل ألف الحبل مرة أخرى؟ وعموما فهناك قطعة تتدلّى.

– قال ترافلر :

– نعم الْفُفْه جيدا؛ إننى أستشيط غيظا من الأشياء الزائدة والتى تتدلى؛ فهى شيطانية.

41

– قال أوليڤيرا :

– تتوخى الكمال، وعليك الآن أن تعبرى إلى اللوح الخاص بى لنختبر الكوبرى.

– قالت تاليتا :

– أنا خائفة؛ ذلك أن اللوح الخاص بك يبدو أقل صلابة من اللوح الخاص بنا.

– قال أوليڤيرا وهو يشعر بالإهانة :

– ماذا؟ لكن ألم تلاحظى أنه لوح من خشب الأرز؟ فخشب الصنوبر لن ينفك فى الحصول على شئ. اعبرى بهدوء إلى اللوح الآخر ليس إلا.

– سألت تاليتا وهى تستدير برأسها :

– ماذا أنت قائل يا مينو؟ وفى اللحظة التى كان سيجيب فيها ترافلر نظر إلى مكان تلاقى اللوحين وإلى الحبل المربوط بشكل غير جيد. كان يشعر وهو يجلس على اللوح أنه يهتز تحته بشكل جيد وغير جيد. ولم يكن أمام تاليتا إلى أن تسند نفسها بكلتا يديها وتستجمع قواها وتدخل إلى منطقة لوح أوليڤيرا. وبالطبع فإن الكوبرى سوف يقاوم؛ لقد أُحسن صنعه.

– قال ترافلر بنغمة يساورها الشك :

– انظرى، انتظرى لحظة ألا يمكنك أن تلقى إليه باللفة وأنت فى مكانك.

– قال أوليڤيرا بصوت فيه الشعور بالمفاجأة :

– بالطبع لا يمكنها أى أفكار عندك؟ إنك تقضى على كل شئ.

– ما يقال عن إمكانية تسليمه له فى يده، هذا مالا أقدر عليه لكى يمكن أن أقذفه له من موقعى هذا، وهذا سهل جدا.

– قال أوليڤيرا ناقما :

– القذف باللفة بعد كل هذا ويتحدثون عن القذف باللفة.

– إذا ما أخرجت ذراعك سوف تكون على بعد أقل من أربعين سنتيمترات من اللفة

– قال ترافلر ليس هناك حاجة لتصل تاليتا إلى هناك، ومع السلامة.

– قال أوليڤيرا :

– سوف تخطئ الرصاصة الهدف، كما نفعل ذلك كل العشاء، وسوف تتبعثر الأعشاب على أرض الشارع ناهيك عن المسامير.

– قالت تاليتا وهى تخرج اللفة بسرعة :

– اهدأ ورغم أنها قد لا تقع فى يدك فإنها ستدخل الحجرة.

41

– قال أوليڤيرا :

– نعم، وسوف ينفسخ على الأرضية القذرة، وما عليّ إلا أن أتناول شايا قذرا مليئا بالزنابير.

– قال ترافلر :

– لا تعيريه اهتماما اقذفى إليه باللفة وعودى

استدارت تاليتا ونظرت إليه، فقد كانت تشك أنه يتحدث جادا. كان ترافلر ينظر إليها بطريقة تعرفها جيدا فشعرت أن هناك مداعبة تسرى على ظهرها. أمسكت اللفة بقوة وحسبت المسافة.

أنزل أوليڤيرا ذراعيه وبدا أنه غير مبال بما قد تفعله تاليتا أو تحجم عنه. كان ينظر إلى ترافلر من فوق جسد تاليتا، وكان ترافلر ينظر إليه أيضا «هذان أصبح بينهما كوبرى» فكرت تاليتا. «فإذا ما سقطت فى الشارع فلن يثبتها لذلك» نظرت إلى بلاط الشارع فرأت الخادمة وهى تتأملها وقد فغرت فمها. وعلى بعد مسافة قليلة كانت هناك امراة قادمة لابد وأنها جيكريتين. انتظرت تاليتا وهى تسند اللفة على الكوبرى.

– قال أوليڤيرا :

– ها هو الأمر لابد أن يحدث ذلك، ولن يحل محلك أحد. تصل الى حافة الأشياء ويفكر المرء أنك ستفهم فى النهاية، لكن هذا غير مجدٍ تشى، هاأنت تقلب الأمر وتقرأ التكيف. وتظل كما أنت ، بيب.

– قال ترافلر :

– وماذا؟ لماذا يجب أن أجاريك فى اللعب يا أخى؟

– الألعاب تتم وحدها. إنك أنت الذى تضع العصا لتفرمل مسار العجلة.

– العجلة التى صنعتها أنت، إذا ما كنا سنتحدث عن ذلك.

– قال أوليڤيرا :

– لا أعتقد أنا لم أفعل إلا تهيئة الظروف كما يقول ذلك المتبحرون. يجب أن يكون اللعب نظيفا.

– إنها جميلة يستخدمها الخاسر أيها العجوز.

– من السهل أن يخسر المرء إذا ما عليك الطرف الآخر بكعب اللعب taba

– قال ترافلر :

– إنك لعظيم، إنها مشاعر راعى البقر.

41

كانت تاليتا تعرف أنهما يتحدثان عنها بشكل ما، وواصلت نظرها للخادمة التى تجلس بلا حراك وهى مفتوحة الفم. «أنا مستعدة لفعل أى شئ حتى لا أسمعهما يتناقشان» فكرت تاليتا «أيا كان ما يتحدثان عنه فهما يتحدثان عنى، لكن ليس ذلك، رغم أنه يكاد أن يكون هو» خطر ببالها أن من المسلى إلقاء اللفة بحيث تسقط مباشرة فى فم الفتاة، لكن هذا لم يرقها كانت تشعر بالكوبرى الآخر يعبر من فوقها والكلام يروح ويغدو والابتسامات والصمت الساخن.

«الأمر يشبه محاكمة» فكرت تاليتا «وكأنه احتفال». عرفت جيكريتين التى كانت قادمة من الناحية الأخرى، وأخذت تحملق ببصرها إلى أعلى «من يحكم عليك؟» انتهى أوليڤيرا للتو من نطق هذه العبارة. لم تكن المحاكمة لترافل بل هما يحاكمانها هى «إنه شعور شبه لصيق وكأنه الشمس تضرب الرأس والساقين. كانت على وشك أن تتعرض لضربة شمس، وربما كان ذلك هو الحكم الصادر. «لا أعتقد أن لا سلطة لك لتحكم على» قال مانو؛ لكن لم يكن الكلام لمانو بل موجها لها فهى التى تُحَاكم. ومن خلالها، دون أن يعرف السبب، بينما كانت جيكريتين البلهاء تهز ذراعها الأيسر وتلوح لها بإشارات وكأنها، مثلا على وشك أن تصاب بضربة شمس فتسقط فى الشارع ولا مناص من إدانتها.

– لماذا تتأرجحين هكذا؟ ـ قال ترافلر وهو يمسك باللوح الخاص به بكلتا يديه. تشى، إنك تجعليه يهتز أكثر من اللازم. أخشى أن نذهب جميعا إلى الشيطان.

– قالت تاليتا بنغمه تعسة :

– أنا لا أتحرك كل ما أريده هو أن ألقى لك باللفة، ثم أعود لدخول المنزل مرة أخرى.

– قال ترافلر :

– الشمس كلها مركزة على رأسك أيتها المسكينة فى الحقيقة هذا شئ فظيع.

– قال أوليڤيرا بغيظ :

– أنت السبب لا يوجد أحد فى الأرجنتين قادر على مثل هذه الخبطة إلا أنت.

– قال ترافل بطريقة موضوعية :

– إنك متحامل على أسرعى يا تاليتا ارمى اللفة فى وجهه وعليه أن يكف عن مضايقتنا ولو مرة واحدة.

– قالت تاليتا :

– لقد تأخر الوقت فأنا لست واثقة من قدرتى على التصويب نحو النافذة.

41

– همهم أوليڤيرا :

– قلت لك هذا، كان يفعل ذلك قليلا وخاصة فى الحالات التى على وشك أن تقع فيها أمور جسيمة - ها هى جيكربتين قادمة وهى تحمل الكثير من اللفائف. ها قد وقعت المعجزة.

– قال ترافلر بصبر نافذ :

– اقذفى بالأعشاب إليه كيفما اتفق ولا تنزعجى إذا حادت اللفة عن الهدف.

مالت تاليتا برأسها فسقط شعرها على جبهتها حتى فمها، وكان عليها أن ترمش كثيرا؛ لأن العرق بدا ينفذ إلى عينيها. كانت تشعر بأن لسانها ملئ بالملح وأشياء أخرى تبدو وكأنها شرر، أو نجوم صغيرة تجرى وتصطدم باللثة وسقف الفم.

– انتظرى – قال ترافلر.

– سأل أوليڤيرا :

– هل تتحدث إلى؟

– لا، انتظرى أنت يا تاليتا. تماسكى جيدا فسوف ألقى لك بقبعة.

– طلبت تاليتا :

– لا تترك اللوح وإلا سوف أقع فى الشارع.

– إن الموسوعة والكومودينو يمسكان جيدا باللوح. لا تتحركى سوف أعود فى الحال.

مال اللوحان بعض الشئ إلى أسفل. فأمسكت تاليتا بهما وهى مذعورة، صفر أوليڤيرا بكل ما أوتى من قوة وكأنه يحاول إيقاف ترافلر، لكن ليس هناك أحد فى النافذة.

– قال أوليڤيرا :

– ياله من حيوان لا تتحركى ولا تتنفسى. فقد أصبح الأمر إما الحياة وإما الموت. صدقينى.

– قالت تاليتا بصوت واهن :

– أدرك ذلك الأمر هكذا بصفة دائمة.

– وحتى يزيد الطين بله فإن جيكربتين تصعد على السلالم. وهذا ما سيعقد الأمر أمامنا، ياإلهى. لا تتحركى.

– أنا لا أتحرك لكن يبدو أن ...

– قال أوليڤيرا :

– نعم، لكن قليل جدا لا تتحركى، وهذا هو الشئ الوحيد الذى يمكن عمله «لقد

41

حكما علىّ» فكرت تاليتا. «وليس أمامى الآن إلا السقوط، بينما هما يواصلان العمل فى السير، ومع الحياة».

– لماذا تبكين قال أوليڤيرا مبديا اهتمامه.

– قالت تاليتا :

– أنا لا أبكى أنا أتصبب عرقا ما.

– قال أوليڤيرا حانقا :

– انظرى سوف أكون فظا، لكن لم أتخيل الخلط بين الدموع وبين الرشح؛ فالأمران مختلفان.

– أنا لا أبكى ـ لا أكاد أبكى أبدا، وأقسم لك على هذا. هناك أناس يبكون مثل جيكربتين التى تصعد السلم وهى محملة باللفائف. أنا مثل البجعة التى تغنى عندما توشك على الموت. قالت تاليتا. كان ذلك فى إحدى أسطوانات جاردل Gardel.

أشعل أوليڤيرا سيجارة، عاد اللوحان للتوازن من جديد، أخذ نفس الدخان برضا.

– انظرى، يمكننا أن نمارس لعبة الأسئلة ـ الميزان حتى يعود ذلك الأحمق مانو ومعه القبعة.

– قالت تاليتا :

– هيا، ليكن فى معلومك أننى قمت الأمس بإعداد بعضها.

– حسن، سوف أبدأ أنا وعلى كل واحد أن يقوم بإعداد سؤال ـ ميزان. العملية المؤلفة من وضع طبقة من المعدن المنصهر على سطح صلب، بالإفادة من التيارات الكهربائية. ألا تسمى مراكب قديمة ذات شراع لاتينى، ووزنها مائه طن؟

– قالت تاليتا وهى تدفع شعرها للخلف :

– نعم هى إنه السير هنا وهناك، وتفادى ضربة أحد الأسلحة والتطيب بالمسك، ودفع الأعشار، والفواكه لازالت خضراء. ألا يساوى ذلك أى عصائر نباتية مخصصة للتغذية مثل النبيذ، والزيت ... الخ؟

– وافق أوليڤيرا :

– جيد جدا الألعاب النباتية مثل النبيذ والزيت... لم يخطر ببالى أبدا النظر إلى النبيذ على أنه لعبة نباتية. هذا رائع. لكن اسمعى ذلك: تخضر من جديد، وتخضر الحقول، ويتعقد شعر الرأس والصدف والانغماس فى خصام أو مشاجرة ووضع السمّ فى الماء باستخدام نبات البوصير الأبيض gardolobo أو أى مادة مشابهة وذلك لتدويخ

السمك ثم صيده. أليس ذلك نهاية لقصيدة درامية خاصة عندما تكون أليمة.

– قالت تاليتا متحمسة. :

– يالها من صورة لطيفة إنها رائة يا أوراثيو. إنك تستطيع أن تعمل من الفسيخ شربات فى لعبة الجبانة.

– قال أوليڤيرا:

– اللعب النباتى.

فتح باب الحجرة ودخلت منه جيكربتين وهى متلاحقة الأنفاس. هى امرأة شقراء بها شئ من الحمرة، وتتحدث بسهولة ولا تشعر بالمفاجأة لأنها وجدت دولابا ملقى على سرير وهناك رجل يركب اللوح وكأنه يركب حصانا.

– الجو حار جدا ـ قالت وهى تلقى باللفائف على أحد الكراسى ـ إنها أسوأ ساعة للتسوق، صدقنى ماذا تفعلى يا تاليتا؟ أنا لست أدرى لماذا أخرج دوما وقت القيلولة.

– قال أوليڤيرا دون أن ينظر إليها :

– حسن، حسن، الدور عليك الآن يا تاليتا.

– لا أتذكر ألعابا أخرى.

– فكرى، غير ممكن أنك لا تتذكرين.

– قالت جيكربتين :

– آه، السبب هو طبيب الأسنان إنهم يعطونى أسوأ المواعيد لحشو الأضراس. هل قلت لك إنه كان علىّ الذهاب إلى طبيب الأسنان؟

– قالت تاليتا :

– أتذكر واحدة الآن .

– قالت جيكربتين :

– وانظر ماذا وقع ليوصلت إلى عيادة طبيب الأسنان فى شارع بارنس. أضغط على زر جرس العيادة وتخرج لى الخادمة فألقى عليها التحية «مساء الخير» فترد علىّ «مساء الخير»، ادخلى من فضلك، أدخل وتذهب بى إلى صالة الانتظار.

– قالت تاليتا :

– هى هذه الذى عنده العربات الصغيرة محملة عن آخرها، أو صف البراميل المربوطة إلى بعضها البعض والتى تجر على طريقة العوامة فى تجاه مكان ملئ بالبوص: إنه مخزن السلع الضرورية، والذى أقيم حتى يشترى منه هؤلاء الناس الذين

41

تتوفر لديهم أموال أكثر، وكذلك كل ما يتعلق بالقصيدة الرعوية. هل الأمر يشبه عملية جَزّ حيوان ميت أو حي؟

– ياللجمال – قال أوليفيرا مذهولا – انتظرى – لا أتذكر جيدا.

– كانت سيدتان ورجل ومعه فتى. كان يبدو أن الدقائق لا تنقضى. أقول لك إننى قرأت ثلاثة أعداد كاملة من الـ Idilie. كان الفتى يبكى، أما الأب فقد كان عصبيا ... لست أريد الكذب انقضى ما يزيد على الساعتين منذ أن وصلت الثانية والنصف وفى النهاية جاء الدور علىّ، فقال لى الطبيب «تفضلى بالدخول يا سيدتى» أدخل؛ فيقول لى: «ألم يضايقك كثيرا ما قمت بوضعه لك ذلك اليوم؟» فأقول له «لا يا دكتور. لم يضايقنى فى شئ، كما أننى كنت أمضغ الطعام على جانب واحد طوال ذلك الوقت.» فيقول لى «جيد جدا، وهذا ما ينبغى عمله، اجلسى يا سيدتى» اجلسى، فيقول لى «افتحى فمك من فضلك» لطيف جدا ذلك الطبيب.

– قال أوليفيرا :

– ها هى اسمعى جيدا يا تاليتا، لماذا تنظرين إلى الخلف؟

– لأرى فيما إذا كان مانو قد عاد.

– لم يأت بعد. انصتى جيدا: الفعل ورد الفعل، أو فى الدورات والمسابقات، يقوم الفارس بدفع حصانه ليضرب بصدوره حصان الطرف المضاد. ألا يبدو ذلك مشابها لسنام الشئ، أو اللحظة الأكثر توترا وحده لمرض من الأمراض؟

– قالت تاليتا مفكرة :

– هو أمر غريب هل يقال هكذا فى الإسبانية؟

– أى شئ يقال هكذا؟

– أن يقوم فارس بدفع حصانه ليضرب بصدوره.

– يحدث ذلك فى المسابقات ـ قال أوليفيرا ـ وهذا وارد فى الجبانة تشى،

– سنام، هذه كلمة جميلة جدا، ومعناها للأسف.

– باه، يحدث نفس الشى مع كلمة مورتديلا وغيرها الكثير ـ قال أوليفيرا ـ وقد عنى بذلك الراهب بريموند[٣] Bremond، غير أنه لامناص من ذلك. الكلمات مثلنا، فهى تولد بوجه ولا شئ أكثر. فكرى فى الوجه الذى كان لكانط kant قولى لى شيئا عنه. أو فى برناردينو ريبادابيا[٤] Bernardino Rivadavia وهذا حتى نتعمق فى التفكير.

– قالت جيكربتين :

41

– لقد وضع لى طربوشا من مادة بلاستيكية .

– قالت تاليتا :

– الجو حار جدا قال مانو بأنه ذهب ليحضر قبعة.

– قال أوليڤيرا:

– ما الذى سوف يأتى به ذلك .

– قالت تاليتا:

– ما رأيك لو قذفت لك باللفة وعدت إلى منزلى

نظر أوليڤيرا إلى الكوبرى وتمعن فى مساحة النافذة بأن فتح ذراعيه بطريقة غير واضحة وهز رأسه.

– قال :

– من يدرى فيما إذا كنت ستصيبين الهدف ومن ناحية أخرى لدى انطباع ماهيته غير معروفة بسبب وجودك هناك تحت هذا البرد القارس. ألا تشعرين أنه قد تكونت على شعرك وفتحات أنفك قطرات الماء التى تحولت إلى جليد؟

– قالت تاليتا :

– لا ؟ هل القطرات المتجمدة هذه مثل السنام؟

– قال أوليڤيرا :

– نوعا ما فهما شيئان يتشابهان من منطلق اختلافهما. مثلما هو الحال بينى وبين مانو إذا ما فكرّت فى هذا الموضوع. سوف تعرفين أن المشكلة مع مانو تكمن فى التشابه الزائد عن الحد بيننا.

– قالت تاليتا :

– نعم أحيانا يثير ذلك الكثير من الضيق.

– لقد ساحت الزبدة ـ قالت جيكربتين وهى تفرد قطعة من الزبدة على خبز أسود ـ فالزبدة، مع هذا الحر، هو صراع.

– قال أوليڤيرا :

– أسوأ الاختلافات تكمن فى ذلك أسوأ شئ فى الاختلافات. فكلا رجلين شعرنا أسود ووجهين فيهما ملامح أهل الميناء الملاعين، نكن احتقارنا لنفس الأشياء تقريبا، وحضرتك...

– قالت تاليتا :

– حسن، أنا ...

41

– قال أوليڤيرا :

– ليس لديك أى مبرر لتتهربى؛ إنه لأمر واقع أنك منضمة إلينا بشكل أو بآخر، وبذلك تزداد أوجه الشبه ومعها الاختلافات.

– قالت تاليتا :

– لا أعتقد أننى أنضم لكليكما.

– وماذا تعرفين؟ ماذا يمكن أن تعرفى أنت؟ ها أنت هناك فى حجرتك، تعيشين وتطهين الطعام وتقرئين موسوعة التعليم الذاتى. وتذهبين مساء إلى السيرك، وعندئذ يبدو لك أنك هناك حيث أنت. ألم تتمعنى مرة فى مطرقة الأبواب وفى الأزرار المعدنية وفى جزازات الزجاج.

– قالت تاليتا :

– نعم، أحيانا ما أقوم بذلك .

– إذا ما تمعنت جيدا فقد ترين فى كل النواحى هناك صور تلتقط كل تحركاتك من حيث لا تتوقين. أنا شديد الحساسية لتلك الحماقات. صدقينى.

– لقال، تناول اللبن فقد ظهرت على سطحة طبقة قشدة ـ قالت جيكربتين ـ لماذا تتحدثون دوما عن أشياء غريبة؟

– قالت تاليتا :

– إنك تعطينى أهمية زائدة عن الحد .

– قال أوليڤيرا :

– أوه، تلك الأشياء لا يقررها المرء هناك نظام كامل للأشياء لا يقررها المرء، ودائما ما تثير النفور رغم أنها ليست الأكثر أهمية. وأقول لك ذلك فهو عزاء كبير. فأنا على سبيل المثال، كنت أفكر فى تناول الشاى. والآن تصل هذه وتقوم بإعداد القهوة باللبن دون أن يطلب منها أحد ذلك. المحصلة: إذا لم أتناول القهوة، تتكون طبقة من القشدة لها سطح اللبن. ليس بالمهم، لكنه ينفر بعض الشى أتدركين ما أقوله؟

– قالت تاليتا وهى تنظر إلى عينيه :

– آه، نعم فعلا أنت تشبه مانو. فكلاكما يتحدث جيدا عن القهوة باللبن وعن الشاى. وينتهى الأمر بالواحد منا إلى أن القهوة باللبن والشاى هما فى الواقع ...

– قال أوليڤيرا :

– بالضبط فى الواقع. ومعنى هذا أنه يمكننا العودة لما كنت أتحدث عنه قبل ذلك.

41

الفارق بينى وبين مانو هو أننا نكاد نكون متماثلين. وفى هذا المقام فإن الفارق هو بمثابة زلزال وشيك الحدوث. هل نحن صديقان؟ نعم، واضح لكن بالنسبة لى لن أشعر بالمفاجأة إذا ... تصورى أننا منذ أن عرفنا بعضنا، فلا نفعل الا إظهار أسفنا لذلك، وأقول لك هذا لأنك تعرفين الأمر. فهو لا يروقه أن أكون على ما أنا عليه، فلا أكاد أقوم بتقويم بعض المسامير إلا وتقوم القيامة كما ترين ويدخلك أيضا فى اللعبة. لكن لا يروق له أن أكون على ما أنا عليه، وذلك لأن ـ فى الواقع ـ الكثير من الأشياء التى تطرأ على بالى والكثير من الأشياء التى أفعلها كأنك تلقين بها **أمام ناظريه** قبل أن يفكر بها هو، هُبْ. ها هى. بان، بان، يطل من النافذة فيجدنى أقوم بتقويم المسامير.

نظرت تاليتا إلى الخلف فرأت ظل ترافلر الذى كان يسمع الحوار وهومختبئ بين الكومودينو والنافذة.

– قالت تاليتا :

– حسن، لا تبالغ بالنسبة لك لن تخطر على بالك أشياء قد خطرت على بال مانو.

– مثلا؟

– قالت جيكربتين بلهجة فيها شكاية :

– لقد برد اللبن هل ترى أن أقوم بتسخين بعض اللبن يا حبيبى؟

– نصح أوليڤيرا :

– اصنعى كريم كراميل للغد واصلى أنت يا تاليتا.

– قالت تاليتا وهى تتنهد :

– لا من أجل ماذا. الجو حار جدا، ويبدو لى أننى بدأت أشعر بدوار.

شعرت باهتزاز الكوبرى عندما ركب ترافلر فوقه من عند حافة النافذة، ومال زحفا، لكن دون أن يتجاوز حلق النافذة. وضع ترافلر قبعة من القش على اللوح، وأخذ يدفعها رويدا رويدا بواسطة يد منفضة من الريش. ٢٨٥

– لو انحرفت القبعة قليلا سوف تسقط فى الشارع وسوف تكون هناك مشكلة الذهاب والبحث عنها.

– قالت تاليتا وهى تنظر بألم لترافلر :

– وربما من الأفضل أن أعود إلى منزلى.

– قال ترافلر :

– لكن عليك أولا أن تعطى الأعشاب لأوليڤيرا.

41

– قال أوليڤيرا :

– لم يعد الأمر يستحق عليها أن تقذف باللفة على أية حال ـ الأمر سيان.

– قال أوليڤيرا :

– لقد مضى عقرب الدقائق يا بنى إنك تتحرك فى الزمان ـ المكان المستمر، ولكن ببطء الدودة. فكر فى كل الذى حدث منذ أن قررت الذهاب للبحث عن هذه القبعة المصنوعة من السعف. لقد انتهت مرحلة تناول الشاى دون أن تتم، وفى الوقت نفسه دخلت جيكربتين بطريقتها المثيرة على عهدها دائما محملة بالأدوات المطبخية. نحن الآن فى قطاع القهوة باللبن. ولا يمكن فعل شئ إزاءه.

– قال ترافلر :

– يالها من أسباب.

– ليست أسبابا بل هى براهين موضوعية تماما. إنك تتجه إلى التحرك فى المستمر كما يقول الفيزيائيون بينما أنا شديد الحساسية للاستمرار الحاد للوجود. ففى هذه اللحظة تبدأ القهوة باللبن، وتستقر، وتسيطر وتنتشر وتتكرر فى مئات آلاف المنازل، أما الشاى فقد تم غسله وحفظه والقضاء عليه. ومجرد وجود منطقة مؤقتة للقهوة باللبن يمكن أن تغطى هذا القطاع من القارة الأمريكية. فكرى فى كل ما يعنيه هذا ويتمخض عنه، هناك أمهات رؤوم تربين أطفالهن على أهمية الألبان. ويتجمع الأطفال حول الترابيزة الموضوعة إلى جوار المطبخ؛ حيث تجد فى الجزء العلوى منها الابتسامات والضحكات، أما الجزء السفلى فهناك طوفان من الركلات والقرص. وعندما ننطق عبارة قهوة باللبن فمعنى هذا الانتقال والتلاقى اللطيف فى نهاية اليوم وتعداد الأسهم الحسنة أى الأسهم لحاملها والمواقف المؤقتة، والاستهلاك الغامض لبداية السادسة مساءً وهى الساعة الرهيبة؛ حيث تغلق الأبواب بالمفاتيح ثم الجرى هرولة نحو الأتوبيس. لا يكاد يوجد أحد يمارس الحب فى هذه الساعة فذلك إما قبل أو بعد. فى مثل هذه الساعة يتم التفكير فى الدُشْ (لكننا سوف نأخذ دشا فى الخامسة) ويبدأ الناس يلوكون الاحتمالات المتوقعة أثناء الليلة. أى أنهم سوف يذهبون لمشاهدة الممثلة باولينا سينجرمان Paulina Singerman أو توكو تارا نقولا Toco Tarantala [٥] (لكننا غير متأكدين، فلازال لدينا قوت) ما علاقة كل ذلك بساعة تناول الشاى؟ إننى لا أتحدث معك عن الشاى الذى يتم شربه بطريقة سيئة، حيث يكون قريبا زمنيا من القهوة باللبن. بل عن الشاى فى الساعة المحددة والمطلوبة، أى فى اللحظة التى تزداد فيها حدة البرد. يبدو لى أن تلك الأشياء لا تفهمينها بما فيه الكفاية.

41

– قالت جيكربتين :

– الخياطة هى امرأة نصابة هل تقومين بتفصيل ملابسك عند الخياطة يا تاليتا؟.

– قالت تاليتا :

– لا فأنا عندى فكرة عن التفصيل والخياطة.

– حسنا يا ابنتى. فأنا بعد أن انتهيت من موعدى مع طبيب الأسنان خرجت مسرعة إلى الخياطة التى تقيم على الناصية الثانية لآخذ منها تنورة كان عليها أن تكون قد انتهت منها منذ ثمانية أيام. فتقول لى «آه، يا سيدتى لم أستطع أن أضرب غرزة واحدة بسبب مرض أمى» فأقول لها: «لكنى ياسيدتى فى حاجة للتنورة» فتقول لى «صدقينى، أنا آسفة جدا لزبونة مثل سيادتك. لكن ليس أمامك إلا أن تعذرينى». فأقول لها «أن أعذرك هذا لا يحل القضية يا سيدتى». ومن الأفضل لك الالتزام بالوقت ونكسب جميعا» فتقول لى «إذا كنت تنظرين للأمر هكذا فلم لا تذهبين إلى خياطة أخرى» فأقول لها «ليس الأمر فى أننى لا أرغب بل طالما أننى التزمت معك فمن الأولى أن أنتظرك، وهذا فى نظرى عدم التزام».

– قال أوليڤيرا :

– أحدث لك كل هذا؟

– قالت جيكربتين :

– طبعا ألا ترى أنى أقص ذلك على تاليتا؟

– هما أمران مختلفان.

– ها أنت تبدأ.

– قال أوليڤيرا لترافلر الذى كان يضم حاجبيه :

– ها هى الأشياء أمامك – ها هى الأشياء أمامك. فكل واحد يعتقد أنه يتحدث عن أمور يشاركه فيها الآخرون.

– قال ترافلر :

– والأمر ليس هكذا بالطبع ياله من خبر.

– من المناسب أن تكرر ذلك تشى؟

– إنك تكرر كل ما يفترض أنه حكم على أحد.

– قال أوليڤيرا :

– لقد وضعنى الرب على مدينتكم.

41

– عندما لا تحكم علىّ تتجه إلى زوجتك.

– قال أوليڤيرا :

– لأنقذكما وأجعلكما يقظين.

– إنه نوع من الهوس الفسيفائى. تشعر به وأنت تهبط من جبل سيناء.

– قال أوليڤيرا :

– هذا يطيب لى ؛أى أن تكون الأشياء واضحة ما أمكن. أما بالنسبة لك فليس هناك فارق حتى ولو أنت جيكربتين أثناء الحوار ودخلت علينا بحكاية خيالية عن طبيب أسنان وعن تنورة أو لست أدرى ماذا. لا يبدو أنك تدرك أن هذا الدخول الذى يمكن أن نلتمس له العذر عندما يكون جميلا أو موحيا على الأقل يصبح ممقوتا ذلك أن مهمته الأساسية هى كسر النظام وضرب بنيته بالطوربيد. كيف أتحدث يا أخى.

– قالت جيكربتين :

– أوراثيو لا يتغير أبدا لا تلق له بالا يا ترافلر.

– كلانا شديد الليونة يامانو؛ إذ نسمح فى كل لحظة أن يهرف الواقع من بين أكفنا مثل المياة. لقد كان لدينا هناك شبه كامل وكأنه قوس قزح يبدأ من الإبهام ويتجه صوب البنصر. وكم يكلف الوصول إليه من جهد ووقت وما يجب القيام به ... هب، يعلن الراديو أن الجنرال بيستولى Pistalli أدلى بتصريحات. كابوت. كل ذلك هراء. «وأخيرا هناك شئ جاد» تفكر الفتاة الخادمة إما هذه وإما سيادتك أنت. وأنا، حتى لا تتصور أنى هذا الذى يشبه الصفدعة بين الأصابع. وهذا المساء... انظر، فرغم البرد يبدو لى أننا كنا قد بدأنا نفعل شيئا ونحن جادين. فتاليتا تحلت بالشجاعة المنقطعة النظير فى تفادى السقوط فى الشارع. وأنت هناك، أما أنا... إنى حساس إزاء بعض الأشياء، ياللشياطين.

– لست أدرى فيما إذا كنت أفهمك ـ قال ترافلر وربما لم يكن سيئا مثال قوس قزح. لكن لماذا أنتم غيرمتسامحين؟ عِشْ ودع الآخرين يعيشون يا أخى.

– قالت جيكربتين :

– الآن وقد لعبت بما فيه الكفاية تعال وارفع الدولاب من على السرير

– قال أوليڤيرا :

– أخذت بالك؟

– قال ترافلر مقتنعا :

– آه، نعم .

41

– لقد تمت البرهنة على ذلك. بيب.

– قال ترافلر :

– لقد تمت .

– والأسوأ من هذا هو أننا فى الواقع لم نكد نبدأ.

– قالت تاليتا وهى تلقى بشعرها إلى الوراء وتنظر فيما إذا كان ترافلر قد قرب لها القبعة بما فيه الكفاية أم لا :

– كيف؟

– نصح ترافلر :

– لا تكونى عصبية؛ عليك إلى الخلف قليلا وببطء ومُدّى تلك اليد، وهكذا انتظرى، سوف أدفع القبعة إلى الأمام قليلا. ألم أقل لك؟ ذكى.

أخذت تاليتا القبعة ووضعهتا على رأسها دفعة واحدة. تجمع فى الشارع اثنان من الأولاد وسيدة، وكانوا يتحدثون مع الخادمة وينظرون إلى الكوبرى.

– قالت تاليتا وهى تشعر بثقة أكثر مع القبعة :

– الآن أقذف باللفة إلى أوليڤيرا وانتهى الأمر. ثبتا اللوحين. وهذا ليس بالكثير.

– قال أوليڤيرا :

– هل ستلقين باللفة؟ من المؤكد أنك لن تصوبى جيدا.

– قال ترافلر :

– اتركها تقوم بالتجربة وإذا ما تفككت اللفة فى الشارع فليتها تصيب السيدة/ جوتوسو هذه الخسة الضخمة ـ المنفرة.

– قال ترافلر :

– آه، لاتروق لك أيضا أنا سعيد بذلك، لأنى لا أستطيع هضمها. وأنت يا تاليتا؟

– قالت تاليتا :

– أفضل أن ألقى لك باللفة.

– الآن، الآن، لكن يبدو لى أنك متعجلة أكثر من اللازم.

– قال ترافلر :

– أوليڤيرا على حق لنرى فيما إذا كنت ستقضين عليها فى النهاية وبعد كل هذا الجهد.

– قالت تاليتا :

– لكنى أشعر بالحر أريد العودة إلى المنزل يا مانو.

41

– لست بعيده جدا حتى تشكين هكذا، فقد يتصور البعض أنك تكتبين لى من ماتو جروسو Matto Cerosso Æ .

– قال أوليڤيرا لجيكربتين التى كانت تنظر إلى الدولاب :

– إنه يقول ذلك بسبب الأعشاب .

– سألت جيكربتين :

– هل ستواصلون اللعب لوقت طويل؟

– قال أوليڤيرا :

– لا.

– قال أوليڤيرا :

– آه، الحمد لله.

أخرجت تاليتا اللفة من جيبها، وأخذت تؤرجحها إلى الأمام والخلف. أخذ الكوبرى يهتز فأمسك به كل من أوليڤيرا وترافلر بكل ما أوتيا من قوة. ولما تعبت تاليتا من هذا التأرجح أخذت تهز ذراعها وتمسك نفسها بذراعها الآخر.

– قال أوليڤيرا :

– لا ترتكبى حماقات ببطء. أتسمعين؟ ببطء!

– ببطء، وإلا سوف تسقطين فى الشارع!

– عظيم – قال ترافلر الذى كان ينظر إلى تاليتا وكأنه يريد الإمساك بها على الكوبرى بقوة النظر فقط – تمام يا عزيزتى. من المستحيل أن يكون أكثر وضوحا عن ذلك. هذا هو ما يسمى التبيان الحقيقى.

أخذ اهتزاز الكوبرى يقل شيئا فشيئا. حاولت تاليتا الحفاظ على توازنها بكلتا يديها وطأطأت رأسها. لم يكن أوليڤيرا يرى إلا القبعة وشعر تاليتا المنسدل على أكتافها. رفع ناظريه وتأمل ترافلر.

– قال :

– إذا ما بدا لك أنا أيضا أعتقد أنه من المستحيل أن يكون أوضح من هذا.

«وأخيرا» فكرت تاليتا وهى تنظر إلى أرض الشارع والرصيف «أى شئ آخر هو أفضل من الوضع على هذا الحال بين النافذتين».

– قال ترافلر :

– يمكنك أن تقومى بأحد أمرين إما أن تواصلى إلى الأمام وهذا أسهل وتدخلين

41

فى مجال أسرة أوليڤيرا أو تعودين القهقرى وهذا أصعب، ولكنك ستوفرّين على نفسك متاعب صعود وهبوط السلالم وعبور الشارع.

– قالت جيكربتين :

– لتأت إلى هنا أيتها المسكينة فوجهها كله ينضح عرقا.

– قال أوليڤيرا :

– هُم الأطفال والمجانين .

– قالت تاليتا :

– اتركنى لأرتاح قليلا أظن أننى أشعر بشئ من الدوار.

مال أوليڤيرا بصدره على النافذة ومد لها ذراعيه. ولم يكن أمام تاليتا إلا التقدم حوالى نصف متر لتلمس يده.

– قال ترافلر :

– إنك لفارس همام من الواضح أنك قرأت المستشار الاجتماعى للأستاذ ميدانا Maidana. أى ما يسمى بالكونت. يجب ألا يفوتك ذلك يا تاليتا.

– قال أوليڤيرا :

– إنه التجمد إرتاحى قليلا يا تاليتا واقطعى المسافة المتبقية بالتجديف. لا تعيريه اهتماما، فمن المعروف أن الجليد يجعل المرأ يشعر بالهذيان قبل النوم الأبدى.

لكن تاليتا استقامت فى جلستها ببطء واستندت بكلتا يديها ونقلت عَجزها عشرون سنتمترا إلى الخلف. مرة أخرى وعشرون سنتيمترا إلى الخلف. أما أوليڤيرا فلا زال يمد يده لدرجة بدا معها أنه أحد الركاب على متن سفينة أخذت تبتعد عن الميناء ببطء.

مد ترافلر ذراعيه، ووضع يديه تحت إبطى تاليتا. ظلت بلا حراك وبعد ذلك ألقت برأسها نحو الخلف فى حركة مباغتة سقطت معها القبعة تتأرجح فى الهواء حتى الرصيف شعرت بفم ترافلر ملتصقا بدماغها بأنفاسه الساخنة والمتلاحقة.

– همهم ترافلر :

– ها قد عدت ها قد عدت، قد عدت.

– قالت تاليتا :

– نعم وهى تقترب من السرير ـ وكيف لا؟ لقد قذفت له اللفة الملعونة ثم عدت، ...

جلس ترافلر على حافة السرير. أخذ يفكر فى قوس قزح بين الأصابع وفى تلك الأشياء التى تعّن لأوليڤيرا، تزحلقت تاليتا إلى جواره وأخذت تبكى فى صمت. «إنها

41

الأعصاب» فكر ترافلر «لقد مرت بلحظات عصيبة» سوف أحضر لها كوب ليمون وسوف أعطيها أسبرينة وسوف أمَرْوح على وجهها بإحدى المجلات وأجبرها على أن تنام قليلا. لكننى قبل ذلك يجب أن أخرج الموسوعة الخاصة بالتعليم الذاتى وأصلح شأن الكومودينو وأدخل اللوح. «هذه الحجرة أصبحت غير منظمة» فكر وهو يقبل تاليتا. ولم تكد تكف عن البكاء، حتى طلب منها أن تساعده فى إعادة ترتيب الحجرة أخذ يداعبها ويقول لها بعض العبارات.

– قال أوليڤيرا :

– وأخيرا، وأخيرا .

ابتعد عن النافذة وجلس على حافة السرير مستفيدا من المساحة البعيدة عن الدولاب. كانت جيكربتين قد انتهت من إعادة جمع الأعشاب باستخدام ملعقة.

– قالت جيكربتين :

– كانت مليئة بالمسامير ياله من أمر غريب.

– قال أوليڤيرا :

– غريب جدا.

– سوف أقول بالنزول إلى الشارع لأبحث عن قبعة تاليتا. فأنت تعرفين كيف يتصرف الأطفال مع هذه الأشياء.

ـ قال أوليڤيرا وهو يرفع مسمارا ويلفه بأصابعه.

– فكرة سليمة.

نزلت جيكربتين إلى الشارع. كان الأطفال قد أخذوا القبعة وأخذوا يتناقشون بحدة مع الخادمة والسيدة/ جوتوسو

– قالت جيكربتين بابتسامة راضية :

– أعطونى هذه القبعة؛ إنها قبعة السيدة التى تسكن فى المنزل المقابل لنا، وأنا أعرفها.

– قالت السيدة دى/ جوتوسو :

– نحن جميعا نعرفها يا ابنتى ياله من مشهد فى هذه الساعة، والأطفال متحلقون.

– قالت جيكربتين بنغمة ليس فيها إقتناع كبير :

– ليس فيه ما يسوء .

– كانت ساقاها مكشوفتين، وياله من مثال أمام الأطفال إنك يا سيدتى لم تلاحظى

41

ذلك. لكن من هذا المكان كان يرُى كل شئ. وأقسم لك على هذا.

– قال الأصغر سنا :

– هناك شعر غزير.

– قالت السيدة دى جوتوسو :

– ها هو ينطق الأطفال بما يرون، مساكين هؤلاء الأبرياء وما الذى كانت تفعله هذه وهى تركب اللوح كأنها تركب حصانا، قولى لى شيئا؟ إنها السّاعة التى يلجأ فيها الناس المحترمون إلى نوم القيلولة أو فعل أشياء تخصهم هل بوسعك أن تفعلى نفس الشئ يا سيدتى إذا لم يكن سؤالى هذا سخيفا.

– قالت جيكربتين :

– أنا لا. لكن تاليتا تعمل فى سيْرك، وهم جميعا فنانون.

– هل يقومون بالتمرينات؟– سأل أحد الأطفال – فى أى سيرك يتم أداء هذه النمرة؟.

– قالت جيكربتين :

– لم تكن تمرينات الأمر ببساطة هو أنهما كان يريدان إعطاء زرجى القليل من الأعشاب، وعندئذ ...

كانت السيدة دى جوتوسو تنظر إلى الخادمة. قامت هذه الأخيرة بوضع إصبع على صدرها وأدارته ـ أخذت جيكربتين القبعة بكلتا يديها ودخلت من البوابة. وقف الأطفال صفا واحدا وأخذوا يغنون أبياتا من أوبريت **Caballeria ligera**:

وضعوه له فى المؤخرة، وضعوه له فى المؤخرة.

وضعوا له عصا فى فتحة الشرج.

ياله من رجل مسكين ! ياله من رجل مسكين !

لم يستطع إخراج العصا.

(مكررّ)

(148)

42

عذابى هو Ip mio supplijio
عندما é quando
لا أرى نفسى non mi credo
فى حالة انسجام in armonia

UGARETTI, I Fiumi (١)

كان العمل عبارة عن منع الأطفال من المرور تحت الأقفاص ومد يد العون لو حدث أى شئ مع الحيوانات ومساعدة العارض، وتحرير الاعلانات، واللافتات المثيرة للانتباه، والعمل على إعطاء الانطباع الجيد، والتفاهم مع البوليس، وإبلاغ المدير بكل خروج عن النظام، طالما كان الأمر يستحق الابلاغ، ومساعدة السيد مانويل ترافلر فى الإدارة ومساعدة السيدة أتاليا دونوس دى ترافلر فى شباك التذاكر (عند الضرورة) ... إلخ.

آه يا قلبى، لا تنهض
لتشهد ضدى
(كتاب الموتى، أونقش على جعران)(٢)

فى هذه الفترة كان دينو ليباتى Dinu lipati (٣) قد مات فى أوربا عن ثلاثة وثلاثين عاما من العمر.

أخذ يتحدثان عن العمل وعن دينو ليباتى حتى وصلا إلى الناصية اقترحت عليها شراء إسطوانة لـ «ليبانى» ودخول مكتب السيد كريسبو للاستماع إليها، كان ترافلر وأوليڤيرا يريدان تناول البيرة فى المقهى الكائن على الناصية والحديث عن السيرك، فقد أصبحا زميلين، وفى غاية الرضا عن ذلك. لم ينس أوليڤيرا أن ترافلر قد - بذل - جهدا - جبارا لإقناع المدير، وأنه أقنعه بمحض الصدفة وليس لأى سبب آخر. فقرر أن يقوم أوليڤيرا بإهداء جيكربتين قطعتين من قطع قماش الكشمير الثلاثة التى بقيت معه. أما الثالثة فتأخذها تاليتا لتفصّل منها بدلة حريمى. كان الأمر عبارة عن الاحتفال بالتعيين وبناء على ذلك طلب ترافلر تناول البيرة بينما تقوم تاليتا بإعداد طعام الغداء. كان ذلك يوم الاثنين وهو يوم الراحة الأسبوعية، فهناك عرضين يوم الثلاثاء أحدهما فى السابعة أما الآخر فى التاسعة، وسيتم فى هذه العروض تقديم أربعة دببة وعرضا لمهرّج السيرك الذى وصل حديثا من كولومبو،، وكذلك عرض القط المحاسب. وحتى يبدأ أوليڤيرا عمله، لن يكون إلا مجرد مشاهد حتى يدخل فيه بعد ذلك بشكل جاد.

42

وكان يرى العرض وهو يقوم بعمله. وهو عرض لم يكن أفضل من غيره. كان كل شئ يأخذ مساره الجيد.

كان كل شئ يأخذ مساره الجيد لدرجة أن ترافلر اطمأن وأخذ يطبّل على الترابيزة. هناك فتى يعرفهما جيدا، فاقترب منهما وأخذ يتناقش فى موضوع السكك الحديدية فى المنطقة الغربية، وقام أوليڤرا بالمراهنة بعشرة بيزو على طقم الملابس الرياضية، Chacarita Juniors وذلك بإشارات بأصابعه كأنها فرجار.

كان ترافلر يقول لنفسه إن كل شئ فى محله بهذا الشكل وأنه ليس هناك مخرج آخر، فى الوقت الذى انتهى فيه أوليڤرا من نتيجة المراهنة، وأخذ يشرب البيرة. طرأ على رأسه، هذا الصباح، التفكير فى جُمَل مصرية، فى توت، ذلك الإله الذى اخترع الكتابة وإله السحر. أخذوا يتناقشون بعض الوقت حول ما إذا كان من الخطأ التناقش بعض الوقت ذلك أن اللغة مهما بلغت درجة البلاغة فى الحديث بها فإنها تشترك فى بنيوية كهنوتية غير مطمئنة على الاطلاق. وانتهى بهم الأمر إلى أن المهمة المزدوجة للإله توت هى ضمان واضح على الانسجام والمنطقية فى الواقع أو اللاواقع. سعدوا كثيرا بالتوصل إلى حل المشكلة الخاصة بالتسلسل الموضوعى. السحر أو عالم المحسّات، كان هناك إله مصرى يحدث انسجاما شفهيا بين الموضوع ـ الشئ، كان كل شئ على أحسن حال.

(-75)

43

كان كل شئ فى السيرك فى موضعه، هناك الكثير من الترتر والموسيقى الصاخبة، والقط الحاسب، الذى كان يتصرف كرد فعل على تدريه سرّية لمسحوق بعض الأرقام الكرتونية من خلال حاسة الشم للقط، وفى الصالة نجد السيدات وقد تأثرن وأخذن يؤكدن لذُريّتـهن أن هذا هو نموذج على نظرية النشوء والارتقاء لداروين. وفى الليلة الأولى أطل أوليڤيرا على حلبة العرض وهى خالية ونظر إلى أعلى فى أقصى مكان من الخيمة الحمراء فوجد تلك الفتحة التى تمثل ربما نوعا من الاتصال، ذلك المركز، وتلك العين، وكأنها معبر بين الأرضية والفضاء الخارجى الحرّ. فى هذه اللحظة توقف عن الضحك وفكر فى أنه ربما صعد أحد على الصارى القريب من العين بطريقة تلقائية، وأنه لم يكن هو الذى ظل تحت وسط الصخب الذى يعم السيرك.

وفى إحدى تلك الليالى أدرك السبب فى سعى ترافلر لحصوله على الوظيفة. وقد قالت له ذلك تاليتا دون مواربة، بينما يقومان بعدّ النقود فى الحجرة المبنية من الطوب المحروق، والتى كانت تستخدم كبنك وكإدارة للسيرك. كان أوليڤيرا يعرف ذلك ولكن بطريقة مختلفة. كما كان من الضرورى أن تقول له تاليتا من وجهة نظرها وذلك حتى يولد كلا الشيئين وكأنهما زمن جديد، أى حاضر يشعر أنه ضالع فيه ومجبر على ذلك. أراد أن يحتج، ويقول بأن ذلك لم يكن إلا من اختراعات ترافلر، وأراد أن يشعر مرة أخرى أنه خارج زمن الآخرين (هو، الذى كان يموت من أجل الدخول، من أجل الانغماس، من أجل أن يكون) غير أنه فهم فى الوقت ذاته أن ذلك حقيقى وأنه انتهك، بشكل أو بآخر، عالم تاليتا وترافلر، دون مقدمات ودون أى قصد اللهم إلا الانصياع لنزوة حنين واشتياق. كان يرى فى كلمات تاليتا رسم الحظ البائس للربوة Cerro. سمع الجملة البرتغالية الساحرة التى كانت تنبئ بمستقبل فيه الثلاجات والمواسير المحروقة. ضحك فى وجه تاليتا، مثلما فعل ذلك فى الصباح، وهو يتهيأ لغسل أسنانه بالفرشاة.

ربطت تاليتا رزمة من الأوراق المالية فئة عشرة بيزو بفتلة خياطة. ثم جلسا لعد الباقى بطريقة ميكانيكية .

– قالت تاليتا :

– ماذا تريد أعتقد أن مانو على حق.

– قال أوليڤيرا :

– نعم هو كذلك، لكنه فى الوقت نفسه أحمق، وأنت تعرفين ذلك جيدا

– جيدا لا أعرف، وعلى الأفضل عرفت ذلك عندما كنت أجلس فوق اللوح. أنتما

43

تعرفان الأمر جيدا، أما أنا ففى الوسط مثل ذلك الجزء من الميزان الذى لا أعرف اسمه

– إنك حـوريّتنا من بحـر إيجـه، وأنت الكويرى. الآن أفكر فى شئ، عندمـا كنت حاضرة وقعت أنا ومانو فى نوع من الغيبوبة. لدرجة أن جيكربتين لاحظت ذلك وقالته لى مستخدمة ذلك الفعل المرئى.

– قالت تاليتا وهى تسجل تذاكر الدخول :

– هذا ممكن إذا أردت أن أقول لك ما أفكر فيه. لايعرف مانو ماذا يفعل معك. إنه يحبك كشقيق، وأظن أنك أدركت ذلك. لكن يأسف كثيرا لأنك عدت.

– لم يكن من الضرورى عليه أن يأتى ليستقبلنى فى الميناء. فأنا لم أرسل له كروت بوستال.

– لقد ضمن ذلك من خلال تصرفات جيكربتين التى ملأت الشرفة بنبات المالبون Malvones وقد عرفت جيكربتين ذلك من خلال الوزارة.

– قال أوليفيرا :

– إنهـا خطوات شيطانية عندما علمت أن جـيكربتـين عرفت ذلك عـبر الطريق الدبلوماسى فهمت أن آخر شئ عندى هو أن أتركها ترتمى فى أحضانى كأنها بقرة مجنونة . ضعى فى اعتبارك أنها عملية منفرة. ياله من انتظار مثير للسخط.

– قالت تاليتا وهى تنظر إلى الأرض :

– إذا لم يعجبك الكلام فى ذلك الموضوع يمكننا أن نغلق الخزينة ونذهب للبحث عن مانو.

– يطيب لى كثير، لكن هذه التعقيدات التى يثيرها زوجك سببت لى مشاكل غير مريحة متعلقة بالضمير.. وذلك بالنسبة لى ... أقولها فى كلمة، إننى لا أفهم لماذا لا تقومين أنت نفسك بحل المشكلة.

– قالت تاليتا وهى تنظر إليه بتأنّ :

– حسن أعتقد أن الأمسية السابقة كان يمكن للأبله أن يدرك ما يحدث.

– بالطبع لكن ها هو مانو يأتى فى اليوم التالى ويتحدث مع المدير ويحصل لى على الوظيفة. فى اللحظة التى كنت أجفف فيها دموعى مستخدما مَقْطَعًا من القماش قبل أن أخرج لبيعه.

– قالت تاليتا :

– مانو رجل طيب لا يمكن لك أن تعرف أبدا ما عليه من طيبة.

43

– قال أوليفيرا :

– إنها طيبة غريبة، ولنترك هذا الذى لا يمكن أن أعرفه جيدا إلى جانب فلابد أن يكون حقيقيا، واسمحى لى أن أنوه لك بأن مانو ربما يريد أن يلعب بالنار. إنها لعبة من ألعاب السيرك إذا ما نظرنا إليها جيدا، وأنت ـ قال أوليفيرا وهو يشير إليها بإصبعه لك شركاء.

– شركاء؟

– نعم شركاء، أنا أولهم بالإضافة إلى واحد ليس هنا. تعتقدين أنك لسان الميزان من أجل استخدام جسدك الجميل لكن لا تعرفين أنك تلفين بجسدك فوق أحد الطرفين. عليك أن تدركى هذا.

– قالت تاليتا :

– لماذا لا تذهب يا أوراثيو؟ لماذا لا تترك مانو فى حاله؟

– لقد شرحت لك، كنت سأخرج لبيع مقاطع من القماش فيقوم هذا الغليظ ويحصل لى على عمل. ويفهم أننى لن أفعل شيئا سيئا حياله، وهذا أسوأ ما فى الأمر. وقد يشكّ فى أى تفاهة تحدث.

– وعلى ذلك تبقى هنا بينما لا ينام مانو جيدا.

– وافقى، يا عجوزة.

ربطت تاليتا الأوراق المالية ذات فئة الخمسة بيزو، وفى اللحظة التى تعرض فيها نمرة القط الحاسب كان يطلان دائما لمشاهدة هذا الحيوان غير المفهوم على الإطلاق. إذ استطاع حل عملية ضرب قبل أن تبدأ خدعة مداعبة حواسّ القط فى العمل. كان ترافلر فاغر الفم وكان يطلب من أقرب الناس حوله أن يراقبوه. غير أن القط هذه الليلة كان أبلهًا، فلا يكاد يصل فى العمليات الخاصة بالجمع حتى خمس وعشرين. لقد كان الأمر مأساويا. كان ترافلر وأوليفيرا يدخنان عند واحدة من البوابات المؤدية إلى مسرح العروض، وقررا أن القطط ربما كان فى حاجة إلى غذاء فوسفاتى. لابد من التحدث مع المدير. كان المهرّجان اللذان يكرهان القط دونما سبب واضح، يرقصان حول المنصة التى كان عليها القط يداعب شواربه وهى تحت ضوء زئبقى. وعند اللفّة الثالثة، وبينما يغنيان أغنية روسية، كشر القط عن أنيابه وضرب بمخالبه فى وجه المهرج الأكبر سنا. كان الجمهور يصفق كثيرا كالمجنون لهذه اللعبة. وفى عربة بونيتى Bonetti (الأب والابن المهرجين)، قام المدير بأخذ القط وتغريمهما مبلغا مضاعفا من

43

المال جزاء لهما على استفزازه. كانت ليلة غريبة، فعندما نظر أوليڤيرا إلى أعلى رأى نجم الشعرى وسط الفتحة السوداء وكان يخمن بشأن الأيام الثلاثة التى يكون فيها العالم مفتوحا عندما ترتفع الأيادى، وأن هناك معبراً بين الإنسان والفتحة فى الجزء العلوى، هو كوبرى بين الأنسان (من ذا الذى يريد التسلق حتى الفتحة إلا من كان يريد الهبوط وقد تغير، ووجد نفسه بعد ذلك مع سلالته، لكن بشكل مختلف؟ كان يوم 24 أغسطس أحد الأيام الثلاثة التى يُفْتح فيها العالم. لكن لماذا كل هذا التفكير فى ذلك الأمر، ونحن لازلنا فى شهر فبراير؟ لم يكن أوليڤيرا يتذكر اليومين الآخرين. كان من المثير للفضول تذكر تاريخ واحد من ثلاثة. لكن لماذا هذا التاريخ بالذات؟ ربما كان السبب يكمن فى أن العبارة مكونة من ثمانية مقاطع والذاكرة تميل إلى مثل تلك الألعاب إذن يمكن القول بأن الحقيقة هى بيت من الشعر مكون من اثنا عشر مقطعا أو أحد عشر مقطعا. وربما كان السر فى الايقاع الذى يحدد طبيعة الدخول ويحدد مراحل الطريق. هناك موضوعات أخرى للدراسة، لمن يرغبون فى التبحر. كانت مشاهدة المهرّج ممتعة وذلك لخفة حركته التى لا تصدق. وكذلك الطريق اللبنّى حيث يتوقف دخان السجائر على رؤس مئات الأطفال من حى بيادل باركى Villa del Parque وهو حى لازالت فيه أشجار الكافور ـ لحسن الحظ ـ تقوم بمهمة إحداث التوازن أو الميزان، وتتذكر مرة أخرى هذه الآلة فهى رمز العدل وهى رقعة فى الزودياك.

(‎-125)

44

ينام ترافلر قليلا، وهذا حقيقى، ففى منتصف الليل يتنفس وكأن هناك ثقلا على صدره فيعانق تاليتا التى تحتضنه دون أن تتفّوه بكلمة، وتضغط عليه بشدة حتى يشعر أنه قريب منها. كانا يتبادلان قبلات على الأنف وسط الكلام وقبلات فى الفم وفوق العيون. كما كان ترافلر يداعب خد تاليتا بيده التى يباعدها عن الملاءات ثم يعود للاختباء، وكأن الجو شديد البرودة رغم أن كلاهما يتصبب عرقا. وبعد ذلك يهمهم ترافلر بأربع أو خمس أرقام، وهذه عادة قديمة يلجأ إليها حتى لا يجافيه النوم. كانت تاليتا تشعر به وقد أرخى ذراعيه وأخذ يتنفس بعمق وهدأ.

أما أثناء النهار فكان يقضى اليوم سعيدا يصفّر على موسيقى التانجو وهو يتناول الشاى أو يقرأ، لكن تاليتا لم تكن لتتمكن من مواصلة الطهى، دون أن يظهر أربع أو خمس مرات بحجج مختلفة ويتحدث عن أى شئ، وخاصة عن الصحة العقلية، وخاصة أن الأمور تسير فى طريقها المرسوم، كما أن المدير يزداد اقتناعا كل يوم بامكانيات شراء ممرض المجانين لم تكن فكرة مستشفى المجانين تروق كثيرا لتاليتا، ويعرف ذلك ترافلر. كان كلاهما يبحث عن البعد الفكاهى، وأن ذلك سوف يكون جديرا بإحدى مسرحيات صمويل بيكيت. والبعد عن كل ما يخص السيرك المسكين الذى يقوم بأداء وظيفته في حى بيادل باركى، ويستعد للظهور لأول مرة فى سان إيسيدرو. وأحيانا ما كان أوليفيرا يأتى لتناول الشاى. ومع ذلك، فعادة ما كان يظل فى حجرته ليقرأ ويدخن على راحته، مستغلا الفتره التى تذهب فيها جيكربتين إلى العمل. وعندما كان ترافلر ينظر إلى عين تاليتا التى أخذت مسحة من اللون البنفسجى ويساعدها فى نتف ريش بطة – وهذا شئ عظيم بالنسبة لها تفعله كل خمسة عشر يوما فهى تعشق البط بكل أشكال طهيه – كان يقول لنفسه إن الأمور ليست أسوأ مما كانت عليه، لدرجة أنه يفضل أن يطل أوراثيو ويتناول معهما الشاى، إذ بعد ذلك مباشرة يبدأون ممارسة لعبة مشفرة لايكادون يفهمونها، لكن يجب ممارستها لقضاء الوقتّ وحتى يشعر الثلاثة أنهم جديرون ببعضهم البعض. كانوا يحبون القراءة، إذ تلاقوا فى فترة الشباب على الاشتراكية، كما أن ترافلر كانت له مسحة ميل للصوفية فى شبابه. كان الثلاثة يحبون القراءة والتعليق، كل على طريقته، وكذلك الجدل حول المزاجية الأسبانية – الأرجنتينية الخاصة بالرغبة فى الإقناع وعدم قبول الرأى الآخر على الأطلاق، وإمكانية الضحك بشكل هستيرى والشعور بأنهم أعلى من الإنسانية المتألمة، والذريعة هو مساعدتها على الخروج من المأزق الذى تمر به حاليا.

44

ينام ترافلر نوما غير مريح وهذا حقيقى. كانت تاليتا تكرر هذا بطريقة خطابية وهى تنظر إليه أثناء قيامه بحلاقة ذقنه مستفيدا من شمس الصباح. وبعد التمريرة الأولى للموس تعقبها الثانية كان ترافلر يترنّم بصفيره، وهو يرتدى الفانلة وبنطلون البيجامة، على إيقاع أغنية gayola. وبعد ذلك يصيح قائلا: الموسيقى هى الغذاء الحزين لنا معشر الذين نعيش على الحب!» ثم يعود إلى الوراء، ويرمق تاليتا بنظرة عدوانية، فقد كانت تقوم بنتف ريش البطة وكان تشعر بسعادة غامرة لأنها استطاعت أن تخرج أم البيض من أحشائها، كما أن شكل البطة كان جيدا، وهذا أمر غير مألوف فى مثل هذه الجثث الناقمة حيث العينان شبه مفتوحتان وشَقّ لا يكاد يرى وكأنه ضوء بين الأهداب، ياللها من حيوانات تعسة.

– لماذا تنام بشكل سيئ يا مانو؟

– **موسيقى، أنا**...! أنا أنام بشكل سيئ؟ يا حبى أنا لا أنام. إذ أقضى الليل وأنا أتامل كتاب «التحرير من الذنب» liber penitentialis طبعة ماكروفيوس باساMacrovius† Basca والذى أخذته فى أحد الأيام الماضية من الدكتور فيتا منتهزا فرصة سهو أخْته. سوف أعيده له، لابد وأنه غالى الثمن. إنه liber penitentialis تصور.

– وما هو ذلك؟ قالت تاليتا التى أخذت تفهم الآن بعض الألغاز ووجود الدرج مغلقا بمفتاحين - إنك تخفى عنى قراءاتك، وهذه هى المرة الأولى التى تحدث منذ أن تزوجنا.

– ها هو هناك، يمكن أن تطلعّى عليه كيفما شئت. لكن عليك أن تغسلى يديك مسبقا. إننى أخفيه لأنه كتاب قيم، كما أنك دوما ملطخة الأيدى ببقايا الجزر أو غير ذلك. إنك منزلية جدا ويمكن بذلك أن تدمرىّ أى مخطوطة.

– قالت تاليتا وهى تشعر بالأهانة :

– كتابك لا يهمنى تعال لتقطع رأس البطة، فهذا أمر لا أحبه رغم أنها ميتة.

– اقترح ترافلر :

– استخدم الموس، وسوف يكون الأمر فيه شئ من القسوة، كما أنه من المناسب دائما أن يتمرن المرء فلا أحد يعرف ماذا سيحدث فى المستقبل.

– لا، استخدم هذا السكين المسنون.

– بالموس

– لا، بهذا السكين

اقترب ترافلر وهو يحمل الموس وهوى به على البطة فأطاحت الضربة بالرأس.

44

– قال :

– عليك أن تتعلمى فإذا ما كان علينا أن نتولى أمر مستشفى المجانين لابد من توفر خبرة الاغتيال المزدوج فى شارع مورج Morgue

– هل يقتل المجانين أنفسهم بهذه الطريقة؟

– لا ياعجوز، لكنهم أحيانا ما يتشاجرون مثل العقلاء إذا ما وافقتنى على هذه المقارنة السيئة.

– وافقت تاليتا :

– إنها مقارنة سوقية، وهى تقوم بإعداد البطة فى شكل متوازى السطوح مربوطة بفتلة بيضاء.

– وفيما يتعلق بعدم نومى جيدا ـ قال ترافلر وهو ينظف الموس بورق صحى ـ فأنت تعرفين حقيقة الموضوع تماما.

– لنقل نعم. لكنك تعرف أيضا أن ليست هناك مشكلة.

– قال ترافلر :

– المشاكل هى مثل سخانات بريموس Primus، إذ يسير كل شئ سيرا حسنا حتى تحدث لحظة الانفجار، يمكننى أن أقول لك إن هذا العالم فيه مشاكل غائبة. إذ يبدو أنها غير موجودة مثلما هو الحال فى هذه اللحظة، لكن ما يحدث هو أن ساعة الميقات الخاصة بالقنبلة تشير إلى الثانية عشرة صباح غد ـ تيك ـ تاك ـ تيك. كل شئ يسير سيرا حسنا. تيك تاك.

– قالت تاليتا :

– والسيىء فى الأمر هو أن المكلف بتشغيل الساعة هو أنت نفسك.

– إن يدى أيتها الفأرة الصغيرة محدد عليها توقيت الثانية عشرة صباح اليوم التالى.

وبينما يمضى الوقت علينا أن نعيش ونترك الآخرين يعيشون.

دهنت تاليتا البطة بالزبدة، الأمر الذى كان مشهدا مهينا.

– قالت وكأنها تتحدث إلى بهط قدمها :

– هل هناك ماتؤنبنى عليه .

– قال ترافلر :

– لا شئ على الاطلاق فى هذه اللحظة وسوف نرى ذلك غدا في الثانية عشرة. وذلك حتى تمتد الصوره لنصل إلى نهايتها.

44

– قالت تاليتا :

– يالشّبه الكبير وبينك وبين أوراثيو هذا التشابه أمر غير معقول.

– نعم تشبهه ـ ألحت تاليتا وقد تركت البطة من بين يديها فوقعت على الأرض وأحدثت صوتا يثير القرف ـ كان هو أيضا سيقول تيك ـ تاك، ـ كما كان سيتحدث بعبارات مجازية. طوال الوقت، هل ستتركانى فى هدوء؟ أقول لك متعمدة إنك تشبهه حتى ننتهى من هذه الممارسات اللامعقولة. لا يمكن أن يتغير كل شئ هكذا مع عودة أوراثيو. لقد قلت له ليلة أمس أنه لا يمكننى أكثر من ذلك. إنكما تلعبان معى وكأن الأمر مباراة تنس يضربنى كل واحد منكما من أحد الجوانب. ليس هذا بالعدل يا مانو، ليس عدلا.

أخذها ترافلر بين ذراعيه رغم أنها كانت تقاومه وبعد أن وضع رجله فوق البطة تزخلق بشدة لدرجة كادت تؤدى بها إلى أرضية الحجرة، استطاع السيطرة عليها وقبّلها فى طرف أنفها.

ـ قال وهو يبتسم لها بتعبير جعلها تسترخى وتبحث عن موضع أكثر راحة بين ذراعيه :

– ربما ليست هناك قنبلة فى نظرك يا فأرة انظرى، ليس القصد هو أننى أبحث عن صاعقة تهبط على رأسى لكنى أشعر أنه لا يجب أن أدافع عن نفسى باستخدام مضاد الصواعق، وعلىّ الخروج مكشوف الرأس حتى تدق الثانية عشرة فى يوم من الأيام.. وبعد هذه الساعة يا حبيبتى سوف أشعر من جديد أننى أنا نفسى. ليس الأمر هو أورايثو يا حبى، ليس بسبب أوراثيو فقط، رغم أنه جاء كنوع من حامل الرسالة. ولو لم يكن قد وصل فربما تحدث لى أشياء شبيهة. ربّما كنت قد قرأت كتابا أوربما عشقت امرأة أخرى ... إنها تصاريف الحياة، أتفهمين، هذه البراهين غير المتوقعة على شئ لم يكن المرء يشك فيه، فجأة تحدث الأزمة. عليك أن تفهمى ذلك.

– لكنى أتعتقد فعلا أنه يجرى ورائى وأننى ...؟

– قال ترافلر وهو يتركها من بين ذراعيه :

– إنه لا يجرى وراء ك على الاطلاق؛ إنك لا تهمين أوراثيو فى شئ. لا تغضبى أنا أعرف جيدا مقدارك، وسوف أشعر بالغيرة من كل الناس عندما ينظرون إليك أو يتحدثون معك. لكن رغم أنه أوراثيو يمكن أن يطاردك، ففى مثل هذه الحالة، ورغم أنك قد تتصورين أنى مجنون، أقول لك أنك لا تعنين شيئا بالنسبة له وعلى ذلك فلست أشعر بالقلق. الأمر شئ آخر.

44

– قال ترافلر بصوت مرتفع :

– إنه شئ آخر تماما!!

– قالت تاليتا وهى تأخذ البطة وتنظف ظهرها باستخدام خرِقة المطبخ :

– آه لقد كسرت ضلوع البطة. الأمر إذن مختلف. أنا لا أفهم شيئا، لكن ربما أنت على حق.

– قال ترافلر بصوت منخفض وهو ينظر إلى سيجارته :

– وإذا ما كان هنا فلن يفهم هو الآخر شيئا.

إلا أنه سوف يعرف أن الأمر مختلف إنه شئ لا يصدق، إذ يبدو أنه كلما اجتمع معنا، هناك حوائط تهدم وتذهب أشياء أخرى عديدة، وفجأة تبدو السماء صافية رائعة وتضع النجوم نفسها فى سلة الخبز، ويمكن للواحد تقشيرها وتناولها. هذه البطة هى بجعة لوهينجرين **Lohengrin**، وفى الخلف، فى الخلف ...

– قالت السيدة/ دى جوتوسو وهى تطل من الدهليز :

– هل أضايقكما؟ فربما تتحدثان عن أمور شخصية، فأنا لا أريد التدخل فى شئ لا علاقة لى به.

– قالت تاليتا :

– شجاعة ادخلى يا سيدتى. انظرى، ياله من حيوان جميل.

– قالت السيدة دى جوتوسو :

– هو الروعة أقول دائما إن لحم البط قوى لكنه له مذاقه الخاص.

– قالت تاليتا :

– لقد داس عليه مانو وسوف تتحول إلى قطعة شحم، أقسم على هذا

– قال ترافلر :

– وقعى عليها .

(102)

45

كـان من الطبيـعى التـفكيـر فى أنه كـان ينتظر أن تطل من النافـذة. إذ يكفى الاستيقاظ فى الثانية صباحا وسط الحر الشديد وسط الدخان الحاد الصادر عن مروحة قتل الناموس وهناك نجمتان كبيرتان تدخلان من النافذة. وفى الجانب المواجه هناك النافذة الأخرى التى يمكن أن تكون مفتوحة.

كان طبيعيا ذلك التصور، فلازال اللوح هناك فى حقيقة الأمر كما أن الرفض تحت وطأة شعاع الشمس يمكن أن يتحول إلى النقيض أثناء الليل، وعندئذ سوف يكون هو فى الشرفة يدخن سيجارة لإبعاد الناموس، وينتظر أن تقوم تاليتا، التى تشعر بالأرق، بالابتعاد بخفة عن جسم ترافلر لتطل هى الأخرى، وتنظر إليه من ظلام إلى ظلام، وربما تمكن من خلال حركة بطيئة بيديه من رسم إشارات مستخدما جمرة السيجارة، كان يرسم مثلثات ودوائر وتروس أسلحة ورموز الفلتر السيئ **Ëdifenilpropilamina** أو اختصارات دوائية تعرف هى ماهيتها، أو أن يقوم بعملية ذهاب وإياب بين الفم وذراع الكرسى ومن ذراع الكرسى إلى الفم، وهكذا طوال الليل.

لم يكن هناك أحد يطل من النافذ. أطل ترافلر إلى البئّر الحار ونظر إلى الشارع حيث يمكن للسماء المرصّعة بالنجوم قراءة جريدة مفتوحة لا حول لها ولا قوة. بدا أن النافذة الخاصة بحجرة الفندق المقابل أكثر قربا أثناء الليل. لدرجة أن أحد الرياضيين يمكن أن يعبر إليها بقفزة واحدة، لا، لم يكن ليتمكن من ذلك. ولو فعلها فإنه يغامر مغامرة مميتة لا أكثر ،لم يبق للوح أى أثر. وليس هناك أى مَعْبَر.

تنهد ترافلر ثم عاد إلى السرير. وردا على سؤال وجهته له تاليتا وهى شبه مستغرقة فى النوم، داعب شعرها وهمهم بشئ. قبلت تاليتا الهواء تقلبت بعض الشئ ثم هدأت.

إذا ما كان فى أى جزء من البئر الأسود، وأصبح فى عمق الحجرة ويطل من هناك، من النافذة فلابد وأنه رأى ترافلر. فالفانلة البيضاء تبدو وكأنها بلازماخارجية، كمان الظهور اللامبالى للفانلة البيضاء لابد وأنه دمرّه كثيرا. ها هو الآن يقوم بحك عضُده ببطء، وهذه حركة معتادة تدل على عدم الشعور بالراحة والنقمة بداخله، سوف يقوم بدغدغة السيجارة بين شفتيه، وسوف يلوك بعض البذاءات التى تناسب الموقف، وربما سيلقى بنفسه فى السرير دون أى اهتمام بجيكربتين التى تغط فى النوم.

لكن إذا ما كان فى أى جزء من البئر المظلم فإن مجرد الاستيقاظ والذهاب نحو النافذة فى مثل هذه الساعة من الليل، فهذا معناه أنه خائف بعض الشئ، أو أنه يكاد يقر بأنه خائف. ويمكن القول بشكل عملى أن ترافلر وأوراثيو لم يرفعا اللوحين من

45

مكانهما. فهناك معبر بشكل أو بآخر ويمكن الذهاب والعودة من خلاله. ويمكن لواحد من الثلاثة العبور من نافذة إلى أخرى، وهو يمشى نائما يطأ الهواء المكثف بقدميه دون الخوف من السقوط. وسوف يختفى الكوبرى عندما تظهر تباشير الصباح وعودة رائحة القهوة باللبن التى تعيدنا إلى الأبنية الصلبة وتزيح النوم العميق بضربات نشرة الأخبار فى الراديو والدشّ البارد.

أحلام تاليتا: تحملها إلى معرض للرسم أقيم فى قصر ضخم متهدم واللوحات معلقة على ارتفاعات عالية وكن أحد من الناس قد حوّل سجون بيرانسى[1] **Piranesi** إلى متحف. وحتى يمكن الوصول إلى اللوحات لابد من الصعود وتسلق بعض الأقواس حيث نجد أن المبانى ملساء، ولا تكاد تسمح بأن يسند الواحد أصابع قدميه عليها، ثم التقدم عبر دهاليز تؤدى إلى حافة شاطئ بحر هائج ذى موج من رصاص. ثم صعود سلالم حلزونية وفى النهاية المشاهدة ولكن بشكل ردئ فهى تتّم إمّا من أسفل أو من أحد الجوانب. يمكن مشاهدة اللوحات التى فيها البقعة البيضاء، ونفس التَّخَثُّر النشّوى أو اللبن. كل ذلك يتكرر إلى ما لانهاية.

استيقاظ تاليتا: تنهض فجأة وهى فى السرير فى التاسعة صباحا. تهز ترافلر الذى ينام إلى جوارها مستلقيا على بطنه وتضربه بكفها على عجزه حتى يستيقظ، يمد ترافلر إحدى يديه ويقرصها فى فخذها. ترتمى تاليتا فوقه وتجذبه من شعره، يستغل ترافلر قوته الجسدية، ويلوى ذراعها حتى تطلب منه العفو والسماح. قبلات، ارتفاع درجة الحرارة.

– لقد حلمت بمتحف فظيع. كنت تأخذنى إلى هناك.

– أمقت تفسير الأحلام ـ اشربى الشاى.

– لماذا تستيقظ أثناء الليل؟ لم يكن ذلك من أجل التبّول ذلك أنك عندما تفعل ذلك تقوله لى وكأننى بلهاء «سوف أنهض لأننى لا يمكننى أن أتحمل أكثر من ذلك»

وأنا آسف لك فأنا أستطيع التحمل طوال الليل. حتى انه لا يتوجب علىّ ذلك فالوظائف الجسدية مختلفة.

– ماذا؟

– قل ، لماذا تنهض من السرير ليلا؟ هل ذهبت إلى النافذة وتنهدت؟

– لم ألق بنفسى منها.

– أيها الأبله.

– كان الجو حارا.

– قل لى لماذا استيقظت؟

45

– لا شئ، لأرى فيما إذا كان أوراثيو يشعر بالأرق هو أيضا وكان يمكن أن نتحدث قليلا.

– فى هذه الساعة؟ إنكما لا تكادان تتبادلان الحديث أثناء النهار.

– ربما كان ذلك مختلفا. فلا أحد يعرف.

– قالت تاليتا وهى تلبس «السليب» :

– حلمت بمتحف فظيع .

– قال ترافلر وهو ينظر إلى السقف :

– قلت لى ذلك .

– قالت تاليتا :

– نحن أيضا لا نتحدث كثيرا مع بعضنا.

– حقيقى. إنها الرطوبة.

– لكن يبدو أن هناك شئ يتحدث، ويستخدمنا ليتحدث. أليس لديك هذا الإحساس؟ ألا تشعر أننا مسكونون؟ أريد أن أقول... هذا صعب فى واقع الأمر.

– من الأرجح أننا منقولون. انظرى، هذا لن يستمر دائما، **«ولا تضعفى يا كاتاليتا»**

ـ يترنم ترافلر ـ **«سوف تأتى أزمان أفضل، وسوف أشترى لك حجرة طعام»**

– قالت تاليتا وهى تقبله فى أذنه :

– أيها الأبله هذا لن يستمر إلى الأبد، هذا لن يستمر إلى الأبد ... هذا لا يجب أن يستمر ولو لدقيقة بعد ذلك.

– إن عمليات البتر العنيفة سيئة، إذ يظل مكان البتر يؤلمك طوال العمر.

– قالت تاليتا :

– إذا ما أردت أن أقول لك الحقيقة لدىّ انطباع بأننا نربى عناكب، أو أم أربعة وأربعين، ونعنى بها ونصونها، وتنمو فتكون كائنات صغيرة فى البداية، وظريفة الشكل ولها كثير من الأرجل، ثم تنمو فجأة وتقفز فى وجهك. أعتقد أننى حلمت أيضا بالعناكب ،لكنى أتذكر هذا بطريقة غامضة.

– قال ترافلر وهو يرتدى البنطلون :

– أسْمع أوراثيو، ذلك لأنه يصفّر كالمجنون فى مثل هذه الساعة، وذلك احتفالا برحيل جيكربتين إلى العمل. ياله من رجل.

(-٨٠)

46

قـالهـا ترافلر للمـرة الرابعـة وهو يضـرب أوتار الجـيـتـار قـبل أن يتـفّـوه بتانجو**Cotorrita de la suerteò**ببغاء الحظ».

– الموسيقى هى الغذاء الحزين لمعشر الذين يعيشون على الحب.

أبدى السيد كريسبو اهتمامه بالعبارة، وصعدت تاليتا لتبحث له عن الفصول الخمسة ترجمة أسترانا مارين[1] **Astrana marin** . كان شارع كاتشيمايو **Cachi-mayo** مليئا بالضجيج عند حلول المسا. وفى حوش منزل السيد كريسبو كان هناك الكنارى «ثين بيسوس»، ولم تسمع أصوات إلا صوت ترافلر الذى وصل، عندما كان يغنى عبارة: «**العاملة الماكرة وحاضرة البديهة هى التى تهب بيتها السعادة**». لم يكن من الضرورى تبادل الحديث عند ممارسة لعبة المقشة ذات الخمسة عشر. كانت جيكربتين تكسب أوليڤيرا المرة تلو الأخرى، رغم أنه كان يتبادل اللعب مع السيدة دى جوتوسو. فى عملية دفع العملات فئة العشرين. أثناء ذلك الوقت أخرج ببغاء الحظ (الذى يخمن الموت والحياة) ورقة صغيرة وردية اللون: إنه الخطيب والعمر الطويل. لكن هذا لم يمنع صوت ترافلر ليصف، وبسرعة مرض البطلة: **وفى المساء الذى كانت تحتضر فيه بحزن تسأل أمها** «ألم يأت؟» ترن ترن.

– قالت السيدة دى جوتوسو :

– يالها من مشاعر إنهم لا يتحدثون بشكل طيب عن التانجو لكن هذا لا يمكن مقارنته بالموسيقى السخيفة التى يذيعونها. أتنى بطبيخ اللوبيا يا سيد أوراثيو.

رَكَن ترافلر الجيتار على أحد أصص الزرع، ثم شفط كمية كبيرة من الشاى وشعر بأن الليلة ستكون ثقيلة. كان يودّ لو أنه يعمل، أو يشعر بالمرض، أو يسلىّ نفسه بأى شئ آخر. صب لنفسه كأسا من «الكانيا» وشربه دفعة واحدة وهو ينظر إلى السيد كريسبو الذى يضع نظارة القراءة على طرف أنفه ثم يأخذ فى تصفّح المقدمة بتوجسّ. شعر أوليڤيرا بالهزيمة فجاء ليجلس بالقرب وتناول كأسا.

– قال ترافلر بصوت منخفض :

– العالم رائع وسوف تبدأ معركة أكتيوم خلال ساعة إذا ما استطاع العجوز تحملّ الموقف حتى ذلك الجزء، وإلى جواره هناك إثنتان من المجنونات، تحاربان باستخدام حبات الفاصوليا بكل ما أوتيتا من قوة.

– قال أوليڤيرا :

– إنها مشاغل مثل غيرها هل انتهيت للكلمة؟ أن يكون الإنسان مشغولا، ويكون

46

لديه عمل. تسرى رعدة فى العمود الفقرى، تشى. وحتى لا ندخل فى عالم الميتافيزيقا سوف أقول لك بأن مشاغل السيرك ما هى إلا خداع محض. إننى أكسب هذا المال دون أن أفعل شيئا.

– انتظر حتى نظهر على المسرح فى سان إيسيدرو، سوف يكون الأمر صعبا. أما فى بيادل باركى فكانت كل مشاكلنا محلولة. وخاصة المشكلة المتعلقة بالرشاوى التى كانت مثار قلق المدير. علينا الآن أن نبدأ مع أناس جدد وسوف تكون مشغولا طالما أن الكلمة تعجبك.

– لا تَقُلْ لى. يالها من دعابة ،تشى.

وعلى ذلك سوف يكون هناك عمل؟

– خلال الأيام الأولى، وبعد ذلك يدخل كل شئ فى الأطار المرسوم. حدثنى قليلا. ألم تعمل أبدا عندما كنت فى أوربا؟

– قال أوليڤيرا :

– الحد الأدنى الذى لا مناص منه كنت موزعا سريًا للكتب. إنه العجوز توريل، وياله من شخصية لـ ثيلينى Celine. وعلى أن أقصّ عليك كل هذا يوما من الأيام، هذا إذا ما كان الأمر يستحق. لكنه لا يستحق.

– قال ترافلر :

– أود ذلك .

– أتعرف، إن كل شئ فى الهواء، بمعنى أننى عندما أقول لك أى شئ، فسوف يكون بمثابة جزء من الرسم الذى على البساط. وما ينقصه هو التّخثُّر، وهذه تسمية تطلقها عليه كيفما اتفق هُبْ، وفجأة يدخل كل شئ فى مكانه الصحيح، فيتولد أمامك زجاج رائع فى مختلف جوانبه لكن الشئ المزعج - قال أوليڤيرا وهو يحملق فى أظافره – يتمثل فى أنه ربما حدث التخثر دون أن أدرى، وفاتنى القطار وأصبحت فى المؤخرة مثل العجائز الذين يسمعون الآلة الحاسبة الألكترونية وهى تتحدث ويهزّون رؤوسهم ببطء ظنا منهم أن قد حانت ساعة تناول شوربة الشعرية.

صدرت عن الكنارى «ثين بيزوس» زغردة أبرز ما فيها الصرير.

– قال ترافلر :

– عموما أحيانا يخطر على بالى أنه لم يكن من الواجب أن تعود

– قال أوليڤيرا :

– إنك تفكر فى الأمر بينما أنا أعيش الموقف. وربما استوى الأمر. لكن علينا ألا

46

ننساق وراء نوع من الغَشْية. الحياء يقتل كلينا، إننا نسير عرايا فى المنزل، وهناك بعض السيدات اللاتى يستفحلن ذلك، لكن عندما يكون الأمر متعلقا بالكلام ... إفْهمنى، يخطر على بالى أحيانا أن أقول لك ... لست أدرى. وربما قد تساعدنا الكلمات فى اللحظة المناسبة، قد تساعدنا. لكن لما لم تكن هى الكلمات المتعلقة بالحياة اليومية، ويتناول الشاى فى الحوش، والدردشة الذكية، فإن المرء يتراجع وخاصة إذا ما كان أمامه أعز الأصدقاء عليه. ألم يخطر ببالك أحيانا أن تفضفض أكثر لأى إنسان؟

– قال ترافلر وهو يشد أوتار الجيتار :

– يمكن ذلك لكن السّيئ فى الأمر هو أنه بتطبيق هذه المبادئ فلسنا نرى بوضوح ما هو دور الأصدقاء.

– ليكونوا هنا ، وفى واحدة من تلك التساؤلات من يقول لك....

– كما تريد سوف يكون من الصعب علينا التفاهم كما حدث فى الزمن الماضى.

– قال أوليڤيرا :

– باسم الأيام الخوالى يتم ارتكاب الدعابات فى هذه الأيام انظر يا مانو، إنك تتحدث عن تفاهمنا، كما أنك تدرك جيدا أننى أود التفاهم معك **وأنت** معناها أكثر بكثير منك نفسك. والكارثة هى أن التفاهم الحقيقى شئ آخر. فنحن نرضى بالقليل جدا. وعندما يتفاهم الأصدقاء جيدا، وعندما يتفاهم العشاق جيدا، فيما بينهم، وعندما تتفاهم الأسر جيدا فيما بينها، عندئذ نعتقد أننا فى حالة انسجام. وهذه هى الخدعة المحضة، وليست إلا مرآة مخصصة للقبرة. أشعر أحيانا أن هناك تفاهما عميقا بين اثنين يكيلان اللكمات والضربات لبعضهما وعمق التفاهم أكبر بكثير من اثنين ينظران إلى بعضهما من الخارج. ولذلك ... تشى، لكن يمكننى أن أكتب فى صحيفة لاناثيون **Nacion** عدد الأحد.

– قال ترافلر وهو يَشُدُّ أرق أوتار الجيتار :

– كنت تسير سيرا حسنا وفى النهاية عاودك هجوم مباغت من الحياء الذى تحدثت عنه سلفا. جعلتنى أفكّر فى السيده دى جوتوسو عندما تعتقد أنها مجبرة على الحديث عن البواسير التى يعانى منها زوجها.

– إن أوكتابيو قيصر هذا يقول أشياء – ومدام السيد كريسبو وهو ينظر إليها من فوق نظارة القراءة – إنه يتحدث عن أن مارك أنطونيو أكل لحما غريبًا فى جبال الألب. ما الذى يمكننى تصوره فى هذه الجملة؟ أتصور أنه الماعز الجبلى.

46

– قال ترافلر :

– ربما كان من ذوى الساقين منتوف الريش .

– قال السيد كريسبو بلهجة مهذبة :

– الشخصيات فى هذا العمل إما مجنونة أو على حافة الجنون يالها من تصرفات تصدر عن كليوباتره.

– قالت السيدة دى جوتوسو :

– الملكات شديدات التعقيد كليوباتره هذه كانت تفعل كل فعلة؛ رأيتها فى فيلم، كان الزمن غير الزمن ولم تكن هناك أديان.

– قالت تاليتا وهى تسحب ستة من أوراق اللعب دفعة واحده :

– مقشة .

– ياللحظ الجيد ...

– يمكن أن أخسر فى النهاية. لم تَعُدْ معى عملات معدنية يا مانو.

– عليك أن تبحثى عن الفكّة مع السيد كريسبو، الذى دخل من زمن الفراعنة وربما يعطيك عملات من الذهب الخالص. يا أوراثيو، فيما يتعلق بما كنت تتحدث به عن الانسجام...

– قال أوليفيرا :

– عموما طالما أنت تصرّ على أن أقلّب جيوبى الخاوية وأضع ما فيها على الترابيزة ...

– يجب تقليب الجيوب. لدى انطبا ع أنك سوف تبقى فى غاية الهدوء وأنت ترى الآخرين وقد ظهر أمامنا قرصان فى الاتجاه المعاكس. إنك تبحث عن ذلك الشئ الذى تسميه الانسجام لكنك تبحث عنه فى نفس المكان الذى قلت عنه أنه غير موجود فيه لا بين الأصدقا أو الأسرة أو المدينة ة لماذا تبحث عنه فى الأطر الاجتماعية؟

– لست أدرى تشى. كما أننى لا أبحث عنه. كل شئ يحدث لى.

– لماذا يجب أن يحدث لك وهو أن الآخرين قد لا يتمكنوا من النوم بسببك؟

– أنا أيضا أنام نوما متقطعا.

– لماذا تزوجت بجيكربتين، على سبيل المثال ـ لماذا تأتى لترانى؟ أليست هى جيكربتين ؟ ألسنا نحن الذين نعكر صفو الانسجام؟

– صاح السيد كريسبو مفزوعا.

– هل تريد تناول مشروب **تفّاح الجن**!

– قالت السيدة دى/ جوتوسو :

46

– ماذا؟

– أقول تفاح الجن Mandragora! يأمر العبدة أن تصب له كأس تفاح الجن يقول إنه يريد أن ينام. إنك فى غاية الجنون!

– قالت السيده دى جوتوسو :

– يجب تناول بروموراك Brumural طبعا، فى مثل هذه الأيام ...

– قال أوليفيرا وهو يصب مشروب الكانيا فى الأكواب :

– الحق معك أيها العجوز باستثناء شئ واحد وهو أنك تعطى لجيكربتين أهمية أكثر مما تستحق.

– ونحن؟

– ربما أنتم عملية التجلطّ التى تحدثنا عنها منذ لحظات. أكاد أفكر أن علاقتنا تكاد تكون كيماوية، وهذه عملية تخرج عن نطاقنا نحن. إنها نوع من الرسم الذى يتكامل. لقد جئت لاستقبالى، لا تنس هذا.

– ولم لا؟ لم أفكر أبدا أنك تأتى تحمل كل هذا الغيظ وأنهم غيروّك كثيرا لدرجة أنى أرغب فى أن أكون مختلفا ... ليس ذلك، ليس ذلك. أنت لا تعيش ولا تترك الآخرين يعيشون.

كان الجيتار يتحرك بين الاثنين وكأنه يرقص الثليتو Cielito.

– قال أوليفيرا بصوت منخفض جدا :

– ليس عليك إلا أن تفرقع بأصابعك هكذا ولن ترونى بعد الآن. سيكون من غير العدل، وبسببى أنا، أن تكون أنت وتاليتا ...

– إترك تاليتا بعيدة عن هذا.

– قال أوليفيرا :

– لا – لا أفكر فى أن تكون بعيدة عن هذا. نحن أنا وأنت وتاليتا نكوّن مثلثا على طريقة تريسميختس Trismegetis.[1] وأكرر لك، ما عليك إلا أن تصدر إشارة وأبتعد بنفسى. لا تتصور أننى غير واع بأنك تشعر بالقلق.

– ليس لهذا علاقة بمغادرتك الآن ،وبأنك بهذا سوف تصلح الكثير من الأشياء.

– عجبا، ولم لا. لستما فى حاجة إلىّ.

بدا ترافلر مقدمة مالبياخى Melevaje ثم توقف. ها قد انتهت الليلة وقام السيد كريسبو بإضاءة نور الحوش ليتمكن من القراءة.

– قال ترافلر بصوت منخفض :

46

– انظر فى يوم من الأيّام سوف تقرر أنت الانتقال من المكان ولن أكون فى حاجة لأصدر لك إشارات بالرحيل. لكن لن أنام الليل كما قالت لك تالتيا. أنا فى حقيقة الأمر لا أندم أنك رجعت. فربما كنت فى حاجة إلى ذلك.

– كما تريد أيها العجوز. الأمور هى على هذا الحال، ومن الأفضل التزام الهدوء. ويحدث نفس الشئ بالنسبة لى.

– قال ترافلر :

– الحوار يبدو كحوار البلهاء .

– قال أوليڤيرا :

– قمة التخلف العقلى.

– يتصوّر الواحد منا أنه سيشرح شيئا لكن تسوء الأمور أكثر فأكثر.

– قال أوليڤيرا :

– الشرح هو خطأ جميل سجل هذه.

– نعم، إن من الأنسب الحديث عن أشياء أخرى مثل الوضع الذى عليه الحزب الراديكالى. حضرتك فقط .... لكن الأمر مثل عربة الحنطور، إنها العودة إلى نفس الموضوع، الحصان الأبيض ثم الأحمر ثم الأبيض من جديد. إنتنحن من الشعراء يا أخى.

– قال أوليڤيرا وهو يملأ الأكواب :

– نحن عرافان ماهران إننا أناس لاننام جيدا ثم نُطلُّ من النافذة لنستنشق الهواء الرطب، وأشياء من هذا القبيل

– أى أنك رأيتنى الليلة السابقة.

– اتركنى أفكر فى الأمر. فى البداية كانت جيكربتين ثقيلة، ثم عملية المسايرة. وبخفة شديدة ليس إلا، لكن فى النهاية ... وبعد ذلك نمت نوما عميقا أى أننى كنت أحاول أن أنسى نفسى. لكن لماذا تسألنى؟

– قال ترافلر وضغط بكفه على الأوتار :

– لا شئ.

وفى محاولة من السيدة دى جوتوسو الاحتفال بانتصارها، اقتربت بكرسى وجلست وطلبت من ترافلر أن يغنى.

– قال السيد كريسبو :

– هناك شخصية تُدْعَى إينو باردو تقول بأن رطوبة الليل سامة هذا لعمل يتضمن

46

أشخاصا ذهب السّكْر بعقلهم فأثناء المعركة يتحدثون عن أشياء لا علاقة لها بما يحدث.

- قال ترافلر :

- حسن، هيا لندخل السرور على السيدة. إذا لم يمانع السيد كريسبو. إنها مقطوعة ماليباخى Malevaje، إنه تانجو خوان ديوس فيليبرتو. آه، بيب، ذكرنى بأن أقرأ عليك اعترافات إيفون جيتير. انها لأمر عظيم. هيا يا تاليتا للبحث عن مختارات جاردل Gardel فالكتاب موضوع على الكومودينو، كما يجب أن تكون مثل هذه الأشياء - وتُردّه لى بالمرة - قالت السيدة دى جوتوسو - وهذا ليس لأى سبب إلا لأننى أحب أن تكون الكتب إلى جوارى. زوجى له نفس المزاجية. أقسم لك.

(–47)

47

أنا أنا، نحن لكن أنا أنا، أولا أنا أنا، سوف أدافع عن كونى أنا حتى آخر نفس، أتاليا، هى، أنا. أنا. أنا، حاصلة على شهادة، أرجنتينية، ظُفْر تجسّد، جميلة فى بعض الأحيان، عينان واسعتان وسوداوان أنا. تاليا دونوسى، أنا. أنا. أنا. أنا، بكرة الخيط والخيوط. كوميدى.

مانو، ياله من جنون الذهاب إلى محل بيت أمريكا Casa America وتأجير تلك الآلة بغرض التسلية فقط. Rewind. ياله من صوت. هذا ليس صوتى، إنه صوت زائف ومتكلف. «أنا أنا، أنا هى، نحن، لكن أنا أنا، أولا أنا، سأدافع ...» استوب. إنه جهاز رائع لكنه لا ينفع فى حالة التفكير بصوت عال، وربما يجب التعودّ عليه أولا. يتحدث مانو عن تسجيل مقطوعته الشهيرة لمسرح الراديو والمتعلقة بالسيدات لن يفعل شيئا، العين السحرية هى كذلك بالفعل. تنكمش الأخاديد الخضراء المتأرجحة وكأنه ينظر إلى قط أعور. ومن الأفضل تغطية ذلك باستخدام ورقة كارتون. Rewind يلف الشريط بانسيابية وبشكل متزامن. Volume. التشغيل على ٥ أو ٥ . ٥: «العين السحرية هى بالفعل كذلك، والأخاديد الخضراء التى...» لكن السحرية الحقيقة أن يقول صوتى «العين السحرية تلعب الاستغماية، الأخاديد الحمراء ...» الصدى مرتفع المستوى. يجب وضع الميكروفون قريبا وخَفْض درجة الصوت. أنا أنا، أنا هى. ما أنا عليه هو فى الواقع ملهاة سيئة لفالكنر Faulkner. المؤثرات السهلة. هل يقوم بالإملاء مستخدما الماجنيثيفون أو أن الويسكى هو بالنسبة له بمثابة شريط تسجيل؟ أيقال عن الجهاز مسجل أو ماجنيثيفون؟ يقول أوراثيو إنه ماجنيثيفون. وقد فغر فمه عندما رأى الجهاز قال: ياله من ماجنيتيفون». لكن كتيب الاستخدام يطلق عليه مسجل. لابد وأن المسئولين فى بيت أمريكا Casa America» يعرفون الأمر. لماذا يقوم مانو بشراء كل شئ بما فى ذلك الأحذية من كاسا أمريكا. إنه جمود وبلاهة Rewind. سيكون الأمر مسليا: «فالكنر» المؤثرات السهلة» أستوب. أن أعود لأستمع لنفس هذا ليس أمرا مسليا جدا. لابد وأن يستغرق كل هذا بعض الوقت، الوقت، الوقت. كل هذا لابد أن يستغرق بعض الوقت Rewind. لنر فيما إذا كان الايقاع الصوتى أكثر طبيعية: «... بو. الوقت، الوقت. كل هذا يجب ...»إنه يشبه صوت إنسانة قزمة مصابة بنزلة برد. لكننى أجيد تشغيل الجهاز. سوف يستغرب مانو لذلك. إنه لايثق مطلقا فى قدرتى على تشغيل الأجهزة - وبالنسبة لوظيفتى كصيدلية فإن أوراثيو لا يعيرها اهتماما وينظر إلى وكأننى بوريه

47

يدخل فى المصفاة على شكل عجينة ويخرج من الجانب الآخر على شكل مكرونة، ثم يجلس المرء ويأكل.؟ Rewind لا، لنواصل، لتطفأ الأنوار، لنتحدث باستخدام ضمير الغائب، فعلى... عندئذ تقوم تاليتا دونوس باطفاء النور ولم تبق إلا العين السحرية بتجاعيدها الحمراء. (ربما تكون خضراء، أو بنفسجية) وحجرة السيجارة. الجو حار، ومانو لم يعد بعد من سان إيسيدر، إنها الحادية عشرة والنصف. ها هى جيكربتين تطل من النافذة، أنا لاأراها لكن يستوى الأمر. لابد وأنها تطل من النافذة مرتدية قميص النوم. كما أن أوراثيو يجلس على ترابيزته وقد أشعل شمعة وأخذ يقرأ ويدخن. لست أدرى لماذا أجد حجرة جيكربتين وأوراثيو تعطى الانطباع بأنها ليست حجرة فى فندق. يالى من بلهاء، إنها حجرة فى فندق لدرجة أن الصراصير تحمل رقم الحجرة على ظهرها، كما أنهما يتحملان جارهما السيد بونش الذى يقوم بتحصيل عشرين بيزو نظير الكشف على مَرْضَى السل الرئوى، والكسور ومرضى الصرَّع. وفى الدور الأسفل هناك الهارب وماتترنم به الخادمة من أغانى التانجو Rewind. إنها فترة جيدة، استعادة مالايقل عن نصف دقيقة سابقة. إنه يسير ضد الزمن، وهذ أمر يطيب لمانو الحديث عنه. درجة الصوت 0 «... الرقم المكتوب هو الظهر...» فى أقصى الخلف Rewind. الآن: «.... أوراثيو يجلس أمام الترابيزة وأمامه شمعة خضراء...» أستوب. ترابيزة، ترابيزة. عندما تكون الوظيفة هى صيدلية فليست هناك حاجة لقول ترابيزة. إنها النشا الخاصة. ترابيزة! هى الحنان الذى أسيئ استخدامه. حسن يا تاليتا. كفى من ترهّات. Rewind. وحتى يصل الشريط إلى النهاية فإن الخطأ الرئيسى فى هذه الأجهزة هو أنه يجب معرفة الحساب جيدا. فإذا ما زفلت الشريط تضيع ... نصف دقيقة فى محاولة تركيبه من جديد. أستوب. مضبوط يكفى اثنين من السنتيمترات. ماذا كنت قائلة فى البداية؟ لا أتذكر لكن صوتى يخرج وكأننى فأرة مذعورة؛ إنه الخوف المعتاد من الميكروفون. لنر 5,5 حتى يسمع جيدا «أنا أنا هى، نحن، لكن أنا أنا، فى البداية...» ولماذا، لماذا أقول هذا؟ أنا أنا، أنا هى، ويعد ذلك أتحدث عن الترابيزة ثم أغضب فى النهاية «أنا أنا، أنا هى، أنا هى» أوقفت تاليتا المسجلّ ووضعت الغطاء الخاص به ونظرت إليه بقرف شديد وصبت لنفسها كوب ليمون. لم تكن تريد التفكير فى حكاية المستشفى، (كان المدير يقول «المستشفى النفسية» وهى

47

تسمية غير رصينة)، لكنها إذا ما تركت التفكير فى المستشفى (لكن عملية التوقف عن التفكير هذه ليست إلا أملا أكثر منها واقعا) تدخل فى دائرة أخرى تثير الضيق، كانت تفكر فى مانو وأوراثيو فى نفس الوقت وفى الاستعارة الخاصة بالميزان، والتى استخدمها أوراثيو، وكذلك هى فى حجرة السيرك. كان الشعور بأنها مسكونة قويا فى تلك اللحظة، فقد كانت المستشفى فكرة مثيرة للخوف، والمجهول ورؤية يشيب لها الوالدن تتمثل فى مجانين يهدرون غضبا، ويرتدون ملابس المصحة، ويطارد بعضهم البعض وقد حملوا السكاكين والكراسى مرفوعة فى أيديهم، وأرجل الأسرة وأخذوا يتقيأون على الورق المسجلة عليه درجة الحرارة، ويستمنون بطريقة معينة. كان من المسلّى أن يرى كل من أوراثيو وترافلر وهما يلبسان المرايل البيضاء ويعنون بالمجانين. «سوف تكون لى بعض الأهمية» فكرت تاليتا بتواضع. «ومن المؤكد أن المدير سوف يلقى على عاتقى رعاية صيدلية السيرك إذا ما كانت هناك صيدلية. ربما كانت عبارة عن صندوق صغير به أدوات الأسعافات الأولية. كما أن مانو سوف يسخر منى كعادته». علىّ مراجعة بعض الأشياء وذلك حتى أنسى الزمن ومروره الناعم، والصراع اليومى الذى لا يوصف طوال هذه الصيف، الميناء والحر وأوراثيو وهو ينزل من المركب وتعبير وجهه يقول بأن صداقتنا سطحيّة، وسخافة ذهابها وحدها تحمل القطّ فى السلّة، وعليك أن تعودى فى الترام إذ سوف نتحدث مع بعضنا. وبعد ذلك جاء زمن كأنها أرض فضاء مليئة بالعلب الصاج المعوجّة وبعض القطع المعدنية التى يمكن أن تؤذى الأقدام وبعض المستنقعات الراكدة وبعض الخرق البالية التى تعلقت بالنباتات الشوكية ثم السير ليلا مع أوراثيو ومانو وهما ينظران إليها أو ينظر كل إلى الآخر، والقط الذى تزداد بلاهته مع مرور الزمن، أو يتحول إلى عبقرى، ويحل كل المسائل الحسابية أمام الجمهور الذى يصاب بالجنون من كثرة ما يرى، ثم العودة سيرا على الأقدام مع بعض المحطات فى البارات حيث يتناول أوراثيو وترافلر البيرة ويتحدثان، ويتحدثان فى اللاشئ. ويستمع كل منهما للآخر وسط هذا الحر والدخان والإرهاق أنا أنا، أنا هى. قلت ذلك دون أن أفكر فيما أقول، أى أن ذلك كان قد تجاوز مرحلة التفكير، فهى عبارة قادمة من أرض الكلمات فيها كأنها مجانين العيادة، وهى كائنات تحمل التهديد، أو غير معقولة وتعيش حياة خاصة ومنعزلة، ثم تُطفر فجأة دون أن

47

يوقفها شئ: أنا، أنا، أنا هى، وهو لم يكن مانو. هو كان أوراثيو الذى يسكن، والمهاجم المقدام، والظل داخل ظل حجرته أثناء الليل وهو حجرة السيجارة التى يرسم بها أشكال الأرق.

وعندما كانت تشعر تاليتا بالخوف تنهض وتعد الشاى بالنعناع بكميات متساوية. وقد أعدت الشاى وهى تأمل أن تسمع مفتاح مانو وهو «يخرْوش» فى الباب. كان مانو قد قال كلمات خفيفة: «إنك لا تهمين أوراثيو فى شئ». كانت عبارة مهينة لكنها هدأت من روعها. قال مانو بأنه حتى لو أطلق أوراثيو أى أشارة ولم يفعلها، فلم يلمح مطلقا لـ)

ملعقة من التيليو

ملعقة من الشاى

المياه ساخنة ،الغلية الأولى ،أستوب.

قد لا يهتم بها حتى فى مثل هذه الحالة. وعندئذ. لكن إذا لم يكن ذلك همه فلماذا هو جالس هناك فى حجرته يدخن ويقرأ. يبدو «أنا أنا، أنا هى» أنه فى حاجة إليها بشكل ما، إذا ما كانت هذه الكلمة هى الكلمة المناسبة، وقد أخذ يتعلق بها من بعيد وكأنها عملية امتصاص، غير واثقة، لبلوغ شئ معين، ورؤيته بشكل أفضل، أو أن يكون أفضل. إذن ليس: أنا أنا، أنا هى الرمز عكس: أنا هى لأننى أنا أنا. تنهدت تاليتا وهى تشعر بشئ من الراحة للتسلسل المنطقى ولطعم الشاى.

لكن لم يكن ذلك فقط وإلا لكان الأمر فى منتهى البساطة. غير ممكن (المنطق خُلِقَ لهدف) أن يبدى أوراثيو اهتمامه وفى الوقت نفسه لا يبديه. ومن التوليف بين الأمرين يخرج الثالث وهو شئ لم تكن له صلة بالحب على سبيل المثال (كان من البلاهة بمكان التفكير فى الحب عندما يكون مانو هو الحب فقط، مانو فقط وحتى تنتهى الأزمنة) ربما كان شيئا يتعلق بالقنص والبحث، أو ربما ترقبا لشئ رهيب مثل القط الذى ينظر إلى الكنارى لكن لا يستطيع بلوغه. إنه نوع من التجمد للزمان واليوم، وهو نوع من التوارى. قطعه ونصف قطعة، رائحة الحقول. إنه توارى دون تفسير من ـ ذلك ـ الجانب للأشياء، أو حتى يأتى اليوم الذى يجد أوراثيو فى نفسه الجرأة ويتحدث، أو يغادر، أو يطلق على نفسه رصاصة، أو أن يكون هناك أى شرح أو مادة يتم تصوّر تفسير من

47

خلالها. ليس الأمر هو أنه هناك وهو يشرب الشاى، وتنظر هى إليه فيقوم مانو يتناول الشاى ويرمقه، فقد كان ثلاثتهم يرقصون رقصة بطيئة لا تنتهى. «أنا» فكرت تاليتا. «من المفروض أن أكتب روايات، أو تطرأ على ذهنى أفكار رائعة». لقد كانت تشعر بالإحباط حتى عادت لتشغيل المسجل، وأخذت تغنى بعض الأغانى حتى جاء ترافلر. اتفق كلاهما على أن صوت تاليتا لم يخرج بشكل جيد، وبين لها ترافلر كيفية غناء أغنية شعبية باجوالا baguala. وضعوا المسجلّ بالقرب من النافذة حتى يمكن لجيكربتين أن تحكم بطريقة محايدة بما فى ذلك أوراثيو إذا ما كان فى الحجرة لكنه لم يكن هناك. لاحظت جيكربتين أن كل شئ فى موضعه الصحيح وقرر الجميع تناول العشاء سويا حيث يقوم بإعداد مشويات باردة كانت لدى تاليتا، بالاضافة إلى سلطة منوعة كانت جيكربتين قد أعدتها قبل أن تطل من النافذة. وجدت تاليتا أن كل شئ على مايرام، وفى الوقت نفسه كانت لديها قماشة لتغطية السرير، أو لتغطية إبريق الشاى أو لتغطية أى شئ آخر سواء كان المسجل أو شعور ترافلر بالرضا، إلى غير ذلك من الأشياء التى تم اتخاذ قرار باعدادها أو المُعَدَّة بالفعل لتكون فوق، لكن فوق ماذا؟ كانت تلك هى المشكلة والسبب الجوهرى فى أن كل شئ ظل كما هو قبل تناول الشاى والتيليو مناصفة.

(110)

48

هناك إلى جوار الثيرّو - رغم أنه لم يكن له جانب محدد، إذ يصل المرء إلى هناك فجأة كما لا يعرف جيدا أنه قد وصل بالفعل أم لا إلى المناطق المجاورة للثيرّو - وفى حىّ مكون من المنازل المنخفضة الارتفاع، والأطفال الصغيرة التى تتشاجر، وسط كل هذا فإن الأسئلة لم تجد شيئا فكل سؤال يصطدم بابتسامات رقيقة وبنساء توفرت لديهن الرغبة فى المساعدة لكن لا تتوفر لديهن أية معلومات، وربما لو ذهب إلى مخفر الشرطة فقد يجد من يدله على شئ. لم يكن بوسعه البقاء وقتا أطول فقد أزف موعد إبحار المركب، وحتى لو لم تبحر فالبحث عديم الجدوى من البداية، وما فعله لم يكن إلا بدافع الشك وكأن الأمر لعبة مداهنة أو إنصياع للنجوم. يعود مرة أخرى إلى المركب ويلقى بنفسه فى الكابينة حتى يحين موعد الغداء.

وفى حوالى الثانية صباحا من تلك الليلة عاوده الأرق لأول مرة. كان الجو حارا وفى العنبر، كان هناك أكثر من مائة مهاجر يغطّون فى نوم عميق، ويتصببون عرقا، كان الوضع أسوأ من البقاء وسط لفافات الحبال تحت سماء النهر المحطمة وقد ارتفعت نسبة الرطوبة القادمة من الشرم وأخذت تلتصق بالجلد. أخذ أوليڤيرا يدخن وهو يستند إلى أحد الحواجز ويتأمل العدد القليل من النجوم التى تظهر من بين السحب. خرجت لاماجا من وراء مروحة وهى تحمل فى يدها شيئا كانت تجره على الأرض وأدارت له ظهرها بسرعة كبيرة وسارت متجهة إلى إحدى البوابات الأرضية فى السفينة. لم يفعل أوليڤيرا شيئا ليتابعها، إذ كان يعرف جيدا أنها يمكن أن تكون واحدة من الفتيات الفاتنات من مسافرى الدرجة الأولى واللائى كن ينزلقن إلى أعمق أعماق مقدمة المركب شغوفات بذلك الذى يسمينه خبرة الحياة، أو أى شئ من هذا القبيل. كانت تشبه لاماجا إلى حد بعيد وهذا واضح، لكن هو الذى أضاف زيادة إلى وجه الشبه هذا. وبعد أن خفتَ حدة ضربات قلبه كأنها كلب ينبح أشعل سيجارة أخرى ووصم نفسه بالبلاهة التى لا علاج لها.

لكن اعتقاده بأنه رأى لاماجا كان أقل حرارة من اليقين الناجم عن رغبة جموح تسهم فى انتزاع صورتها مما يسمونه باللاشعور وترسمها على قوام واحدة من النساء اللاتى على ظهر السفينة. وحتى هذه اللحظة كان يسمح لنفسه بذخ التفكير الحزين متذكرا بعض الأشياء، وبعض الحكايات التى يلبسها فى إطارها المناسب ويضع لها النهاية بنفس درجة الهدوء التى يطفئ فيها عقب السيجارة فى الطفاية. وعندما تولى ترافلر تقديم تاليتا له فى الميناء وهى فى هذا الوضع المضحك إذ كانت تحمل القط، فى

48

السلة، كما أن الانطباع على وجهها كان يتسم بالرقة وشبيه بالملكة أليدا ڤالى **Alida Vali**. عاد ليشعر بأن بعض أوجه الشبه البسيطة أخذت تتكثّف فجأة وتحدث تشابها كاملا لكنه زائف. وكأن ذاكرته مقسمة إلى أبواب وفصول فأخرج منها بلازما خارجية لديها القدرة على أن تسكت وتكمل جسدا آخر ووجها آخر والنظر إليه من الخارج وتأملها بنظرة تصور هو أنها نظرة تتصل دوما بالذكريات.

وخلال الأسابيع التالية التى مرت يفضل لتقانى جيكربتين الذى لا يقاوم، وتعلم ذلك الفن الصعب الخاص ببيع مقاطع الكشمير بالمرور على المنازل. توفر لديه بعض الوقت لتناول أكواب البيرة، وهنيهات يجلس فيها على الكراسى فى الشارع لتجفيف مرحلة سبقت. كما أن البحث فى الثيرّو **Cerro** كان أساسه نوع من إبراء الذمة: أن يجدها ويحاول أن يفهمها ويودعها الوداع الأخير. إنّه ذلك التوجه الذى عليه الإنسان والمتمثل فى إتمام ما يقوم به بنظافة دون أن يترك أية بقايا معلقة. هو الآن يدرك (ظل يخرج وراء مروحة، امرأة تحمل قطا) أنه لم يذهب إلى الثيرّو من أجل ذلك. يثير علم النفس التحليلى حنقه لكنه حقيقى: أنه لم يذهب إلى الثيرّو من أجل ذلك. وتحول فجأة إلى بئر يسقط فوق نفسه إلى مالا نهاية. ومن المثير للسخرية أنه كان يوجه الشتائم لنفسه فى ميدان الكونجريسو Congreso «وهذا هو ما كنت تسميه البحث؟. أكنت تظن نفسك حرا؟ كيف كان الوضع الذى عليه هيراقليس؟ لنر، عليك أن تكرر درجات التحرر حتى أضحك على نفسى بعض الشئ لكنك فى عمق هذه الرقية يا أخى» لم كان يودّ أن يعرف نفسه بشكل لا يدع مجالا للشك، وقد أحسّ بالصغار لاكتشافه، لكن كان يشعر بالقلق إزاء رضا غامض فى مستوى المعدة. إنها تلك الإجابة الحيوانية المتمثلة فى الإحساس بالسعادة الصادرة على الجسد عندما يضحك من مخاوف النفس فيتقوقع مرتاحا فى الصدر والأحشاء ويصل إلى أخمص القدم. والأمر السيىء أنه كان يشعر بسعادة كبيرة من شعوره هذا وبأنه لم يعد وأنه فى مرحلة مغادرة رغم أنه قد لا يعرف إلى أين. وفوق ذلك الإحساس بالسعادة كان يؤرقه شئ كأنه الهوس بالتفاهم المباشر، وهو أن هناك شيئا كان يود أن يتجسد وأن هذه السعادة النباتية ترفض بعناد وتجعله بعيدا. ظل أوليڤيرا عدة لحظات كأنه أحد مشاهدى واقعة الخصومة تلك ولم يشأ أن ينحاز إلى أى طرف، أى التزم بموقف حيادى. وعلى ذلك جاء السيرك وتناول الشاى فى حوش السيد كريسبو والتانجو الذى يعزفه ترافلر، وكان أوليڤيرا ينظر إلى نفسه بطرف عينه من خلال هذه المرايا، لدرجة أنه دونّ ملاحظات متفرقة تحتفظ بها

48

جيكربتين بكل حب في درج الكومودينو دون أن تجرؤ على قراءتها. وببطء أدرك أن الزيارة التى قام بها للثيرو cerro كانت جيدة النتائج لأنها كانت قد قامت على أسباب غير تلك المفترضة. فأن يعرف أنه أحب لاماجا لم يكن فشلا أو الثبات على نظام متقادم. إنه حب يمكن أن يستغنى عن الشئ، وأنه يجد غذاء فى اللاشئ وينضم إلى قوى أخرى يوضحها ويصهرها فى إطار باعث قد يقضى يوما ما على تلك السعادة الجسدية لهذا الجسم الذى أُتْرِعَ بالبيرة والبطاطس المقلية، وكان يضحك بهستيرية لكل تلك الكلمات التى يستخدمها ليملأ فراغ صفحات الكراسة وأثناء ذلك، كثيرا ما يلّوح بيده فى الهواء ويصفر صفيرا ممتدا. انتهى الأمر بترافلر بأن أطلّ من النافذة ليطلب منه أنْ يصمت قليلا. لكن أوليڤيرا كان يجد بعض السلام مرات أخرى بالانخراط فى الأعمال اليدوية مثل تقويم المسامير أو فك فتلة مكونة من عدة خيوط ليقوم بصنع شبكة رقيقة يضعها على برنيطة اللمبة، وكانت تصفها جيكربتين بأنها لطيفة. ربما كان الحب العنصر الأكثر أهمية، وواهب الكينونة. إلا أن الحيلولة دونه يمكن أن تقى من الارتداد على النفس، وبذلك تتركه يجرى إلى النسيان ويبقى وحيدا من جديد على تلك الدرجة فى سلم الواقع المفتوح المسَامِيّ. وقتل الشئ المحبوب، أى ذلك الشك الإنسانى فى القديم، هو ثمن عدم التوقف عند درجة السلم، وعلى ذلك فإن توسل فاوست للحظة التى كانت تمضى لا يمكن أن يكون له مغزى إلا إذا تزامن معه أنها لا تتركه وكأنها كوب فارغ وضع على الترابيزة. إلى غير ذلك من الأشياء. وتناول شايا مرّا.

كان من الممكن تكوين نظام متماسك، ومنهج تفكير وحياة، انسجام. وكان يكفى لذلك النقاق المعهود، والارتقاء بالماضى إلى درجة الخبرة، والإفادة من تجاعيد الوجه ومن الهواء المعيش الذى نلقاه فى الابتسامات، والصمت طوال أكثر من أربعين عاما. وبعد ذلك يرتدى المرء حلة زرقاء ويقوم بتسريح فوديه اللذين ضرب فيهما الشيب ثم يتردد على معارض الرسم فى سادىSade وفى Richmond وقد تصالح مع الدنيا.

إنه نوع من التعاسة الرصينة، والإحساس بالعودة، والدخول فى مرحلة النضج وفى الزواج وفى الكلمات الأبوية عند تناول الطعام أو عندما تكون درجات المرحلة الدراسية غير مرضية، أقول لك ذلك لأننى عشت كثيرا. لقد سافرت كثيرا. عندما كنت صبيا. كلهن سواء اسمع كلامى. أتحدث إليك من واقع خبرتى يا بنى. أنت لا تعرف الحياة حتى الآن.

كل ذلك يمكنْ أن تزداد حدة السوء فيه على مستويات أخرى، مثل التأمل الذى

48

تهدده دوما ساحة الأصنام والكلمات التى تزيف الأنماط، والتحَجرّ التبسيطى والتعب الذى يأخذ فى مَدّ يده ببطء ليخرج من جيب الصديرى راية الاستسلام. ويمكن أن يحدث أن الخيانة تكتمل فى العزلة التامة درن وجود شهود أو شركاء: بدا ليد بأن يظن المرء نفسه فوق الالتزامات الشخصية ودراما المشاعر، وفوق تعذيب الضمير عندما يعرف أنه مرتبط بسلالة، أو على الأقل بشعب ولغة. انها قمة الحرية الظاهرية، ودون أن يكون مجبرا على تبرير أى شئ، وترك المباراة والخروج من المنعطف والدخول فى أى شارع حسب الظروف معلنا أن ذلك هو الضرورى أو الوحيد. كانت لاماجا هى أحد هذه الطرق، وكان الأدب طريقا آخر (يجب إحراق الكراسة على الفور أم أن جيكريتين قد - تلوى - يد - بها) وكانت fiaca طريقًا ثالثا، وتأمل العاهل الذى لا جدوى من ورائه طريقا رابعا. توقف عند محل لبيع البيتزا فى شارع كورّينتيس بسعر الواحدة ألف وثلاثمائة وأخذ يوجهّ لنفسه هذه التساؤلات الكبرى. «إذن هل يجب أن يكون المرء وسط مفترق الطريق وكأنه مركز العجلة؟ وأى جدوى تكمن فى المعرفة أو الظن بأن كل الطرق زائفة إذا لم يكن سيرنا فيها من أجل هدف معين غير الطريق نفسه؟ لس المرء بوذا، فهنا لا توجد أشجار يستظل بها المرء طلبا للراحة إذ سوف يأتى رجل البوليس ويحرر لك محضرا.»

إنه السير واضعا مقصدا ليس هو السير نفسه. ولم يتبق من الثرثرة الممتدة، لم يتبق له شئ إلا تلك الرؤّية. نعم، كانت تركيبة تأملية. وعلى ذلك فإن زيارة الثيرّو Cerre كان لها مغزى، وعلى ذلك أيضا تتحول لاماجا من شئ مفقود إلى صورة اجتماع ممكن الحدوث - لكن ليس معها بل هنا وهناك بعيدا عنها، ومن أجلها ولكن ليست هى، أما مانو والسيرك وتلك الفكرة التى لا تصدق عن تمريض المجانين والتى يتحدثون عنها كثيرا هذه الأيام، كل هذا يمكن أن تكون له دلالته إذا أخذ أوليڤيرا بقضم البيتزا كعادته وهى ساخنة لدرجة تلسع اللثة، فهو أكول. وشعر أنه فى وضع أفضل. كانت كثيرة تلك المرات التى قام فيها بتنفيذ نفسى الدورة فى العديد من النواصى والمقاهى فى مدن عديدة وكم هى عديدة تلك المرات التى توصلّ فيها لنتائج مشابهة وشعر بأنه فى وضع أفضل وشعر بأن من الممكن أن يبدأ العيش بطريقة جديدة، فذات مساء - على سبيل المثال - جلس ليستمع إلى حفل موسيقى غير رصين، وبعد ذلك ... وبعد ذلك أمطرت السماء كثيرا. فلماذا نقلب الأمر على وجوهه. كان مثل ذلك مع تاليتا يقلب الأمور على أكثر من وجه وهذا أسوأ. هذه المرأة أخذت تعانى بسببه وهذا ليس لدافع

48

خطير بل لأنه كان هناك، ويبدو أن كل شئ أخذ يتغير بين تاليتا وترافلر فهناك الكثير من الأشياء التى كانت تعتبر من المسلّمات تأخذ نمطا آخر، وما بدا أنه طعام على الطريقة الأسبانية، تتحول المشكلة إلى ميتافيزيقا وجودية على طريقة كيرجارد حتى لا نطيل القول. كانت أمسية اللوح الخشبى هى نوع من العودة للنظام لكن ترافلر ترك الفرصة تفلت من يديه **ليقول ما كان عليه** أن يقوله حتى يقوم أوليڤيرا بالانتقال من الحى والابتعاد عن حياتهما. لكن لم يقتصر على الصمت بل حصل له على الوظيفة فى السيرك وهذا دليل على أن. وفى هذه الحالة فإن استدرار الشفقة كان سينظر إليه على أنه بلاهة مثل المرة الأخرى: مطر، مطر. هل ستواصل تربيات العزف على البيانو.

(-111)

49

كانت تاليتا وترفلر يتحدثان كثيرا عن مشاهير المجانين والأقل شهرة منهم، إذ أن فيرّاجوتو قرر شراء المصحّة وترك السيرك والقط وكل المتعلقات الأخرى لشخص يدعى سُواريث ميليان، بدا لهما، تاليتا بصفة خاصة، أن الانتقال من السيرك إلى العيادة يعتبر خطوة إلى الأمام. لكن ترافلر لم يكن يرى سببا واضحا لهذا التفاؤل. كانا يشعران بالاثارة، وهما فى انتظار تفاهم أفضل، وكانا يطلان من النافذة أو ينزلان إلى محل الفندق لتبادل وجهات النظر مع السيدة دى جوتوسو والسيد بونش والسيد كريسبو، بما فى ذلك جيكربتين حتى لو كانت تسير حثيثه الخطى. والشئ السيىء هو أنه كانت تجرى أحاديث كثيرة عن الثورة وأن معسكر مايو Campo de Mayo سوف يتمرّد. كان ذلك يبدو فى نظر الناس أكثر أهمية من الحصول على المصحة الكائنة بشارع تريّس Trelles. وفى نهاية المطاف أخذت تاليتا وترافلر فى البحث عن شئ من الأوضاع العادية بقراءة ملخص عن المصحات النفسية. وكما هى عادتهما، يثاران من أى شئ، ففى اليوم الذى ذبحت فيه البطة كان النقاش بينهما حادا دون سبب واضح، ووصلت حدة النقاش إلى جعل الببغاء ثين بيزو يصاب بالجنون فى قفصه كما أن السيد كريسبو كان يأمل مرور أى إنسان يعرفه ليبدأ فى تحريك سبابة اليد اليسرى بطريقة دائرية وهى التى يستند عليها بصدغه. وفي مثل تلك الحالات كانت تظهر سحب كثيفة من الريش وهى تخرج من نافذة المطبخ، ويُسمع صوت اغلاق الأبواب بطريقة عنيفة وجدّلية مغلقة لا تتوقف عند حد، ولا تكاد تتوقف إلا عند تناول طعام الغداء، وهى فرصة يختفى فيها أى أثر للبطة.

وعندما يحين وقت تناول القهوة مع الكانيا ماركة Mariposa يكون هناك نوع من المصالحة المستترة تقرّ بهما من نصوص قويّة ومن أعداد من مجلات نفدت من السوق وهى مجلات تتحدث عن عالم الغيبيات، والكنوز الكونية، إذ كانا يشعران بالحاجة إلى نوع من التقديم للحياة الجديدة. كانا يتحدثان كثيرا عن حالات الذهول وذلك لأن ترافلر وأوليفيرا تطوعا باخراج الأوراق القديمة واستعراض بعض ما جمعاه من ظواهر، والتى بدأت بشكل مشترك عندما كانا فى المرحلة الجامعية. وبعد ذلك واصل كل واحد منهما العمل بشكل فردى. وقد استغرقت دراسة هذه المستندات وقتا طيبا من أوقات القيلولة. وحصلت تاليتا على حق المشاركة بفضل أعداد من رينو بيجو Renovigo (وهى

49

صحيفة ثورية تصدر بلغتين) إصدار مكسيكى باللغة الأسبانية الأمريكية دار نشر لومن **Lumen** حيث كان يعمل فيها عدد كبير من المجانين الذين يتوصلون إلى نتائج غير مألوفة. كانت أخبار السيد فيرًا جوتو تصلهم بين الحين والآخر إلا أن السيرك أصبح - عمليا - فى يد السيد سواريث ميليان، غير أنه بدا من المؤكد أنهم سوف يتسلّمون المصحة فى منتصف شهر مارس. ظهر فيراجوتا مرة أو مرتين فى السيرك ليشاهد القط الحاسب فقد كان من غير الهيّن عليه الابتعاد عنه، وكان فى كل مرة يتحدث عن وشوك تنفيذ هذه العملية الكبرى وما سيترتب على ذلك من مهام - ثقيلة التى ستقع عليهم جميعا (تنهد) بات من شبه المؤكد أن سيوكلّون الصيدلية لتاليتا. كانت المسكينة عصبيّة، وأخذت تراجع بعض المذكرات التى تعود إلى الحياة الطلابية. كان ترافلر وأوليڤيرا يسخران منها كثيرا لهذا السبب، لكن عندما يعود كلاهما إلى السيرك يعتريهما الحزن وينظران إلى الناس وإلى القط وكأنّ السيرك أصبح شيئا غريبا لم يكن ملحوظا قبل ذلك.

– يقول ترافلر :

– الناس هنا هم أكثر جنونا ليس هناك مجال للمقارنة.

كان - أوليڤيرا - يهزّ - كتفيه، وهو غير قادر على القول بأن الأمر سيّان بالنسبه له، وكان ينظر إلى أعلى الخيمة ويستغرق بشكل أبله فى إجترار بعض الكلمات.

– يقول ترافلر بغيظ :

– طبعا أنت غيرت من مكان إلى آخر أنا أيضا فعلت ذلك، لكن هنا، على هذا الساحل...

كان يمد ذراعه وهو يشير بشكل واضح إلى جغرافية لبوينوس أيرس.

– يقول أوليڤيرا :

– التغيرات أنت تعرفها ...

وبعد فترة من هذه النوعية من الحوار يستغرقان فى الضحك، فينظر إليهما الجمهور شرزا ذلك أنهما يلهيان الناس عن النمر التى تعرض.

وفى لحظات البوح بالأسرار كان ثلاثتهم يقرون بأنهم مهيأون بما فيه الكفاية لمهامهم الجديدة. فعلى سبيل المثال، هناك أشياء مثل وصول عدد من جريدة ...

49

La Nacion (عدد الأحد) الأمر الذى كان مثار حزن شديد مقارنا بدرجة الحزن التى يشعرون بها وهم يرون الناس يقفون طوابير أمام شباك التذاكر فى السينمات وكذلك عرض مجلة **Reader's Digest**.

– تزداد قلة الاتصالات كل مرة ـ كان ترافلر يقول ذلك صفيرا ـ يجب أن تكون هناك صرخة مدوية.

– أجابت تاليتا :

– لقد أطلقها فلابا **Flappa** أثناء الليل والمحصلة فرض الأحكام العرفية.

– هذه ليست صرخة يا ابنتى، لاتكاد تصل إلى حشرجة، إننى أحدثك عن الأشياء التى كان يحلم بها إيريجوين **Yrigoyen**، إنها بلوغ **المثال التاريخى والوعود التى فيها سمة النبوءة** إنها تلك الآمال التى يتعلق بها الجنس البشرى والتى لا نراها بكثرة فى هذه النواحى.

– قالت تاليتا، وهى تنظر إليه بقلق، لكنها تحاول تجنب النظرة المتعلقة بالسمات الخلقية :

– إنك تتحدث مثل الآخرين.

كان الاخر فى السيرك يساعد سواريث ميليان فى إضفاء اللمسات الأخيرة كما كان يستغرب أن أصبح كل شيئ لديه لا قيمه له. كان لديه الانطباع بأنه قد نقل بقية المسار الحيوى لتاليتا وترافلر اللذان كانا يشعران بالاثارة وهما يفكّران فى المصحة، وما كان يهمه هو فى الواقع، خلال تلك تلك الأيام،، هو اللعب مع القط الحاسب إذا أخذ يكنّ له مودّة خاصة، وكان يقوم بعمل حسابات معينة لمتعته الذاتيه. ولما كان فيراجوتا قد أعطى تعليمات بأنه يجب أن يخرج القط إلى الشارع فى السلة، مربوطا فى طوق يشبه تماما الأطواق الخاصة بمن شاركوا فى معركة أوكيناوا[1]. كان أوليڤيرا يفهم مشاعر القط، ولم يكد يبتعد عدة أمتار عن السيرك حتى يترك السلة فى محل لبيع منتجات الخنزير يثق فى صاحبه وينتزع الطوق من الحيوان المسكين ويذهب كلاهما إلى الأرض الفضاء والبحث فى علب الصفيح، وتناول المكرونة، كان ذلك عملا ممتعا. وبعد هذه الجولات الصحية كان يشعر أوليڤيرا بإمكانية الدخول وسط الدَّرْدَشَة التى تدور فى حوش السيد كريسبو، وأن يدخل فى حنان جيكربتين التى تصمم على أن تصنع له بعض أشغال الإبرة التى يستخدمها فى الشتاء. وفى الليلة التى اتصل

49

فيها فيراّجوتا بالتليفون ليبلغ ترافلر فى الخندق بوشوك تنفيذ العملية الكبرى. كان الثلاثة يقومون باستكمال ملامح اللُّفَة الأسبا أميريكية والتى استخرجت مفرداتها من صحيفة رينو فيجو Renovigo. شعر ثلاثتهم بالحزن وهم يفكرون فى أن المصحة تأمل منهم الجدية والعلم والتفانى وكل ما هو من هذا القبيل.

– أى حياة ليست تراجيديا؟ ـ قرأت تاليتا بلغة إسباأمريكية فصيحة. ظلوا على هذا الحال حتى جاءت السيدة دى جوتوسو وهى تحمل آخر الأخبار التى التقطتها من الإذاعة بشأن العقيد فلا ودبآّباته. وأخيرا هناك شئ واقعى، ومحدد أيقظهم فى الحال وعلى غرّة. وكان هذا مفاجأة للسيدة التى تنضح بمشاعر وطنية فياضة.

(-188)

50

لم تكن هناك مسافة كبيرة بين محطة الأتوبيس وشارع تريّس، أى ثلاثة نواصى وعدة أمتار. كان فيرّاجونا وكوكا مع المدير الإدارى فى اللحظة التى وصلت فيها تاليتا ومعها ترافلر. كانت العملية الكبرى تتم فى صالة بالدور الأول الذى يوجد به نافذتان تطلان على الحوش ـ الجنينة حيث يتنزه المرضى. كما يرى خيط ماء يرتفع ويهبط فى نافورة أسمنتية. كان على تاليتا وترافلر أن يعبرا خلال بعض الدهاليز والحجرات الموجودة فى الدور الأرضى حتى يتمكنا من الوصول إلى الصالة. فى هذه الأثناء أوقفهما بعض الرجال وبعض النساء مستخدمين لغة قشتالية صحيحة ليدفعاهما إلى ترك أكثر من علبة سجائر لهم. بدا أن المريض الذى يرافقهما قد وجد الجو الطبيعى، إلا أن الظروف لم تساعد فى أول تساؤلات متعلقة بالتأقلم. وصلا إلى الصالة ولم يكد يتبقى معهما سجائر، وقد قدّمهما فيراجونا إلى المدير الإدارى بكلمات إطراء، وأثناء قراءة إحدى الوثائق التى لا يفهم معناها، لوحظ وجود أوليڤيرا، وكان عليهما أن يشرحا له بالهمس والاشارة أن كل شئ على ما يرام وأن لا أحد يفهم الكثير. وعندما أبلغته تاليتا بصوت هامس عن ترقيتها، نظر إليها أوليڤيرا باستغراب ذلك أنه قد دخل مباشرة فى أحد الدهاليز المؤدية إلى باب، هو ذلك. أما فيما يتعلق بالمدير فكان يرتدى الملابس السوداء.

كانت درجة الحرارة من الدرجة التى يجعل الأصوات مفخّمة وعميقة حيث يقوم المذيعون بتلاوة النشرة الخاصة بالأحوال الجوية كل ساعة وبعد ذلك يتحدثون عن التكذيب الحكومى لوجود محاولة إنقلابية فى معسكر «كامبو دى مايو» والتوجهات العبوسة للعقيد فلابا. توقف المدير الإدارى عن مواصلة قراءة الوثيقة فى السادسة إلا خمس دقائق ليقوم بتشغيل الراديو الترانزستور اليابانى، ويطّلع على آخر المستجدات، فعل هذا بعد اعتذار مسبق. كانت هذه الجملة بمثابة الاشارة الحازمة على قيام أوليڤيرا بحركة من قد نسى شيئا وتذكره فجأه فخرج مسرعا (فالمدير الإدارى ـ فكر ـ سوف يسمح بنوع آخر من الاتصال بالأحداث) من باب غير الذى دخل منه. ورغم نظرات الاستغراب من ترافلر وتاليتا خرج من الصالة كالسهم.

ومن خلال جملتين يتضمنهما النص فهم أن المصحة تتضمن الدور الأرضى وأربعة أداور أخرى بالإضافة إلى سراى كائن فى آخر الحوش ـ الجنينة. ومن الأفضل القيام بجولة فى الحوش ـ الجنينة إذا ما وجد الطريق، لكن لم تتح الفرصة فلم يكد يخطو خمس خطوات حتى ظهر رجل شاب يرتدى كُمّا من أكمام الموظفين، واقترب منه

50

مبتسما وأخذه من احدى يديه، وأخذ يتجول معه وهما يهزان ذراعيهما كأنهما طفلان، حتى وصلا إلى إحدى الطرقات التى توجد على جوانبها عدة أبواب وصلا إلى فتحة تبدو وكأنها أحد المصاعد. كانت فكرة معرفة العيادة من خلال أحد المجانين لطيفة للغاية وأول شئ فعله أوليڤيرا هو إعطاء زميله سيجارة وهو فتى تتضح عليه معالم الذكاء، فما كان منه إلا أن قبل السيجارة وأصدر صفير رضا وارتياح، واتضح بعد ذلك أنه مريض، وأن أوليڤيرا لم يكن مجنونا، أى سوء التفاهم المعتاد الذى يحدث فى مثل هذه الحالات. كان المشهد رخيصا ولا يبشر بالكثير، وأثناء المرور على الأداور المختلفة أصبح أوليڤيرا وريمُورينو صديقين. وتم التعرف على البطوغرافيا الداخلية للمصحة من خلال بعض الطرائف. كانت هناك إناث البوم قوية تقف ضد باقى الأفراد وأتخذت وضع التحفّز. وصلا إلى الدور الرابع حيث كان الدكتور أوبيخير ويحتفظ بأرانب التجارب وصورة لمونيكا ڤيتى[1] **M.Vitti**. فى هذه اللحظة جاء فتى أَحْوَل مهرولا ليقول لريمورينو أن ذلك السيد الذى معه هو السيد أوراثيو أوليڤيرا وأنه ... تنهد أوليڤيرا ونزل دورين ودلف إلى صالة العملية الكبرى حيث أوشكت قراءة الوثيقة على الانتهاء بين إغفاءات كوكا فيرّاجوتو، وتثاؤب ترافلر المعبر عن اللامبالاة، أخذ أوليڤيرا يفكر فى النمط الذى كان يرتدى بيجامة وردية اللون والذى رآه عند المنحنى الأول للدهليز الكائن فى الدور الثالث. كان رجلا طاعنا فى السن يسير مستندا على الحائط ويداعب حمامة كأنها نائمة فى كفهّ. كان ذلك فى اللحظة التى صدر فيها عن كوكا فيرّاجوتا نوعا من الخوار.

– كيف يجب عليكم أن توقعوا بالموافقة؟

– قال المدير :

– اسكتى يا عزيزتى يريد السيد أن ...

– قالت تاليتا التى كانت متفاهمة هى وكوكا، وكانت تريد مساعدتها :

– هذا واضح إن عملية نقل الملكية تتطلب موافقة المرضى.

– قالت كوكا وهى فى مكانها.

– لكن هذا جنون .

– قال المدير الأدارى وهو يخلع الصديرى بيده التى ليس بها شئ :

– أنظرى يا سيدتى .

المرضى هنا يتسمون بخصوصية شديدة، كما أن قانون ميننديث دلفينوMendez

50

Delfiino هو شديد الوضوح فى هذا المقام. وباستثناء ثمانى أو عشر أسر أعطت موافقتها فإن المرضى الباقين قد قضوا حياتهم من مصحة عقلية إلى أخرى، إذا ما وافقتنى على هذه العبارة. لا أحد هناك يسأل عنهم. وفى هذه الحالة فإن القانون يخوّل المدير الأدارى ليستشير هؤلاء فى أوقات الصحوة عندهم، حول موافقتهم من عدمها على انتقال العيادة إلى مالك جيد. وها هى المواد وقد أشرنا عليها - أضاف وهو يظهر لها كتابا مجلدا بلون أحمر حيث ظهرت صفحات من **Razon Quinta** - تقرئين هذه النصوص وانتهى الأمر.

– قال فيرا جوتو :

– لقد فهمت جيدا هذا مصطلح يجب تطبيقه فى الحال.

– ما هو السبب الذى جمعتكم من أجله إذن؟ أنت بصفتك المالك وهؤلاء السادة كشهود: هنا لننادى على المرضى. وسيتم حل كل شئ هذا المساء.

– قال ترافلر :

– الأمر هو أن كل شئ معلق على هذا الذى تسميه سيادتك لحظة الصحوة. نظر إليه المدير مبتئسا من أجله وضغط على زر جرس دخل ريموريتو وهو يرتدى بلوزه. غمز بعينه لأوليفيرا ووضع دفتر سجلات ضخم على الترابيزة. تم أتى بكرسى إلى جوار الترابيزة وعقد ذراعيه وكأنه جلاد فارسى، أما فيراً جوتو الذى سارع لفحص دفتر السجلات بوجه ينبئ عن مهمة لكل شئ سأل فيما إذا كانت الموافقة سوف يتم تسجيلها فى آخر المحضر فأجاب المدير الإدارى بنعم وعلى ذلك سوف يتم النداء على المرضى طبقا للترتيب الأبجدى وسوف يطلب منهم أن يوقعوا على المستندات بالقلم الجاف الأزرق وبالرغم من التجهيزات الفعالة تجرأ ترافلر على التنويه بأنه ربما يرفض بعض المرضى التوقيع أو يقوم ببعض التصرفات غير العادية كانت كوكا وفيراً جوتو معلقين - بكلماته دون أن يجرؤا على الوقوف إلى جانبه بشكل واضح.

(-199)

51

وهناك ليس إلاّ ظهر ريمودينو ومعه رجل طاعن فى السن بدا عليه الفزع الشديد وعندما تعرف على المدير الإدارى وجه إليه التحية بوقار.

قالت كوكا مندهشة : وهو يرتدى البيجامة !

قال فيراً جوت : لقد رأيتهم عند الدخول

– لم يكونوا مرتدين للبيجامات، بل كانت نوعا من ...

– صَمْتَ ـ قال المدير الإدارى ـ اقترب يا أنطونيث، ووقع فى المكان الذى يحدده لك ريمورينو. اطلع العجوز على دفتر السجلات بعناية فى الوقت الذى قربّ إليه ريموريتو Birome (القلم الجاف الأزرق.) أخرج فيراً جوتو منديلا وجفف جبهته بضربات خفيفة.

– قال أنطونيث :

– إنها الصفحة الثامنة لكن يبدو لى أن علىّ التوقيع فى الصفحة الأولى.

– قال ريمو رينو، وبين له مكانا فى دفتر السجلات :

– هنا هيا فسوف تبرد القهوة باللبن الخاصة بك.

وقع أنطونيث توقيعا منمقا، وحياً الجميع وخرج وهو يخطو فى خيلاء الأمر الذى أعجب تاليتا.

أما الثانى فكان ضخم الجثة وبعد أن دار حول الترابيزة مد يده مصافحا المدير الإدارى ،الذى صافحه بدون رغبة ،وأشار إلى دفتر السجلات بإشارة جافة.

– لقد عرفت حضرتك بالأمر، وبالتالى عليك بالتوقيع والعودة إلى حجرتك.

– قال الضخم الجثة :

– حجرتى لم يتم كنسها حتى الآن .

أخذت كوكا فى اعتبارها الافتقار إلى عنصر النظافة كان ريمورينو يحاول أن يضع القلم الجاف الأزرق فى يد نمط ضخم الجثة كان يتقهقر ببطء.

– قال ريمورينو :

– سوف يقومون بتنظيفها فى الحال، وقع يا سيد فنكانور.

– قال السمين :

– أبدا؛ إنه فخ.

– قال المدير الإدارى :

– أى فخ؛ وأى خدعة؛ عليكم أيها السادة بالتوقيع وابتداء من الغد سوف تضاعف كمية الأرز باللبن.

51

– قال السمين :

– لن أوقع إلاإذا كان السيد أنطونيث موافقا.

– لقد وقع لتوه قبل سيادتك.

– التوقيع غير مفهوم وهذا ليس توقيع السيد أنطونيث. إنكم أجبرتموه على التوقيع تحت التهديد باستخدام المنخس الكهربائى. لقد قتلتم السيد أنطونيث.

– قال المدير الإدارى لريمورينو الذى خرج مسرعا ثم عاد ومعه أنطونيث :

– هيا عليك أن تأتى به صدرت عن السمين صيحة فرح واقترب منه ليصافحه.

– قال المدير الإدارى :

– قل له إنك موافق، وأن يوقع دون خوف هيا لقد تأخر الوقت.

– قال أنطونيث للسمين :

– وقعّ بلا خوف يا بنىّ فالأمر سيّان إذ سوف يسددونها لك فى الرأس.

ألقى السمين القلم الجاف، فأخذه ديمورينو وهو يزأر، ونهض المدير كأنه حيوان مفترس. إختبأ السمين وراء أنطونيث، وكان يرتعد ويَفْرك أكمامه. هنا طَرْق قوى على الباب. وقبل أن يتمكن ريمورينو من فتحه دخلت سيدة ترتدى كيمونو وردى اللون وإتجهت مباشرة إلى دفتر السجلات وفحصته من كل الجوانب وكأنه سرير مبنى بالطوب. إستقامت وهى راضية ،ووضعت كفّها على الدفتر.

– قالت السيدة :

– أقسم على قول الحقيقة. كما أنك لن تتركنى أكذب يا سيد نيكانور. هز السمين نفسه موافقا وسرعان ما أخذ القلم الجاف الذى ناوله إياه ريمورينو ووقع فى أى مكان كيفما اتفق دون أن يفسح الفرصه لشئ آخر.

– سمعوا المدير يهمهم :

– يالك من حيوان تأكد إذا ما كان التوقيع فى المكان المناسب يا ريمورينو. الحمد الله. جاء دورك يا سيدة شويت، طالما أنك حضرت. حدد لها مكان التوقيع يا ريمورينو.

– قالت السيدة شويت :

– إذا لم تقوموا بإدخال تحسينات على الجانب الأجتماعى فلن أوقّع لابد من فتح أبواب ونوافذ للروح.

– قال السمين :

51

- أنا أريد نافذتين فى حجرتى. أما السيد أنطونيث فيريد الذهاب إلى محل «فرانكو إنجليز» لشراء القطن وأشياء أخرى. هذا المكان شديد الظلمة.

لم يكد أوليڤيرا يدير رأسه بعض الشئ حتى رأى تاليتا تنظر إليه وابتسمت له. يعرف كلاهما أن الآخر يفكر أن كل شئ ما هو إلا كوميديا بلهاء، وأن المجنون البدين ليس أكثر جنونا من الباقين. إنهم ممثلون سيئون كما أنهم لا يبذلون جهدا فى أن يظهروا كمجانين محترفين أمام الحاضرين الذين قرأوا جيدا ملفهّم فى المصحة النفسية. فعلى سبيل المثال يلاحظ أن كوكا التى تسيطر على نفسها تماما وتقبض على شنطتها بكلتا يديها أكثر جنونا من الثلاثة الذين وقعوا، والذين بدأوا الآن فى المطالبة بأمر وكأنه موت كلب، وهو الذى كانت تتحدث عنه السيدة شويت بإسهاب ورصانة. لم تحدث أمور تخرج كثيرا عن المتوقّع. ظلت الصدفة هى المحور الأساسى فى هذه العلاقات المتقلبة والمليئة بالثرثرة، ولم يكن ما يصدر من خوار من المدرس إلا للاسهام فى الاستمرار فى رسم صور متكررة من نفس الشكاوى والمطالب والـ فرانكو إنجليز **Franco inglesa**. هكذا رأوا أن ريمورينو يذهب بـ أنطونيث وبالسمين، وكيف أن السيدة شويت توقع فى الدفتر مُبْدية احتقارها. كيف أنه دخل كهيكل إنسانى عملاق، وكأنه لسان لهب مستقيم يرتدى فانلة وردية اللون وتبعه شاب أبيض الشعر وذو عيون خضراء وجمال خبيث. وقع هذين دون مقاومة تذكر، إلا أنهما اتفقا على رغبتهما فى البقاء حتى نهاية الجلسة. وللحيولة دون وقوع المزيد من المشاكل طلب منهما المدير أن يجلسا فى أحد الأركان، ثم ذهب ريمورينو للبحث عن اثنين آخرين من المرضى، إحداهما فتاة ضخمة الفخذين أمّا الثانى فكان رجلا منحنى الرأس لا يكاد يرفع ناظريه عن الأرض. وبشكل مفاجئ عاد الحديث مرة أخرى عن موت كلب. وعندما انتهى المرضى من التوقيع صدرت عن الفتاة تحية كأنها راقصة. فكان ردّ السيدة كوكا فيراجوتو هو انحناءة لطيفة برأسها الأمر الذى كان مثار ضحك كل من تاليتا وترافلر. وصل عدد التوقعات إلى عشرة ولازال ريمورينو يأتى بالمرضى. كانت هناك تحايا وبعض المشاكل الأخرى التى يتم مقاطعتها أو يتم تغيير أبطالها. كل هنيهة يتم توقيع. إنها السابعة والنصف، أخرجت كوكا مسحوق التجميل وأخذت تصلح مكياجها بمهابة وكأنها مديرة المصحة. وهى نمطية تجمع بين مدام كورى **M. Curie** وإدفيج فويلير[٢] **Edwidge Feuillere**؛ تحرك آخر لكل من تاليتا وترافلر.

51

قلق كوكا من جديد وهى تقارن بين درجة التقدم فى الدفتر وتعبيرات وجه المدير الإدارى. وفى السابعة وأربعين دقيقة أعلنت إحدى المريضات أنها لن توقع إلا إذا قتلوا الكلب، فوعدها ريمورينو بذلك بغمزة عين متوجها بها لأوليڤيرا الذى أولاه. ثقته. تعاقب على الصالة عشرون مريضا وبقى خمس وأربعون آخرون. اقترب المدير الإدارى من الحضور ليبلغهم بأن الحالات الحرجة هى التى وقعت فى الدفتر (هكذا قال) ومن الأفضل أن تكون هناك إستراحة يتناولون فيها البيرة يستمعون للأخبار. وأثناء ذلك تحدثوا عن المصحات النفسية وعن السياسة. لقد تم إخماد الثورة بواسطة القوات الحكومية واستلمت الرؤوس فى لوخان **Lujan**، كما أن الدكتور نيروروخاس كان يحضر مؤتمرا فى أمستردام. كان طعم البيرة رائعا.

وصل عدد التوقيعات إلى ثمانية وأربعين توقيعا فى الثامنة والنصف. حل الظّلام وأصبح جوّ الصالة معبأ بالدخان وبالناس الذين جلسوا فى الأركان وكذا الكّحة التى تصدر عن بعض الحضور بين الحين والآخر. كما كان بود أوليڤيرا الخروج للشارع لكن المدير الإدارى كان يتسم بصلابة وحزم لا يلين. طالب آخر ثلاثة من الموقعين بإجراء تعديلات على نظام الطعام.

(كان فيراجوتو يصدر إشارات إلى كوكا لتأخذ ذلك ضمن ملاحظاتها. ففى مصحتها سوف تكون الوجبات ممتازة) وعن موت كلب (ضمت كوكا أصابع يدها بطريقة مائلة وأخذت تبرزها لفيرّا جوتو الذى كان يهزّ رأسه إعرابا عن حيرته، ويرمق المدير الذى حلّ به الإعياء وكان يروّح على نفسه مستخدما كرتونة نتيجة حائط لإحدى محلات بيع الفطائر) وعندما قدّم العجوز وهو يحمل الحمامة فى كفه ويداعبها بخفة وكأنه يحاول أن يجعلها تنام، ساد صمت طويل حيث أخذ الجميع يتأمل الحمامة الساكنة فى مكانها فى كف المريض. كان من المؤسف أن تتم مقاطعته فيما يقوم به من مسح على ظهر الحمامة ليقوم بأخذ القلم الجاف الذى قدمه له ريمورينو. وبعد هذا العجوز دخلت شقيقتان الواحدة تتأبط ذراع الأخرى حيث طالبتا لحظة دخولهما بقتل الكلب وكذلك إدخال تحسينات على المكان. كان موضوع الكلب مثال ضحك ريمورينو فى النهاية شعر أوليڤيرا أن هناك شيئا يتزحلق منه عند ذراعه وعندما نهض قال لترافلر أنه سوف يخرج ليقوم بجولة ثم يعود فى الحال.

– قال المدير الإدارى :

– عليك أن تبقى أنت شاهد.

51

– قال أوليڤيرا :

– إننى فى المنزل انظر، قانون ميندينتدلفينو، هذا معروف.

– قال ترافلر :

– سوف أخرج معك سوف نعود بعد خمس دقائق.

– قال المدير الإدارى :

– لا تبتعدا عن المكان .

– قال ترافلر :

– هذا واضح تعال يا أخى. أعتقد أن الوصول إلى الجنينة من هذا الجانب ألا يبدو لك أنه مخيب للآمال؟

– قال أوليڤيرا :

– الإجماع شئ مُملّ لم يعترض أى واحد على صاحب الصديرى. انظر الجميع يتحدثون عن موت الكلب. هيا لنجلس بالقرب من النافورة فخرير المياة له طبيعة ترويحية وهذا مناسب لنا.

– قال ترافلر :

– هناك رائحة نفط ترويحى جدا فى الحقيقة.

– ما الذى كنّا ننتظره فى الواقع؟ ها أنت ترى أن الجميع يوقعون فى نهاية الأمر. ولا توجد اختلافات فيما بينهم وبيننا. لا فارق على الاطلاق. سوف نقضى وقتا ممتازا هنا.

– قال ترافلر :

– حسن هناك فارق، وهو أنهم جميعا يرتدون ملابس وردية ـ انظر ـ قال أوليڤيرا وهو يشير إلى الأدوار العليا. لقد حل الظلام تقريبا، وكانت الأنوار فى الدورين الثانى والثالث تطفأ وتضاء بشكل إيقاعى. يرى الضوء فى إحدى النوافذ والظلمة فى النافذة المجاورة، وهكذا على التوالى، كذلك ضوء فى أحد الأداور وظلمة فى الدور العلوى.

– قال ترافلر :

– اتضح الموضوع الكثير من التوقيعات لكنهم بدأوا فى إظهار الأخطاء الخفية.

قررا الانتهاء من تدخين السيجارة إلى جوار النافورة وهما يتحدثان عن اللاشئ وينظران إلى الأنوار التى تضاء وتطفأ. فى هذه اللحظة تحدث ترافلر عن التغيرات وبعد هنيهة صمت، سمع أوراثيو وهو يضحك بصوت مكتوم فى الظلمة. ألحّ، يريد بعض اليقين، دون أن يعرف كيف يمكن طرح مادة تتزحلق من بين الكلمات والأفكار.

51

– كائننا خفافيش، أو كأن هناك دورة دموية توحدنا، أى تفصل بيننا. أحيانا أكون أنا وأنت، وأحيانا ثلاثتنا وعلينا ألا نخدع أنفسنا. لست أدرى متى بدأ ذلك، لكن ها هو الأمر يجب التنّبه. أعتقد أننا لم نأت إلى هنا فقط لأن المدير أتى بنا. كان من السهل البقاء فى السيرك مع السيد سواريث ميليان. فنحن نعرف طبيعة العمل، كما أنهم يقدروننا. لكن لا، لابد من الدخول هنا. ثلاثتنا. وأول المذنبين أنا، لأننى لم أكن أرى أن تقوم تاليتا ... عموما أن أباعدك عن هذا الموضوع للتخلص منك. إنه نوع من حب النفس، أخذت بالك.

– قال أوليڤيرا :

– فى الواقع لست مجبرا على القبول. سوف أعود إلى السيرك أو أبتعد تماما عنكما. فمدينة بوينوس أيرس ضخمة. وقد قلت لك ذلك يوما ما.

– نعم، لكن سوف تذهب بعد هذا الحوار، أى أنك تفعل ذلك من أجلى، وهذا بالتحديد ما لا أريده.

– على أى الأحوال عليك أن توضح لى موضوع التغيرات هذا.

– لست أدرى. فإذا ما أردت شرحه تزداد الأمور ضبابية. انظر إنه شئ على هذا المثال: فإذا ما كنت معك فليست هناك مشكلة. لكن عندما أكون وحدى يبدو لى أنك تضغط علىّ وأنت فى حجرتك مثلا. تذكر ذلك اليوم الذى طلبت منى المسامير. تشعر تاليتا بذلك وتنظر إلىّ، ويتولد لدىّ انطباع بأن النظرة موجهة اليك، لكن عندما نجتمع ثلاثتنا تقضى هى الساعات والساعات دون أن تدرى أنك هنا. من المفترض أنك أدركت ذلك.

– نعم، واصل.

– هذا كل شيئ، ولهذا لاأريد أن تبتعد بنفسك. لابد أن يكون شيئا تقرره أنت ولما كنت قد ارتكبت سخافة فتح الموضوع، لن تتوفر لديك الحرية فى اتخاذ القرار ذلك أنك سوف تطرح الأمر من منظور المسئولية وما سيقوله الناس والأخلاق. وفى مثل هذه الحالة يكون الأمر بمثابة الإبقاء على حياة صديق وانا لا أسمح بهذا.

– قال أوليڤيرا :

– آه، أى أنك لن تتركنى أغادر، وأنا لا يمكن لى الذهاب إنه موقف فيه نوع من البيچامة الوردية. أليس كذلك؟

– أعتقد.

51

– ياله من أمر غريب.

– ما هو؟

– لقد أطفئت الأنوار كلها دفعة واحدة.

– لابد وأنهم حصلوا على آخر التوقيعات. أصبحت المصّحة من حق المدير، عاش فيرّاجوتو.

– أتصور أنه يجب أن نسعدهم ونقتل الكلب. إنها نقمة لا تصدق.

– قال ترافلر :

– ليست نقمة فالمشاعر ليست عنيفة أيضا حتى لو كانت بشكل مؤقت.

– إنك فى حاجة إلى حلول جذرية يا عجوز.

لقد حدث نفس الشئ مدة طويلة، وبعد ذلك ...

أخذا يسيران عائدين لكنهما توخيا الحذر فالحديقة مظلمة كما تذكرا أوضاع أحواض الزرع.

وعندما وطئت أقدامهما خطوط الحجلة القريبة من المدخل، ضحك ترافلر بصوت منخفض ثم رفع أحد قدميه وأخذ يقفز من مربع إلى آخر. كان لون الطباشير يرى فى الظلام ولكن بشكل واهن.

سوف أحكى لك فى إحدى الليالى ـ قال أوليڤيرا ـ أشياء من هناك. هذا لا يروق لى لكن ربما كانت تلك الطريقة الوحيدة لقتل الكلب.

وقف ترافلر بعيدا عن الحجلة، وفى هذه اللحظة أضيئت الأنوار فى الدور الثانى فجأة وفى اللحظة التى كان أوليڤيرا سيضيف شيئا آخر، رأى وجه ترافلر وهو يخرج من الظلمة، فاجأه نوع من الالتواء فى عضلات الوجه قبل أن يُطْفأ النور من جديد، أو هو نوع من التكشيرة (ومعناها باللاتينية rictus أى فتح الفم: وتقلص الشفاه بشكل يشبه الابتسامة.)

– قال ترافلر :

– لنواصل الحديث عن قتل الكلب لست أدرى فيما إذا كنت قد لاحظت أن الطبيب الرئيسى اسمه «أوبيخير و. هذه الأشياء.

– ليس هذا ما كنت تريد أن تقوله لى.

– قال ترافلر :

– من ذا الذى يشكو من صمتى، أو من تغيير الموضوعات من الواضح أنه ليس

51

ذلك، لكن لا فرق. لايمكن الحديث عنه. وإذا ما أردت القيام بتجربة ... لكن هناك شيئا ما يقول لى لقد تأخر الوقت بعض الشئ. لقد بردت البيتزا، ولا مناص. ومن الأفضل أن نبدأ العمل فورا. وسوف يكون نَوْعاً من التلهىّ.

لم يجب أوليڤيرا، وصعد إلى صالة الاجتماعات الكبرى حيث كان المدير الإدارى وفيرا جوتو يشربان كانيا دويل. انضم أوليڤيرا فى الحال، بينما ذهب ترافلر ليجلس على الكنبة حيث تاليتا تقرأ قصة وتلوُح على وجهها علامات النوم. وبعد التوقيع الأخير، رفع ريمورينو الدفتر وأخرج المرضى الذين حضروا مراسم التوقيع. لاحظ أوليڤيرا أن المدير الإدارى أطفأ نور السقف وأضاء لمبة مكتب. كان كل شئ طرياً وأخضر وكان الحديث يدور بصوت منخفض فيه نبرة الرضا. سمع عن ترتيبات لتناول الكْرشة على طريقة أهل جنيف، فى مطعم وسط المدينة. أغلقت تاليتا الكتاب ونظرت إليه ناعسة. مسح بيده على شعرها وشعر أنه فى وضع أفضل. وعلى أى الأحوال فإن فكرة تناول الكرشة فى مثل هذه الساعة ومع هذه الحرارة غير صائبة.

(69)

52

كان لا يمكنه، فى الواقع، أن **يحكى** شيئا لترافلر؛ فإذا ما بدأ فى جذب شئ من البَكَرة سوف يسحب نتفة من الصوف ثم أمتار من الصوف . **Lanc** ثم **Lanada** نفسه ثم لاناتورنر **lanaturner**[1] **lanata** القشدة ثم **lanatomia** التشريح ثم**lanatalidad** المواليد ثم **la nacicnalidad** المواطنة **lanatwalidad** ثم الطبيعية **la lanc** الصوف حتى الغثيان لكن لا يمكن سرد اللغة. كان من الممكن أن يجعل ترافلر يشك فى أن كل ما يقصه عليه ليس له أى مغزى مباشر، (لكن أى مغزى كان له؟) كما لم يكن نوعا من المجاز أو الاستعارة. والفارق الذى لا مناص من الإشارة إليه، هو مشكلة المستويات التى لا علاقة لها بالذكاء أو المعلومات، هناك فرق، إما اللعب بالحيلة أو أن يتناقش جون دون Jon Donne مع ترافلر،. كان كل شئ يدور فى أرض ذات ظواهر مشتركة. لكن فيما يتعلق بالآخر، أى أن يكون نوعا من القرود بين البشر، والرغبة فى أن يكون قروا لأسباب لا يستطيع القرد أن يفسّرها، فلم تكن لديهم أسباب ومكمن قوتهما فى ذلك، وهكذا على التوالى.

مرت الليالى الأولى فى المصحة بهدوء، فالأفراد الذين سيخرجون من الوظائف لازالوا يمارسون عملهم أما الجدد فكانوا يراقبون فقط ويسجلون الملاحظات ويجتمعون فى الصيدلية حيث ارتدت تاليتا اللباس الأبيض وأخذت تعيد إكتشاف المستحلبات والباربيتورات **barbituricos**. وكانت المشكلة إزاحة كوكا فيرّاجوتو التى قبعت كصخرة فى قسم المدير الإدارى؛ إذ بدا عليها استعدادها أن تفرض عصا الطاعة على المصحة كما كان المدير نفسه يستمع باحترام للاتفاق الجديد[2] **new deal** والذى يتلخص فى كلمات مثل: النظافة، الالتزام، الله الوطن المنزل، والبيجامات الرصاصى والشاى مع التيليو. أخذت تطل بين الفينة والأخرى على الصيدلية، وتصغى - باهتمام للحوارات التى يفترض أنها حوارات مهنية، تدور بين أفراد الفريق الجديد. كانت تثق بعض الشئ فى تاليتا فالفتاة حاصلة على شهادة، علقتها على الحائط، لكن الزوج والصديق كانا مثار شكهّا. تكمن مشكلة كوكا فى أنهما رغم كل شئ فردان ظريفان؛ الأمر الذى يجبرها على أن تتجادل على طريقة أبطال بييركورنيل **Pierre Corneille** حول الواجب والحب الأفلاطونى الأعمى، وفى الوقت نفسه يقوم فيراجوتو بتنظيم الإدارة. وأخذ يعتاد على وضع من يعانون من انفصام فى الشخصية محل المواشى وأمبولات الأنسولين محل بالات العلف. كان الأطباء يحضرون فى الصباح يبلغ عددهم ثلاثة، ولا

52

يسببون أيه مشاكل. فالطبيب المقيم هو من عشاق البوكر وأصبح ذا صلة حميمة بـ ترافلر وأليفيرا . وفى عيادته الكائنة فى الدور الثالث يقومون بلعب البوكر ويتم تكوين أفضل سلّم ملكى، والورق من نفس اللون، كما أن كومة الأوراق المتراكمة تتراوح قيمتها بين عشرة ومائه بيزو. تنتقل هذه الأموال من يد إلى يد ويكفينى قول هذا .

أما المرضى فهم أفضل، شكرا .

(89–)

53

في يوم الخميس، هُبْ، احتل الجميع أماكنهم حوالى التاسعة مسا. قبل ذلك كان قد خرج الأفراد الذين أُقيلوا وهم يغلقون الأبواب بقوّة (ابتسامات ساخرة لكل من فيّرا جوتو وكوكا اللذين أصراً على عدم دفع التعويضات) كما كانت هناك مجموعة من المرضى تودّعهم قائلة «لقد مات الكلب، لقد مات الكلب !» وهذا لم يمنع من قيامهم بتقديم رسالة إلى فيراجوتو وعليها خمس توقيعات تطالب بالشيكولاته والصحيفة اليومية المسائية وقتل الكلب. ظل الُجُددْ الذين كانوا يشعرون بشئ من عدم الثقة وبقى كذلك ريمورينو الذى ظهر فى وضع الخبير ببعض الأمور. وكان يقول بأن كل شئ سوف يسير على أفضل حال. ومن خلال إذاعة «الموندو» يتم تغذية الروح الرياضية لأهالى المدينة بنشرات عن موجة الحر. لقد تجاوزت كل الدرجات القياسية وكان الجميع يتصببون عرقا. قام ريمورينو بجمع أربعة أو خمسة بيجامات ملقاة فى الأركان. حاول هو وأوليڤيرا إقناع الملاك الجدد أن يرتدوا البيجامات، أو البنطلون على الأقل. وقبل أن ينخرط الدكتور أوبيخيرو فى لعب البوكر مع فيرّا جوتو وترافلر صرحّ لتاليتا بأن تقوم بتوزيع عصير الليمون دون خوف، باستثناء المريض رقم **6**، ورقم **18**، والمريضة رقم **31**. فهذه المريضة قد تسبب لها ذلك فى نوبة بكاء. فقامت بمضاعفة جرعة عصير الليمون. لقد آن الأوان لتتصرف من منطلقاتها، وليمت الكلب.

كيف كان من الممكن البدء فى ممارسة تلك الحياة بشكل هادئ دون استغراب كبير؟ بدأت ممارسة الحياة دون سابق إعداد فالكتيب الخاص بالصّحة النفسية، والذى تم شراؤه من مكتبة توماس باردو، لم يكن التحضير المناسب لتاليتا وترافلر. بدأ العمل دون خبرة أو رغبة حقيقية، أو أى شئ آخر: كان الإنسان هو الحيوان الوحيد الذى يتعود حتى على عدم تعوّده. فعلى سبيل المثال هناك المشرحة. كان ترافلر وأوليڤيرا يجهلانها هى والـ **heteaki** حيث قام ريمورينو بالبحث عنه ليلة الثلاثاء بناء على أوامر من الدكتور. أوبيخيرو. كما أن المريض رقم **56** توفى منذ وقت قصير فى الدور الثانى وكان من الواجب مساعدة رجل النقالة وإلهاء المريضة رقم **31** التى كانت تعانى «رعشة معطف» **Telepalpitos de abrigo** . شرح ريمورينو لهما بأن الناس الذين تركوا وظائفهم كانوا كثيرى المطالب وأنهم كانوا يعملون طبقا للوائح منذ أن عرفوا بموضوع التعويضات، وبالتالى لا مناص إلا البدء فى العمل بهمة ونشاط وسوف يكون هذا بمثابة تمرين جيدّ لهما.

ياله من أمر غريب، وهو عدم ذكر أى مشرحة فى الجرد الذى تم يوم العملية

53

الكبرى. لكن لابد وأن يكون هناك مكان لحفظ مشتقات لحم الخنزير حتى تأتى الأسرة أو أن ترسل البلدية السيارة. وربما ذكر فى قائمة الجرد شئ عن غرفة الحفظ (الثلاجة) أو صالة مؤقتة أو أى شئ فيه نوع من التبريد إلى غير ذلك من هذه الإشارات اللغوية أو يذكر ببساطة الثلاجات الثمانية. وعموما فإن كلمة "Morgue" غير جميلة وخاصة كتابتها فى مستند.

يعتقد ذلك ريمورنيو. ولماذا الثلاجات الثمانى؟ آه، هو ذاك ... ربما كان مرجعه ما يطالب به جهاز النظافة القومى، أو ربما كان ذلك نوعا من الراحة عند المدير الإدارى السابق وقت المزايدات. لكن لم يكن الوضع بهذا السوء ولو أنها تموّجات مثل العام الذى كسب فيه نادى سان لورنثو (أى سنه؟ لم يتذكر ريمورينو، لكنه كان العام الذى استطاع فيه سان لورنثو أن يجمع أوراق اللعب فى يده) وفجأة يموت أربعة من المرضى فكانت عملية مقيتة. لكنها كانت قليلة الحدوث. إن المريض رقم 56 كانت حالته صعبة ولم يكن هناك مخرج لها. عليكما أن تتحدثا بصوت منخفض وأنتما هنا حتى لا توقظا النوّم. وأنت ما الذى تريده فى هذه الساعة؟ الزم السرير، الزم السرير. إنه، بيب، جيد انظروا إليه كيف ينقرهن. يروق له أن يخرج فى الطرقات ليلا، لكن لا تظننا أنه من أجل النساء، فهذا الموضوع نظمناه بشكل جيد. إنه يخرج لأنه مجنون ليس إلا، مثل أى واحد منا إذا ما اقتضت الضرورة.

فكر أوليڤيرا وترافلر أن ريمورينو كان ماهرا ونموذجا متطورا وهذا ما يلاحظ عليه فورا. ساعدا الشيّال، الذى كان المريض رقم 7، عندما لا يقوم بوظيفة النقّال. إنه حالة قابلة للشفاء وبذلك يمكن الحصول على تعاونه فى الأعمال الخفيفة. أنزلوا النقالة بواسطة المصعد وقد تكدسوا بعض الشئ وشعروا بأنهم شديدوا القرب من جثة المريض رقم 56 التى تواريها الملاءة. كانت أسرته سوف تأتى لتسلمه يوم الخميس. كانوا من تريلى **Trelew**. مساكين. أما المريض رقم 22 فلم يأت أحد لتسلمه حتى الآن هم صقور ولا مشاعر لهم. هل البلدية تسمح بأن يكون المريض رقم 22 ...؟ الملف فى أحد تلك الأدراج إلى غير ذلك من الأمور. وعلى أى الأحوال فقد مضت الأيام على هذه الوتيرة، وانقضى أسبوعان واتضحت لهما ميزة وجود الكثير من الثلاجات. فقد أصبح عدد المتوفين ثلاثة، فقد توفيت المريضة رقم 2 وهى واحدة من مؤسسى العيادة. كان ذلك أمرا عظيما، فرقم 2 ليس لها أسرة، لكن إدارة الوفيات أبلغت بأنها سوف ترسل السيارة فى غضون ثمان وأربعين ساعة. أخرج ريمورينو قائمة الحساب ليضحك فقد

53

مضى عليهم ثلاثمائة وستة ساعات، ويكادون يصلون إلى ثلاثمائة وسبعة. وإطلاق تعبير المؤسسة هذا على المريضة رقم 2 كان لأنها عجوز طاعنة فى السن وأكبر من الدكتور الذى باعها للسيد/ فيراجوتو. ياله من رجل، السى فيرّاجوتو. إليس كذلك؟ ياله من شئ عظيم التفكير فى أنه يملك سيركا.

فتح المريض رقم 7 المصعد وسحب النقالة، وسار فى الطرقة وهو يتمايل حتى قام ريمورنيو بإيقافه فجأة، وتقدمه وهو يحمل سلسلة مفاتيح وأقفال، ليقوم بفتح الباب المعدنى وفى الوقت نفسه قام ترافلر وأوليڤيرا بإخراج بعض السجائر ... إلى غير ذلك مما يدل على سرعة البديهة ... وفى حقيقة الأمر فإن ما كان عليهما أن يقوما به أن يرتديا المعاطف الخفيفة فلا تعرف الثلاجة الخاصة بالجثث أى شئ عن موجة الحر والتى بدت وكأنها مكتب للمشروبات، فيه ترابيزة مستطيلة موضوعة على جانب، وهناك ثلاجة تصل إلى السقف إلى جوار الحائط المقابل.

– قال ريمورينو :

– هات زجاجة بيرة .. أنتما لا تعرفان شيئا. أحيانا ما تكون القواعد هنا ... من الأفضل ألا أقول شيئا للسيد فيراجوتو. وما علينا إلا أن نتناول بيرة من حين لآخر. ذهب المريض رقم 7 إلى إحدى بوابات الثلاجة وأخرج زجاجة. وبينما يقوم ريمورينو بفتح الزجاجة بمفتاح خاص مرفق بسكينة برى الأقلام، نظر ترافلر إلى أوليڤيرا. أن رقم 7 بدأ الحديث أولا.

– من الأفضل أن تحفظ الجثة أولا. أليس كذلك.

– حضرتك ... ـ بدأ ريمورينو لكنه بقى ومعه السكين مفتوحا ـ الحق معك يا بيبى. هيا، هذه الثلاجة التى هناك خالية.

– قال رقم 7 :

– لا .

– أتقول ذلك لى؟

– قال رقم 7 :

– معذره يا سيدى ـ الثلاجة الخالية هى تلك.

ظل ريمورينو ينظر إليه فابتسم له رقم 7 كنوع من التحية واقترب من الباب الذى يدور النقاش بشأنه وفتحه. ظهر نور يشع لمعانا وكأنه الفجر، أو أى نوع آخر من الظواهر الخاصة بالطقس وفى وسط هذا النور توجد أقدام كبيرة جدا.

53

– قال رقم 7 :

– إنه رقم 22 ألم أقل لك؟ إننى أعرفهم جميعا حسب أقدميتهم ها هو رقم 2 ما الذى تريد أن تراهننى عليه؟ إذا لم تصدقنى. هل اقتنعت؟ حسن علينا أن نضعه فى تلك الثلاجة الخالية ـ عليكما مساعدتى وحذار فلابد أن ندخله برأسه أولا.

– قال ريمورينو لترافلر بصوت منخفض :

– إنه بطل أنا لست أعرف لماذا يصر الدكتور أوبيخيرو على إبقائه هناك فى الداخل. لا توجد أكواب وعلى ذلك **لنشرب نخب التى ابتاعتها**. ابتلع ترافلر كمية كبيرة من الدخان قبل أن يأخذ الزجاجة، أخذوا يتناقلوها من يد إلى يد. وأول نكتة خارجة قصّها ريمورينو.

(66)

54

كان أوليڤيرا يرى الحوش والنافورة من نافذة حجرته الكائنة فى الدور الثانى، يرى المياة وهى تخرج من النافورة، والحجلة التى خطّطها رقم 8، والأشجار الثلاثة التى تظلّل أصيص نبات المبالون، والحشائش والحائط الترابى العالى الذى يحجب عنه المنازل فى الشارع المجاور كان رقم 8 يلعب الحجلة معظم أوقات المساء بلا كلل، وقد حاول كل من رقم 4 ورقم 19 التغلّب عليه والاستيلاء منه على **السماء** لكن لم يكن مجديا. إذ كانت أرجُل رقم ٨ كأنها سلاح تصويب فكل مربع له طلقة وكان الحجر الصغير يأخذ دائما الوضع المناسب. كان شيئا غير عادى. أما أثناء الليل فخطوط الحجلة المرسومة بالطباشير تشع لونا فوسفوريا باهتا. كان طيب لأوليڤيرا تأمله من النافذة. وعندما يحل الظلام يلجأ رقم 8 إلى سريره تحت تأثير سنتم مكعب من إينوسول، وينام مثل البجع، وقد وقف عقليا على قدم واحدة، وأخذ يدفع الحجر بضربات قوية وصبيانية بحثا عن غزو **السماء**، وعندما يصل إليها يبدو عليه عدم الرضا «إن رومانسيتك لا تقاوم» كان أوليڤيرا يفكر وهو يتناول الشاى. «حتى يرتدى البيجامة الوردية» كان يضع على مكتبه رسالة صغيرة من جيكربتين التى تتحدث عن ضجرها، وأنهم لا يتركونك تخرج إلا أيام السبت. وهذه ليست حياة يا عزيزى أنا لا أتحمل البقاء وحدى وقتا طويلا. آه لو ترى حجرتنا. وضع أوليڤيرا كوب الشاى على حافة النافذة وأخرج قلما جافا من جيبه وأجاب على الرسالة. بادئ ذى بدء هناك تليفون (يتبع ذلك رقم التليفون) وثانيا فهم مشغولون جدا، لكن إعادة التنظيم قد لا تستغرق أكثر من أسبوعين وعندئذ يمكن لهما أن يلتقيا الأربعاء على الأقل وكذا السبت والأحد. وثالثا لقد أوشكت الأعشاب على الانتهاء «أكتب وكأنهم حبسونى» فكر وهو يوقع على الرسالة. كانت الساعة توشك على الحادية عشرة وخلال قليل سوف يحل محل ترافلر الذى يقوم بالخدمة فى الدور الثالث. تناول كوبا آخر، وأعاد قراءة الخطاب ثم أغلق الظرف. كم كان يود أن تكتب له، فالتليفون هو عبارة عن جهاز مثير للبلبلة فى يد جيكربتين، إذ لم تكن تفهم شيئا مما يُقَال لها.

أطفئت أنوار الصيدلية فى السراى الكائن على اليسار. ظهرت تاليتا فى الحوش، وأغلقت الباب بالمفتاح (كانت ترى جيدا فى ضوء السماء الحارة المرصعة بالنجوم) اقتربت من النافورة وهى مترددة. صفر لها أوليڤيرا بصوت منخفض لكن تاليتا واصلت تأملها للمياة التى تخرج من النافورة لدرجة أنها قربت أحد أصابعها وتركته

54

هنيهة فى الماء. وبعد ذلك عبرت الحوش ووَطِئَت الحجلة دون اتباع نظام معين ثم اختفت تحت نافذة أوليڤيرا.

كان كل شئ يشبه تحليلا ما يوجد فى لوحات ليونورا كاريتجتو-Leonora Carington [1] فهناك الليلة مع تاليتا، والحجلة وتقاطع الخطوط، التى تتجاهل بعضها والماء الذى يخرج من النافورة. وعندما خرج الهيكل الوردى من مكان ما واقترب من الحجلة ببطء، دون أن يجرؤ على الوقوف فوقها، أدرك أوليڤيرا أن كل شئ يأخذ النظام المعهود وأن الفرد الذى يرتدى اللون الوردى سوف يختار قطعة حجر مسطحة من تلك الحجارة الكثيرة التى جمعها رقم 8 ووضعها على حافة حوض الزهور. وأن لاماجا، لماذا كانت لاماجا؟ سوف تثنى رجلها اليسرى وتقوم بدفع الحجر إلى أول مربع بواسطة سن حذائها. كان يرى شعر لاماجا وهو فى النافذة، فهناك زوايا الأكتاف، وكيف كانت ترفع ذراعيها قليلا لتحافظ على توازنها، وفى الوقت نفسه تدخل المربع الأول من خلال قفزات قصيرة. ثم تدفع الحجر نحو المربع الثانى (ارتعد أوليڤيرا قليلا لأن الحجر كان على وشك أن يخرج من الحجلة، ولعدم استواء البلاط توقف الحجر عند أقصى حدود المربع الثانى) دخلت بخفة وبقيت ساكنة لثانيه وكأنها طائر الفلامنك الوردى اللون وهو يقف بين الظلمة والنور، وهذا قبل أن تتقدم برجلها ببطء نحو الحجر وتحدد المسافة اللازمة لتجعله يدخل فى المربع الثالث.

رفعت تاليتا رأسها ورأت أوليڤيرا فى النافذة، تأخرت بعض الشئ فى التعرف عليه، بينما كانت تتأرجح وهى تقف على رجل واحدة وكأنها تمسك نفسها فى الهواء بتوازن ذراعيها. كان ينظر إليها بعدم سعادة وبشكل ساخر وعندئذ عرف خطأه ورأى ان اللون الوردى ليس ورديا وأن تاليتا كانت ترتدى بلوزة لونها رصاصى غامق وجونلة ربما بيضاء اللون .

ويمكن القول بأن كل شئ اتضح: لقد دخلت تاليتا ثم عادت من جديد وقد جذبت الحجلة انتباهها كما أن هذا الفاصل الذى لم يستغرق ثانية بين الدخول والخروج كان كافيا لخداعه مثل تلك الليلة عندما كان على مقدمة السفينة وربما حدث ذلك مرات عديدة. لم يكد يجيب على إشاره تاليتا التى نظرت إلى الأرض وهى تركز وتحسب المسافة فخرج الحجر بقوة من المربع الثانى ليدخل المربع الثالث ثم تستقيم قامتها وتستدير لتصبح فى منظور بروفيل وتخرج من الحجلة مسافة بلاطة أو اثنتين.

54

– قال أوليڤيرا :

– لابد وأن تتدربى أكثر إذا ما أردت أن تكسبى رقم **8**.

– ماذا تفعل عندك؟

– الجو حار. وعلىّ أن أتولى الخدمة الليلية فى الحادية عشرة والنصف مساء. إنه التواصل.

– قالت تاليتا :

– آه - يالها من ليلة.

- قال أوليڤيرا :

– ساحرة، ضحكت تاليتا ضحكة قصيرة قبل أن تختفى تحت الباب. سمعها أوليڤيرا وهى تصعد السلم وتمر أمام بابه (لكن ربما كانت تستخدم المصعد) وتصل إلى الدور الثالث «أقر بأنها تشبهها كثيرا» فكرّ. «ومن خلال هذا وكذلك البلاهة التى عليها يتضح كل شئ تماما» لكنه ظل هنيهة يتأمل الحوش. وكانت الحجلة خالية وكأن تلك وسيلة إقناع. وفى الحادية عشرة وعشر دقائق جاء ترافلر للبحث عنه وسلمه التقرير. كان رقم **5** غير هادئ للغاية. ويجب إبلاغ أوبيخيرو إذا ما تدهورت حالته. أما الباقون فهم نائمون.

كان الدور الثالث يشبه القفاز، كما هدأ رقم ٥ وقَبِل سيجارةً، وقام بتدخينها وبين لأوليڤيرا أن تأخر الناشرين اليهود أدى إلى تأخر نشر عمله العظيم حول الطائرات الورقية. ووعده بنسخة من الكتاب وإهداءه. ترك أوليڤيرا له باب الحجرة مواربا؛ فهو يعرف عاداته السيئة وأخذ يروح ويغدو فى الطرقة، وأخذ ينظر بين الحين والآخر من العيون السحرية التى تم تركيبها بفضل دهاء أوبيخيرو والمدير الإدارى وشركة **Liber and Finkel**: فلكل حجرة هناك **Van Eyck** ما عدا حجرة المريضة رقم **14**؛ إذ قامت بلصق ورقة على فتحة العين. وفى الثانية عشرة وصل ريمورينو وقد شرب ثلاثة من كؤوس الجن. دون أن تذهب بعقله كلية. تحدث عن الخيل وكرة القدم. كان رقم **5** قد هدأ تماما وأخذ الحرّ يضغط بقوة فى الممشى الذى يلّفه الصمت وشبه الظلمة. لم يخطر على بال أوليڤيرا أبدا حتى هذه اللحظة أن أحدا قد يحاول قتله. لكن كان كافيا وجود رسم فورى، وتصوّر إجمالى مثير الرعب، حتى يدرك أنها ليست فكرة جديدة وأنها لم تكن ناجمة عن الجو العام فى الطرُقة وأبواب الحجرات المغلقة وظل كابينة الأسانسير فى آخر الدهليز. كان يمكن أن تخطر له هذه الفكرة فى منتصف النهار

54

وهو فى محل روك Roque أو فى Subte فى الخامسة بعد الظهر.. أو قبل ذلك بوقت طويل، أى فى أوربا وأثناء التجوال فى المناطق المفتوحة والأراضى البور، خارج المدن، حيث كان من الممكن استخدام حافة إحدى العلب التى تكفى لقطع الرقبة، إذا ما توفرت النية لدى الطرفين. توقف عند الفتحة التى بها المصعد، ونظر إلى الفتحة المظلمة وفكرّ فى حقول فيليجريوس[٢] مرة أخرى عند المدخل. كان الموقف فى السيرك مختلفا، فهناك الفتحة إلى أعلى وعلى اتصال بالفضاء الذى يلفّها ها هو الآن على حافة البئر، وحفرة إيوليسس Eleusis فالعيادة التى لفها الضباب والحرّ تشير إلى الجانب السلبى وإلى الأبخرة الكبريتية أى إلى الهبوط. وعندما استدار رأى الخط المستقيم الذى عليه الطرقة حتى النهاية يلفها الضوء الخافت الصادر عن اللمبات ذات اللون البنفسجى الموضوعة فوق أُطر الأبواب. قام أوليڤيرا بتصرّف أبله: فقد دفع رجله اليسرى وأخذ يمشى قفزا برجل واحدة فى الطرقة حتى وصل إلى أول باب، وعندما عاد ووضع رجله اليسرى على الخط الأخضر كان يتصبب عرقا. وفى كل قفزة يقوم بها ينطق باسم مانو من بين أسنانه.

«التفكير فى أننى كنت فى إنتظار العبور» قال لنفسه وهو يستند على الحائط. من المستحيل أن تتسم بداية خيوط التفكير بالموضوعية، دون أن يرى ذلك على أنه فظاظة. العبور، على سبيل المثال. التفكير فى أنه كان ينتظر. ينتظر العبور، ترك نفسه ينزلق حتى جلس على الأرض وأمعن النظر فى مُشمع الأرضية. العبور إلى ماذا؟ ولماذا يجب أن تكون المصحة نقطة عبور؟ أى نوع من المعابد كان فى حاجة إليها وأى نوع من الشفعاء وأى هرمونات نفسية أو أخلاقية تذهب به إلى داخل نفسه أو خارجها؟

عندما وصلت تاليتا وهى تحمل كوبا من عصير الليمون (أفكارها تلك، ذلك الجانب الأستاذى للعمال ونقطة اللبن Gota de leche) تحدث معها فى الموضوع مباشرة. لم تكن تاليتا تشعر بالمفاجأة لأى شئ. جلست أمامه وأخذت تنظر إليه وهو يشرب الليموناده دفعة واحدة.

– سوف تصاب كوكا بهستيريا لورأتنا هكذا جالسين. يالها من طريقة للقيام بالحراسة هل هم نائمون؟

– نعم . أعتقد. المريضة رقم 14 أغلقت العين السحرية، ولا أحد يعرف ما الذى

تفعله. أشعر بشئ ما لا أعرف ماهيته لو فتحت عليها الباب.

– قالت تاليتا :

– إنك الحساسية نفسها لكن عندما أفعل ذلك فسوف يكون من امرأة لأمرأة ... عادت بعد هنيهة قصيرة وجلست هذه المرة إلى جوار أوليڤيرا لتسند ظهرها للحائط.

– إنها مستغرقة فى النوم. مرّ مانو المسكين بكابوس مزعج، ويحدث نفس الشئ دائما إذ يعود للنوم لكننى أصاب بتوتر وأنهض من السرير، خطر لى أنك تعانى من الحرّ أنت وريموريينو، وعندئذ أعدد لكما الليمونادة. ياله من صيف. أضف إلى ذلك تلك الحوائط التى تحول دون مرور الهواء. الأمر هو أننى أشبه تلك المرأة الأخرى.

– قال أوليڤيرا :

– نعم بعض الشئ لكن ليس لهذا أى أهمية وما يروق لى أن أعرفه هو أنه لماذا رأيتك ترتدين اللون الوردى.

– إنه تأثير الجو المحيط بنا الذى أضفيته على الآخرين.

– نعم، هذا هو الطريق الأسهل وكل شئ فى مكانه. وأنت لماذا لعبت الحجلة؟ هل أضفيت ذلك على نفسك؟

– قالت تاليتا :

– الحق معك لماذا لعبت الحجلة؟ بالنسبة لى، أنا لم أعجب مطلقا بالحجلة، لكن لا تضع واحدة من نظرياتك الخاصة بالملكية فأنا لست **Zambie** لأحد.

– لست هناك حاجة لقول ذلك بصوت مرتفع.

– كررت تاليتا بصوت منخفض :

– لأحد ـ رأيت الحجلة عند الدخول، وكان هناك حجر صغير ... لعبت ثم غادرت.

– لقد خسرت عند المربع الثالث. كان من الممكن أن يحدث نفس الشئ لماجا فهى غير قادرة على الصمود، وليس لديها حسّ بالمسافات، فالزمن يمزق تلك المسافات بين يديها. إنها تتعثر مع الدنيا. وبفضل ذلك ـ أقولها لك على الهامش ـ فهى فى غاية الكمال فيما يتعلق بإدانتها للكمال الزائف عند الآخرين. لكننى كنت أتحدث معك عن الأسانسير، على ما أعتقد.

– نعم وصفت شيئا ثم شربت الليموناده. لا. انتظر لقد شربت الليموناده قبل ذلك.

– ربما وصفت نفسى بأننى غير سعيد، فعندما وصلت كنت مستغرقا فى مرحلة

54

الشامانية Shamanico وكنت على وشك الإلقاء بنفسى فى الفتحة للخلاص من التخمينات، إنها كلمة ملساء.

– قالت تاليتا :

– الفتحة تنتهى فى البدروم وهناك الصراصير إذا ما كنت مهتما بمعرفة ذلك، وهناك خرق بالية من ألوان مختلفة ملقاة على الأرض. وكل شئ تملؤه الرطوبة ويكسوه اللون الأسود. لقد حكى لى مانو ذلك.

– هل هو نائم؟

– نعم، مرّ بكابوس. قال شيئا عن رابطة عنق مفقودة. لقد قصصتُ عليك هذا.

– قال أوليفيرا وهو ينظر إليها ببطء :

– إنها ليلة الاعترافات الكبرى .

– قالت تاليتا :

– كبيرة جدا لاماجا لم تكن إلا اسما فقط. والآن لديك وجه، لكنك لازلت تخطئ فى لون الملابس على ما يبدو.

– الملابس لا أهمية كبرى لها. وعندما أراها من جديد فستكون قد غيرت الملابس. سوف تكون عريانة أو أنها تشير وهى تحمل ابنها على ذراعيها وتغنى له «عشاق هافر Amantes de Havre. إنها أغنية لا تعرفينها.

– قالت تاليتا :

– لا تتصور ذلك لقد أذيعت مرات عديدة فى راديو بلجرانوBelgrano لا، لا، لا، لا، لا، لا...

وجه أوليڤيرا لكمة ضعيفة تحولت إلى مداعبة باليد. مالت تاليتا برأسها إلى الخلف فاصطدمت رأسها بحائط الطرقة. قطبت جبينها وأخذت تدعك مكان الارتطام ومع ذلك ظلت تترنم. سُمع صوت كليك، وبعد ذلك سمع أزيز بدا أنه أزرق فى الجو شبه المظلم للطرقة. سمعا صوت المصعد وهو يتجه إلى أعلى. لم يكادا يتبادلا النظرات قبل نهوضهما فجأة. من يمكن أن يكون فى مثل هذه الساعة ... كليك، المرور بالدور الأول ثم الأزيز الأزرق. تراجعت تاليتا ووقفت خلف أوليڤيرا. كليك. كان المريض الذى يرتدى البيجامة الوردية واضح الملامح فى الكابينة ذات الزجاج المحمّى بشبكة معدنية. هَرْوَلَ أوليڤيرا نحو المصعد وفتح الباب خرجت دفعة هواء باردة بعض الشئ. نظر العجوز وكأنه لا يعرفه، وظل يداعب الحمامة. كان من السهل إدراك أن الحمامة كانت بيضاء

54

ذات مرة وأن المداعبة المستمرة التى يقوم بها العجوز جعلت ظهرها يكتسى باللون الرمادى الغامق. كانت ساكنة وعينيها مغمضتين وترتاح فى راحة اليد التى كانت تقبض عليها عند الصدر. بينما تطوف الأصابع من الرقبة حتى الذيل.

– قال أوليڤيرا وهو يتنفس بقوة :

– عليك أن تذهب إلى سريرك يا سيد لويث .

– قال السيد لويث :

– الجو حار فى السرير انظر إلى الحمامة كم هى سعيدة عندما آخذها فى جوله.

– الوقت متأخر جدا، اذهب إلى حجرتك.

– سوف آتيك بكوب من عصير الليمون البارد ـ وعدت تاليتا **Nightingale**(٣) داعب السيد لويث الحمامة وخرج من المصعد سمعاه وهو يهبط على السلم.

– همهم أوليڤيرا وهو يغلق باب المصعد :

– كل واحد هنا يفعل ما يريد.. سوف تحدث هنا مجزرة عامة. إننى أشم رائحتها، ماذا تريدين أن أقول. هذه الحمامة بدت كأنها مسدس

– يجب إبلاغ ريمورينو. لقد جاء العجوز من البدروم، وهذا أمر غريب.

– انتظرى ـ امكثى هنا بعض الوقت للمراقبة أما أنا فسوف أنزل لأرى، فقد يكون هناك من يقوم بتدبير شئ.

– أنزل معك.

– حسن، هؤلاء ينامون فى هدوء.

كان الضوء أزرق داخل المصعد وكان يهبط وكأنه آلة من مبتكرات الخيال العلمى. لم يكن فى البدروم أىٌ من الأحياء. لكن كان أحد أبواب الثلاجة مواربا ويخرج من فتحة المزلاج خيط من الضوء، توقفت تاليتا عند الباب وقد وضعت كفها على فمها بينما يقترب أوليڤيرا كان المريض رقم **56**؛ إنه يتذكر ذلك جيدا وكانت أسرته على وشك الوصول بين لحظة وأخرى. من بلدة تريلى **Trelew**. أثناء ذلك الوقت كان رقم **56** قد تلقى زيارة أحد الأصدقاء، ويمكن تصور طبيعة الحوار الذى دار مع العجوز الذى يحمل الحمامة. إنه ذلك الحوار المستعار الذى لا يُولى المتحدِّث إليه أى اهتمام بينما الآخر هناك فى المقدمة، سواء كان يتكلم أم لا، طالما أن هناك شيئا ما أو وجها أو رِجْلَين تبرزان من الثلج. والأمر هو مثلما كان يتحدث مع تاليتا ويقصّ عليها ما رآه وأنه كان خائفا وأخذ يتحدث طوال الوقت عن فتحات وانتقالات، سواء لتاليتا أو إلى

54

أى شئ آخر، سواء كان قدمين قد برزا من الثلج أو أى شئ آخر لديه القدرة الظاهرية على الاستماع والموافقة. وبينما يغلق باب الثلاجة وهو يستند على حافة الترابيزة، دون أن يدرى لماذا، أخذت تطفر على ذهنه ذكرى. فقال لنفسه إنه لم يكد يمضى يوم أو يومين ولم يجرؤ أن يقصّ أى شئ من ذلك على ترافلر. فلا يمكن للقرد أن يقص شيئا على الإنسان، وفجأة، دون معرفة السبب، سمع نفسه وهو يقول لتاليتا، وكأنها لاماجا، رغم أنه يعلم أنها ليست هى، شيئا عن الحجلة وعن الخوف فى الطرقة وعن الفتحة التى تثير الفضول (وكانت تاليتا خلفه هناك على بعد أربعة أمتار تنتظر). كان ذلك بمثابة نقطة النهاية واللجوء إلى شفقة الغير والعودة إلى الأسرة البشرية وسقوط الأسفنجة وارتطامها المنفّر، بمركز الحلبة، شعر أنه يذهب بعيدا عن نفسه ويترك نفسه ملقيا بها ـ ابن القحبة العاق ـ بين ذراعى المصالحة السهلة ومن هنا يكمن سر العودة السهلة إلى العالم وإلى الحياة الممكنة وإلى زَمَنٍ أعوامه هو، وإلى العقل الذى هو منار تصرفات الأرجنتيينى الطيبين والإنسانية بصفة عامة. كان فى عالمه الصغير، مرتاحا ومجمدا، لكن لم تكن هناك أية إيوريديس[٤] **Euridice** يبحث عنها، اللهم إلا **Hades** نزوله بالمصعد وبينما يقوم الآن بفتح إحدى الثلاجات ويأخذ زجاجة بيرة فقد أصبح حجرا حرًّا صالحا لأى شئ طالما كانت الغاية الانتهاء من هذه الملهاة.

– تعالى لتتناولى جرعة ـ دعا ـ انها أفضل بكثير من كوب الليموناده.

تقدمت تاليتا خطوة ثم توقفت.

– قالت :

– لا تنتهك حرمة القبور لنخرج من هنا.

– إنه المكان الوحيد الرطب، وعليك الاعتراف بهذا. أعتقد أننى سوف آت إلى هنا بسرير نَقّال.

– قالت تاليتا وهى تقترب منه :

– إن وجهك شاحب من البرد تعال، لا يطيب لى أن تبقى هكذا.

– ألا يروق لك؟ لن يخرجوا من مكانهم ليأكلونى فالذين هم فى الأداور العليا أسوأ.

– كررت تاليتا :

– تعال يا أوراثيو لا أريد أن تبقى هنا.

– أنت .... قال أوليفيرا وهو ينظر إليها بغضب وتوقف عن الكلام ليفتح البيرة بضربة يد على حافة الترابيزة. إنه يرى بوضوح الطريق العام تحت المطر. لكن لابد من

54

أن يتأبط ذراعه أحد ويتحدث إليه بأسى، فإنهم يحملونه هو وقد قدموا له أذرعتهم على سبيل الشفقة، وتحدثوا معه حتى أدخلوا عليه السعادة. كانوا يشفقون عليه كثيرا لدرجة أنها شئ ممتع للغاية لقد انقلب الماضى، وتغير اتجاهه وسوف يتضح فى النهاية أن الرحمة لا تقضى على المرء. هذه المرأة التى قالت رأيها فى الحجلة تشعر بالأسى من أجله. كان من الواضح أنه يَحُرَق.

– قالت تاليتا :

– يمكننا مواصلة الحوار فى الدور الثانى هات الزجاجة لأشرب منها قليلا.

– قال أوليڤيرا :

– نعم يا سيدتى، حسن يا مدام.

– وأخيرا تنطق شيئا بالفرنسية. لقد اعتقدت أنا ومانو أنك قطعت على نفسك عهدا لن تتحدث مطلقا ...

– قال أوليڤيرا :

– كفى لقد تملكت منى أيتها الصغيرة.إن سيلين **Céline** على حق. نعتقد أننا نرى المشكلة صغيرة، لكنها ضخمة ومتغلغلة.

نظرت إليه تاليتا نظرة من لايفهمون، لكن يدها ارتفعت دون أن تشعر بها واستندت لحظة على صدر أوليڤيرا. وعندما رفعت يدها عن صدره، أخذ ينظر إليها وكأنه ينظر إلى شئ من أسفل إلى أعلى بعينين آتيتين من مكان آخر.

– قال أوليڤيرا لواحدة لم تكن هى تاليتا :

– عليك أن تعرفى عليك أن تعرفى أنك التى بصقت علىّ بشفقتك هذه الليلة. هيّا لتعرفى أنه لا يجب البكاء بسبب الحب إلا إذا مُلئت أربعة أو خمسة أحواض. فإما أن تمليئها بكاء أو تبكى هى عليك.

أدارت له تاليتا ظهرها واتجهت نحو الباب. وعندما توقفت لانتظاره كانت تنتابها الحيرة فهى فى حاجة لانتظاره، فالابتعاد عنه هذه اللحظة، بمثابة التخلىّ عنه وتركه ليسقط فى البئر (الملئ بالصراصير والخرق الملونة) ورأت أنه كان يبتسم، لكن لم تكن الابتسامه لها. لم تره أبدا يبتسم هكذا، تبدو كل علامات التعاسة ومع ذلك فوجهه فيه طلاقة، فى مواجهتها، وبدون ملمح السخرية المعتاد فيه، عندما يقبل شيئا. لابد وأنه أت له من مركز الحياة، أى من ذلك البئر الآخر (هل فيه صراصير وخرق ملونة ووجه يطفو فوق سطح مياة آسنة؟) وأخذ يقترب منها وهو فى وضع قبول ذلك الشئ الذى لا اسم

54

له والذى يثير ضحكة. كما أن قبلته لم تكن لها، فلم يكن ذلك يحدث هكذا بهذه الطريقة الفظة إلى جوار ثلاجة مليئة بالموتى وعلى مسافة قريبة جدا من مينو المستغرق فى النوم كان الأمر بمثابة أن كل واحد بلغ الآخر من مكان آخر بواسطة جزء منهما. لكن الأمر أنه ليس منهما وكأنهما يدفعان أو يقبضان شيئا عنّا، وكأنهما أبطال الأسطورة اليهودية(٥) golems فى لقاء مستحيل بين ملاكهما. وبالنسبة لـ Campos Flegreos.

وما تحدث عنه أوراثيو بشأن الهبوط، وهى فكرة غير عقلانية على الإطلاق لدرجة أن مانو ومن يشاركونه الرأى، لم يكونوا ليجرؤا على المشاركة فى مثل هذا؛ لأن الذى بدأ فى هذا المكان كان نوعا من مداعبة الحمامة. أو كفكرة النهوض لإعداد كوب عصير ليمون لحارسة أو ثَنْى الرِّجل وضرب مجر صغير بالرجل الأخرى بحيث ينتقل من المربع الأول إلى المربع الثانى ومن الثانى إلى الثالث. لقد دخلا فى شئ آخر بطريقة أو بأخرى، أى فى ذلك الشئ حيث يمكن أن يكون المرء مرتديا اللون الرمادى أو اللون الوردى. حيث يمكن أن يكون قد مات غرقا فى نهر (وهذا ما كانت تفكر فيه) وأن تطّل على الليلة فى بوينوس أيرس لتكرر من خلال الحجلة نفس صورة ما انتهيا إليه، أى المربع الأخير أى مركز الماندالا la mandalc، والجودراسيل (شجرة العالم (٦) Ygdrassil القوية حيث يؤدى الطريق إلى شاطئ مفتوح لا تحده مسافات، أى إلى العالم الذى يستكن تحت الأهداب وإذا ما نظرت العيون إلى الداخل سوف تتعرف عليه وتسلّم به.

(–129)

55

لكن ترافلر يَنَمْ، فبعد محاولة أو محاولتين أخذ النوم يداعبه، وفى النهاية جلس فى سريره وأشعْل النور. لم تكن تاليتا هناك، إنها من النوع الذى يسير وهو نائم، إنها تلك الفراشة النحيفة كبيرة الأجنحة. تناول ترافلر كوبا من الكانيا وارتدى جاكتة البيجامة. بدا ان الكرسى المصنوع من الخيزران أكثر رطوبة من السرير. وكانت الليلة طيبة تبعث على القراءة. ومن حين لآخر يسمع صوت خطوات فى الطرقة. فأطل ترافلر مرتين من خلال الباب المؤدى إلى جناح الإدارة. لم يكن هناك أحد حتى فى ذلك الجناح، فتاليتا لابد أنها ذهبت للعمل فى الصيدلية. شئ غريب تحمسّها للانخراط مرة أخرى فى دائرة العلم والموازين الصغيرة والأدوية مضادات الحميّات. جلس يقرأ بعض الوقت ويتناول بعض كؤوس الكانيا. وعلى أى الأحوال كان من الغريب ألا تكون تاليتا قد عادت من الصيدلية. وعندما عادت للظهور، وكأنها شبح مفزع، كانت زجاجة الكانيا قد أوشكت على الانتهاء وبالتالى لم يكن مهما فى نظر ترافلر أنه قد رآها أو لم يرها. تحدث بعض الوقت عن كثيرٍ من الأشياء، بينما تقوم تاليتا بنشر قميص داخلى حريمى، وبعض النظريات المختلفة - من تلك التى يقبل بها ترافلر وخاصة وهو فى مثل هذه الحالة. وبعد ذلك نامت تاليتا مستلقية على ظهرها لكن نومها كان غير هادئ يقطعه حركة مفاجئة لليدين وأنين. يحدث نفس الشئ دائما، فالنوم لا يداعب جفون ترافلر عندما لا تكون تاليتا هادئة، لكن يغالبه التعب فتستيقظ هى وتعود إلى وعيها تماما. ذلك لأنه كان يحتج أو يتحرك أثناء نومه. وهكذا يقضيان الليل وكأنها عملية صعود وهبوط. وحتى يزيد الطين بلة ظل النور مضاء، وكان الوصول إلى مفتاح النور أمرا معقداً وانتهى الأمر بأن استيقظ كلاهما. وعندئذ أطفأت تاليتا النور وإحتضنت ترافلر بعض الشئ فقد كان يتصبب عرقا ويتقلب.

– قالت تاليتا :

– لقد رأى أوراثيو لاماجا هذه الليلة رآها فى الحوش منذ ساعتين، عندما كنت تقوم بالحراسة.

– قال ترافلر وهو يتمطى ويحاول البحث عن السجائر على طريقة برايل :

– آه، ثم عقب بعبارة غامضة استقاها من آخر ما قرأ.

– قالت تاليتا وهى تزيد احتضانها لترافلر :

– كنت أنا لاماجا لست أدرى فيما إذا كنت قد أخذت بالك.

– نعم، أعتقد ذلك.

55

– كان لابد وأن يحدث ذات يوم. الأمر الذى أستغربه هو أنه شعر بمفاجأة ما بعدها مفاجأة لهذا اللَّبس.

تعرف أن أوراثيو يخلق المتاعب ثم ينظر إليها مثلما ينظر الكلاب الصغار إلى روثهم ويطيلون النظر إليه باستغراب شديد.

– قالت تاليتا :

– أعتقد أن ذلك حدث فى نفس اليوم الذى ذهبنا لاستقباله فى الميناء لا يمكن تفسير ذلك، لأنه لم ينظر إلىّ، كما قمتما بطردى وكأننى كلب، وأنا أحمل القط تحت إبطى.

تفوّه ترافلر بشئ غير واضح.

كان ترافلر يسمعها وهى تتحدث، وتشير، مثل باقى النساء، إلى الشؤم وحتمية الأمور التى لا مناص منها. كم كان يَودّ لو أنها سكتت، لكن تاليتا كانت تصر على الكلام بإلحاح غريب، وتزيد من التصاقها به وتصرّ على مواصلة الكلام، بأن تتحدث عن نفسها وأن تحكى له. فانساق وراءها ترافلر.

– أول شئ هو مجئ العجوز صاحب الحمامة، وبعد ذلك نزلنا إلى البدروم. كان أوراثيو يتحدث طوال الوقت عن الهبوط وعن تلك الفجوات التى تقلقه. كان فاقد الأمل يا مانو. كان ما عليه من هدوء ظاهرى أمرا مخيفا وأثناء ذلك ... نزلنا بالمصعد وذهب هو ليغلق باب واحدة من الثلاجات. كان شيئا فظيعا.

– كان مختلفا ـ قالت تاليتا ـ لم يكن الأمر مثل النزول. كنا نتحدث، لكننى شعرت وكأن أوراثيو أصبح فى مكان آخر، ويتحدث مع واحدة أخرى، مع امرأة غريقة على سبيل المثال. يخطر لى الآن ذلك ومع هذا لم يقل حتى ذلك الحين أن لاماجا غرقت فى النهر.

– قال ترافلر :

– لم تغرق فى أى شئ أقول هذا، ورغم ذلك أقبل بأننى ليست لدّى أدنى فكرة. يكفى أن أعرف أوراثيو.

– إنه يظن أنها ميتة يا مونو، وفى الوقت نفسه يشعر بأنها قريبة منه. وهذه الليلة كنت أنا هى، قال لى وكأنما يتحدث فى المركب وتحت كوبرى طريق/ سان مارتين ...

إنه لا يقول ذلك وكأنما يتحدث عن هذيان كما لا يبغى من وراء ذلك أن يجعلك تصدق ما يقول إنه يقول ليس إلا، وهذا حقيقى. هناك شئ. فعندما أغلق باب الثلاجة

55

كنت خائفة - وقلت شيئا لا أدرى، فأخذ ينظر إلىّ، وكانت النظرة موجهة إلى الأخرى. فأنا لست Zombie لأى أحد يا مانو، ولا أريد أن أكونه. مسح ترافلر على شعرها لكن تاليتا منعته وقد فقدت صبرها. جلست فى السرير وشَعر بِها وهى ترتعد. ترتعد وسط هذا الحرّ. قالت له إن أوراثيو قبلّها وحاولت شرح القبلة ولما لم تجد الكلمات المناسبة أخذت تلمس ترافلر فى الظلام. سقطت يديها وكأنهما فرقتان على وجهه وعلى ذراعيه وانزلقتا على صدره واتكأتا على ركبتيه ومن خلال كل ذلك ولد شئ كأنه تفسير لم يكن بوسع ترافلر رفضه. إنه نوع من العدوى يأتى من بعيد، أى من مكان سحيق أو من أعلى مكان، أو من أى مكان آخر ليس هذه الليلة وهذه الحجرة، إنها عدوى من خلال تاليتا وهى عدوى تملك عليها لبُهّا، إنها نوع التلعثم وكأنه كلمات لا تترجم، إنه الشك فى أن المرء كان أمام شئ يمكن أن يكون بمثابة بيان، لكن الصوت الذى أتى به كان واهنا. وعندما نطق بالبيان أخذ يتحدث بلغة غير مفهومة، ومع كل هذا فهو الشئ الوحيد الضرورى الذى فى متناول اليد، وهو الذى يطالب بمعرفته وقبوله وهو يصارع ضد حائط إسفنجى أو من الدخان والفلين، لا يمكن القبض عليه باليد مع أنه يُقدِّم نفسه عريانا بين الذراعين لكنه كماء يجرى وسط الدموع.

«إنها القشرة العقلية الصلبة» بلغ التفكير بترافلر إلى هذا الحد. كان يسمع، بطريقة غامضة شيئا عن الخوف، وأوراثيو، والمصعد، والحمامة، بدأ يصل إلى مسامعه رويدا رويدا نظام اتصال، أى أن المسكين التعس كان يخشى على نفسه من قيام ترافلر بقتله. إنه لأمر مضحك.

– هل قال لك ذلك بالفعل؟ من الصعب تصديق ذلك. أنك تعرفين مدى كبرياءه.

– قالت تاليتا وهى تأخذ منه السيجار وتأخذ نفسا عميقا بشراهة كبطلات السينما:

– إنه شئ آخر أعتقد أن الخوف الذى يشعر به هو الملاذ الأخير، هو القضيب الذى تمسك به يداه قبل أن يلقى بنفسه. يشعر بسعادة غامرة لشعوره بالخوف هذه الليلة. أعرف أنه سعيد.

– قال ترافلر وهو يتنفس راقدا :

– ذلك الأمر قد لا تفهمه كوكا. تأكدى من ذلك وعلّى أن أكون شديد التفّهم للمواقف هذه الليلة فالخوف السعيد هو خوف عَسرِ البلع يا عجوزه.

انزلقت تاليتا بعض الشئ على السرير واستندت على ترافلر. كانت تعرف أنه عاد من جديد إلى الجانب الذى هى فيه وأنه لا يغرق وأنه أمسك بها على سطح المياة

55

كان هذا مؤسفا فى جوهر الأمر، لكنه أسف رائع. شعر كلاهما بالأسف فى لحظة وانزلقا كل فى إتجاه الآخر وكأنهما يسقطان داخل نفسيهما ، على الأرض المشتركة حيث الكلمات واللمسات والأفواه تتولى مهمة لفّهما مثل محيط الدائرة. إنه هذا النوع من الاستعارات التى تهدئ الروّع، إنه ذلك الحزن القديم الذى يشعر بالرضا لأنه عاد إلى ما كان عليه دوما، واستمر وحافظ على نفسه طافيا يقاوم الرياح والمدّ ويقف ضد الاستنجاد والسقوط.

56

من أين أتت له هذه العادة المتمثلة فى حفظه خيوطا فى جيبه وجمع خيوط ملونة ووضعها بين صفحات الكتب وصُنْع نماذج مختلفة من كل هذه الأشياء ومن صمغ الكثيراء. وبينما كان ضعف تلك الخيوط يجعله يشعر بسعادة بغيضة، وأقر بأن ذلك ممكن، مَنْ يدرى. لكن الشئ الوحيد المؤكد هو أن الفتْل والخيوط تدخلان عليه السعادة، وأن لا شئ أكثر إفادة من قيامه على سبيل المثال بصياغة هيكل له اثنا عشر مسطحاdodecaedro ضخم الحجم وشفّافا، وهذه مهمة معقدة وتستغرق ساعات طويلة وبعد ذلك يقوم المرء بإشعال عود كبريت ويرى كيف أن لهبا صغيرا يروح ويغدو بينما تفرك جيكربتين يديها وتقول إنه لأمر مخجل إحراق شئ جميل. كان من الصعب إفهامها أنه كلما كان الهيكل هشا وقابلا للتفكك، كان من السهل فكه وتركيبه. كان الخيط فى نظر أوليڤيرا المادة الوحيدة التى يقبلها ليقوم بصنع مخترعاته، ولم يستعمل السلك إلا قليلا عندما يعثر على قطعة منه فى الشارع أو على شئ من هذا القبيل. يروق له أن يتضمن كل عمل له أكبر مساحة من الفراغ الداخلى وأن يدخل الهواء ويخرج، وخاصة خروج الهواء. أشياء شبيهة بذلك كانت تحدث له مع الكتب والنساء والواجبات. لم يكن مقصده أن تدرك جيكربتين أو رئيس الكرادلة هذه الأمور.

بدأت عملية لف الخيط الأسود على مطرقة الباب بعد ذلك بساعتين؛ إذ قام أوليڤيرا قبل ذلك بإعداد بضعة أشياء فى القطعة التى يقوم بصنعها، وفى أشياء أخرى. كانت فكرة طشت الغسيل فكرة كلاسيكية ولم يشعر بأى فخر فى الانسياق ورآها، إلا أن وجود طشت غسيل ملئ بالمياة وموضوع على الأرض يمثل مجموعة من القيم الدفاعية شديدة الدقة: إنها ماركة Fanacal أو Tonsa فى الماء وكذلك الشراب الحريمى، ثم تخرج المياة من كل مكان بينما القدم يتأرجح داخل الشراب والشراب داخل الحذاء كأنه فأر يغرق، أو أحد الناس المساكين الذين يلقى بهم السلاطين فى البسفور فى شنطة تمت خياطتها (بالفتلة طبعا. ها هى الأمور تتلاقى من جديد وبالتالى كان من المسلى أن التقى الطشت الملئ بالمياة والخيوط من خلال نهاية التسلسل العقلّى، وليس من البداية. وهناك يتصوّر أوراثيو أن مسار التسلسل العقلى ليس من الضرورى أن (أ) يسير فى إطار الزمن الفعلى أى قبل وبعد،. (ب) وربما تم التسلسل العقلى ونحن غير واعين وانتقلت السلسلة من مفهوم الفتلة إلى الطشت ...) وعموما فإنه لا يكاد يقوم بتحليل بسيط للأمر إلا ويساوره شك فى الجبرية. وأفضل شئ هو التحصّن دون أن يولى اهتماما للأسباب أو الميول. وعلى أى الأحوال ما هى نقطة البدء أو الطشت؟

56

إذا ما كان الأمر يتعلق بالتنفيذ فهو الطشت، لكن تم اتخاذ قرار بشأن الفتلة قبل ذلك. لم يكن الأمر يستحق وخاصة عندما تكون الحياة معرّضة للخطر. كان الحصول على مجموعة الطشوت أكثر أهمية. استغرق النصف ساعة الأولى فى الاكتشاف الحذر للدور الثانى، وجزء من الدور الأرضى، حيث عاد منه وهو يحمل خمسة طشوت من الحجم المتوسط، ثلاثة مخصصة للبصق، وعلبة فارغة، من معلبات حلويات البطاطا، وكل ذلك تحت الاسم العام الطشت. كان المريض رقم **18** مستيقظا وأصر على مرافقة أوليڤيرا، الذى قبل العرض فى النهاية، لكنه عازم على مباعدته عندما تصل الدفاعات إلى درجة معينة وبالنسبة للخيوط كان رقم **18** مفيدا فلم يكد يبلغه بشئ عن الضرورات الاستراتيجية، أغمض، بعض الشئ، عينيه الخضراوين اللتين تشعان جمالا خبيثا وقال إن المريضة رقم **6** لديها أدراجا مليئة بالخيوط الملونة. والمشكلة الوحيدة تكمن فى أنها تقيم فى الدور الأرضى، فى جناج ريمورنيو. وإذا ما استيقظ هذا الأخير سوف تكون هناك مشكلة كبيرة. كما أن رقم **18** أصرّ على أن رقم **6** مجنونة وهذا ما يعقدّ محاولة الدخول إلى حجرتها. أغمض بعض الشئ عينيه الخضراوين اللتين تشعان جمالا خبيثا واقترح على أوليڤيرا أن يظل على قيامه بالحراسة فى الطرقة بينما يقوم هو بخلع حذائه، ويقوم بسرقة الخيوط. لكن الفكرة بدت لأوليڤيرا مبالغا فيها وتجاوز للحدود واختار أن يتولّى هو مسئولية دخوله حجرة المريضة رقم **6** فى هذه الساعة من الليل. كان مسليا للغاية التفكير فى المسئولية بينما يقوم بغزو حجرة فتاة تغط فى نومها وقد استلقت على ظهرها معرضة نفسها لكل المخاطر وقد امتلأت جيوبها ويديها ببكرات الخيوط الملونة والفتل. ألقى أوليڤيرا نظرة عليها للحظة وبعد ذلك هز كتفيه حتى يباعد عن نفسه قليلا شبح المسئولية. وبالنسبة للمريض رقم **18** الذى كان ينتظر فى حجرته وهو يتأمل الطشوت الموضوعة على السرير فقد بدا له أن أوليڤيرا لم يستطع أن يحصل على القدر الكافى من الفتل، أغمض بعض الشئ عينيه الخضراوين اللتين تشعان جمالا خبيثا، تصور أنه لكى تكتمل فعالية خطوات إعداد الدفاعات هناك حاجة إلى كمية مناسبة من الرولمان بلى و Heftpistale بدت فكرة الرولمان بلى طيبة فى نظر أوليڤيرا رغم أنه لم يتوفر لديه فكرة واضحة عن ماهيتها لكنه رفض فكرة الـHeftpistale من حيث المبدأ. فتح رقم **18** عينيه الخضراوين اللتين تشعان جمالا خبيثا وقال إن الـ Heftpistale ليس هو ما يفكر فيه الدكتور (كان يقول كلمة «دكتور» بالايقاع المناسب حتى يدرك من يسمع ذلك أن القصد هو السخرية) إلا

56

أنه، وقد رفض الفكرة، سيحاول الحصول على الرولمان بلى. تركه أوليڤيرا يذهب على أمل أن يعود فهو فى حاجة إلى الجلوس مع نفسه ـ سوف يستيقظ ريمورينو فى الثانية صباحا ليحل مَحَلّه، وكان لابد من التفكير فى شئ. فإذا لم يجده ريمورينو فى الطرقة سوف يذهب للبحث عنه فى حجرته وهذا لا يليق، إلا إذا كان الهدف هو إجراء أول تجربة على الدفاعات التى أهداها على شاطئه. رفض الفكرة لأن الدفاعات تم تصميمها على أساس نوعية معينة من الهجوم،كما أن ريمورينو سوف يدخل من منظور مختلف تماما. ها هو الآن يشعر بأن الخوف تزداد وطأته عليه (وعندما يزداد شعوره بالخوف ينظر إلى ساعة معصمه، ويزداد الخوف بتقدم الوقت) أخذ يدخن ويدرس الامكانيات الدفاعية للحجرة. وفى الثانية إلا عشر دقائق ذهب بنفسه ليوقظ ريمورينو. أعطاه تقريرا يعتبر جوهرة فهناك تعديل خفّى فى كشوف درجات الحرارة، ومواقيت تناول المهدئات وأعراض التسمم وأدوية الهضم للمرضى فى الدور الأول بحيث يقضى ريمورينو معظم وقت عمله معهم بينما المرضى فى الدور الثانى مستغرقون فى النوم طبقا للتقرير، وما هم فى حاجة إليه هو ألا يقضّ أحد مضجعهم أثناء الليل. أبدى ريمورينو اهتماما بمعرفة (دون رغبة شديدة) ما إذا كان هذا الاهتمام الزائد بالبعض وإهمال البعض الآخر هو بناء على تعليمات الدكتور أوبيخيرو، فكان ردّ أوليڤيرا عليه بكلمة نعم، بنغمة فيها نفاق يتسق مع الموقف. وبعد ذلك ذهب كل لحاله فى جو ودّى، وصعد ريمورينو دورا بينما يتثاءب أخذ أوليڤيرا يصعد دورين اثنين وهو يرتعد. لكنه لن يقبل أبدا مساعدة Heftpistale، والشكر له أنه وافق على الرولمان بلى.

حظى بلحظة هدوء لأن رقم **18** لم يأت بعد وكان لابد من البدء فى ملء الطشوت والمبصق وتجهيزها كخط دفاع أول، أى أنها خلف أول ساتر من الخيوط. (فهو خط لازال نظريا رغم أن الخطة محكمة. وأخذ يتمرّن على إمكانيات التقدم والسقوط المتوقع للخط الأول واستحكام الخط الثانى. وبين طشتين من المياة ملأ الحوض بالماء البارد ووضع وجهه ويديه وبللّ رقبته وشعره. وأخذ يدخن طوال الوقت، لكن لا يكاد يدخن نصف السيجارة حتى يلقى بها من النافذة ثم يشعل أخرى. كانت أعقاب السجائر تسقط فوق الحجلة، وفكرّ أوليڤيرا أنه من المسلّى أن تشع كل جذوة بعض الشئ على واحد من المربّات. فى مثل هذه الساعة خطر له أن يشكل نفسه بأفكار بعيدة عن الموضوع مثل ألا يقوم «الفتى الوسيم» بانفاق الأموال سدى، وأن تدوم ثروته إلى غير ذلك، كما كانت تسقط فوقه مِزَق من مادة عقلية هى شئ وسط بين المفهوم والشعور،

56

فإن أكبر خطأ ارتكبه ـ على سبيل المثال ـ هو التحصّن، وربما كان الشئ الوحيد غير الرصين، لكنه تجربة قد تكون ناجحة، تتمثل فى الهجوم وليس الدفاع، وفرض الحصار بدلا من الوقوف هناك، يرتعد ويدخن فى انتظار عودة رقم 18 ومعه الرولمان بلى. لكن استمر ذلك قليلا مثل السجائر، وأخذت يديه ترتعشان وهو يعرف أنه لم يتبق أمامه إلا ذلك. وفجأة تطفر على ذهنه ذكرى أخرى مثل الأمل، أو أن أحدا يقول بأن ساعات النوم والسهاد لم تنصهرا فى الواحدة، وبعد ذلك تأتى الابتسامة التى يستمع اليها وكأنها ليست ابتسامته، ولعثمة يظهر من خلالها ـ ولكن بطريقة معقدة ـ أن هذه الوحدة كانت شديدة البعد، وأن النوم لا يَعْد لهُا فى السهاد والعكس صحيح. إن عملية الهجوم على ترافلر، تعتبر أحسن وسيلة للدفاع. هذه إمكانية لكن ذلك يعنى قيامه بالهجوم على شيء يشعر به أنه كتلة سوداء. وأرض كان الناس ينامون فوقها، ولا يوجد أحد يتوقع أى هجوم عليه فى مثل هذه الساعة من الليل، ولأسباب غير قائمة لمفهوم الكتلة السوداء. وبينما كان يشعر بالأمر على هذا النحو، لم يسعد أوليفيرا برؤية الأمر على أساس الكتلة السوداء، وأن الشعور كان بمثابة كتلة سوداء. والسبب فى ذلك ليس الأرض التى ينام عليها ترافلر. لذلك كان من الأفضل البعد عن مصطلحات شديدة القتامة مثل الكتلة السواء، وأن يطلق عليها الأرض. فالمرء ينتهى به الأمر دائما للاستجابة لمشاعره. ويمكن القول أن الأراضى تبدأ عند باب حجرته، ومن غير المنصوح به الهجوم على الأراضى، حيث أصبحت أسباب الهجوم معروفة، أو أن هناك إمكانية لتخمينها من جانب الأرضى. أما إذا تحصّن فى حجرته وجاء ترافلر للهجوم عليه، فلا أحد يمكنه القول بأن ترافلر كان يجهل ما كان يقوم به، كما أن الذى تعرض للهجوم على دراية بالأمر وقد اتخذ تدابيره واحتياطياته والرولمان بلى، أيا كانت طبيعة هذه الأدوات الأخيرة.

يمكن الإفادة من الوقت بالبقاء فى النافذة والتدخين ودراسة مواقع الطشوت المملوءة بالمياة والخيوط ويفكر فى الوحدة الجيدة الإعداد لمواجهته الأراضى الخارجة عن نطاق الحجرة. كان ترافلر سيتألم دوما لعدم تمكنه من تكوين مفهوم عن هذه الوحدة التى أطلق عليها فى بعض الأحيان المركز. وأنه لعدم وجود إطار محدد تنحصر فى شكل صور مثل صورة الصرخة السوداء والكيبوتز الخاص بالرغبة (الذى ابتعد، إنه كيبوتز الفجر والنبيذ الأحمر) بما فى ذلك حياة جديرة بهذا الاسم (شعر بذلك وهو يلقى بعقب السيجارة على المربع رقم 5 فى الحجلة) وإلا لكان غير سعيد بالمدّة عندما

56

يتصوّر إمكانية وجود حياة أفضل بعد القيام بأعمال لا تليق، ونفذها بحذافيرها. لا يمكن التفكير فى شئ من ذلك، غير أنه ترك نفسه ينساق وراء الشعور بتقلصات المعدة والأراضى، والتنفس بعمق أو بتشنج، والعرق يسكر راحة اليد، واشعال السيجارة وضغط الأحشاء والعطش والصرخات الصامتة التى تنفجر فى الحجرة كأنها كتل سوداء (دائما ما كانت هناك كتلة سوداء فى تلك اللعبة)، والرغبة فى النوم، والخوف من النوم، والشغف، وصورة حمامة كانت بيضاء، وخرق ملونة فى عمق ما كان يمكن أن يكون مرحلة انتقالية، ونجم الشعرى فى العلا، وخيمة ثم كفى، تشى كفى من فضلك. لكن كان من الجيد الشعور العميق بالوجود هناك لبعض الوقت الغير القابل للقياس، دون التفكير فى شئ. اللهم إلا أن يكون ذلك الذى كان هناك وهو يحمل كماشة رشقتها فى المعدة. ذلك ضد الأرض، والسهاد ضد النوم. لكن يمكن القول: كان السهاد ضد النوم بمثابة العودة للدخول فى الجدلية، والتأكد من جديد أنه لا يوجد أى أمل فى الوحدة. وعلى ذلك فإن وصول رقم **18** وهو يحمل الرولمان بلى، كان بمثابة ذريعة رائعة لاستئناف التجهيزات الدفاعية فى الساعة الثالثة وعشرين دقيقة بالضبط تقريبا.

أغمض رقم **18** عينيه الخضروايين اللتين تشعان جمالا خبيثا، بعض الشئ وفك فوطة جلب فيها الرولمان بلى، وقال بأنه تلصّص على ريموورينو، وأن هذا الحيز كان مشغولا مع كل من رقم **31** ورقم **7** والمريضة رقم **45** وأنه لا يكاد يفكر فى الصعود إلى الدور الثانى. وأغلب الظن أن المرضى قاوموا وعبّروا عن سخطهم للمستجدات الخاصة بالعيادة، والتى يحاول ريموورينو تطبيقها عليهم، كما أن توزيع الحبوب أو الحقن سوف يستغرق وقتا معقولا. بدا من الجيد عدم تضيع الوقت، وبعد أن قال لرقم **18** أن يجهز الرولمان بلى بالشكل المناسب أخذ يتدرب على فعالية الطشوت المليئة بالماء ولذلك ذهب إلى الطرق وقد تغلب على خوفه وأصبح تحت الضوء البنفسجى ثم عاد للدخول وهو مغمض العينين وقد تصوّر أنه ترافلر وأخذ يحرك قدميه نحو الخارج كما يفعل ترافلر. وعند الخطوة الثانية (رغم أنه كان يعرف) وضع قدمه اليسرى فى أحد الطشوت المخصصة للبصق والمليئة بالمياة. وعندما أخرج رجله فجأة، طار الطشت فى الهواء ثم سقط لحسن الحظ على السرير ولم يحدث أى جلبة. عندئذ نهض فجأة رقم **18** الذى كان يقوم بتوزيع الرولمان بلى تحت المكتب وأغمض بعض الشئ عينيه الخضراوين اللتين تشعان جمالا خبيثا ونصح بالإكثار من الرولمان بلى بين خطى

الدفاع المكونين من الطشوت. وذلك بغية إكمال فكره المياه الباردة، والمفاجأة الناجمة عنها بامكانية تزحلق العذراء. ولم يتفوّه أوليڤيرا بشئ لكنه تركه يفعل ما يقول، وعندما وضع الطشت من جديد فى مكانه، وأخذ يلف فتلة سوداء على مطرقة الباب. وقام بمدّ هذه الفتلة حتى المكتب وربطها بظهر الكرسى. ثم وضع الكرسى على رجلين وقد أماله على المكتب بحيث عندما يفتح الباب يعود الكرسى إلى مكانه ويسقط على الأرض. خرج رقم **18** إلى الطُرَقة لاجراء التجربة وأمسك أوليڤيرا بالكرسى للحيلولة دون وقوع أى جلبة. أخذ يضيق بالتواجد الودىّ لرقم **18** الذى يقوم بين الحين والآخر باغماض عينيه الخضروابن اللتين يشع منهما جمال خبيث - بعض الشئ - والذى كان يريد أن يسرد عليه حكاية دخول العيادة. كان يكفى أن يضع أصبعه على فمه حتى يصمت، ويشعر بالخجل ويبقى مستندا على الحائط لمدة خمس دقائق. لكن أوليڤيرا أعطاه عددا من السجائر وطلب منه أن يعود دون أن يراه ريمورينو.

– قال رقم **18** :

– أنا سأبقى مع سيادتك يا دكتور .

– لا بل اذهب. سوف أجيد الدفاع.

– سوف تكون فى حاجة إلى Heftpistole. وقد قلتُ لك هذا . ضع خطاطيف فى كل مكان وهذا أفضل لربط وشد الخيوط.

– قال أوليڤيرا :

– سوف أحسن من هندامى أيها العجوز إذهب لتنام. وأنا شاكر لك كل ما فعلت.

– حسن يا دكتور، ليكن كل شئ على ما يرام.

– شاو، نوما هادئا.

– تأكد من الرولمان بلى حتى تؤدى عملها جيدا. اتركها فى مكانها وسوف ترى.

– موافق

– إذا ما كنت تريد الـ Heftpistale عليك إبلاغى؛ فرقم **16** عنده.

– شكرا، مع السلامة.

انتهى أوليڤيرا من وضع الخيوط فى الثالثة والنّصْف. وقد حمل رقم **18** الكلمات معه أو على الأقل ما يمكن أن يكون متمثلا فى تبادل النظرات بين اثنين، أو إعطاء الآخر سيجارة. أصبحت الحجرة شبه مظلمة فقد غطى لمبة المكتب بالبلوفر الأخضر الذى أخذ يشيط شيئا فشيئا. كان غريبا القيام بدور العنكبوت، بمدّ الخيوط من مكان

إلى آخر، من السرير إلى الباب ومن الحوض إلى الدولاب. وفى كل مرة يمد حوالى خمسة خيوط أو ستة، ويتلوى بحذر وعناية وذلك حتى لا يطأ الرولمان بلى. وفى النهاية سوف يكون محاصرا بين النافذة وجانب من المكتب (الذى يشغل ثمن الحائط من الناحية اليمنى) والسرير (الموضوع إلى جوار الحائط الأيسر). و فى النهاية الفاصلة بين الباب والخط الأخير ثم نشر الخيوط التحذيرية (من مقبض الباب حتى الكرسى الموضوع بشكل مائل. ومن مقبض الباب إلى طفاية تحمل دعاية فاتح الشهية الكحولى «مارتينى» على حافة الحوض. ومن مقبض الباب فى اتجاه أحد أدراج الدولاب الملئ بالكتب والأوراق ممسكا بالحافة). أما الطشوت المليئة بالماء فقد وضعت فى خطين دفاعيين غير منتظمين لكنها تبدأ عامة من الحائط الأيسر إلى الحائط الأيمن، أى ابتداء من الحوض حتى الدولاب. هذا بالنسبة للخط الأول. ومن أرجل السرير حتى أرجل المكتب فيما يتعلق الخط الثانى. ولم يكد يتبقى إلا مترا واحدا خاليا بين الصف الأخير للطشوت الذى مدّت فوقه خيوط كثيرة، وبين الحائط الذى توجد فيه النافذة المطلّة على الحوض (الواقع أسفل هذا الارتقاع بدورين). جلس أوليڤيرا على حافة السرير وأشعل سيجارة أخرى وأخذ يتطلع من النافذة. وفى لحظة معينة نزع قميصه ووضعه تحت المكتب. ها هو الآن لا يستطيع أن يشرب رغم ما قد يشعر به من عطش. ظل على هذا الحال مُرْتَديا الفانلة يُدَخّن ويتطلع من خلال النافذة لكن اهتمامة مركز فى الأساس على الباب رغم أنه قد يتلّهى بين الحين والآخر عندما يلقى بعقب السيجارة على الحجلة. لم يكن الوضع الذى عليه سيئا للغاية رغم أن حافة المكتب صلبة، كما أن رائحة الشياط تُشعر بالتقززّ. انتهى به الأمر إلى إطفاء اللمبة، ورويدا رويدا، رأى خطا بنفسجيا يرتسم على حافة الباب، أى أنه عندما يصل ترافلر إلى الباب فإن الشبشب الذى ينتعله سوف يقطع الخط البنفسجى إلى قسمين وهذه سوف تكون إشارة غير إرادية إلى بدء الهجوم. وعندما يفتح ترافلر الباب سوف تحدث عدة أشياء، ويمكن أن تحدث أشياء أخرى كثيرة. فأول هذه الأحداث ميكانيكية ومؤثرة تأثيرا سيئا وذلك فى إطار العلاقة البلهاء بين السبب والمسبب، من الكّرسى إلى الخيط ومن مقبض الباب إلى اليد ومن اليد إلى الإرادة ومن الإرادة إلى ... ومن هناك يتم الانتقال إلى الأشياء الأخرى التى قد تقع أولا تقع، وذلك طبقا لدرجة ارتطام الكرسى بالأرض وتحطم طفاية السجائر إلى خمس أو ست قطع وسقوط الدرج من

56

الدولاب، وكل ذلك سوف يكون له انعكاسه بدرجة ما على ترافلر، وحتى على أوليڤيرا نفسه الذى يقوم الآن باشعال سيجارة جديدة مستخدما عقب السيجارة التى انتهى من تدخينها، ثم يلقى العقب بحيث يسقط فى المربع التاسع لكنه يراه يسقط فى المربع الثامن ثم ينتقل إلى السابع. وقد حانت الآن ساعة مساءلته لنفسه ما الذى سيفعله عندما يفتح الباب ويُقْضى على نصف ما فى حجرة النوم. كما سيسمع تعجب ترافلر بصوت مكتوم، هذا فيما إذا كان تعجبا وماذا إذا كان مكتوما. لقد كان أحمق عندما رفض الفكرة Heftpistale فاللمبة ليس لها وزن كبير، كما أن الكرسى موجود فى الركن، وبالتالى لا تتوفر لديه أيه وسائل دفاعية أخرى، فلن تجدى اللمبة ولن يجدى الكرسى نفعا كبيرا إذا ما استطاع ترافلر تجاوز خطّى الدفاع المتمثلين فى الطشوت المائية مركزة على ذلك. فأسلحة الدفاع لن تكون على نفس شاكلة أسلحة الهجوم. فالخيوط - على سبيل المثال - سوف تحدث لدى ترافلر إحساسا بالرعب عندما يتقدم فى الظلام ويشعر بها تتزايد وكأنها مقاومة دقيقة لوجهه وذراعيه وساقيه. وسوف يتولد لديه الإحساس بالغثيان الذى يتولد عند الانسان عندما يجد نفسه ملفوفا فى خيوط العنكبوت. وعلى افتراض أنه سيمزق كل الخيوط فى قفزتين، وعلى افتراض أنه لن يضع حذاءه فى طشت مائى ولن يتزحلق على الرولمان فإنه سوف يصل فى النهاية إلى الجزء الذى توجد فيه النافذة وسوف يتعرف فى الظلام على الهيكل الجامد فى مكانه على حافة المكتب. الاحتمال كبير فى وصوله إلى هذا المكان، وعندما يحدث ذلك فلن يجدى الـ Heftpistale نفعا، وليس ذلك لأن رقم **18** مختلفا تماما، هو نفسه غير قادر على تصوّره لكنه يعرفه تماما وكأنه يراه أو يعيشه، إنه نوع من تزحلق الكتلة السوداء التى تأتى من الخارج لتدخل ضد ذلك الذى يعرفه دون أن يدرى، إنه نوع من اللالقاء الذى لا يوصف بين الكتلة السوداء ترافلر وذلك الذى هناك يجلس على حافة المكتب مدخن سيجارة. إنه نوع من السهاد المضاد للنوم (إنها ساعات النوم والسهاد كما قال ذلك يوما ما. واللاتى لم تدخلن فى إطار الوحدة) لكن معنى قول السهاد ضد النوم فهذا هو السماح بأنه لن يكون هناك أمل على الاطلاق، فى وجود وحدة. ويمكن أيضا أن يكون مجئ ترافلر بمثابة الوصول إلى أقصى نقطة حيث يتم من جديد محاولة القفز من الواحد إلى الآخر، ومن الآخر للواحد. إلا أن تلك القفزة ستكون مغايرة للصدمة. كان أوليڤيرا متأكدا أن أرض ترافلر لن تصل إليه رغم أنه قد يسقط فوقه ويضربه وينتزع فانلته ممزقا إياها ويبصق فى عينيه وفى فمه ويلوى ذراعيه ويلقى به من

56

النافذة وإذا ما كانت Heftpistole غير قادرة على مواجهة الأرض، نطيق لرقم **18** فهى ليست إلا حزاما أو شيئا من هذا القبيل، فما الجدوى إذن من أن يكون هناك سكين ترافلر أو كمه ترافلر. يالها من أدوات Heftpistale غير ملائمة لانقاذ المسافة الفاصلة بين جسد وجسد حيث يبدأ جسد فى رفض الآخر، فى رفض الواحد؟ وإذا ما كان ترافلر قادرا على قتله فعلا (لسبب ما كان فمه جافا وتنتصب راحة يده عرقا بشكل مقزز) فكل شئ يدفعه لرفض هذه الامكانية حيث أن هذه الخاطرة إن تكون مؤكدة إلا فى حالة وجود سفاح. ومن الأفضل الإحساس بأن السفاح لم يكن سفاحا. وأن الأراضى لم تكن أرضا. وأن يتم تصور صغر وقلة حجم الأرض وذلك حتى يتمخض هذه الموسيقى والطفاية المكسورة على أرض الحجرة ضجيجا ونتائج عديمة القيمة.

أما فى حالة الثبات (بالصراع ضد الخوف) فى وضع الاستغراب الكامل فيما يتعلق بالأرض فإن الدفاع هو خير وسائل الهجوم. وأفضل طعنة يمكن أن تتولد عن النصل وليس من السكين. لكن ما الذى نجنيه من وراء الاستعارات في هذه الساعة من الليل. رغم أن الشئ العقلانى الوحيد هو استمرار اللاعقلانية فى مراقبة الخط الموجود على حافة الباب، أى هذا الخط الترمومترى للأرض.

وفى الرابعة إلا عشر دقائق اعتدل أوليڤيرا وهز كتفيه ليفيق وذهب ليجلس على حافة النافذة كانت تروق له فكرة أن يكون به مسّ من الجنون هذه الليلة وبذلك يكون القضاء على أرض ترافلر قضاء مبرما. إنه حل لا يتفق مع غطرسته ونيته فى مقاومة أيه صيغة من صيغ الاستسلام، وعلى أى الأحوال فإن تصور السيد فيراّجوتو وهو يسجل اسمه فى دفتر السجلات الخاصة بالمرض، ويعطيه رقما على الباب، وعينا سحرية للتجسس عليه ليلا.... ويتصوّر تاليتا وهى تعدّ له جرعات فى الصيدلية وتمرّ من الحوش بتؤدة حتى لا تطأ أقدامها الحجلة، لكنها لن تعود لتطأها أبدا. ولا يتحدث عن مانو المسكين الذى فقد رباطة جأشه بما ارتكبه من حماقة ومحاولته اللا معقولة. أدار ظهره للحائط واتكأ بظهره على حافة النافذة بشكل يعرّضه للخطر فأحس كل مرة يتنفس فيها تدخله سعادة لايستطيع التعبير عنها بالكلمات، والتى ليس لها علاقة بالأرض. كانت السعادة هى ذلك بالتحديد، الإحساس بكيفية تنازل الأرض. لم يكن يهم مدى الاستمرارية فمع كل شهيق يدخل الهواء الساخن للعالم فى مصالحة معه كما حدث له أكثر من مرة فى حياته. كما أنه لم يكن فى حاجة إلى التدخين. استطاع أن يكون فى سلام مع نفسه لعدة دقائق، وهذا يساوى القضاء على الأرض والانتصار

56

بدون معركة والرغبة فى النوم مستيقظا، أى فى هذه النقطة الفاصلة التى يختلط فيها السهاد والنوم ويكتشف أن ليس هناك فارق بينهما، لكن ذلك كان سيئا بالطبع، ومن الطبيعى أن يتوقف كل ذلك بسبب التدخل المفاجئ للقاعات السوداء الواقعة على مسافة متوسطة من خط الضوء البنفسجى، ووجود خربشة متّصلة على الباب «لقد جلبت ذلك لنفسك» فكر أوليڤيرا وأخذ ينزلق حتى التصق بالمكتب «الحقيقة أنه لو كنت قد مكثت لحظات أخرى، لكنت قد سقطت على أم رأسى فى الحجلة. هيا ادخل يا مانو. فإما أنك لاتوجد أو لا أوجد أنا أو أن كلينا يتسم بالبلاهة بإيماننا بذلك وقيامنا بقتل بعضنا البعض يا أخى. إنها هزيمتك هذه المرة ولا شئ غير ذلك»

– ادخل ـ كرّر ذلك بصوت مرتفع لكن الباب لم يفتح. استمرت الخربشة الواهنة على الباب؛ ربما كان نوعا من التوافق المحض فإلى جانب النافورة كان هناك أحد ربما كانت امرأة تدير ظهرها له شعرها طويل ويداها مسترخيتان، كما أنها مستغرقة فى تأمل المياه التى تخرج من النافورة. يستوى الأمر فى مثل هذه الساعة أن تكون المرأة لاماجا أو تاليتا، أو أى واحدة من المريضات فى هذه العيادة بما فى ذلك بولا. لم يحل أى شئ لينظر إلى المرأة التى تدير له ظهرها، فإذا ما قررّ ترافلر دخول المكان فإن الدفاعات سوف تقوم بعملها بطريقة أتوماتيكية. وسوف يتوفر لديه الوقت ليباعد نفسه عن تأمل ما يجرى فى الحوش ويواجهه. كان من الغريب أن يواصل ترافلر الخربشة على الباب ليتأكد فيما إذا كان نائما (لا يمكن أن تكون بولا لأن رقبة بولا أكثر قصرا كما أن أفخاذها أكثر امتلاء) أو أنه هو الآخر قد أعدّ عدته للهجوم (يمكن أن تكون لاماجا أو تاليتا فهما شديدتا الشبه، وخاصة فى الظلام، ومن الدور الثانى) الذى يهدف من ورائه إخراجه من ـ المربعات ـ الخاصة ـ به (من المربع الأول حتى الثامن على الأقل) ولن يصل بالتالى إلى **السماء** ولن يدخل أبدا الكيبوتز) «ما الذى تنتظره يا مانو» فكّر أوليڤيرا «ما جدوى على هذا بالنسبة لنا» كانت تاليتا فها هى الآن تنظر إلى أعلى وتظل ساكنة عندما أخرج ذراعه العريان من النافذة وحركه بشكل يتضح منه الارهاق.

– قال أوليڤيرا :

– تعالى يا ماجا أنت من هنا شديدة الشبه لدرجة يمكن معها تغيير اسمك.

– طلبت تاليتا :

– أغلق هذه النافذة يا أوراثيو .

56

– مستحيل فالجو حار كما أن زوجك هناك يحدث خربشة مخيفة على الباب وهذا ما يسمونه بمجموعة من الظروف الساخطة، لكن لا تقلقى عليك أن تأخذى حجرا وتحاولين من جديد ومن يقول لك إنها واحدة ....

سقط الدرّج والكرسى والطفّاية دفعة واحدة على الأرض. انحنى أوليڤيرا بعض الشئ فرأى أن المستطيل البنفسجى الذى أمام الباب قد أعتم وأن البقعة السوداء أخذت تتقدم، وسمع ترافلر وهو يصبّ اللعنات. لابد وأن الجلبة قد أسهمت فى إيقاظ عدد كبير من الناس.

– قال ترافلر وهو ثابت بلا حراك على الباب :

– إنك إنسان تعس هل تريد أن يفصلنا المدير جميعا؟

– قال أوليڤيرا لتاليتا :

– إنه يلقى علىّ خطبة وعظة كان بمثابة الأب بالنسبة لى.

– قالت تاليتا :

– أغلق النافذة من فضلك .

– النافذة المفتوحة هى الأمر الأكثر ضرورة ـ قال ضرورة ـ قال أوليڤيرا ـ اسمعى زوجك من الملاحظ أنه تقدم خطوة فى المياة ومن المؤكد أن وجهه قد امتلأ بالخيوط ولا يدرى ماذا يفعل.

– ملعونة هى أمك ـ قال ترافلر وهو يحرك يديه فى الظّلام وأخذ يأخذ الخيوط من كل مكان ـ أشعل النور،

– ابلغ أوليڤيرا :

– لم يسقط على الأرض حتى الآن لم يفلح الرولمان.

– لا تطلّ بهذه الطريقة!

– صاحت تاليتا وهى ترفع ذراعيها. أدار أوليڤيرا ظهره للنافذة وأخذ يحرك رأسه ليراها ويتحدث معها وأخذ يميل رويدا رويدا إلى الخلف. خرجت كوكا فيرّاجوتو مهرولة إلى الحوش وعندئذ أدرك أوليڤيرا أن الليل قد مضى، فلَوْن جلباب كوكا يحمل نفس لون حجارة الحوش ولون حوائط الصيدلية، وهيأ نفسه لإلقاء نظرة على جبهة القتال فى الظلام وأدرك أنه رغم العيوب فى دفاعاته فإن ترافلر اختار إغلاق الباب وأخذ يصب اللعنات وسط الجلبة التى تحدثها المتاريس.

– قال أوليڤيرا :

– هذا أفضل، تشى، وحدنا على الحلبة كرجلين.

56

– قال ترافلر بحنق شديد :

– عليك اللعنه لقد ابتل الشبشب وهذا أكبر شئ يثير قرفى فى هذه الدنيا. أشعل النور على الأقل فأنا لا أرى شيئا.

– قال أوليڤيرا :

– إنها مفاجأة منطقية كانشارايادا «(1) Canche Rayade أو شئ من هذا القبيل وسوف تدرك أننى لن أضحى بالمزايا التى وصلت إليها. وفَضْل، منى هو الردّ عليك فليس من واجبى أن أفعل هذا معك. أنا أيضا ذاهب إلى التيروالفيدرالى Tiro Federal يا أخى.

سمع ترافلر وهو يتنفس بصعوبة، كانت الأبواب تفتح وتغلق بقوة فى الطرقة. كان يسمع صوت فيرّاجوتا مختلطا بالأسئلة والإجابات القادمة من هنا وهناك. أصبحت بنية ترافلر ترى بوضوح أكثر. فكل شئ له عدد معين وموضوع فى مكانه، هناك خمسة طشوت وثلاث أوانٍ للبصاق وعشرات من الرولمان بلى، يمكن أن يريا بعضهما فى هذا الضوء الذى يشبه لون الحمامة التى توجد على كف المجنون.

– قال ترافلر وهو يرفع الكرسى الذى وقع ويجلس دون مزاجية :

– وأخيرا آه لو تستطيع أن تشرح لى شيئا من كل هذا.

– سوف يكون من الصعب الحديث، أنت تعرف ...

– قال ترافلر بغيظ :

إنك تبحث عن اللحظات العجيبة لتتحدث فيها فعندما ما لانكون فوق الألواح والجو حار جدا لدرجة تصل إلى **45** فى الظل، تجعل رجلى تخوض فى المياه وأصطدم بهذه الخيوط القذرة.

– قال أوليڤيرا :

– هذا فى مواقف متوازية تماما وكأننا توأمان يلعبان الأرجوحة على الصعود والهبوط. أو ببساطة أكثر كأن الواحد يقف أمام المرآة. ألم يسترع انتباهك الدوبلير doppelganger؟

لم يجب ترافلر وأخرج سيجارة من جيب البيجامة وأشعلها. وكذلك فعل أوليڤيرا مشعلا سيجارته فى الوقت نفسه تقريبا. نظر كل إلى الآخر واستغرقا فى الضحك.

– قال ترافلر :

– إنك معتوه تماما، وهذه المرة لا مناص من ذلك. ها أنت قد تصوّرت أننى ...

56

– قال أوليفيرا :

– اترك كلمة «تصورت» فى حالها وعليك أن ترى كيف أننى أخذت أعد العدة لكنك أتيت. وليس أحدا آخر. أنت. فى الرابعة فجرا.

– قالت لى تاليتا، وبدا لى ... لكن هل تعتقد بالفعل أن ....؟

– ربما كان ذلك ضروريا يا مانو. إنك تفكر أنك استيقظت لتهدئتى وإدخال الطمأنينة علىّ. وإذا ما كنت أنا نائما، لكنت قد دخلت دون أى عقبات مثل أى إنسان يطل فى المرآة وهو يحمل الفرشاة فى يده، أو بدلا منها ذلك الذى تحمله فى جيب البيجامة.

– قال ترافلر ساخطا :

– إننى أحمله دائما هل تظن أننا فى روضة أطفال هنا؟ فإذا لم تكن مسلحا فهذا لأنك غير واع.

– قال أوليفيرا وهو يجلس مرة أخرى على حافة النافذة ويحيىّ بيده كلا من تاليتا وكوكا:

– عموما إن ما أؤمن به من كل ذلك ليست له أهمية كبيرة، بالمقارنة بما يجب أن يكون، سواء طاب لنا هذا أم لا. منذ فترة ونحن بمثابة الكلب الذى يدور ويدور ليعض ذيله. وليس السبب هو أننا نكره بعضنا، بل العكس. هناك أشياء أخرى تستخدمنا لتلعب، العسكرى الأبيض والعسكرى الملون أو شئ من هذا القبيل. ولنقل إنهما طريقتان فى حاجة إلى أن تذوب إحداهما فى الأخرى والعكس صحيح.

– قال ترافلر :

– أنا لا أكرهك ما حدث هو أنك حاصرتنى لدرجة لست أدرى ماذا أفعل معها.

– مع إجراء التغييرات الضرورية، قمت بانتظارى فى الميناء ،معك شئ يشبه إعلان الهدنة، هو راية بيضاء، ودعوة حزينة للنسيان. أنا أيضا لا أكرهك يا أخى لكننى أدينك وهذا ما تسميه أنت محاصرة.

– قال ترافلر وهو ينظر إلى عينيه :

– أنا أعيش فأن تحيا معناه أنك تدفع ثمن شئ، وأنت لا تريد أن تدفع شيئا. لم ترد ذلك على الاطلاق، انك هرطوقى وجودى، محض. إما قيصر أولا شئ. إنه ذلك النوع من النصال الراديكالية. هل تظن أننى لا أعجب بك على طريقتى؟ الدوبلير الحقيقى هو أنت، فأنت كأنك قد تخلصت من لحمك، أنت إرادة فى شكل دوارة رياح معلقة فى منطقة مرتفعة. أريد هذا، وأريد ذاك أريد الشمال والجنوب وكل شئ فى

56

الوقت ذاته، أحب لاماجا وأحب تاليتا. وبعد ذلك يقوم الأستاذ بزيارة الجثث ويقبلّ زوجة أعز أصدقائه وهذا لأنه تداخلت لديه الوقائع والذكريات بطريقة ليست إيو قليدية على الإطلاق.

هز أوليڤيرا كتفيه لكنه نظر إلى ترافلر ليجعله يشعر بأن فعله ليس تعبيرا عن الاحتقار. كيف يمكن أن ينقل إليه شيئا من ذلك يسمى فى الأرض المقابلة قبلة. قبلة تاليتا قبلة منه لماجا أو لبولا. إنه ذلك النوع الآخر من لعبة المرايا مثل لعبة الدوران بالرأس نحو النافذة والنظر إلى لاماجا وهى واقفة هناك على حافة الحجلة بينما اجتمع كل من كوكا وريموريـنو وفيرّاجوتو بالقرب من الباب وكأنهم ينتظرون أن يطل ترافلر من النافذة ويقول لهم بأن كل شئ على ما يرام وأنه يكفى لذلك جرعة embutal أو المريلة الخاصة لعدة ساعات حتى يفيق الفتى مما عليه من تصرفات. كما أن الطَّرق المتوالى على الباب لم يسهل فى إحداث التفاهم. ولو كان مانو قادرا على الإحساس بأن لا شئ مما كان يفكرّ به له دلالته إلى جوار النافذة غير أنه يكتسب قيمة ومعنى فقط إلى جوار الطشوت والرولمان بلى، وإذا ما هدأ ذلك الذى كان يقرع الباب بكلتا قبضتيه، ولو لدقيقة واحدة فربما فى هذه اللحظة .... لكنه لم يتمكن من فعل شئ إلا النظر إلى لاماجا وهى فى أبهى جمالها واقفة على حافة الحجلة وترغب فى أن تضرب الحجر من مربع لآخر ومن الأرض للسماء.

– .... غير إيوقيلدسيى بالمرة.

– قال أوليڤيرا متعبا :

– لقد انتظرتك كل هذا الوقت سوف تدركين أننى لم أكن لأقتل نفسى هكذا. فكل واحد يعرف ماذا عليه أن يفعل يا مانو. إذا ما كنت تريد تفسيرا لما حدث فى البدروم ... الأمر ليس له أى علاقة، وأنت تعرف ذلك. تعرفه الدوبلير، تعرفه. فماذا يهمك من أمر القبلة، كما أنها غير مهمة على الاطلاق بذلك.

– افتحا! افتحا على الفور!

– قال ترافلر وهو ينهض :

– إنهم أخذوا الأمر بجدية أنفتح لهم؟ لابد أنه أوبيخيرو

– بالنسبه لى ...

– ربما يريد أن يعطيك حقنة ومن المؤكد أن تاليتا أثارت كل المصحة.

– قال أوليڤيرا :

56

– النسـاء هن الموت؛ إنها هنـاك حيث تراها إلى جـوار الحجلة غـاية فى الأدب .... من الأفضل ألا تفتح لهم يا مانو، نحن أفضل هكذا.

اتجه ترافلر إلى الباب واقترب من فتحة المفتاح، أيها البلهاء لماذا لا تكفون عن هذا الصـراخ الذى يشبه فيلما من أفلام الرعب؟ فأوليڤيرا بخير، وسوف نقوم بفتح الباب عندما تحين اللحظة المناسبة ومن الأفضل إعداد قهوة لكل الناس، ألا يمكن العيش فى هذه العيادة؟ كان من الواضح أن فيراجوتا لم يكن مقتنعا لكن صوت أوبيخيرو تجاوزه **برنينه المستمر** وأخيرا تركوا الباب فى سلام. لم تبق إلا بادرة قلق واحدة ناجمة عن وجود الناس فى الحوش والنور المضاء فى الدور الثالث الذى كان يطفأ ويشعل بشكل مستمر وهذه عادة مرحة يمارسها المريض رقم **43**. وبعد هنيهة عاد كل من أوبيخيرو وفيرّاجوتا للظهور من جديد ولكن فى الحوش فقط. جاء المريض رقم **18** إلى أوبيخيرو وتحدث معه بشئ عن Heftpistole .

بدا الاهتمام على وجه أوبيخيرو، بينما كان ينظر إلى أوليڤيرا نظرة اهتمام مهنى، وكأنه لم يصبح أفضل من يلعب معه البوكر، الأمر الذى بدا ظريفا فى نظر أوليڤيرا. فتحت معظم النوافذ فى الدور الأول وشارك بعض المرضى بفعالية فى كل الأحداث الدائرة رغم أنها لم تكن شيئا كبيرا. كانت لاماجا قد رفعت ذراعها الأيمن لجذب انتباه أوليڤيرا وكأن ذلك ضروريا، وطلبت منه أن يطلب من أوليڤيرا ليطل من النافذة. فقال لها أوليڤيرا بوضوح شديد بأن ذلك مستحيل فمنطقة النافذة هى الجزء الخاص بمنطقة دفاعه وربما يمكن عقد هدنة. ثم أضاف بأن عملية رفع الذراع والنداء عليه، جعلاه يفكر فى ممثلات من عالم الأمس وخاصة فى مغنيات الأوبرا مثل إيمى ديستين Emmy Destynn Melba ومـارجـورى لورانس Marjorie Lawrence ومـوزيو بورى Muzio Bori، ولم لا تضم القائمة كل من تيدا بارا Theda Bara ونيتا نالدى Nita Naldi؟ وأخذ يعدد الأسماء بنغمة تدل على متعة شديدة، بينما تخفض تاليتا ذراعها ثم تعود وترفعه متضرعة. إنها ليونورا دوسى Eleonora Duse بالطبع، فيلما بانكى†Vilma Banky، إنها جاربو، مثلها تماما، أو صورة لسارة برنارد Sarah Bernlrardt فعندما كان صغيرا لصق هذه الصورة فى كراسته وكذا صورة كارسافينا Karsavina وبورونوفا Borono-va، هن النساء، وهن تلك الاشارات الخالدة، وأبدية المصير لكن تلك المرة للكين من الممكن تلبية الطلب الرقيق.

كان تعليق كل من كوكا وفيرّاجوتو متناقضا فى الوقت الذى طلب منهما فيه

56

أوبيخيرو، بوجهه الذى كانت تبدو عليه علامات النوم، أن يصمتا حتى تتمكن تاليتا من التفاهم مع أوليڤيرا لكن لم تجد نفعا هذه العملية لأن أوليڤيرا لم يفعل شيئا بعد التضرّع السابع إلا أن أدار لهم ظهره ورأوه (رغم أنهم لم يتمكنوا من سماعه) وهو يتحدث مع ترافلر غير المرئى.

– تصوّر أنهم يريدون أن تطل عليهم من النافذة

– انظر، عليك أن تتركنى أطلّ ولو لثانية ويمكن أن أعبر من تحت الخيوط.

– قال أوليڤيرا :

– إنها لعبة فهذا هو آخر خط دفاعى فإذا ما كسرته فقد أصبحنا فى infighting مفتوح.

– قال ترافلر وهى يجلس على الكرسى :

– حسن واصل جمع الكلمات التى لا طائل من ورائها.

– قال أوليڤيرا :

– ليست غير مجدية إذا ما أردت أن تصل إلى هنا فليس عليك أن تطلب منى الأذن، وأعتقد أن ذلك واضح.

– أتقسم لى أنك لن تلقى بنفسك؟

أخذ ترافلر ينظر إليه وكأنه ينظر إلى باندا عملاق.

– قال :

– وأخيرا رفعنا غطاء الحلة. ها هى لاماجا تفكرّ فى نفس الشئ، وأنا الذى كنت أتصور أنكما تعرفانى بعض الشئ رغم كل شئ.

– قال ترافلر :

– إنها ليست لاماجا، أنت تعرف تماما أنها ليست لاماجا.

– قال أوليڤيرا :

– ليست لاماجا أعرف تماما أنها ليست لاماجا. وأنت حامل الراية.

وفارس الاستسلام والعودة إلى المنزل وإلى النظام. أخذت أتألم لك ياعجوز.

– قال ترافلر بمرارة :

– عليك أن تنسانى ما أريده هو أن تعطينى ميثاقا بأنك لن ترتكب هذه الحماقة.

– قال أوليڤيرا :

– تصور لو ألقيت بنفسى فسوف أسقط بالتحديد فى **السماء**.

– ابتعد عن هذا الجانب يا أوراثيو ودعنى أتحدث مع أوبيخيرو. فأنا لا يمكن أن

56

أصلح الأمور، وغدا لن يتذكر أحد ذلك الذى يحدث الآن.

– قال أوليڤيرا بإعجاب :

– لقد تعلمت ذلك من خلال كتيب المصحة النفسية إنك تلميذ نجيب

– قال ترافلر :

– اسمع إذا لم تتركنى أطل من النافذة فسوف أقوم بفتح الباب وهذا أسوأ.

– الأمر سيان، فهناك فرق بين فتح الباب ودخولهم، وبين وصولهم إلى المكان الذى أنا فيه.

– هل تريد القول أنه إذا ما حاولوا الامساك بك فإنك سوف تلقى بنفسك.

– يمكن أن يكون ذلك هو تفسير الجانب الذى أنت فيه.

– قال ترافلر وهو يخطو خطوة إلى الأمام :

– من فضلك ألا تدرك أن ذلك كابوس؟ سوف يعتقدون أنك مجنون بالفعل وسوف يظنون أننى أريد أن أقتلك بالفعل.

دفع أوليڤيرا نفسه إلى الخارج قليلا فتوقف ترافلر عند خط الدفاع الثانى المكون من الطشوت المائية رغم أنه قد دفع باثنين من الرولمان بلى بضربة واحدة برجله. وتوقف عن مواصلة التقدم. أخذت صرخات تاليتا وكوكا تعلو فما كان من أوليڤيرا إلا أن اعتدل بعض الشئ، وببطء، ووجه إليهما إشارات لأضفاء الطمأنينة عليهما. شعر أوليڤيرا بالهزيمة فقربّ الكرسى منه وجلس. عادوا يطرقون على الباب من جديد، لكنها طرقات أقل قوة عن السابقة.

– قال أوليڤيرا :

– لا توجع رأسك أكثر من هذا لماذا تحاول إيجاد تفسيرات أيها العجوز؟ الفارق الفعلى الوحيد بينى وبينك فى هذه اللحظة، هو أننى وحيد. وأفضل حل هو أن تنزل وتنضم إلى نويك ثم نواصل الحديث من خلال النافذة كأصدقاء. وفى حوالى الثامنة سوف أطلب النقل. فجيكربتين اتفقت معى على أن تعدّ كعكا مقلياً مع الشاى.

– لست وحدك يا أوراثيو. إنك تريد أن تكون وحدك من باب الغرور المحض، حتى تكون المالدورور من أبناء الساحل Maldorcr. هل كنت تتحدث عن الدوبلير أليس كذلك؟ ها أنت ترى أن هناك من يتبعك وأن هناك من هو مثلك رغم أنه على الجانب الآخر من الخيوط التى مددتها.

– قال أوليڤيرا :

56

– هو أمـر مـحـزن أن تصنع صـورة ودية للغرور. هـا هو لب الموضـوع إنك تقـوم بتكوين فكرة عن أى شئ مهما كلف الأمر. ألست قادرا على التخمين ولو للحظة فى أن كل ذلك لا يمكن أن يكون هكذا؟

– افترض أننى أفكر فيه. فها أنت هناك متكئ على نافذة مفتوحة.

– إذا مـا كنت تشك بالفعل فى أن ذلك لا يمكن أن يكون على هـذا النحو، وإذا مـا استطعت بالفعل الوصول إلى لبابة الخرشوفة البريّة ... فلن يطلب منك أحد أن تنفى ما تراه ،لكنك إذا ما كنت قادرا فقط على الدفع ولو قليلا بطرف أصبعك...

– قال ترافلر :

– آه لو كان الأمر سهلا آه لو لم يكن هناك إلا مدّ الخيوط البلهاء.

أنا لا أقول بأنك لم تقم باعطاء دفعتك لكن انظر النتائج.

– ومـا هو السيئ فى هذا؟ فنحن على الأقل لدينا النافذة مفتوحة ونستنشق هواء هذا الصباح الجميل، ونشعر بالبرودة التى تهل فى مثل هذه الساعة. أمـا باقى الناس فهم يتجولون فى الحوش. إنه أمر غير عادى، هم يقومون بالتمرينات دون أن يدروا. تأمل قليـلا فى كوكا، وفى المدير، انه ذلك النوع من الخادم الثقيل، وانظر إلى زوجتك إنه، االكسل بعينه. ولن تنفى أنك لم تك يومـا أكثـر يقظة من الآن. وعندمـا أقـول يقظة تفهم ماذا أعنى، أليس كذلك؟

– اسأل نفسى فيما إذا كان كل ذلك على العكس أيها العجوز.

– آه، إنهـا الحلول السـهلة، والحكايات الأسطورية التى يتم وضـعـهـا فى كـتب المختارات.

إذا مـا كنت قـادرا على أن ترى الشئ من الجـانب الآخـر فمن المحـتمل أنك قد لا ترغب فى التحرك من هناك. إذا مـا خرجت من الأرض، ولنقل إذا ما انتقلت من المربع الأول إلى الثـانى أو من الثـانى إلى الثـالث .... ياله من أمر صـعب على الدوبلير، لقد قضـيت الليل بالكامل وأنا ألقى بأعقـاب السجائر دون أن أتجاوز المربع الثـامن. كلنا نريد مملكة الأبدية إنها نوع من الـ Arcadia أركاديا وربما يكون المرء أكثر تعاسة هناك لكن القضية لا تستغرق منا خمسين أو ستين عاما، حيث نتمكن من مصافحة بعضنا البعض مصافحة حقيقة، بدلا من تكرار حركة الخوف والرغبة فى أن نعرف ما إذا كان الآخر يحمل سكينا يخبئه، وبمناسبة الحديث عن التبديلات فلا غـرابة عندى فى أن أكون أنا وأنت نفسى الشئ. أى واحد من كل جانب. فلما كنت تقول أننى مغرور يبدو

56

أننى اخترت الجانب الأفضل، لكن من يدرى يا مانو. إننى أعرف شيئا واحدا وهو لا يمكننى أن أكون فى المعسكر الذى أنت فيه. فكل شئ يتحطم بين يدى، وأرتكب حماقات تبعث على الجنون، على افتراض أن ذلك أمر سهل. أما أنت فهناك انسجام مع الأرض، ولا تريد أن تفهم ذلك الذهاب وهذا الإياب، فأقوم بإحداث الدفعة ويقع لى شيء. وعندئذ هناك خمسة آلاف عام من الجينات تمسك بى وتعيدنى إلى الأرض لأربط أسبوعين أو عامين أو خمسة عشر عاما .... وذات يوم أضع الأصبع فى العادات، فيغرق الأصبع فيها ويطل من الجانب الآخر منها، ويبدو أننى سوف أصل فى نهاية الأمر إلى المربع الأخير، وفجأة تغرق امرأة، افترض ذلك، أو أتعرض لأزمة، أزمة شفقة بالزّر الإلهى. ذلك أن ما يتعلق بالشفقة.... لقد تحدثت معك عن التبديلات، أليس كذلك؟ يالها من عملية قذرة يا مانو. ارجع إلى ديستوفسكى فى هذا الموضوع عموما هناك خمسة آلاف عام تعود بى إلى الوراء ويجب أن نبدأ من جديد. ولهذا أشعر أنك الدوبلير فأنا أروح وأغدو طوال الوقت من أراضيك إلى أراضىّ وهذا إذا ما كنت أصل إلى أراضى، وفى هذه التنقلات المحزنة يبدو لى أنك الشكل الخاص بى الذى يبقى هناك ينظر إلى بأسى. أنك أنت الخمسة آلاف عام لحياة الإنسان وقد تجسدت فى متر وسبعين سنتم، وتتأمل ذلك المهرّج الذى يريد الخروج من مربعه. قلت.

– صاح ترافلر فى هؤلاء الذين كانوا يطرقون الباب مرة ثانية :

– اتركونا وشأننا ألا يمكن الحديث بهدوء فى هذه المصحة.

– قال أوليڤيرا بانفعال :

– إنك عظيم يا أخى.

– قال ترافلر وهو يقوم بتقريب الكرسّى بعض الشئ :

– على أى الأحوال لن تنفى أن الأمور قد أفلت زمامها من يدك هذه المرة. فالتراكيب وغيرها من الأعشاب جيدة جدا، لكن *النكتة التى* فعلتها سوف تكلفنا فقداننا الوظيفة إلى غير ذلك من الأمور. كما أننى متأسف جدا لما حدث لتاليتا. يمكنك أن تتحدث بما شئت عن لاماجا لكننى أنا الذى أطعم امرأتى.

– قال أوليڤيرا :

– الحق معك ينسى المرء أنه موظف إلى غير ذلك من المسائل. هل تريد أن أتحدث مع فيرّاجوتو؟ إنه هناك إلى جوار النافورة، سامحنى يا مانو فأنا لم أكن أرغب أن تكون أنت ولاماجا ...

56

– إنك تناديها الآن لاماجا عن قصد؟ لاتكذب يا أوراثيو.

– أنا أعرف أنها تاليتا لكنها كانت لاماجا منذ قليل. إنها الاثنتان مثل كلينا

– قال ترافلر :

– هذا اسمه الجنون .

– إن كل شئ له إسم، فعليك أن تختار وتضع الاسم. لو سمحت لى أن أتحدث قليلا مع الذين هم فى الخارج. فقد فاض ما بهم.

– قال ترافلر وهو ينهض :

– إنى ذاهب .

– قال أوليڤيرا :

– هذا أفضل من الأفضل أن تذهب وسوف أتحدث من هنا معك مع الآخرين. من الأفضل أن تذهب وألا تثنى ركبتك كما تفعل الآن، فسوف أشرح لك ما سيحدث. فأنت الذى تعشق التفسيرات مثل باقى البشر منذ خمسة آلاف عام. فلم تكد تلقى بنفسك علىّ مدفوعا بصداقتك وتصورك للأمر، سوف أزيح نفسى إلى أحد الجوانب، فلست أدرى إذا ما كنت تتذكر عندما كنت أتمرّن على الجود، مع الفتية فى شارع أنشورينا، والمحصلة هو أنك سوف تواصل الرحلة عبر هذه النافذة وسوف تسقط فوق المربع الرابع هذا إذا ما كنت سعيد الحظ فمن المحتمل أنك لن تتجاوز المربع الثانى.

كان ترافلر ينظر إليه، ورأى أوليڤيرا أن الدموع تترقرق فى عينيه. مدّ يده وكأنه يمسح على شعره من بعيد.

انتظر ترافلرثانية أخرى، ثم اتجه إلى الباب وفتحه. كان ريمورينو على وشك الدخول (وخلفه اثنان من المرضين) فأمسك بكتفيه ودفعه إلى الوراء.

– اتركوه فى حاله ـ قال آمرا ـ سوف يتحسن خلال فترة وجيزة. لابد من تركه وحده، ابتعد أوليڤيرا عن الحوار بسرعة وصعد إلى المربع ثم المسّدس ثم ذى الاثنى عشر ضلعا، وشعر بأن كل شئ جيد هكذا عندما أغمض عينيه. وأن ترافلر هو أخ شقيق. سمع صوت الباب يغلق والأصوات تبتعد. ثم فتح الباب من جديد توافقا مع أهدابه التى رفعها بشق الأنفس.

– قال ترافلر :

– ضع الترباس فأنا غير واثق فيهم تماما.

– قال أوليڤيرا :

56

– شكرا إنزل إلى الحوش، لقد وأرهقنا عزم تاليتا.

مرّ من تحت الخيوط القليلة التى بقيت وأغلق الترباس وقبل أن يعود إلى النافذة التى يصدرها ريمورينو للمرضى وأن عليهم أن يعودوا إلى حجراتهم، وعندماعاد ليطل من النافذة وقد هدأ رأى ترافلر إلى جوار تاليتا وقد خاصرها بذراعه. وبعد كل ما فعله ترافلر أصبح كل شئ يسوده شعور جميل بالمصالحة ولا يمكن خرق هذا الانسجام غير العاقل لكنه انسجام شغوف وحاضر، ولا يمكن تزييفه. فترافلر هو فى جوهر الأمر ما كان يجب أن يكون عليه هو، ولكن بشئ أقل من هذا الخيال الملعون. كان رجل الأراضى، الخطأ الذى لا علاج له فى الفصيلة الضالة. لكن ياللجمال فى الخطأ وفى الخمسة آلاف عام من الأراضى الزائفة والهشة، وياالجمال فى تلك العينين اللتين تترقرق الدموع فيهما وفى هذا الوصت الذى قدمّ له النصيحة: ضع المزلاج فأنا لا أثق فيهم كثيرا» كم من الحب فى هذا الذراع الذى يلتف حول خصر امرأة. «على الأفضل» فكر أوليڤيرا بينما يرد التحية على الإشارات الودية التى يلوح بها الدكتور أوبيخيرو وفيرّجوتو (أقل ودا بعض الشئ) «إنها الوسيلة الوحيدة الممكنة للهروب من الأراضى والتى تكمن فى الولوج فيها حتى النهاية» كان يعرف أنه لا يكاد ينوه بذلك (مرة أخرى ذلك) حيث يسقط المطر والثلج «من يدرى»، قال لنفسه، «من يدرى فيما إذا وقفت عند الحافة، وأنه ربما كانت هناك نقلة ربما وجدها مانو، هذا أكيد، لكن الحماقة هى أن مانو لن يبحث عنها أبدا أما أنا فعلى العكس ...»

– يا أوليڤيرا، لماذا لا تأت لتناول القهوة؟ - اقترح فيراّجوتو بينما لم يرق ذلك لأوبيخيرو - لقد كسبت الرهان، ألا يبدو لك ذلك؟ انظر إلى كوكا إنها أكثر قلقا...

– قال أوليڤيرا :

– لا تقلقى يا سيدتى فأنت لديك خبرة بعالم السيرك، ولم تثيرى فزعى بأمور تافهة.

– قالت كوكا :

– آه يا أوليڤيرا إنك أنت وترافلر رهيبان لماذا لا تفعل ما يقول به زوجى؟

– وأنا كذلك كنت أفكر فى نفس الشئ، أن تتناول القهوة سويا.

– قال أوبيخيرو وكأن ذلك بمحض الصدفة :

– نعم، انزل من فضلك أود أخذ رأيك فى أمرين يتعلقان ببعض الكتب المكتوبة بالفرنسية.

– يمكن الاستماع من هنا بشكل جيد.

56

– قال أوبخيرو :

– حسن أيها العجوز انزل عندما تريد. أما نحن فسوف نذهب لتناول الفطور.

– قالت كوكا :

– ومعه الكرواسون الطازج هيا ياتاليتا لنعدّ القهوة...؟

– قالت تاليتا :

– لا تكونى بلهاء ، وأثناء لحظة الصمت العظيمة التى أعقبت تحذيرها كان التقاء ناظرى أوليڤيرا وترافلر بمثابة عصفورين يصطدمان أثناء الطيران ثم يسقطان وهما متشابكان فى المربع التاسع، أو هذا ما تصوره أصحاب المصلحة. أخذت أنفاس كل من كوكا وفيرّاجوتا تتلاحق، وفى نهاية الأمر فتحت كوكا فمها لتصرخ «لكن ما معنى هذه الوقاحة؟» بينما أخذ فيراجوتو يشرأب بعنقه وينظر إلى ترافلر من أعلى إلى أسفل، وهذا الأخير أخذ ينظر إلى زوجته نظرة جمعت بين الإعجاب والتأنيب. وظل الأمر على هذا الحال حتى وجد أوبيخيرو مخرجا علميا مناسبا، وقال فى لهجة فيها جفاء: «إنها هستيريا صباحية تخرج من الأوداج. هيا لندخل فسوف أعطيكم بعض الحبوب» وفى هذه اللحظة الى أخذ فيها رقم **18** يخرق الأوامر الصادرة من ريمورينو ويخرج إلى الحوش معلنا أن رقم **31** قد تَحلّلت وأن هناك اتصال تليفونى من مار دل بلاتا Mar del pata فقام ريمورينو بطرده بعنف مما أدى إلى قيام المدراء وأوبيخيرو باخلاء الحوش دون أن يفقدو اهيبتهم أكثر من ذلك.

– قال أوليڤيرا وهو يتأرجح فى النافذة :

– آه، آه، آه وأنا الذى كنت أعتقد أن النساء الصيدلانيات مهذبات.

– قال ترافلر :

– أخذت بالك؟ لقد كانت رائعة.

– لقد ضحت بنفسها من أجلى ـ قال أوليڤيرا ـ أما الأخرى فلن تغفر لها ذلك ولو كانت على فراش الموت.

– قالت تاليتا :

– من أجل ما يهمنى «الكراوسون الطازج» خذ بالك بعض الشئ.

– قال ترافلر :

– وماذا عن أوبيخيرو؟ كتب بالفرنسية! والشئ الوحيد المتبقى هو أن داعبوك بموزة. أنا أستغرب أنك لم تقل لهم اذهبوا إلى الجحيم.

56

كانت هكذا، استمر الانسجام بشكل لا يصدق، لم تكن هناك كلمات من أجل شكر هذين الاثنين وهما ينظران إليه ويتحدثان معه وهما على الحجلة. فتاليتا كانت متوقفة فى المربع الثالث دون أن تدرى، أما ترافلر فكان أحد قدميه موضوعا فى المربع السادس. وبالتالى فالشئ الوحيد الذى يمكنه فعله هو أن يحرك يده اليمنى قليلا كنوع من التحية الخائفة ثم يظل ملقيا نظره على ماجا وعلى مانو، ويقول لنفسه ها قد حدث لقاء بطريقة ما رغم أنه لا يمكن أن يستمر أكثر من لحظة ممتعة جدا وكان أفضل شئ عندها هو الميل بعض الشئ نحو الخارج ويسقط، «هُبْ»، انتهى الأمر.

(-135)

من جوانب أخرى
(فصول يمكن الاستغناء عنها)

57

أقوم بتجهيز بعض المفاهيم من جديد، انتظارا لوصول أدجال ـ ما رأيك لو أخذتها ذات ليلة إلى النادى؟ هذا سوف يسعد كلا من إيتين وروناالد. إنها جد مجنونة.

– أحضرها معك.

– قد تكون أعجبت سيادتك أيضا.

– لماذا تتحدث معى وكأننى ميت؟

– قال أوسيب :

– لست أدرى لا أدرى فى حقيقة الأمر. لكن هيأتك غريبة.

– كنت هذا الصباح أقصّ على إيتين بعض الأحلام الجميلة. وها هى الآن تختلط مع ذكريات أخرى عندما كنت تتحدث معى حول دفن الطفل بكلمات تخرج من الأعماق. لابد أنه كان مشهدا مثيرا للشجن، تشى. من الغريب أن يتمكن المرء من التواجد فى ثلاثة أماكن دفعة واحدة. رغم أن ذلك حدث لى هذا المساء. لابد وأنه من تأثير موريلى Morelli. نعم، نعم سوف أقصّ عليك. بل فى أربعة أماكن دفعة واحدة طبقا لما أفكر فيه الآن. إننى أقترب من كلية الحضور ومن هنا سرّ الشعور بالجنون ... الحق معك ربما أعرف أدجال فسوف أذهب للسّطل قبل ذلك بكثير.

– زن Zen يتولى شرح المرحلة السابقة على كلية الحضور وهو شئ يماثل ما شعرت به إذا ما شعرت بذلك.

– واضح، تشى. أنا أعود من أربعة أماكن دفعة واحدة: حلم ذلك الصباح فلازال حيا يحرك ذنبه، والألحان مع بولا، لأوفر عليك الكلام، ووصفك المجسد لدفن الطفل كما أدرك الآن أننى كنت أردّ على ترافلر، صديق من بوينوس أيرس، فقد فهم بعض أبيات الشعر التى ألفتها والتى تبدأ قائلة، خد بالك «أنا بين النوم واليقظة غوّاص أحواض» وهو شعر سهل إذا ما تمعّنتَ فيه بعض الشئ، وربما تفهمه. فعندما تستيقظ وقد جلبت معك بقايا فردوس شهدته أثناء نومك، وها هم الآن يعلمونك مثل شَعْر الغريق: إنه شعور رهيب بالغثيان ولهفة، وشعور بالهشاشة أو أن لا جدوى. ثم تسقط إلى الداخل. وبينما تقوم بتنظيف أسنانك بالفرشاة فما أنت إلا غوّاص أحواض، والأمر كأن الحوض الأبيض قد امتصك، وأخذت تتزحلق من خلال هذه الفتحة التى يدخل فيها فلح الأسنان والمخاط والعُمَاص وقشر الشعر والبصاق وتترك نفسك على أمل الوصول إلى الجانب الآخر، أى إلى ذلك الذى كنته قبل الاستيقاظ والذى لازال يطفو، لازال لديك، فيك أنت، لكنه يبدأ فى المغارة ... نعم إنك تسقط للحظة داخل نفسك حتى تتولى

57

دفاعات السهاد - ياله من تعبير جميل، ولغة رفيعة - إيقافك.

– قال جريجوروفيوس بغطرسة :

– إنها تجربة وجودية أصيلة.

– هذا أكيد، لكن كل شئ مرتبط بالجرعة. الحوض يمتصنى بالفعل، تشى.

(70)

58

– حسنا فعلت عندما أتيت ـ قالت جيكربتين وهى تغير الأعشاب ـ فأنت أفضل حالا فى المنزل، لكن ما يروقك هناك هو الجو العام. عليك أن ترتاح يومين أو ثلاثة.

– قال أوليڤيرا :

– هذا ما أعتقده وأكثر من ذلك أيتها العجوز. فالكعك المقلى لذيذ للغاية.

– إنه من حسن حظى أنه عجبك. لا تأكل منه كثيرا وإلا أصبت بوعكة.

– قال أوبيخيرو وهو يشعل سيجارة :

– لا مشكلة سوف تنام الآن قيلولة ممتعة. وخلال هذه الليلة سوف تكون فى أفضل حال للعب الورق.

– قالت تاليتا :

– لا تتحرك إنه أمر لا يصدق أنك لا تستطيع أن تهدأ.

– قال فيراّجوتو :

– إن زوجتى منزعجة جدا.

– قالت جيكربتين :

– خذ كعكة أخرى مقلية .

– قال أوبيخيرو آمرا :

– لا تعطوه أكثر من عصير الفواكه.

– قال أوليڤيرا ساخراً:

– الاتحاد الوطنى للمتبحرين فى علوم ما هو مناسب وبيوت العلم عندهم.

– قال أوبيخيرو :

– أنا جاد ، تشى، لا تأكل شيئا حتى الصباح .

– قالت جيكربتين :

– هذه المغطاة بالسكر.

– قال ترافلر :

– حاول أن تنام.

– تشى، ريمورينو، لتبق بالقرب من الباب ولا تدع رقم 18 يضايقه ـ قال أوبيخيرو ـ فلقد شعر بالميل الشديد إليه ،ولا يتحدث إلا عن مسدس وكمٌ واحد آخر.

– قالت جيكربتين :

– إذا ما أردت أن تنام عليك أن تغلق الشيش وهكذا لن تسمع صوت راديو للسيد كريسبو.

– قال أوليڤيرا :
– لا ، اترك الشيش إننى أسمع موسيقى لفالو Falu (١).
– الساعة الخامسة ـ قالت تاليتا ـ ألا تريد أن تنام قليلا؟
– قال ترافلر :
– غيرّى له الكمادات، إن ذلك يجعله يشعر بالراحة بعض الشئ.
– قالت جيكربتين :
– لقد غسلت نصف جسده هل تريد أن أذهب لشراء صحيفة "Noticias graficas"؟
– قال أوليڤيرا :
– حسن وبعض السجائر.
– قال ترافلر :
– لم يتم إلا بعد لأىٌ لكنه الآن سوف ينام طوال الليل فقد أعطاه أوبيخيرو جرعة مزدوجة من المهدئات.
– قالت جيكربتين :
– تصرف جيدا يا كنزى سوف أعود على الفور ـ سوف نتعشىّ هذه الليلة مشويات مشكلة هل تريد ذلك؟
– قال أوليڤيرا:
– مع سلطة خضروات.
– قالت تاليتا :
– يتنفس بشكل أفضل.
– قالت جيكربتين :
– وسوف أقوم بإعداد الأرز باللبن، كان وجهك شاحبا عندما وصلت .
– قال أوليڤيرا :
– لقد دهسنى ترام أنت تعرفين ما هو حال الزحام فى الترام من الثامنة صباحا حتى وسط فى الحر.
– هل تعتقد يا مانو أنه سوف يواصل النوم؟
– نعم، لكن بالطريقة التى أشجع نفسى فيها على تصديق شئ.
– هيا إذن لنرى المدير فهو ينيتظرنا لا التنا.
– قال فيرّاجوتو :

58

– إن زوجتى منزعجة جدا.

– صاحت كوكا:

– لكن ما معنى هذه الوقاحة؟!

– قال أوبيخيرو :

– كانوا من الأشكال اللعوبة.

– قال ريمورينو :

– لا نرى إلا قليلا مثل هؤلاء الناس..

– لم يشأ تصديقى فى أنه كان فى حاجة إلى Heftpistole ـ قال رقم 18

– قال أوبيخيرو:

– انزل إلى حجرتك أو آمر باعطائك حقنة .

– قال رقم **18** :

– مات الكلب .

(–131)

59

وعندئذ يمكن صيد أسماك لاتؤكل لقضاء الوقت. وللحيلولة دون تعفن تلك الأسماك علقوا لافتات على الشواطئ تأمر الصيادين بدفن الأسماك فى الرمال عندما يتم صيدها من الماء.

كلود ليفى إشترواس: Tristes tropiques

(-41)

60

فكر موريلى فى قائمة acknowledgments لم يتمكن أبدا من ضمّها إلى أعماله المنشورة•••. ترك لنا عدّة أسماء: جيلى رول مورتون Jelly Rell Morton وروبرت موسيل[١] Robert Musilو Dazdety Teitaro Suzuki داستزتيتارو سوزوكى، ورايموند روسيل[٢] Raymond Rousselوكورت شويترز Kurt Schwiters وفيبيرا دا سيلفا Vieira da Silva وأكوتا جاوا Akutagawa وأنطون ويبرنAnton Webern وجريتا جاربو G.Gatbo وخوسيه ليثاماLima [٣]Jase Lezama ولويس بونيويل [٤] L.Bunel ولويس أرمستونج L.Aamstrong وبروخس Borges وميتشو[٥]Michawx ودينو بوزاتى[٦] Dino Bujjati وماكس إرنست Max Ernest وبيفنسر[٧]Pevnserوجلجامش(؟) وجارثيلاسو Garcilaso وأريمبولدو[٨] Arcimbaldoورينيه[٩] Clair وبييرو ديموسيمو[١٠] Piero di cosimo وولاس إستيفن[١١] Wallace Stevens†وإسحق دينسن[١٢] Izal Dinesen.

أما أسماء ريمبو Rimbewd وبيكاسو وشابلن وألبان بيرج Alban Berg وغيرها فقد تم شبطها باستخدام خط رفيع وكأن تلك الأسماء أصبحت شديدة البديهية لدرجة يمكن عدم الإشارة إليها. وعلى أى الأحوال فكل الأسماء كان يجب أن تكون كذلك، فموريللّى لم يدرج هذه القائمة فى أى من مجلدات أعماله.

(–26)

61

ملاحظة لم تتم ،أعدها موريللي:-

لن أتمكن أبد من التخلى عن الإحساس بأنه يوجد شيء ما يشبه انفجارا مبهرا نحو النور. ملتصقا بوجهي، وملتفا حول أصابعي. إنه انحراظ منى فى إتجاه الآخر أو من الآخر إلى داخلى، إنه شئ شديد الشفافية. يمكن أن يتخثر ويتحلّل فى شكل الضوء الكامل دون وجود عنصرى الزمان والمكان. هو مثل باب من الأوبال والماس، حيث يمكن أن يكون المرء ذلك الذى هو فى الحقيقة، والذى لا يريده ولا يعرفه ولا يمكن أن يكونه.

لاجديد فى ذلك العطش وذلك الشك، إلا أن هناك حيرة تزداد وتكبر أمام عملية التبديل التى تقدّم لى بصيرة الليل والنهار، وأرشيف البيانات، والذكريات، وهذه المشاعر التى أقوم من خلالها بشغل جزء من الزمان وترك جزء منى. وتلك الإطلالات التى توجد تحت ذلك النوع الآخر من الإطلالات التى هنا واللصيقة بوجهى، والتى تعتبر خليطا من التوقع والبصيرة، وإدانة لتلك الحرية المصطنعة التى أتحرك من خلالها فى الشوارع والسنين.

ولما كنت هذا الجسد المتحلّل فى لحظة ما من الزمن المستقبلى، وهذه العظام التى تكتب بطريقة غير منتظمة فإننى أشعر أن ذلك الجسد يطالب بنفسه ويطالبه ضميره بتلك العملية التى لم يتم تخيلّها بعد، والتى يصبح بعدها جسدا لا يتحلل. إن ذلك الجسد الذى هو أنا، ينبئ عن حالة تتمثل فى أنه عندما يرفض نفسه على ما هى عليه، وعندما يرفض فى الوقت ذاته المعادل الموضوعى كما هو فإن وعيه سوف يرتقى إلى درجة تتجاوز حدود الجسد، والعالم الذى قد يكون المدخل الحقيقى إلى الذات سوف يكون جسدى، لست أنا موريللّى، ولا أنا الذى فى عام ألف وتسعمائة وخمسين قد تحللت عام ألف وتسعمائة وثمانين، سوف يكون جسدى وراء باب النور (كيف يمكن أن أجد اسما لهذا اليقين الذى يحاصرنى)، وسوف تكون الذات كأنها الأجساد، ومثل الأجساد والأرواح وأنا والآخر، والأمس والغد. وكل شئ مرتبط بـ ... (جملة مشطوبة).

إنها نهاية محزنة: Satori سريع المفعول، ويذيب كل شئ. وحتى يمكن الوصول إلى ذلك يجب تعرية التاريخ الخارجى والداخلى. لقد فات أوان ذلك، بالنسبة لى. كريفر Crever بالايطالية، وبالنسبة للغرب هو كل ما بقى لى. إنها القهوة باللبن التى أتناولها فى الصبح وهذا شئ مناسب.

(33-)

فى وقت ما فكّر موريلّى فى كتاب لم يتوقف فى إعداده عند تدوين الملاحظات المتفرقة. والملاحظة التى كانت تلخص محتواه هى تلك: «علم النفس»، هى عبارة تبدو عليها علامات الشيخوخة. إنه سويدى يعمل فى إعداد نظرية عن كيمياء التفكير. الكيمياء والكهرومغناطيسية والتيارات السرية للمادة الحيّة، وكل شئ يعود مذكرا إيانا بمفهوم «المن» Mana، وعلى ذلك فعلى هامش السلوكيات الاجتماعية يمكن أن يكون هناك تداخلا من طبيعة أخرى، هو نوع من لعبة البلياردو. التى أثارها بعض الأفراد أو عانوا منها، إنه نوع من الدراما بدون أوديب، أو فيدرا، أو راستيجناسRastiginas†، إنها دراما غير شخصية بالدرجة التى لا تؤثر فيها ضمائر ومشاعر الأبطال إلا فيما بعد. وكأن المستويات الدنيا هى التى تفكّ وتربط لغة الخيط الخاصة بالمكونات الصالحة فى الدراما. وبمقولة أخرى فكأننا نرد أفراد يقومون بالتأثير على الكيمياء العميقة للآخرين والعكس صحيح لكن دون قصد، أى أن ردود الفعل ـ الغريبة والمقلقة ـ تحدث بشكل متوالى من انشطار وتحولات.

هكذا تسير الأمور، إذ يكفى أن نقوم بإثارة لطيفة لنجد أمامنا مجموعة إنشائية تظن أن هناك رد فعل نفسى، بالمفهوم الكلاسيكى لهذه الكلمة القديمة، القديمة، ومع ذلك فهو لا يمثل إلا لحظة من ذلك التيار الخاص بالمادة الحية، ومن ردود الأفعال الوسيطة التى يمكن أن نطلق عليها الرغبات، والاستلطاف، والتوجهات والقناعات، وهى التى تظهر هنا وكأنها أمور تستعصى على العقل وعلى الوصف الدقيق: القوى التى تسكن فينا والأجنبية التى تقدم وتطالب بحقوقها فى المدينة. إنه نوع من البحث الذى يتجاوزنا نحن كأفراد ويستخدمنا لأغراضه، المتمثلة فى حاجة غامضة لمباعدة حالة الإنسان القديم homo sapiens نحو ... أى ؟hamo ذلك أن Sapiens ما هى إلا كلمة أخرى قديمة من تلك الكلمات التى يجب غسلها جيدا قبل محاولة استخدامها بمفهوم معين.

لو كان قد ألفّ هذا الكتاب، فإن السلوكيات الاعتيادية (بما جاء فى ذلك أقصى حدودها) ليتم إدراك مغزاها من خلال أدوات البحث النفسى المستخدمة حاليا. فالممثلون سوف يظهرون غير عقلاء أو فى أعلى درجات البلاهة. وليس الأمر أنهم سوف يبدون غير قادرين Challenge and response على العادية مثل الحب والغيرة والشفقة وهكذا على التوالى. بل فيما يتعلق بالحدّ الأدنى سوف يفتح طريق بصعوبة وكأنه العين الثالثة التي ترمش بألم شديد تحت عظام الجبهة ويصبح كل شيء مثل

62

حالة قلق وعدم ارتياح ونوع من القطعية المستمرة وأراضى لا تستطيع فيها السببيّة النفسية أن تفعل شيئا وتتخلى عن مكانها وتندحر تلك السخافات أو تعود للتكوين والتسلح أو تتعرف على بعضها دون كثير من الشك فى أن الحياة تحاول بها، ومن خلالها، وفيها، تغيير المفتاح، وأن أى محاولة لا تكاد يتم تصورها تولد فى الإنسان كما ولد قبل ذلك المفتاح ـ العقل والمفتاح والمشاعر والمفتاح ـ البراجمانية. ويعقب كل هزيمة نوع من الاقتراب من التحوّل النهائى. وأن الإنسان ليس إلا البحث عن الذات، من خلال التقليب بين الكلمات والسلوك والسعادة الملطخة ببعض الدماء إلى غير ذلك من الخطب البلاغية مثل هذه»

(−23)

63

– قالت تاليتا :

– لا تتحرك يبدو أنها بدلا من وضع كمادة باردة كانت تضع لك حامض الكبريتيك.

– قال أوليڤيرا إن بها نوع من الكهربائية ـ

– لا تتفوه بالترهات.

– إنني كافة أنواع المواد التي تشع وميضا. يبدو أنها رسوم متحركة لنورمان ماكلارين Norman Mclaren.

– ارفع رأسك بعض الشئ، فالمخدة منخفضة جدا وسوف أغير لك.

– قال أوليڤيرا :

– من الأفضل أن تتركي المخدة في حالها وتغيرين رأسي. إن الجراحة لازالت في المهد، وعلينا أن نعترف بذلك.

(-88)

64

فى إحدى المرات التى التقيا فيها فى الحى اللاتينى كانت بولا تنظر إلى الطريق كما أن نصف المارّة ينظرون إلى الطريق. كان لابد من التوقف وتأمل بروفيل لنابليون، إلى جوار نسخة رائعة لشارتر Charters كما كانت هناك، على بعد قليل، فرس مع وليدها وسط حقل أخضر. المؤلفون هم فتيان شقراوان وفتاة من الهند الصينية. كان هناك صندوق الطباشير فيه قطع العملة ذات الخمسة والعشرة فرنكات، ومن حين لآخر يتولى أحد الفنانين إكمال بعض التفاصيل.

كان من السهل ملاحظة أن هذه هى اللحظات التى تزداد فيها العطايا.

– قال أوليڤيرا :

– إنهم يطبقون نظام بينلوب، لكن دون القيام مسبقا بفضّ النسيج فهذه السيدة ـ على سبيل المثال ـ لم تقم بفتح كيس نقودها حتى قامت الصغيرة تسونج تسونج بالانبطاح على الأرض لاستكمال بعض التفاصيل فى رسم الشقراء ذات العينين الزرقاوين. إن العمل يؤثر فيهم وهذا واقع.

– هل اسمها تسونج تسونج؟ ـ سألت بولا.

– لست أدرى. إن عقبيها جميلان.

– عمل كثير ثم يأتى الكناسّون ليلا وانتهى كل شئ.

– وهذا هو الجيد فى الأمر. الطباشير الملون وأشكاله الداعرة، هذا هو موضوع رسالة دكتوراه. وإذا لم يقم الكناسون التابعون للبلدية بإزالة ذلك فجرا، فإن تسونج نفسها سوف تحضر ومعها جردل مياة. إنها بذلك تنتهى بالفعل من عمل سوف تعود للقيام به فى اليوم التالى. والناس يتبرعون بالعملات دون أن يدركوا أنها تخدعهم، فهذه اللوحات لم يتم محوها أبدا. كل ما فى الأمر هو تغيير الطريق أو لون الطباشير لكنها مرسومة فى اليد وفى صندوق طباشير، فى شكل نظام خبيث مكون من عدة حركات. وأقول تحديدا إنه إذا ما قام أحد أولئك الفتية ذات صباح وحرك ذراعيه فى الهواء فإنه يستحق عشر فرنكات ولا مراء فى ذلك كما لو كان يرسم نابليون. لكننا فى حاجة إلى أدلة هاهم هناك أعطيهم عشرون فرنكا، هيا لا تكونى بخيلة.

– لقد أعطيتهم قبل مجيئك.

– شئ مثير: إننا فى حقيقة الأمر نقوم بوضع تلك العملات فى أفواه الموتى، إنه التبرّع الزهيد المناسب. إنه تكريم لكل ما هو زائل، وأن تكون هذه الكاتدرائية عبارة عن نموذج من الطباشير يذهب به الماء فى ثانية. ها هى العملة هناك وسوف تولد

64

الكاتدرائية من جديد. إننا ندفع ثمن الخلود وثمن الاستمرار، لا نقود، ولا كاتدرائية. هل أنت أيضا من الطباشير؟

لم ترد عليه بولا، إلا أنه وضع ذراعه على كتفها وسارا فى بول ميش Boul' Mich ذهابا وجيئة قبل أن يدلفا ويتسكعا فى شارع دوڤين. إنه عالم من الطباشير الملون يدور حولهما ويضمهما إلى رقصته، وكذلك البطاطس المقلية المصنوعة من الطباشير الأصفر والنبيذ من الأحمر والسماء الصافية الباهتةالزرقة من الطباشير ذى اللون السماوى يخالطه شئ من اللون الأخضر بالقرب من النهر. ومرة أخرى يقومان بالقاء *العملة المعدنية فى علبة السجائر للحيلولة دون هروب الكاتدرائية*، ويدينانها بالفناء لتكون من جديد، تذهب تحت وطأة خرطوم المياة، لتعود كالطباشير بعد أن كانت مكونة من الطباشير الأسود، والازرق، والأصفر. شارع دوفين من الطباشير الرمادى أما *السلّم* فهو من *الطباشير المرقّط*، *والحجرة*، بخطيها *المحتدين* بطريقة ذكية، ما هى إلا طباشير من الأخضر الفاتح، أما الستائر فهى من الطباشير الأبيض والسرير بمفرشة المكون من مختلف ألوان الطباشير. تحيا المكسيك! والحب، وطباشيرة الجائع الذى يعلن حاجته إلى مُثَبِّت له فى الزمن الحاضر، وهناك حبّ من الطباشير المعّطر، وفم من الطباشير البرتقالى، والحزن والوفرة من الطباشير عديم الألوان، الذى يدور فى تراب ومسحوق غير محدد المعالم ثم يستقر على الوجوه النائمة أو على الطباشير المرهق للأجساد.

– قالت بولا :

– إن كل شئ يتفكك عندما تلمسه وربما عندما تنظر إليه إنك مثل حمض رهيب، إنى أخاف منك.

– إنك تولين اهتماما زائدا عن الحد بالعبارات المجازية.

– ليس ما تقوله فقط، بل إنها طريقة ... لست أدرى، مثل الفخ. أحيانا ما أفكر أنى سوف أرتمى بين ذراعيك وأسقط فى بئر. إنه أسوأ من مجرد الحلم بالسقوط فى الهاوية.

– قال أوليڤيرا :

– ربما لست تائهة تماما.

– أو، اتركنى فى هدوء، أنا أعرف كيف أعيش، أتفهمنى. أنا أعيش جيدا على الطريقة التى أحيا بها. هنا، مع أشيائى وأصدقائى.

– عَدّى، عددى. فهذا يساعد. امسكى بالأسماء وبذلك لن تسقطى. ها هو هناك

64

الكومودينو، والستارة لم تتحرك من على النافذة، ولازال كلوديت يعيش فى نفس المكان فى Dan- Ton 34 وماذا وأمك تكتب لك من Aix فى ـ Provence، يسير كل شئ على ما يرام.

– إنك تخيفنى أيها الشبح الأمريكى ـ قالت بولا وهى تلتصق به ـ لقد اتفقنا على أننا لن نتحدث فى منزلى عن ...

– الطباشير الملون .

– عن ذلك كله.

أشعل أوليڤيرا سيجارة جلواز ونظر إلى الورقة المطوية على الكومودينو

– هل هى نتيجة التحليلات؟

– نعم. يريد أن أقوم بها فورا. ضع يدك هنا، إنها أسوأ من الأسبوع الماضى.

أوشك الظلام أن يحل بالكامل. بولا تبدو كـأنـهـا إحـدى بطلات بونارد Bonrnard مستلقية على السرير وتلفها آخر خيوط الضوء فى لون أخضر مشبع بالأصفر. «إنها كنّاسة الصباح» فكرّ أوليڤيرا وهو يميل ويقبّلها على نهدها، وبالتحديد فى المنطقة التى أشارت إليها بأصبع غير مستقر الاتجاه. «لكنهم لا يصعدون حتى الدور الرابع فلم يُعَرف أن صـعـدت كنّاسـة أو بستَّانيـة إلى الدور الرابع. أضف إلى ذلك أن الرسّام سوف يأتى غدا ويكرر نفس الشئ تقريبا ... أى تلك الحَنّية الناعمة جدا التى عليها...» تمكن من الإمساك عن التفكير، وتمكن من تقبيلها قبلة للحظة واحدة.

(-155)

– نموذج بيانات النادى
– جريجور فيوس ـ أوسيب
– بلا وطن
– القمر بدر (الجانب المقابل، غير مرئى فى ذلك Presputnik): حُفَر أم بحار أم تراب؟ يميل إلى ارتداء اللون الأسود، والرمادى والمرقّط. لم ير على الإطلاق وهو يرتدى حُلّة كاملة. هناك من يؤكد أن لديه منها ثلاثة لكنه يقوم بتوليف چاكت إحداها مع بنطلون الأخرى. قد لا يكون من الصعب التأكد من هذا.
– السن: يقول إن عمره ثمان وأربعون عاما.
– المهنة: مثقف. تقدم أخت جدته بارسال مبلغ شهرى له.
– كارنيه الإقامة: أ– ث 3456923 (لمدة ستة أشهر قابلة للتجديد. وقد تم تحديد ذلك ست مرات. وفى كل مرة تزداد صعوبة التجديد عن ذى قبل)
– البلد الأصلى: ولد فى بورزك Borzok (ربما كانت شهادة الميلاد مزورة وبذلك طبقا لما صرّح به جريجورو فيوس للبوليس فى باريس. وأسباب ذلك الافتراض تكمن فى المفكّرة)
– البلد الأصلى: كانت بورزك يوم مولده جزءا من الأمبراطورية النمساوية المجرية وبالتالى فالأصل الـ magyar هو بديهى ـ يطيب له التنويه بأنه تشيكى البلد الأصلى: ربما كانت بريطانيا العظمى. فَقْد وُلد جريجورفيوس فى جلاسجو. والده يعمل فى البحرية وأمه من سكان اليابسة، وهو محصلة تدرّج إجبارى، «وتَسْتيفَ» شحنة بطريقة هشة، وبيرة قوية، وليونة xenafilicas مبالغ فيها من قبل الآنسة مارجوى بابنجتون ٢٢ سن إستيوارت.

يطيب لجريجورو فيوس أن يبحث عن جذور صعلكة، وسمعة سيئة للحمل الذى مرت به أمهاته (كن ثلاثة طبقا لروايته وهو سكران) وقد أسند اليهن سمات فيها شطارة فـ هيرسك ماجدا رازيويل Hergogin Magda Rasenswill التى تظهر على زجاجات الويسكى والكونياك كانت من عاشقات المساحقة وهى صاحبة مؤلف شبه علمى بشأن carezza (الذى ترجم إلى أربع لغات). أما السيدة بابنجتون التى أدمنت شراب الچن فقد انتهى بها الأمر لتمارس البغاء فى مالطا. أما الأم الثالثة فهى بمثابة مشكلة لكل من ايتين وونالد وأوليڤيرا. فهم شهود على ظهورها واختفائها السريع من ماركات النبيذ مثل Beaujolaus و Cotes du Rhone أو AligoteBourgogne. وكان لها اسم طبقا

65

لكل حالة فهى جال Galle وهى أدجال Adgalle أو منتى Minti. تعيش بحرية كاملة تنتقل بين الهرسك ونابولى وتسافر إلى الولايات المتحدة مع شركة متخصصة Vaude Ville وهى أول امرأة تدخن فى أسبانيا، وتبيع زهور البنفسج على بوابة مبنى الأوبرا فى فيينا وتخترع وسائل لمنع الحمل، وتموت مصابة بالتيفود. إنها تحيا لكنها أصيبت بالعمى وتعيش فى أويرتا Huerta تختفى برفقة، سائق القيصر تسراسكواى ـ سيلو Tsarskoie- selo تبتز ابنها فى السنين الكبيسة، وتمارس العلاج بالماء، ولها علاقة مشبوهة بأحد القساوسة فى بونتواز Pontoise، ماتت عند ميلاد جريجورو فيوس الذى يمكن أن يكون ابن رائد الفضاء سانتوس دومونت Santos Dumont. وقد لاحظ الشهود ـ بشكل غير مفهوم ـ أن هذه الروايات المتتابعة (أو المتزامنة) عن الأم الثالثة تشير كلها إلى جورديف Gurdiarff الذى يكن له جريجورو فيوس إعجابا شديدا وأحيانا يعبر عن احتقاره له.

(-11)

66

المراحل التى مر بها موريلّى، والجانب الخاص بـBouvard pecuchet† والجانب الخاص به كجامع للتقويم الأدبى (ففى لحظة معينة يطلق على أعماله «التقويم»). يروق له رسم بعض الأفكار لكنه غير قادر على القيام بذلك. والتصميمات التى تظهر على هامش ملاحظاته غير جديرة. إنها تكرار، فيه هوس، لخطّ حلزونى يرتعد، بإيقاع يشبه تلك الخطوط التى تزين Stupa de sanchi.

يطرح العديد من النهايات لكتابه الذى لم ينته ويترك الماكيت. الصفحة تتضمن جملة واحدة «فى حقيقة الأمر كنت أعرف أنه لا يمكن الذهاب إلى أبعد من ذلك فلا شئ هناك» وتتكرر الجملة فى الصفحة وتعطى الانطباع بوجود حائط ووجود مانع. لاتوجد علامات ترقيم، أو حتى هوامش. إنها بالفعل حائط من الكلمات يبرز معنى العبارة والاصطدام بحاجز. لا يوجد وراءه شئ. وفى أسفل الصفحة من الناحية اليمنى تفتقد الكلمةLo . والعين الفاحصة هى التى تكتشف الفجوة القائمة بين قوالب الطوب والضوء الذى يَنْفُذُ.

(–149)

أقوم بربط حذائى. وأنا سعيد وأصفرّ طربا، وفجأة، اللاسعادة. لكننى اصطدتك هذه المرة أيها الكَرْب، وشعرت بك سابقا على أى منهج عقلى، وعلى أول حكم بالنفى. شعرت بك كلون رمادى تحوّل إلى ألم ومعدة، وفى الوقت ذاته تقريبا (وبعد ذلك خدعتنى هذه المرة) أخذ الفهرس الذكى يفتح لنفسه طريقا من خلال الفكرة الأولى التفسيرية: «والآن يعيش يوما أخر ...إلخ» حيث تتم مواصلة: «أنا أشعر بالكدر وذلك ... إلخ»

تسير إلى المكانية الفيزيقية) يكفى أن يتغير إتجاه النسمة (**لكن ما الذى يغيرّ مقياس الزوايا؟**) وبعد ثانية تصل القوارب إلى هنا وهى سعيدة وعليها قلوعها الملونة. «وبعد كل هذا لا يوجد سبب للشكوى» ذلك الأسلوب.

استيقظت ورأيت النور نور الصباح بين فتحات الشيش. كان آتيا من أعماق الليلة التى مررت بها وكأننى أتقيأ من أعمق أعماقى، يتنابنى الفزع من الإطلالة على يوم جديد يحمل نفس مواصفات تقديم نفسه، واللامبالاة الميكانيكية فى كل مرة: الوعى، والإحساس بالنور، وتفتح عينيك، والشيش والفجر.

فى تلك الثانية وفى الاطار الكامل لحالة شبه النوم قمت بمشاهدة الرعب الذى تعجب وتزهر به الأديان، ألا وهو الكمال الأبدى الكون والثورة الدائمة للكرة حول محورها إنه الغثيان، وشعور بالقهر لا يستطيع المرء تحمله، **فأنا مجبر على الموافقة على أن الشمس تشرق كل صباح**. إنه لأمر رهيب، وشئ غير إنسانى.

قبل أن أخلد للنوم تخيلت (رأيت) كونا مرنا متغيرا ومليئا بالصدف الرائعة وسماء مرنة وشمسا تختفى فجأة أو تطل ثابته أو تغير من شكلها.

كم وددت فى تَفَرّق مجموعة الكواكب والنجوم التى هى دعاية ممقوتة ومضيئة لـ Trust Divi no Relojero.

(-83)

لا يكاد يكدّر عليها خط تفكيرها حتى يفاجئها الـ Clemiso فكانا يسقطان في hidromurias وفي ambonios وحشية وفي sudtalos ساخطة. وفي كل مرة يحاول فيها relamat las incopelusas كان ينخرط في حالة كدر شكاءة ولم يكن أمامه إلا envulsionarse فيما يتعلق بـ nóvalo ويشعر كيف أن Los arnillas كانت Se espejunaban وكانت تأخذ في apeltronando و reduplimiento حتى يصبح ممدّدا وكأنه الـ trimalciato de ergomanina حيث ترك ليسقط عدة Filulas من catiacencia. ومع ذلك لم يكن هذا إلا البداية ففي لحظة معينة كانت las hurgalios tordulaba وتجعله يقرب بنعومة sus orfelunia. ولم يكادا se entreplumaban وكأن هناك ulucordie las encres- terialoa les eztreyuxtaba y paramauia وفجأة كأن الـ clinon و la esterfusosa con- vulcante de las mátricas و La jadehallanteembocaplvuia del orgumio los esproemi- os del merpasmo في salirehumitica agopauser. إيفوي! إيفوي Evohé وعندما volporades إلى قمة murelio كانا يشعران بأنهما balparamar, perlincs y mawlos . كان الـ Troc يرتعش وكانت las marioplunas تتراجع وكان كل شئ يذوب في pinice عميق وفي gasas nioleмas de argatendidas وفي Carinias تكاد تقسم بالقسوة التي-tordo penaban بها إلى أقصى درجات الـ gunfias.

(-9)

Renovigo العدد الخامس

مُنْتَحِرٌ آخر

كانت مفاجأة غير سارة أن تقرأ فى «أورتوجرافيكو Ortografiko» نبأ وفاة المقدم أدولفو أبيلاسانس فى سان لويس بوتوس فى أول مارس (الذى رقى إلى عقيد تمهيدا لسحبه من الخدمة). كانت مفاجأة، فلم تكن لدينا أنباء عن ملازمته الفراش. وفيما عدا ذلك فقد أدرجنا اسمه بين أصدقائنا من المنتحرين. وذات مرة أشارت مجلة "Renovigo" إلى بعض الظواهر التى لوحظت عليه. والفارق أن أبيلا سانشيت لم يختر المسدس مثل الكاتب جيرّمو ديلورا المناهض لسلوكيات رجال الدين كما لم يختر الحبل مثل الفرنسى إيو جينيو لانى.

كان أبيلا سانشيث رجلا جديرا بالاهتمام والاحترام. وكان مثلا للجندية وشرّف المكان الذى فيه قولا وفعلا، فقد كان مثالا رفيعا للولاء وشارك فى ميدان القتال. هو رجل مثقف، وقام بتوصيل العلوم إلى الصغار والكبار. هو أيضا مفكر فقد كتب فى كثير من الصحف، وخلّف لنا بعض أعمال لم تنشر بعد، ومن بينها «دروس من المعسكر» كان شاعرا يقرض الشعر بسهولة وطلاقة فى العديد من الأجناس الأدبية، كان فنانا يستخدم القلم والريشة، وأهدى لنا أعماله فى أكثر من مناسبة. هو عالم لغويات إذ كان مولعا بترجمة مؤلفاته إلى اللغة الأنجليزية وإلى لغة الأسبرانتو واللغات الأخرى.

كان أبيلا سانشيت رجلا مفكرا، وعلى ثقافة وخلق. هذه هى أسس ما عنده. وفى الجانب الآخر هناك عدة أمور من الطبيعى أن يتردد المرء فى الكشف عنها لأنها تتعلق بحياته الخاصة. لكن لما كانت الشخصية العامة ليس لها حياة خاصة، وكان أبيلا سانس من تلك الشخصيات فإننا نخشى أن نقع فى المحظور ولا نفصح عن الوجه الآخر للعملة. من الواجب علينا طبقا لمفاهيمنا ككتاب سير ومؤرخين أن نتجاوز هذه العوائق.

عرفنا شخصيا أبيلا سانس حوالى عام ١٩٣٦ فى لينارس ن. ل. وبعد ذلك التقينا

69

به فى مونت ديى، ودخلنا منزله حيث بدا فى رغد وسعادة. وبعد ذلك بعدة أعوام زرناه فى سامورا. لكن انطباعنا هذه المرة كان على النقيض فقد لاحظنا أن المنزل تتهاوى أركانه، فبعد بضعة أسابيع تركته زوجته الأولى، وبعد ذلك تفرق شمل الأبناء. وفى سان لويس وجد بوتوس فتاة طيبة رأت هى فيه خفة الروح ووافقت على الزواج منه: ولهذا كوّن أسرة ثانية طال عمرها لحسن الحظ أكثر من الأولى، ولم تفارقه زوجته هذه المرة.

ما هى الأعراض التى بدت أولا على أبيلا سانس: هل هى الخاصة بالخلل العقلى أم إدمان الكحوليات؟ لسنا ندرى لكن اجتمع كلاهما عليه، وقضيا على مشوار حياته وأفضيا به إلى الموت. وكان لابد أن نتوقع لمريض فى سنواته الأخيرة أن يسير فى طريق الانتحار، وهى نهاية لا مفرّ منها. يفرض الشؤم نفسه عندما يلاحظ المرء أناسا وهم يسيرون نحو غروب مأساوى قريب.

كان الرجل يؤمن بالحياة الآخرة. وقد أكد أن السعادة الأبدية فيها، وهى السعادة التى نهفو إليها معشر البشر رغم إنها بمواصفات مختلفة.

(52-)

70

«عندما كنت فى قضيتى الأولى لم يكن الله معى ... كنت أحب نفسى ولم أكن أحب شيئا آخر، كان ذلك ما كنت أريده، وكنت أريد ما كان، وكنت حرا طليقا ... ولهذا أتضرع إلى الله أن يعتقنا، وأن نصل إلى كُنْه الحقيقة ونحظى بها للأبد، نصل إلى حيث الملائكة فى عليين، فلا فرق بين الذبابة والروح، أعود إلى حيث كنت، وحيث كنت أحب ذلك الذى كان وكان ذلك الذى أحبه ...».

Meister Eckhardt.(١)

Sermon Beati Pauperes spiritu

(–147)

71

موريليات:

ما هى، فى حقيقة الأمر، حكاية الوصول إلى مملكة أبدية، وفردوس وعالم آخر؟ إن كل ما يكتب فى هذه الآونة، ويستحق القراءة، يسير فى إتجاه الحنين والشوق. إنها مجموعة أركاديا، والعودة إلى الرَّحِم الأكبر، العودة إلى آدم، المتوحش الطيب (و...) الفرودوس المفقود، الذى فُقِدَ بحثاً عنك، وأنا فى ظلمة دائمة ... وعليك بالجُزُر cfr (Musil أو الرهبان البراهمانيين gurus (إذا ما كان لديك ثمن تذكرة باريس بومباى) أو أن تأخذ فنجان قهوة وتنظر إليه من كل الجوانب، لا على أنه فنجان بل على أنه دليل على المتاهة الكبيرة التى نحن فيها، والاعتقاد بأن ذلك الشئ ما هو إلا مجرد فنجان قهوة فى الوقت الذى يقوم فيه أكثر الصحفيين بلاهة ويلخص لنا نظرية الكَم فى الفيزياء التى أشار إليها كل من بلانك[١] plank وهيسنبرج[٢] Heisenberg ويجهد نفسه فى ثلاثة أعمدة ليقول لنا إن كل شئ يهتز ويتحرك كأنه قط يستعد للقيام بالقفزة الكبرى للهيدروجين أو الكوبالت وسوف يقلب الأمور رأسا على عقب. إنها طريقة تعميمية للتعبير.

لون فنجان القهوة أبيض، أما البدائى الطيب فهو بُنِّى اللون، وبلانك كان ألمانياً من الطراز الأول. ووراء كل ذلك (دائما فى المؤخرة، وعلى المرء أن يقتنع أن هذه هى الفكرة الرئيسية فى *الفكر الحديث*) هناك *الفردوس، والعالم الآخر والبراءة الحبيسة التى* تبحث عن نفسها وهى تبكى، وهى أرض هرقليا Hurqalā. الجميع يبحثون، وكل، على طريقة الجميع، يريد أن يفتح الباب ليذهب للهَو. وليس من أجل عدن، من أجل عدن فى حد ذاتها، بل ليخلِّفوا وراء ظهورهم سيل الطائرات، ووجه خروشوف وإيزنهاور أو ديجول أو فرانكو، إنه الاستيقاظ على صوت الجرس الصغير، والارتباط بالترمومتر والمحجم. إنها الفرحة بالركلات الموجهة إلى العَجُز (**وعلى مدى أربعين عاما** يكبر العجزّ حتى يكون الألم أقل، لكنه لازال يؤلم بنفس الطريقة. إذ يزداد نفاذ سن الحذاء، وفى كل ركلة يرتخى فيها العَجُز المسكين لموظف الخزنة أو صف الضابط أو مدرس الأدب أو الممرضة) ونقول بأن hom الإنسان القديم Sapiens لا يبحث عن الباب، ليدخل إلى المملكة الأبدية (رغم أن ذلك قد لا يكون فيه أى شئ سيئ) بل يحاول أن يغلقها وراءه ويهز عجزه كأنه كلب سعيد يعرف أن حذاء هذه الحياة المتعبة لم يعد يضايقه وقد أخذ يضرب نفسه من وراء الباب المغلق، ويمكن للمرء أن يذهب وقد تنفس الصعداء وأخذ يفك زر العجز، ويعتدل، ثم يأخذ فى السير وسط أزهار الحديقة ويجلس ليتأمل سحابة،

71

ويستغرق فى ذلك مالا يقل عن خمسة آلاف عام أو عشرين ألف عام إذا ما كان ذلك ممكنا. وإذا لم يغضب أحد وإذا ما كنت هناك فرصة **للبقاء فى الحديقة لتأمل الزهور**.

ومن حين لآخر يوجد بين المارة الذين يسيرون بشكل جماعى والعجز قد **اتّسع مَنْ** يودّ إغلاق الباب ليحمى نفسه من الركلات ذات الأبعاد الثلاثة التقليدية دون أن يأخذ فى الاعتبار تلك القادمة من مستوى الفهم ومن المبدأ الخاص بالسبب الكافى، إلى غير ذلك من التفاهات التى لا حد لها؟ وفوق ذلك يعتقد هؤلاء أننا لسنا فى الدنيا، وأن آباءنا العظام قد وضعونا فى عملية قرصنة يجب الخروج منها إذا لم يرد المرء أن ينتهى به الأمر إلى تمثال **يركب حصانا** أو يتحول إلى جدّ مثالى، وأنه لم يضع أى شئ إذا ما كانت لديه الجرأة فى نهاية الأمر ليعلن أن كل شئ قد ضاع، ويجب البدء من جديد مثل مشاهير العمال الذين أدركوا ذات صباح، من خلال أغسطس عام **1970** بأن نفق مونت براسكو Monte Brasco غير مستقيم الاتجاه، وأنهم سوف يخرجون بعيدين عن النفق الذى يحفره العمال اليوغوسلاف بحوالى خمسة عشر مترا من ناحية دوبلڤينا. ماذا فعل هؤلاء العمال المشاهير؟ لقد تركوا النفق الذى يحفرونه كما هو، وخرجوا إلى السطح وبعد عدة أيام وليالى من النقاش فى أكثر من كانتين فى بيومونت Piemante أخذوا يحفرون فى مكان آخر من «البراسكو» على مسئوليتهم وواصلوا عملهم دون أى اعتبار للعمال اليوغسلاف ووصلوا إلى جنوب دوبلفينا بعد أربعة أشهر وخمسة أيام. وقد فاجأوا مدرسًا على المعاش، إذ رآهم وهم يظهرون على مستوى حجرة الحمام فى منزله. وهذا مثال يحتذى، كان على عمال دوبلفينا أن يحذوا حذوه (رغم أنه من المهم الإشارة إلى أن العمال المشاهير لم يُبْلغوا الآخرين بنواياهم) وبدلا من الإصرار على الاتصال بنفق آخر لا يوجد مثلما هو حال الكثير من الشعراء الذين يطلّون من النافذة وغرفة المعيشة فى منتصف الليل وقد ظهرت أجسادهم حتى المنتصف.

وهكذا يمكن للمرء أن يضحك ويظن أنه لا يتحدث بشكل جاد، لكن نعم، إنه يتحدث بشكل جاد، فالابتسامة وحدها قد حفرت الكثير من الأنفاق المفيدة، أكثر من كل دموع الأرض، رغم أن ذلك قد لا يروق غلاظ الرقاب الذين يصرون على على أن ربة الفناء والمأساة ملبومينى Melpomene هى أكثر ثراء من الملكة ماد(٣) Queen Mad. وليكن واضحا أننا تختلف فى هذا الموضوع. ربما كان هناك مخرج إلا أنه يجب أن يكون مدخلا. ربما هناك مملكة أبدية لكن ليس ذلك الهروب من عبء معادى بقولى الاستيلاء

71

على القلعة دفعة واحدة. وحتى الآن فهذا القرن قد فرّ من أمور عديدة وهو الآن يبحث عن الأبواب وأحيانا ما يزيلها. ولا يعرف ما الذى سيحدث بعد ذلك. لقد وصل البعض إلى مرحلة الرؤية وقد زالوا بعد أن محاهم النسيان فورا، كما أن البعض قد اكتفى بماسورة العادم الصغيرة الحجم، ولجأوا إلى المنزل فى خارج المدينة، وغاصوا فى التخصص الأدبى أو العلمى، أو السباحة. يتم وضع خطط للهروب ويتم إدخال العناصر التكنولوجية عليها وتركيبها باستخدام الـ Modulor أو قاعدة Nylon. هناك بعض الحمقى الذين لازالوا يعتقدون أن حالة السكر يمكن أن تكون منهاجا أو الميستالين (نوع من العرقى) أو الشذوذ الجنسى أو أى شئ صغر أم كبر فى نفسه إلا أنه تم الارتقاء به إلى نظام، إلى مفتاح للمملكة. يمكن أن يكون هناك عالما آخر داخل ذلك(٤)، لكننا لن نعثر عليه ونحن نقصّ شكله، ونعّد له مع مرور الأيام والحيوات. لن نعثر عليه من خلال الضمور أو زيادة النمو. ذلك العالم لا يوجد. لابد وأنا نبدعه وكأنه العنقاء. ذلك العالم يوجد فى ذاك لكن مثل وجود المياة فى الأوكسجين والهيدروجين أو فى الصفحات رقم **78، 457، 3، 271، 68، 75، 456** فى قاموس الأكاديمية الأسبانية حيث يمكن كتابة قصيدة على نسق البحر الشعرى الجديد الذى أتى به جارثيلاسو. لنقل إن العالم شخصية يجب قراءتها، ونعنى بالقراءة توليدها. من الذى يهمه القاموس فى حد ذاته؟ فإذا كان التفاعلات الكيماوية الحساسة والتناضح وخليط من المواد البسيطة تأتى بياتريث فى النهاية على شاطئ النهر، فيكف لا تشك ونحن فارغى الأفواه فيما يمكن أن يتولد منها.؟ إنها مهمة غير مجدية للإنسان الذى يقوم بدور حلاق لنفسه، ويكرر كل خمسة عشر يوما قص الشعر، وهكذا حتى الملك بأن يمدّ نفس الترابيزة، ويقوم بعمل نفس الشىء من جديد ويشترى نفس الصحيفة ويطبق نفس المبادئ على نفس المشاكل. يمكن أن تكون هناك مملكة أبدية، لكن إذا ما وصلنا إليها فى إحدى المرات، وإذا ما كناً نحن تلك المملكة فلن يكون اسمها هكذا. ولما لم نقدر علي أن تنتزع من الزمن سوط التاريخ، وحتى ننتهى من كل عبارات، فإننا سنظل نرى الجمال لهدف، والسلام كأمنية ودائما ما نكون على ذلك الجانب من الباب حيث لا يكون كل شئ سيئا. ذلك أن هناك العديد من الناس يجد حياة مرْضية، وبرفانات رقيقة، ورواتب مجزية وإنتاج أدبى رفيع المستوى، وأجهزة صوتية بالاستريو، ولماذا يقلقون إذن، إذا ما كان من الممكن أن يكون أبديا أو أن التاريخ يقترب من النقطة المناسبة، وتتجاوز السلالة البشرية العصور الوسيطة لتدخل عصر الالكترونيات. إن كل

71

شئ يسير سيرا حسنا يا سيدتى الماركيزة، كل شئ يسير على أفضل ما يرام، على أفضل ما يرام(٥).

وفيما عدا ذلك لابد وأن يكون المرء أبلها، ولابد أن يكون شاعرا، وأن يكون فى قمر فالنسبة، ليخسر أكثر من خمس دقائق وهو يرى تلك الأشواق وقد زالت على المدى القصير. ففى كل اجتماع يعقده المدراء الدوليون، ورجال العلم، وكل قمر صناعى جديد وكل هرمون أو مفاعل نووى يقضى، بشكل أو بآخر، على هذه الآمال الواهنة. سوف تكون المملكة من مادة جمالية. وهذا واقع. وليس الأمر ان العالم قد يتحول إلى كابوس على طريقة أورويل Orwell أو هاكسلى Hwxley. هذا سوف يكون أسوأ وسوف يكون عالما ممتعا على مقاس ساكنيه دون أن يكون هناك ناموس أو أى شخص لا يعرف القراءة والكتابة، وسوف تكون فيه الدجاجات ضخمة الحجم وربما تكون لها ثمانية عشر رجلا، وكلها جميلة، وسوف يكون لها دورات مياة مجهزة بالاتصالات، ومياها مختلفة الألوان طبقا لليوم والأسبوع. وسوف تكون هناك رعاية خاصة من إدارة الصحة العامة،

سوف يكون هناك تلفزيون فى كل حجرة، وعلى سبيل المثال مَشاهد طبيعية إستوائية لسكان ريجافيك Reijavik ومنظر خارجى لسكان هافانا، وهى مقابل دقيق يسهم فى إرضاء وتثبيط أى تمردّ.

إلخ

أى أن يكون عالما مُرْضِيًا لأناس عقلاء.

وهل سيبقى فيه أحد، فرد واحد، غير عاقل؟

سوف تكون هناك أطلال المملكة المنسية فى أحد الأركان. وسوف تكون بعض الوفيات العنيفة عقابا على تذكر تلك المملكة، وسوف يكون بقاء المملكة متمثلا فى بعض الابتسامات وبعض الدموع. وفى جوهر الأمر يبدو أن الإنسان سوف ينتهى به الأمر لقتل إنسان. سوف يفرّ منه وسوف تمسك به دوامة الماكينة الالكترونية والصاروخ الفضائى، وسوف يتعرض لأحدى الضربات وبعد ذلك يفرّ لايلحق أحد به يمكن قتل كل شئ ما عدا الشوق للمملكة فهذا سوف يظل فى لون عيوننا وفى كل حب، وفى كل ما يقض مضجع الإنسان ويخدعه. أن يفكر المرء مثلما يريد، ربما هذا. لكن ذلك هو تعريف آخر ممكن لذى الرجلين منتوف الريش.

(5 –)

71

– حسنا فعلت عندما جئت إلى المنزل يا حبى، لقد كنت مُتْعبا.

– قال أوليڤيرا :

– هذا ليس مكانا كالبيت.

– تناول كوبا آخر من الشاى لقد انتهيت من إعداده للتّو.

– يبدو أنه لازال مراً وأقولها وأنا مغمض العينين، هذا شئ رائع. آه لو تتركيننى لأنام قليلا بينما تقرئين إحدى المجلات.

– نعم يا عزيزى ـ قالت جيكربتين وهى تجفف دموعها وتبحث عن عدد من مجلة Idilio على سبيل الطاعة رغم أنها غير قادرة على قراءة أى شئ.

– يا جيكربتين.

– نعم ياحبى

– لا تقلقى لهذا يا عجوز.

– بالطبع لا، أنتظر لأضع لك كمادة أخرى باردة.

– سوف أستيقظ فى غضون فترة قصيرة وبعدها نقوم بجولة فى ألماجرو Almagro فربما كانوا يعرضون حفلة موسيقية.

– غدا يا حبى، ومن الأفضل أن ترتاح الآن. لقد كان وجهك حين جئت ...

– إنها طبيعة المهنة، وليس هناك مخرج، لا تقلقى. لقد سمعت كيف يَصْدَح ثِين باسوس Cien Pasos.

– قالت جيكربتين :

– إنهم يغيّرون له الحبوب. ذلك الحيوان العجيب إنه شكور جدا ....

– كرر أوليڤيرا :

– شكور ياله من شكر لمن قام بوضعه فى القفص.

– الحيوانات لا تعى ذلك.

– كرر أوليڤيرا :

– الحيوانات .

(-77)

نعم، لكن من سيعالجنا من هذه النار الصماء، هذه النار التى لالون لها والتى تسرى ليلا فى شارع هاشيت، وتخرج من الأبواب التى أكلتها القرصنة، ومن الدهاليز الضخمة، من ينقذ من هذه النار التى لا شكل لها والتى تعلق بالحوائط وتتربص بنا عند مداخل الأبواب؟ ما الذى سنفعله لنعالج الحروق اللذيذة الدائمة التى أصابتنا بها، والتى تستقر لتكون خليفة. للزمان والذكريات؟ من ينفذنا من هذه المواد اللزجة التى تمسك بنا فى هذا الجانب والتى سوف تشتعل فينا بمتعة حتى نتحول إلى رماد. عندئذ يكون الأفضل الدخول فى تحالف مثل حال القطط والطحالب وعقد صداقات فوريّة مع الحارسات من ذوات الأصوات الخشنة، ومع الأطفال ذوى الوجوه الشاحبة والتى تظهر عليها علامات المعاناة، وهى تطل بحذر من النوافذ وتلعب بغصن جاف. النار تضطرم دون توقف، ونحن نتحمل الحَرْق الرئيسى الذى يتوغل مثل التعفن البطئ فى ثمرة الفاكهة. ونكون نبض النار فى خضم حجارة لا تنتهى ونسير فى ليل أيامنا مثلما يجرى الدم فى عروقنا وقد أطاع طاعة عمياء.

سألت نفسى كثيرا عما إذا كان ذلك ليس إلا كتابة فى زمن نركض فيه نحو الخداع برباطة جأش لا يكل، وماكينات الانصياع. لكن أن نسأل أنفسنا ما إذا كنا سنعرف الوصول إلى الجانب الآخر للعادة، أو من الأفضل أن نترك أنفسنا للسعادة بالأكترونيات. أليس الأمر أننا نتحدث من جديد عن الأدب؟ إنه التمرد، والانصياع والمرارة والغذاء الأرضى وكل المفاهيم الأخرى: الين Yin واليانج Yang والتأمل أو التاجيكيت Taligkeit، والشوفان الذى التف حول بعضه أو طيور الحجلىfaisandeeo (perdij) أو كهف لاسكو(1) Lascux أو الرسام ماثيو(٢) Mathieu، ويالها من كلمات مريحة وياله من جدل صغير يدور كأنه عاصفة فى جيب سترة البيجامة، وهزة ضخمة فى حجرة المعيشة. إن مجرد التساؤل عن إمكانية الاختيار تفرغ ما تم اختياره من محتواه وتقضّه. الأمر بنعم، وبلا، وأن فى ذلك هناك ... يبدو أن الاختيار لا يمكن أن يكون جدليا. إذا أن طرحه يفقره، أى يزيفّه، أى يحوله إلى شئ آخر. وبين الين واليانج كم هناك من الأبديات (éones)؟ ومن نعم إلى لا، كم يا ترى؟ كل شئ كتابة، أى أسطورة. لكن ماذا تفيدنا الحقيقة التى تهدئ من روع المالك الشريف؟ إن الحقيقة الممكنة بالنسبة لنا لابد وأن تكون ابتكارا أى كتابة، أى أدبا، أى رسما أى نَحتْا، وزراعة ومزارع أسماك وكل مشاعل هذا العالم. إن القيم هى مشعل، والصحة كذلك والمجتمع والحب ما هو إلا مشعل محض، وكذلك الجمال. يتحدث موريللى فى أحد كتبه عن ابن نابولى الذى قضى سنين عديدة جالسا على باب منزله وهو يتأمل مسمار بريمة ملقى على الأرض. وأثناء الليل يأخذه ويضعه تحت المرتبة، كان المسمار ابتسامة فى البداية

72

وكأنه نوع من الاستخفاف، وسخف عام واجتماع مجلس الجيران ورمزا لخرق الواجبات المدنية وأخيرا هز الأكتاف والسلام، كان المسمار هو السلام، ولا أحد يمرّ فى الشارع إلا ونظر بطرف عينيه للمسمار، وشعر أنه السلام، ثم مات هذا الرجل إثر حالة إغماء وبعد ذلك اختفى المسمار ولم يظهر الجيران. لابد أن أحدا منهم يخفيه وربّما يخرجه سرًا ويتأمله ثم يعود لحفظه ثم يذهب إلى المصنعّ وهو يشعر بشئ لا يفهمه، إنه نوع غامض من تأنيب النفس. ثم يهدأ عندما يخرج المسمار وينظر إليه، ويظل على هذا الحال حتى يسمع وقع خطوات فيقوم بإخفائه فورا. كان موريلى يرى أن المسمار لابد وأن يكون شيئا آخر، كأنه رب أو شئ من هذا القبيل. هذا حلّ سهل جدا وربما يكمن الخطأ فى القبول بأن هذا الشئ لم يكن إلا مسمارا، لأن شكله كذلك. نجد أن بيكاسو يأخذ سيارة لعبة ويحولّها فى نظره إلى أردوح cinocéfalo. ربما كان ابن نابولى أبلها لكنه من الممكن أيضا أن يكون مخترعا لعالم. من المسمار إلى العين، ومن العين إلى النجم .... فلماذا نستسلم للعادة الكبرى؟ يمكن اختيار المشعل، أى الابتكار، أى *المسمار* أو *السيارة اللّعبة*. بهذه الطريقة تتولى باريس تدميرنا رويدا رويدا، وبطريقة لذيذة، وتقوم بفَرْمنًا بين الزهور القديمة، والمفارش الورقية الملطخة ببقايا *النبيذ الأحمر*، وبنارها *التى لا لون لها*، والتى تسرى مع حلول الظلام وتخرج من *الأبواب التى أكلتها الأرضة*. تضطرم فينا نار مبتكرة، ومشعل متوهج، وعُدَّة اللّالة، ومدينة هى *المسمار الأعظم* والإبرة الرهيبة وفتحتها الليلية التى يجرى من خلالها خيط السين وماكينة التهذيب كأنها إبرة تطوير واحتضار فى قفص ملئ بطيور السنونو الغاضبة. إننا نحترق فى أعمالنا، ذلك الشرف العظيم الغانى وذلك التحدى القوى للعنقاء. لا أحد يشفينا من النار الصماء، النار التى لا لون لها والتى تسرى أثناء الليل فى شارع هاشيت. لا شفاء، بالكامل ليس هناك شفاء، ونختار المسمار الأعظم من خلال المشعل وننحنى عليه وندخل فيه ونعود لابتكاره كل يوم وفى كل بقعة نبيذ تسقط على المفرش الورقى وفى كل قبلة للطحّالب فى الصباح الباكر فى كور دى روهان†Cour de Rohan، إننا نبتكر حريقنا، ونحترق من الداخل إلى الخارج، وربما كان ذلك هو الاختيار، وربما كانت الكلمات تتضمن ذلك مثلما تغطى الفوطة الخبز ومثلما توجد الرائحة فى الداخل والدقيق يصبح أسفنجيا، النعم بدون لا أو اللا بدون نعم. النهار بدون مانيس Manes وبدون هرمز(٣) Ormuz أو أريمان Ariman وليحل السلام وكفى.

(-1)

73

المتمرّد الذى رآه موريلى من خلال ملاحظة مدونة ومشبوكة بدبوس ذى رأس إلى ورقة حساب المغسلة: «قبول الحصى ونجم Betade Centauro وقبول ما هو نقى ـ على أساس ـ القلّة وتقديمه على ما ـ هو ـ نقى ـ على أساس ـ الكثرة. إن ذلك الرجل يتحرك فى إطار الترددات الشديدة الانخفاض والشديدة العلّو، ولا يولى اهتماما بالوسيط منها فهى المنطقة التى تتحرك فيها جماع الأرواح الإنسانية. هو غير قادر على السيطرة على الظروف، ويحاول أن يدير لها ظهره. لكنه لا يقدر على الانضمام إلى هؤلاء الذين يكافحون من أجل السيطرة عليها، فهو يظن أن هذه التصفية لن تكون إلا محض تبديل لها بواحدة أُخرى تتسم أيضا بالجزئية والجمود، فيبتعد وهو يهز كتفيه. ويرى أصدقاءه أنه عندما يجد سعادته مع كل ما هو بسيط وصبيانى، مثل فتلة أو مجرد Stan Getz فهذا يدل على فقر مؤسف. لكنهم لا يعرفون أن الطرف الآخر موجود، أى الصعود إلى مكان يستعصى عليه، ويقطع الخيوط ويتوارى لكن المطاردة ليست لها حدود، كما أنها لا تنتهى بموت ذلك الرجل، فموته لا يعنى موت المنطقة الوسطى، والذبذبات التى تلتقطها الآذان التى تستمع إلى جنازة سيجفريد»(١).

وربما أمكن تصحيح النغمة المبالغ فيها لهذه الملاحظة بأخرى مكتوبة بالقلم الرصاص على ورق أصفر: « الحصى والنجم: صور لا معقولة. لكن التجارة الحميمة بالأغانى المسجلة التلألؤ... (كلمة غير مروءة)... بأن ذلك هو نجمBeta del Centauro. الأسماء والسمات تتراجع وتزول وتتحول إلى شئ مغاير لما يبتغيه العلم. وهكذا نجدها فى شئ هو (ماذا؟ ماذا؟): يد ترتعش، وهى تخبئ حجرا شفافا يرتعش أيضا» (أسفل، يوجد كتابة بالحبر تقول: «ليس الأمر متعلقا بوحدة الوجود، فهذا أمل لذيذ وسقوط إلى أعلى للدخول فى سماء مشتعلة على حافة البحر»).

وفى مكان آخر هناك ذلك الإيضاح: «إن الحديث عن الذبذبات المنخفضة والمرتفعة هو العودة من جديد إلى Idola fori وإلى اللغة العلمية التى هى أمل الغرب. وبالنسبة للتمرّد الذى أعرفه، فهذا يعنى صناعة برميل صغير وإصلاحه لاسعاد الأولاد الحاضرين لكن ذلك لا يمثل نوعا من الانشغال البسيط (منخفض بالمقارنة بالمرتفع،

وقليل بالمقارنة بالكثير ... إلخ) بل نوعا من التوافق بين العناصر المحضة، ومن هنا نجد الانسجام المؤقت والرضا الذى يساعده على تولى الباقى. يحدث نفسى الشئ فى لحظات الاستغراب والإغراب اللذيذ التى تحولّ ذلك بسرعة إلى لمسات وجيزة وخاطفة من شئ يمكن أن يكون فردوسا، لكن ذلك بالنسبة له ليس خبرة أعلى من مجرد ضياع برميل صغير، هو بمثابة غاية، لكن ليست أعلى، أو فيما وراء ذلك. كما أنه ليس غاية بمفهومها المؤقت، إنه دخول فى شئ هو بمثابة تجديد ملئ بالثراء. ويمكن أن يحدث له وهو فى دورة المياة، ويحدث له كثيرا وهو بين فخذى امرأة أو بين سحب الدخان وأثناء قراءات متوسطة ـ المستوى».

«وفى إطار الأحداث اليومية، فإن موقف المتّمرد يترجم من خلال رفضه لكل ما يُشْتَمّ فيه أنه فكرة تَمّ تلقيها أو خيانة أو هيكل مبتذل يقوم على الخوف والمزايا المتبادلة بشكل زائف. يمكن أن يكون روبنسن دونما جهد كبير. ليس بغيضا للبشر، لكنه يقبل من الرجال والنساء ذلك الجزء الذى لم يتم تغليفه بالبنية الاجتماعية: إنه هو نفسه يعيش الخوف وجسده موضوع فى القالب، ويعرف ذلك، لكنها معرفة نشطة وليست انطباعا لمن يقوم برسم إتجاه السير. ويضرب وجهه بيده التى لا تحمل شيئا معظم النهار وفى اللحظات التى لا عمل له فيها يضرب وجوه الآخرين الذين يردون له الصاع صاعين وأكثر. إنه يشغل وقته بهذه الطريقة، بالدخول فى مشاكل ضخمة تشمل العشاق والأصدقاء والموظفين والدائنين. وفى الوقت القليل الحر المتبقى عنده يستخدم حريته استخداما يجعل الآخرين فاغرى الأفواه، وتكون المحصلة كوارث ليست لها أبعاد درامية كبيرة. بل تكون على مقاسه ومن خلال طموحاته المكنة التحقيق. هناك حرية أخرى أكثر سرّية وهروبا تتولاه، لكنه فقط (فى القليل من الحالات) هو الذى يمكن أن يعى طبيعة ألعابه».

(- 6)

75

في الأزمنة الخوالى كان جميلا أن يشعر المرء بأنه يعيش حياة إمبراطورية تسمح بتأليف القصائد «السونيتو» والحوار مع النجوم والتأمل فى الليالى الصافية واللهو على طريقة جوته، والدردشة فى مقهى Calon والمحاضرات التى يلقيها الأساتذة الأجانب. ولازال هناك ـ فى تلك الآونة ـ عالم يحيط به ويعيش على هذا النمط ويمارس الحب على تلك الطريقة، إنه عالم جميل رشيق ومعمارى التصميم. وحتى يشعر بالمسافة التى تباعده الآن عن تلك الأعمدة لم يكن أمام أوليڤيرا إلا تذكر تلك الأيام ـ بابتسامة مُرّة ـ من خلال العبارات التى عفا عليها الزمان وإيقاع الأمس الملئ بالبذخ وطريقة القول والصمت. وفى بوينوس أيرس عاصمة الخوف، أخذ يشعر من جديد أنه محاط بذلك الذى يسمى بالحسّ الجيد، وخاصة بذلك الذى يسمى تأكيد الرضا الذى يضم تحت لوائه الشباب والشيوخ. وقبول الجميع لما هو آنى وفورى على أنه الحقيقى، وما هو كنسى على أنه، على أنه (أمام المرآة وفى يده أنبوبة معجون الأسنان. انطلقت ابتسامة أوليڤيرا لتكسو وجهه وبدلا من وضع الفرشاة فى فمه قرّبها من صورته فى المرآة وأخذ يدهن فمه الزائف بالمعجون الوردى اللون ويرسم القلب فى وسط الفم ويرسم الأيدى والأقدام والحروف. والبذاءات وأخذ يطوف على سطح المرآة مستخدما الفرشاة والضغط على الأنبوبة وهو يتلوى من القهقهة، حتى دخلت جيكربتين وقد فقدت صبرها حاملة صابونة...إلخ).

(- 43)

كانت اليدان هما سلاح بولا كالعادة. ها هو الغروب، وها هو التعب من تضييع الوقت في المقاهي، وقراءة الصحف اليومية التي لا اختلاف فيما بينها. وهناك ما يشبه سدّادة زجاجة بيرة تضغط برقة عند منطقة المعدة. إنها مهيأة لأي شئ ويمكن أن تكون فريسة فخاخ الكسل والعزلة. وفجأة تفتح امرأة شنطة يدها وتدفع ثمن القهوة ـ بالكريم. تلعب الأصابع بعض الوقت في القفل غير الجيد. ويخرج المرء بانطباع مفاده أن القفل يقاوم الدخول إلى بيت الزودياك، فعندما تجد أصابع هذه المرأة الطريقة التي تدير بها القفل الصغير ذا اللون الذهبي، والذي يُفتح من خلال نصف لفة لا تكاد ترى فإنه نوع من الهجوم الذي يدهش رواد الكنيسة الذين هالهم الـ Pernod والجولة حول فرنسا. وربما ابتلعهم هذا الخضم الذي هو عبارة عن فخ مخملي ذي لون بنفسجي وسوف يثير الدنيا كلها، كل لوكسمبورج وشارع Souffot سوفولو وشارع جي لوساك Gay / lussac ومقهى كابولاد Capoulad ونافورة دي ميدي Médicis وشارع مسيو لوبرنس M.le.Prince وسوف يبتلع كل ذلك ولا يترك إلا مائدة خالية والشنطة المفتوحة وأصابع المرأة التي تخرج قطعة عملة فئة المائة فرنك وتعطيها لـ Pére Ragen بيرراجون وفي الوقت ذاته نجد أوراثيو أوليفيرا الرجل الذي نجا من الكارثة يتهيأ ليقول ما يقال عادة بمناسبة حدوث الكوارث الكبرى.

– أجابت بولا :

– آه، سيادتك تعرف الخوف ليس مكمن قوتي.

قالت: أو تعرف سيادتك، تحدثت بلهجة مثل تلك التي تحدث ابها أبو الهول قبل أن يطرح اللغز، وكأنها توشك أن تعتذر، ومتغاضية عن شهرة عظيمة. تحدثت مثل كل النساء عن روايات توضح أن القاصّ فيها لا يريد مضيعة الوقت ويستخدم الحوار في العملية الوصفية وبذلك يجمع بين ما هو مفيد وما هو مناسب.

عندما أقول الخوف ـ لاحظ أوليفيرا وهو يجلس على هذه الكنبة التي عليها فرش أحمر وعلى يسار أبي الهول ـ فإنني أفكر أساسا في الوجه الآخر للعملة، إن سيادتك تحركين هذه اليد وكأنها وصلت إلى أقصى حد معين وبعدها هناك عالم مضاد للفطرة يمكن أن أكون فيه بمثابة شنطة يدك وتكونين حضرتك Pére Ragon. كان يأمل أن

76

تضحك بولا وألا تتعقد مسائل الحوار. لكنها (عرف بعد ذلك أن اسمها بولا) لم تجد المسألة لا عقلانية بالمرة. وعندما ابتسمت ظهرت أسنانها الصغيرة المنتظمة التى تضغط بعض الشئ على شفتيها المرسومتين بأحمر شفاه برتقالى اللون ومكثف. لكن أوليفيرا كان يتطلع إلى اليدين. فقد كانت تجذبه أيدى النساء، وكان يشعر بضرورة لمسها وأن يمرر أصابعه على كل جزء فيها ويحاول البحث عن أماكن تواجد العروق وذلك من خلال حركة مثل الـ Kinesiologo اليابانى. ويعرف طبيعة الأظافر. ويتطلع للكف ويقرأ خطوط الحظ السيّئ وبعض الأجزاء البارزة فى بطن اليد ويسمع صوت الحب بأن يضع الكف على أذنه بعد أن رطبّه الحب أو فنجان شاى.

(-101)

77

– سوف تدرك أنه بعد ذلك ...

– قال أوليڤيرا :

– أفعال وليس كلام؛ الإجمالى ثمانية أيام بمعدل سبعين بيزو يوميا، وبالتالى فإن حاصل ضرب ثمانية فى سبعين يساوى خمسمائه وستين. ولنقل خمسمائة وخمسين أما العشرة الباقية فلتدع المرضى لتناول الكوكا كولا.

– أرجو أن تأخذ متعلقاتك الشخصية فورا.

– نعم، سيكون ذلك خلال اليوم أو الغد ومن الأفضل الغد.

– ها هو المبلغ. وقع على الايصال من فضلك.

– لا تقل من فضلك، سأوقع وانتهى الأمر.

– إن زوجتى تشعر بانزعاج شديد ـ قال فيرّاجوتو وهو يدير له ظهره ويحرك السيجارة بين أسنانه.

– إنها الحساسية الأنثوية وكذلك انقطاع الدورة الشهرية إلى غير ذلك.

– إنها الجدارة يا سيدى.

– بالضبط هو ما أفكر فيه، وبمناسبة الحديث عن الجدارة شكرا على عقد الاستخدام فى السيرك. كان مسليا ولم يكن هناك كثير من العمل.

– إن زوجتى لم تدرك ذلك جيدا ـ قال فيرّاجوتو، لكن أوليڤيرا كان قد وصل إلى الباب. فتح واحد منهما عينيه أو أغمضهما؛ فالباب كان فيه ما يشبه العين التى تغمض وتفتح. أشعل فيراجوتو السيجارة من جديد ووضع يديه فى جيوبه. كان يفكر فيما سيقوله لهذا الغير واع بما يفعل عندما يجده أمامه. سمح أوليڤيرا بأن توضع الكمّادة على جبهته (أى أنه هو الذى أغمض عينيه) وفكر فيما سيقوله لفيرّاجوتو عندما يطلب منه الحضور.

(–131)

الحياة الخاصة لترافلر وزوجته. عندما أودعهما فى الممرّ أو فى المقهى الموجود على الناصية تواتينى الرغبة فى البقاء إلى جوارهما أراهما يعيشان «حالة البصيرة» بدون شهية، وبشكل ودى معهما، وينتابنى بعض الحزن. إنها الحياة الخاصة Intimidad يالها من كلمة، أرغب لوأضع فى بداية الكلمة حرف الـ H التنوئية لكن أى كلمة أخرى يمكن أن تكون الرفيق الحميم لنفس جلد المعرفة، والسبب الظاهرى الذى يجعلنا ثلاثتنا أنا تاليتا ومانو. أصدقاء. الناس يعتقدون أنهم أصدقاء لأنهم يلتقون بضع ساعات خلال الأسبوع، ويجلسون على كنبة ويشاهدون فيلما، وأحيانا ما يصل بهم الأمر إلى السرير، أو أنهم يمارسون نفس العمل فى المكتب. وعندما كنت صغيرا، كنت فى المقهى، وكم من مرّة حدث توافق مع الرفاق وهذا ما كان يشعرنا بالسعادة إنه التوافق مع الرجال والنساء من الذين لا نكاد نعرف طبيعتهم، أو نعرف القليل عن بروفيل شخصيتهم. أتذكر، بجلاء، المقاهى التى على الساحل حيث نتمكن من التحرر من ربقة الأسرة والواجبات لبضع ساعات وندخل فى أرض مليئة بالدخان والثقة فى أنفسنا وفى الأصدقاء. ندلف إلى شئ يريحنا فى الزمن الهش والذى يعدنا ويمنينا بنوع من الخلود وفى العشرين من العمر قلنا كلمتنا الواضحة. وعرفنا ميولنا الدفينة وأصبحنا كأننا أرباب من خلال الزجاجة نصف اللتر ومن خلال الكحول الكوبى السيك Seco. إنها رقصة السماء Cielito فى المقهى، ويالها من سماء رائعة. كان الشارع بعد ذلك كالمنفى فهاهو الملاك شاهرا سيفه ينظم حركة المرور فى شارع كوريّنس وسان مارتين. لنعد إلى المنزل فقد تأخر الوقت، العودة إلى الملفات وإلى سرير الزوجية وإلى الشاى مع التيليو، للمرأة العجوز، وإلى الاهتمام بالامتحان بعد غد وإلى الخطيبة التافهة التى تقرأ فيكى بوم Vicik Bawrm والتى سنتزوج منها ولا مفر من ذلك.

(تاليتا هى امرأة غريبة. لدىّ الانطباع بأنها تحمل فى يدها شمعة مضيئة وتوضح معالم طريق. وهذا هو عين التواضع وخاصة عندما يصدر عن أرجنتينية حاصلة على الدبلوم، وفى هذه البلاد يكفى الحصول على شهادة مسّاح الأراضى **حتى يقوم أى فرد بالاحتيال** عليها. وأن يفكرّ المرء أنها تدير صيدلية فهذا عمل عملاق يستغرق كل وقتها ومع ذلك تصفف شعرها بطريقة جميلة).

أما الآن فإنى أكتشف أن مانولو أصبح مانو فى دائرة الحياة الخاصة. على أن

هذا الأمـر يبـدو طبـيعـيـا بالنسـبـة لتـاليـتـا، ولا تـدرى أن هذه التـسـمـيـة هى بالنسـبـة لأصـدقـائه فـضـيـحـة سـرية، وجـرحـا دامـيـا. لكن بالنسـبه لى، بأى حق ... إنهـا على أية حـال مسـألة الابن العـاق. وتقولها بشكل آخر، إن الابن الكريم عليه البحث عن عمل فلقد أوشك كل مـا مـعـى على الضـيـاع. فإذا مـا قـبلت مـغـازلة جيكربتين المسكينة والمستعدة لفعل أى شئ لمضـاجعـتى فسـوف أضـمن المبيت فى حـجـرة، وقـمـصـانـا ... إلخ. بلهاء تلك الفكرة الخـاصـة بخـروجـى لبـيـع مـقـاطـع القـمـاش مـثل غيـرهـا من الأفكار، إنهـا مـسـألة التمرّن، لكن الأمر الأكثر تسلية هو العمل فى السيرك، مع مـانولو وتاليتا. الدخول إلى السيرك، يالها من تركيبة جميلة. فى البداية كـان السيرك وهناك قصـيـدة لكامينج[١] Cummings التى يقول فيها إن عملية الخلق تطلّبت من العجوز أن يملأ رئتيه بالهواء وكأنه خيمة سيرك. لا يمكن التعبير عن هذا باللغة الأسبانية. نعم يمكن قوله ولكن على النحو التـالى: إلى جوار خيمة سيرك يوجد هوائى. سنقبل عرض جبكربتين، فهى فتاة ممتازة وهذا سـوف يهئ لنا الفرصـة لنعيش بالقرب من مـانولو وتاليتا، فمن الناحـيـة المكانية لن يفصلنا إلا حائطان وطبقة رقيقة من الهواء. كما أن هناك مـخـبـأ فى متناول اليـد، والمحل قـريب، والسـوق على مـسـافـة أبعـد بعض الشـىء، تشى. التـفكيـر بأن جيكربتين **انتظرتنى**. أمر لا يصـدق أن تَعِنّ أمـور مـثل هذه للآخرين. إن كل الأعـمـال البطوليـة لابد أن تبقى فى إطار الأسـرة ومن هنا فإن هذه الفتاة كانت تعـرف أخبـار هزائمى وراء البحار عن طريق الزوجين ترافلر، وتقوم بتقدير حساباتها المرة تلو المرة كأنها تخيط بلوفرا بنفسجيا وتعيد فكّه من جديد على أمل وصـول أوديسو والعمل مـعـا فى إحدى المحلات الكائنة بشارع مايبو. ومن المواقف الغير نبيلة، عدم قبول مقترحات جيكربتين، ورفض تعاستـها الكاملة. ومن وقاحة لوقاحة أخذت تستعيد نفسك. أوديسو، أوديسو.

لا. لكن عندمـا نفكر جيـدا، وبصـراحـة، فإن اللامعقول فى هذه الحياة التى نود أن نعيشـهـا هو الاتصـال الزائف. إنهـا مـدارات منعزلة. ومن حين لآخر تتـصـافح الأيدى وتدور دردشـة تستمر لخمسة دقائق، ويوما آخر فى السباق وليلة أخرى فى الأوبرا[٢] وسـهرة يشـعر الجميع فيهـا أنهم مترابطون بعض الشئ (هذا حقيقى، لكن ها قد انتهت سـاعـة اللحّام) وفى الوقت ذاته يعيش المرء وهو على اقتنـاع بأن الأصدقاء إلى جواره وأن الاتصـال قـائم، وأن الاتفـاق أو الاختـلاف يتسم بالعمق والاسـتمرارية. كيف نكره

بعضنا البعض دون أن ندرى أن التعاطف هو الشكل الحاضر لذلك الكره، وكيف أن المحرك الرئيسى للكراهية هو اللامركزية، والمسافة الفاصلة التى لا مناص منها بين الأنا والأنت، بين هذا وذاك.

إن كل نوع من الحنان هو إبحار وجودى، ومحاولة للسيطرة على ما لا يمكن السيطرة عليه. وبالنسبة لى أودّ الدخول فى الحياة الخاصة بالزوجين ترافلر بحجة التعّرف عليهما بشكل أفضل، وأن أكون الصديق الحقيقى، رغم أن ما أريده فى الواقع هو أن أستولى من مانو على المَنّ وعلى شيطان تاليتا وعلى وسائلهما فى الرؤية، وعلى حاضرهما، وعلى مستقبلهما، وكل ذلك يختلف عما أنا عليه .. ما هو السبب فى هذا الهوس بالسيطرة الروحية يا أوراثيو؟ لماذا هذا الحنين للاستيلاء، وأنت الذى قطعت أسلاك وزرعت الغموض وأفقدت العزيمة (ربما كان من الأفضل البقاء لبعض الوقت فى مونتفيديو لمزيد من البحث) فى عاصمة شهيرة هى روح اللاتينية؟ وفى هذا المقام فإنك ابتعدت، عمداً، عن فصل واضح من فصول حياتك، كما أنك لا تعطى لنفسك الحق فى التفكير فى اللغة الجميلة التى كنت تعشقها منذ عدة شهور وفى الوقت نفسه أيها الأحمق الملئ بالمتناقضات، تدلف مباشرة إلى الحياة الخاصة للزوجين ترافلر وإلى ذاتهما. وتقيم فى الزوجين بما فى ذلك السيرك (لكن المدير لن يعطينى العمل وبالتالى سيكون من الضرورى التنكر جديا فى صورة بحاّر، وبيع مقاطع الجبردين للسيدات.) يالك من ظريف، لنر فيما إذا كنت ستزرع الغموض من جديد في الصفوف وتظهر لِتَقُضّ مضجع الناس الذين يعيشون فى سلام. وفى تلك المرّة التى حكَوا فيها شيئا عن شخص يظن نفسه يهوذا (Judas) الأمر الذى جعله يعيش حياة الكلاب فى أفضل الدوائر الاجتماعية فى بوينوس أيرس. علينا ألا نغتّر كثيرا. ينظرون إلىّ على أننى متسلط لكننى أتسم بالرّقة، وقد قالوا ذلك لى فى ليلة من الليالى. أنظرى يا سيدتى لهذا المقطع الجميل. سعر المتر خمسة وستون بيزو وهذا من أجل حضرتك . فزو.. ان زوجك - معذرة - سوف يسعد كثيرا عندما يعود من العمل. سوف تكون سعادته لا تقدر - صدقينى إذ يقول لك ذلك بحار من ريوبلين Rio Belén. نعم إن هذا نوع من أعمال التهريب لكسب بعض المال، فالطفل مصاب بالكساح وزو.... وزوجتى تقوم بأعمال الخياطة لصالح أحد المحلات، ولابد من مدّ يد العون. حضرتك تفهميننى.

(– 40)

ملاحظة فيها الكثير من الخيلاء من قِبَل موريلي:إن محاولة"Roman Comique" القصة الكوميدية بمعنى أن يصل النص إلى التنويه ببعض القيم الأخرى، ويسهم بذلك في الأفصاح عن ماهية الإنسان، هي مهمة نرى إمكانية تحقيقها. يَبْدُو أن القصة العادية لا تساعد في البحث، لأنها لا تفتح الآفاق أمام القارئ وهذا الأفق مرسوم بشكل أفضل حسب مهارة الروائي.إنها توقف إجباري عند الدرجات المختلفة لما هو درامي ونَفْسّي ومأساوي وساخر أو سياسي. إن محاولة الوصول إلى نص لا يمسك بتلابيب القارئ بل يجعله شريكا من خلال ما ينوه له به من بين السطور عن وجود آفاق أخرى متعلقة بالكون. إنها كتابة ديموطبقية للقارئ، الأنثى (فعادة ما يتوقف عند الصفحات الأولى وقد تاه وأخذ يصب اللعنات والسباب على الكتاب.. والثمن الذي دفعه مقابلا له) وعلى أن يكون الوجه الآخر هو الكتابة الهيراطبقية.

إنها عملية إستثارة، وتحمل مسئولية نص غير مسبوك وغير مترابط وغير متماسك ومضاد للسرد القصصي عن عمد (رغم أنه ليس مضادا للقصة). وإذ كان علينا ألا ننسى الأركان الرئيسية لذلك النوع الأدبي، عندما يتطلب الموقف ذلك، فلا ننسى أيضا نصيحة أندريه جيد التي تقول إننا لا نفيد أبدا من القفزة المكتسبة والقصة تحمل طابع الإبداع الغربي والخاص بقبولها للنظام المغلق. ونحن على العكس بوضوح إننا نبحث هنا عن الفتح ولذلك نجتَثٌ أي بناء متكامل للمواقف والكاراكتر من جذوره. ومنهاجنا: النقد الذاتي والسخرية، واللاتماسك والخيال في خدمة العدم.

إن محاولة مثل هذه لابد أن تنبع من التباعد عن الأدب، وهو تباعد جزئي إذ أنه يقوم على الكلمة لكنه شغوف في كل مرة أن يتولى أمره القارئ والمؤلف. وعلى ذلك فإن استخدام الرواية وتغيير اتجاهها هو على طريقة المسدس من أجل الدفاع عن السلام. وأن نأخذ من الأدب ذلك المعبر الحي الذي يربط الإنسان بالإنسان، وأن الدراسة والمقال يقومان بنفس الأمر ولكن بين المتخصصين. يجب ألا تكون القصة ذريعة لنقل رسالة (فليست هناك رسالة، بل هناك سعاة البريد وهذه هي الرسالة، فالحب هو ذلك الذي يحب). إن القصة يجب أن تكون كعنصر تخثّر للمعايشات، وكجامع للمفاهيم

الغامضة والتى أسيئ فهمها، وأن يكون لها أثرها أولا على من يكتبها، وكذلك يجب كتابتها كمضاد للقصة ذلك أن كل نظام مغلق سوف يباعد مباشرة تلك الإعلانات التى يمكن أن تكون ساعى بريد، والتى يمكن أن تقربنّا من آفاقنا التى نحن بعيدون عنها رغم أننا أمامها وجها لوجه.

إنه إبداع ذاتى غريب ذلك الذى يقوم به المؤلف من خلال عمله. وإذا ما كنا نريد أن نستخدم هذه العجينة التى هى اليوم، والغوص فى الوجود، وفى تقوية القيم التى تفصح فى النهاية عن ماهية الإنسان، فما الذى نفعله مع التفاهم المحض ومع السبب الأكبر الذى يعقل؟

ومنذ البداية وحتى هذا اليوم، فقد توفر لدى الفكر الجدلى الوقت الكافى ليعطينا ثماره. إننا نأكلها وهى لذيذه وتغلى من الإشعاعات. وفى نهاية المأدبة لماذا نشعر بالأسى نحن الأخوة أبناء ألف وتسعمائة وكذا وخمسين؟»

ملاحظة أخرى يبدو أنها تكملة للسابقة:

موقف القارئ. إن كل كاتب قصة يأمل من القارئ أن يفهمه وأن يشاركه خبرته أو أن يلتقط رسالة معينه أو يجسدها. وكاتب القصة الرومانسى يريد أن يفهم نفسه من خلال أبطال روايته. والكاتب الكلاسيكى يريد أن يعلمنا ويترك أثرا على مسار التاريخ.

الأمكانية الثالثة: أن تجعل القارئ شريكا، ورفيقا فى الطريق. وتسير معه بشكل متزامن، فالقراءة سوف تقضى على زمن القارئ وتنقله إلى زمن المؤلف.وهكذا يمكن للقارئ أن يكون بمثابة مشارك ومشارك فى معاناة التجربة التى يمر بها المؤلف فى **نفس اللحظة وبنفس الشكل**. وكل حيلة جمالية هى غير مجدية للوصول إلى ذلك: ولا ينفع شئ إلا المادة فى لحظة التشكيل. والمعايشة الآنية (التى تنقل من خلال الكلمة لكنها كلمة يجب أن تخلو من النواحى الجمالية ما أمكن. ومن هنا سر القصة الكوميدية، والمضادة للوصول إلى نقطة الذروة anticlimax والسخرية والكثير من الأسهم التى تشير وتتوجه نحو الآخر).

ومن أجل هذا القارئ، أخى الذى يشبهنى[1] فإن القصة الكوميدية (ما هى: عُلّيس؟[2]) يجب أن تتطور فى طريق الأحداث التافهة. لكننا نرى تحتها شحنة خطيرة قد لا نستطيع دوما تخليصها بشكل حاسم. وفى هذا المقام يجب أن تكون القصة

79

الكوميدية نموذجا للحياة. يجب ألا تخدع القارئ ولا تجعله يمتطى صهوة جواد الانفعال أو أى مقصد آخر بل عليها أن تهيئ له شيئا يشبه الصلصال ذا الدلالة، ويكون بمثابة بداية التشكيل الذى يتضمن أثرا لشئ يمكن أن يكون جماليا وإنسانيا، لكنه ليس فرديا. ومن الأفضل أن تقدمه كواجهة لها أبواب وشبابيك تجرى من ورائها أمور غامضة يكون على القارئ المشارك البحث عنها (من هنا المشاركة) وربّما لن يجدها (ومن هنا المشاركة فى المعاناة) وما يمكن أن يكون كاتب هذه القصه قد وصل إليه سوف يتكرر (بشكل أكبر وهذا سيكون رائعا) فى القارئ المشارك. أما فيما يتعلق بالقارئ - الأنثى فسوف تظل عند الواجهه. ومن المعروف أن سيقال إنها واجهات جميلة تخدع العين وأمامها يمكن أن نواصل تقديم الكوميديا بشكل مرض، وكذلك التراجيديا الخاصة بالرجل الشريف وبذلك يرضى الجميع أما من يحتجون فليمرضوا بالبِرى برى.

(22-)

80

عندما أنتهى من قص أظافرى أو غسل رأسى، أو الاستماع إلى قرقرة فى معدتى كما يحدث معى الآن، يواتينى الإحساس بأن جسدى تخلّف عنى. أنا لا أشير إلى ازدواجية بل أميزّ بين أنا وبين أظافرى.)

وأن الجسد لا يعمل جيدا فينقصنا شئ أو يزيد شئ. على حسب)

وبمقولة أخرى: إننا بحاجة إلى ماكينة أفضل. إذ يُظهر التحليل النفسى كيف أن تأمل الجسد يسهم فى خلق عقد مبكرة (ولما كانت المرأة بها الكثير من «الفتحات» فإن سارتر يرى أن هناك تناقضات وجودية تهدد حياتها) من المؤلم التفكير بأننا نسبق هذا الجسد لكن هذا التقدم هو خطأ وعائق وربما غير مجدى فهذه الأظافر، وهذه الصرّة،

أريد قول شئ آخر لا يمكن أن يمسكه المرء بيده: إن «الروح» (أنا وليس الأظافر) هى روح جسد غير موجود. لقد دفعت الروح الإنسان إلى طريق التطورّ الجسدى لكنها تعبت من مواصلة سيرها وحدها فى المقدمة. فلا تكاد تخطو خطوتين.

تتكسر الروح لأن جسدها الحقيقى غير موجود فتسقط فجأة.

تعود الروح المسكينة إلى المنزل... إلخ. لكن ذلك ليس أنا. عموما.

دردشة مطوّلة مع ترافلر عن الجنون. وبمناسبة الحديث عن الأحلام سرعان ما ندرك أن بعض أنواع الأحلام يمكن أن تكون أنماطا عادية من الجنون إذا ما استمرت فى لحظات السهاد. فالحلم هو نوع من الممارسة المجانية لمِيْلنَا للجنون. كما نشك فى الوقت ذاته أن كل جنون هو حلم ظل على ما هو عليه.

من حكم الشعب: «إنه مجنون مسكين، ذلك الحالم...».

(46)

81

طبقا لأرسطو فانيس[1] Aristofanes فإن ما يتعلق بالصوفى هو ابتكار أسباب جديدة.

لنحاول ابتكار انفعلات جديدة أو إعادة القديمة لكن بنفس الدرجة فى التكثيف. أحلل هذه الأستنتاج مرة أخرى والذى له أصول فى باسكال: إن الاعتقاد الحقيقى يقف بين التشاؤم والفَوْضَى.

خوسيه ليثاما ليما: اتفاقيات فى هافانا.

(–74)

82

موريليّات:

لماذا أكتب ذلك؟ ليست لدى أفكار واضحة. ليست عندى أفكار بالمرة. هناك نُتَف وَمَيْل وكتل وكل شئ يبحث عن التشكيل، وفى هذه اللحظة يدخل الإيقاع فى الدائرة. وأنا أكتب فى إطار ذلك الإيقاع. أكتب به وأتحرك به وليس بما يطلقون عليه الفكر الذى يشكّل النثر والأدب أو أى جنس شبيه. فى البداية نجد الموقف الغامض الذى لاتتضح معالمه إلا بالكلمة. أبدا من هذه المنطقة المظلمة وإذا ما كنت أريد قوله (ومايريد أن يقوله) يتسم بالقوة الكافية يبدأ Swing فورا، أى تأرجح إيقاعى يصعد بى إلى **الوضوح والجبرية**: هناك الجملة ثم الفقرة ثم الصفحة ثم الفصل ثم الكتاب. هذا التأرجح، وهذا الـ Swing الذى تعلن فيه المادة الغامضة عن نفسها يمثل بالنسبة لى اليقين الوحيد لحاجتها. فلا تكاد تتوقف حتى أدرك أنه لم يعد لدى شئ أقوله. كما أنها العوَض الوحيد لعملى: أى شعورى بأن ما كتبت هو بمثابة مداعبة ظهر القط، يرافق ذلك بعض الشرر والتقوس الايقاعى. فمن خلال الكتابة أنزل إلى البركان وأقترب من الأمهات[1] وأتصل بالمركز ـ وليكن ما يكون. إن الكتابة تعنى أننى أرسم وأطوف به وأبتكر التنقية بتنقية النفس. إنها مهمة العرّاف المسكين الأبيض الذى يلبس سروالا من النيلون.

(99–)

إن ابتكار الإنسان لروح يتم التنويه به فى كل مرة يظهر فيها الإحساس كأنه طفيلى أو دودة ملتصقة بالأنا. ويكفى أن يشعر المرء بأنه يحيا (وليس فقط قبول الحياة وكأنها - شئ - من - *الجيد* - أن - تمرّ حتى يمكن أن يتحوّل ما هو أقرب *إلى الجسد* وأكثر حميمية

– ولتكن اليد اليسرى على سبيل المثال - إلى كائن يشارك بطريقة مقزّزة فى الجمع بين الاثنتين أى بألا أكون أنا وأن أكون ملتصقا.

أبْلعُ الشوربة. وبعد ذلك أفكر وأنا أقرأ: الشوربة فى داخلى وهى فى هذه الشنطة التى لن أراها على الاطلاق، إنها معدتى» أستخدم أصبعين وأضع يدى فأشعر بالكيس وحركة الطعام فى الداخل. أنا ذلك، لست إلا جوالاً مليئا بالطعام.

والآن (علينا أن نكون صادقين) نعم، أنا ذلك. مع وجود مخرج جميل جدا للاستخدامات الحسّاسة: «أنا أيضا ذلك» أو درجة أخرى. «أنا فى ذلك».

أقرأ «الأمواج»[١] The waves؛ ذلك الوعاء المطرزّ لدفن الموتى، وتلك الخرافة المكونة من الرغوة. وتحت عينى بحوالى ثلاثين سنتمترا تتحرك الشوربة فى معدتى وتنمو شعرة على فخذى، ويظهر كيس دهنى فى ظهرى.

وفى نهاية ما أسماه بلزاك بالحفلة الصاخبة قال لى أحد الناس الذين لا علاقة لهم بالميتافيزيقا أن التغوّط يسبب له انطباعا باللاواقعية، ظنا منه أنه يحكى نكتة. أتذكر كلماته: «تنهض وتدور إلى الخلف وتنظر وعندئذ تقول **لكن هل فعلت أنا ذلك**؟ (مثل بيت الشعر للوركا: «لا علاج يابنى، تقيأ ! لا مناص» كما أعتقد أيضا أن سويفت[٢] المجنون (لكن. ياثيليا، ياثيليا، ياثيليا تغوّطى».

وفيما يتعلق بالألم الجسدى وكأنه إبرة ميتافيزيقية تكثر الكتابة. إن كل ألم يهاجمنى يفعل ذلك مستخدما سلاحا مزدوجا: يجعلنى أشعر أكثر من أى وقت مضى بالطلاق بينى وبين جسدى (وزَيفه هو ابتكاره العزائى) وفى الوقت نفسه يقرّب لى جسدى ويجعلنى أشعر به كألم وأشعر أنّه لى أكثر من *اللّذة* أو مجرد *الحسّ* المشترك. إنه رابطة فى واقع الأمر. ولو كنت أعرف الرسم لقمتُ بتبيان الألم بشكل رمزى وهو يفزع الروح من الجسد. وفى الوقت نفسه أعطى الانطباع بزيفه: ليس إلا أنماطا من تركيبة تكمن وحدتها فى ألا يكون لها وحدة.

(-142)

84

بينما أتسكع في كواي دي بيلستين Quai des Celestine تطأ قدماي أوراقا جافة، وعندما آخذ ورقة منها وأتأملها جيدا أجدها مليئة بالتراب الذهبي القديم، وهي مع وتحت أرض عميقة مثل رائحة الطحالب التي تضرب يدي. لهذه الأسباب آخذ الأوراق الجافة وأحملها إلى حجرتي وألصقها ببرنيطة اللمبة. يأتي أوسيب ويظل ساعتين ولا تسترعي اللمبة »نتباهه. وفي يوم آخر يظهر إيتين، وهو يحمل القبعة في يده. قل إذن إنه مدهش هو ذاك! فيقوم بدفع اللمبة ويدرس الأوراق وتعلو درجة حماسه، إنها تشبه رسوم دوريرو[1] Durero بالعروق التي فيها ...إلخ.

الموقف واحد وهناك رؤيتان ... وأظل أفكر في الأوراق التي لن أراها، أنا جامع الأوراق الجافة، وفي أشياء كثيرة تحدث في الهواء ولن تراها عيناي المسكينتان، فهما ليستا إلا خفافيش لقراءة الروايات ومشاهدة الأفلام والزهور المجففة. وسوف تكون هناك لمبات في كل مكان وسوف تكون هناك أوراق لن أراها.

وهكذا، من ورق بالإبر، أفكر في هذه الحالات الإستثنائية التي يتم فيها تخمين الأوراق واللمبات التي لم تُر، وأشعر بها في هواء خارج عن نطاق المكان. الأمر سهل، فكل حالة حيوية أو إكتئاب تدفع بي إلى وضع مناسب.

أطلق عليه الرؤى

أي (التعبير عنه وهذا هو الصعب في الأمر)،

إنها حالة مزاجية ورغبة آنيّة لأخرج وأستطيع إدراك نفسي وأنا في الخارج. أو أن أظل في الداخل ولكن على مستوى آخر،

وكأنني شخص آخر ينظر إليّ،

(وهذا أفضل - فالحقيقة - أنني لا أرى نفسي -: مثل وجود شخص يعيشني).

لايستغرق التنفس بعمق وقتا طويلا، ربما لمسافة خطوتين في الشارع (فأحيانا ما يستغرق وقتًا أطول عندما أستيقظ من نومي وهذا شئ رائع)

وفي تلك اللحظة **أعرف من أنا** ذلك أنني أدرك جيدا ما لَسْتُ بِهِ (ذلك الذي سوف أجهله بعد ذلك بخبث). لكن لاتوجد كلمات للتعبير عن مادة بين الكلمة والرؤية المحضة، وكأنها مجموعة من البديهات، ومن المستحيل أن يتم التزام التعبير الموضوعي وتحديد

ذلك النقص الذى أدركته فى برهة والذى كان **غيابا واضحا** أو خطأ واضحا أو عدم كفاية واضحة، لكن دون أن أعرف عن ماذا، ماذا.

هناك طريقة أخرى لمحاولة قول ذلك: عندما يكون ذلك فلن أنظر إلى العالم، أى منى إلى الآخر، بل أتحول فى ثانية وأصبح العالم، والشكل الظاهرى **وتنظر إلىَّ باقى الأشياء** أرى نفسى مثلما يمكن للآخرين أن يرونى. هذا لا يمكن إدراكه: ولهذا لا يكاد يستمر، أحدد القصور عندى، وأراقب ذلك الذى لن نراه أبدا لوجود عجز أو غيابه. أرى ما لَسْتُه. فعلى سبيل المثال (أقوم بتركيب ذلك عند العودة لكنه يخرج من هناك): هناك مناطق ضخمة لم أصل إليها أبدا، والذى يعرف هو الذى لا يكون. إنها الرغبة فى الجرْى ودخول المنزل أو ذلك المحل والقفز فوق قطار، وقراءة كل أعمال جوها ندو[٢] Jauhandeau وتعلّم الألمانية والتعرّف على أورانجاياد .Aurangabad. إنها أمثلة مؤسفة ويمكن تحديدها غير أنها يمكن أن تعطينا فكرة فكرة؟).

هناك طريقة أخرى لما أريد قوله: إن الشئ المفتقد يتم الإحساس به بشكل أكبر على أنه فقر فى الحدْس، أو نوع من قلة الخبرة. وفى الحقيقة لست متأثرا كثيرا بأننى لم أستطع قراءة كل أعمال جوهاندو، فعلى أى الأحوال هناك كآبة حياة قصيرة جدا أمام العديد من المكتبات.. قلة الخبرة أمر لا مناص منه، فإذا ما قرأت جويس فإننى أضحى بكتاب آخر والعكس صحيح والإحساس بالنقص يزداد حدة عندى.

يشبه ذلك إلى حد ما: هناك خطوط هواء إلى جوانب رأسك ونظرك،
مناطق مُحَددَّة لعينك، وحاسة الشم، وحاسة التذوق،
أى أنك تحمل معك آفاقك الخارجية المحدودة.

وبعيدا عن هذا الأفق لا يمكن لك الوصول، عندما تظن أنك أدركت شيئا ما إدراكا كاملا، هذا الشئ يشبه جبل الجليد الذى يظهر منه جزء صغير لتراه أما الباقى وهو الجزء الضخم فهاهو بعيد عن حدودك، وهكذا كان غرق ثيثانيك بالغرابة أوليقرأ هذا والأمثلة التى يسوقها.

لنكن جادين. لم ير أوسيب الأوراق الجافة فوق اللمبة ذلك أن آفاقه بعيدة عما يمكن أن تعنيه اللمبة. أما إيتين فقد رآها بوضوح شديد إلا أن أفق حدوده حال دون أن يرى حالة الاكتئاب التى أنا عليها بسبب ما عليه بولا. أما أوسيب فقد أدرك فى الحال وأشار إلىّ بملاحظته. هكذا نحن جميعا.

سأتصور الإنسان مثل الأميبيات التى تطلق الشُّوى للحصول على طعامها وتحفظه

84

ومنها ما هو طويل ومنها ما هو قصير، وهناك حركات والتفاف. وذات يوم يَثْبتُ ذلك (هو ما يطلقون عليه النضج وأن الإنسان أصبح ذا خبرة). فأحيانا يصل بناظريه إلى أبعد مكان وأحيانا أخرى لا يرى اللمبة على بعد خطوتين منه. وليس هناك ما يمكن عمله كما يقول المعنيوّن. فالمرء هو مفضلّ عند هذا أو ذاك. وبهذه الطريقة يعيش فترة طويلة وهو على قناعة بأن لم يفته شئ هام حتى يصدر تحرك فورى نحو أحد الأحباب ليظهر له فى لحظة، دون أن يمكنه ـ للأسف ـ من الوقت الكافى **ليعرف ماذا**،

إنه يبين له كيانه الجزئى وقفزاته غير الاعتيادية،
والشك بأن هناك، حيث أرى الهواء نقيا،
أو فى هذا اللاحسم، أو عند لحظة الاختيار،
أنا نفسى، فى دائرة باقى الواقع الذى أجهله
أنتظر نفسى ولكن بلا جدوى.

(سويت) Suite :

هنك أفراد مثل جوته لابد وأنهم لم يعيشوا كثيرا خبرات من هذا النوع. وهم قرروا أو فضلوا (فالعبقرية هى الاختيار العبقرى والنجاح فيه) أن يكونوا مع الشوّى الكاذبة التى تمتد إلى أقصى ما بها والمتجهة إلى كل اتجاه. إنهم يسيطرون على حدودهم من خلال محيط منتظم، وحدودهم هى جلدهم الذى يتجه روحيا إلى مسافات بعيده. لايبدو أنهم فى حاجة لما يبدأ (أو يستمر) بعيدا عن دائرتهم الضخمة. ولهذا هم كلاسيكيون، تشى.

وبالنسبة للزميبا على **طريقتنا** فإن المجهول يأتى إليها من كل صوب. يمكن أن أرعف الكثير أو أعيش كثيرا بمفهوم معين، وعندئذ يتسلق **الأخر** من الجانب الذى أضعف فيه ويهرش رأسى مستخدما ظفره البارد. والأمر السيئ هو أنه يهرش عندما لا ينقرنى، وفى لحظة الحكّة ـ عندما أرغب فى المعرفة ـ يتجمع أمامى كل ما يحيط بى ويكون حاضرا وكاملا وكتلة ومحددا لدرجة أتصور معها أننى أحلم، وأننى على ما يرام وأننى أدافع عن نفسى جيدا، ولا أترك نفسى منساقا وراء الخيال.

84

(السويت الأخير) :

حَظِي الخيال بثناء زائد عن الحد. لكن الخيال المسكين لا يمكن أن يتزحزح قيد أنملة عن حدود الشوىّ. فحتى هذه الحدود نجده يتمتع بالتنوع والحيوية، لكنه فيما يتعلق بالفضاء الآخر حيث تهب رياح كونية كان ريليك Rilke يشعر بها وهى تعبر من فوق رأسه أعطنى خيالا، لا تتركنى. Ho detto.

(4-)

85

الحياة التى تنتهى هى مثل المقالات الأدبية التى تنشر فى الصحف والمجلات تسرّ الناظرين بعنوانها ثم تنوب ملامحها فى شكل إشارة إلى صفحة رقم 32 وسط إعلانات عن معاجين الأسنان وإعلانات التصفيات الشاملة للبضائع.

(150)

86

كان اتجاه أعضاء النادى، باستثناء اثنين منهم - أنه من السهل فهم موريلى من خلال ما يستشهد به أثناء الكتابة وليس من خلال ما يكتبه. كان وونج يصرّ، حتى رحيله من فرنسا (فلبوليس لم يشأ أن يجدد له كارنيه الإقامة) أنه لا يلزم الأصرار على هذا الربط بعد أن تم العثور على هاتين الفقرتين اللتين ساقهما من كتابات باولز وبيرجر Bergier و Pauwels[١].

«ربما كان فى الإنسان منطقة يتمكن من خلالها كشف الواقع بالكامل. ويبدو أن هذا الافتراض مجنون. فالفيلسوف أوجست كونت Auguste Conte كان يقول بأنه من المستحيل إمكانية معرفة التكوين الكيمائى لأحد النجوم.وفى العام التالى اخترع بنسون منظار التحليل الطّيفى Espectroscopio.

«تتأتى اللغة، مثلها مثل الفكر، من الأداء الرياضى الثنائى binario لعقولنا. نقوم بتصنيف الأشياء إلى نعم ولا، وإلى إيجابى وسلبى (....) والشئ الوحيد الذى يبرهن على لغتى هو بطء رؤية للعالم قاصرة على ما هو ثنائى. هذا العجز فى اللغة هو أمر بديهى ويألم له المرء كثيرا. لكن ماذا تقول عن عدم كفاية الذكاء الثنائى فى ذاته؟ فالوجود الداخلى وماهية الأشياء تستعصى عليه. يمكن للذكاء أن يكتشف أن النور مستمر وغير مستمر فى الوقت ذاته. وأن جزئيات البنزين تقيم مع نواياها الستة علاقة مزدوجة، ومع ذلك تتنافر فيما بينها. إنه يقّر بذلك لكنه لا يمكن أن يفهمه. فلا يمكن أن يضم إلى بنيته الخاصة الواقع مع بناه التحتية التى يفحصها. ومن أجل الوصول إلى هذا عليه أن يغير من حالته، وسوف يكون ضروريا أن تعمل ماكينات أخرى فى العقل مختلفة عن تلك المعتادة، لأن التحليل الثنائى قد حل محله وعى قياسى يمكن له تمثُّل الأشكال، وقد يتمثل الإيقاعات التى لاتدرك ،الخاصة بتلك الأبنية التحتية ...».

Le matin des magiciens

(-78)

87

فى عام 32، قام إيلنجتون Ellington بتسجيل Baby wen you ain't there وهو واحد من الموضوعات الأقل شهرة، كما أنه لا يشير إلى الوفىّ بارى أولانوف Barry ulanov [١] ويعنىّ كوتى ويليامز هذه الأبيات بصوت فيه جفاء[٢] :

تنتابنى حالة حزن أسفل فى الشمال
تنتبانى حالة حزن أسفل فى الشمال
الحزن هناك فى الجنوب
الحزن فى كل مكان
ينتابنى الحزن أسفل فى الشرق
الحزن هناك فى الغرب
الحزن فى كل مكان
الحزن ينتابنى بشكل جيد جدا
آه يا حبى عندما لا تكون هناك
عندما لا تكون هناك، عندما لا تكون هناك

لماذا يكون ضروريا أن نقول هذه العبارة فى ساعات محددة: «أأحببت ذلك؟» أحببت bluos وصورة فى الشارع، ونهر جاف لاماء فيه فى الشمال. والتأكيد على شئ والكفاح ضد العدم الذى سوف يزيحنا. ولازالت تلك الأشياء فى الروح حتى الآن. إنها مثل عصفور الدورى الذى كان من ليسبيا[٣] Lesbia وبعض الـ blues التى تحتل مكانا صغيرا فى الذاكرة والمخصص للروائح والصور المطبوعة وثقالة الأوراق.

(105)

88

– قال ترافلر :

– تشى، لكن إذا ما ظللت تحرك فخذك هكذا فسوف أغرز الإبرة فى ضلوعك .

– قال أوليڤيرا :

– عليك أن تواصل حكاية ذلك الذى يتعلق باحمرار اللون الأصفر وأقولها لك وأنا مغمض العينين إنها مثل صندوق الدنيا.

– قال ترافلر، وهو يدعك فخذه بقطعة قطن :

– احمرار الأصفر هو أمر تتولى شأنه الهيئة الوطنية للمتخصصين فى مثل تلك الأنواع.

– إنها حيوانات جلدها أصفر، وكذلك نباتات زهورها صفراء ومعادن شكلها أصفر

– قال أوليڤيرا هذه العبارة بنغمة فيها طواعية – ولم لا؟ فيوم الخميس هنا هو يوم التقاليع والناس لا تعمل يوم الأحد وعمليات التحوّل التى تحدث بين صباح ومساء السبت غير عادته رغم أن الناس تلتزم الهدوء والشديد. إنك تسبب لى ألما مخيفا. هل ذلك هو معدن أصفر اللون أوماذا؟

– قال ترافلر :

– إنها مياه مكررة لكنك تظن أنها مورفين. معك الكثير من الحق. إن عالم ثيفيرينو Ceferine يمكن أن يبدو غريبا فى نظر هؤلاء الذين يؤمنون بقيمه بغض النظر عن قيم الآخرين. إذا ما فكرّ المرء فى كل ما يتغير فلا تكاد تبتعد عن خط الرصيف ثلاث خطوات وتدلف إلى الأسفلت حتى ...

– قال أوليڤيرا :

– مثل الانتقال من اللون الأصفر إلى لون السهول الجرداء هذا الدواء يشعرنى بالحاجة إلى بعض النوم.

– المياه منومة، ولو كان الأمر بيدى لكنت قد حقنتك بنيبيولو nebiolo حتى تكون فى أعلى درجات اليقظة.

– فسرّ لى شيئا قبل أن أخلد للنوم.

– أشك فى أنك ستنام لكن هيا قل ما تريد.

(–72)

89

كانت هناك رسالتان من حامل الليسانس خوان كويياس. غير أن الطريقة التى يجب أن تتبع فى قراءة الرسالتين كانت مادة الجدل، وتتضمن الرسالة الأولى عرضا شعريا لما كان يسميه «السيادة العالمية» أما الثانية فقد أملاها على أحد من يكتبون على الآلة الكاتبة عند بوابة سانتو دومينجو وتتضمن الابتعاد عن التحفظ الإجبارى الذى لوحظ فى الأولى.

يمكن لكم أن تستخرجوا من هذه الرسالة كل ما تريدونه من نسخ، وخاصة إذا ما كانت موجهة إلى أعضاء الأمم المتحدة وحكومات العالم التى لا تعدو مجرد خنازير حقيقية وأبناء آوى دوليين، ومن ناحية أخرى فإن بوابة سانتو دومينجو هى مأساة الضوضاء إلا أنها تروق لى فأنا آتى إلى هنا لألقى بأضخم الحجارة التاريخية.

ومن بين الأحجار ما يلى:

الكهنوت الرومانى ليس صادقا. ويجب هدم كل دور العبادة الرومانية وذلك حتى يسطع نور المسيح ليس فقط فى أعمق أعماق القلوب الإنسانية بل يمكن رؤيتها فى النور الكونى لله، وأقول كل هذا أن الرسالة السابقة كتبتها أمام آنسه رقيقة حيث لم أتمكن من التفوه بمثل هذه العبارات إذ كانت ترمقنى بنظرة فيها ضعف.

إنه الجامعى الفارس! العدو اللدود لكانط، إذ كان يصرّ على «إنسانية الفلسفة الحالية فى العالم» وبناء على ذلك قال:

كما أن القصة يجب أن تكون متوجهة إلى التحليل النفسى أى أن العناصر النفسية الفعلية للروح يمكن أن تتكون من عناصر علمية كجزء من علم النفس العام الحقيقى...

ثم ابتعد الحظات عن معسكر الجدلية القوى، وأخذ ينوّه بمملكة الدين العالمى:

لكن على أساس أن الإنسانية يجب أن تسير على هدى الوصيتين العالميتين، بما فى ذلك الحجارة الصلدة فى العالم التى سوف تتحوّل إلى شمع حريرى يشع نورا ....

هو مشاعر الشعراء الجيّدين.

سوف يسمع صدى كل حجارة الدنيا فى كل الشلالات والوهاد فى العالم، وسوف يكون لصوتها خيوط رفيعة من الفضةّ وسوف تكون هذه فرصة مفتوحة لعشق النساء

89

وعشق الربّ....

وفجأة نرى النظرة النموذجية تغزو وتنساب:

إن كوكب الأرض، هو كون داخلى مثل الصورة العقلية الشاملة عن الرّب، والذى سيتحول فيما بعد إلى مادة مكثفة؛ يشار إليه بشكل رمزى فى العهد القديم وذلك من خلال الملاك الذى يستدير برأسه يرى عالما مظلما من الأضواء، ومن الواضح أننى لا يمكن أن أتذكر حرفيا فقرات كاملة فى العهد القديم، لكن الأمر هو عبارة عن ذلك بشكل أو بآخر: كأن الكون أصبح هو ضوء الأرض وأصبح كمدار للطاقة الكونية حول الشمس.... وعلى نفس الشاكلة نجد أن الإنسانية بكل شعوبها عليها أن تدور بأجسادها وأرواحها ورؤسها ... إنه الكون والأرض يعودان إلى المسيح وقد وضعا تحت قدميه كل قوانين الأرض...

وحينئذ :

لا يبقى إلا ضوء كونى مكونا من لبات متساوية تنير القلب العميق للشعوب ...

والشئ السيّء هو أنه يحدث فجأة.

سيداتى وسادتى: هذه الرسالة أكتبها لكم وأنا محاط بجلبة رهيبة. ومع ذلك نواصل الكتابة إنكم أيها السادة لم تأخذوا فى اعتباركم حتى الآن أنه لكى تكتب السيادة الدولية بشكل أكثر دقة وأن يكون لها لها أثر أكثر شمولية فى التفاهم فأنا أستحق أن تساعدونى على أن تكون كل شَرْطة، وكل حرف فى مكانه وليس هذا الكسل لأبناء أبناء ابن الأم التى تتعرض للضجيج التى هى والدة الأمهات جميعهن. عليكم أن تعرضوا أمكّم لكل أنواع الجلبة. لكن، ماذا يهم؟ وعلى التوالى نجد حالة الفوران:

يالها من أكوان! تلك التى تزهر كأنها ضوء روحى من الورود الرائعة، تزهر فى قلب كل الشعوب.

وأوشكت الرسالة على الانتهاء نهاية فيها ورود وزهور رغم ما بها من تطعيمات حدثت فى آخر لحظة:

.... يبدو أن الكون كلة يتضح، كأنه نور المسيح الشامل، فى كل زهرة إنسانية وفى

89

كل التويجات التى لا حصر لها والتى تشعّ نورا أبديا فى كل مسالك الأرض. وبذلك تتضح من خلال نور السيادة الدولية. يقولون أنك لا تحبنى، فأنت كل شحطات أخرى.

مع التقدير - المكسيك. د.ف فى **20** سبتمبر عام **1956** - ش الخامس من مايو رقم **32** داخلى **111** - مبنى. باريس. الجامعى خوان كوبياس

(-53)

90

فى تلك الأيام، كان يشعر بالقلق. كما أن عادته السيئة فى التمعن فى الأمور والإطالة فى ذلك كانت تصيبه بالارهاق، لكن لا مناص. كان يقلّب الموضوع الكبير على وجوهه المختلفة، كما أن الوضع القلق الذى يعيش فيه بسبب لاماجا وروكامادور، يدفعه لتحليل مفترق الطرق، الذى هو فيه، بعنف متزايد: وفى مثل تلك الحالات كان أوليڤيرا يأخذ ورقة ويكتب الكلمات الكبرى التى تنزلق من حالة التمعّن هذه. فعلى سبيل المثال كتب «الموضوع الكبير» و«مفترق الطرق»، كان ذلك مدعاة للضحك وتناوله كوب الشاى الثانى بمزاجية معتدلة. «الوحده» كان أوليڤيرا يكتب. الانا والآخر» كان يستخدم حرف الـ H مثلما يستخدم آخرون البنسلين. وبعد ذلك يعود إلى الموضوع ببطء ويشعر بأنه فى وضع أفضل. «الشئ الهام هو التزام التواضع» يقول لنفسه. وابتداء من تلك اللحظات كان يشعر بقدرته على التفكير دون أن تلعب به الكلمات. لكن هذا لا يكاد يصل إلى درجة تقدم منهجية، فالموضوع الكبير لازال كما هو «من كان يدرى أنه سينتهى بك الأمر إلى أن تكون ميتافيزيقيا؟) كان يحلل نفسه. يجب مقاومة الدولاب المكون من ثلاث ضلف، وعليك بالاقتناع بالكومودينو الخاص بالأرق اليومى» كان روناالد قد حضر ليقترح عليه أن يشاركه فى أنشطة سياسية غامضة، تناقشا وطول الليل (لم تكن لاماجا قد عادت بروكامادور من الريف) وكأنهما عرجونة والحوذى، حول الفعل والسببية وأسباب المخاطرة بالحاضر من أجل المستقبل والجزء المتعلق بالابتزاز الموجود فى كل فعل من أجل أهداف اجتماعية، وبالدرجة التى تكون فيها المخاطرة المحتملة صالحة لرأب الضمير الفردى السيئ، وكذلك الدناءات الشخصية الشائعة. انتهى الأمر إلى خروج روناالد مطاطئ الرأس فلم يستطع إقناع أوليڤيرا بأن من الضرورى مساندة المتمردين فى الجزائر. ظل هذا المزاج العكر مسيطرا على أوليڤراطوال اليوم لأنه كان أسهل عليه أن يقول لا لروناالد من قوله نعم لنفسه. كان واثقا من شئ محدّد، وهو أنه لا يمكن أن يتخلى دون أن تكون هناك خيانة للانتظار السلبى الذى كان يعيش عليه منذ أن جاء إلى باريس. أن ينساق وراء كرم سهل بأن يقوم بوضع لافتات سريّة فى الشوارع، فهو تفسير ساذج، ونوع من ترتيب الأمور مع الأصدقاء الذين يرون فيه الجرأة، لكنه ليس إجابة حقيقية على الأسئلة الكبرى. وعندما

كان يقيس الأمور بمقياس ما هو مؤقت وما هو مطلق يشعر أنه يخطئ فى الحالة الأولى ويصيب فى الثانية. إنه يرتكب خطأ عندما لا يكافح من أجل استقلال الجزائر أو ضد العداء للسامية أو ضد العنصرية. وهو يصيب عندما يرفض الانسياق وراء المسكّن المتمثل فى العمل الجماعى، ويبكى وحيدا مرة أخرى، ويتناول الشاى المرّ، ويفكرّ فى الموضوع الكبير ويقلبه على وجوهه وكأنه لفة خيط حيث لا تُرَى فيها نقطة البداية أو توجد أربعة أو خمسة بدايات.

حسن، نعم، غير أنه يجب الاعتراف بأن طَآبعة مثل قدم يطأ كل نوع من أنواع جدلية الحدث على طريقة Bhagavadgita[1] ليس هناك أى نوع من الشك بين قيامه بإعداد الشاى أو قيام لاماجا بإعداده له. لكن كل شئ كان قابلا للفصل وطرحه مرة أخرى بطريقة معاكسة: فى مقابل الطبيعة السلبية هناك الحد الأقصى من الحريّة والاستعداد، وكذلك الغيبة البطيئة للمبادئ والقناعات، كل هذا يجعله أكثر حساسية للظروف المحورية فى الحياة (وهذا ما يسمى بالرجل دوّارة الهواء)، ويصبح قادرا على الرفض ،وبوعى أو حسّ غريزى أكثر تفتحا وأكثر مسكونية على حد هذا التعبير.

«أكثر مسكونية» لاحظ أوليڤيرا بطريقة فيها رصانة.

أضف إلى ذلك. ما هى القيمة الحقيقة للفعل،؟ فالعمل الاجتماعى، مثل ذلك الذى يقوم به أعضاء النقابات، له ما يبرره وزيادة فى المجال التاريخى. وبالسعادة هؤلاء الذين ينامون ويعيشون فى التاريخ. وكان مبرر التفانى دائما على أنه موقف ذو طابع دينى سعداء هؤلاء الذين يحبون الغير مثل حبهم لأنفسهم. كان أوليڤيرا يرفض هذا المخرج للأنا. وهذا الغزو الجبارّ للحظيرة البعيدة وهذا البوميران الكونى الموجه أساسا لإفادة من يلقى به ويجعله أكثر إنسانية وأكثر قداسة. يكتسب القداسة دوما على حساب الآخر.... إلخ.

لم يكن أمامه أى شئ يعترض عليه فى عمل كهذا لكنه باعده عن نفسه لأنه غير واثق من مسلكه الشخصى. إذ يشك فى الخيانة وهو لم يكن يوافق على لصق المنشورات فى الشوارع أو على ممارسة الأنشطة ذات الطابع الإجتماعى، إنها خيانة ترتدى العمل الملائم والسعادة اليومية والضمير الراضى عن نفسه وعن الواجب الذى

تم أداؤه. كان يعرف بعض الشيوعيين فى بوينوس أيرس وباريس معرفة جيدة، كان هؤلاء قادرون على ارتكاب أبشع الأمور لكنهم يبررونها فى آرائهم بأن ذلك من أجل «الكفاح»، وأنهم يتركون طعام العشاء للهرولة إلى الاجتماعات أو إكمال إحدى المهام. والعمل الاجتماعى بالنسبة لهؤلاء أناس يبدو شديد الشبه بالعذر مثلما يكون الأبناء عذرا للآمهات اللاتى لا يفعلن شيئا له قيمه فى هذه الحياة، ومثل إظهار العلم باستخدام نظّارة القراءة وذلك حتى لا يدرك أن الشارع المجاور للشارع الذى نسكن فيه، لازالت تمارس عمليات الإعدام بالمقصلة لأناس لا يمكن إعدامهم. العمل الزائف إتسم دوما بأنه مثير للانتباه وهو الذى يستوجب الاحترام والشهرة وإقامة التماثيل الضخمة. إنه عمل من السهل القيام به وكأن المرء ينتعل حذاء، ويمكن أن يصل إلى درجة جديدة «وعموما يمكن أن يكون من الجيد أن يُستغل الجزائريون، وأن نساعدهم جميعا بعض الشئ» ـ كان أوليڤيرا يقول لنفسه). أما الخيانة فهى من طراز آخر. كانت كأنها نوع من الرفض المستمر للمركز، والبقاء على الهامش، والسعادة المختالة بأخوة أناس آخرين ضالعين فى نفس العمل. هناك حيث يمكن لبعض أنواع البشر أن يجعلوا من أنفسهم أبطالا. لقد كان أوليڤيرا يعرف أنه يدين نفسه بأسوأ أنواع الكوميديا. وعندئذ كان من الأنسب ارتكاب خطأ السهو وليس خطأ العمولة. أن يكون المرء ممثلا فهذا يعنى رفض الصالة، أما هو فكان يبدو أنه وُلِدَ ليكون مشاهدا فى الصف الأول. «الأمر السيئ» كان أوليڤيرا يقول لنفسه «هو أننى أرغب فى القيام بدور المشاهد النشط، وهنا فحوى الأمر».

المشاهد النشّط، لابد من مناقشة الموضوع بتؤدة. وفى اللحظة الراهنة، فإن بعض اللوحات وبعض النساء وبعض القصائد تعطيه الأمل فى أن يبلغ ذات مرة منطقة يتمكن من خلالها أن يقبل نفسه، ولكن بدرجة مخففة من القرف وعدم الثقة، عما هو عليه الحال الآن. تتوفر لديه ميزة وهى أن أسوأ ما فيه من نقاط ضعف يساعده فى ذلك الذى لم يكن طريقا بل كان بحثا عن وقفة قبل أن يبدأ السير فى أتجاه. «تكمن قوتى فى ضعفى» ـ فكر أوليڤيرا ـ » فقد اتخذت القرارات الكبرى على أنها أقنعة هروب» وأغلب مهامه (مهامّه) كانت تنتهى بأنين وليس بضربة. كما أن درجات القطيعة الكبرى أى bang بلا رجعة لم تكن إلا عضاّت فأر وقع فى الفخ ولا شئ أكثر. أما

الآخر فكان يدور ويطوف بخيلاء فى الزمان والمكان، أو يتصرف، بلا عنف، تصرفا نابعا من الإرهاق وكأنه يعيش نهاية مغامراته العاطفية، أو ينسحب ببطء مثلما يحدث فى التقليل التدريجى للزيارات لبعض الأصدقاء أو التباعد تدريجيا عن قراءة الأعمال الشعرية لشاعر معين، أو التقليل من الذهاب إلى مقهى معين وأخذ يتجرع العدم بنعومة وخفة حتى لا يشعر بالأسف.

«لا يمكن أن يحدث لى شئ فى الواقع بما فى ذلك الخوف» كان أوليڤيرا يفكر «لن يسقط فوق رأسى أبدا إصيص زرع» فلماذا إذن القلق إلا إذا كان الباعث المطروق متمثلا فى الأضداد، والحنين إلى العمل، وممارسة الهوايات؟ كما أن تحليل القلق فى دائرة الممكن كان يؤدى دائما إلى خروج عن المكانية أو اللامركزية بشأن نظام معين لا يستطيع أوليڤيرا تحديد ماهيته. كان يدرك أنه مشاهد على هامش العرض وكأن المر قد ذهب إلى مسرح وهو معصوب العينين: فأحيانا يستوعب المدلول الثانى لبعض الكلمات وبعض الجمل الموسيقية فيملؤه شغفا، فقد كان قادرا على تخمين أن المدلول الأول هاهو هناك. كان يشعر فى تلك اللحظات أنه أقرب إلى المركز، عن كثيرين كانوا يعيشون وهم على قناعة بأنهم مركز العجلة. إلا أن درجة اقترابه كانت غير مفيدة ولحظة توتر(٢) Tantalico لم تصل إلى أن تكون عذابا. آمن ذات مرة بالحب، كنوع من الأثراء وإعلاء القوى المثبطة. أدرك ذات يوم أن عشقه كان خاصا، إذ كان يعنى ذلك الأمل، رغم أن العاشق الحقيقى يحب دون أن يأمل فى شئ خارج نطاق الحب، ويقبل بلا نقاش أن يصبح النهار أكثر صفاء والليل أكثر عذوبة والترام أقل إرهاقا. «إننى أجعل من الشوربة عملية جدلية» فكّرا أوليڤيرا. وتحولت عشيقاته إلى صديقات يشاركن فى تأمل اللحظة التى تمرّ. كان الأمر ينتهى بهن كمعجبات (كن معجبات به فى الواقع) ثم ولَهَات (ولها لا حدود له) وبعد ذلك كان هناك شئ ما يجعل الشك يساورهن فى وجود الفراغ فيتراجعن، فيقوم بتسهيل مهمة الهروب عليهن، بأن يفتح لهن الباب ويذهبن للعب في مكان آخر. كان على وشك الشعور بالأسف وتركهن يعشن على أمل أنهن يفهمن ما يحدث. وقع ذلك له مرتين. لكن كان هناك هاجس يقول له بأن أسفه غير حقيقى وربما كان وسيلة رخيصة لانانيته وكسله وعاداته «الشفقة تصفّى كل شئ» كان يقول لنفسه ويتركهن لحال سبيلهن وينساهن بسرعة.

(20)

91

الأوراق مبعثرة على الترابيزة. هناك يد (يدوونج). هنا صوت يقرأ ببطء ويخطئ فى القراءة فحرف اللام، كأنه خُطّاف وحرف الـ e لا يمكن وصف نطقه. إنها مذكرات وملاحظات حيث توجد كلمة، أو بيت شعر بأى لغة، ذلك كله هو مطبخ الكاتب. هناك يد أخرى (رونالد) هناك صوت رصين يعرف القراءة. يؤدى التحية لأوسيب وأوليڤيرا بصوت منخفض، فقد وصلا، وهما فى حالة ندم (ذهبت بابس لتفتح لهما الباب واستقبلتهما وهى تحمل سكينين، واحد فى كل يد) الكونياك، النور الذهبى وأسطورة الاعتداء على الخبز المقدس[١] ودى إستايل De Stael بشكل مصغّر. يمكن أن تترك المعاطف الواقية من المطر فى حجرة النوم. تمثال، ربما لبرانكوزى[٢] Breancusi. وفى داخل غرفة النوم ها هى هناك تائهة بين قالب ملابس وصف من علب الكرتون به بعض السلوك. لم تكن الكراسى كافية فما كان من أوليڤيرا إلا أن جلب اثنين من الكراسى بدون مساند للظهر. ساد صمت يشبه ـ طبقا لجينيت[٣] Cenet ـ ذلك الذى عليه أناس مهذّبون عندما يشمون فجأة رائحة فَسْوة. فى هذه الأثناء يقوم إيتين بفتح دوسيه ويخرج بعض الأوراق.

– قال :

– بدا لنا أن من الأفضل إنتظارك لنقوم بتصنيفها وأثناء ذلك قمنا بالاطلاع على بعض الأوراق المتفرقة. لقد ألقت هذه الفظةّ بيضة جميلة فى صندوق القمامة.

– قالت بابس :

– لقد كانت فاسدة .

وضع جريجوروفيوس يده المرتعشة على أحد الدوسيهات. لابد وأن الجو بارد جدا فى الشارع وعلى ذلك لابد من جرعة مزدوجة من الكونياك. كان لون الضوء يبعث على السخونة وكذلك الدوسيه الأخضر والنادى. ينظر أوليڤيرا إلى وسط الترابيزة وإلى رماد سيجارته الذى أخذ ينضم إلى ما هو موجود فى الطفاية.

(-82)

أدرك الآن أنه فى أقصى لحظات الرغبة لم يستطع أن يجعل رأسه فى قمة الموجة والولوج إلى الصخب الرائع للدم. كان حب لاماجا تحديا لا ينتظر منه الإشراق. فقد تتابعت الكلمات والتصرّفات وكأنها عملية سردية مملّة. أو رقصة عنكبوت على شقة هلالية الشكل، أو تعامل مع الأصداء بطريقة مطولّة ولزجة. كان ينتظر من هذا السُكر السعيد شيئا كأنه الاستيقاظ، أو أن يرى ما يحيط به بشكل أفضل سواء كانت الحروف الملونة للفنادق أو الأسباب والمبرّرات الخاصة ببعض تصرفاته، لكنه لم يكن يريد أن يفهم أن الاقتصار على الانتظار يقضى على أى إمكانية فعلية، وكأنه بذلك يدين نفسه مسبقا بأن يعيش حاضرا ضيق الأفق وصغيرا انتقل من لاماجا إلى بولا فى فصل واحد دون أن يغضب لاماجا أو يغضب نفسه، ودون أن يكلف نفسه مداعبة الأذن الوردية لبولا بأن يهمس لها باسم لاماجا. والفشل مع بولا لم يكن إلا تكرارا لمرات فشل مضت، إنه نوع من اللعب يذهب فى نهاية الأمر، لكنه كان جميلا أن يلعب، بينما بدأ يشعر بالحنق من اللعب مع لاماجا وكأنه تأنيب ضمير يشبه قلع الأسنان ورائحة أعقاب السجائر فجرا فى أحد أركان الفم. ولهذا أخذ بولا إلى نفس الفندق الكائن فى شارع ڤاليت. ووجدا نفس المرأة العجوز التى بادلتها بتحية متفهّمة، فما الذى كان يمكن فعله غير ذلك فى هذا الوقت الردئ. لازالت هناك رائحة طريّة، مثل رائحة الشوربة، لكن قامت بتنظيف البقعة الزرقاء التى كانت على السّجادة، وكان هناك مكان لبقع جديدة.

– قالت بولا وهى تشعر بالمفاجأه :

– لماذا هنا؟ كانت تنظر إلى الكوفرته الصفراء والحجرة الرطبة والمطفأة الأنوار واللمبة ذات البرنيطه من القماش الوردى الملون، معلقة فى السقف.

– هنا أو فى أى مكان....

– إذا ما كان الأمر يتعلق بالما لفقد كان عليك أن تقول ذلك يا عزيزى.

– إذا ما كان الأمر يتعلق بالقرف فليس عليك إلا أن تأمرى بأن نذهب من المكان يا عزيزتى.

– لا أشعر بالقرف. إنه مكان قبيح. وربما من الأفضل ....

ابتسمت له وكأنها تحاول أن تفهمه، ربما من الأفضل .... التقت يدها بيد أوليڤيرا

عندما انحنى كلاهما لرفع الكوفرته. قضى كل تلك الأمسية مرة أخرى من بين مرات عديدة وهو يقوم بدور الشاهد الساخر والمنفعل، على جسده وعلى المفاجآت والنقاط المثيرة للسعادة، والمخيبة للآمال فى هذه العملية. كان قد اعتاد دون أن يدرى على إيقاع لاماجا، وها هو الآن أمام بحر جديد وموجات مختلفة. كل ذلك يجرفه إلى نوع من اللاإرادية. ويبدو أن ذلك فيه نوع من الإدانه الغامضة لعزلة المليئة بالصور الزائفة. الفرح والغضب والانتقال من فم إلى فم آخر والبحث عن رقبة وهو مغمض العينين حيث نامت اليد وهى فى وضع منثنى، كما أن الإحساس بالتجاعيد مختلف، والقاعدة أكثر سمكا. وعضلات تزداد توترا هنيهة مع الجهد المبذول للاعتدال وتبادل القبلات. وكل حركة من جسدها تقابلها عدم لقاء لذيذ، ويجب أن يشرئب بعض الشئ أو النزول بالرأس لتلتقى الأفواه التى كانت قبل ذلك قريبة. ومداعبة فخد ملتصق، والحث على الاستجابة لكن لا يعثر لها على أثر، والإصرار مع شرود الذهن لدرجة الشعور بأنه يجب إبداع ذلك مرة أخرى، وأن القانون قد ينص عليه وأن الرموز والشفرات سوف تولد من جديد، وسوف تكون مختلفة وسوف تستجيب لشئ آخر. فالوزن والرائحة وإيقاع الابتسامة أو التضرّع والزمان، لن تتوافق كل تلك الأشياء مع ما كان عليه سابقا. فكل شئ يولد من جديد ويصبح خالدا. ويلعب الحب فى ابتكار نفسه ويهرب من نفسه ليعود وقد لمس ذَنَبَهُ، وسوف تغنى النهوّد بشكل آخر، وسوف يقبلّ الفم بطريقة أعمق، وكأنه من بعيد. وفى اللحظة التى كان فيها غضب وكرب، تتحول إلى لعب محض وضحك مكتوم، أو أن يحدث العكس، ففى اللحظة التى كان النّعاس فيها يداعب المرء وكذلك خواطر لذيذة تتعلق بأشياء تافهة، نجد بدلا منها التوتر وشيئا لا يمكن توصيله لكنه حاضر ويطالب بالدخول، إنه مثل غيظ لا يشعر. لكن المتعة فى حلقاتها النهائية لازالت كما هى. فقد تفجرت الدنيا كلها قبل بعد، ومن الضرورى وضع أسماء لها من جديد. إصبعا بإصبع وفما بفم وظلاً بظل.

أما المرة الثانية فقد كانت فى حجرة بولا بشارع دوفين. وإذا ما كانت هناك بعض الجمل التى يمكن أن تقول له ما الذى سيجده، فقد كان الواقع أبعد بكثير عن الخيال. كان كل شئ مرتبا، وكان هناك مكان لكل شئ، فتاريخ الأدب يتم شرحه بطريقة مثالية من خلال كروت البوستال: ها هو كلى Klee وبولياكوف[١] Poliakoff وبيكاسو (فيه بعض الطواعية الرحيمة) ومانسيير[٢] Manessier وفوترييرٍ[٣] Fautrier. وقد تم تثبيت كل هذه الكروت بدبابيس مكتب وبينها مساحات محسوبة. وبدرجة صغيرة حتى إن

اللوحة المسماة دافيد دى لاسيجنوريا David de la Signoria لاتخرج عن الإطار المرسوم. هناك زجاجة برموت، وأخرى من الكونياك وعلى السرير معطف مكسيكى. كانت بولا تعزف أحيانا على الجيتار، ذكرى حب فى المناطق الجبلية.

كانت تبدو فى حجرتها كأنها الممثلة ميشيل مورجان(٤) †Michele Morgan لكنها مليئة بالنُّضْرة. كان عندها اثنان من الرفوف الخاصة بالكتب موضوع عليهما «رباعية الإسكندرية» لدوريل Durrel وقد قرأته أكثر من مرة، ودونت عدة ملاحظات. وترجمات لديلان توماس Dylan Thcrmas وقد اعتلاها آثار من أحمر الشفاه وأعداد من Twe cities و Christiane Rochefart و (٥) Blcndin و Sarraule (دون أن تُعمل فيها المقصّ) وبعض NRF. أما باقى الأشياء فكانت موزعة حول السرير حيث بكت رولا لبعض الوقت عندما تذكرت صديقة لها انتحرت (الصورة وصفحة من يوميات حميمة ووردة جافة). ومع ذلك لم يستغرب أوليڤيرا أن تكون بولا متشائمة. وأنها كانت البادئة بفتح الطريق إلى المتع وأن الليلة قد وجدتهما وكأنهما مستلقيان على شاطئ، حيث أخذت الرّمال تتراجع رويدا رويدا أمام المياة المليئة بالطحالب. كانت أولّ مرة يطلق عليها بولا باريس، على سبيل المزاح. وأن هذا الاسم أعجبها وكرّرته. وأنها عضت شفتيه وهى تغمغم بولا باريس وكأنه يروح ويغدو على الستارة ذات اللون الأصفر. بولا باريس، بولا باريس. المدينة عريانة ويتم تذكر الجنس مع حركة الستارة، بولا باريس، بولا باريس، وفى كل مرة تصبح أكثر قربا منه وملكا له، النهدان دون مفاجأة، وتجاعيد البطن يمكن مداعبتها بدقة دون أى حيرة حتى يصل إلى أقصى حدود البطن. هناك فم محدد الملامح ولسان صغير ورفيع ولعاب قليل وأسنان غير حادة وشفاه تفتح حتى تداعب اللثة، حيث تشم رائحة الكونياك والدخان.

(103)

93

لكن الحب، تلك الكلمة..... أوراثيو الواعظ، الذى يخشى العواطف دون أن يكون لديه سبب جوهرى. يشعر بالقلق والخشونة فى مدينة للحب فيها أسماء بعدد أسماء الشوارع والمنازل والشقق والحجرات والأسرّة والأحلام والنسيان والذكريات. يا حبىّ، أنا لا أعشقك من أجلك ولا من أجلى ولا من أجل كلينا، لا أعشقك لأن الدمّ ينادينى بعشقك، أعشقك لأنك لست ملكى، لأنك على الجانب الآخر، حيث تدعوننى إلى القفز ولا أستطيع أن أفعل ذلك. وذلك لأننى لا أجدك فى نفسى، وأنا فى أعمق أعماق موقعى، كما أنى لا أبلغك، ولا أتجاوز حدود جسدك وابتسامتك. يمرّ علىّ وقت أشعر فيه بالانزعاج الشديد لأنك تحبيننى (إنك تعشقين الفعل «يحب» بشدة. وأى تصنّع لديك وأنت تتركينه يسقط فوق الأطباق والملاءات والأتوبيسات) يقلقنى حبك فهو لا يمثل بالنسبة لى معبرا، فالكوبرى لا يمكن أن يستقيم وهو مستند على جانب واحد، ولن يقوم أعظم المعماريين مثل وورج[١] Wright أو كوربوسير[٢] Corbusier بتصميم كوبرى يستند على جانب واحد. ولا تنظرى إلىّ بعينى العصفور، فالحبّ بالنسبة لك هو أمر سهل، وسوف تشفين قبلى من ذلك الذى هو حبك لى، دون أن أبادلك الحب. وبالطبع سوف تشفين لأنك تعيشين فى صحة جيدة، فبعدى يمكن أن يحل أى فرد آخر، وهذا يتم تغييره مثل الصديرى. تشعرين بالحزن وأنت تسمعين الأحمق أوراثيو الذى يريد حبا مرور الكرام، حبا لتسلق الجبل، الحب المفتاح، والحب المسدس، وحب يعطيه ألف عين كانت لـ أرجوس[٣] Argos. الحضور فى كل مكان والصمت حيث الموسيقى ممكنة والجذور حيث يمكن البدء فى شبح لغة. وهو أبله لأن كل ذلك نائم بعض الشئ داخلك، وما عليك إلا أن تغوصى فى كوب ماء كأنك زهرة يابانية ثم تأخذ البتلات فى النمو والظهور شيئا فشيئا. وتنتفخ وينمو الجمال. إنك معطاءة للانهائى، وأنا لا أعرف تناوله فلتعذرينى. إنك تقذفى إلىّ بتفاحة وقد تركت أنا طقم الأسنان على الكومودينو. قف. جيداً هكذا.

يمكن أن أكون فظا. تصورى. لكن تصورى جيدا لأن ذلك ليس مجانا.

لماذا أقول قف؟ لأنى خائف من البدء فى التلفيقات فهى جد سهلة. فما عليك إلا أن تطرح فكرة وشعورا من تلك اللحظة التى مضت وتربطهما من خلال الكلمات والحرف وبعد ذلك أحبك. إنها جزئية محضة: أحبك. إجمالى عام: أحبك. على هذا الحال يعيش

93

الكثير من أصدقائى دون أن أحدثك عن عم واثنين من أبناء العمومة وهم على قناعة بالحب ـ الذى ـ يشعرون ـ به ـ نحو ـ زوجاتهم. الانتقال من القول إلى الفعل. وبدون رأس لا يوجد جسد الحيوان. وما يطلق عليه كثير من الناس حبا ليس إلا اختيار امرأة والزواج بها. إنهم يختارونها، وأقسم لك على ذلك فقد رأيته. فكيف يمكن الأختيار فى الحب وكأنه ليس شعاعا يكسر عظامك ويتركك جامدة بلا حراك وسط الحوش. ستقولين إنهم يختارون نساءهن لأنهم يحبونهن، وأنا أعتقد أنه على العكس alvesre. لم يتم اختيار بياتريث ولم يتم اختيار جولييت، وأنت لا تختارين المطر الذى ينزل حتى عظامك عندما تذهبيين إلى حفل موسيقى. لكنىّ وحيد فى غرفتى، وأسقط بين أدوات الكاتب، وتأتى الحروف السوداء كيفما اتفق، وتقرصنى من تحت الترابيزة. هل يقال تحت أو من تحت؟ كما أنها تعضك. لماذا هذه الفظاعة من قبل الحروف السوداء. انظرى إليها فى قصيدة ناشى Nashe وقد تحولت إلى نحل. كما أنها هناك عند «أوكتابيوبات»[٤] قد تحولت إلى سيقان الشمس، ومقار صيفية. لكن جسد أى امرأة هو مارب وهو برينفييرس[٥] Brinvilliers والعيون التى يعلوها الضباب من كثرة تأملها للغروب الجميل هى نفس الأعضاء التى يمتع نفسه بمشاهدة تلوى المشنوق. أخشى تجارة الأعراض مقروءة أو مكتوبة، ذلك البحر من الألسنة تلعق عجز العالم. هناك عسل ولبن وتحت لسانك .... نعم لكن من المسلمّات أن الذباب الميت يفسد عطر المتخصص. تدور الحرب بالكلمة، وفى الحرب يلزم كل شئ ولو كان فى ذلك التخلى عن الذكاء والوقوف فقط عند مجرد طلب البطاطس المقلية، والأخبار التى ترسل بها وكالة رويتر وخطابات أخى النبيل والحوار عن السينما إنه لأمر غريب وشديد الغرابة أن يشعر بوتنهام[٦] puttenham بالكلمات كأنها مُحَسّات وحتى كائنات تنبض بالحياة. يحدث هذا أحيانا بالنسبة لى فأبدو وكأننى أزرع أنهارا من النمل الشرس الذى سيأكل العالم. آه لم يحتضن الروك فى الصمت... السبب الأعظم خطأ فادح! آه لو أمكن خلق سلالة تعبر عن نفسها من خلال الرسم والرقص والمكرمية[٧] macrame أو أى نوع من المحاكاة المجردة. فهل سيحول ذلك دون وجود إمكانية الخداع؟ شرف الرجال إلخ. نعم لكنه شرف يزيل الشرف عن كل جملة وكأنه مريلة للعذراوات إذا ما أمكن عمل شئ.

93

تنتقل من الحب إلى علم اللغويات. إنك تعيش حالة إستنارة داخلية يا أوراثيو. السبب هو موريلى الذى يستولى عليك حتى الهوس، كما أن محاولته غير العاقلة تجعلك تخمنّ عودة إلى الفردوس المفقود. أيها المسكين السابق على آدم، من أبناء السناك بار Snk bar† من العصر الذهبى والملفوف فى السلوفان This is aplastic age, man; a plastic's age انس الحروف، تنازل، اهدأ، علينا أن نفكر، ما يسمى بالتفكير، أى الشعور، واتخاذ الوضع، ومواجهة النفس قبل السماح بمرور أى جملة بسيطة أو مركبة. باريس هى مركز، أتفهم، إنها «ماندالا» وعلى المرء أن يطوف بها دون جدلية، وكهفا حيث الصيغ البراجماتية لاتفيد فى شئ إلا فقدان الاتجاه. وعندئذ على المرء أن يكون أعرج وكأنه يستنشق باريس ويدخل فيها ويتركها لتدخل منه niume y no lages. هذا الأرجنتينى أبو العماد الذى نزل من السفينة وهو يحمل معه ثقافة مقاس ثلاثة فى خمسة ويفهم كل شئ ويطلع على أحداث الدنيا، ومن أصحاب الذوق الجيد. يعرف جيدا تاريخ السلالة البشرية والعصور الفنية، بما فى ذلك العصر الرومانسى والعضر القوطى والتيارات الفلسفية ومناطق التوتر السياسى. ويعرف شركة شل ماكس(٨) Shell Mex والعمل والتمعن والالتزام والحرية، يعرف بييروديلا فرانثيسا Piera Della وأنطوان ويبرن Anton webern والتكنولوجيا المتقدمة ومنها ماكينة الطباعة Lettera22 وفيات طراز **1600** والبابا خوان الثالث والعشرين. ياله من أمر جيد ياله من أمر جيد. كانت مكتبة صغيرة فى شارع شيرس ميدى Cherche Midi وكان هواء ناعما ذا تموجات رتيبة. وكان المساء والساعة وكان الفصل المزهر من العام(٩). كان الكلمة (فى البداية) كان رجلا يعتقد أنه إنسان ... ياله من موقف آه يا أمى. خرجت من المكتبة (منذ هنيهة أتذكر الآن أنها كانت كنوع من المجاز إذ تخرجن مكتبة ليس إلا) وتبادلنا كلمتين ثم ذهبنا لتناول كأس فى مقهى يقع فى شارع سيڤر بابيلون Sevres- Babylone (ونحن نتحدث عن الاستعارة. كنت أنا بمثابة قطعة بورسيلين نزلوا بها من على متن المركب Handle Witn care أما هى فكانت بابل، أساس الزمن، والشئ السابق Primeval beig الرعب واللذة فى اللقاءات الأولى ورمانسية أتالا لكن كان هناك فهد حقيقى يختبئ وراء الشجرة).. وهكذا ذهب سيفرى مع بابل لتناول كأس «قشر البصل» Pelure d' oignon. كنا ننظر إلى بعضنا البعض وأعتقد أننا بدأنا نشعر بالرغبة كل تجاه

93

الآخر. (لكن كان ذلك فيما بعد فى شارع ريامور Réaumur) ودار حوار هام يسوده سوء المفاهيم، وعدم التوافق الذى يتم حله فى لحظات صمت غامضة. وظل الأمر كذلك حتى أخذت الأيدى فى عملية التشكيل، كانت لذيذة مداعبة الأيدى والنظر إليها والابتسام. أشلعت سجائر جلواز، السيجارة من عقب الأخرى، كنا نحتك بالعين. كما كنا على اتفاق كامل فيما يتعلق بما كان يسمى الخجل. كانت باريس ترقص فى الخارج تنتظرنا، ونحن حديثى النزول من السفنية، ولم نكد نعيش، وكان كل شئ هناك بدون اسم وبدون تاريخ (وخاصة بالنسبة لبابيلونيا أما المسكين سيفرى فقد كان يبذل جهدا جباراوهو مشدوه بهذه الطريقة التى هى عليها فى تأمل ما هو قوطى دون أن تضع له مسميات صماء، وأن تقوم بجولة على شاطئ النهر دون أن ترى الكحوليات النورماندية(draque). وعندما ذهب كل منا لطريقه كنا نودع بعضنا كأننا فتيان وفتيات ربطت بيننا أواصر الصداقة فى إحدى حفلات عيد الميلاد أخذنا ننظر إلى بعضنا البعض بينما الأباء يجذبوننا، كل فى إتجاه. إنه ألم لذيذ، ومعروف أن أحدهم واسمة طونى أما الفتاة فكان اسمها لولو ويكفى أن يكون القلب بمثابة ثمرة فاكهة صغيرة و...

أوراثيو، يا أوراثيو.

إنها قذارة إذن ولم لا؟ إننى أتحدث عن ذلك الوقت، عن سيڤرى وبابيلون، وليس عن هذه المحصلة التى فيها رثاء والتى نعرف من خلالها أن اللعبة انتهت.

(68)

موريليّات :

يمكن أن تتعفن مقطوعة نثرية مثلما تتعفن شريحة من ظهر الذبيحة إننى أشعر منذ أعوام بالتحلل الذى يدب فى كتابتى. فهى تصاب بالتهاب اللوزتين والأعور واليرقان لكنها تتعدى طاقتى فى طريقها إلى التحلل النهائى وعلى أى الأحوال فإن التعفن يعنى القضاء على عدم نقاء المركبات واستعادة حقوق الصودا والماغنيسيوم وكذلك الفحم فكلها نقية من الناحية الكيماوية. إن كتابتى النثرية تتعفن نحويا وتتجه ـ بجهد كبير ـ نحو التبسيط. وأعتقد أننى لا أعرف كيف يمكن أن أكتب بطريقة «متسقة». لهذا السبب فالكلمات تفر ّمنى وتتركنى بعد خطوات قليلة. Fixer des vertiges

– ياله من أمر جيد لكنى أشعر أننى يجب أن أقوم بتثبيت بعض العناصر. ومهمة القصيدة هى تلك، كما تقوم بهذه المهمة بعض المواقف فى الرواية أو القصة القصيرة أو المسرح. أما باقى الأمور فهى لا تتجاوز مهمة الحشو ومع ذلك لا يسير كل شئ سيرا جيدا.

– نعم، لكن ماذا عن العناصر، أليست هى المحور الجوهرى؟ فأنت تقوم بتثبيت الكربون .هو أمر أقل قيمة من تثبيت قصة أسرة جيرمانت Guermantes

– لدى اعتقاد غامض بأن العناصر التى أرصدها ما هى إلا مصطلح من التركيب. يتم قلب وجهة النظر للكيمياء المدرسية. وعندما يصل التركيب إلى أقصى درجاته تفتح الأبواب على أرض البساطة. تثبيتها وأن تكون هى إذا ما كان ذلك ممكنا.

(91)

95

لوحظ أن مويلى كان واضحا فى بعض ملاحظاته التى دونتها بشأن توجهاته، وهذا شئ مثير للفضول وقد بدرت منه علامات تحمل المفارقة؛ إذ كان يهتم بدراسة أو عدم دراسة بعض الأمور مثل البوذى زن zen الذى كان بمثابة طفح جلدى للجيل الردئ. لم تكن المفارقة فى ذلك، بل لأن موريلى بدا أكثر راديكالية وأكثر شبابا، فى مطالبه الروحية، عن هؤلاء الشباب أبناء كاليفورنيا الذين أسكرتهم الكلمات السنسكريتية والبيرة المعبأة فى العلب الألمونيوم. كانت إحدى تلك الملاحظات تشير بشكل سوزوكى[١] إلى اللغة كنوع من التعجب أو الصراخ الذى ينبع مباشرة من التجربة الداخلية. وطبقا لبعض النماذج المتعلقة بحوارات تدور بين المدرسين والطلاب التى يستعصى على السمع العقلى فهمها والتى تبتعد عن كل منطق صراعى وثنائى. كذلك هناك نماذج إجابات المدرسين على أسئلة تلاميذهم التى هى عبارة عن هراوة يهوون بها على رؤس الطلاب، وإلقاء جردل ماء عليهم، وطردهم ركلا من المنزل، أو تكرار السؤال مرة أخرى على مسامعهم، وهذا فى أفضل الأحوال. كان يبدو أن موريلى يسير فى هذا المضمار وهو يشعر بالمتعة، ويؤكد على أن تلك السلوكيات من المدرسين هى الدرس الحقيقى والطريقة الوحيدة ليقوم التلاميذ بفتح عيونهم الروحية ويكشفون الحقيقة أمامهم. هذا العنف اللاعقلانى بدا له أمرا طبيعيا إذ رأى أنه يقضى على الأبنية التى تشكل تخصص الغرب والركائز التى يقوم عليها التفاهم التاريخى للانسان والتى يتوفر لها عنصر الاختيار من خلال فكر الخطاب (وكذلك الفكر الجمالى والشعرى).

كانت نغمة الملاحظات (هى عبارة عن ملاحظات مكتوبة بغية تقوية الذاكرة أو لغرض آخر غير واضح) تدل على أن موريلى كان ضالعا فى مغامرة شبيهة بالعمل الذى بذل جهدا مؤلما فى كتابته ونشره خلال الأعوام الأخيرة.

كان بعض قرائه يرى (وكذلك هو أيضا) أنه من المثير للضحك أن ينوى فى كتابة نوع من الرواية، ولكن على أساس مباعدة الترتيب المنطقى للخطاب. وانتهى الأمر بالتخمين وكأنه نوع من المبادلة وسلوك إتجاه (لكن بقى الأمر اللامعقول والمتمثل فى اختيار السرد القصصى لأهداف لا تبدو قصصية)

لم لا؟ كان موريلى يطرح هذا السؤال على نفسه على سطور ورقة مربعة يوجد على

هامشها قائمة من البقول ومن المحتمل أن يكون mementa buffandi

الأنبياء والمتصوفة والليلة المظلمة للروح: هو استخدام شائع للقص فى شكل عظة أو رؤى. وبالطبع فإنه إذا ما تعلق برواية ... لكن هذا الاستغراب يتبع أساسا من هوس القرد الغربى بالتصنيف والتبويب ولا ينبع من تناقض فعلى داخلى.

دون أن نأخذ فى الاعتبار وجود علاقة طردية بين التناقض الداخلى والفعالية التى يمكن أن تتمخض عنها فى نموذج مثل تقنية زن. فبدلا من الهراوة على الرأس يمكن أن تؤلف رواية مضادة تماما للقصة، مع ما يصحب ذلك من الاستغراب والشعور بالصدمة وربما فتح العيون بين الأكثر ذكاء.

وتأمل فى ذلك الأخير، هناك ورقة أخرى تشير إلى التوجه السوزوكى بمعنى أن فهم اللغة الغربية التى يتحدث بها المدرسون تعنى أن يفهم التلميذ نفسه وليس أن يفهم مدلول اللغة تلك. وخلافا لما يمكن أن يستنتجه الفيلسوف الأوربى الخبيث فإن لغة المايسترو زن تنقل أفكارا وليس مشاعر أو تخمينات. ولهذا لاتجدى كونها لغة فى حد ذاتها، بل إنها مثل عملية الانتقاء للجمل التى يتولاها الأستاذ. ها هو الغموض يحدث فى المنطقة الخاصة به وينفتح التلميذ على نفسه ويدرك ذاته وتصبح الجملة بمثابة مفتاح.

ولهذا فإن إيتين، الذى درس جيل موريللى بشكل تحليلى (وهو أمر قد يبدو لأوليڤيرا ضمان للفشل) كان يعتقد أنه يلمح فى بعض أجزاء الكتاب، بما فى ذلك فصول كاملة منه نوعا من التضخيم فى تستخدام الإنسان القديم لبعض صفعات زن. كان موريلى يطلق على تلك الأجزاء من الكتاب «أبنية فصول» "arquepitules" وفصل نموذج "capetipos" وهى نوع من الهذيان اللغوى يستشف من خلاله خليط ليس على طريقة جويس. وفيما يتعلق بمهمة الأنماط هناك فقد كان ذلك موضوعا لا يدرك كنهه كل من وونج وجريجور وفيوس.

ملاحظة سجلها إيتين: لم يبد أبدا أن موريلى كان يريد أن يصعد الشجرة البوذية، أو على جبل سيناء أو أى منصة أخرى كما لم يفكر فى اتخاذ مواقف لأستاذ يقوم من خلالها بقيادة القارئ نحو آفاق جيدة خضراء. لم يخنع (فالعجوز كان من أصل إيطالى وكان شديد الاعتداء بنفسه) كان يكتب وكأنه يتصور أن الأستاذ سيقوم بتنويره، ويلقى بعبارته زن وينصت لها - وربما استمر فى ذلك خمسين صفحة متوالية

95

ـ كان من اللامعقول ومن سود النية الشك فى أن هذه الصفحات موجهة إلى القارئ. فإذاما قام موريلى بنشرها فقد يكون ذلك (إنه إيطالى الأصل (عودة مظفرة[٢]!) ومن ناحية أخرى كان سعيدا بأنها تستدعى النظر بشدة.

كان إيتين يرى فى موريلى الرجل الغبى الكامل أى المستعمر. وبعد أن قام بجمع الزهور البوذية عاد إلى الملجأ اللاتينى وهو يحمل البذور. وإذا ما كانت الخلاصة هى الشئ الذى يجعله أكثر أملا فما علينا الا الاعتراف بأن كتابه هو كتاب أدبى فى المقام الأول والسبب هو أنه يرى تدمير الأشكال (والصيغ) الأدبية.

كان غريبا أيضا حتى فى إطرائه، وذلك من خلال الاقتناع المسيحى بأنه لا يوجد خلاص فردى ممكن وأن أخطاء البعض تؤثر على الجميع والعكس صحيح، وربما لهذا السبب (خفقه من أوليفيرا) اختار شكل الرواية لكتابة مغامراته كما كان ينشر ما يجده وما لايجده.

(-146)

96

سرى الخبر بسرعة وكأنه خط بارود، فاجتمع كل أعضاء النادى تقريبا فى العاشرة. كان إيتين حامل المفتاح، أما وونج فكان ينحنى حتى الأرض لمجابهة الاستقبال الغاضب للبوابّة، لكن ما هذا الذى يحدث؟ حقا، هؤلاء الأجانب. اسمعوا سوف أترككم تصعدون طالما أنكم تقولون بأنكم أصدقاء السيد موريلّى. إلا أنه لم يكن ليرضى أن تصعد عصابة إلى منزله فى العاشرة مساء. لا. هذا حقيقى. كان من المفروض عليك يا جوستاف أن تتحدث مع النقابة فهذا شئ أحمق... إلخ. كانت بابى مسلحّة بما يطلق عليه رونالد The alligater's smile. كان رونالد متحمسًا. ويضرب إيتين على ظهره ويدفعه حتى يسرع. أما بيريكو رومير فكان يصب اللعنات على الأدب. الدور الأول رودو RODEAU وفورور FAURRUES أما الدور الثانى فهو DOCTEUR والدور الثالث هوسينوت HUSSENOT، كان لايصدق. كان رونالد يضغط بمرفقه على أضلاع إيتين ويتحدث بسوء عن أوليڤيرا.

باريس ليست إلا ذلك، سلالم سيئة، وسلالم سيئة تعقبها، لقد طف الكيل ولم يعد المرء يحتمل. إذا ما كانت كل بنات الدنيا .... كان وونج آخرهم، يبتسم لجوستاف ويبتسم للبوابّة باالسخافة وبالسوء الأدب. وفى الدور الرابع فتح باب الشقة التى على اليمين، مسافة ثلاثة سنتميترات فرأى بيريك فأرة ضخمة ترتدى قميص نوم أبيض اللون تتلصص عليهم بعين وأنفها كاملا. وقبل أن تتمكن من إغلاق الباب مرة أخرى وضع سن نعله فى الفتحة، وأنشد لها ذلك، بأنه بين الأفاعى استطاع الأفعوان أن يكون هو الأكثر سُمًا وأكثر قدرة على غزو الحيّات إذ يثير استغرابهن بصفيره ويفزعهن بمقدمه ويقتلهن بسحر عينيه. لم تفهم مدام رينيه لاڤاليت الكثير، لكن كانت إجابتها كانت التأفف، ودفعته. أخرج بيريكو حذاءه فى $\frac{1}{8}$ من الثانية قبل أن يرن باف. أما الدور الخامس فقد توقفوا ليروا كيف يقوم إيتين بوضع المفتاح فى الباب.

– لا يمكن أن يكون ـ كرر رونالد للمرة الأخيرة ـ إننا نحلم كما تقول بذلك أميرات Tours et taxis هل جئت بالمشروبات يا بابى؟ إنه تبرع للإله كاورونت[1] Caronte. سوف نقوم بفتح الباب الآن وستبدأ الأمور المهيبة، أنا أتوقع أى شئ من هذه الليلة. إذ يسود شعور بأننا على أبواب نهاية العالم.

– هذه العجوز المجنونة كانت على وشك أن تكسر قدمى ـ قال بيركو وهو ينظر إلى فردة الحذاء ـ افتح يا رجل لقد تعبت تماما من صعود السلالم ولم أعد أحتملها.

96

لكن الباب لم يدخل فى الفتحة رغم أن وونج قد أشار إلى أنه فى الاحتفالات الأولية تتسم الحركات بالبساطة وترى وهى مترابطة بواسطة قوى يجب التغلب عليها بصبر ومكر. انطفأ نور السلالم.. ولابد أن يخرج أحد منكم الولاّعة.

بـــابـــى : ياله من سخف. «تستطيع مع ذلك أن تتحدث الفرنسية. أليس كذلك؟ آه زميلك الأرجنتينى ليس هنا ليعبر عن إعجابه بهذه اللخطبة».

رونـــالـــد : أريد أى كبريت يارونالد، ياله من مفتاح لَعين، لقد اعتلى الصدأ المفتاح، لقد كان العجوز يحفظه فى كوب فيه ماء.

إيتـــيـــن : «ياسيد كوبان، ياسيد كوبان، هو هو السيد كوبان»

وونـــــج : لا أعتقد أنه سيأتى. «إنك لا تعرفه هو. أفضل منك، لا شئ من هذا. ياللقذارة .

رونـــالـــد : خذ ولاعتك. النهر الأصفر.

بيـــريكو : لمؤخرتى هذا النحس.

وونـــــج : إنها أيام الين Yin. لابد من التسلح.

بـــابـــى : بالصبر. لترين، لكن من النوع الجيد.

إيتـــيـــن : بحق الله نرجو ألا يسقط منك على السلم. أتذكر ليلة

رونـــالـــد : أذكر ليلة فى ألاياماحيث كانت النجوم.

بـــابـــى : حبى . «ياك من ظريف كان من الأفضل أن تعمل فى الإذاعة».

رونـــالـــد : ها هو أخذ المفتاح. إنه

بـــابـــى : «قد سقطت النجوم فى ألاياما»

رونـــالـــد : لقد أصابتنى فى قدمى إصابة بليغة أشعل عود ثقاب آخر، لايرى أى شئ أين؟ لا يعمل. هناك. من يضع يده على عجزى.

96

الكـــورس : يا حبىّ .... تشى..... تشى.... ليدخل وونج أولا لطرد الشياطين، أو، مستحيل. ادفع به يا بيريكو فهو صينّى.

– قال رونالد :

– الصمت هذه هى أراض أخرى، أقولها جادا؛ فإذا ما كان هناك من جاء للتسلية فليصمت. أعطنى الزجاجات يا كنزى فدائما ما ينتهى بها المطاف وتسقط منك عندما تكونين منفعلة.

– لا أحب أن يضع أحد يده علىّ فى الظلام - قالت بابى وهى تنظر إلى بيريكو وونج.

مَدّ إيتين يده ومررّها ببطء على الإطار الداخلى للباب. انتظر الجميع وهم صامتون فى انتظار العثور على مفتاح النور. كانت الشقة صغيرة ومليئة بالأتربة، كما كانت الإضاءة الضعيفة تلف المكان فى جّو مذهب حيث تنفس النادى الأول الصعداء، ثم أخذ يتجول لمعرفة باقى أجزاء المنزل، وتم تبادل الانطباعات بصوت منخفض: هناك نسخة من لوح أور Ur، وأسطورة تدنيس الخبز المقدس (باوولو أوكثيلPaolo Uccillo Ë† Pinxit) وصورة باوند Pound وموسيل Musil واللوحة الصغيرة - دى ستايل De Sloel وعدد هائل من الكتب مرصوص إلى جوار الحائط على الأرض، وإلى جوار الترابيزات وحجرة الحمـاّم، وفى المطبخ الصغير، حيث كانت هناك بيضة مقلية بين التعفن والجفاف. كانت شقة جميلة جدا فى نظر إيتين، بينما ترى بابى أنها درج من الزبالة، وتدور مناقشة فيها نوع من الكهانة بينما وونج يفتح بحذر «مناقشة الأمراض من خلال السحر، والسحر فى مواجهة الأمراض»، لزينجر Zwinger ، صعد بيريكو على كرسى بدون مسند ظهر وأخذ يقلب فى ركن خاص بالشعراء الإسبان خلال العصر الذهبى. ويتفحص إسطرلابا صغيرا مصنوعا من القصدير والعاج. أما رونالد فينظر إلى حافظة الأوراق ذات الكسوة المخمليةالخضراء، إنه نفس المكان الذى يمكن أن يجلس عليه بلزاك ليكتب، وليس موريلى. حقا، إن العجوز كان يعيش على مقربة من النادى، رغم أن الناشر الملعون كان يقول لكل من يطلب عنوانه بالتليفون إنه فى إستراليا أو أحد الشواطئ الشرقية لأسبانيا، كانت حافظات الأوراق على اليمين وعلى اليسار، ويتراوح عددها بين عشرين وأربعين، كما أنها كانت متنوعة الألوان، وبعضها مليئة بالأوراق أما الآخرى فكانت فارغة. وفى وسط الترابيزة طفاية سجائر، كانت بمثابة أرشيف آخر لموريلى.

إذ تراكمت فيه أعقاب السجائر ورمادها ومعدان الثقاب المحروقة.

– لقد ألقى بالطبيعة الميتة فى القمامة ـ قال إيتين بغيظ ـ لو كانت لاماجا معه لما تركت شعرة فى رأسه لكنك أنت الزوج ...

– قال رونالد وهو ينظر إلى الترابيزة ليخفف عنه :

– انظر كما أن بابى قالت إنه متعفن وماذا عن الأرجنتينى؟

– لم يأت الأرجنتينى وابن ترانسيلفانيا . أما جوى ذهب للريف، ولاماجا .لسنانعرف أين هى الآن. وعلى أى الأحوال فالنصاب مكتمل. سوف يتولى وونج تسجيل محضر الاجتماع.

– لننتظر قليلا حتى يأتى أوليڤيرا وأوسيب. ستتولى بابى مراجعة الحسابات.

– كما سيقوم رونالد بدور السكرتير. سيتولى أمر البار,Sweet get some glasses will you?

– سوف يكون هناك ربع ساعة استراحة ـ قال إيتين وهو يجلس أمام الترابيزة ولكن من أحد الجوانب ـ يجتمع النادى هذه الليلة تلبية لرغبة موريلى وبينما نحن فى انتظار أولڤيرا، إذا ما وصل، أدعوكم لنشرب لأن العجوز قد يعود ويجلس هنا ذات يوم من الأيام. يا أمى. ياله من مشهد مؤلم. نبدو وكأننا كابوس، فربما كان مورييلى يحلم وهو فى المستشفى . ياللفظاعة. فليدون فى المحضر.

– كما يجب أن ننتهز الفرصة ونتحدث عنه ـ قال رونالد الذى امتلأت عيناه بالدموع بشكل طبيعى، بينما كان يصارع من أجل استخراج زجاجة الكونياك ـ فلن تكون هناك جلسة مثل هذه، فمنذ سنوات كنت أقوم بدور الراهب المبتدئ دون أن أدرى. وأنت يا وونج وبابيريكو Damn it. Icould cry لابد أن يشعر المرء بهذا الشعور عندما يصل إلى قمة جبل ،أو يحقق رقما قياسيا أو شيئا من هذا القبيل، معذرة.

وضع إيتين يده على كتفه. أخذوا يجلسون حول الترابيزة. أطفأ وونج الأنوار ما عدا تلك اللمبة التى كان يسقط ضوءها على حافظة الأوراق الخضراء. كان المشهد يشبه المشاهد التى نعهدها لدى إيوسابيا بلادينو Eusapia paladino . فكر ايتين أنه يحترم الروحانيات، أخذوا يتحدثون عن كتب موريلى ويشربون الكونياك.

(94)

97

بالنسبة لجريجورفيوس، المتخصص فى القوى غير القياسية، كانت تهمه ملاحظة كَتَبَها موريلى: «الدخول فى واقع ما أو الشكل الممكن من هذ الواقع والشعور بأن ذلك الذى بدا لأول وهله لا معقولا، يعنى الانسجام مع أشكال أخرى، سواء لا معقولة أم لا حتى يبزغ من النسيج غير المنسجم (بالنسبة للرسم المشوه فى كل يوم) رسما متماسكا، إلا أنه يبدو غير معقول أو هذيان بمجرد القيام بمقارنته المتوجسة بذلك. ومع هذا هل أبالغ حين أعبر بهذه الثقة؟

إنه رفض اللجوء إلى علم النفس والجرأة فى توصيل القارئ - نوع معين من القراء - بالعالم الشخصى من خلال المعايشة والتأمل الشخصيين ... هذا القارئ سوف يفتقد وجود كوبرى وكل رابطة للتوصيل وإيجاد العلاقة السببية. إنه تقديم الأشياء فى حالتها الأولية: السلوكيات، والمحصلة، والقطعية، والكوارث، والهزليات. فى ذلك المكان الذى يجب أن يكون فيه وداع يوجد رسم على الحائط، وبدلا من صرخة هناك صفارة إن الموت يتم حل مفصلته فى ثلاثية صادرة عن آلات المتدولين. وهذا هو دواع وصرخة وموت، لكن من هو على استعداد للانتقال والخروج من المركز واكتشاف ذاته؟ لقد تغير الشكل الخارجيه للقصة، لكن أبطالها لازالو هم حروف تريستان و[١] Tristan وجان إيبر[٢] Jane Eyre ولافكاديو[٣] Lafcadio وليوبولا بلوم[٤] Leapoldo Bloom وأناس من المارة ومن المنزل ومن حجرات النوم، إنها أنماط بالنسبة لبطل مثل أولترش Ultrich (more Musil)† أو مولوى Mallay (mare Beckett) هناك خمسمائة دارلى Darley (more Durrell)

أما بالنسبة لى فإنى أتساءل فيما إذا كنت سأتمكن فى يوم من الأيام من إبراز أن البطل الحقيقى والوحيد الذى يهمنى هو القارئ. بالدرجة التى يتمكن فيها من خلال إسهام كتابتى فى نقله وإثارة استغرابه وجعله يشعر بالهذيان» وبالرغم من الاعتراف الضمنى بالهزيمة فى الجملة الأخيرة فإن رونالد وجد فى هذه الملاحظة نوعا من التحذلق لم يعجبه.

(-18)

98

ياللغرابة إنهم عميان، هؤلاء الذين يضيئون لنا الطريق.

كأننا أمام أحد الناس الذين يستطيعون - دون أن يدروا - مساعدتك على إيجاد معالم الطريق دون أن يكون قادرا على السير فيه. لن تعرف لاماجا أبدا كيف أن أصبعها كان يشير إلى الخط الواهى الذى يفصل المرآة، ولن تعرف إلى أى درجة كيف أن بعض لحظات الصمت وبعض الاهتمامات اللامعقولة، وبعض مسارات أم أربعة وأربعين بمثابة كلمة السر بأننى على ما يرام، وأننى أملك جماع نفسى، وأننى لست فى مكان، آخر وعموما، فإن ذلك الذى يتعلق بالخط الواهى ... إذا ما أردت أن تكون سعيدا مثلما تقول لى: لا تحول الأمور إلى شعر يا أوراثيو، لا تقل شعرا.

النظرة الموضوعية: كانت غير قادرة على أن توضح لى شيئا على أرضى، كما أنها كانت تدور حائرة على أرضها، وتحاول وتداعب بيدها. وكأنها خفاش نشط ورسم ذبابة فى هواء الحجرة. وفجأة أجد نفسى جالسا أتاملها، فيطفر على ذهنى خاطر أو هاجس ويدون أن تدرى هى فإن سبب بكائها أو مشترياتهاأو طريقتها فى قلى البطاطس تمثل بالنسبة لى إشارات. كان موريلى يتحدث عن شىء شبيه بهذا عندما كتب «قراءة أعمال هايسنبرج Hesienberg حتى منتصف اليوم، ثم الملاحظات، والبطاقات. يقوم ابن البوابة بتوصيل الرسائل الواردة إليه. ونتحدث عن موديل طائر يقوم بتجميعه فى مطبخ منزله. وبينما يتحدث إلىّ ويقص، يقفز قفزتين على رجله اليسرى وثلاثا فوق اليمين وليس قفزتين بكل رجل أو ثلاث. ينظر إلىّ وهو يشعر بالدهشة. ولا يفهم أنه الإحساس بأننى وهايسنبرج نجلس على الجانب الآخر من الأراضى، أما الطفل فلازال يمتطى الحصان برجل واحدة فى كل مرة دون أن يدرى. وبعد ذلك لن يكون أكثر من هذا في الجانب الذى نحن فيه، وسيكون قد انقطع أى اتصال. اتصال بماذا ولماذا؟ وعموما علينا مواصلة القراءة فربما يمكن لها يسنبرج....»

(38)

99

– قال إيتين :

– ليست هذه أول مرة يشير فيها إلى الفقر اللغوى يمكن أن يذكربعض اللحظات التى نجد فيها الشخصيات تفقد الثقة فى نفسها طالما كانت تشعر بأنها مرسومة على غرار فكرة، وخطابة، وتخشى أن يكون الرسم خدعة. إنه شرف الرجال أيها اللغة المقدسة ... لازلنا بعيدين عن ذلك.

– قال رونالد :

– ليس كثيرا، إن ما يريده موريلى هو أن يعيد للغة حقوقها. إنه يتحدث عن تطهيرها، وعقابها، فيجعل «ينزل» مكان «يصعد»، وذلك كوسيلة تنظيف صحى لكن ما يبحث عنه فى واقع الأمر هو أن يعيد للفعل «ينزل» كل رونقه، وذلك حتى يمكن استخدامه مثلما أقوم أنا باستخدام عيدان الثقاب وليس كجزء من الديكور أو قطعة من مكان عام.

– نعم. لكن هذه المعركة يتم تطويرها على عدة مستويات ـ قال أوليڤيرا وقد خرج عن صمت طويل ـ ففى الجزء الذى قرأته علينا نجد جليا أن موريلى يدين فى اللغة الأنعكاسات والأصداء الزائفة، أو غير المكتملة، التى نجدها فى المنظور أو فى آلة الأورج، وهذه تضع أقنعة على الواقع وعلى الإنسانية. وهو فى حقيقة الأمر لا يبدى كبير اهتمام باللغة باستثناء الجانب الجمالى. لكن تلك الإشارة إلى الـ ethos تتسم بالوضوح. يدرك موريلى أن مجرد الكتابة الجمالية ما هى إلا شعوذة وكذبا الأمر الذى يستثير القارئ المرأة، أى ذلك النمط الذى لا يريد مشاكل، بل يريد حلولا .أو مشاكل زائفة بعيدة عنه تهيئ له المعاناة المريحة وهو جالس على الكرسى، ودون أن يكون ضالعا فى الدراما التى يجب أن تكون الدراما الخاصة به أيضا. ففى الأرجنتين، وليعذرنى أعضاء النادى الدخول فى الأمور المحلية، فهذا النوع من الخداع جعلنا أكثر الناس هدوءا وسعادة طوال قرن من الزمان.

– سعيد ذلك الذى يجد الثنائى الخاص به، وهم القراء النشطون ـ أنشد وونج ـ هو فى تلك الورقة الزرقاء بالحافظة رقم **21**. عندما قرأت موريلى لأول مرة «كان ذلك فى ميدون Meudon فقد شاهدت فيلما سريًا، مع الأصدقاء الكوبيين، بدا لى الكتاب أنه عبارة عن سلحفاة ضخمة مقلوبةعلى ظهرها.. يصعب فهمه. هو فيلسوف غير عادى رغم أنه يتسم بالفظاظة الشديدة من حين لآخر.

– مثلما هو حالك ـ قال بيريكو وهو ينزل من على الكرسى، وينضم إلى الدائرة

التى تتحلق الترابيزة، ويوجد لنفسه مكانا وسط الزحام - إن كل ما يتعلق بعملية تصحيح اللغة ما هو الا أوهام جاءت من رجل أكاديمى صغير، ولا أقول لك من متخصص فى القواعد. الهبوط أوالنزول، هذه ليست القضية، فالأمر أن البطل قد غادر المكان وينزل من على السلمّ، وانتهى الأمر.

– قال ايتين :

– إن بيريكو ينقذنا من إلزام معين وهو العودة إلى التجديدات التى أحيانا ما تروق كثيرالموريلى.

– سأقول لك - قال بيريكو بلهجة تهديدية - بالنسبة لى ، فهذا الذى يتعلق بالتجريدات .... لتسع الكونياك صخرة أوليڤيرا الذى أخذ ينزلق شاكرا إلى حلبة النقاش التى قد غاب عنها بعض الوقت حتى تلك اللحظة. وفى بعض الفقرات (لم يكن يدرى ما هى تلك الفقرات بالتحديد، وعليه أن يبحث عنها) كان موريلى يترك بعض المفاتيح الخاصة بمنهاج التأليف. لكن مشكلته الأساسية تكمن فى نضوب المعين، وهو عيب رهيب عند مالارميه عندما يجلس أمام الصفحة البيضاء التى تتوافق مع شعوره بضرورة أن يفسح لنفسه الطريق خطوة خطوة، ومهما كلفه الأمر. لم يكن هناك مناص من أن يتحول جزء من مؤلفاته، إلى تأمل حول مشكلة كتابتها، وبذلك أخذ يتباعد تدريجيا عن الاستخدام المهنى للأدب، أى من ذلك النوع من القصص القصيرة أو القصائد التى اسحق بها شهرته الأولى. وفى مراحل أخرى يذكر موريلى أنه عاد ليقرأ من جديد نصوصا كتبها هو منذ عدة سنوات، قرأها بحنين واستغراب أحيانا. فكيف أمكن لهذه المبتكرات أن تتأتى، وذلك الانفصال الرائع والمريح والمبسّط بين الرواى وما يرويه؟ فى ذلك الزمان كان ما يكتبه كأنه منشور أمامه. فالكتابة كانت تعنى استخدام ماكينة الطباعة لترا 22 lettra فى كتابة كلمات غير مرئية لكنها حاضرة مثل الماس من خلال كل خطوة يقوم بها وكذلك الريف المغلّف (يجب العودة لقراءة الفقرات، فكر أوليڤيرا، وكان منها واحدة مثيرة للفضول تدخل السرور على إيتين)، أضف إلى ما سبق أن كل فكرة واضحة، إما أن تكون خطأ، أونصف حقيقة وأصبح لايثق فى الكلمات التى أخذت تدخل فى عملية تناغم صوتى وإيقاعى وتقوم بعملية تنويم مغناطيسى للقارئ بعد أن كان الكاتب أولى ضحاياها («نعم لكن بيت الشعر...» «نعم لكن ماذا عن هذه الملاحظة المدّونة التى يتحدث فيها عن الـ Swing الذى يقوم بتشغيل

99

الخطاب...») أحيانا مايلجأ موريلى إلى استنتاجات سهلة جدا: لم يكن لديه شئ يقوله. فحضور البديهة المشروط، الخاص بالمهنة، فيه خلط بين الحاجة والروتين، وهذه حالة مألوفة بين الكتاب بعد أن يتجاوز عمرهم الخمسين عاما بما فى ذلك من حصل منهم على أكبر الجوائز الأدبية. لكن لم يشعر أبداً برغبة شديدة وحاجة ملحّة للكتابة. هل هو حضور البديهة؟ أو الروتين؟. أو هذا الإلحاح اللذيذ عندما يبدأ المعركة مع نفسة سطرا سطرا؟ ولماذا نجد فورا ضربة مضادة يعقبها التهاوى السريع للكبسولة، والشك المكروب والجفاف والتنازل؟

– قال أوليڤيرا :

– تشى، أين هى الفقرة التى تتضمن كلمة واحدة والتى تعجبك كثيرا؟

– قال إيتين :

– أعرفها جيدا إنها أداة الشرط «إذا» التى تتضمن إشارة فى نهايتها وهذه الأخيرة تتضمن فى نهايتها إشارة وهذه تتضمن أشارة أخرى فى نهايتها. كنت أقول لبيريكو أن نظريات موريلى ليست أصيلة بالضرورة. وما يجعله حميما لدينا هى تطبيقاته والطريقة التى يحاول بها عدم الكتابة» حسب تعبيره، وذلك حتى يكون على حق فى الدخول إلى منزل الأنسان. إننى أستخدم إما كلماته حرفا حرفا، وإما عبارات شديدة الشبه بها.

– قال بيريكو :

– فيما يتعلق بالسيرياليين فقد كان منهم الكثير.

– قال إيتين :

– ليست القضية متعلقة بالتحرر اللغوى؛ فقد اعتقد السرياليون أن اللغة الحقيقة والواقع الحقيقى قد تعرض كلاهما للتدهور بسبب الأبنية العقلانية والبراجوزية للغرب، وهم محقون فى ذلك، وهذا ما يعرفه أى شاعر، لكن ذلك الموقف لم يكن إلا لحظة واحدة فى العملية المعقدة لتقشير الموزة. والمحصلة هو أن أكثر من واحد أكل الموزه بقشرها منطلقا من الكلمة نفسها. هم متطرفون مؤيدون للكلمة فى أقوى حالاتها نقاء. هم مشعوذون فى أن إبدا ع لغة، وخلقها ما هو إلا انعكاس للبنية الإنسانية سواء كانت لغة الصينى أو لغة الهنود الحمر. اللغة تعنى مقر إقامة فى واقع ومعايشة هذا الواقع.

وقد يكون صحيحا أن اللغة التى نستخدمها تخدعنا (لم يكن موريللى هو الوحيد الذى صرح بذلك) فلا تكفى الرغبة فى تحريرها من التابو الذى وقعت فيه. لابد من

العودة ـ إلى ـ إعاشتها من جديد وليس ـ تنشيطها.

– قال بيريكو :

– هذه بلاغة عظيمة.

– إن ذلك يمكن أن نجده فى أى كتاب جيد عن مقدمة عن الفلسفة ـ قال (جريجورو فيوس) بشئ من التخوف بعد أن قام بتصفح رتيب لحافظات الأوراق وبدا أنه شبه نائم ـ لا يمكن إعاشة اللغة من جديد إلا إذا بدأنا النظر من جديد، وبطريقة أخرى، إلى كل العناصر المكوِّنة لواقعنا من الكينونة إلى الكلمة وليس العكس.

– قال أوليڤيرا :

– الحدس هى واحدة من تلك الكلمات التى تجدى نفعا سواء بالنسبة للكنس أو المسح. علينا ألا ننسب لموريلى مشاكل ديلتى[١] Dilthey وهوسريل[٢] Husserl أو ويتجستين Wittgenstein. إن الشئ الوحيد الذى يتسم بالوضوح فى كل ماكتبه العجوز هو أننا إذا ما ظللنا نستخدم اللغة فى أطرها العادية، ولنفس الأهداف المعتادة، فسوف نموت دون أن نعرف الاسم الحقيقى لليوم. نكاد نشعر بالبلاهة عندما نردد أنهم يبيعون لنا الحياة، كما يقول مالكولم لورى[٣] Malcolm Lowry، كما أنها تصل إلينا سابقة التجهيز. كما أن موريلى على شئ من الغباء، حين يلح على ذلك. لكن أيتين أفلح فى تعبيره: أن العجوز يفصح عن نفسه ويوضح لنا معالم الطريق. فما هى الجدوى من الكاتب إذا لم يتمكن من تدمير الأدب؟ وبالنسبة لنا نحن معشر الذين لا نريد أن نكون القارئ ـ الأنثى ـ، ما هى جدوانا إلا إذا كانت المساعدة فى هذا التدمير ما أمكن لنا؟

– قال أوليڤيرا :

– أسأل نفسى ذلك فقبل ذلك بعشرين عاما، كانت هناك إجابة عظيمة: الشعر يا فتاة، الشعر. إنهم كانوا يغلقون فمك بالكلمة العظيمة، والرؤية الشعرية للدنيا وغزو واقع شعرى. وربما أدركت واسترعيانتباهك أن انتهى كل شئ بعد الحرب الأخيرة. هناك شعراء ولا أحد يشك فى ذلك لكن لا أحد ـ يقرأ لهم.

– قال بيريكو :

– لا تقل ترّهات أن أقرأ الكثير من الشعر.

– طبعا أنا أيضا، لكن الأمر لا يتعلق بالشعر بل يتعلق بذلك الذى كان يتحدث عنه السرياليون ويرغب فيه كل شاعر ويبحث عنه ألا وهو الواقع الشعرى الشهير. صدقنى

99

يا عزيزى. فمنذ عام ألف وتسعمائة وخمسين ونحن نعيش فى خضم واقع تكنولوجى حتى ولو كان ذلك من الناحية الإحصائية. أنه أمر سيئ ومحزن ويجب أن نقتلع شعرنا. لكن الأمر هو كما عرضناه.

– قال بيريكو :

– التكنولوجيا لا تهمنى فى شئ هناك فرايلويس على سبيل المثال ...

– إننا فى عام ألف وتسعمائه ونيّف خمسين.

– أعرف ذلك.

– لا يبدو هذا.

– هل تظن أننى سوف أتحدث عن التأريخ.؟

– لا، لكن عليك أن تقرأ الصحف اليومية. أنا أيضا مثلك لا تروق لى التكنولوجيا. إلا أننى أشعر بمدى التغيير الذى حدث فى العالم خلال العشرين عاما الأخيرة. ويدرك ذلك أى إنسان قد تجاوز الأربعين ربيعا. ولهذا فإن سؤال بابى يضعنا ويضع موريلى فى مأزق. إنه لأمر جيد أن نعلن الحرب على اللغة العاهرة وعلى الأدب باسم واقع نعتقد أنه حقيقى نريد بلوغه، وأننا نؤمن بشئ من النفس، وعذرا لهذه الكلمة. إلا أن موريللى لا يرى إلا الجانب السلبى للحرب المعلنة ؛ حيث يشعر أنه عليه أن يخوضها مثلك ومثلنا جميعا.

– لا يمكنك أن تتحدث عن مراحل دون افتراض الهدف.

– ولنطلق عليه فرضية عمل أو أى شئ من هذا القبيل. فما يبحث عنه موريلى هو خلخلة العادات العقلية للقارئ. وهذا شئ متواضع للغاية كما ترى، ولا يصل إلى درجة عبور هاينبال لجبال الأدب. وحتى هذه اللحظة لا نرى شيئا كبيرا من الميتافيزيقاعند موريلى، إلا أنك يا أوراثيو كورياثيو H. Curiacio قادر على العثور على الميتافيزيقا فى علبة صلصة. موريلى فنان لديه فكرة صائبة خاصة عن الفن، هى عبارة عن القيام بهدم الأشكال التقليدية وهذا شئ شائع عند كل فنان جيد. فهو ينفر كثيرا من الرواية على الطريقة الصينية أى أن الكتاب الذى تتم قراءته من البداية للنهاية، ما هو إلا طفل طيب. لقد استرعى انتباهك أن اهتمامه بالأجزاء المختلفة يقل رويدا رويدا، أى أن كل كلمة تأتى بالأخرى معها ..... عندما أقرأ لموريلى يواتينى الأحساس بأنه يبحث عن تواصل أقل ميكانيكية وأقل سببية بين العناصر التى يستخدمها، يشعر المرء أن ماكتبه لا يكاد يستلزم ما يكتب، خاصة وأن العجوز، بعد أن كتب مئات الصفحات، لم يعد

99

يتذكر الكثير مما فعله قبل ذلك.

– قال بيريكو :

– وبذلك يطفر على ذهنه، أن يكون طول الأزمة التى تعرض لها قبل ذلك فى الصفحة رقم عشرين، قد وصل إلى مترين وخمسة سنتميترات فى الصفحة رقم مائة. وقد لاحظت ذلك أكثر من مرة. هناك مشاهد تبدأ فى السادسة مساء وتنتهى فى الخامسة والنصف. إنه لأمر مقرف.

– قال رونالد :

– ألا يطيب لك أن تكون قزمًا أو عملاقا طبقا لحالتك المعنوية؟

– إننى أتحدث عن الجريش ـ قال بيريكو.

– قال أوليڤيرا :

– هو يؤمن بالجريش الجريشى عبر الزمان يؤمن بالزمان بما هو سابق وما هو لا حق. فالمسكين لم يعبر فى أى تاريخ من الأدراج أي رسالة كتبها منذ عشرين عاما، كما لم يقرأها من جديد، ولم يدرك أن لا شئ يظل كما هو إلا إذا أمسكنا به من خلال لبابة من الزمن، إننا اخترعنا الزمن حتى لا نصاب بالجنون.

– قال رونالد :

– كل ذلك هو الحرفة لكن ما وراءه ...

– هو شاعر ـ قال أوليڤيرا وقد اعترته رعشة صادقة ـ كان من المفروض أن تسمى أيها الأمريكى بهيند Behind أو بيوند Beyond. أو تسمى يوندر Yonderوهى كلمة جميلة فى الوقت نفسه.

– لن يكون لكل ذلك مغزى إلا إذا كان هناك ما ورائية وراء ... ـ قال رونالد ـ فأى كاتب للقصة ذات النهاية الوردية Best- seller يكتب بشكل أفضل من موريلى. فلو قرأناه، حيث أننا هنا هذه الليلة، لوجدنا أن لديه بيرد Bird، وما قد يكون عند كامينج بشكل مفاجئ Cummings أو جاكسون بولوك Jackson Pollock. ولنكتف بهذه الأمثلة. ولماذا نكتفى بهذه الأمثلة؟ ـ صرخ رونالد وهو غاضب، بينما تنظر إليه بابى بإعجاب وهى تشرب كلماته فى جرعة واحدة ـ سوف أقول كل ما يحلو لى، ويمكن لأى إنسان أن يدرك أن موريلى لم يعقّد حياته عن طيب خاطر، كما أن كتابه ليس إلا استفزازا بلا حياء مثل كل الأمور التى تستحق. فى ذلك العالم التكنولوجى الذى تتحدث عنه. تجد أن موريلى يحاول إنقاذ شئ يوشك أن يموت، ومن أجل إنقاذه لابد من قتله قبل ذلك

والقيام بنقل دم له وبذلك يمكن أن تكون عملية بعث. كأن خطأ الشعر المستقبلي ـ قال رونالد بينما بابى قد بلغ بها الإعجاب به أى مبلغ ـ هو الرغبة فى التعليق على الميكنة، وبذلك يمكن النجاة من اللوكيميا. لكن الأمر ليس بالحديث حرفيا عما يتحدث فى قاعدة كابو كانيال بيرال، وبذلك نفهم الواقع بشكل أفضل فى نظرى.

– قال أوليڤيرا :

– يبدو لك ممتازا. لنواصل البحث عن اليوندر Yonder هناك العديد منها والتى تفتح الواحدة تلو الأخرى ـ وبادئ ذى بدء أقول إن هذا الواقع التكنولوجى الذى يقبله رجال العلم اليوم وقراء جريدة «فرانس سوار». هذا الواقع المؤلف من الكورتيزون وأشعة جاما elucian و البلوتونيوم له علاقة ضئيلة بالواقع، مقارنا بعالم القصص الوردية. وإذا ما ذكرت ذلك لبيريكو منذ لحظات فلم يكن إلا أن استرعى انتباهه بأن منظوره الجمالى، وسلم القيم الذى لديه قد عفا عليهم الزمن وأن الإنسان بعد أن انتظر كل شئ من الذكاء والنفس، شعر الآن بأنه تَمتّ خيانته، وواتاه إحساس غامض بأن سلاحه المصوب بعيداً قد ارتد إلى صدره. وأن الثقافة والحضارة قد جاءا به إلى هذا المأزق الذى لا مخرج منه حيث أن عنف العلم ليس إلا ردّ فعل يمكن فهمه جيدا. ولتعذرونى فى استخدام هذه الكلمة.

– قال جريجورو فيوس :

– هذا ما قاله كلاجس klages .

– إننى لا أحاول أن أكون Copyright قال أوليڤيرا ـ الأمر هو أن الواقع، ولتقبل واقع االكنيسة المقدسة، ورينيه شار Rene char وواقع أوبن هيمر Oppenheimer هو دائما واقع تقليدى وغير كامل وجزئى. فالإعجاب الذى يكنه بعض الناس للمكروسكوب الإلكترونى، ليس أكثر ثراء من موقف البوابات إزاء معجزات عذراء لورديس. إنه الإيمان بما يسمونه المادة، والإيمان بما يسمونه الروح والعيش فى إيمان ومواصلة الدروس التى يلقيها زن zen، أو طرح المصير الإنسانى لمشكلة إقتصادية، أو اللامعقول المحض .. القائمة طويلة، والخيارات متعددة. لكن مجرد وجود الأختيار، وأن القائمة مطولة إنما هو دليل على أننا فى عصر ما قبل التاريخ وما قبل الإنسانية. لست متفائلا، أشك كثيرا فى أن نتمكن ذات يوم من الولوج إلى القصة، الحقيقة للأنسانية الحقيقية. وسوف يكون من الصعب الوصول إلي اليوندر الشهير الذى ذكره رونالد. فلا أحد يمكنه رفض الفكرة القائلة بأن مشكلة الواقع لابد من طرحها من خلال

مصطلحات جماعية وليس من خلال إنقاذ بعض المختارين. هم رجال عن حق، وهم رجال قد قاموا بالقفزخارج حدود الزمن وانخرطوا فى شئ مكثف... نعم، أظن ذلك فيمن سبقوا ومن هم الآن. لكن ذلك غير كاف، إذ أشعر أن خلاصى، على افتراض إمكان بلوغه، لابد أن يكون خلاصا أيضا حتى آخر رجل. وذلك أيها العجوز... لسنا فى ملاعب Asis ولا يمكن أن نأمل فى قيام نموذج لقديس قادر على أن يبذر القداسة وأن كل guru يمكن أن يكون خلاص التلاميذ.

– إنها عودة بيناريس[٤] Benares ـ نصح إيتين ـ كنا نتحدث عن موريلى على ما يبو وحتى يمكن إحداث صلة بما كنت أتحدث فيه، يخطر على بالى أن هذا اليوندرYonder الشهير لا يمكن أن يكون متخيلا كمستقبل فى الزمان والمكان. فإذا ما استعنا بالمفاهيم الكانطية ـ يبدو أن موريلى يقول هذا ـ فلن نخرج أبدا من هذا المأزق. فما نسميه واقعا، أى الواقع الحقيقى، الذى نطلق عليه ويندر Yonder (أحيانا ما يكون مفيدا إطلاق أسماء كثيرة على تخمين معين، إذ يحول ذلك دون أن ينغلق المفهوم ويأخذ قناعا كرتونيا) هذا الواقع الحقيقى، أكرر، ليس شيئا مستقبلا، أو هدفا أو الدرجة الأخيرة فى السلم أو حالة تطور معين. لا إنه شيء هنا فى داخلنا. نشعر به، ويكفى برهانا على ذلك أن يكون المرء قادرا على مدّ يده فى الظلام. إننى أشعر به وأنا أرسم.

– قال أوليڤيرا :

– يمكن أن يكون ذلك الشرّير، يمكن أن يكون مجرد إبراز جمالى، لكن يمكن أن تكون هى. نعم، يمكن أن تكون هى أيضا.

– قالت بابى وهى تلمس جبهتها :

– إنها هنا إننى أشعر بها عندما أكون ثملة بعض الشئ أو عندما ...

أطلقت قهقهة ووضعت يدها على فمها. دفعها رونالد دفعة رقيقة.

– قال وونج وهو جاد :

– ليست هنا؛ إنها هى.

– قال أوليڤيرا:

– لن نذهب بعيدا لو سرنا فى هذا الطريق ما الذى يعطينا إياه الشعر إلا إذا كان ذلك التخمين؟ سيادتك وأنا وبابى ... إن مملكة الإنسان لم تولد من خلال شرارات قليلة متفرقة. كان لكل من فى الدنيا لخطته للرؤى لكن الشئ السيئ هو السقوط من جديد هنا والآن.

– قال إيتين :

– حسن، إنك لا تفهم شيئا إلا إذا كان فى إطار المطلق، اتركنى أكمل ما أريد قوله. يعتقد موريلى أنه إذا ما قام الشعراء بفتح طريق لهم من خلال الأشكال البالية والمتحجرة سواء كان ذلك ظرف الصيغة، أو مفهوم للزمن أو أى شئ تريده، فإنهم قد فعلوا شيئا مفيدا لأول مرة فى حياتهم. وعند الخلاص من القارئ ـ الأنثى أو على الأقل عند تحجيمه بشكل واضح، فإنهم يساعدون هؤلاء الذين يحاولون الوصول إلى الونيدر Toyonder. فالتقنية القصصية بالنسبة لأشخاص مثله ليست إلا تحفيزا للخروج من الأثر.

– نعم، وذلك ليغرق المرء فى الوحل حتى ذقنه ـ قال بيريكو. فهو بعد الحادية عشرة مساء يقف ضد أى شئ.

– قال جريجوروفيوس :

– هرقلىّ لقد دفن نفسه فى القاذورات حتى ذقنه وعالج نفسه من الاستسقاء.

– قال إيتين :

– دع هرقل فى حاله لقد أصابتنى كل هذه الضربات بالنعاس، وعلى أى الأحوال سوف أقول ما يلى فى نقطتين: يبدو أن موريلى على قناعة بأنه إذا ما ظل الكاتب مذعنا للغة التى باعوهاله مع الملابس التى يرتديها والاسم الذى أطلق عليه وكذا التعميد والجنسية، فإن عمله لن يكون له إلا قيمة جمالية فقط، وهى قيمة يزداد العجوز احتقارا لها بشكل تدريجى. وهو واضح جدا فى بعض المواقف: فطبقا له لا يمكن انه أى شئ إذا ما كانت الإدانة من داخل النظام الذى ينسب إليه ما تمت إدانته. أى أن الكتابة ضد الرأسمالية باستخدام المفاهيم العقلية والمفردات المنبثقة عنها فذلك مضيعة للوقت. ويمكن مع ذلك الوصول إلى نتائج تاريخية مثل الماركسية، وما قد يروق لك لكن الويندر Yonder ليس تاريخا بالتحديد. إنه مثل أطراف أصابع اليد التى تظهر من مياه التاريخ تبحث عن شئ تمسك به.

– ولذلك على الكاتب أن يشعل اللغة، ويقضى على القوالب المتخثرة، ويذهب إلى ما هو أبعد من هذا الشك. ويشكك فى أن هذه اللغة لازالت على اتصال بما يريد أن يسميه. ليست الكلمات فى ذاتها، فهذا قليل الأهمية، بل البنية الكاملة للغة، والخطاب.

– قال بيريكو :

– ومن أجل ذلك يستخدم لغة شديدة الوضوح .

– بالطبع، إن موريلى لا يؤمن بالمحاكاة أو الجمل الغنائية. وليس الأمر إحلا
الكتابة الأتوماتيكية محل النحو، أو أى وسيلة أخرى متداولة. إن ما يريده هو الاعتد
على العمل الأدبى ككل، أى الكتاب إذا ما أردت القول. وأحيانا يكون ذلك فى الكلم
وأحيانا فيما تنقله هذه الكلمة. إنه يتصرف كمحارب ويدمر ما يتمكن منه، أما باق
الأشياء الأخرى فتظل تواصل طريقها. لا تظن أنه ليس رجل آداب.

– قالت بابس التى تشعر بالنعاس :

– يجب التفكير فى الذهاب.

– غضب بيريكو :

– لك أن تقول ما تشاء لكن ليست هناك أى ثورة حقيقة تقوم ضد الأشكا
الجوهر هو الذى يهم يافتى، إنه الجوهر.

– قال أوليفيرا :

– ظللنا قرونا عديدة نعيش على أدب الجوهر وها أنت ترى النتيجة. إننى أفهم أ
الأدب يشمل كل ما يتحدث فيه وما يتم التفكير فيه أيضا.

– قال إيتين :

– دون أن نضع فى الاعتبار أن التفريق بين الشكل والمضمون ليس إلا زيفا وه
أمر يعرفه كل الناس منذ سنوات إننا نفرق بين العناصر التعبيرية، أى اللغة فى ح
ذاتها، وبين ما يتم التعبير عنه، أى الواقع الذى يتحول إلى وعى.

– قال بيريكو :

– كما تريد إن ما يطيب لى معرفته هو تلك القطعية التى يريدها موريلى أ
القطعية لذلك الذى نطلق عليه العنصر التعبيرى وذلك لنيل ما نريد التعبير عنه بـ
أفضل. وهو فى هذا المقام له بعض القيمة.

– قال أوليفيرا :

– وربما لن يفيد فى شئ لكنه يجعلنا نشعر أننا أقل عزلة فى هذا المأزق الذى
مخرج منه، ولسنا إلا فى خدمة هذا الزهو العظيم - المثال - الواقعى - الروحى - الماد
للغرب .S.R.L.

– سأل رونالد :

– هل تعتقد أن هناك أحدا آخر استطاع أن يفسح لنفسه طريقا من خلال الل
حتى وصل إلى الجذور؟

99

– ربما. لكن موريللى بابس لديه العبقرية أو الصبر الضروريين. إنه يشير إلى طريق وينقر عدة نقرات ... ويترك لنا كتابا. وهذا ليس كثيرا.

– قالت بابى :

– هيا بنا لقد تأخر الوقت ولم يعد هناك كونياك.

– قال أوليڤيرا :

– وهناك شئ آخر؛ إن ما يحاول الوصول إليه هو لا معقول بالدرجة التى لا يعرف فيها أحد إلا ما يعرف، أى ذلك يدخل فى *الدائرة الأنثربولوجية* وعلى طريقة ويتجنستين wittgenstein. فإن المشاكل تمتد إلى الخلف فى حلقات متوالية أى أن ما يعرفه الإنسان هو معرفة إنسان لكننا لا نعرف عن الإنسان نفسه كل ما يجب أن نعرفه دون أن يكون مفهومه للواقع مقبول. ولقد قام الغنوسيون بطرح المشكلة ووصل بهم الأمر إلى الاعتقاد بالعثور على أرض صلبة يمكنهم استئناف السير إلى الأمام انطلاقا منها صوب الميتافيزيقا. لكن التراجع الصحى على طريقة ديكارت يبدو لنا اليوم جزئيا وربما عديم القيمة. لأننا فى هذه الدقيقة التى نحن فيها هناك سيد يدعى ويلوكس wilcox من كليفلاند يستخدم القطب الكهربائى، وغير ذلك من الأدوات، للبرهنة على وجود تساوى بين الفكر وبين دائرة كهرومغناطيسية (وهى أمور يقول بأنه يعرفها جيدا لأنه يعرف اللغة المحددة لها ... إلخ) وإذا لم يكن ذلك كافيا، هناك سويدى أخذ يطرح نظرية مرئية تتعلق بكيماويات العقل. التفكير هو محصلة تفاعل أحماض لست أريد تذكر أسمائها، حمض أنا أكون. فما عليك إلا أن تلقى بقطرة فى السحايا وها أنت شوبنهور Oppenheimer أو الدكتور بيتيوت، أو السفاح الذى يوشك على ارتكاب فعلته. وها أنت ترى كيف أن الأعرج وكيف أن العملية الإنسانية قد أصبحت فى منطقة شديدة الغموض، أى بين الكهرو مغناطيسية والكيمياء وربما لن يكون هناك كبير اختلاف كما كنا نظن بين أشياء مثل الفجر الشمالى وبين صورة التقطت بالأشعة تحت الحمراء. ها هو الأعرج يسير، إنه حلقة فى التيار الشديد للقوى التى كانت درجاتها تسمى فى عام **1950** بـ inter alia أى البواعث الكهربائية والجزئيات والذرات والنيوترونات والبروتونات والبوثيرونات والميكروبوتون والنظائر المشعة وجزازات من الزّنجفر والأشعة الكونية: Words, words, wards *هاملت، الفصل الثانى* على ما أعتقد وهذا دون أن نتحدث - أضاف أوليڤيرا وهو يتنهد - عن أن كل ذلك هو على العكس ويتضح بذلك أن الفجر الشمالى هو ظاهرة روحية وعندئذ يمكن القول بنعم أى أننا

كما نريد ....

– قال إيتين :

– مع هذا النوع من العدمية ... أراكيرى.

– قال أوليڤيرا :

– بالطبع يا أخى لكن حتى نعود للعجوز فإذا ما كان يبغيه هو اللامعقول الذى يشبه قيامنا بضرب الملاكم سوجار ريى روبنسونSugan Ray Robinson بموزة ولما كان ذلك يعتبر هجوما لا قيمة له فى أوج الأزمة والإفلاس التام للفكرة القديمة الخاصة بالإنسان القديم بـ homo sapiens فلا يجب أن ننسى أنك أنت هو أنت وأنا أنا، أو هذا ما يبدو لنا على الأقل، ورغم أنه لا يتوفر لدنيا الحد الأدنى من اليقين، وخاصة فيما يتعلق بما خلقّه لنا أباؤنا العمالقة، وأنه شئ لا يساوره الشك فليس أمامنا إلا الامكانية اللطيفة فى العيش، والعمل وكأننا نختار فرضية عمل ونهاجم مثل موريلى، ما نراه زائفا، وذلك باسم إحساس غامض باليقين والذى قد يكون غير حقيقى مثل باقى الأشياء إلا أنه يجعلنا نرفع رأسنا ونحكى عن Cabritas أو أن نبحث من جديد عن أيام الصبا وعن تلك اليراع التى لا يمكن جسّ نبضها. هات بالكونياك.

– قال بابى :

– لم يتبق شئ هيا بنا إننى أوشك أن أنام.

– قال إيتين وهو يضحك :

– وفى النهاية، كما هى العادة، لابد من وجود بعض الثقة لازال ذلك أفضل تعريف للانسان. أما الآن فعلينا العودة إلى البيضة المقلية ....

(٣٥)

100

وضع القرص فى الفتحة المخصصة له وسجل الرقم المطلوب ببطء. لابد وأن إيتين يرسم فى مثل هذه الساعة، ويزعجه كثيرا أن يتصل به أحد تليفونيا أثناء العمل، لكن لا يهم إذ لابد من الاتصال به. أخذ جرس التليفون يرن على الجانب الآخر، وهو مرسم قريب من ميدان إيطاليا الكائن على بعد أربعة كيلو مترات من مكتب البريد فى شارع دانتون Danton. كانت هناك امرأة عجوز تقف إلى جوار الكابينة الزجاجية وتنظر، بطريقة مستترة، إلى أوليفيرا الذى كان يجلس على الكرسى ووجهه ملتصق بجهاز التليفون. كان أوليفيرا يشعر بأن العجوز تنظر إليه، وأخذت تعد الدقائق والثوانى بطريقة لاترحم. ومن الغريب أن زجاج الكابينة كان نظيفا: كان الناس يروحون ويغدون من مكتب البريد وكان يُسْمَع الصوت المكتوم (والمتجهم دون أن يعرف لماذا) للأختام وهى تهوى على الطوابع. قال إيتين شيئا من على الجانب الآخر. فضغط أوليفيرا على الزر المصنوع من النيكل الذى يهيئ التصال بعد أن يبتلع القرص ذا العشرين فرنكا.

– صاح إيتين الذى يبدو أنه تعرف على صوته فى الحال :

– كان من الممكن أن تكف عن سخافتك هذه فأنت تعرف اننى مستغرق فى العمل فى مثل هذه الساعة.

– قال أوليفيرا :

– وأنا أيضا اتصلت بك لأننى حلمت حلما وأنا أقوم بعملى.

– كيف ذلك وأنت تعمل؟

– نعم، فى حوالى الثالثة صباحا. حلمت بأنى ذاهب إلى المطبخ وأبحث عن الخبز وأقطع شريحة. كان خبزا مختلفا عن الخبز الذى هنا. هو خبز فرنسى من النوع الجيد الذى يوجد منه فى بوينوس أيرس، وهو خبز ليس فيه من الفرنسية شئ، إلا أنه مع هذا يسمى خبزا فرنسيا. ضع فى الاعتبار أنه خبز أكثر سمكا، ولونه فاتح وبه الكثير من اللبّابة. إنه خبز مصنوع لتناوله مع الزبدة والحلويات. تفهمنى.

– قال إيتين :

– أعرف لقد أكلت ذلك النوع فى إيطاليا.

– إنك مجنون. ليس له علاقة. سوف أرسمه لك فى يوم من الأيام، حتى تدرك ماهيته إن شكله مثل السمكة، عريض وقصير لا يكاد يبلغ خمسة عشر سنتميترا لكنه سميك فى منطقة الوسط. إنه الخبر الفرنسى فى بوينوس أيرس.

– كرر إيتين :

100

– الخبز الفرنسي بوينوس أيرس .

– نعم . لكن هذا يحدث ويقع فى المطبخ الكائن فى شارع تومت إيسوار-Tomb Is-soire قبل أن أنتقل للعيش مع لاماجا. كنت أشعر بالجوع وأخذت الخبز لأقطع شريحة. عندئذ سمعت أن الخبز يبكى. طبعا كان ذلك فى الحلم، لكن كان الخبز يبكى عندما أعملت فيه السكين. خبز فرنسي من النوع العادى ويبكى. استيقظت دون أن أرى ما الذى سوف يحدث، وأعتقد أن السكين لازال مُشْرعا فيه عندما استيقظت.

– قال إيتين :

– أخذ .

– هل أدركت ذلك الآن وهو أن يستيقظ المرء من حلم بهذا الشكل ويخرج إلى الطرقة ليضع رأسه تحت الحنفية ثم يعود لينام من جديد ويدخن طوال الليل.... ماذا أدرى كان من الأفضل الاتصال بك، كما أنه لا يمكن أن نتواعد لزيارة ذلك العجوز الذى أصيب فى الحادث الذى قصصت عليك أمره.

– قال إيتين :

– حسنا فعلت يبدو أنه حلم من أحلام الأطفال. يمكن أن يمرّ الأطفال بأحلام كهذه أو يتصوروها . لقد قال لى ابن أختى، ذات مرة، أنه كان على سطح القمر. وسألته ما الذى رأيته. فأجاب: «كان هناك خبز وقلب» أنت تدرك الآن أنه بعد خبرات المخابز هذه لا يمكن للمرء أن ينظر إلى طفل دون خوف.

– كرر أوليفيرا :

– خبز وقلب . نعم لكننى رأيت خبزا فقط. على أى حال. هناك خارج الكابينة، توجد سيدة تنظر إلىّ نظرة سيئة. كم دقيقة يمكن أن تكون من حقى فى مثل هذه الكبائن؟

– ست دقائق. وبعد ذلك سوف تطرق الزجاج. هناك عجوز واحدة؟

– عجوز، إنها امرأة فى عينيها حَوَل، ومعها طفل وهناك رجل يشبه مندوب مبيعات، لابد أنه كذلك، فهو يحمل النوتة التى يتصفحها بسرعة جنونية. تظهر فى الجيب العلوى أسنان ثلاثة أقلام رصاص.

– يمكن أن يكون محصلا.

– ينضم إلى الموجودين اثنان آخران: فتى يبلغ الرابعة من العمر يحك أنفه وامرأة عجوز تضع قبعة غير عادية وكأنها جزء من لوحة رسمها كراناش[1] Cranach.

100

– قال إيتين :

– هل تشعر بأنك أفضل حالا؟

– نعم. هذه الكابينة ليست سيئة، لكن للأسف هناك عدد كبير ينتظر. أتعتقد أننا تحدثنا ست دقائق؟

– قال إيتين :

– إطلاقا لم تكد تتحدث ثلاث دقائق.

– إذن فالعجوز ليست على حق، عندما تنقر على الزجاج. ألا تعتقد ذلك؟

– لتذهب إلى الجيم. ليس لها أى حق. إن من حقك ست دقائق لتقص على كل الأحلام كما يروق لك

– لم يكن إلا ما قصصته عليك ـ قال أوليڤيرا ـ لكن المشكلة ليست فى الحلم. بل فيما يسمونه بالاستيقاظ ... ألا يبدو لك الآن أننى أحلم؟

– من يدرى؟ لكنه موضوع قُتِلَ بحثا أيها العجوز، هى حكاية الفيلسوف والفراشة. وهى أمور معروفة.

–نعم، لتعذرنى إذا ما ألمحت بعض الشئ، كنت أودّ لو أنك تتصور عالما يمكنك فيه أن تقطع شريحة خبز دون أن يجأر بالشكوى.

– قال إيتين :

– من الصعب تصور ذلك فى الواقع .

– لا، جادا. ألا يحدث لك أنك أحيانا ـ عندما تستيقظ ـ تجد أنك واع بأن هذه اللحظة يبدأ فيها خطأ لا يتُصَور.

– وفى خضم هذا التصور أقوم برسم لوحات رائعة ولا يعنينى كثيرا أن أكون الفراشة أو فومانشو(٢) Fu Manchu.

– ليس لهذا علاقة. يبدو أن كولومبس وصل إلى جزيرة جواندا هانى، لست أدرى ما اسمها من خلال عدة أخطاء. فلماذا هذا المنظور الإغريقى الخاص بالخطأ والصواب؟

– قال إيتين ناقما :

– لكن لست أنا كنت أنت الذى تحدث عن خطأ لا يتصور.

– قال أوليڤيرا :

– كان ذلك تصورا ويمكن أن نسميها حلما، هذا أمر لا يمكن أن نطلق عليه وصفا وخاصة الخطأ؛ إذ لا يمكن أن نطلق عليه مجرد كلمة خطأ.

100

– قال إيتين :

– العجوز سوف تكسر الزجاج أسمعها وأنا هنا.

– قال أوليفيرا :

– لتذهب إلى الشيطان لا يمكن أن تكون قد مرت ست دقائق.

– تقريبا. أضف إلى ذلك، هناك لطف أبناء أمريكا اللاتينية الذى يثنى عليه الجميع.

– ليست ست دقائق. أنا سعيد لأننى قصصت عليك الحلم، وعندما نتقابل....

– قال إيتين :

– تعال وقتما تشاء لن أرسم أكثر من ذلك هذا الصباح لقد أفزعتنى.

– قال أوليفيرا :

– هل لاحظت كيف أنها تضرب على الزجاج بعنف؟ ولا تفعل ذلك فقط العجوز ذات وجه الفأرة بل الفتى والمرأة الحولاء. وبين لحظة وأخرى سوف يأتى أحد الموظفين.

– سوف تحدث مواجهة بينكم بالطبع.

– لا لماذا؟ إننى ألجأ إلى حيلة أننى لا أفهم أى كلمة بالفرنسية.

– قال إيتين :

– أنت لا تفهم الكثير فى الحقيقة.

– لا، الأمر المحزن أن ذلك بالنسبة لك ليس إلا إحدى الطرائف. لكنه ليس كذلك. فالحقيقة هو أننى لا أريد أن أفهم شيئا. إذا كان الفهم يعنى القبول بذلك الذى نطلق عليه الخطأ. لقد فتحوا الباب، هناك رجل يضرب على كتفى، مع السلامة. شكرا لأنك استمعت إلى.

– قال إيتين :

– مع السلامة .

أصلح أوليفيرا هندامه وخرج من الكابينة. صاح الموظف ببضع كلمات، من المعتاد قولها فى مثل هذا الموقف. «آه لو كان السكين معى الآن» فكر أوليفيرا وهويخرج علبة السجائر» لكان هذا الرجل مثل الدجاجة، أو يتحول إلى باقة ورد. لكن الأشياء تتعفن وتدوم أطول من اللازم، وكان لابد من إشعال سيجارة بعناية حتى لا يصاب بحروق، ذلك أن يديه كانتا ترتعشان، وظل يسمع صيحات ذلك الرجل الذى أخذ يذهب بعيدا. وكلما تقدم خطوتين نظر إلى الوراء ليرمقه ويلوح له ببعض الحركات. أما المرأة التى بها حول ومندوب المبيعات فقد كانا ينظران إليه بإحدى العينين. أما بالعين الأخرى

100

فقد أخذا يرقبان العجوز حتى لا تتجاوز الدقائق الست. كان شكل العجوز داخل الكابينة مثل مومياء «كيتشو» فى متحف الإنسان، أى تلك التى تضاء عندما يضغط المرء على زر صغير. لكن كان الأمر عكسيا لما يحدث فى العديد من الأحلام. فالعجوز تضغط على الزر النيكل وهى فى الداخل وتبدأ حديثها مع عجوز أخرى موجودة فى أى كهف فى هذا الحلم الضخم.

(-76)

101

لا تكاد بولا ترفع رأسها قليلا حتى ترى نتيجة الحائط الخاصة بمصلحة التليفون والتلغراف، وفيها صورة تظهر فيها بقرة وردية اللون وحقول خضراء وخلفية الصورة جبال ذات لون بنفسجى تحت سماء زرقاء: الخميس **1**، الجمعة**2**، السبت **3**، الأحد **4**، الإثنين **5**، الثلاثاء **6**، القديسة سولان، والقديس أشيل، القديس سيڤا، والقديس بونيفاس lever الساعة الرابعة واثنتا عشرة دقيقة Caucher. و الساعة السابعة مساء وثلاث وعشرون lever. **4,10** كوشيد**19**.

ألصقت وجهها بكتف أوليڤيرا فقبلت جلدا به العرق وطعم الدخان والنوم. وبيد بعيدة طليقة، كانت تداعب البطن، وتصل إلى السيقان وتلعب مع شعر البدن، تلفه فى خصلات حول أصابعها وتجذبه بعض الشئ، وذلك حتى يغتاظ أوليڤيرا ويعضها عضة مداعبة. كان يسمع وقع شباشب تصعد على السلم: سان فرديناند، سان بترونيل وسان فورتونى وسانتا بلاندين، واحد، اثنين، واحد، اثنين يمين، يسار، يمين يسار، حسن، سيئ، حسن سيئ، إلى الأمام، إلى الخلف، إلى الأمام إلى الخلف. كانت إحدى يديها تلف فى أنحاء ظهره وتنزل ببطء وتمارس لعبة العنكبوت، إصبع يعقبه الآخر، سان فورتونى وسانتا بلاندين أصبع هنا وآخر بعيد، أصبع فوق وآخر تحت. أخذت المداعبة تنفذ إليه ببطء، وأخذت تبحث عن الاتصال بحساسية ورقة ونوع من التردد المصطنع ،وتسند طرف لسانها على الجلد وتغرز ظفرها ببطء وتغمغم قائلة Caucher 19h24 سان فرديناند. رفعت بولا رأسها قليلا ونظرت إلى أوراثيو الذى كان مغمض العينين، وتساءلت فيما إذا كان يفعل هذا أيضا مع صديقته والدة الطفل. لم يكن يروق له التحدث عن الأخرى. ويعتبر أن عدم التحدث عنها، إلا إذا إقتضت الضرورة، هو نوع من الاحترام. وعندما سألته وهى تفتح إحدى عينيه بأصبعيها وتقبله بحرقة فى فمه الذى يرفض الإجابه فإن الملاذ الوحيد فى لحظة مثل هذه هو الصمت. والاستمرار على هذا الحال كل فى جانب، وكل يسمع تنفس الآخر. وبين لحظة وأخرى تقوم يد أو رجل برحلة إلى الجسد الآخر وتطوف فى رحلتها دون نتائج تذكر وما هى إلا بقايا مداعبات تاهت فى السرير وضاعت فى الهواء وأطياف قبلات وبقايا عطر أو عادة. لا، لا يروق له أن يفعل هذا مع صديقته. ولا يفهم ذلك إلا بولا التى تنصاع أيضا لنزواته. لقد كان شيئا رائعا ومناسبا جدا. حتى عندما يئن، فقد حدث وصدرت عنه آهات،

101

وكان يريد التحرر لكن كان قد فات الأوان، فقد أقفل الخاتم ولن يسهم تمردها إلا فى تعميق الإحساس باللذة والألم، وهذا هو سوء الفهم المزدوج الذى كان عليهما تجاوزه لزيفه. فلا يمكن أن يكون إلا عناقا إلا إذا كان نعم، إلا إذا كان من الضرورى أن يكون هكذا.

(-144)

102

إنه نملة بكل معانى الكلمة، لقد استطاع وونج أن يكتشف فى مكتبة موريلى نسخة مهداة من قصة «الكوارث التى تعرض لها الطالب تورلس» لموسيل Musil وفيها تم التشديد على الفقرة التالية:

ما هى الأشياء التى تبدو غريبة فى نظرى؟ إنها الأشياء التافهة وخاصة الجمادات. وما الذى يبدو غريبا فيها؟ هو شئ لا أعرف كنهه، لكنه بالتحديد ذلك! من أين أتيت أنا بمفهوم «شئ»؟ أشعر أنه هنا، أنه يوجد. يترك لدى شعورا وكأنه يحاول الكلام، فأستشيط كمن يحاول أن يقرأ شيئا من خلال الشفاه الملتوية لمن أصيب بالشلل، لكنه لا يستطيع. يبدو وكأنه له معنى اضافيا، معنى آخر أكثر من المعانى الأخرى لكنه لم يتطور تطورا كاملا، إنه معنى كامن هناك، ويحاول الإعلان عن نفسه لكنه لا يفلح. العالم بالنسبة لى ملئ بالأصوات الصامتة. فهل يعنى هذا أنى عراف أو أننى أعيش حالات هذيان؟

وجد رونالد هذه الملاحظة فى «رسالة لورد شاندون» للكاتب هوفمنشتال Hofannsthal.

ولما كنت قد رأيت جلد إصبعى الخنصر ذات يوم من خلال عدسة مكبرة كان يشبه أحد السهول حيث به الوديان والوهاد، أرى الآن وبنفس الطريقة الرجال وأفعالهم. لم أكن أستطيع تلقى ذلك من خلال النظرة المبسطة. فكل شئ ينقسم إلى أجزاء تنقسم هى الأخرى. لم أستطع أن أصل إلى شئ من خلال مفهوم محدد.

(45)

103

لم تتمكن هـى الأخرى من إدراك السبب فى أنه كان يكتم أنفاسه ليسمعها وهى نائمة ويتلصص على همهمات جسدها، تنام على ظهرها، ومستغرقة وتتنفس ببطء شديد ولا تكاد تحرك ساكنا، إلا فيما ندر مثل حركة يدها أو الزفير من الفم بحيث تتحرك الشفة السفلى موجهة الهواء إلى الأنف، وكأنها فى حلم غير حقيقى. كان أوراثيو يظل ساكنا، يرفع رأسه قليلا أو يسندها بقبضة يده، والسيجارة فى فمه. كان الصمت يسود شارع دوفين فى الثالثة صباحا، بينما أنفاس بولا تروح وتغدو، وعندئذ كان هناك ما يشبه نوعا من الانهيار الخفيف وزوبعة صغيرة لحظية، وحركة داخلية وكأنها قادمة من حياة أخرى. كان أوليفيرا يعتدل فى جلسته ببطء ويقترب بأذنه من الجلد العريان ويستند على الطبلة المنحنية المشدودة والدافئة كان يستمع. جلبة غير واضحة، سقوط وهبوط توازنات وهمهمات، صوت الجعارين والبزاق وهى تمشى. عالم أسود ومظلم ينزلق على محمل. وهى تنفجر هنا وهناك ثم تتوارى مرة أخرى (كانت بولا تتنفس وتتحرك بعض الشئ). إنه كون من السوائل فى حركة ليلية، والبلازما التى تصعد وتهبط، الماكينة البطيئة والمعتمة تتحرك بلا حافز، وفجأة يسمع صوت جلبة إنها هرولة قوية تكاد تصارع الجلد، ثم هروب وقرقرة الإغلاق أو الفلتر. إن بطن بولا ما هى إلا سماء مظلمة مليئة بالنجوم الكبيرة والبطيئة والمذنبات المتلألئة ودوران كواكب ضخمة بصوت مسموع والبحر بطنينه وهمهمة الرنة. بولا هى كون صغير، وهى ملخص لليلة الكونية، فى إطار ليلتها الصغيرة حيث اختلط الزبادى والنبيذ الأبيض واللحم مع الخضار، وهذا كله أصبح بمثابة مركز كيماويات ثرى وغامض وبعيد ومجاور.

(108)

104

الحياة هى مثل تعليق على شئ آخر لم نبلغه وهو هناك على مسافة قفزة لانقوم بها.

الحياة هى رقصة باليه عن موضوع تاريخى، هى حكاية بشأن حدث معاش وحدث معاش عن حدث واقعى.

الحياة هى صورة الرقم، والملكية فى الغياهب (المرأة، المخلوق الغريب) والحياة قوادة الموت، ما هى إلا لعبة ممتازة وتاروت غير معروفة، الغازه تنزل به الأيدى المصابة بالنقرس إلى أعْزَلٍ حزين.

(10)

105

موريليات:

أفكرّ فى التصرفات المنسية، وفى الهيئات المتعددة والكلمات التى كان ينطق بها الأجداد، كل ذلك أخذ يذهب رويدا رويدا، ولم يعد موروثا وقد سقطت كلها من شجرة الزمان. هذه الليلة وجدت شمعة موضوعة على مائدة، فأشلعتها، على سبيل التسلية، وأخذتها، وتحولت فى الطرقة. كان الهواء الناجم عن الحركة يوشك أن يطفئها، عندئذ رأيت يدى اليسرى وهى ترتفع وحدها وتتكّور لتحافظ على الشعلة مكونة بذلك واقيا حياً لمباعدة الهواء. وبينما تعود الشعلة إلى الوضع العادى فكرت فى أن هذه الحركة كانت صادرة عنا جميعا (فكرت نحن، وفكرت جيدا أو شعرت جيدا) طوال آلاف السنين، وخلال عصر النار حتى غيروها لنا بالمصباح الكهربائى. تصورت تصرّفات أخرى مثل النساء وهن يرفعن طرف التنورة، والرجال وهم يبحثون عن مقبض السيف. مثل الكلمات التى ضاعت منذ أيام الطفولة والتى قالها الأجداد قبل أن يموتوا. فلا أحد فى منزلى يقول «الكومودينو الكافور» ولا أحد يتحدث عن «غرفة التدفئة بالتبن». مثل ذلك موسيقى الموضة والفالس خلال العشرينيات، والـ Polkas التى كانت تثير إعجاب الأجداد.

أفكر فى تلك الأشياء وتلك الصناديق وتلك العدد التى تظهر أحيانا فى الأجران والمطابخ والمخابىء ولم يعد هناك أحد قادر على شرح كيفية تشغيلها. إنه نوع من الغرور قولنا بأننا نفهم فعل الزمن: إنه يدفن موتاه ويحفظ المفاتيح. ومن خلال الأحلام والشعر واللعب - بإشعال شمعة والسير بها عبر الطرقة - يمكننا أن نطل على ما كنا قبل أن نكون هذا الذى لسنا نعرف ما هو.

(96)

106

معبد جونى:

خلال السّحر، علينا أن نفترق يا حبيبتى

لكن هناك أمرا آخر يا حبى، تذكرى أننى كنت دوما قلبك

فتصيح الفتاة:

حسن، إنه الحزن فى منزلى يملؤه من الأرض إلى السقف،

إنه الحزن فى كل مكان منذ أن ذهب فتاى الطيب من المعبد،

إنه الحزن فى صندوق البريد حتى لا أتلقى أية خطابات،

أقول إن الحزن فى سلة الخبز، والخبز عندى قد تصلب وجف،

إنه الحزن فى خزانة المؤن، والحزن هناك يخيم على خزانتى،

الحزن على سريرى لأننى أنام وحدى

(13-)

107

كتبه موريلى وهو فى المستشفى:

إن أفضل سمة يتمتع بها أجدادى هو أنهم ماتوا. وبكل تواضع، وكبرياء، أيضا، أنتظر اللحظة التى أرث فيها هذه السمة. لى أصدقاء سوف ينحتون لى تمثالا وأنا مستلقٍ على بطنى، وأقوم بالنظر إلى بركة فيها ضفادع حقيقية. وعندما توضع عملة معدنية فى الفتحة الخاصة بها سوف أبصق فى المياة فينتاب الضفادع الصياح وتظل تصدر نقيقها لمدة دقيقة ونصف، وهو الزمن الكافى حتى يفقد التمثال أى أهمية له.

(113)

– المتسولة، المتسول، المتسولة، المتسول. لقد وصل الأمر لمناقشة رسالة دكتوراه عن الحالة النفسية للمتسؤلين

– قال أوليڤيرا :

– يمكن ذلك لكن ليس منهم من هو على شاكلة خوان فيلوى[1] J.Filloy الذى كتب لهم «شرذمة» Caterva. ماذا عن فيلوى الآن؟

لا يمكن لماجا أن تعرف شيئا عنه فهى لا تعرف أساسا شيئا عن أنه موجود أم لا. وكان من الضرورى أن يشرح لها لماذا فيلوى ولماذا «شرذمة». أعجبت لاماجا كثيرا بمضمون الكتاب، والفكرة التى تقول بأن السكان الأصليين Criollos هم على نفس شاكلة المتسولين. وبذلك أصبحت شديدة الاقتناع بأنه من عدم الاحترام الخلط بين من هو من سلالة وبين الشحاذ، كما أن شعورها بالود نحو المتسولة التى تتواجد فى منطقة بونت دى آرت أحذ يتوطد لهذه الأسباب التى بدت أسبابا علمية، وخاصة فى تلك الأيام التى اكتشفت فيها، وهما يسيران على ضفة النهر، أن المتسولة عاشقة: كما كان الود والرغبة فى أن يسير كل شئ فى طريقه المرسوم يمثل لماجا شيئا كأنه تقوس الكبارى الذى كان يثيرها دوما. أو تلك القطع من الصفيح أو السلك التى يجمعها أوليڤيرا وهو مطاطئ الرأس أثناء التجوال.

– فيلوى ـ كان يردد أوليڤيرا وهو ينظر إلى أبراج السجن Conserjeria ويفكر فى كارتوش[2] Cartouche ـ إن بلادى جد بعيدة عن هنا، أمر لا يصدق أن توجد مياة مالحة بهذه الكميات الهائلة فى عالم المجانين هذا.

– قالت لاماجا :

– وعلى العكس من ذلك هناك القليل من الهواء اثنتان وثلاثون ساعة لا أكثر.

– آه، حقا. وماذا أنت قائلة عن المال.

– والرغبة فى الذهاب. فأنا ليست عندى هذه الرغبة.

– ولا أنا أيضا، لنفترض هذا، لكن لا مناص.

– قالت لاماجا :

– إنك لا تتحدث أبدا عن العودة.

– لا أحد يتحدث أيتها القمم الضبابية. لا أحد يتكلم. المسألة هى الوعى بأن كل شئ يسير وكأننا فى حالة سكر فقدت عقالها.

– أشارت لاماجا :

108

– باريس مجانا لقد قلت ذلك في اليوم الذي تعرفنا فيه على بعضنا. فأن تذهب لترى المتسولة، هذا مجانا، وأن تمارس الحب، مجانا، وأقول لك مجانا إنك سيئ وألا أحبك .... لماذا ضاجعت بولا؟

– قال أوليڤيرا وهو يجلس على الحاجز الحديدي المجاور للماء :

– مسألة عطور بدا لي أنني أشم رائحة أغاني وقرفة ومرّ، وتلك الأشياء من هذا القبيل كما أن ذلك كان حقيقيا.

– لن تأتي المتسولة هذه الليلة. لابد وأن تحضر فهي لا تتغيب أبدا.

– قال أوليڤيرا :

– أحيانا ما يأخذونهم إلى الحبس وذلك لتنظيفهم من القمل على ما أظن، أو حتى تنام المدنية هانئة البال على شاطئ نهرها اللامبالي. إن المتسوّل يثير الجلبة أكثر من اللصّ وهذا أمر معلوم. وفي حقيقة الأمر لا تستطيع الحكومة أن تفعل معهم شيئا وما عليها إلا أن تتركهم في سلام.

– احك لي عن بولا. وهذه فرصة يمكن أن نرى فيها المتسولة.

– ها هو الظلام يحلّ، فيتذكر السّياح الأمريكان فنادقهم وتحلّ الآلام بأقدامهم، بعد أن قاموا بشراء الكثير من التفاهات، فقد أكملوا تعذيب أنفسهم Sade و Miller وقصة "Onze mille verges" لأبولونير والصور الفنية، والطوابع الفاضحة، وبعض مؤلفات ساجان Sagan و Bouffet أنظري كيف أن الجو يصفو في الناحية التي فيها الكوبري. عليك أن تتركي بولا في حالها، فلا يمكن أن أحكي ذلك. حسن ها هو الرسّام يطوي عدّته فلم يعد أحد يتوقف ليرى ما يرسم. أمر لا يصدق أن تكون الرؤية شديدة الوضوح في هذه الساعة، فالهواء كأنه مغسول مثل شعر تلك الفتاة التي تجري هناك. انظري، هي تلك التي ترتدي الفستان الأحمر.

– كررت لاماجا :

– احك لي عن بولا وهي تضرب على كتفه بظهر يدها.

– قال أوليڤيرا :

– الجنس المحض وهذا لن يروق لك.

– لا. الخطوط العريضة فقط. ما الذي يمكن أن أقصه عليها؟ بولا لا توجد وأنت تعرفين ذلك. أين هي؟ أريني أياها.

– قالت لاماجا التي تعلّمت المصطلح من رونالد وإيتين :

108

– مغالطات، لن تكون هنا. لكنها فى شارع نهر دوفين، وهذا أمر مؤكد.

– قال أوليڤيرا :

– لكن أين هو نهر دوفين؟ ها هى المتسوّلة. إنها مبهرة اليوم.

كانت تنزل السلم وهى تترنح تحت وطأه لفّة كبيرة، تظهر من أطرافها أكمام معاطف وقد تفسخ نسيجها، وكوفيات ممزّقة، وبنطلونات حصلت عليها من صناديق الزبالة، وكذلك لفة سلك كساها اللون الأسود. وصلت المتسوّلة إلى المستوى الأكثر انخفاضا فى رصيف الميناء. وصدر عنها تعجب، هو بين الصرخة والتنهدّ. وفوق جسد لا يمكن معرفة ملامحه تراكمت قمصان النوم الملتصقة بجلدها والبلوزات التى أُهديت إليها وصديرى يساعد على الإمساك بصدر ضخم، وفوق كل ذلك هناك واحد، اثنين وربما أربعة فساتين إن مكان حفظ الملابس مليىء عن آخره. فوق كل هذا هناك جاكت رجالى يكاد يكون منزوع الكم. وكوفية عليها بروش من الصفيح عليه حجر أخضر وآخر أحمر، وفى شعرها المصبوغ باللون الأصفر، هناك بنسة خضراء اللون من القماش معلقة على أحد جوانب الرأس.

– إنها رائعة ـ قال أوليڤيرا لقد جاءت لتغازل من هم إلى جوار الكوبرى.

– قالت لاماجا :

– من الواضح أنها تعيش حالة عشق انظر كيف وضعت أحمر الشفاه على شفتيها وانظر إلى الريّميل، لقد وضعت على وجهها كل ما عندها.

– تبدو مثل مهرج السيرك جروك Grok لكن بشكل أسوأ. أو مثل بعض شخصيات لوحات جيمس أنسور J.Ensor. إنها رائعة ما الذى يفعله هذان حتى يمارسا الحب؟ لن تقولى إنهما يعشقان بعضهما بالمراسلة.

– أعرف ركناً قريبا من فندق سين Sens حيث يلتقى المتسوّلون هناك لهذا الغرض والبوليس يتركهم وشأنهم. وقد قالت لى مدام ليونى أن من بينهم هناك دائما من ينقل الأخبار إلى البوليس. ففى مثل تلك الساعة يرتفع بعض الحجاب عن الأسرار. يبدو أن المتسولين يعرفون الكثر عن المجرمين hampa.

– قال أوليڤيرا :

– المجرمين hampa يالهامن كلمة نعم بالطبع يعرفون. إنهم على هامش المجتمع وعلى حافة الفخ. كما أنهم لابد أن يعرفوا الكثير عن حملة السندات والقساوسة إنه التصفح الجسد لصناديق القمامة ....

– ها هو المتسول قادم. لقد أخذ به السكر كل مأخذ. مسكينة كيف تنتظره، انظر كيف تركت اللفة على الأرض لتنادى عليه ،إنها فى حالة انفعالية كبيرة.

– مهما حدثتنى عن المنطقة المجاورة لفندق سين فإننى لازلت أتساءل كيف ينظمون أمورهم من أجل ممارسة الحب ـ همهم أوليفيرا ـ ومع كل هذه الملابس. فهذه لا تنزع من عليها أكثر من قطعة أو قطعتين عندما يكون الجو أقل برودة. وتحت كل هذا هناك ما لايقل عن خمسة أو ستة قطع، دون أن نأخذ ما يسمى بالملابس الداخلية فى الاعتبار، هل يمكنك أن تتصورى ما يمكن أن يكون عليه ذلك، فى الأرض الخلاء؟ بالنسبة للرجل، هذا أمر سهل فالبنطلون هو لباس سهل.

– إنهم لا يخلعون ملابسهم ـ تصورت لاماجا ـ فربما لن يتركهم البوليس، أضف إلى ذلك المطر. فكر قليلا، إنهم يختبئون فى الأركان، ففى هذا الخلاء هناك أماكن كأنها آبار عمقها نصف متر ولها غطاء على الحافة حيث يلقى فوقه العمّال القمامة والزجاجات الفارغة وأتصور أنهم يمارسون الحب واقفين.

– مع كل هذه الملابس؟ لكن هذا لا يتصور. هل تريدين القول إن الرجل لم يرها عريانة أبدا؟ لابد وأنها عملية قذرة.

– قالت لاماجا :

– انظر كيف يحب بعضهم بعضا كيف ينظران إلى بعضهما.

– السكّر يكاد ينطق من عينى الرجل. إنه الحنان بإحدى عشرة درجة.

– إنهما متحابان يا أوراثيو، متحابان. اسمها إيمانويلا. كانت تمارس البغاء فى إحدى مدن الأقاليم. وقد جاءت زورق وظلت فى مناطق الأرصفة. لقد تحدثت معها فى ليلة كنت أشعر فيها بالحزن. رائحتها كريهة جدا، وما كان على إلا أن أغادر المكان بعد هنيهة. أتعرف عن ماذا سألتها؟ سألتها عن الموعد الذى تغير فيها ملابسها. يالها من بلاهة توجيه سؤال مثل هذا. إنها طيبة جدا ومجنونة. ففى تلك الليلة كانت تتصور أنها ترى زهور الحقول فى حجارة الرصف. وأخذت تذكر أسماءها الواحدة تلو الأخرى.

– قال أوراثيو :

– مثل الإوفيليا، الطبيعة تحاكى الفن.

– الأوفيليا؟

– معذرة أنا إنسان متحذلق. وماذا كانت إجابتها عندما سألتها عن موضوع الملابس؟

– أخذت تضحك، وشربت نصف لتر دفعة واحدة. وقالت إن آخر مرة نزعت فيها

بعض الملابس عن نفسها كان من الجزء الأسفل ابتداء من الركبتين. وقد تحوّل ما خلعته إلى خرق. أما فى الشتاء فالجو بارد وبالتالى يضعون على أجسادهم كل ما يجدون.

– لا أحب أن أكون ممرضا. ويأتون إلى فى ليلة من الليالى. إنه حكم مسبق مثل غيره من الأحكام. إنها عمد المجتمع. أنا عطشان يا ماجا.

– عليك أن تفعل ما تفعله بولا ـ قالت لاماجاوهى تنظر إلى المتسولة التى كنت تتبادل الدعابات مع حبيبها تحت الكوبرى ـ انظر سوف ترقص الآن إنها ترقص دوما فى مثل هذه الساعة

– تبدو وكأنها دب

– إنها سعيدة ـ قالت لاماجا وهى تمسك بحجر أبيض صغير وتنظر إليه من كل الجوانب .أخذ منها أوراثيو الحجر ولعقه ،كان طعمه مالحا وحجريا.

– إنه لى ـ قالت لاماجا ،وهى تحاول استعادته.

– نعم، انظرى أى لون يأخذ عندما يكون معى. إنه يشع نورا.

– لكنه معى أكثر سعادة. أعطنى إياه. إنه حجرى .نظرا إلى بعضهما. بولا.

– قال أوراثيو :

– وحسن الأمر يستوى سواء كان الآن أو فى أى لحظة أخرى. إنك بلهاء يا فتاة. آه لو تعرفى ما ستكونين عليه من راحة إذا ما أمكنك النوم.

– أنا وحدى. ياله من أمر ظريف. إنك ترى. لست أبكى. يمكنك مواصلة الحديث فلن أبكى إننى مثلها انظر إليها وهى ترقص، انظر، هى مثل القمر، وزنها كالجبل ومع ذلك ترقص. الجرب يلفها ومع ذلك ترقص، وإنها مثل. أعطنى الحجر.

– خذى، أتعرفين أنه من الصعب أن أقول لك: أحبك، من الصعب جدا الآن.

– نعم. يبدو أنك تعطينى نسخة بالكربون.

– قال أوراثيو :

– إننا نتحدث كأننا نسران.

– قالت لاماجا :

– إنه لأمر مضحك أقرضه لك بعض اللحظات إذا ما أدرت، ويكون ذلك طوال المدة التى ترقص فيها المتسولة.

– قال أوراثيو وهو يأخذ الحجر ويلعقه من جديد :

– حسن لماذا يجب الحديث عن بولا؟ إنها مريضة ووحيدة، وسوف أذهب إليها،

ولازلنا نمارس الحب حتى الآن، لكن كفى، لا أريد أن أحوّلها إلى كلمات ولا حتى معك.

– قالت لاماجا :

– سوف تسقط إيما نويل فى المياة إنها أكثر سكراً من الرجل.

– لا، سوف ينتهى كل شئ على نفس المنوال المعهود ـ قال أوليڤيرا وهو ينهض من على الحاجز الحديدى ـ هل ترين الممثل النبيل للسلطة القادم من بعيد؟ هيا بنا، فالأمر جد محزن. فإذا ما كانت المسكينة تريد الرقص...

– لقد قامت امرأة عجوز متزمتة بإثارة المشكلة من فوق. فإذا ما وجدناها، عليك أن تركلها فى مؤخرتها.

– وهو كذلك، كما أنك سوف تغفرين لى ما فعلت وتقولين إن ساقى أحيانا ما تخونني وذلك بسبب الشظية التى أصبت بها وأنا أدافع عن ستالينجراد.

– وعندئذ تكمل أنت اللعبة وتنحنى معتذرا.

– إننى أؤدى هذا بشكل جيد، وقد تعلمته فى باليرمو. هيا تعالى، هيا لنشرب شيئا. لا أريد أن أنظر إلى الوراء. لقد سمعت ما يدللها به الأشيب. تكمن فى ذلك. ألم يكن من الواجب أن تعود وترد عليه بركلة مماثلة؟. آه يا عرجونة Arjuna، انصحينى. كما أنه يشتم عار المدنيين من تحت الملابس. قلت تعالى، لنتنازل مرة أخرى. إننى رث الهيئة أكثر منك يا يمانو. إنها قذارة بدأت منذ قرون عديدة. برسيل يغسل أكثر بياضا. من الضرورى أن يكون هناك منظف قوى يا فتاة، «وتَصْبِينه» كونية. هل تروق لك الكلمات الجميلة؟ أهلا يا جاستون...

– أطيب التحية أيها السيدات والسادة ـ قال جاستون ـ إذن كأسين من النبيذ الأبيض «سك »كما هى العادة أليس كذلك؟

– كالعادة يا عزيزى العادة مع بعض البرسيل.

نظر إليها جاستون وأخذ يهز رأسه. أمسك أوليڤيرا بيد لاماجا وأخذ يعد أصابعها باهتمام ثم وضع الحجر فى كفها وأخذ يثنى الأصابع الواحد تلو الآخر ويعد ذلك قبل اليد. رأت لاماجا أنه أغمض عينيه وبدا كأنه غائب عن المكان «إنه كوميديان» فكرت وهى تشعر بشئ من الحنان.

(64)

فى أحد مواضع الكتاب كان موريللى يحاول تبرير تماسك السرد القصص لديه مشيرا إلى أن حياة الآخرين التى نتلقاها فى دائرة ما يسمى بالواقع ليست فيلما سينمائيا بل هى مجموعة من الصور. أى أننا لا يمكن أن نلتقط الحدث بل أجزاءه، على طريقة أهل بلدة إيليا Elea، والتى تم قصها. فليس أمامنا إلا تلك اللحظات التى نحن فيها مع ذلك الآخر، الذى نظن أننا نفهم حياته، أو عندما يحدثوننا عنه، أو عندما يقص هو علينا ما وقع له أو يعرض أمامنا ما ينوى عمله. يتبقى لدينا فى نهاية الأمر ألبوم من الصور واللحظات الثابتة. ولا يمكن أن نرى الصيرورة وهى تتم أمام أعيننا، ولا الانتقال من الأمس إلى اليوم، أو أول إبرة للنسيان وهى تُغرس فى الذكرى. ولهذا لم يكن من المستغرب أن يتحدث عن أبطال سرده القصصى بشكل فيه تشنج، ومحاولته إضفاء نوع من الانسجام على مجموعة الصور، حتى تظهر فى شكل فيلم (كم كان يروق للقارئ الذى يطلق عليه القارئ - الأنثى) كانت تعنى عملية حشو بالأدب، والافتراضات والنظريات، واختراع الفواصل بين صورة وأخرى. فأحيانا تظهر لنا الصور ظهرا أو يدا تتكئ على أحد الأبواب، أو نهاية نزهة فى الحقول، أو الفم الذى ينفتح ليصرخ، أو بعض الأحذية فى دولاب الملابس أو أشخاصا يسيرون فى حديقة شامب دى مار Champ de Mars أو طابع بريد مستعمل، أو رائحة ماجريف Ma Griffe إلى غير ذلك. كان موريلى يتصور أن حياة تلك الصور، التى يحاول تقديمها بطريقة جادة للغاية، يجب أن تضع القارئ فى موقف المغامرة والمشاركة فى مصير الشخصيات. فما كان يعرفه عنهما من خلال التخّيل، يتحول إلى حدث على الفور دون أى تكلف يهدف إلى إدخاله فى عالم ما هو مكتوب، أوما سيكتب والكبارى التى تربط بين لحظة وأخرى بين هذه الحيوات المليئة بالغموض وعدم وضوح الملامح. لابد للقارئ من تخمينها أو اختلاقها، وذلك بدءا بمعرفة كيفية تصفيف الشعر - إذا لم يكن موريلى قد ذكرها - وحتى الأسباب التى تكمن وراء سلوك معين أو الإحجام عنه وإذا ما كان ذلك يبدو غريبا أو شاذا.

كان يجب أن يكون الكتاب مثل تلك الرسومات التى يعرضها علماء النفس فى الجيشتالت Gestalt. وبذلك يمكن أن تقود بعض الخطوط من يراقبها إلى كمال باقى الخطوط التى تحدد ملامح الرسم. وأحيانا ما تتسم الخطوط الغائبة بأنها الأكثر أهمية وأنها الوحيدة التى تؤخذ فى الاعتبار. فممارسة موريلى للمداعبات واتسامه بالغرور

109

هما أمران لا حدود لهما فى هذا المقام.

وعند قراءة الكتاب يداخل المرء أحيانا انطباع بأن موريلى أخذ ينتظر أن تتبلور عملية جمع القصاصات فى واقع كامل، دون أن يبذل أى جهد فى صناعة الكبارى أو خياطة الأجزاء المختلفة للسجادة وضمها إلى بعضها البعض. وفجأة تظهر أمامنا المدينة والسجادة، ورجال ونساء فى المنظور المطلق للصيرورة وأن موريلى المؤلف يمكن أن يكون المشاهد الأول، الذى عبر عن إعجابه بهذا العالم، الذى يدخل فى إطار التماسك.

لكن يجب أن يثق المرء كثيرا، ذلك أن معنى التماسك فى حقيقة الأمر هو تمثل المكان والزمان وتبويب ذلك طبقا لرغبة القارئ الأنثى. وموريلى لم يكن ليسمح بهذا، ومن الأرجح أنه كان يبحث عن تبلور لا يغير الفوضى التى تعيش فيها أجساد نظامه الكوكبى. ويهئ الموقف للفهم، الحاضر والتام للأسباب المتعلقة بذات ذلك الكون سواء تمثلت تلك الأسباب فى الفوضى نفسها، أو القزمية أو ما هو مبتذل. إنها بلورة لم يتبق منها أى شئ لصيق لكن يمكن أن تتولى البصيرة النافذة الأمر بأن تنظر من خلال المنظار وتدرك سرّ الوردة الملّونة على أنها شخصية، شكل العالم وأنها تتحول إلى حجرة استقبال من الطراز البروفنسالى، بعيدا عن المجهر، أو تتحول مجموعة من السيدات وهن يتناولن الشاى مع بسكويت باقلى Bagly.

(27)

110

كان الحلم، عبارة عن برج مكون من طبقات لانهائية توضع فوق بعضها وتتوه إلى أعلى فى اللانهائى، أو تنزل فى دوائر وتغوص فى باطن الأرض. وعندما جذبنى إلى موجاته، أخذت الدوامة تعمل، ولم يكن ذلك إلا دهاليز . لم يكن هناك سقف أو أرضية أو حوائط أو طريق للعودة. لكن كانت هناك موضوعات تتكرر كأنها صورة طبق الأصل.

Anais Nin,(1) Winter of Artifice

(48)

111

هذا السرد القصصى قامت به بطلته إليتون جوترى وألقته على نيكولاس دياث صديق جيرالد فى بوجوتا.

«أنا من عائلة تنسب إلى طبقة المثقفين فى المجر، فأمى كانت مديرة سيمنار نسائى، حيث تتم تربية أبناء العائلات الراقية فى مدينة مشهورة لا أود الإفصاح عن اسمها وعندما بدأت فترة القلاقل بعد الحرب، باقتلاع الجذور الأسرية والطبقات الاجتماعية والثروات لم أدر أى طريق أتخذ فى حياتى. أصبحت أسرتى بلا سند مالى، فهى ضحية حدو تريانون (sic) مثلها مثل والآلاف والآلاف. ولم يسمح لى جمالى وشبابى وتربيتى بأن أتحول إلى مجرد موظفة تعمل على الآلة الكاتبة. وعندئذ ظهر فى حياتى الأمير الرائع، وهو أرستقراطى من الأغنياء الجدد. ومن خيار الطبقات الأوربية. تزوجت به وأنا أحمل فى داخلى كل أمانى الشباب رغم معارضة أسرتى لأننى صغيرة السن وهو أجنبى.

قمنا برحلة شهر العسل، إلى باريس ثم نيس ثم كابرى وبعد ذلك خيبة أمل لم أكن أعرف إلى أين أذهب، كما لم أجرؤ أن أحكى لأسرتى مأساة زواجى. إنه زوج لا يمكن أن يجعل منى أما. أبلغ من العمر ستة عشر عاما وأسافر، فى حالة ترحال دائم، بدون مقصد معين وأحاول التسرية عن نفسى. مصر، جاوة واليابان والأمبراطورية النمساوية وكل الشرق الأقصى، وسط كرنفال من الشمابنا والسعادة الزائفة كسيرة الجناح.

وتمضى السنون. ففى عام 1927 نعيش بشكل نهائى على ساحل الأزور فأنا إمرأة من الطبقة العليا والمجتمع المفتوح، مجتمع الكازينوهات وحلبات الرقص ومضمار سباق الخيل كل هذا المجتمع يكن لى شديد التعظيم.

وذات يوم جميل من أيام الصيف اتخذت قرارى النهائى: الانفصال. كانت الطبيعة تفصح عن مكنون جمالها. البحر والسماء والحقول كلها تترنم بأنشودة الحب وتبتهج بالشباب. كان عيد المُدَلّلات فى كان وكرنفال نيس الغنى بازدهاره، وابتسامة الربيع فى باريس، وعلى ذلك تركت المسكن والبذخ والثروة وتوجهت وحدى إلى الدنيا ...

كان عمرى آنذاك ثمانية عشر عاما وكنت أعيش وحدى فى باريس دون هدف محدد. كانت باريس عام 1928، باريس المرح وكثرة الشمبانيا، باريس، الفرنكات عديمة القيمة، باريس جنة الأجانب، المليئة بالأمريكان وأبناء أمريكا اللاتينية، وصغار ملوك الذهب. باريس عام 1928 حيث يولد كباريه جديد كل يوم وإحساس جديد يجعل الأجنبى يفك كيس نقوده. ثمانية عشر عاما، شقراء ذات عيون زرقاء ووحيدة فى باريس.

أسلمت نفسى بالكامل للمتع، وذلك للتخفيف من حّدة تعاستى. كنت أسترعى

111

الانتباه فى الكباريهات لأننى كنت وحيدة أشرب الشمبانيا مع الراقصين، وأعطى العاملين بقشيشا ضخما. لم أكن أدرك قيمة المال.

وذات مرة استطاع أحد أولئك الذين يرتادون هذه الأماكن أن يكتشف موطن آلامى وينصحنى بعلاج من أجل النسيان ... الكوكايين والمورفين والمخدرات. عندئذ أخذت فى البحث عن الأماكن الغريبة وعن أبناء أمريكا اللاتينية من ذوى اللون القمحى وعن الرجال الأغنياء.

فى تلك الفترة كنت أحصد النجاح تلو الآخر ويصفق لى الجميع وكأننى مغنية كباريه حديثة. ظهرت أمام الجمهور لأول مرة فى فلوريدا وكنت أغنى أغانى غريبة بلغة غريبة.

كان يغنى مرتديا حُلَّة عجيبة غير معروفة فى تلك الأماكن حتى تلك الآونة يغنى التانجو وأغانى المزارع rancheras والسامبا الأرجنتينية. كان فتى يميل إلى النحافة وسمرة الجلد، أسنانه بيضاء. اشتد ولع جميلات باريس به. هو كارلوس جاردل. كانت نغمة الحزن الباكية فى أغانى التانجو التى يرددها تستأثر بقلوب الجمهور دون أن يعرف السبب - لم تكن أغانيه آنذاك - بين الأحلام، شكوى أمريكية، ذلك المغطى بالفروة، الطريق الصغير، المزارعة - لم تكن من التانجو الحديث، بل أغانى موروثة عن الأرجنتين القديمة، أى الروح الصافية لراعى البقر فى السهول الأرجنتينية. كانت الموضة هى جاردل وذاعت شهرته فى كل مكان من الكباريهات والمسارح ومضامير سباق الخيل و Music- hall كان ضيفا دائما على مضمارى لاوتييل ولونجشامت Lengchamp و Auteuil

لكن أكثر ما يروق لجاردل هو الاستمتاع بالوقت على طريقته، أى بين ذويه وفى إطار الدائرة الحميمة.

فى تلك الفترة، فى باريس، كان هناك كباريه يطلق عليه «باليرمو» فى شارع كليش Clichy أغلب زبائنه من أبناء أمريكا اللاتينية... تعرفت عليه هناك. كان جيرالد مولعا بكل النساء، لكن لم يكن يعنينى إلا الكوكايين .... والشمبانيا. الحق يقال أنه كان يرضى غرورى الأنثوى أن يرانى الناس فى باريس مع الرجل المشهور الذى هو محط أنظار النساء، لكن لم يكن يقول شيئا لقلبى.

توطدت تلك الصداقة فى الليالى التالية والنزهات والافضاء بالأسرار كان ذلك تحت الضوء الشاحب لقمر باريس وفى الحقول المزهرة. انقضت أيام طويلة من الاهتمام الرومانسى، ذلك الرجل كان قد بدأ يدخل إلى روحى. كانت كلماته ناعمة كالحرير

111

وعباراته تحفر فى صخرة لامبالاتى. أصبحت به مجنونة. فتحولت شقتى الصغيرة الحزينة إلى شقة يملؤها النور وعدت إلى الكباريهات. وفى حالتى الرمادية الجميلة وعلى ضوء اللمبات الكهربائية كانت هناك رأس شقراء صغيرة تنضم إلى وجه قوى فيه سمرة مخففة. أما حجرة نومى الزرقاء التى شهدت كل الحنين والاشتياق لروح بلا غاية أصبحت الآن عشا حقيقا للحب. كان حبى الأول.

مضت الأيام مسرعة كأنها البرق. لا يمكن لى أن أعرف كم مضى من الوقت. اختفت هذه الشقراء الغريبة التى تسحر باربس بتصرفاتها وأناقة مكياجها وحفلاتها الراقية حيث كان الكافيار الروسى والشمبانيا يشكلان الطبق الأساسى.

وبعد ذلك بشهور عرف الذين كانوا من الرواد الدائمين لباليرمو وفلوريدا وجاردن عن طريق الصحف أن هناك راقصة شقراء عيونها زرقاء. كان عمرها آنذاك عشرين عاما، كانت تستأثر بلب فتيان بوينوس أيرس من الأسر العريقة بطريقتها فى الرقص وبساطتها غير المعهودة. وبكل ريعان شبابها.

كانت إيفون جيترى.

(إلخ)

المدرسة الجارديليانا ـ دار نشر Cisplatina ـ مونتفيديو.

(49–)

موريليات:

أقوم بمراجعة قصة أريد أن يكون بها الحد الأدنى من الأدب. إنها مهمة غاية فى الصعوبة من منطلق النحن حيث يظهر أثناء الراجعة الجمل التى لا يمكن تحمّلها. يصل أحد الأبطال إلى السلم:

«أخذ رامون فى نزول السلم ...» أشطبها وأكتب: «بدأ رامون ينزل..» أترك المراجعة جانبا لأسأل نفسى عن الأسباب الحقيقة لهذا النفور من اللغة «الأدبية» فعبارة «أخذ فى النزول» ليس فيها ما يشين اللهم إلا سهولتها، لكن عبارة «بدأ ينزل» هى نفسها، إلا أنها أكثر مباشرة وفظاظة (أى أنها مجرد أداة للتوصيل) أما الصيغة الأخرى فيبدو أنها تجمع بين ما هو لطيف وما هو مفيد. وعموما فإن ما يضايقنى فى عبارة «أخذ فى النزول» هو الاستخدام التزيينى لفعل واسم لا نستخدمهما فى الحياة اليومية إلا فيما ندر. اللغة الأدبية تثير ضيقى (فى أعمالى وهذا مفهوم وجلىّ) لماذا؟

إن الأصرار على ذلك الموقف الذى يصيب كل ما كتبته فى الأعوام الأخيرة بالفقر اللغوى، كل هذا سوف يجعلنى أشعر بعدم قدرتى على التعبير عن أى فكرة أو القيام بأبسط العمليات الوصفية. وإذا ما كانت أسبابى هى نفس الأسباب التى يسوقها لورد شاندوس دى هوفمانستال L. Chandes de Hofmannothal فلن تكون هناك أى شكوى، لكن إذا ما كان مردّ هذا النفور من البلاغة (هذا هو جوهر الأمر) هو الجفاف اللغوى، المقابل والموازى لمستوى آخر يتسم بالحيوية، عندئذ يكون من المفضل الكف مطلقا عن أى نوع من الكتابة. أشعر بالملل عندما أعود لقراءة نتائج ما أكتبه فى هذه الأيام. إلا أنه يكمن وراء هذا الفقر اللغوى المقصود من وراء تلك العبارة «بدأ النزول» لتكون محل «أخذ فى النزول» شئ يثير عندى الشجاعة. أكتب بشكل ردئ جدًا لكن هناك شئ يحدث من خلال الكتابة. إن «الأسلوب» السابق كان بمثابة مرآة للقارئ - القبّرة،. ينظران إلى بعضهما ويتعرفان على بعضهما مثل ذلك الجمهور الذى يأمل، ويتصرف، ويتمتع بعبارات أبطال سالاكرو[١] Salacrou [٢] أو أنويل AnouilhÆ أنه لأمر غاية فى السهولة الكتابة بهذه الطريقة عن الكتابة (شبه الوصف) التى أريد أن أسير عليها الآن وذلك لأنه لم يعد يوجد حوار مع قارئ وجوده بعيد الاحتمال، ومن المؤكد أن المشكلة تدخل فى إطار المستوى الأخلاقى وربما كان مبعث الاصرار على هذا الموقف هو تصلب الشرايين، وتقدم السن (ربما فيها شئ من بغض البشر). هذا الموقف يتمثل فى الإعلاء من شأن ethos واكتشاف (هو اكتشاف متأخر فى مثل حالتى) أن الأنظمة

112

الجمالية تميل إلى أن تكون مرآة وليست معبرا لهذا الشوق الميتافيزيقى.

لازلت حتى الآن أشعر بالعطش الشديد للمطلق مثلما كان عمرى عشرين عاما. لكن هذا الغضب الرقيق، والمتعة الحمضية التى تلسع، والمتمثلة فى عملية الإبداع، أو مجرد تأمل الجمال، لم تعد بالنسبة لى بمثابة التعويض أو الدخول إلى الواقع المطلق والمرْضى. هناك جمال يمكن أن يهيئ لى هذا الولوج: ذلك الذى هو الغاية وليس الوسيلة وهى كذلك لأن مبدعها يتطابق مفهومه للطبيعة البشرية مع مفهومه للطبيعة الفنية. وعلى العكس من ذلك، فإن المستوى الجمالى البحت يبدو لى ذلك: يبدو. لا يمكن أن أعبر بطريقة أفضل.

(154)

113

هى كدمات من أثر رحلة على الأقدام من شارع جلا سبير حتى شارع سوميرار:

– إلى متى سنظل نتابع التأريخ "d.J.C."؟

– وثائق أدبية سوف يتم الإطلاع عليها بعد مائتى عام: رَوَث متحجرٌ

– كان كلاخيس klages على حق.

– موريلى ودرسه. أحيانا ما يكون به دنس، وفظيعا ومثيرا للشفقة: الكثير من الكلمات ليغتسل من كلمات أخرى، والكثير من القذارة حتى تزول رائحة العطور ماركة Caron و Piver و Carven و d.J.C وربما كان من الضرورى المرور بهذا كله حتى يستعيد الحقوق الضائعة. أى الاستخدام الأصيل للكلمة.

– الاستخدام الأصيل للكلمة (؟) ربما كانت جملة خاوية

– إنها تابوت صغير وصندوق سجائر. فلا يكاد ينفخ كارونتى Caronte حتى تعبر المستنقع وأنت تتأرجح كأنك فى المهد. القارب مخصص للكبار فقط. أما السيدات والأطفال فيعبرون مجانا إذ تكفى دفعة واحدة، وقد أصبحوا فى الجانب الآخر. إنه موت على الطريقة المكسيكية، جمجمة من السكّر. والأغانى للأطفال الموتى Totenkinder lieder....

– سوف ينظر موريلى إلى كارونتى، أسطورة أمام الأخرى. يالها من رحلة غير متوقعة عبر المياة السوداء.

– خطوط الحجلة على الرصيف: طباشير أحمر اللون، وطباشير أخضر اللون. السماء أما الطريق فهناك فى بورتاكو Burzaco أما الحجر فقد تم اختياره بعناية والدفعة القصيرة بسن الحذاء ببطء، ببطء رغم أن السماء قريبة، فالحياة لازالت أمامنا.

– إنه شطرنج لا نهائى، من السهل ترتيبه، لكن البرد يدخل من فتحة فى النعل، وفى نافذة ذلك الفندق. هناك وجه يشبه وجه مهرّج السيرك يقوم بتوجيه إشارات من وراء الزجاج. كما أن ظل حماقةيلمس براز كلب: باريس

– بولا باريس. بولا؟ الذهاب إليها وممارسة الحب. المداعبة مثل اليرقات البطيئة. لكن اليرقة تعنى أيضا القناع. لقد كتب موريلى ذلك فى أحد مواضع الكتاب.

(30)

114

4 مايو عام 1995 (A.P.) بالرغم من جهود المحامين وآخر محاولة للاستئناف قدُمَّت يوم 2 من الشهر الجارى، تم تنفيذ حكم الإعدام على لوفينسنت Lou Vincent هذا الصباح فى غرفة الغاز بسجن سان كبنتين، ولاية كاليفورنيا.

.... كانت يداه ورجلاه مربوطتين إلى الكرسى. أمر رئيس السجانين مساعديه الأربعة أن يخرجوا من الغرفة وبعد أن ربّت على كتف فينسنت خرج هو الآخر. بقى المحكوم عليه وحيدا فى الحجرة، بينما هناك خمس وخمسون شاهدا يراقبون الموقف من خلال الشبابيك الصغيرة .... رفع رأسه إلى الخلف وأخذ نفسا عميقا.

.... وبعد ذلك بدقيقتين اكتسى وجهه بالعرق بينما أخذت أصابعه تتحرك وكأنها تريد التحرر من الأربطة.....

.... مضت ست دقائق وتكررت التشنجات، ومال فنسننت برأسه إلى الأمام وإلى الخلف. خرجت بعض الرغاوى من فمه.

.... ثمانى دقائق، سقط رأسه فوق صدره بعد آخر رعشة.

وفى العاشرة واثنتا عشرة دقيقة، أعلن الدكتور رينولدز أن المحكوم عليه قد مات للتو. أما الشهود الذين كان من بينهم ثلاثة صحفيين من ....

(117)

115

موريليات :

واستنادا إلى مجموعة من الملاحظات المتفرقة والمتناقضة فى الكثير منها، استنتج النادى أن موريلى كان يرى فى الرواية المعاصرة تقدما نحو ما يسمى بشكل سىء التجديد. «تفقد الموسيقى إيقاعها، والرسم طرافتة والقصة الوصف» أما وونج الذى يعتبر أستاذا فى التلصيق Collages الجدلى فقد أضاف هذه الفقرة: «الرواية التى تهمنا ليست تلك التى تضع الشخصيات فى المواقف بل التى تضع الموقف فى الشخصيات. وبذلك يصبح هؤلاء خارج نطاق الشخصيات ويعودون بشرا. هناك نوع من الاستنتاج، يقفزون من خلالها نحونا، أو نقفز نحن نحوهم. فالكاف **k** لكافكا سوف يكون اسمها مثل قارئها أو العكس». ويضاف إلى ذلك ملاحظة فيها الكثير من الغموض حيث كان موريلى يحاول تأليف حلقة يترك فيها مساحة فارغة للإشارة إلى أسماء الشخصيات وذلك حتى يتم حل هذا التجريد من خلال الافتراض.

(-14)

وفى إحدى الفقرات التى كتبها موريلى هذا التضمين من "L,Abbé C," لجورج باتال[١] Georges Bataille:

هناك ملاحظة أخرى مكتوبة بالرصاص ولا تكاد تُقرأ: «نعم، يعانى المرء أحيانا لكن ذلك هو المخرج الوحيد الملائم كفى من الروايات اللذيذة والمصنوعة مسبقا والمليئة بالمفاهيم النفسية. لابد من أن يشرئب المرء بعنقه إلى أقصى حد، وأن يكون Voyant كما كان يريد رامبو Rimbaud فالقاص الذى يكتب القصص التى تُحْدث المتعة، ليس إلا Vayeur. ومن ناحية أخرى، كفانا تقنيات وصفية محضة وكفانا من قصص «*السلوكيات*» *التى هى مجرد سيناريو فيلم سينمائى بدون الصور*.»

ويربطه بفقرة أخرى «كيف يمكن القص بدون مطبخ وبدون ماكياج وبدون أن ترمش بعينك للقارئ؟ ربما يكون ذلك عن طريق التخلى عن الافتراض بأن الرد القصصى هو عمل فنى. يجب أن نشعر بالسرد القصصى وكأننا نشعر بالجبس الذى نضعه على الوجه لنصنع قناعا. لكن يجب أن يكون وجهنا»

وربما هذه الملاحظة الأخرى: عندما تحدث ليونيللو فينتورى[٢] Lionello Venturi عن مانيت Manet وقصته «أوليمبيا» Olimpia يشير إلى أن مانيت استغنى عن الطبيعة والجمال والحدث والمغزى الأخلاقى وركز على الصورة الجمالية، وبدون أن يدرى، كان يعمل فى طريق عودة الفن الحديث إلى توجهات العصور الوسطى، دون أن يدرى. فقد فهم العصر الوسيط الفنَ على أنه سلسلة من الصور، حل محلها عصرى النهضة والحديث تمثيل الواقع. ويضيف ڤينتورى (أو هل هو جوليوكارلو أرجان[٣] ؟ كان من سخرية التاريخ أنه فى اللحظة التى أصبح فيها تمثيل الواقع موضوعيا وبالتالى يتحول إلى تصويرية وميكانيكية، كان هناك أحد البارزين من أهل باريس يريد أن يكتب كتابة واقعية، وكان لعبقريته أن دفعت به إلى أن يعيدالفن إلى وظيفة إبداع الصور»...»

ويضيف موريلى «لابد من التعود على استخدام الشكل Figura بدلا من الصورة inagen للحيلولة دون وقوع أى لبس نعم، هناك توافق، لكن ليس الأمر هو العودة إلى العصور الوسطى أو إلى شئ من هذا القبيل. إنه خطر المطالبة بزمن تاريخى مطلق: هناك أزمنة مختلفة رغم أنها متوازية. وفى هذا المقام هناك مراحل زمنية فى العصور الوسطى التى يمكن أن تتفق مع العصر المسمّى بالحديث. وذلك الزمن هو الذى عاش فيه وتمثله رسّامون وكتاب يرفضون الإتكاء على الظروف الراهنة، أى أن يكونوا محدثين على الطريقة التى يفهمها معاصروهم، وهذا لا يعنى أنهم *اختاروا التوجه*

المخالف لمسار الزمن. إنهم ببساطة على هامش الزمن السطحى لعصرهم، ومن ذلك الزمن الآخر حيث يدلف كل شئ إلى أخذ «الهيئة» Figura ويصبح كل شئ بمثابة إشارة وليس موضوع وصف. هم يحاولون تقديم عمل يمكن أن يبدو بعيدا أو مناقضا لمعطيات الزمن والتاريخ المحيط بهم لكنه مع ذلك يضم الزمن والتاريخ ويفسرهما ويوجههما فى النهاية إلى بصيرة حيث ينتظر الإنسان فى نهاية المطاف.

(3-)

117

شهدت كيف تمت مضايقة هيئة محكمة والوصول، فى ذلك، إلى درجة التهديد، حتى تصدر حكمها بالموت على اثنين من الأطفال رغم أن ذلك ضد العلم، وضد الفلسفة وضد الإنسانية وضد التجربة والخبرة وضد الأفكار الأكثر إنسانية وكمالا فى هذا العصر.

ما هو السبب الذى دفع بصديقى مستر مارشال ليقوم بالبحث فى ملفات الماضى ليجد سوابق يحمر منها خجلا وجه البدائى، ولماذا لم يقرأ هذه العبارة لبلاكستون Blackstone:

«إذا ما كان هناك طفل عمره أقل من أربعة عشر عاما، ورغم أنه قد يحكم عليه بأنه غير قادر على ارتكاب ذنب فإنه فى نظر المحكمة والمحلفين قادر على ارتكاب الذنب، وقادر على التمييز بين الخير والشر ، ويمكن أن يكون مذنبا ويحكم عليه بالموت»؟

وعلى ذلك هناك طفلة أحرقت طفلة عمرها ثلاثة عشر عاما، لأنها قتلت أستاذتها، وكذلك هناك طفل عمره عشر سنوات وآخر عمره أحد عشر عاما قتلا زملاءهما فما كان إلا إدانتهما بالإعدام. ونفذ حكم الإعدام بالمقصلة فى الطفل ذى العشر سنوات.

لماذا؟

لأنه كان يعرف الفرق بين ما هو حسن وما هو سيئ، فلقد تعلم ذلك فى مدرسة الآحاد.

كلارنس دروى Clarence Darrow

لمحامى الدفاع عن ليوبولد ولويب ـ **1924**.

(15–)

118

كيف يتمكن المقتول من إقناع قاتله بأنه لا يجب أن يتشبهّ به؟

مالكوم لورى Under the Volcano: Malcalm Lowry

تحت البركان

(50)

119

ببغاء أسترالى استحال عليه أن يفرد جناحيه!

دخل مفتش تابع لـ R.S.P.C.A أحد البيوت فوجد الطائر فى قفص لا يكاد يصل محيطه إلى ثمان بوصات! فما كان عليه إلا أن يوقع على صاحب الطائر غرامة قدرها جنيهان قام بسدادها. ومن أجل الحفاظ على المخلوقات الضعيفة فنحن فى حاجة إلى ما هو أكثر من الدعم المعنوى. إن هيئة R.S.P.C.A تحتم المساعدة الاقتصادية. توجهٌ إلى السكرتارية ....إلخ

الأبزيرفار - لندن

The observer - London

(51)

120

كان الجميع ينامون في ساعة القيلولة، وكان من السهل أن ينزل من السرير دون أن تستيقظ أمه، ويسير على يديه وقدميه حتى الباب، ثم يخرج ببطء وهو متعطش ليشم رائحة الأرض الرطبة للشقة، ثم يخرج من الباب ويتجه إلى المراعى الموجودة فى العمق. كانت أشجار الصفصاف مليئة بالحشرات المتشرنقة. كان إيرنيو يختار واحدة كبيرة منها ويجلس إلى جوار جحر النمل ثم يأخذ فى الضغط الخفيف والبطئ على قاع الشرنقة حتى تخرج الدودة رأسها من خلال الفتحة الحريرية وعندئذ يمد أصابعه ليأخذها ممسكا بها برقةٍ من جلد رقبتها وكأنه يمسك بقط. ثم يجذبها دونما قوة حتى لا يؤذيها. فتصبح الدودة عريانة تتلوى بطريقة كوميدية فى الهواء ثم يقوم إيرنيو بوضعها إلى جانب جحر النمل ويجلس فى الظل، وقد انبطح منتظرا تلك الساعة التى يقوم فيها النمل الأسود بالعمل بقوة فى اقتطاع بعض الحشائش وجلب الحشرات الميتة أو الحية من كل مكان. وعندئذ تلمح إحدى النملات الباحثات وجود الدودة التى تتلوى، فتقترب منها وتختبرها بقرونها الاستشعارية، وكأنها لا تصدق حسن حظها، ثم تجرى هنا وهناك وهى تلمس قرون النمل الذى يصادفها وبعد ذلك بدقيقة تُرْسم دائرة حول الدودة، ويتم حملها وهى تتلوى، بلا جدوى، لتفر من الموقف، ومن النمل الذى ضرب مخالبه فى جلدها وهو يحملها إلى الجحر برأسها. كانت اللعبة تتمثل فى اختيار الدودة الأكثر سمكا من مدخل الجحر. فالنمل كان غبيا ولم يكن يفهم. ولابد أنها كانت تشعر بفظاعة الأمر، فأرجل النمل ومخالبه تحيط بكل جسدها بما فى ذلك العيون والجلد، وكانت تقاوم وتحاول الخلاص، وهذا أسوأ ما فى الأمر إذ يتطلب ذلك المزيد من النمل كان البعض منه شديد الغيظ فكان يضرب مخالبه ولا يتركها إلا ووجهها مدفوعا بعض الشئ فى مدخل الجحر، كما يأتى البعض الآخر من داخل الجحر ولابد أن يقوم بسحب الدودة بكل ما أوتى من قوة ليضعها داخل الجحر. كم كان يودّ إيرنيو أن يكون داخل الجحر ليرى كيف كان النمل يدفع الدودة، ويضرب مخالبه فى عينيها وفمها، ويجذبها بكل ما أوتى من قوة ليدخلها كلها إلى أعماق الجحر ويقتلها ويلتهمها.

(16)

121

قام موريلى باستخدام الحبر الأحمر، وبمتعة ظاهرة، لكتابة نهاية قصيدة الشاعر الأميريكى فيرلنتجيتى Ferlinghetti فى نوتة صغيرة:

ومع ذلك نِمتُ بشكل جيـــــد

ورســــمت منظرا أو أكــــثــر

هن متعّطشات للجمال على سريرى

كـتبت قـصيـدة شـعـر أو أكثر

وهكذا سـكبتُ القـمـر أو الشـعّر

فى عالم شبيه بعالم بوسكو Bosco

(36)

122

كانت المرضات فى غدوهن ورواحهن يتحدثن عن أبيقراط Hipocrates.

كان يمكن ويجهد ضيئل لأى ملمح من ملامح الواقع الانضواء تحت لواء بيت شعر جميل. لكن لماذا أقوم بطرح الألغاز على إيتين الذى استخرج الكارنيه الخاص به، وأخذ يعمل سعيدا فى رسم سلسلة من الأبواب البيضاء والأسرة الملتصقة بالحوائط ونوافذ تدخل منها مادة حريرية ورصاصية اللون، وهيكل شجرة عليها حمامتان من ذوى الحويصلات الضخمة. كم كان يود أن يقص عليه الحلم الآخر، كان أمرا مثيرا للغرابة أن يظل طوال الصباح مشغولا بحلم الخبز، وفجأة يأتى إليه الحلم الآخر على ناصية راسبال ومونبارناس Montparnasse و Raspail. سقط فوقه هذا الحلم كأنه شبكة صياد أو كأنه واقع طوال الصباح تحت جدار حلم الخبز وهو يشكو وفجأة كأننا نرى فيلما ترجع صوره إلى الخلف، يبتعد الحائط عنه واستقام وضعه دفعة واحدة، وتركه يواجه ذكرى الحلم الآخر.

– قال إيتين وهو يحفظ الكارينه :

– عندما تريد سيادتك عندما تراه مناسبا، فأنا لست فى عجلة. إذ آمل أن أعيش أربعين عاما وبذلك ...

– أنشد أوليڤيرا :

– الزمن الحاضر والزمن الماضى ربما كان كلاهما حاضرا فى المستقبل. مكتوب أن كل شئ سوف ينتهى اليوم إلى أشعار ت. س. كنت أفكر فى حلم، معذرة. هيا بنا الآن.

– نعم، وكفى فيما يتعلق بالحلم فالمرء يتحمل ويتحمل وفى النهاية ....

– قال إيتين :

– فى الحقيقة هو حلم آخر.– تعس !

– لم أقصه عليك أثناء المكالمه لأننى لم أتذكره فى تلك اللحظة.

– قال إيتين :

– كما كان هناك موضوع الدقائق الستة فى حقيقة الأمر تتسم السلطات بالحصافة، فالمرء يلعن السلطات صباحا ومساء لكن يجب القول أنهم يعرفون ما يفعلون. ست دقائق ...

– لو كنت تذكرت فى تلك اللحظة فلم يكن أمامى إلا الخروج من الكابينة ودخول

المجاورة لها.

– قال إيتين :

– حسن سوق تقص عليّ الحلم وبعد ذلك ننزل ذلك السلم، ونذهب إلى مقهى مونبارنو لتناول كأسا من النبيذ. وأبادلك بالعجوز الشهير مقابل الحلم. فكلا الأمرين زيادة عن الحد.

– قال أوليڤيرا وهو ينظر إليه باهتمام :

– أصبت تكمن المشكلة فى معرفة ما إذا كان من الممكن مبادلة تلك الأشياء أم لا. وهذا ما كنت تقوله لى اليوم: الفراشة أو شانج كاى شيك؟ وربما عند قيامى بمبادلة العجوز بالحلم فإن ما تقوم أنت به هو الحلم مقابل العجوز.

– أفضى لك بالحقيقة. يصاب باللعنة ما أولى اهتمامى به.

– قال أوليڤيرا :

– رسّام .

– قال إيتين :

– ميتافيزيقى أما وقد أصبحنا على هذا الحال، ها هى هناك ممرضة تتساءل فيما إذا كنا حلما أو اثنين من البلهاء. ما الذى سيحدث؟ فإذا ما جاءت لطردنا فهل هى ممرضة تطردنا، أو أن الحلم هو الذى يطرد اثنين من الفلاسفة يحلمان بمستشفى يوجد فيه عجوز وفراشة غاضبة إلى جانب أشياء أخرى؟

– قال أوليڤيرا وهو ينزلق بعض الشئ على الكرسى ويغمض عينيه :

– كان أكثر بساطة أنظر، لم يكن إلا المنزل الذى تربيت فيه وحجرة لاماجا، وقد اجتمع كلاهما فى نفس الحلم. لست أتذكر متى حلمتُ، فقد نسيت ذلك تماما، وأثناء هذا الصباح عندما كنت أفكر فى حلم الخبز ....

– لقد قصصت علىّ حلم الخبز.

– فجأة يأتى هذا الحلم الآخر أما حلم الخبز فلا أهمية له، إذ ليست هناك مقارنة. كان يمكننى أن أستلهم حلم الخبز ... أستلهم، يالها من كلمة.

– لا تخجل من أن تقصصه إذا كان ما أتصوره

– فكرت فى الطفل ،إنها عملية ربط إجبارية. لكننى لا أشعر بأى ذنب. فأنا لم أقتله

– قال إيتين وهو غير مرتاح :

– الأمور ليست سهلة هيا لنعود العجوز، وكفانا أحلاما حمقاء.

122

– قال أوليڤيرا متنازلا :

– فى الحقيقة، لا أكاد أتمكن من سرده عليك تصورأنه عند الوصول إلى المريخ يطلب أحد ما أن تصف له الرماد. هو ذاك بشكل أو بآخر.

– هل سنذهب لنعود العجوز أم لا؟

– يستوى الأمر عندى. ها وقد أصبحنا ... إنه السرير رقم عشرةعلى ما أظن. كان من الممكن أن نأخذ له شيئا، فمن غير اللائق الذهاب هكذا. على أى الأحوال يمكنك أن تهديه لوحة.

– قال إيتين :

– أنا أبيع لوحاتى!

(122)

123

كان الحلم الحقيقى يتخذ موقعه فى منطقة غير محددة قريبة من لحظة اليقظة لكن دون أن يكون مستيقظا فى الحقيقة. وللحديث عن ذلك، كان من الضرورى اللجوء إلى معلومات أخرى، وإزالة ذلك الحد الفاصل بين «يحلم» و«يستيقظ» فهما كلمتان لا تعنيان شيئا، والتمركز فى تلك المنطقة التى يتبدّى فيها من جديد منزل الطفولة والصالة والحديقة، كل ذلك فى الزمن المضارع الواضح الملامح، وترى السنوات العشر بالألوان، فالإحمر شديد الأحمرار، والألوان الزرقاء للحجب الزجاجية الملونة وخضرة الأوراق وخضرة الرائحة، اللون والرائحة فى كيان واحد تصلان إلى الأنف والعين والفم. لكن الصالة ذات النافذتين اللتين تطلان على الحديقة كانت فى الحلم حجرة لاماجا أيضا، أى أن قرية بوينوس أيرس المنسية قامت بتحالف غير عنيف بينها وبين شارع سوميرارد، لم يحدث تجاوز وتلاصق فقط، بل انصهار واندماج، وعندما تم القضاء على التناقض بدون جهد، كان هناك شعور بأن المرء دخل فى إطار ما يخصه، وفى الجوهر مثلما هو الحال عندما يكون طفلا ولا يشك فى أن الصالة سوف تدوم مدى الحياة: إنه انتساب لا مناص منه. الأمر إذن هو أن المنزل فى بورتاكو والحجرة الكائنه فى شارع سوميراد هما المكان. أثناء الحلم كان من الضرورى إختيار الجزء الأكثر هدوءا من هذا المكان، ويبدو أن سبب الحلم هو ذاك، أى إختيار مكان هادئ. كان فى المكان شخص آخر، إنها الأخت التى تساعد فى اختيار المكان الأكثر هدوءا، دون أن تنطق بكلمة، وكأنها تتدخل فى مسار الحلم دون رغبة منها وذلك للتسليم بأن الشخص أو الشئ هاهو هناك يتدخل ويفعل ما يريد. إنها قوة دون أن تتبدى بشكل مرئى، إنها شئ أو عامل يتدخل هناك، يتدخل من خلال حضور يمكن أن يبدو ظاهريا. وهكذا اختار هو وأخته الصالة على أنها الجزء الأكثر هدوءا فى المكان، وكان اختيارا موفقا، أى لايمكن العزف على البيانو داخل حجرة لاماجا، أو الاستماع إلى الراديو بعد العاشرة مساء. إذ سوف يقوم العجوز الذى يسكن فوق بالدق على السقف، أو يقوم سكان الدور الرابع بإرسال قزمة حولاء، لتصعد وتشكو من هذا التصرف. لم يتفوّها بكلمة واحدة لدرجة أنه لم يبد أنهما هناك؛ كان هو وأخته يختاران الصالة المطلة على الحديقة، واستبعد حجرة لاماجا. وفى تلك اللحظة من الحلم، استيقظ أوليفيرا، وربما لأن لاماجا وضعت ساقها بين ساقيه. فى العتمة كان الشئ المؤكد والمحس هو أنه ظل فى الصالة حتى تلك اللحظة، فى صالة الطفولة مع أخته كما كان

123

أوليڤيرا، وربما لأن لاماجا وضعت ساقها بين ساقيه. فى العتمة كان الشئ المؤكد والمحس هو أنه ظل فى الصالة حتى تلك اللحظة، فى صالة الطفولة مع أخته كما كان يشعر بالحاجة الشديدة للتبوّل. دفع ساق لاماجا بعيدا عنه دون موارية و ونهض وخرج إلى بسطة السلم وأشعل المصباح الصغير السيئ الإضاءة، والخاص بالمرحاض. لم يجهد نفسه فى إغلاق الباب. أخذ يتبول وهو يستند على الحائط بإحدى يديه ويحاول مباعدة النوم عن عينيه حتى لا يسقط فى هذا المرحاض القذر. كان لايزال فى دائرة الحلم، وهو يوجه ناظريه إلى البول الذى يخرج من بين أصابعه، وينزل إلى الفتحة ويتوه فيها أو يضرب حوافّ الفتحة، التى اسودت. ربما بدا له الحلم الحقيقى فى تلك اللحظة عندما شعر باستيقاظه وتبوله فى الرابعة صباحا فى الدور الخامس شارع. سوميرارد. وأدرك أن الصالة المؤدية إلى الحديقة فى بورتاكو كانت الواقع. عرف ذلك دون استغراب أو فزع، عرف أن حياته كرجل مستيقظ ليست إلا ضربا من الوهم إلى جانب وضوح وجود الصالة. ورغم ذلك فعندما عاد للسرير لم تكن هناك أى صالة بل الحجرة الكائنة فى شارع سوميرارد، وعرف أن المكان كان صالة بورثاكو، برائحة الياسمين التى تدخل من النافذة؛ هى الصالة التى بها البيانو القديم طراز Bluthner وسجادتها الوردية وكراسيها المغطاة بملاءات، وأخته أيضا كذلك. بذل جهدا عنيفا ليخرج من هذا الجو، ويتخلى عن المكان الذى كان يخدعه، وبلغت به درجة اليقظة. بحيث دخل إليه مفهوم كل من الخداع والحلم والسهاد، غير أنه، وهو ينفض عن نفسه آخر القطرات، ويطفئ النور ويدعك عينيه، ويدخل إلى الحجرة عبر البسطة كان كل شئ أقل، فالبسطة، أقل، والباب أقل، والضوء أقل، والسرير أصفر، ولاماجا أقل، أخذ يتنفس بصعوبة وغمغم: «ماجا» غمغم : «باريس» ربما غمغم أيضا «البوم» كأن الصوت يأتى من بعيد، ومن فراغ، وكأنه صوت غير معاش. عاد لينام وكأنه يبحث عن مكانه ومنزله بعد أن سار طويلا تحت المطر والبرد.

(145)

124

كان من الضرورى تناول حركة أى ظرف طبقا لموريلّى. وبالنظر فيما قطعه من شوط فى هذه الحركة من السهل ملاحظة تنامى حالة الفقر فى عالمه القصصى، سواء فى الجفاف شبه التام لأبطال أعماله القصصية بل أيضا على مسار تصرفاتهم وخاصة فيما يتعلق بما لا يقومون به من أعمال. وانتهى به الأمر إلى ألا يحدث لهم أى شىء، إذ كانوا يدورون فى تعليقات ساخرة تتعلق بقزميتهم، ويتصورون أنهم يمجدّون نماذج مثيرة للسخرية، ويتفاخرون بأنهم اكتشفوها. وربما بدا ذلك هاما فى نظر موريلى، ذلك أن عدد الملاحظات قد تكاثر بشأن مطلب مفترض، وآخر وسيلة يائسة لينتزع نفسه من آثار الأخلاقيات الهامة، فى محاولة الوصول إلى حالة عرى يطلق هو عليها محورية وأحيانا يطلق عليها آفاقا. آفاق ماذا وإلى ماذا؟ ويستخلص من ذلك الانطلاق إلى شئ مثل الدوران حول النفس، وكأننا نقلب قفازا وبذلك يتم تلقى الواقع بكل ما عليه دون تدخل الأساطير والأديان والأنظمة والمعى الثانية. كان مثيرا للفضول أن يعانق موريلى، بحماس، النظريات الحديثة فى علوم الطبيعة والبيولوجيا وأن يبدى قناعته بأن الثنائية القديمة قد تشرخت أمام البديهية التى تقول بمرجعية المادة والروح إلى أمور تتعلق بالطاقة وبالتالى فإن القرود العلماء التى لديه، تبدو وكأنها تريد العودة إلى نفسها، بأن تزيل عن نفسها حروق الواقع الذى يصل عبر وسيط، والذى تمت خيانته عن طريق الأدوات الكونية المفترضة، كما تزيل عن نفسها أيضا قوتها المتعلقة بالأسطورة والشعر، أى «زوجها» لينتهى بها الأمر لتكون نوعا من الالتقاء على طريقة da ovo وتنكمش إلى أقصى درجة، أى إلى الدرجة التى تفقد فيها آخر شرارة لإنسانية (زائفة). بدا أنه يريد ـ رغم أنه لم يصل إلى التوضيح بشكل جلىّ ـ طريقا يبدأ من تلك التصفية الخارجية والداخلية. لكنه أصبح وليس في جيبه إلا ماندر من الكلمات وماندر من الناس، والأشياء، ومن الواضح أيضا إنه قد يصبح بلا قراء. كان هذا هو الحال أو ما يشبه ذلك.

(128)

125

هناك مفهوم بين الرجال حول التّشبه بكلب: إنها مادة تَأمّل، بلا رغبة، طوال فترة تناول كأسين والقيام بجولة فى الأرباص، وتنامى الشك فى أن المقدمات تؤدى إلى النتائج، وأن الوقوف فى مرحلة وسط ـ Lombola "L" [1] و epsilon "e" ـ تعنى أن يدور المرء بقدم مثبت فى الأرض، يخرج السهم من اليد إلى الهدف: ليس هناك حل وسط، ليس هناك القرن العشرين بين العاشر والثلاثين. إن الرجل يجب أن يكون قادرا على أن يعزل نفسه عن الجنس، وهو فى داخل الإطار نفسه. ويختار إما الكلب أو السمكة الأولية على أنهما نقطة البداية فى الطريق إلى نفسه. لا يوجد مكان للحاصل على الدكتوراه فى الأدب، ولا يوجد هناك مدخل لطبيب الحساسية الجهبذ، وبإدخالهم فى الجنس سوف يكونون على ما يجب عليه، وإلا لن يكونو شيئا. إنهم جديرون، ولا مراء فى ذلك. لكنهم دوما إما "e"epsilom أو "L"Lambda أو "pi"p لكن لن يكونوا أبدا البداية أو النهاية على الإطلاق. والإنسان الذى نتحدث عنه لن يقبل بما يسمى شبه تحقيق الذت التى هى القناع الضخم فى العالم الغربى، فالنمط الذى جاء هائما على وجهه حتى كوبرى طريق سان مارتين، والذى يدخن فى إحدى النواصى، والذى ينظر إلى امرأة تصلح هندام الشرّاب، لديه فكرة، غير عاقلة على الاطلاق، عما يطلق عليه التنفيذ، ولا يأسف لذلك فهناك ما قد يقول له أن البذور تكمن فى اللاعقل وأن نباح الكلب هو أقرب إلى البداية من رسالة دكتوراه تتناول موضوع الحال (gerundie) عند تيرسودى مولينا. يالها من استعارات بلهاء. لكنه يظل يلح على ذلك، فما الذى يبحث عنه؟ وهل يبحث عن نفسه؟ قد لا يبحث عن نفسه إلا إذا وجدها، أى أنه الذى مع نفسه (لكن ذلك ليس خارجا عن نطاق العقلانية، أنا ego لابد من التوجسّ. لا تكاد تترك العقل طليقا حتى يخرج عليك بنشرة خاصة فيقيم أمامك أول قياس منطقى لسلسلة لا تؤدى بك إلى أى مكان إلا إذا اقتصر الأمر على استخراج دبلوم، أو الحصول على شاليه فى كاليفورنيا حيث يلعب الأطفال على السجادة والأم تجلس فى سعادة هانئة). لنر، ولنسر ببطء: ما الذى يبحث عنه ذلك النمط؟ هل يبحث عن نفسه؟ هل يبحث عن نفسه كفرد؟ أى كفرد خارج نطاق الزمان أو ككائن تاريخى؟ فإذا ما كان المقصد

الأخير هو الغرض من البحث، فإنه مضيعة للوقت. أما إذا كان علينا أن نسير ببطء، (يروق له أن يتحدث هكذا كأنه والد يتحدث إلى ابنه، وذلك حتى يأخذ لنفسه بعد ذلك كل المتعة لكل الأبناء ويدوس على عش العجوز) رويدا رويدا فما هى ماهيه ذلك الذى يسمى البحث؟ حسن البحث لا يكون. مقولة لمُاحة. ليس بحثا، لأنه وجد نفسه. لكن اللقاء لم تكتمل. هناك لحم وبطاطس وكراًت، لكن لا يوجد القدر. أى أننا لسنا مع الآخرين فلم نعد مواطنين (إنهم يخرجونى وتعلونى الخرابيش فى كل مكان وتشهد على ذلك لوتيثيا) لكننا لم نعرف كيف نخرج من الكلب لندخل فى ذلك الذى لا اسم له، ولنطلق عليه المصالحة أو العودة إلى المصالحة.

يالها من فظاعة القيام بالبْربَطة فى المياه داخل دائرة نقطة، المركز فيها فى كل مكان، ولا يوجد محيطها فى أى مكان. ما الذى يتم البحث عنه؟ ما الذى يتم البحث عنه؟يجب تكرار ذلك خمسة عشر ألف مرة وكأنها ضربات قادوم على الحائط. ما الذى يتم البحث عنه؟ ما هى تلك المصالحة التى بدونها تصبح الحياة خدعة قاتمة؟ إنها ليست المصالحة التى عليها القديس، ذلك أنه بالنسبة لمفهوم النزول إلى مستوى الكلب والبدء من جديد من هناك، أو من عند السمكة أو القذارة والقبح والبؤس وأى شئ آخر لا قيمة له، فإن هناك شوق ما إلى القداسة. ويبدو أننا نستوحش قداسة غير دينية (ومن هنا يبدأ اللاعقلانى أو التهور). إنها حالة دون اختلاف أو وجود قديس (ذلك أن القديس بشكل أو بآخر، القديس ومن ليسوا بقديسين، وذلك هو ما يثير ذلك النمط المسكين الذى يتأمل ساق الفتاة التى انخرطت فى إصلاح هندام الشرّاب). والمراد هوأنه إذا ما كانت هناك مصالحة، لابد وأن تكون شيئا آخر يختلف عن حالة القداسة، حالة تستبعد من منظور هيّا بنا. لابد وأن يكون شيئا ملازما للذات، دون أن تكون هناك حاجة للتضحية بالرصاص مقابل الذهب. وبالسيلوفان مقابل الزجاج وبالأقل مقابل الأكثر. إنها على العكس، التهور يطالب بأن يساوى الرصاص الذهب وأن يكون الأكثر فى الأقل، إنها كيمياء وهندسة لا صلة لها باقليدس، إنه نوع من عدم التحديد الآتى للأمور الخاصة بالنفس وثمارها. ليس الأمر هو الصعود، وهو المثال العقلى القديم الذى كذبه التاريخ، وهو الجزرة التى لم تعد تخدع الحمار.ليس الأمر الوصول إلى الكمال والتنقية والإنقاذ والاختيار وحرية التأمل والإنطلاق من البداية فى اتجاه

125

النهاية. ها قد أصبحنا. وأصبح أى إنسان. الطلقة فى المسدس لكن يجب الضغط على الزناد لكن الأصبع يقوم باعطاء إشارات حتى يتوقف الأتوبيس أو أى شئ من هذا القبيل.

إن ذلك المدخن الهائم على وجهه، ابن الأرض، يتحدث كثيرا وبطريقة معينة، ها هى الفتاه قد أصلحت من موضع الشراب. أترى؟ إنها أشكال من المصالحة. عذابى هو .... ربما كان كل شئ شديد البساطة. أى عمليةجذب للشباك، أو إصبعا مبتلا من الريق الذى وضع على الجزء الذى تم سحبه. وربما كان يكفى أن نجذب الأنف ونضعه عندمستوى الأذن، وتحويل الظروف إلى أمر تافه. لكن لا، ليس بهذه الطريقة. ليس هناك ما هو أسهل من أن نقذف بالميزان فى وجه ما هو فى الخارج وكأننا على يقين بأن الخارج والداخل هما الدعامتان الرئيسيتان للمنزل. لكن كل شئ فى غاية السوء والتاريخ يقول لك ذلك، أضف إلى ذلك مجرد التفكير فيه بدلا من العيش فيه مما يبرهن لك على أنه سيئ، وأننا وضعنا أنفسنا فى فوضى كاملة وأن كل مواردنا أصبحت ترتدى القناع الاجتماعى والتاريخى والأسلوب الأيّونى وسعادة عصر النهضة والحزن السطحى للرومانسية ونمضى هكذا دون أن ننال شيئا أبدا.

(44)

126

– لماذا، إنك بجمالك الجهنمى انتزعتنى إلى هدوء حياتى الأولى ... كانت الشمس والقمر يصدران ضوءهما إلىّ دون أى تصنّع، وكنت أستيقظ وتطوف بى أفكار رقيقة وعند شروق الشمس أغمض عينى لأؤدى صلواتى لم أكن أرى شيئا سيئا، فلم تكن لى عيون. لم أكن أسمع السوء فلم تكن لى آذان، لكننى سوف أنتقم !

خطاب تفاح الجنّ، فى إيزابيل من مصر.

هاشيم ڤون أرينم[1] Achimvon Arnim

(21)

127

وهكذا حطم العمالقة عش كوكا حتى تبتعد عن الصيدلية وتتركهم وشأنهم. ثم عرجوا مؤقتا، ولكن بجدية، على مناقشة نظام ثيفيرنو بيريز Ceferino Piriz وأفكار موريلّى. ولما كان موريلى غير معروف بشكل جيد فى الأرجنتين، فقد أعطاهم أوليڤيرا الكتب وحدثهم عن بعض الملاحظات المتفرقة التى عرفها فى زمن سابق، فاكتشفوا أن ريمورينو، الذى كان يواصل عمله كممرّض والذى كان يظهر عند تناول الشاى، وكئوس الكانيا، كان ممن يفهمون روبرتو أرلوت Roberte Arlot جيدا، وهذا ما استلفت انتباههم بشدة. وعلى ذلك فقد ظلوا طوال أسبوع كامل لا يتحدثون عن أحد إلا عن أرلوت وكيف أن أحدا لم يتعرض له أو بذكره فى بلد يفضّل العمالقة.. إلا أنهم كانوا يتحدثون عن ثيفيرنو بجدّية بالغة. وبعد كل فترة، ينظرون إلى بعضهم البعض بطريقة خاصة، بأن يرفعوا عيونهم فى وقت واحد ويدرك ثلاثتهم أنهم يفعلون نفس الشئ، أى ينظرون إلى بعضهم بطريقة خاصة وغير مفهومة وكأنها نظرات فيها خداع مثل حال ذلك الرجل الذى يحب حُبا جمّا وليس أمامه إلا أن يتحمل تناول الشاى مع حلوى «الماساس» ووجود بعض السيدات، وكذلك عقيد متقاعد يقوم بشرح السبب الخاص بأن كل شئ سيئ فى البلاد. ينظر الرجل إلى الجميع وهو جالس على الكرسى، ينظر إلى العقيد والنساء وإلى المرأة التى يعشقها وعماتها، ينظر إليهم بلطف. ففى الحقيقة إنه لأمر مخجل أن تكون البلاد فى يد عصابة من الشيوعيين، حينذاك من عجينة الكريم، والثالثة التى على يسار الصينية والملعقة الصغيرة الموضوعة بشكل عادى على المفرش الذى قامت العمّات بتطريزه. ترتفع النظرة الرقيقة إلى أعلى لحظة ومن فوق الشيوعيين تلتقى فى الهواء مع النظرة الأخرى التى صعدت من عند السكريّة المصنوعة من مادة بلاستيكية خضراء اللون، ولا يوجد شئ. إنها نهاية خارج نطاق الزمان تصبح سرًّا لذيذا وإذا ما كان رجال اليوم رجالا عن حق يا فتى وليسوا بهذا الابتذال والانحطاط («لكن ياريكاردو!» «حسن يا كارمن، لكن يثيرنى ى - ث - ى - ر - ن - ى ما يحدث فى البلاد»). فى الزمان والمكان، كانت هذه نظرة العمالقة عندما كان يعن لهن بين الحين والآخر أن ينظروا إلى بعضهم نظرة عابرة وكاملة. فيها سرّية لكنها أكثر وضوحا عن النظرة المطوّلة، لكن ليس التعلق من أجل شئ كما تقول كوكا لزوجها، كان الثلاثة يحكون ويخجلون كثيرا لأنهم نظروا إلى بعضهم دون أن يلعبوا ودون أن يكون بينهم عشق محرّم. إلا إذا.

(56)

128

نحن بعض الأشخاص فى هذا الزمان، نريد مهاجمة الأشياء ونجعل فى داخلنا مساحة للحياة، ساحة أخرى لم تكن موجودة ولم تكن واجبة الوجود فى هذا الكون.

ARTAUD, Le pese- nerfs

(–24)

129

لكن ترافلر لم ينم، إذ كان الكابوس يطوف حوله بعد محاولة أو محاولتين وفى النهاية جلس فى السرير أشعل النور. لم تكن تاليتا هناك. إنها تسير وهى نائمة، إنها فراشة السهاد. شرب ترافلر كوبا من الكانيا ورتدى جاكتة البيجامة. بدا أن الكرسى الخيرزان أكثر رطوبة من السرير.كانت الليلةجميلة لمواصلة دراسة ثيفيرينو بيريز.

لقد تفرنس ثيفيرينو! لكن لا خطر فى ذلك، «فنور سلام العالم» الذى يمسك ترافلر بخلاصته جيدا كان مكتوبا بلغة أسبانية يثير أسلوبها الإعجاب مثل هذه الفقرة من المقدمة:-

أقدم فى هذا البيان بعض الأجزاء النى نقلتها من كتاب ألفته حديثا يحمل العنوان التالى «نور سلام العالم» ذلك العمل تم تقديمه أو هو مقدم حاليا فى مسابقة دولية... لكن لا يمكن لى أن أرسل لكم ذلك العمل كاملا ذلك أن المجلة التى تنشره لا تسمح ـ لبعض الوقت ـ أن يتم تقديم ما نشرته فى شكله النهائى إلى أشخاص لا علاقة لهم بها ..وعلى ذلك فإننى، فى هذا البيان، أقتصر على إرسال أجزاء من ذلك العمل، أى تلك التى سوف تقرؤنها فى السطور التالية والتى لا يجب أن تنشر فى الوقت الراهن.

إنه نص أكثر وضوحا بكثير من نص مماثل لخوليان ماریاس على سبيل المثال. ويتم الاتصال بالعمل بعد تناول كأسى الكانيا، وإلى هنا طاب لترافلر الستيقاظ. كانت تاليتا تروح وتغدو هناك، وقد أسرفت فى الرومانسية، وللمرة العاشرة دخل فى جو النص الذى كتبه ثيفيرينو.

يتولى هذا الكتاب تقديم ما يمكن أن نطلق عليه «التوليفة الكبرى من أجل السلام العالمى» وبذلك يدخل فى تركيبته الكبرى كل من عصبة الأمم أو الأمم المتحدة. وتنحو هذه العصبة إلى انتهاج القيم (العظيمة ... إلخ) وتتجه إلى السلالات البشرية. وأخيرا هناك مثال لامراء فيه على المستوى الدولى، فى بلد هو مثل حقيقى، فهو يتكون من خمس وأربعين مجلسا وطنيا أو وزارات مما هو بسيط، ومن سلطات وطنية.

العبارة كما هى: وزارة مما هو بسيط. آه يا تيفيرينو، أيها الفيلسوف الطبيعى المتخصص فى جمع الأعشاب من الجنان التى فى أوروجواى، والذى تطير فوق السحاب...

ومن ناحية أخرى فإن الصيغة الكبرى فى مقاساتها الخاصة بها، ليست بعيدة، على التوالى، عن عالم العرافين وعن طبيعة المبادئ الأولية. ولا عن المقاسات الطبيعية التى لا تسمح بأى نوع من التغير فى تلك التوليفة التى تقدم نفسها بنفسها ... إلخ

كما هذ العادة. يبدو أن العالم يحن إلى العرافة والحدس، لكن عندما يتم أول تغيير فى خط التصنيف على الطريقة الغربية ندخل مباشرة ونقوه فى مزرعة ثيفيرينو، وبين كل كوب من الشاى كان ينظم الحضارة على ثلاثة مراحل:

المرحلة الأولي للحضارة

يمكن تصورّ مرحلة أولية فى الحضارة والتى تبدأ من زمن غير معروفة بدايته فى الماضى وتستمر حتى عام **1940**. وتتألف هذه المرحلة فى أن كل شئ يتجه إلى الحرب العالمية خلال عام **1940**.

المرحلة الثانية للحضارة

يمكن أيضا تصور مرحلة ثانية من الحضارة والتى تبدأ من عام **1940** وتستمر حتى عام **1953** وهى مرحلة تتسم باتجاه كل شئ نحو السلم العالمى أو إعاة بناء العالم.
(إعادة بناء العالم: أى أن يبقى كل من هذا العالم على ما لديه، وإعادة البناء بطريقة فعالة، إعادة بناء ما تم تدميره قبل ذلك: المبانى وحقوق الإنسان وتوازن الأسعار عالميا... إلخ.)

المرحلة الثالثة للحضارة

واليوم يمكن تصور مرحلة ثالثة للحضارة والتى تبدأ من عام **1953** وحتى عام **2000**، وهى مرحلة تهدف إلى أن يسير كل شئ فى خط تنتظم فيه الأمور كلها بفعالية.

هذا أمر بديهي بالنسبة لتوينبى[1] Toynbee ... لكن النقد يقف صامتا أمام الطرح الأنثربولوجى لثيفيرينو:

والآن فإن بنى الإنسان هم أمام تلك المراحل المذكورة:

أ) البشر الذين يعيشون فى المرحلة الثانية فى تلك الأيام، لم يخمّن أغلبهم ما عليه المرحلة الأولى.

ب) أما البشر الذين يعيشون، أو نحن الذين نعيش هذه المرحلة الثالثة لم يخمن معظمنا ما عليه المرحلة الثانية. و.

ج) وفى الغد القريب والذى سوف يبدأ اعتبارا من عام **2000** فإن بنى البشر فى تلك الأيام وفى تلك الأيام لن يخمنوا المرحلة الثالثة التى نعيشها اليوم.

كان حقيقيا فى عبارته «أغلبهم لم يفكر» beatr pauperes spiritu وها قد عرج ثيفيرينو على بول ريقيت[2] أى بالنزول من مرحلة التصنيف التى كانت متعه فى الأمسيات التى قضيناها فى حوش السيد كريسبو، لنرى:

يمكن أن نعدد وجود ست سلالات بشرية فى العالم: البيضاء والصفراء والداكنة والسوداء والحمراء واليمبى.

السلالة البيضاء : ينسب إلى تلك السلالة كل السكان من ذوى الجلد الداكن بطبيعتة مثل الروس فهم داكنون والأتراك كذلك والعرب والغجر ... إلخ

السلالة الصفراء : ينسب إلى تلك السلالة كل السكان من ذوى الجلد الأصفر مثل الصينيين واليابانيين والمغول والهندوس فى أغلبهم.

السلالة السوداء : ينسب إلى تلك السلالة كل السكان من ذوى الجلد الأسود مثل أغلب سكان أفريقيا الشرقية ... إلخ

السلالة الحمراء : ينسب إلى تلك السلالة كل السكان من ذوى الجلد الأحمر وهم أغلب سكان أثيوبيا من ذوى الجلد الأحمر القاتم حيث نجد أن النجاشى Negus أو ملك إثيوبيا أحمر اللون: وهناك عدد كبير من الهنود من ذى الجلد الأحمر الغامق أو لون القهوة. وأغلب السكان المصريين من أصحاب الجلد الأحمر الغامق .... إلخ

السلالة اليمبى : ينسب إلى هذه السلالة كل السكان من ذوى الألوان المتعددة أو اليمبى مثل الهنود فى القارات الأمريكية الثلاث.

– كان لابد أن يكون أوراثيو هنا ـ تحدث ترافلر إلى نفسه ـ إنه قادر على التعليق على هذا الجزء بشكل جيد جدا. ولم لا؟ لقد تعثر المسكين ثيفى فى الصعوبات الكلاسيكية للتصنيف المصَمَّغ ويفعل ما بوسعه مثلما يفعل لينيّو، أو يسير على هَدْى التلخيصات التى توجد فى الموسوعات. فيما يتعلق بالسلالة الداكنة فقد كان الحل عبقريا ، وعلىّ أن أعترف بذلك.

كان يسمع صوت خطوات فى الطرقة فأطل ترافلر من الباب المؤدى إلى الجناح الإدارى. وطبقا لما قد يقول ثيفيرينو كان الباب الأول والباب الثانى والباب الثالث مغلقين. لقد عادت تاليتا إلى الصيدلية. كان حماسها بالعودة إلى العلم أمر لا يصدق فقد عادت إلى الموازين الصغيرة والعبوات المضادة للحمى. أخذ ثيفيرينو يصف بعد ذلك عصبة الأمم النموذج بالنسبه له:

إنه مجتمع قائم على أى جزء فى العالم بما فى ذلك أفضل مكان فى أوربا. إنه مجتمع يعمل بصفة مستمرة وبالتالى فكل الأيام، أيام عمل. إنه مجتمع يوجد فى ميدانه الكبير مالا يقل عن سبعة غرف فسيحة أو مقار ضخمة ... إلخ

والآن، وهناك غرفة من الغرف السبعة لهذا المجتمع، يجب أن يجتمع فيها ممثلو الدول التى سكانها من السلالة البيضاء، ويكون رئيسهم من نفس اللون بينما يجتمع ممثلون عن الدول التى سكانها من السلالة الصفراء فى الغرفة الثانية ويكون الرئيس من نفس اللون والغرفة الثالثة ....

وهكذا كافة السلالات، وبذلك يمكن تجاوز هذا التعدد لكن لم يكن الأمر نفس الشئ بعد تناول أربعة كؤوس من الكانيا (من ماركة ملايبوسا وليس أنكاب. وهذا أمر مؤسف لأن التكريم الوطنى كان مناسبا فى تلك اللحظة) لم يكن الأمر كما هو على الإطلاق، لأن مكبر ثيفيرينو أصبح فكرا فى البلوّريات ويتخثر بكل ما فيه من نقاط الالتقاء والتقاطعات الهندسية. ويحكمه التوازى و horror vacui أى أن

... الغرفة الثالثة يجب أن يجتمع فيها أعضاء الدول التى سكانها من السلالة الداكنة ورئيسها من نفس اللون، والغرفة الرابعة يجب أن يجتمع فيها أعضاء الدول

السوداء ورئيسها من نفس اللون، والخامسة يجتمع فيها أعضاء من الدول ذات السلالة الحمراء ورئيسها من نفس اللون والسادسة يجتمع فيها من أعضاء الدول ذات اللون البمبى ورئيسها من نفس اللون ... و- الغرفة السابعة تجتمع فيها رئاسة الأركان لعصبة الأمم هذه.

آثار إعجاب ترافلر هذا التمييز الذى خصه لأداة التعريف عند الحديث عن الغرفة السابعة التى توقف التبلور الدؤوب للنظام مثل حديقة الياقوت «الأزرق الغامضة»، تلك النقطة الغامضة للجوهرة التى قد تحدد اندماج النظام وأن تلك النقطة تشع صليبا سماوى اللون من الياقوتة الزرقاء، وكأنها طاقة تجمدت فى قلب الحجر (ولماذا كانت تسمى بالحديقة إلا إذا كان ذلك لتخيل حدائق الأحجار الكريمة فى المشرق؟)

هناك المزيد من التفاصيل تتعلق بالغرفة السابعة، فى الغرفة السابعة الكائنة فى قصر عصبة الأمم لابد أن يكون متواجدا فيها الأمين العام لهذا المجتمع، والرئيس العام فى الوقت ذاته كما يجب أن يكون هناك السكرتير المباشر للرئيس العام المذكور.

هناك المزيد من التفاصيل: حسن. لابد أن يوجد فى الغرفة الأولى رئيسها هو الذى يتولى رئاسة هذه الغرفة الأولى. فإذا ما تحدثنا عن الغرفة الثانية نفس الشئ، وإذا ما تحدثنا عن الغرفة الثالثة نفس الشئ. وإذا ما تحدثنا عن الغرفة الرابعة نفس الشئ وإذا ما تحدثنا عن الغرفة الخامسة نفس الشئ وإذا تحدثنا عن الغرفة السادسة نفس الشئ كان من المثير للشجن لدى ترافلر أن عبارة «نفس الشئ» لابد وأن كلفت ثيفى كثيرا . ولم تكن إلا نوعا من التطلف غير العادى بالقارئ، لكن ها هو فى قلب الموضوع وأخذ يعدد ما كان يسميه «أول أوليات أعمال عصبة الأمم النموذج» ie:

١) النظر (وذلك تفاديا لقول وضع) فى قيمة أو قيم المال فى تداوله الدولى.(٢) تحديد يوميات العمال وكذا رواتب الموظفين ... إلخ (٣) تحديد القيم لصالح ما هو دولى (إعطاء أو وضع لكل سلعة قابلة للبيع وإعطاء الأشياء الأخرى قيمة وجدارة: كم من الأسلحة يجب أن تتوفر لدى أمة. وكم طفلا يجب أن تلدهم المرأة من خلال اتفاق دولى ... إلخ)(٤) ما الذى يجب أن يتلقاه المرء من المعاش عند الوصول إلى سن

التـقـاعـد (٥) وكم عـدد الأطفـال الذين يجب أن تلدهم كل امـرأة فى العـالم (٦) وعن التوزيع العادل للأراضى الدولية ... إلخ

– لماذا ذلك التكرار فى موضوع حرية الحمل والنمو السكانى؟ كان ترافلر يتسـاءل فعند رقم (3) يفـهم الموضـوع كقيمـة وفى البند الخامس يفـهم على أنه قضيـة محـددة تتعلق بأهليه المجتمع. إنها مخالفات مثيرة للفضول تخرق قاعدة التوازى ودقة التعديد المتـوالى الذى لا يرحـم، والتى قـد تشـيـر إلى نوع من القلق والشك فى أن النظام الكلاسيكى لم يكن إلا تضحية بالحقيقة والجمال. لكن ثيفى يتعافى من هذه الرومانسية التى يشمها ترافلر فى سطوره ويعود إلى نوع من التصنيف المتزن:

توزيع أسلحة الحرب:

من المعروف أن كل بلد فى العالم له عدد معين من الكيلومترات المربعة من الأراضى.

وها نحن نقدم مثالا على ذلك:

أ) إذا مـا افترضنا أن هنـاك بلدا مساحته ألف كيلو متر مربع لابد أن يتوفر لديه ألف مدفع. وإذا مـا افترضنا أن هناك بلدا مساحته خمسة آلاف كيلو مترا مربعا لابد أن يتوفر لديه خمسة آلاف مدفع ... إلخ

(وفى هذا المقام الذى نرى بوجود مدفع لكل كيلو متر مربع)

ب) والبلد الذى يفترض أن مساحته ألف كيلو متر مربع لابد أن يتوفر لديه ألفى بندقية والبلدالذى يفترض أن مساحتة تبلغ خمسة آلاف كيلو متر مربع لابد أن يتوافر لديه عشرة آلاف بندقية إلخ..

(أى أن هناك بندقيتين لكل كيلو متر مربع) الخ.

هذا المثال يجب أن يندرج على كل البلاد الموجودة: ففرنسا لديها 2 بندقية لكل كيلو متربع مربع. وأسبانيا نفس الشئ وبلجيكا نفس الشئ، وروسيا نفس الشئ، والولايات المتحدة نفس الشئ، وأوروجواى نفس الشئ، والصين نفس الشئ. كما يجب أن تتوفر لديهـا كل أنوع الأسلحـة الموجـودة أ) الدبابات ب) الرشـاشـات جـ) القنابل المرعـبـة، والبنادق ... إلخ

(139)

130

أخطار السوستة

أشارت الجريدة الطبية البريطانية British Medical Journel إلى تعرض الأطفال لنوع جديد من الحوادث. وهذه الحوادث سببها السوستة. فبدلا من الأزرار لرغلاق فتحة البنطلون الأمامية تستخدم السوستة (كتب مارسلنا الطبى)

وتكمن المشكلة فى أن الفلقة تتعرض للخطر من جراء السوستة، وقد سُجلت اثنين من الحالات كما تم إجراء عملية الطهارة فى كلتا الحالتين، وذلك لتخليص الأطفال من هذه المتاعب وتزداد حالات وقوع مثل هذا الحادث عندما يذهب الطفل وحده الى المرحاض. وعند محاولة مساعدته يمكن أن يرتكب الوالدان خطأ متمثلا فى جذب السوستة فى اتجاه معاكس، والطفل ليس فى وضع يسمح له بالقول فى كيفية وقوع الحادث هل كان من جراء سحب السوستة إلى أعلى أم إلى أسفل. وإذا ما تمت طهارة الطفل فإن الخطر أعظم.

وينوه الطبيب أنه إذا ما قمنا بقطع الجزء السفلى من السوستة باستخدام بنسة أو كماشة يمكن فصل كلا طرفى السوستة ببساطة. لكن لابد من وضع بنج موضعى لاستخراج الجزء الذى دخل فى الجلد.

جريدة الأويزيرفر ـ لندن

(151)

131

– ما رأيك فيما لو دخلنا فى التجمع الوطنى لرهبان صلاة التصليب

– بين ذلك وبين الدخول فى ميزانية الأمة ...

– ستكون مشاغلنا كثيرة ـ قال ترافلر وهو يراقب تنفس أوليفيرا ـ أتذكر الأمر جيدا، إذ ستكون واجباتنا عبارة عن الصلاة أو الإشارة بعلامات الصليب على الأفراد والأشياء وتلك الأقاليم الغامضة التى يسميها ثيفيرينو تلك الأماكن بالنواصى

– هذا لابد أن يكون مكانا واحدا ـ قال أوليفيرا وكأنه يتحدث من بعيد ـ إنه مكان واحد يا أخى.

– كما سنشير بعلامة الصليب إلى المزارع وإلى الخُطّاب الذين أثر عليهم أحد المنافسين. ولما كنت أفكر فيه الآن فإن تيفى من أوروجواى.

لم يجبه ترافلر بشئ، ونظر إلى أوبيخيرو الذى كان قد دخل وانحنى ليجس نبض الهستيريا الصباحية.

– قال أوليفيرا باهتمام :

– على الرهبان أن يحاربوا كل سوء روحى.

– قال أوبيخيرو لتشجيعه :

– آه .

(58)

وكما هى العادة فإن هناك من يقوم بشرح شئ ما، فأنا لا أعرف لماذا أنا فى المقهى، وفى كل المقاهى، فى اليفانت آندكاستيل Elephante and Castel، فى دوبون باربى Dupont Barbes وفى ساشير Sacher وفى بدروتش Pedrocchi وفى خيخون (مدريد) Gijon وفى الجريك (روما) Greco وفى مقهى بيكسPaix وفى مقهى موزار (فيينا) Mozart وفى فورينا (فينسيا) Florina وفى الكابولاد Capoulade وفى لى دوماجوت Led Deux Magots وفى البار الذى يخرج الكراسى إلى ميدان كوليون Calleone وفى مقهى دانتى الواقع على بعد خمسين مترا من مقبرة Escaligeres ويبدو الوجه كأنه قد احترق بدموع القديسة مريم المصرية، وقد وضع فى تابوت وردى اللون فى المقهى المواجه لليجوديكا Giudeca، برفقة العجائز من أصحاب لقب الماركيز وهم يحتسون الشاى بكل التفاصيل الممكنة وبطريقة مطوّلة، مع سفراء مزيفين علا التراب وجوههم، فى مقهى خانديا Jandilla وفى فلوكاوس Flocaos وفى كلونى Cluny وفى ريشموند Richmand وفى أولمو Olmo وفى كلوسيد دى لبلاس closerid de lilasوفى إستيفان Stephane (الكائن فى شارع مالارميه) وفى مقهى طوكيو (الواقع فى شارع شيفيلكوى) Chivilcoy وفى مقهى أوشيا Au chien qui Fume وفى أوبرن كافية Opern cafe†وفى دوم Dome وفى مقهى دى ڤيو بورت Cafe du Vieux part† وفى أى مقهى فى أى مكان حيث

نقوم بالضبط طواعية

ومغتبطين بأكثر من عزاء عارض بينما تدخل

الرياح فى جيوب ناعمة

وواسعة للغاية

هارت كران Hart Crane، dixit. لكن المقاهى هى أكثر من ذلك، فهى الأرض المحايدة للذين لا روح لهم، ومركز العجلة حيث يمكن للمرء أن يبلغ ذاته أقصى سرعة، ويرى نفسه وهو يخرج ويدخل، وكأن به مس، إما بمرافقة النساء، أو سندات مصرفية أو رسائل دكتوراه فى نظريات المعرفة. وبينما يقوم بتقليب القهوة فى الفنجان الذى ينتقل

132

من فم إلى فم عبر الأيام، يمكن له أن يقوم بمراجعة النفس ومعرفة حصاد العمر وقد أصبح بعيدا عن الأنا الذى دخل المقهى للتو، وبعيدا أيضا عن الأنا الذى سوف يخرج منها فى غضون ساعة. يصبح شاهدا على نفسه وقاضيا كذلك، وكاتب سيرته الذاتية بطريقة ساخرة فى وقت قصير جدا.

أتذكر الأحلام وأنا فى المقهى، فالواحد منهايستدعى الآخر. وها أنا الآن أتذكر أحدها، لكن لا، إننى أتذكر فقط بأننى لابد وأن حلمت حلما جميلا وشعرت أننى طردتُ من الحلم فى النهاية (أو أننى ذهبت ولكن بالقوة) ويقى الحلم وراء ظهرى. كما أننى لا أعرف فيما إذا كان هناك باب أغلق من ورائى أم لا. أميل إلى قبول الاحتمال الأول. وبالفعل يتم الفصل بين الحلم (كاملا وكرويا ومنتهيا) وبين ما هو الآن. لكنى واصلت النوم. أى أننى حلمت أيضا بالطرد والباب الذى أغلق. كانت هناك لحظة يقين رهيبة، تسيطر على تلك اللحظة الانتقالية فى الحلم: وهى أننى أعرف أن ذلك الطرد يحمل فى طياته النسيان الكامل للشئ العجيب السابق. وأتصور أن الإحساس بالباب المغلق كان ذاك، أى النسيان الفورى والرهيب. لكن المثير هو تذكرى بأننى حلمت أننى صهر الحلم السابق، وأن ذلك الحلم لابد أن ينسى (فأنا قد خرجت من دائرته المنتهية)

أتصور أن كل ذلك له جذور فى فِرْدَوُسيَّة. وربما كان الفردوس - مثلما يريدونه هناك - نوعا من الإسقاط الأسطورى الشعرى للحظات الطيبة التى تعود ما قبل المخاض، والتى لازالت عالقة باللاشعور. وفجأة أشعر بالحركة الرهيبة التى يقوم بها آدم فى لوحة للفنان ماساكسيو Masaccio. إنه يغطى وجهه ليحمى ناظريه، وما كان له. إنه يحتفظ فى تلك الليلة بآخر مشهد من الجنة. ويبكى (فالحركة هى نفسها التى ترافق لحظات البكاء) عندما يدرك أن لا جدوى وأن الإدانة الحقيقية هى ذاك الذى يبدأه: نسيان الفردوس، أى البعد الحيوانى والسعادة الرخيصة والقذرة من العمل وعرق الجباه والإجازات المدفوعة.

(61)

فكر ترافلر بسرعة فى أن المهم هو النتائج. ومع ذلك فلماذا الكثير من البراجماتية؟ إنه يتخذ موقفا ظالما من ثيفيرينو ذلك أن نظامه الجيوبولتيكى لم يتم التدريب عليه مثل غيره من الأنظمة المتهورة (وعلى ذلك يجب الاعتراف بأنها لا تخرج عن كونها وعدا) بقى ثيفى رابط الجأش على أرض التنظير ثم دخل بشكل شبه فورى فى بيان فعلى قوىّ

عمال اليومية فى العالم:

طبقا لعصبة الأمم سوف يكون أو يجب، فيما إذا كان هناك عامل فرنسى على سبيل المثال يعمل حدّادا ويكسب دخلا يوميا قدره ثمانية دولارات أمريكية كحد أدنى وعشرة دولارات كحد أقصى، إذن لابد أن يكسب الحداد الإيطالى بنفس الدرجة أى بين ثمانى وعشرة دولارات فى اليوم الواحد وأكثر من هذا: فإذا ما كان الحدّاد الإيطالى يكسب ما سبقت الإشارة إليه أى بين ثمانى وعشرة دولارات يوميا. وأكثر: إذا ما كان حداد أسبانى يكسب بين ثمانية وعشرة دولارات يوميا فإن الحداد الروسى لابد أن يكسب بين ثمانية وعشرة دولارات يوميا إلخ وأكثر: إذا ما كان الحدّاد الروسى يكسب بين ثمانية وعشرة دولارات يوميا؛ فإن الحداد الأميريكى يجب أن يكسب بين ثمانية وعشرة دولارات ... إلخ

– ما هو السبب فى هذه الـ «إلى آخره) - تحدث ترافلر مع نفسه - وأن ثيفيرينو يتوقف فى لحظة معينة ويختار «إلى آخره»، وهى عبارة مؤلمة بالنسبة له؟ التعب من التكرار لا يمكن أن يكون التفسير الوحيد، فمن البديهى أنه سعيد بالتكرار (فالأسلوب ينطق به) الأمر إذن هو أن «إلخ» تدخل بعض الحنين على ثيفيرينو، الرجل الكونى الذى يضطر إلى استخدام عباره تثير الغيظ. فالمسكين ينتقم من ذلك بأن يضيف المزيد إلى قائمة الحدّادين:

(وفى هذا المقام يمكن أن تنضم كل البلاد على التوالى أو على الأصح جميع الحدادين فى كل البلاد).

«عموما» فكر ترافلر، وهو يتناول كأسا آخر من الكانيا وقد قلل من تركيزها بإضافة الصودا «من الغريب أن تاليتا لم تعد» لابد من الذهاب للبحث عنها. كان يشعر

بالأسف للخروج من عالم ثيفيرينو وقد تكامل وخاصة عندما أخذ ثيفى يعدد الخمس وأربعين مجلسا وطنيا التى يجب أن تكون أساس بلد نموذج.

١) المجلس الوطنى لوزارة الداخلية (يتضمن كل الأفرع والموظفين الذين يعملون لدى وزارة الداخلية) (العمل على إقرار النظام والهدوء .. إلخ) ٢) المجلس الوطنى لوزارة المالية (يتضمن الأفرع والموظفين الذين يعملون لدى وزارة الماليه) (العمل على الإشراف وعلى الحماية لكل المال (كل الممتلكات) فى إطار الأراضى التابعة للوطن... إلخ)(٣)

وهكذا يعدد المجالس الوطنية حتى رقم **45** لكن تبرز من بينها أرقام **5**، **10**، **11**، **12**:

٥) المجلس الوطنى لوزارة الخطوة المدنية (يتضمن كل الأفرع والموظفين الذين يعملون لدى وزارة الخطوة المدنية). (التعليمات والبيان، وحب الغير، والرقابة، والسجلات (كتاب..) والصحة، والتربية الجنسية.. إلخ) (الإدارة أو الرقابة والسجلات (محامى..) وعليه أن يحل محل «محاكم التحقيقات» والمحاكم المدنية» و«مجلس الطفل» و«قاضى الأحداث» و«السجلات»: المواليد والوفيات .. إلخ) (يجب أن يتضمن الإشراف كل ما يتعلق بالخطوة المدنية: العلاقات الزوجية والآباء والأبناء والجيران ومحل الإقامة والفرد، والفرد صاحب السلوك الحسن أو السلوك غير الحسن والفرد الذى لا يتصرف باحترام للمشاعر العامة والفرد الذى يعانى من الأمراض، والمسكن (الأسرة و) والشخص غير المرغوب فيه ورئيس الأسرة والطفل والحدث والخطيب والعاشق ...إلخ...

١٠) المجلس الوطنى للاقامة (كل المقار الريفية الخاصة بما تلده الحيوانات وكل الموظفين الذين تضمهم المبانى المذكورة) (نتاج الحيوانات الكبيرة مثل الثيران والخيل والنعام والفيلة والجمال والزراف والحيتان .. إلخ)

١١) المجلس الوطنى للمزارع (كل المزارع التى تنتج المحاصيل أو البرك الضخمة وكل الموظفين الذين تضمهم المبانى). (زراعة كل أنواع المحاصيل ما عدا الخضروات وأشجار الفاكهة).

١٢) المجلس الوطنى لمزارع تربية الماشية (كل المقار الخاصة بالمواشى صغيرة السن، وكل الموظفين الذين يعملون فى دائرتها) (المواشى الصغيرة، أو صغار الحيوانات غير كبيرة الحجم الخنازير والخراف والماعز والكلاب والفهود والأسود والقطط والأرانب والدجاج والبط والنحل والأسماك والفراشات والفئران والحشرات والميكروبات .. إلخ)

هذا التلهى أنسى ترافلر الوقت وكيف أن محتوى الزجاجة أخذ يتناقص. بدت المشاكل أمامة كمداعبات: لماذا يستثنى الخضروات وأشجار الفاكهة؟ لماذا كان شكل كلمة «نحلة» فيه نوع من الشيطانية؟ كذلك تلك الرؤية الفردوسية التى تصف بركة يعيش حولها الماعز إلى جوار الفهود والفئران والفراشات، والأسود والميكروبات .... أخذ يضحك مستغرقا وخرج إلى الطرقة. إن المشهد يكاد يلمس وهو يتمثل فى مقر حيث - نجد - كل - الموظفين - يتناقشون فى محاولة تربية حوت هذه الصورة تتغلب على الصورة الفقيرة للطرقة أثناء الليل. لقد كان هذيانا جديرا بالمكان والزمان. وبدا أنه من البلاهة التساؤل ما الذى تفعله تاليتا فى الصيدلية أو الحوش فى الوقت الذى تتوالى فيه المجالس الوطنية وكأنها صف من اللمبات المضاءة.

٢٥) المجلس الوطنى للمستشفيات والمبانى المشابهة (كل المستشفيات بجميع أنواعها، وورش الإصلاح، وأماكن دبغ الجلود ومراكز علاج الخيل وعيادات الأسنان ومحلات الحلاقة ومحلات تقليم النباتات، ومراكز علاج المطفات المعقده... إلخ. وكذا كل الموظفين الذين يعملون داخل نفس الدائرة.

- ها هو - قال ترافلر - ها هو البرهان الذى يؤكد صحة ثيفيرينو. كان أوراثيو على حق فلا يجب أن تقبل الأنظمة كما يلقى بها إلينا بابا. كان ثيفى يرى أن إصلاح أى شذوذ يستلزم قيام طبيب الأسنان يتولى شئون الملفات المعقدة.. إن الحوادث لها نفس أهمية الجوهر .... لكنها هى الشعر نفسه يا أخى.يقوم ثيفى بكسر القشرة العقلية الصلبة كما قال أحد لست أدرى من هو، ثم يبدأ فى رؤية العالم من منظور مختلف. ومن الواضح أن هذا هو ما يطلق عليه أنه ثمل.

عندما دخلت تاليتا كان يقرأ عن المجلس الوطنى رقم (28):

٢٨) المجلس الوطنى للمخبرين العلميين الجوّالين، وكذا المراكز العلمية (يشمل كافة أماكن المخبرين و (أو) بوليس التحقيقات، وكافة أماكن من يقومون بالتقصى وكافة الأماكن الخاصة بمن يقومون بالتقصى وكافة الموظفين الذين يعملون فى نفس الدائرة.) كل الموظفين المشار إليهم يجب أن ينسبوا إلى طبقة تسمى «الجوال»)

هذا الجزء لم يرق كثيرا لتاليتا وترافلر، إذ يبدو أن ثيفيرينو يتخلى سريعا عن قلق يطارده. وربما لم يكن المخبرون العلميون مجرد أناس يقومون بالتحريات، فصفة «الجوال» تضفى عليهم جوا من الكيخوتية، ولم يجد ثيفى أى حرج من التأكيد عليه.

٢٩) المجلس الوطنى للمخبرين العلميين المتخصصين فى كل ما يتعلق بالالتماسات وكل الدوائر العلمية التابعة (تشمل كافة أماكن المخبرين و (أو) بوليس التحريات وكافة أماكن من يقومون بالتحرى وكافة الموظفين الذين يعملون فى الدائرة). (يجب أن ينتسب كل هؤلاء الموظفين إلى طبقة تسمى «التماس» ويجب أن تعامل الأماكن والموظفين المتخصصين معاملة خاصة تختلف عن باقى الطبقات مثل الطبقة المسمّاة «الجوّالة»)

٣٠) المجلس الوطنى للمخبرين العلميين فى مجال التقليم لهدف معين وكذ المراكز العلمية (يشمل كل أماكن المخبّرين و (أو) بوليس التحريات وكافة أماكن من يقومون بالتقصى وكل الموظفين الذين يعملون فى نفس الدائرة). (وكل هؤلاء الموظفين المذكورين يجب أن ينتسبوا إلى طائفة يطلق عليها «التقليم» ويجب أن يكون هؤلاء والأماكن التابعة لهم على درجة مختلفة أى على نفس شاكلة «الجوالة» و«الالتماس»)

يبدو وكأنه يتحدث عن قواعد للفروسية ـ قالت تاليتا بلهجة فيها اقتناع ـ لكن الغريب فى هذه المجالس الثلاثة الخاصة بالمخبرين هو أنه لا يذكر إلا الأماكن.

– هذا من جانب ومن جانب آخر ما معنى مقولة «تعليم لغرض»؟

– لابد أنها كلمة واحدة «قريب» لكنه لا يحمل المشكلة. لا أهمية لذلك.

– ماذا يهم ـ كرر ترافلر ـ أنت على حق. الشئ الجميل هو وجود عالم فيه مخبرين جوالين و«التماس» و«تقليم». ولهذا يبدو لى طبيعيا أن ثيفى ينتقل الآن من الفروسية

إلى الطوائف الدينية، مع وقفة تعتبر تنازلا للروح العلمية (لابد وأن يوضع لها اسما) لهذه الأزمان. أقرأ عليك.

٣١) المجلس الوطنى للمتخصصين فى العلوم الخاصة بما هو أمثل، وكذلك دور العلم (كل الدور وأماكن طائفة هؤلاء المتخصصين وكل المتخصصين أنفسهم). المتخصصون فيما هو أمثل: الأطباء والأطباء الشعبيين (كل جراح) والمولدات والفنيين والميكانيكيين (كافة أنواع الميكانيكيين) والمهندسين من الدرجة الثانية أو المعماريين فى كافة الأفرع (كل من يقوم بتنفيذ رسم وضع، وصمم مسبقا مثل المهندسين من الدرجة الثانية) ومن يقومون بعمليات التصنيف، وعلماء الفلك والنجوم والعرافين والأساتذة فى كل فروع القانون أو القوانين (كل من هو فنى) والقائمين بالتصنيف لأنواع عامة، والمحاسبين والمترجمين ومدرسى المدارس الإبتدائية (وكل مؤلف) والباحثين - من الرجال - عن السفاحين، والمحنكين أو المرشدين ومن يقومون بتطعيم النباتات والحلاقين..إلخ.

– ماذا أنت قائلة ! - قال ترافلر وهو يشرب كأس كانيا دفعة واحدة - إنه عبقرى!

– قد يكون بلدا مناسبا للحلاقين - قالت تاليتا وهى تتمدد فى السرير وتغمض عينيها. يالها من قفزة على السلم. وما لا أفهمه هو أن الباحثين عن السفاحين لابد أن يكونوا رجالا.

– لم يسمع أحد من قبل عن امرأة تقتفى أثر السفاحين - قال ترافلر - وربما بدا الأمر غير لائق فى نظر ثيفى. وربما أدرك أنه فيما يتعلق بالجنس فإنه شديد الحذلقة. وهذا ما ألاحظه طوال الوقت.

– قالت تاليتا :

– الجو حار، حار جدا، هل لاحظت متعته وهو يضم القائمين بالتصنيف لدرجة أنه يكرر الاسم؟ حسن، لنرى الفقرة الصوفية التى ستقرؤها علىّ

– قال ترافلر :

– عليك أن تجهز .

٣٢) المجلس الوطنى للرهبان المتخصصين فى صلاة التصليب ودور علومهم (كل المنازل الخاصة بطائفة الرهبان وكل الرهبان). (الرهبان أو الرجال الذين يقومون

بالتصليب الذين يجب أن ينسبوا إلى عالم الكلمة والألغاز العلاجية وإنتهاء تلك).
(يضم الرهبان الذين يجب أن يحاربوا كل ما يدنس الروح ويحاربوا كل أذى مكتسب أو موضوع فى المال أو الجسد... إلخ)

٣٣) المجلس الوطنى للمتعبدين الذين يحفظون المجموعات وكذا دار الحفظ (كل دور الحفظ ومثيلاتها - المستودعات والمخازن والأرشيف والمتاحف والمقابر والسجون والملاجئ ومعاهد العميان ... إلخ. وكذلك كافة الموظفين الذين يعملون فى تلك الأماكن). (والمجموعات نذكر فيها أمثلة : الأرشيف يحفظ الملفات فى مجموعة، والمقابر تحفظ الجثث فى مجموعة، والسجن يحفظ السجناء فى مجموعة ....إلخ).

لم يخطر موضوع المقابر على بال إسبرونثيلا[١] Espronceda - قال ترافلر - لن ترفضى أن المقارنة بين تشاكاريتا والأرشيف ... إن ثيفيرينو يخمن العلاقات وهذا هو الذكاء فى حقيقة الأمر. أليس كذلك؟ إذ بعد مقارنات واستهلال مثل هذا فإن تصنيفه النهائى ليس فيه ما يثير الغرابة، بل على العكس. يجب أن نتدرب على عالم هكذا لم تقل تاليتا شيئا، لكنها رفعت شفتها العليا وتنهدت تنهيدة آتية مما يسمى بالنعاس الأول. تناول ترافلر كأسا آخر ثم أخذ يقرأ عن المجالس الأخيرة والنهائية.

٤٠) المجلس الوطنى للأعضاء المتخصصين فى الأنواع الملَّونة للّون الأحمر وكذا بيوت العمل النشط الموالى للألوان الحمراء. (كافة منازل الأعضاء المتخصصين فى الأنواع العامة للألوان الحمراء أو المكاتب الكبرى لهؤلاء المتخصصين) (الأنواع العامة للألوان الحمراء: الحيوانات ذات الجلد الملون للون الأحمر، والنباتات ذات الألوان الحمراء والمعادن التى تشبه اللون الأحمر)

٤١) المجلس الوطنى للأعضاء المتخصصين فى الأنواع الملَّونة، للون الأسود وكذا بيوت العمل النشط الموالى للألوان السوداء (كافة منازل الأعضاء المتخصصين فى الأنواع العامة للألوان السوداء أو المكاتب الكبرى لهؤلاء المتخصصين) (الأنواع العامة للألوان السوداء: الحيوانات ذات الجلد الأسود والنباتات ذات الزهور السوداء والمعادن ذات اللون الأسود).

٤٢) المجلس الوطنى للأعضاء المتخصصين فى الأنواع الملوّنة باللون القاتم وكذا بيوت العمل النشطة الموالية للون القاتم (كافة منزل الأعضاءالمتخصصين فى الأنواع العامة للألوان القاتمة أو المكاتب الكبرى لهؤلاء المتخصصين). (الأنواع العامة للألوان القاتمة أو اللون القاتم ببساطة: الحيوانات ذات الجلد القاتم اللون والنباتات ذات الزهور القاتمة والمعادن).

٤٣) المجلس الوطنى للأعضاء المتخصصين فى الأنواع الملونة باللون الأصفر وكذا بيوت العمل النشطة الموالية للون الأصفر (كافة منازل الأعضاء المتخصصين فى الأنواع العامة للألوان الصفراء أو المكاتب الكبرى لهؤلاء المتخصصين). (الأنواع العامة للألوان الصفراء أو ببساطة اللون الأصفر: الحيوانات ذات الجلد الأصفر والنباتات ذات الزهور الصفراء والمعادن ذات اللون الأصفر).

٤٤) المجلس الوطنى للأعضاء المتخصصين فى الأنواع الملونة باللون الأبيض وكذا بيوت العمل النشطة الموالية للون الأبيض (كافة منازل الأعضاء المتخصصين فى الأنواع العامةللألوان البيضاء أو المكاتب الكبرى لهؤلاء المتخصصين). (الأنواع العامة للألوان البيضاء أو ببساطة اللون الأبيض: الحيوانات ذات الجلد الأبيض والنباتات ذات الزهور بيضاء والمعادن ذات اللون الأبيض).

٤٥) المجلس الوطنى للأعضاء المتخصصين فى الأنواع الملونة باللون البامبا كذا بيوت العمل النشطة الموالية للون البمبى (كافة منازل الأعضاء المتخصصين فى الأنواع العامة للون البمبى أو المكاتب الكبرى لهؤلاء المتخصصين. (الأنواع العامة للألوان البمبى أو اللون البمبى ببساطة الحيوانات ذات الجلد البمبى والنباتات ذات الزهور البامبا المعادن اللون البامبا)

إنه كسر الغلالة العقلية الصلبة .... كيف يرى ڤيفيرينو ماكتبه؟ ما هو الواقع غير العادى (أم لا) الذى يوضح أمامه مشاهد نجد فيها الدب القطبى يتحرك فى مسرح ضخم مصنوع من الرخام ومحاطا بياسمين الكابو؟ أو يتصور غربانا تعيش فى مناجم الفحم وهى تمسك فى منقارها بزهرة توليبان سوداء اللون .... ولماذا «ملون باللون

الأسود» و«ملون باللون الأبيض»؟ ولماذا ملون باللون الأصفر، أو الأصفر ببساطة؟ ما هى تلك الألوان التى لا يمكن لزأير الماريجوانا والهوكسيليانا أن يفسر معناها؟

إن ملاحظات ثيفرينو تفيد فى أن يزداد المرء تيها (نعم كان ذلك مجديا) ولن يذهب بعيدا بذلك. وعلى أى الأحوال:

ففيما يتعلق باللون البمبا: هو كل لون متعدد أو أنه مكون من لونين أو أكثر.

كما أن هناك توضيحا ضروريا وشيكا:

فيما يتعلق بالأعضاء المتخصصين فى الأنواع العامة، والذين أشرنا إليهم: لابد وأن يكون الأعضاء حكاما، وبذلك لا يختفى من الدنيا أى نوع من الأنواع العامة. كما أن الأنواع العامة لا تختلط ملامح كل واحدة منها بالأخرى، أو بأى سلالة أخرى ، أو أى لون من نوع لون آخر ...إلخ

إنه يتوخى النقاء والعنصرية ! إنه عالم من الألوان النقية لموندريان على وشك الانفجار! إن ثيفيرينو بيريث هو رجل خطير ويمكن أن يرشح لمنصب عضو برلمان أو ربما رئيسا! إنه على أهبة الاستعداد! وليتناول كأسا آخر قبل أن يخلد للنوم بينما يترك ثيفى غارقا فى الألوان، ويهب نفسه آخر قصيدة، وكأن هناك كوادى Cuado (٢) Ensor ينفجر فيه كل ما هو قابل للانفجار، من مادة الأقنعة والأقنعة المضادة. وفجأة يدلف ما هو عسكرى إلى نظامه، وكان يجب أن نرى المعالجة التى تجمع بين اللاتينية المخلوطة بالعامية والكرزية، التى يخبئها له الفيلسوف ابن أوراجواى أو:-

فيما يتعلق بالعمل المعلن عنه «نو سلام العالم» فهو يتضمن شرحا وافيا عن العسكرية أما نحن الآن فسوف نتحدث بإيجاز عن المفهوم أو المفاهيم التاليه بشأن العسكرية: الحرس (من النوع المتربوليتان) بالنسبة للعسكريين المولودين فى برج الجدى؛ النقابات الخاصة بمناهضة الحكم الرئيسى للعسكريين المولودين فى برج الثور؛ فإن إدارة الحفلات والاجتماعات والإشراف عليها (مثل الرقص والاجتماعات فى

133

سهرات وحفلات الخطوبة: أى المزاوجة... إلخ) بالنسبة للعسكريين المولودين فى برج الجوزاء؛ والطيران (العسكرى) للعسكريين المولودين فى برج السرطان. والريشة الموالية للحكومة الرئيسية (الصحافة العسكرية والسحر السياسى لصالح الحكومة الرئيسية والوطنية) للعسكريين المولودين فى برج الأسد والمدفعية (الأسلحة الثقيلة والقنابل) للعسكريين المولودين فى برج العذراء. والأشراف والتمثيل العملى فى الاحتفالات العامة أو الخاصة (استخدام العسكريين للأقنعة المناسبة فى لحظات التجسد أى فى العروض العسكرية أو عروض الكرنفال أو الاحتفالات الكرنفالية، أو الاحتفالات بالحصاد...إلخ) للعسكريين المولودين فى برج العقرب. أما سلاح الفرسان (الفرسان العام والفرسان المحمول مع مشاركة حاملى البنادق، أو الرّماة أو حاملى السلاح الأبيض: الحالة الشائعة: «الحرس الجمهورى»...إلخ) لّولاء العسكريين الذين ولدوا فى برج الجدى. وعامة العسكريين من الذين يؤدون الأعمال المختلفة (المراسلة والسعاة والأطفاء وحاملى الرسائل وخدم ما هو عملى ... إلخ) لهؤلاء العسكريين الذين ولدوا فى برج الدلو.

هزّ ترافلر تاليتا التى استيقظت مغتاظة، وقرأ عليها الجزء الخاص بالعسكرية، وكان عليهما أن يضعا رأسيهما تحت المخدة حتى لا يوقظا من فى العيادة بأصواتهما. لكنهما إتفقاقبل ذلك، على أن أغلب العسكريين الأرجنتيين هم من الذين ولدوا فى برج الثور. كان الكحول قد أخذ برأس ترافلر، لدرجة أنه أعلن أنه على استعداد ليستأنف ضد وضعه كنائب ضابط فى الاحتياطى، وذلك حتى يتمكن من استخدام الأقنعة المناسبة من قبل العسكريين.

– سوف ننظم حفلات كبرى فى مواسم الحصاد ـ يقول ترافلر وهويخرج رأسه من تحت المخدة ويعود إلى الوضع السابق، بعد أن ينتهى من العبارة ـ وسوف تأتين مع كل بنات جلدتك من السلالة البمبا، فلاشك إذن أنك من السلالة البمبا أى أن لك لونين أو أكثر.

– قالت تاليتا :

– أنا بيضاء ومن المؤسف أنك لم تولد فى برج الجدى، إذ كان يروق لى أن تكون من حاملى السيوف. أو مراسلة أو ساعى.!

– المراسلة هم من برج الدلو. وأوراثيو من برج السرطان أليس كذلك.

– الطيران هو، بتواضع، من نصيبه، وليس أمامنا إلا أن نتخيله وهو يقوم بتكوير

«بانج ـ بانج». وعمله بالونات منه وفرقعتها في محل الحلوى «أجيلا» **Aguila** عند تناول الشاى مع الحلوى. إنه لأمر مزعج.

أطفأت تاليتا النور، واحتضنت بعض الشئ، ترافلر الذى كان يتصبب عرقا ويتلّوى وقد التف ببعض الأبراج والمجالس الوطنية للأعضاء المتخصصين والمعادن ذات اللون الأصفر.

– لقد رأى أوراثيو لاماجا هذه الليلة ـ قالت تاليتا ـ رآها فى الحوش منذ ساعتين عندما كنت تقوم بالحراسة.

– قال ترافلر وهو يتمطى ويحاول البحث عن السجائر مستخدما طريقة برايل. ثم عقب بعبارة غامضة استقاها من آخر ما قرأ.

– قالت تاليتا وهى تزيد احتضانها لترافلر :

– كنت أنا لاماجا لست أدرى فيما إذا كنت قد أخذت بالك.

– نعم، أعتقد ذلك.

– كان لابد وأن يحدث ذات يوم. الأمر الذى أستغربه هو أنه شعر بمفاجأة ما بعدها مفاجأة، لهذا اللبّس

– تعرف أن أوراثيو يخلق المتاعب ثم ينظر إليها مثلما ينظر الكلاب الصغار إلى روثهم ،ويطيلون النظر إليه باستغراب شديد

– أعتقد أن ذلك حدث فى نفس اليوم الذى ذهبنا فيه لاستقباله فى الميناء ـ قالت تاليتا ـ لا يمكن تفسير ذلك لأنه لم ينظر إلىّ. كما قمتما بطردى وكأننى كلب، وأنا أحمل القط تحت إبطى. تفوه ترافلر بشئ غير واضح.

– لقد خلط بينى وبين لاماجا.

– أصرت تاليتا :

كان ترافلر يسمعها وهى تتحدث وتشير ـ مثل باقى النساء ـ إلى الشؤم، وحتمية الأمور التى لا مناص منها. كم كان يود لو أنها سكتت، لكن تالتيا كانت تصر على الكلام بإلحاح غريب وتزيد من التصاقها به، وتصر على مواصلة الكلام بأن تتحدث عن نفسها وأن تحكى له، فانساق ترافلر وراءها.

– أول شئ هو مجيئ العجوز صاحب الحمامة. وبعد ذلك نزلنا إلى البدروم. كان أوراثيو يتحدث طوال الوقت عن الهبوط وعن تلك الفجوات التى تقلقه. كان فاقدا الأمل يا مانو. كان أمرا مخيفا ما عليه من هدوء ظاهرى وأثناء ذلك... نزلنا بالمصعد وذهب

133

هو ليغلق باب إحدى الثلاجات. كان شيئا فظيعا.

– قال ترافلر :

– أى أنك نزلت، هذا جيد.

– قالت تاليتا :

– كان مختلفا لم يكن الأمر مثل النزول. كنا نتحدث، لكننى شعرت وكأن أوراثيو أصبح فى مكان آخر، يتحدث مع واحدة أخرى، مع امرأة غريقة على سبيل المثال: يخطر لى الآن ذلك. ومع ذلك لم يقل حتى ذلك الحين أن لاماجا غرقت فى النهر

– قال ترافلر :

– لم تغرق فى أى شئ أقول هذا، ورغم ذلك أقبل بأننى ليست لدى أدنى فكرة. يكفى أن أعرف أوراثيو

– إنه يظن أنها ميتة يا مانو. وفى الوقت نفسه يشعر بأنها قريبة منه. وهذه الليلة كنت أنا هى. قال لى بأنه رآها أيضا فى المركب، وتحت الكوبرى طريق سان مارتين إنه لايقول ذلك وكأنه يتحدث عن هذيان، كما لا يبغى من وراء ذلك أن يجعلك تصدق ما يقول، إنه يقول ليس إلا، وهذا حقيقى، فأخذ ينظر إلى، وكانت النظرة موجهة إلى الأخرى. فأنا لست zambie لأى أحد يا مانو. ولا أريد أن أكونه.

مسح ترافلر على شعرها لكن تاليتا منعته وقد فرغ صبرها. جلست فى السرير شعر بها وهى ترتعد. إنها ترتعد وسط هذا الحر. قالت له إن أوراثيو قبّلها، وحاولت شرح القبلة. ولم تجد الكلمات المناسبة. أخذت تلمس ترافلر فى الظلام سقطت يداها، وكأنهما خرقتان، على وجهه وذراعيه ثم انزلقتا على صدرة واتكأتا على ركبتيه ومن خلال ذلك ولد شىء كأنه تفسير لم يكن بوسع ترافلر رفضه. إنه نوع من العدوى يأتى من بعيد، أى من مكان سحيق، أو من أعلى مكان، أو من أى مكان آخر، ليس هذه الليلة أو تلك الحجرة. إنها عدوى من خلال تاليتا، وهى عدوى تملك عليها لبّها. إنها نوع من التلعثم وكأنه كلمات لا تترجم. إنه الشك فى أن المرء كان أمام شىء يمكن أن يكون بمثابة بيان. لكن الصوت الذى يأتى به كان واهنا. وعندما نطق بالبيان أخذ يتحدث بلغة غير مفهومة. ومع ذلك فهو الشيئ الوحيد الضرورى الذى فى متناول اليد. وهو الذى يطالب بمعرفته وقبوله وهو يصارع ضد حائط إسفنجى، أو مصنوع من الدخان والفلين. لا يمكن القبض عليه باليد مع أنه يقدم نفسه بين الذراعين عريانا، غير أنه كماء يجرى وسط الدموع «إنها القشرة العقلية الصلبة». بلغ التفكير بترافلر إلى هذا

133

الحدّ. كان يسمع، بطريقة غامضة، شيئا عن الخوف، وأوراثيو، والمصعد والحمامة. رويدا رويدا بدأ يصل إلى مسامعه نظام اتصال. أى أن المسكين التعس كان يخشى على نفسه من قيام ترافلر بقتله. إنه لأمر مضحك.

– هل قال لك ذلك بالفعل؟ من الصعب تصديق ذلك، فأنت تعرفين مدى كبريائه.

– إنه شئ آخر - قالت تاليتا وهى تأخذ منه السيجارة وتأخذ نفسا عميقا وبشراهة كبطلات السينما. أعتقد أن الخوف الذى يشعر به هو الملاذ الأخير وهو القضيب الذى تمسك به يداه قبل أن يلقى بنفسه. إنه يشعر بسعادة غامرة لشعوره بالخوف هذه الليلة. أعرف أنه سعيد.

– قال ترافلر وهو يتنفس– راقدا :

– ذلك الأمر قد لا تفهمه كوكا. تأكدى من ذلك وعلىّ أن أكون شديد التفهم للموقف هذه الليلة. فالخوف السعيد هوخوف عسرالبلع يا عجوز.

انزلقت تاليتا بعض الشئ على السرير واستندت على ترافلر. كانت تعرف أنه عاد من جديد إلى الجانب الذى هى فيه وأنه لم يغرق وأنه أمسك بها على سطح المياه. كان هذا مؤسفا فى جوهر الأمر، لكنه أسف رائع. شعر كلاهما بالأسف فى لحظة واحدة وإستلقيا كل فى اتجاه الآخر وكأنهما يسقطان داخل نفسيهما، على الأرض المشتركة حيث الكلمات واللمسات والأفواه تتولى مهمة لفهما مثل محيط الدائرة. إنه هذا النوع من الاستعارات التى تهدئ الروع. إنه ذلك الحزن القديم الذى يشعر بالرضا لأنه عاد إلى ما كان عليه دوما، واستمر وحافظ على نفسه طافيا يعاند الرياح والمدّ ويقف ضد الاستغاثة والسقوط.

(–140)

134

حديقة الزهور

يجب أن تعرف أن الحديقة التى يتم تخطيطها بشكل دقيق على طريقة «الحدائق على الطريقة الفرنسية» والمكون من أحواض ومجارى وأحواض زهور مرتبة ترتيبا هندسيا، كل هذا يتطلب الكثير من العناية.

عكس هذا يحدث للحدائق على الطريقة «الإنجليزية» فإن فشل الهاوى يمكن مداراته بسهولة. فالعناصر الرئيسية المكّونة للديكورات العملية تتمثل فى بعض الشجيرات وساحة من النجيلة ومنصة واحدة للزهور المختلفة والمميزة عن بعضها البعض موضوعة إلى جوار حائط أو سياج.

وإذا ما حدث، لسوء الحظ، أن كانت هناك بعض الوحدات التى لم تؤد إلى النتيجة المرجوة، فسوف يكون من السهل تغييرها من خلال زرع أخرى، ومع هذا لن يلاحظ وجود عيب، أو إهمال فى المنظر العام، فالزهور الأخرى تم إعدادها لتكون على شكل بقع تختلف ألوانها وارتفاعاتها وكلها تمثل فى مجموعها شكلا مرضيا للنظر.

هذه الطريقة فى الزراعة التى تسود فى انجلترا والولايات المتحدة يطلق عليها «الأحواض المشتركة». وبذلك تختلط الزهور وتتشابك وكأنها نمت بطريقة طبيعية، ودوائر أو مربعات، فطابعها يتسم بأن به تَصَنّع ،وتتطلب الكمال المطلق.

ولهذه الأسباب العملية والجمالية ننصح باستخدام الجناينى الهاوى الأحواض المشتركة.

Almanaque Hachette

(–25)

135

– إنها لذيذة قالت جيكريبتين ـ فلقد أكلت منها اثنتين وأنا أقليهما ـ إنها ناعمة كالرغوة.

– قال أوليڤيرا :

– اغدى لى شايا آخر مرًا يا عجوز.

– حالا يا حبيبى. انتظر حتى أضع لك الكمادة الباردة

– شكرا. من الغريب جدا تناول الكعك المقلى والعينين معصوبتين. يجب أن يتم تمرين الرجال الذين سوف يقومون باكتشاف الكون.

– هل هم الذين يطيرون صوب القمر فى تلك الأجهزة؟ إنهم يضعونهم فى كبسولة أو شئ من هذا القبيل. حقا؟

– نعم ويقدمون لهم كعكا مقليا مع الشاى.

(63)

136

هوس موريلّى بالتوثيق:

«سوف يكلفنى جهد القيام بشرح قصائد، ورفض الشعر، كل ذلك فى كتاب واحد، يخص يوميات ميت وملاحظات أسقف صديق..»

جورج باتيل Geroges Bataille

(-12)

137

موريليات

إذا ما كان حجم العمل أو إيقاعه يقودنا إلى الظن بأن المؤلف بذل قصارى جهده في الجمع، فيجب التعجّل لتبيان أنه أمام المحاولة المضادة، وهي الخاصة بالطرح الذي لا يرحم.

(–17)

أحيانا ما يخطر ببالنا، أنا ولاماجا، أن ننبش الذكريات. ومدعاة هذا بسيطة جدا، مثل تعكر المزاج فى إحدى الأمسيات، أو الكدر الذى قد يحدث إذا ما أخذ كل منا يحدق فى عين الآخر.. ورويدا رويدا، وبعدحوار لا أهمية له تواتينا الذكريات. إنهما عالمان مختلفان ومتباعدان وغير متلاقيين فى معظم الأحوال. هذان العالمان يدخلان فى كلماتنا ومن هنا تولد السخرية فهما مشتركان. وعادة ما أبدأ أنا، إذ أتذكر بامتعاض تقديرى الأعمى للأصدقاء وللوفاء الذى يساء فهمه، والرد عليه بالنكران، وعن الرايات التى نذهب بها بتواضع إلى أى حفل سياسى، والحوارت الثقافية والحب المتأجج. إننى أضحك على نزاهة مشبوهة كانت سببا فى تعاسة لى أو لغيرى، بينما تقوم الخيانة واللانزاهة بنسج خيوطها العنكبوتية تحت السطح دون أن تجد عائقا، وتسمح هكذا وببساطة، أن يتقدمنى آخرون سواء كانوا خونة أو غير شرفاء، دون أن أتمكن أنا من فعل شئ لأمنعه. وبذلك يكون الخطأ أكثر فداحة. أنا أسخر من أعمامى من ذوى النية الصادقة والذين وضُعُوا فى القاذورات حتى العنق، ورغم ذلك فالرقبة لازالت قوية وطاهرة. قد يسقطون على ظهورهم إذا ما عرفوا أنهم يعومون وهم يتثاءبون، البعض منهم مقتنع بـ توكومان Tucuman والبعض الآخر بالتاسع من يوليو، وأنهم نموذج للأرجنتينية الطاهرة (إنها الكلمات التى يستخدمونها). ومع هذا أحمل لهم ذكرى طيبة. ومع ذلك أدرس هذه الذكرى عندما يحدث خلاف بينى وبين لاماجا فى باريس ويسوء كل منا أن يلحق الأذى بالآخر.

وعندما تتوقف لاماجا عن الضحك لتسألنى السبب فى قول تلك الأشياء عن أعمامى، أود لو أنهم هناك يسمعون ما أقول وهم وراء الباب، مثل ذلك العجوز الذى يسكن الدور الخامس. أقوم بتجهيز الرد بعناية، فأنا لا أريد أن أكون غير عادل أومبالغا، وأريد أيضا أن تفيد لاماجا من الأمر، فهى لم تكن فى يوم من الأيام قادرة على فهم القضايا الأخلاقية (مثل إيتين، لكن بطريقة أقل أنانية، وذلك لأنها تعتقد أن المسئولية تتعلق بالحاضر، أي فى نفس اللحظة التى يتحتم على المرء أن يكون طيبا أو نبيلا، أى أنها أسباب تتعلق بالمتعة والأنانية تماثل فى جوهرها الأسباب التى عليها إيتين)

عندئذ أشرح لها قائلا بأن هذين العمّين هما أرجنتينيان كاملان ونزيهان طبقا للمفاهيم السائدة عام **1915** وهى القمة الهرمية لحياتهما بين الزرع والضرع والمكاتب

الإدارية. وعندما يجرى الحديث عن هذين « Criollos من الزمن الماضى» يجرى الحديث عن مناهضة السامية والانفصام فى الشخصية والبرجوازيين الذين يعيشون حالة الحنين إلى الماضى وإلى الصينيات وهن يقمن بإعداد الشاى مقابل عشرة بيزو شهريا. ويداخلهم الشعور الوطنى، فى أرقى صوره الزرقاء والبيضاء، والاحترام الشديد لكل ما هو عسكرى، والحملات الموجهة الى الصحراء، والقمصان الكثيرة المكوية رغم أن الراتب لايتوفر حتى يدفعوه فى نهاية الشهر لهذا المخلوق الحقير المسمّى بـ «الروسىّ» أو إلى كل من على شاكلته. ويتم التعامل معهم بالصراخ والتهديدات، وإذا ما كان الأمر معقولا تقال عبارات تعبر عن العفو عن حياتهم وعندما تبدأ ماجا فى الإعراب عن قبولها لوجهة النظر هذه (التى لم يكن لديها أى فكرة عنها على الإطلاق) أسارع بالقول لها أن عمّى وأسرتنا فى هذا الإطار العام هم أناس على عدد كبير من الخصال الحميدة. فهم أناس طيبون، من الآباء والأبناء، وهم مواطنون يذهبون إلى صناديق الاقتراع ويقرأون الصحف الأكثر شهرة. وهم موظفون يتقنون أعمالهم ويحبهم رؤساؤهم وزملاؤهم، وهم أناس قادرون على السهرلياليى متوصلة إلى جوار مريض، أو القيام بمساندة من يكون. فتنظر إلىّ ماجا بحيرة وتخشى أننى أمزح معها. وعلى أن ألحّ وأن أشرح لها السبب فى أننى أحب عمىّ بشكل كبير، ولماذا أقوم أحيانا ـ عندما نَمَلّ الشوارع والوقت ـ بإخراج الصفات غير المحمودة وأطأ الذكريات التى لازلت أحملها لهما. عندئذ ينتاب لاماجا شئ من الحماس وتبدأ فى الحديث بسوء عن أمها، التى تحبها وتكرهها طبقا للحظة التى تمر بها. أحيانا ما ينتابنى الفزع من قيامها بالحديث عن أحد فصول الطفولة، والتى كانت قد قصتها علىّ وهى تضحك وكأنها أحداث طريفة، وفجأة تتحول إلى عقدة فظة، وإلى بحيرة من الحشرات مصاّصة الدماء والقرادّ التى يلاحق بعضها البعض، وتشرب دماء بعضها. وعندئذ يبدو وجه ماجا كأنه الثعلب حيث ينتفخ أنفها وتزداد حيوانية ويعلوه الشحوب ولا تتحدث إلا بشكل متقطع وتتلوى يديها وكأن وجه أمها القبيح أحذ يطل علينا من عالم آخر، ويرى جسدها وهى ترتدى لباسا فى حالة سيئة وأحد شوارع الأرباض، حيث أصبحت الأم بمثابه إناء قديم للبصق ملقى فى العراء. والتعاسة حيث تقوم الأم بمسح درابزين السلم مستخدمة خرقة مليئة بالزيت. والشئ السيئ هو أن «لاماجا» لا يمكن أن تظل

138

على هذا الحال فترة طويلة، إذ سرعان ما تجهش فى البكاء وتدفن رأسها فى صدرى ويصل بها الأمر إلى وضع لا يصدق. ويجب إعداد الشاى، ونسيان كل شئ، أو القيام بجولة فى أى مكان أو ممارسة الحب بدون الأعمام والأم، ممارسة الحب هذا ما كنا نفعله فى معظم الحالات أو النوم، لكن كان ذلك فى معظم الحالات.

(127)

إن نوتة البيانو (لا، رى، مى بيمول، دو، زى، زى بيمـول، مى، صـول) ونوتة الكمان (لا، مى، زى بيمـول، مى) والبوق Corno (لا، زى بيمـول، لا، زى بيمـول، مى، صـول)، كلها تمثل المعادل الموسيقى للأسماء التالية أرنولد، شوينبرج، أنطون ويبيرن، وأليان بيرج(طبقا للنظام الألمانى حيث أن حرف H يقابله زى و B يقابله زى بيمول و S (اس) الـ مى بيمو ل) لا يوجد أى تجديد فى هذه النوتة الموسيقية.

ومما يذكر أن باخ Bach استخدم اسمه بطريقة مشابهة، وأن نفس هذه الطبقة كانت شائعة بين المؤلفين الموسقيين خلال القرن الساس عشر (...) هناك شبه آخر هام مع الكونشرتو المقبل المخصص للكمان وهو عبارة عن التوازى الدقيق لكافة الأطراف. والرقم الأساسى فى كونشيرتو مخصص للكمان هو الرقم اثنين اثنين من الحركات المتصلة وكل واحدة منها تنقسم إلى جزءين بالإضافة إلى الفصل ـ الكمان ـ أوركسترا فى إجمالى الآلات.

لكن مايبرز فى «الكامير كونزيرت Kammerkonzertâ هو الرقم ثلاثة: فالإهداء يمثل المايسترو واثنين من تلاميذه، أما الآلات فقد تجمعت فى ثلاثة مستويات: البيانو والكمان وتوليفة أخرى من آلات النفخ. وبناؤها مكون من ثلاثة حركات متواصلة وكل واحدة منها تعكس بشكل مكبرّ أو مصغّر تركيبا ثلاثيا.

من تعليق غير معروف مؤلفه حول
كونشرتو الصالة ،حيث تستخدم الكمان
والبيانو وثلاثة عشر آله موسيقية من
آلات النفخ لمؤلفه ليا بيرج
(تسجيلات Palhé Vox pl8660)

(133)

تقوم تاليتا بعمليات الفحص الشامل وتسجيل النواقص فى الصيدلية انتظاراً لحدوث شئ أكثر إثارة. تجرى تلك التمرينات بين منتصف الليل والساعة الثانية صباحا وذلك عندما تذهب كوكا لتنام ـ نوما ـ تستعيد ـ به ـ عافيتها (أو قبل ذلك حتى تغادر المكان: تثابر كوكا، لكن مقاومتها وعلى وجهها ابتسامة عريضة وتذكرها أنها عندما تعود سوف تواجه الهجوم الكلامى من هذين الفظيعين كل هذا يجعلها تشعر بإرهاق شديد. وكلما تقدم الوقت تبادر بالذهاب إلى السرير مبكرة، ويبتسم الفظيعان بلطف وهما يحييانها: طابت ليلتك. أما تاليتا فكانت أكثر حيدة إذ تقوم بلصق تيكيت البيانات أو تبحث عن شئ فى الفهرس Pharmacorum Gottinga

إنها إجراءات على نمط: ترجمة سوناتا مشهورة بشكل مقلوب:

الماضى الرهيب الميت المعتدى عليه

فهل علينا أن نصلح من أنفسنا من خلال رفرفته البسيطة؟

إنها قراءة ورقة من نوتة لترافلر: «وأنا أنتظر دورى فى صالون الحلاقة، وقع نظرى على أحد مطبوعات اليونسكو وعرفت الأسماء التالية: Opintotoveri

Tuovaenopista Tyolaisopiskelija

ويبدو أنها عناوين لمجلات فنلندية متخصصة فى التربية. وهذا هو اللاواقع بالنسبة للقارئ. هل يوجد ذلك؟ فكلمة Opintotoveri تعنى بالنسبة للملايين من الشقر جهاز العرض الخاص بالتربية العامة. وبالنسبة لى ... (لوكيرا) لكنهم لا يعرفون ما معنى كلمة Cafisho (البلطجى) [الرضا على طريقة أهالى الساحل]. إنها عملية تعداد اللاواقع. التفكير فى أن المتخصصين فى التكنولوجيا يتوقعون أنه بفضل الوصول إلى هلسنكى فى غضون ساعات نظرا لإبتكار طائرات بوينج 707 ..... على كل واحد أن يخرج بالنتائج التى يريدها. هذا يجعلنى نصف أمريكية يابدرو».

إنها أشكال لغوية للاستغراب. تقف تاليتا مفكرة أمام Genshitok kokunai Jigo الذى لا يبدو لها على الإطلاق أنه التطور للأنشطة النووية فى اليابان. أخذت تقتنع من خلال البحث فى أوجه الإختلاف والتطابق، وعند ذلك قام زوجها، المشهور بأنه لعين، فى تزويدها بمواد يحصل عليها من صالونات الحلاقة، بتبيان التنويعة الخاصة بـ Genshiryoku kaigai Jijo وهى على ما يبدو تطور الأنشطة النووية فى الخارج. تتحمس

140

تاليتا وهى مقتنعة من الناحية التحليلية بأن kokunai = اليابان، وأن kaigai = الخارج. إنها حيدة «ما» رجل المصبغة الكائنة فى شارع لاسكانو أمام هذا الاستعراض المتعدد اللغات، لتاليتا ويعود المسكين مذعورا.

لنبش:- الإنطلاق من افتراضات على نمط بيت الشعر الشهير «الشذوذ الجنسى الواضح لـ....» والقيام بإعداد نظام متماسك ومرضى. والقول بأن بيتهوفن كان يقتات بالروث..إلخ والدفاع عن قداسة السير: روجر كاسيمنت، وذلك طبقا لما نستخلصه من «اليوميات السوداء». واستغراب كوكا الواثقة ومتناولة القرابين.

الأمر هو فى جوهره الاصطفاف انطلاقا من مبدأ الطاعة المهنية. إنهم يضحكون أكثر من اللازم حتى الآن (لا يمكن أن يكون أتيلا بجمع الطوابع) لكن ذلك الـ Arbeit macht Frei سوف يؤدى إلى النتائج المرجوة. ثقى بى يا كوكا. فعلى سبيل المثال نجد أن اغتصاب أسقف دى فانو يمكن أن تكون حالة من ....

(138)

141

لم يكن الأمر يستحق قراءة صفحات كثيرة حتى ندرك أن موريلّى يقصد شيئا آخر. فإشاراته إلى الطبقات العميقة لروح الزمن Zeigeiat، والفقرات التى ينتحر فيها المنطق مستخدما أربطة الأحذية، وغير قادر على رفض اللامنطق، وقد تحول إلى قانون، كل ذلك يبرهن على القصد من أن العمل يريد استكشاف الأمور الغامضة، كان موريلىّ يتقدم ويتقهقر ويقوم بخرق مستمر للتوازن، والمبادئ التى يمكن أن نطلق عليها المبادئ الأخلاقية للمكان، إذ يمكن أن يحدث (رغم أن ذلك لم يحدث بالفعل لكن لا شئ يؤكده) أن الوقائع التى يرويها قد وقعت فى خمس دقائق وكان من الممكن أن تربط بين موقعه أكتيوم وموقعة أنشولوس [١] Anschluss فى النمسا (فالحرف A الذى تبدأ به الكلمات الثلاثة قد يكون له دخل فى اختيار هذه الوقائع التاريخية) أو إما أن الشخص الذى يضغط على زر الجرس الخاص بمنزل فى شارع كوتشابابمبا رقم **1200**، سوف يجوب الأفق ليخرج على حوش لمنزل ميناندر فى بومباى. كل ذلك كان يميل إلى الأمور المعتادة، لكن لويس بونيويل وأعضاء النادى لم يفت عليهم مغزى ذلك، فى حفز الذهن أو المجاز المفتوح على معنى آخر أكثر عمقا ودقة. وبفضل هذه التمارين البهلوانية الشديدة الشبه بماتحتويه بعض اللبث والأوبانيشاد Upanishads[٢]) وكذلك المواد الأخرى المحملة بثالث نترات الولوين الشامانى، بفضل كل ذلك استطا ع موريلىّ أن يستمتع بتخيله إبدا ع أدب يتولى تدمير قوانينه الداخلية ويعيد بناءها ويهزأ بها. تدخل الكلمات بشكل مفاجئ، واللغة بأركانها والبنية العليا للأسلوب، وعلم المعانى، وعلم النفس، والمحسّنات، كل ذلك يهوى ويُذبح بطريقة تقشعر لها الأبدان، يحيا ذلك! وإلى أن ينساب نظام جديد أو حتى بدون أى ضمان له: هناك دوما خيط ممتد إلى ما وراء ذلك، فى نهاية المطاف يخرج الخيط من الحجم ويشير إلى من؟ لن ندرى، لكن تُرك هذا وألقى أى رؤية تجعل العمل أمرا جامدا. وهذا ما كان يفقد بيريكو روميرو صبره، رغم أنه رجل وفى. يرتعد من المتعة فى حاجة إلى اليقين، ويجعل أوليڤيرا يرتعد من المتعة ويجعل خيال إيتين يزداد جموحا وكذا رونالد وونج. ويجبر لاماجا على الرقص حافية القدمين وهى تحمل خرشوفة فى كل يد.

وأثناء المناقشات الحامية وتدخين السجائر تساءل أوليڤيرا وإيتين عن السبب الذى يجعل موريلّى يكره الأدب، ولماذا يكرهه انطلاقا من الأدب نفسه بدلا من أن يكررّ الـ

Exeunt لرامبو، أو يمارس من خلال نوبات غيظه فعالية كولت 32. كان أوليڤيرا يميل إلى الاعتقاد بأن موريلّى أخذ يتشمم الطبيعة الشيطانية فى كل عمل إبداعى (وأى أدب ليس على هذه الطبيعة، رغم أنه قد يكون مجرد وسيلة لابتلاع براكسيس أو ethos أو غنوسية من تلك الكثيرة التى توجد فى الساحة أوالتى سيتم اختراعها؟) وبعد التأكيد على الفقرات الأكثر أهمية عاد ليصبح أكثر حساسية لإيقاع خاص يسود أرجاء كتابة موريلّى وأول صفة يمكن أن تطلق على ذلك الإيقاع هى عدم الرضا، لكن تحت هذا كان هناك شعور بأن عدم الرضا لا يتعلق بالظروف والأحداث التى يتم سردها فى الكتاب بل إلى طريقة السرد نفسها - وقد حاول موريلّى تلافيها ما أمكنه - وأن هذه الطريقة لها انعكاساتها على ما يتم سرده. إذن عادت للظهور من جديد القضية الثانوية الخاصة بإزالة أسباب الأزمة بين الشكل والمضمون. وتمثل ذلك فى إدانة العجوز للمواد الشكلية واستخدامه على طريقته فعندما داخله الشك فى عدته كان ينتقص فى الوقت ذاته الأدوات التى يصنعها بها.

فما يقصه الكتاب لا يجدى فى شئ، وليس شيئا، ذلك أنه سُرِد بطريقة سيئة. ذلك أنه أتم قصصه، أى هو الأدب. ومرة أخرى نعود إلى غضب المؤلف وعدم رضاه عن كتابته والتى يتم إعداد منظورها بطرق مختلفة. ويحاول القفز فوقها وفكها مستخدما كافة الوسائل المتاحة أمام كاتب محترف فى مهنته. لم يبد عليه أنه عرض نظرية جديدة، كما أنه لم يكن من القوة بمكان بحيث يسير فى ميدان التأمل الفكرى. لكن يستفاد من كل ما كتب – وبكل قوة لا يراعيها أى تفسير وأى تحليل - إن هناك تدهورا عميقا فى عالم يتسم بالزيف، أى أنه كان يهاجم مستخدما تكتيك التعداد وليس تكتيك الهدم، والسخرية الشيطانية التى تشكك فى نجاح اللمحات الكبرى من الأقدام، والفصول المحكمة السبك، والسعادة الأدبية الزائفة التى اشتهر بها بين قُرآء رواياته وقصصه القصيرة. إن العالم الذى أحكم بناءه، أخذ يتفكك إلى عدم، ويعرف هذا كل من كانت حاسة الشم عنده سليمة. لكن هناك يبرز الغموض، ففى الوقت الذى نشعر فيه بعدمية العمل الأدبى يداخلنا الحدس البطئ بأن ذلك لم يكن قصد موريلى، وأن التدمير الذاتى المفترض فى كل جزئية من الكتاب لم يكن إلا من أجل البحث عن المعدن النبيل وسط كل هذا الصخب. وهنا كان لابد من التوقف وذلك خوفا من عدم

141

التوفيق فى اختيار الباب والخروج خفية. وفى هذه الدرجة من الأمل كانت المناقشات تحتد بين أوليفيرا وإيتين، فقد كانا يخشيان الخطأ، وأنهما ليسا إلا اثنين من البلهاء المولعين بفكرة إستحالة إقامة برج بابل، وبعد ذلك لا يجدى الجهد شيئا. كانت أخلاقيات الغرب تبدو لهما، فى تلك الساعة، على أنها قوادّة، تنوه لهما بكل أما فى ثلاثين قرنا ورثناها وتمثلناها ومضغناها. كان من العسير التخلى عن الاعتقاد بأن زهرة يمكن أن تكون جميلة بلا هدف. كان من المرارة قبول فكرة إمكانية الرقص فى الظلام. إن تنويهات موريلّى إلى قلب وعكس الرموز وإلى عالم يرى بواسطة عيون أخرى ومن أبعاد مختلفة. وبذلك يكون بمثابة الإعداد الذى لا مناص منه لرؤية أكثر نقاء (كل ذلك فى فقرة مليئة بالحيوية، وكذلك مسحة السخرية الجامدة أمام المرآة) كل ذلك كان يثير حنقهم إذ يمد لهم الشماعات الخاصة بما يمكن أن يكون أملا، وتبريرا، لكنه يرفض لهم الأمان الكامل بأن يضعهم فى غموض لا يحتمل. وإذا ما كان أمامهم أى عزاء فهو التفكير بأن موريلّى كان داخل ذلك الغموض، مؤلفا لأحد الأعمال يجب أن يتسم أول عرض لها بالصمت المدقع. وهكذا واصلا قراءة الصفحات وهما يلعنان وقد أخذ لبهما. وكان الأمر ينتهى بماجا إلى أن تقعى مثل القطط وهى جالسة على الكرسى، وقد اضنتها الحيرة، وهى تنظر من خلال الدخان إلى خيوط الصباح المشرق على الأسقف السوداء هذا الدخان كان يمكن أن يسكن بين العيون والنافذة المغلقة والليلة التى ضاعت بلا جدوى.

(60)

١) لست أدرى كيف كانت ـ قال رونالد ـ ولن نعرف ذلك على الإطلاق. فما كنا نعرفه عنها كان تأثيرها على الآخرين؛ كنا بمثابة مراياها أو هى مرآتنا. شئ لا يمكن شرحه
– قال إيتين :

٢) كانت شديدة الغباء حلّت البركات بالأغبياء .. إلخ. أقسم لك أننى أتكلم جادا. كان غباؤها يثيرنى. أما أوراثيو فكان يرى أن ما عليه، هو قلة توفر المعلومات لكنه كان مخطئا. هناك اختلاف بين الجاهل والغبى، وأى امرىء يعرف الفرق إلا الغبى، وهذا لحسن حظه. كنت أعتقد أن الدراسة، تلك الدراسة الشهيرة، سوف تعطيها قدرا من الألمعية والذكاء. لكنها كانت تخلط بين المعرفة والفهم. كما كانت المسكينة تفهم أشياء كثيرة كنا نجهلها نحن لأننا نعرفها.

٣) علينا ألا ننزلق وراء ترديد مَرضَى للألفاظ ـ قال رونالد ـ أى أن نباعد أنفسنا عن كل هذه الألفاظ والألفاظ التى تحمل معانى مضادة، والابتعاد عن المبالغات. وبالنسبة لى كان غباؤها ثمنا لكونها كالنبات والكراكول، أى أنها شديدة الالتصاق بالأشياء الغامضة. هذا هو محك القضية، تصور: لم تكن قادرة على الإيمان بالأسماء كان لابد أن تضع أصبعها على شئ محس، وعندئذ تقبل بها، وهى بذلك لن تذهب بعيدا فى مشوارها. تبدو وكأنها تدير ظهرها للغرب وللمدارس. وهذا شىء سيئ لمن يريد العيش فى المدينة ومن يريد أن يكون مولعا بالحياة. كان ذلك ما يؤرقها.

٤) نعم، نعم، إلا أنها كانت قادرة على الشعور بسعادة لا حد لها، وقد كنت أنا أحد الشهود على بعض تلك اللحظات. فهناك، على سبيل المثال الشكل الذى عليه أحد الأكواب وما الذى أبحث عنه فى الرسم غير ذلك، قل لى؟ إننى أقتل نفسى وأطالبها بمسارات مهلكة، وذلك حتى تدلف إلى شوكة، أو إلى ثمرتين من الزيتون. فملح العالم ومركزه لابد أنهما هناك، فى هذه القطعة من المفرش. كانت تأتى هى وتشربه. صعدت إلى مرسمى ذات ليلة فوجدتها أمام لوحة.. انتهيت منها ذلك الصباح. كانت تبكى على طريقتها بكل ملامح وجهها الرهيبة والجميلة.. كانت تنظر إلى لوحتى وتبكى. لم أكن على قدر من الرجولة لأقول لها أننى بكيت أيضا فى الصباح. كما أن التكفير فى أن ذلك قد يجعلها تشعر بالكثير من الراحة، لكنك تعرف عنها أنها كانت تشك كثيرا وكانت تشعر بضآلتها ونحن نحيطها بخبثنا اللامع.

٥) أسباب البكاء كثيرة - قال رونالد - وهذا ليس دليلا على شئ.

٦) يبرهن على وجود اتصال على الأقل، فكم من الناس يقفون أمام تلك اللوحة ويثنون عليها بعبارات منمقة ويعددون التأثيرات ويتحدثون عن كل ما يحيط باللوحة. وهنا كان لابد من الوصول إلى مستوى يتم الجمع فيه بين الآمرين. أعتقد أنه هناك لكننى من القلائل.

٧) المملكة ستكون مكونة من القليل - قال رونالد - إن كل الأشياء تفيدك لتقرع الطبول.

٦) أعرف ذلك - قال إيتين - هذا ما أعرفه، لكن الحياة علمتنى أن أصم يدّى فاليد اليسرى مع القلب أما اليمين فتحمل الريشة ومثلث الرسم. كنت فى البداية من الذين ينظرون إلى رفائيل وأنا أفكر فى بيروجينو[١] Perugino وأقفز كأننى من جراد البحر على ليوباتيستا ألبرتى[٢] Leo Battista Alberti وأتصل وأقوم بلحام بيكو[٣] Pico من هنا ولورنثو بايا[٤] Lorenzo valla من هناك. لكن تصور، فهناك بورخارد[٥] Burckhardt الذى يقول، وهناك بيرينسون[٦] Berenson الذى ينفى وهنا أرجان Argan الذى يعتقد، وهذه الألوان الزرقاء سينية وهذه القماشات قادمة من ماساكسيو Masaccio. لا أتذكر متى كان ذلك، كان فى روما فى معرض باربيرينى، إذ كنت أقوم بتحليل أعمال أندريا دل سارتو[٧] Andrea del sarto أى التحليل بمعنى الكلمة، ورأيته فى إحدى هذه المرات. ولا تطلب منى أن أشرح شيئا. رأيته (ليست اللوحة بكاملها بل جزءا صغيرا من خلفيتها وبالتحديد شخصية تسير فى طريق) هنا طفرت الدموع من عينى، وهذا كل ما أستطيع قوله.

٥) هذا لا يبرهن على شئ - قال رونالد - يبكى المرء لأسباب عديدة.

٦) لن أجهد نفسى فى الإجابة عليك. أما هى فمن الممكن أنها قد تفهمت ذلك بشكل أفضل بكثير. وفى حقيقة الأمر فنحن جميعا سائرون فى نفس الطريق إلا أن البعض منا يبدأ من الناحية اليسرى، أما الآخرين فمن الناحية اليمنى. وأحيانا وفى منتصف الطريق هناك من يرى ذلك الجزء من المفرش وعليه الكأس والشوكة وثمرات الزيتون.

٣) إنك تتحدث بشكل مجازى - قال رونالد - وهذه عادتك دوما.

٢) لا توجد وسيلة أخرى للاقتراب من كل ما فُقِدَ وما هو غريب. كانت هى الأقرب وكانت تشعر به. وخطؤها الوحيد أنها كانت تطلب البرهان على أن هذا الاقتراب

142

يساوى كل ألوان الخطابة التى نتحدث بها ولم يكن هناك أحد قادر على أن يقدم لها هذا الدليل وهذا لأننا غير قادرين على تصوره أما السبب الآخر فهو أننا ـ بشكل أو بآخر ـ راضين عن دائرة علمنا الجماعى. ومن المعروف أن قاموس الـ Littre يجعلنا جميعا ننام فى هدوء. وها هو قريب منا وفى متناول أيدينا، يحمل لنا كل الإجابات. وهذا حقيقى غيرأن ذلك مرده فقط إلى أننا نستطع توجيه الأسئلة التى تجهز عليه. فعندما كانت لاماجا تسأل عن السبب فى أن الأشجار تورق فى الصيف ... لكن هذا غير مجدى ومن الأفضل السكوت.

– قال رونالد :

١) نعم، لا يمكننا أن نفسر كل ذلك.

(34)

كانا فى الصباح - بينما يصرّان على البقاء فى حالة اللانوم واللايقظة، فرنين المنبه الذى تقشعر له الأبدان لم يستطع أن يخرج بهما إلى حالة السهاد واليقظة الكاملة - يتعداد أحلام الليلة. الرأس إلى جوار الرأس، وتبادل الدعابات وقد تشابكت الأيدى والأرجل؛ على هذا الحال كانا يقومان بمحاولة ترجمة ما رأياه فى ساعات الظلمة بلغة العالم الخارجى. كان ترافلر - صديق أوليفيرا منذ مرحلة الشباب - شديد الإعجاب بأحلام تاليتا وفمها وهو يتلوى عند الغيظ أو عند الابتسام، طبقا لما تقصه، وكذلك حركاتها، والتعجب، وهو الطريقة التى تبعها للتركيز على بعض الأمور. وتأملاتها البسيطة حول العقل مغزى أحلامها. بعد ذلك يأتى دور السرد وأحيانا تتبادل الأيدى الدعابات أثناء السرد، وينتقلان من الأحلام إلى الحب ويناما من جديد، ودائما ما يصلان متأخرين عن مواعيدهما.

عند الاستماع لتاليتا يلاحظ أن صوتها لازال لصيقا بالحلم وعند النظر إلى شعرها المنسدل على المخدة كان ترافلر يشعر بغرابة لأن ذلك يمكن أن يكون هكذا. كان يفرد أصبعه ويلمس صدغ تاليتا وجبهتها («وعندئذ كانت أختى هى العمة إيرينى لكنى غير واثقة») ويتلمس الحاجز الواقع على بعد سنتميترات قليلة من رأسه هو(«وكنت أنا عريانا فى منطقة مليئة بالحلفاء، أرى النهر الصاعد، وموجه عالية ...») لقد ناما ورأسيهما متلامسان وهناك فى ظل هذا التجاور الجسدى وفى ذلك التلاقى شبه الكامل فى المواقف والميول والحجة نفسها والمخدة والظلمة التى تلفهما ونفس صوت المنبه ونفس المثيرات فى الشارع والمدينة ونفس الترددات المغناطيسية ونفس ماركة القهوة ونفس البرج ونفس الليلة لكليهما. وهاهما متعانقان بقوة، ومع ذلك كانت الأحلام مختلفة فقد عاش كل منهما مغامرات مغايرة للآخر فأحدهما ق ربتسم بينما الأخرى قد شعرت بالرعب. حَلُم هو بالتوصل إلى حل فى امتحان الجبر أما هى وجدت نفسها تصل إلى مدينه حجارتها بيضاء.

فى هذا التعداد الذى يجرى فى الصباح كانت تاليتا تشعر بالسرور أو الخوف أما ترافلر فكان يلح على نفسه داخليا فى البحث عن معادل تلك الأحلام. كيف يمكن أن تسفر الرفقة النهارية عن هذا الطلاق وهذه العزلة غير المقبولة التى عليها من عاش تلك الأحلام؟ أحيانا ما يصبح هو جزءا من أحلام تاليتا أو أن تاليتا تشارك ترافلر فى أحد الكوابيس التى يحلم بها. لكنهما لا يعرفان فى ذلك، إذ كان من الضرورى أن يقصه

143

أحدهما على الآخر عند الاستيقاظ من النوم: «وعندئذ كنت تأخذنى من يدى وكنت تقول لى ...» ويكتشف ترافلر أنه بينما يمسك بيد تاليتا فى الحلم إلى عاشقته هى. فإنه فى حلمه كان يضاجع أفضل صديقات تاليتا أو كان يتحدث مع مدير سيرك «النجوم» أو أنه يسبح فى بحر بلاتا. وكان مجرد وجوده فى حلم آخر يجعله مجرد مادة للعمل ولا يزيد فى شئ عن الدمية maniqui والمدن المجهولة ومحطات القطار والسلالم وكل العدد المتعلقة بالتخيلات الليلية. يضم تاليتا إليه ويغطى شعرها ووجهها بيديه وشفتيه، ويشعر عندئذ بأن هناك حاجزا لا يمكن تجاوزه، وبوجود مسافة كبيرة لا يستطيع أى شئ تقليلها بما فى ذلك الحب. لقد انتظر المعجزة طوال ليالى عديدة. انتظر أن نقص عليه تاليتا ذات صباح نفس الحلم الذى سوف يقصصه هو عليها. انتظر، وحث عليه، واستنفره بالرجوع إلى كل وجوه الشبه الممكنة. ويأخذ فى البحث عن وجوه شبه قد تحيلة إلى نوع من التعرف عليه. وذات مرة، وبدون أن تعطى تاليتا للأمر أهمية كبيرة، عاشا حلمين متشابهين. تحدثت تاليتا عن فندق ذهبت إليه هى وأمها وأن على كل واحدة أن تدخل وهى تحمل مقعدها معها. عندئذ تذكر ترافلر حلمه، إنه فندق بدون حمامات، وكان المرء يضطر لعبور محطة السكك الحديدية وهو يحمل فوطة للاستحمام فى منطقة غير واضحة الملامح. قال لها: «كدنا نحلم نفس الحلم لقد كنا فى فندق بدون كراسى وبدون حمامات» ضحكت تاليتا وهى تشعر بطرافة الأمر. لقد حانت ساعة النهوض من السرير. إنه لأمر مخجل أن يكون على هذه الدرجة من الكسل.

ظل ترافلر على حاله فى تضاؤل ثقته وأمله كلما تقدم الزمن. وأصبحت الأحلام جد مختلفة، يناممان ورأساهما متلامسان، لكن الستار يرفع فى كل رأس على مشهد مسرحى مختلف. فكرّ ترافلر ساخرا إنهما يشبهان دارا عرض سينمائى متجاورتين فى شارع لابابى Lavalle وباعد عن نفسه أى أمل. لم يكن يؤمن فى أن يحدث ما كان يرغب فيه وكان يدرك أنه لن يحدث طالما ليس هناك إيمان. وأنه بلا إيمان لن يحدث شئ مما يجب أن يحدث وبالإيمان تقريبا نفس الشئ.

(100)

العطور والأناشيد الموسيقية والغالية[١] فى درجتيها الأولى والثانية ..رائحتك هنا مثل رائحة العقيق الأصفر. وهنالكَ رائحة العقيق ذى اللون الأخضر الناضج. انتظرى قليلا وهنا تشبه الرائحة البقدونسَ، أو تكاد، وكأنها قطعة تاهت فى جلد شمواه. هنالك رائحتك أنت. ياله من أمر غريب، وهو أن المرأة قد لا تستطيع أن تشم رائحة نفسها مثلما يشمها الرجل. هنا بالتحديد. لا تتحركى اتركينى. إن رائحتك تفوح منها غذاء ملكات النحل، والعسل الموضوع فى علبة دخان وطحالب رغم أن ذلك من المكرر المعاد. هناك الكثير من الطحالب. كانت رائحة ماجا مثل رائحة الطحالب الطازجة التى تم استخراجها فى آخر غدو ورواح للبحر. مثل رائحة الموجه نفسها، وفى بعض الأيام تختلط رائحة الطحالب بإيقاع أكثر كثافة وعندئذ لم يكن أمامى مفّر إلا الفساد - لكنه كاف فسادا قهرمانيا، أفهمت؟ ونوعا من البذخ البلغارى، ورئيس خدم تحيط به طاعة ليلية - وذلك بأن أقرّب شفتاى من شفتيك وألمس بلسانى هذا اللهب الوردى الخفيف الذى يتلألأ وقد حفته الظلال، وبعد ذلك أقوم ببطء شديد، بإبعاد فخذيها، وأجعلها تتمدد بعض الشئ ثم أقوم بتشمّمها مدة طويلة، وأشعر بيدها وهى تنتزعنى من نفسى مثلما يفعل اللهب مع بقايا ورقة الجرنال المحترقة. وعندئذ تبتعد العطور بشكل رائع ويتحول كل شئ إلى طعم وعض وألعاب هامة من خلال الفم والسقوط فى ذلك الظل والذهاب إلى مقر عجلة البدايات الأولى. نعم، ففى لحظة الحيوانية الدنيا، والقريبة من التغوط وأجهزته التى لا توصف، ترسم الهيئات الأولية والنهائية، وفى ذلك الكهف الملئ بالرطوبة، من جراء الراحة اليومية تجد نجم الدبران؟ يرتعش، وتقفز الجينات والنجوم وينحصر كل شئ فى الآلف والأوميجا. كوكيل كونت كون (مع) فرج، من الاف السنين أرماخيدون والتيرّاميسين. آه اصمتى لا تبدئى فها هى هناك أشكالك الظاهرية المقوتة ومراياك السهلة. ياالصمت جلدك، ويالها من هوّة حيث تدور حب النّرد المصنوع من الزمرد والبعوض والحفر، وحمض الفنيك وحفر ...

(92)

موريليات :

استشهاد :

تلك إذن هى الأسباب الأساسية والرئيسية والفلسفية التى قادتنى إلى بناء العمل على قاعدة ذات أجزاء متفرقة ـ متخيلا العمل على أنه جزئية من العمل ـ وقد عالجت الرجل على أنه دمج لأجزاء من الجسم وأجزاء من الروح ـ وفى الوقت نفسه تعاملت الإنسانية كلها على أنها خليط من الأجزاء. لكن إذا ما جاء أحد واعترض علىّ قائلا بأن هذا المفهوم الجزئى ليس فى جوهره أى مفهوم، بل هو خليط واستهزاء وسخرية وخداع وأننى بدلا من الالتزام بقواعد الفن أحاول التحايل عليها من خلال هذا الهزل واعوجاج قسمات الوجه والطنين.. وعندئذ أقول نعم، هذا حق، وبالتحديد تلك هى أهدافى وكل ما أريده بحق الله ـ لا أتردد أبدا فى الاعتراف به ـ هو أن أخطئ فى حق فنكّم أيها السادة كما فى حقكم أنتم. فأنا غير قادر على تحمّلكم مع ذلك الفن ومع مفاهيمكم وموافقكم الفنية وكل وسائلكم الفنية.!

جومبرو ويسك فيرديدورك: Gombrowij,[1] Ferdydurke

الفصل الرابع: تقديم لـ فيليدور المغطى بالطفل.

(-122)

146

خطاب إلي جريدة الأويزرفر

سيدى العزيز:

هل أشار أحد قرائكم إلى ندرة الفراشات خلال هذا العام؟ فلم أكد أراها هذا العام فى ذلك الإقليم الذى كان يعجّ بها باستثناء بعض جموع من papilos. ومنذ شهر مارس وحتى الآن لم أر إلا Cigeno واحدة ولم أر eterea ورأيت القليل من Teclas وQuelonia واحدة ولم أر Ojo de pavorreal (عين الطاووس) ولا Catocala أو البحار الأحمرAlmirante Rojo فى حديقتى. فخلال الصيف الماضى كانت مليئة بالفراشات.

وأتساءل فيما إذا كانت هذه الندرة عامة. وعند الإجابة بنعم ما هى أسبابها؟

M. Washbourn Pichcombem Glos

(29–)

147

لماذا هذا البعد الكبير عن الآلهة. ربما للتساؤل عن ذلك. وماذا الإنسان هو حيوان يسأل وفى اليوم الذى نعرف توجيه الأسئلة عن حق فسوف يكون هناك حوار. أما الأسئلة فى الوقت الحاضر فهى تبعدنا بشكل كبير عن الإجابات. فأى نوع من الظهور يمكننا أن نتوقع إذا ما كنا نغرق أنفسنا فى أكثر الحريات والجدلية المسيحية اليهودية زيفا؟ إننا فى حاجة إلى جهاز جديد يجب أن نفتح النوافذ كل واحدة على مصراعيها ونلقى بكل شئ فى الشارع وفوق هذا يجب أن نلقى بالنافذة نفسها ونلقى بأنفسنا معها. فإما الموت وإما الخروج طيرانا. لابد من فعل ذلك، وبأى شكل كان يجب أن تتوفر لدينا الجرأة والشجاعة بأن ندخل الحفلة وهى على أشدها ونضع على رأس صاحبة الحفل ضفدعة خضراء جميلة هدية من الليلة وأن نشهد دون فزع انتقام الأتباع.

(31)

148

فيما يتعلق بالجوانب الصرفية التى يوليها جابينو باسو Gabino Basso لكلمة شخص Persona.

إنه شرح واف وعبقرى فى نظرى، وحيث قام جابينو باسّو بمعالجة كلمة شخص Persona قناع فى كتابه «أصل الكلمات». يرى أن أصل هذه الكلمة هو الفعل Perso-nare حضر ـ أحتجز. ها هو عرض لوجهة نظره: «ليس الذى عنده القناع يغطى الوجه بالكامل ما عدا فتحة صغيرة فى مكان الفم، وبذلك يتمكن الصوت من ترفيع نفسه حتى يخرج من الفتحة بدلا من أن ينسكب فى كل اتجاه. وبخروجه من الفتحة الصغيرة يصبح ذا قوة وفاعلية. ولما كان القناع يجعل من صوت الإنسان أكثر رنينا وقوى الذبذبات فقد أطلق عليه شخص Persona وبالتالى فمن شكل هذه الكلمة نجد أن حرف ضخم فيها.

أوليو خيليو: ليالى أتيكية Noches aticas(1)

(42)

149

خطواتى فى هذا الشارع
ترن
فى شارع آخر
حيث
أسمع خطواتى
وهى تسير فى هذا الشـــارع
حيث
الضباب وحده هو الواقع الفعلى
أوكتابيـوبـــاث

(54)

150

معاقـون:

تعلن مستشفى مقاطعة نيويورك أن الدوقة الأرمل جرافتون التى كسر ساقها يوم الجمعة الماضى قضت يوما فى حالة جيدة جدا.

جريدة الصنداى تايمز ـ لندن

(95)

151

موريلّيات :

يكفى أن ينظـر المرء لحظات، بعينيه اللتين يستـخدمـهما كل يوم، إلى سلوك قط أو ذبابة حتى يشـعر بأن هذه الرؤية الجديدة التى يتجه إليها العلم، أى إلى ذلك اللاتشابه desantropomorfijzacen الذى ينادى به البيولوجيون وعلماء الطبيعة على أنه الإمكانية الوحيدة للاتصال بوقائع مثل الغريزة أو الحياة النباتية ليس شيئا آخر إلا ذلك الصوت البعيد والمنعزل والملح حيث تطالب بعض الاتجاهات فى البوذية و Vedanta الصوفية والزهد الغربى بأن نتخلى نهائيا عن الفناء.

(152)

152

هذا المنزل الذى أعيش فيه يشبه منزلى تماما: تجهيزات الحجرات، ورائحة الطرقة والأثاث والضوء المائل، فى الصباح القوى، عند الظهيرة والواهن فى المساء. يستوى كل شئ بما فى ذلك الطرق الصغيرة والأشجار والحديقة وهذا الباب القديم شبه المتهالك وكذلك أرضية الحوش. متشابهة أيضا الساعات ودقائق الزمن الذى يمر وهى تشبه ساعات ودقائق حياتى، وفى اللحظة - التى تدور حولى أقول لنفسى: «تبدو حقيقية ياله من شبه بالساعات الحقيقية التى أحياها فى هذه اللحظات!»

وإذ ما قمت من جانبى بإلغاء أى مساحة للتأمل فى منزلى رغم أن زجاج النافذة يلح على فى أن يرين ويرد على خيالى، حيث أرى أحدا يشبهنى. نعم شديد الشبه بى، وأعترف بذلك! بيتى وحياتى، عندئذ سوف أعثر على وجهى الحقيقى.

جاب تارديو[١] Jean Tardieu

(-143)

153

- من سكان المناطق الساحلية، وعليهم أن يضعوا له وردا إذا ما سها.
- سوف أحاول ألا أسهو.
- حسنا فعلت.

كامبا ثيريس: موسيقى عاطفية.

(19)

154

كانت الأحذية تطأ مادة مشمعة، وكانت الأنوف تشم رائحة بودرة مطهرة تشبه الحلو الحامض. كان العجوز ممددا فى السرير، تحيط به مخدتان، وأنفه يشبه خطّافا مرفوعا فى الهواء وكأنه يمسك به ويجعله فى وضع الجلوس. كان لونه يميل إلى الزرقة الرصاصية ومحاجر عينيه ذات شكل جنائزى. هبوط وصعود غير عادى مسجل فى كشف بيان درجة حرارة جسمه. ولماذا هم مهتمون لهذا الحد؟.

لقد قيل إنه لم يحدث شئ كما أن الصديق الأرجنتينى كان شاهدا على الحادث بالصدفة والصديق الفرنسى كان يُطلِّخ الّسير manchusta وكل المستشفيات سيئة للغاية، موريلّى، نعم، إنه الكاتب.

– قال إيتين :

– هذا غير ممكن .

لم لا دار ـ نشر ـ حجر ـ فى ـ الماء : يلوب، لم يعرف عنه شىء، تفضل موريلّى بأن قال لهما أنه قد تم بيع (وإهداء) حوالى أربعمائة نسخة. ومن هذه النسخ تم بيع نسختين فى نيوزيليدا وهذا شئ مثير.

أخرج أوليفيرا سيجارة بيده التى كانت ترتعش، ونظر إلى الممرضة التى أشارت عليه بالأيجاب، ثم ذهبت وقد تركتهما بين البرفانين ذوى اللون الأخضر. جلسا فى نهاية السرير بعدأن أخذا ورفعا بعض الصحف والكراسات ولفائف من الورق.

– لو كنا قد عرفنا الخبر من الصحف اليومية..... قال إيتين.

– قال موريلّى :

– لقد نشر الخبر فى جريدة «الفيجارو» تحت خبر يتحدث عن رجل الثلج البغيض.

– همهم أوليفيرا :

– لقد أدركت سيادتك الأمر لكن ذلك هو أفضل على ما أظن. وإلا فإن عددا كبيرا من المسّنات كبيرات الأرداف قد يأتين، وهن يحملن ألبوم التوقيعات التذكارية وعلبة عسل مصنوعة محليا.

– قال موريلّى :

– من نبات الراوند وهذا أفضل شئ. لكن من المستحسن ألايأتين.

154

– قال أوليڤيرا متدخلاً ويظهر عليه القلق :

– وفيما يتعلق بنا إذا ما كانت هناك مضايقة قل لنا وسوف نخرج فى الحال. وسوف تكون هناك مناسبات أخرى... إلخ. نفهم بعضنا أليس كذك.

– لقد جئتما دون أن تعرفا من أنا. وبالنسبة لى أرى أنه من الأفضل أن تظلا هنا بعض الوقت. الصالة هادئة وقد صمت بالأمس، أكثر المرضى صياحا فى الثانية صباحا كما أن البرفانات غير منقوصة. ولقيت عناية من الطبيب عندما وجدنى أكتب. فقد منعنى من مواصلة نشاطى لكن الممرضات قمن بوضع العطور ولم يعد أحد يضايقنى.

– متى ستعود إلى المنزل؟

– قال موريلّى :

– لن أعود أبدا فسوف تبقى العظام هنا أيها الفتية.

– قال إيتين باحترام :

– أكاذيب .

– سوف تكون مسألة وقت. لكننى أشعر أننى فى وضع أفضل، فقد انتهت مشاكلى مع البوّابة. ولم يعد أحد يجلب لى المراسلات ولا حتى تلك التى تصل من نيوزلندا بطوابعها الجميلة. وعندما نشر الكتاب، ولد ميتا، فإن المحصلة الوحيدة هو الرسائل البريدية القليلة والوفيّة. فهناك السيدة النيوزلندية والفتى الذى يعيش فى شيغلد. إنها الماسونية اللطيفة وشهرانية أن يكون هناك عدد قليل من الذين يشاركون فى المغامرة. لكن الآن، فى واقع الأمر ....

– قال أوليڤيرا :

– لم يخطر ببالى أبدا أن اكتب لك، أنا وبعض الأصدقاء نعرف كتابتك تبدو لنا ... عليك أن توفر علىّ ذلك النوع من الكلمات، وأعتقد أن الرسالة قد وصلت الحقيقة هى أننا تناقشنا ليالى كاملة ،ومع ذلك لم نفكر أن سيادتك فى باريس.

– كنت أعيش فى فبيرزون Vierzon حتى قبل ذلك بعام. ثم جئت إلى باريس لأننى كنت أريد أن أغوص فى بعض المكتبات. بالطبع فيرزون ... لقد أعطيت للناشر تعليمات بألايعطى عنوانى لأحد. لكن لست أدرى كيف عرفَتْ هذه القلة من المعجبين إن

ظهرى يؤلمنى كثيرا أيها الفتية.

– قال إيتين :

– إنك تفضل أن نذهب سوف نعود غدا على أى حال.

– قال موريلى :

– سوف يظل ظهرى يؤلمنى حتى عندما تذهبا، لندخن وأنتهز فرصة منعهم لى من التدخين.

كان الأمر يتمثل فى محاولة الوصول إلى لغة لا تكون أدبية.

وعندما كانت الممرضة تدخل يقوم موريلّى بوضع عقب بالسيجارة فى الفم بطريقة شيطانية وينظر إلى أوليفيرا وكأنه طفل صغير يرتدى قناع رجل عجوز. وكان هذا ممتعا.

.... إن نقطة الإنطلاق تشبه بعض الشئ الأفكار الرئيسية لعيزرا باوند E.pound لكن بدون الحذلقة والخلط بين الرموز الهامشية والدلالات الجوهرية.

ثمانية وثلاثون، اثنان، سبعة وثلاثون خمسة، ثمانية وثلاثون. الأشعة (رمز غير مفهوم)

.... أتعرف أن هناك القليلين الذين يستطيعون الاقتراب من تلك المحاولات دون أن يتصوروا أنها لعبة أدبية جديده. وجيدة جدا. والأمر السيئ هو أنه لازال هناك الكثير وسوف يموت المرء دون أن ينتهى من اللعبة.

– اللعبة رقم 25، تكثير السوداوات - قال موريلّى وهو يميل برأسه إلى الخلف. وفجأه بدت عليه علامات الشيخوخة متراكمة بعضها فوق بعض - إنه لأمرمؤسف، لقد بدا الوطن مهما. هل صحيح أن هناك شطرنج هندى به ستون قطعة فى كل جانب؟

– قال أوليفيرا :

– هذا حلم إنها المبارة اللانهائية.

– يكسب من يستطيع غزو المركز. ومن هناك يمكن السيطرة على كافة الاحتمالات، كما أن إصرار الخصم على مواصلة اللعب يفقد قيمته. إلا أن المركز يمكن أن يكون فى مربع جانبى أو خارج رقعة الشطرنج.

– أو فى أحد جيوب الصديرى.

– قال موريلّى :

– إنها صور من الصعوبة بمكان الهروب منها، مع أنها جميلة. إنها بمثابة نساء عقليات. هذا حق. كم كنت أود أن أفهم مالارميه Mallarmé بشكل أفضل، ومفهوم

154

الغياب والصمت هو أكبر بكثير من الحلّ المبالغ فيه أى impasse ميتافيزيقى. وذات يوم سمعت وأنا فى «خيريث دى لا فرونتيرا Jerez de la Frontera». طلقة مدفع على بعد عشرين مترا. واكتشفت معنى آخر للصمت. وتلك الكلاب التى تسمع الصفير الذى لا نسمعه نحن .... إنك رسم على ما أعتقد.

كانت يداه تسيران إلى جانبه وتبحث عن الكراسات الواحدة تلو الأخرى وتفرد بعض الأوراق المطوية. بين الفينة والأخرى، دون أن يتوقف عن الكلام، كان يلقى نظرة على إحدى الصفحات ويضعها دخل الكراسات وقد ثبتها بدبوس كليبس. كما أخرج قلم رصاص من جيب البيجامة مرة أومرتين، ووضع رقما على ورقة.

– أظن أن سيادتك تكتب.

– قال أوليڤيرا :

– لا ماذا سأكتب، ومن أجل ذلك لابد أن يتوفر اليقين بأن المرء قد عاش.

– الوجود يسبق الماهية ـ قال موريلّى مبتسما.

– إذا ما شئت. ليس هو ذلك بالتحديد فى حالتى.

– قال إيتين :

– لقد حل بك الإرهاق هيا بنايا أوراثيو. لو بدأت فى الكلام... إننى أعرفه يا سيدى، إنه رهيب.

كان موريلّى يبتسم وهو يقوم بجمع الصفحات وينظر إليها، ويبدو أنه يحدد طبيعتها ويقارنها ببعضهاالبعض. انزلق فى السرير بعض الشئ بحث عن أفضل وضع يسند فيه رأسه. نهض أوليڤيرا.

– إنه مفتاح الشقة ـ قال موريلّى ـ هذا طيب لى فى الواقع.

– قال أوليڤيرا :

– سوف تكون هناك مشكلة عويصة.

– لا، إنها أقل صعوبة مما يبدو، فالدوسيهات سوف تساعد كثيرا. هناك نظام الألوان والأرقام والحروف. ومن السهل فهمه على الفور؛ فعلى سبيل المثال هذه الكراسة سوف توضع فى الدوسيه الأزرق، وفى جزء أطلق عليه البحر. أضف إلى ما سبق فكل هذا بالنسبة لى عبارة عن لعبة لكى أفهم نفسى بشكل أفضل. رقم 52

154

لنضعه فى مكانه بين رقم 51، 53. إنه الترقيم العربى ،أفضل وأسهل شئ فى العالم.

– قال إيتين :

– لكن يمكن لسيادتك أن تفعل هذا بنفسك خلال بضعة أيام.

– إننى لا أنام جيدا. كما أننى أيضا أصبحت خارج الكراسة. ساعدانى، فذلك أن هناك من جاء لزيارتى. ضع كل هذا فى المكان المخصص له وسوف أكون مرتاحاهنا إنها مستشفى رائعة.

كان إيتين ينظر إلى أوليڤيرا. وأوليڤيرا ... إلخ إنها المفاجأة المتوقعة. إنه لشرف عظيم لا نستحقه.

– وبعد ذلك تقومان بحزم كل ذلك فى لفة واحدة وترسلان بها إلى باكو Paku.

دار نشرالكتب الطليعية شارع لاربر L, Arbre. أتعرفان أن باكو هو الاسم الأكادى لهرمز؟ لقد بدا لى دوما... لكننا سوف نتحدث سويا يوما آخر.

– قال أوليڤيرا :

– عليك أن تتصور أننا تدخلنا فى الأمر وتسببنا فى لَبْس كبير. ففى الجزء الأول كان هناك تعقيد رهيب، فهذا وأنا تناقشنا طوال ساعات حول ما إذا كان هناك خطأ عند طبع النص أم لا.

– قال موريلّى :

– لا شئ يمكن قراءة كتابى كل حسب رغبته. liber fulgularis إنها أوراق كَهَانة وهكذا دواليك. وإذا ما أخطأوا، على أسوأ افتراض، فربما كان هذا هو الأصح. إنهامزحة من هرمز باكو، صانع الحيل والغوايات، أتعجبكما هاتين الكلمتين؟

– قال أوليڤيرا :

– لا لا هذه ولا تلك. إنى أرى أنهما أصيبتابالتعفّن.

– قال موريلّى وهو يغمض عينيه :

– لابد من الحذر كلنا يبحث عن النقاء، ويّمر الحويصلات القديمة القميئة الدهان. وذات يوم كان خوسيه بيرجامين J.Bergamin يوشك أن يسقط على الأرض لأننى حقّرت من شأن صفحتين وبرهنت له على أن .. لكن حذار يا صديقى وربما كان مانسميه النقاء ...

154

– قال إيتين :

– إنه مربع ماليفتش Malevich.

– هو ذاك. كنا نقول بأن علينا أن نفكر فى هرمز، وأن نتركه يلعب. خذا ورتبا كل ذلك طالما أنكما أتيتما لترنينى. وربما تمكنت من الذهاب إلى هناك وألقيت نظرة.

– سوف نعود غدا إذا ما شئت.

– حسن، وسأكون قد كتبت أشياء أخرى. سوف أصيبكما بالجنون. فكرا جيدا فى الأمر. وأحضرا لى سجاير جلواز.

أعطاه إيتين علبة سجائر. لم يكن أوليڤيرا يدرى ماذا يقول وهو يضع المفتاح فى يده.

كل شئ قد أخطأ، فذلك لم يكن من الواجب أن يحدث ذلك اليوم، لقد كانت لعبة تافهة على رقعة الشطرنج المكون من ستين قطعة، إنها السعادة التى لا تجدى وسط أسوأ حالة حزن، ومن الواجب ذبّها وكأن المرء يهش الذبابة وتفضيل الحزن فى الوقت الذى يصل إلى يد الأنسان ذلك المفتاح الذى يؤدى إلى السعادة، إنها خطوة نحو شئ كان يعجب به وفى حاجة إليه. إنه مفتاح لباب موريلّى وعالم موريلّى. لكن وسط كل هذه السعادة يشعر المرء بالحزن والقذارة وجلده متعب وعيناه بها «عُماص». ورائحة الليل بلا نوم وغياب آثم، وعدم وجود مسافة ليفهم فيما إذا ما كانا قد تصرفاجيدا فى كل ما يفعلانه وما لا يفعلانه فى تلك الأيام، وهو يسمع الزغّطة التى تصدر عن ماجى والضربات على السقف ويتحمل المطر الذى ينزل فى صورة نتف ثلج على الوجه، والإصباح على كوبرى Marie والتجشؤ الحمضى، بطعم النبيذ المختلط بالكانيا والفودكا والمزيد من النبيذ، والشعور بأنه يحمل فى جيبه يدا ليست يده، إنها يد روكاما دور ـ قطعة من الليل يتساقط منها اللعاب وينزل على فخذيه ـ والسعادة التى تأخرت كثيرا وربما جاءت قبل موعدها المحدد (عزاء ربما جاءت مبكرة، ولا يستحقها. وعندئذ، ربما، من الممكن، ربما، قذارة، قذارة إلى اللقاء يا أستاذ. قذارة ، قذارة قذارة لا نهاية لها. نعم، ساعة الزيارة، هناك إصرار لا ينتهى على القذارة فى الوجه وفى العالم، إنه عالم من القذارة. سوف نأتى لك ببعض الفاكهة والقذارة المكثفة لمضاد القذارة، قذارة سوبر لما هو تحت القذارة. قذارة من جديد لمضاد جديد للقذارة. فى مستشفى لينيك ذا تم اكتشاف السماعة الطبية ربما حتى الآن ... المفتاح،

154

هورمز يفوق الوصف. المفتاح، حتى الآن، ربما يمكن الخروج إلى الشارع ومواصلة السير، إنه مفتاح فى الجيب. ربما كان هناك مفتاح اسمه موريلّى تديره وتدخل فى شئ آخر، ربما ...

– قال إيتين فى المقهى :

– إنه لقاء يتسم فى حقيقة الأمر، وهى عدة أيام .

– قال أوليڤيرا :

– هيا إنه لأمر سيئ أن يتركك تقع هكذا لكن هيا. وأبلغ كلا من رونالد وبيريكو، وسوف نلتقى فى العاشرة مساء فى منزل العجوز.

– قال إيتين :

– إنها ساعة غير مناسبة لأن البوابة لن تتركنا ندخل.

آخرج أوليفرا المفتاح ولفه لفة تحت حزمة من أشعة الشمس، ثم سلمه المفتاح وكأنها عملية استسلام مدنى.

(85)

إنه أمر لا يصدق، إذ يمكن أن يخرج من البنطلون أى شئ مثل الزنابير والساعات والقصاصات والأسبرين الملون، وتضع يدك فى أحد الجيوب فتخرج المنديل، ومن طرفه تخرج فأراميتا. كلها أشياء قابلة للحدوث. كان أوليڤيرا يبحث عن إيتين الذى لازال متأثرا بحلم الخبز وذكرى أخرى من حلم خطر على الذاكرة وكأنها حادثة تقع فى إحدى الحارات. ها هى فجأة، ولا يستطيع أن يفعل معها شيئا. وضع أوليڤيرا يده فى جيب البنطلون القطيفة البنى اللون. حدث ذلك عند ناحية البوليڤار راسبال ومون بارناس، فعل ذلك ويلقى نصف نظرة على تلك الضفدعة التى ترتدى الروب. إنه بلزاك رودين أو رودين بلزاك، ذلك الخليط المعقد والمكون من اثنين من الرعود، فى شكل حلزونى غير مستقيم، فى هذه اللحظة أخرجت اليد من الجيب قصاصة ورقة عليها أسماء صيدليات الطوارئ فى بوينوس أيرس وقصاصة أخرى اتضح أنها إعلانات عن متخصصين فى العَرَافة وقراءة ورق اللعب. كان من المسلى معرفة أن السيدة كولومير، العرافة المجرية (ربما كانت واحدة من أمهات جويجورو فيوس) تعيش فى شارع أبيسس Abbesses وتملك أسرارا بوهيمية وتستطيع أن تعيد الحب المفقود. ومن هنا يمكن الانتقال إلى الوعد الأعظم:

وبعده تتم الإشارة إلى قراءة الطالع من خلال الصورة حيث تبدو متآكلة بعض الشئ. وبالنسبة لإيتين، المستشرق، كان يمكن أن يثير اهتمامه معرفة أن البروفسور Mihn سيقدم الحقيقة. إنه طلسم الشجرة المقدسة فى الهند Boch. C.I NF Timb B.P.27. كما لانستغرب وجود مدام شمشون، ميديوم ـ تاروت 23 شارع هرمل (خاصة وأن هرمل ربما كان متخصصا فى الحيوانات، إلا أن اسمه فيه إشارات إلى كيماوى) وأن يكتشف المرء، بكل الفخار الأمريكى الجنوبى، التنبوءات القاتلة لأنيتا Ani-ta، بقراءة أوراق اللعب وتحديد التواريخ بدقة، وكذلك ما تفعله خوانا ـ خويث (Sic) التاورت الأسبانى والأسرار الهندية، وكذلك مدام خوانيتا العرافة عن طريق فِيَش الدومينو والقواقع والزهور. لابد من الذهاب مع لاماجا لزيارة مدام خوانيتا. القواقع والزهور لكن ليس مع لاماجا، لا. كان يطيب لها أن تعرف المستقبل من خلال الزهور. «مرزق» هى فقط التى يمكنها إعادة الحنان. لكن أى ضرورة فى تجربة اللاشىء؟ هذا ماسيعرف فى الحال. إلاأن الصبغة العلمية لجان دى نيى. أفضل فهو يعيد نظراته

الدقيقة على الصور الفوتوغرافية والشعر والكتابة، إنه الدائرة المغناطيسية المتكاملة. وعنما وصل أوليفيرا مقابر مونت بارناس وبعد أن قام بتحويل الورقة إلى كرة صغيرة أرسل بالعّرافات لينضممْن إلى بودلير على الجانب الآخر من السور ويكنّ فى رفقة ديفيرا Déveria وألوسيوس برترانر «A.Bertrand. ومع أناس آخرين يستحقون أن تقوم العرافات بقراءة الطالع لهم، وأن مدام فريدريكا العرافة المتخصصة فى قراءة الطالع لعلية القوم فى باريس، وذات السمعة العالمية والمشهورة بتنبؤاتها التى تنشر فى الصحف والإذاعات العالمية، وفى مهرجان كان. تشى، ومع باربى أورفيل B.d'Aurevilly التى لو تمكنت منهن لأحرقتهن؛ كذلك حوباسان أيضا. وليت الكرة الورقية تكون قد سقطت فوق قبرموباسان أوقبر الوسيوس برتراند لكن هذه التفاصيل لا يمكن للمرء أن يعرفها وهو خارج المكان.

كان إيتين يتصور أنه من الغباء أن يذهب أوليفيرا لمضايقته فى مثل هذه الساعة من الصباح رغم أنه قد نتظره وقد جهز ثلاث لوحات كان يرغب أن يريها لأوليفيرا لكن هذا الأخير قال على الفور أن من الأفضل وأن يذهبا بعد ذلك إلى مستشفى نيكر Necker لزيارة العجوز صب إيتين اللعنات بصوت خفيض وأغلق المرسم، قالت لهما البوابة التى تكنّ لهما الكثير من الود إنهما شاحبى الوجوه وكأنهما خارجين من قبر، أو كأنهما من رجال الفضاء ولهذا فقد كتشفا أن مدام بوبت Bobet كانت تقرأ كتب الخيال العلمى فأثار ذلك استغرابها وعندما وصلا إلى بار Chien qui fume تناولا كأسين من النبيذ الأبيض وهما يتناقشان عن الأفلام والرسم كوسائل ممكنه مضادة لحلف شمال الأطلنطى وغير ذلك من الأمور المزعجة فى العالم. لم يكن إيتين يستغرب كثيرا قيام أوليفيرا بزيارة إنسان لا يعرفه، واتفقا فى القول على أن هذه الطريقة هى الأكثر راحة ... إلخ وعلى طاولة البار كانت هناك سيدة تقوم، متحمسة، بتقديم وصف للغروب فى نانت Nantes حيث تعيش ابنتها طبقا لقولها. كان إيتين وأوليفيرا يستمعان باهتمام لكلمات مثل الشمس والنسمة والحشائش والقمر والعقعق والسلام Larenga، و**6500** فرنك والضباب ونباتات من فصيلة الدلفى، وتقدم العمر، وعمتها، واللون السماوى، وليتيها لا تنس، وأصص الزرع وبعد ذلك أثار إعجابها اللوحة المكتوب عليها فى هذه المستشفى اكتشف [1]البنك السماعة الطبية» وفكر كلاهما (وقال ذلك) أن الـ Auscultacionلابد وأن يكون نوعا من الثعابين أو سلامندرا تختبئ جيدا نيكر

ومطاردة فى الطرقات والأدوار التى تحت الأرض حتى تستلم لاهثة إلى الشاب العالم.
قام أوليفيرا بالتقصىّ عن الموضوع ثم توجها إلى صالة †Chauffardالدور الثانى يمين.

– قال أوليفيرا :

– ربما لم يأت أحد ليعوده أنظر هل من باب الصدفة أن اسمه موريلّى

– قال إيتين وهو ينظر إلى النافورة وما بها من أسماك، حيث ترى فى الحوش المفتوح :

– ربما مات.

– لو كان ذلك لقالوا لى. لقد نظر إلى ذلك النمط لا أكثر. لم أشأ أن أسأله فيما إذا كان هناك أحد قد جاء قبلنا.

– يمكن زيارته دون الذهاب إلى مكتب الأمن.

إلى آخره. هناك لحظات يكون فيها الحوار مطوّلا، وربما كان ذلك للإحساس بالقرف أو الخوف أو الإضطرار إلى صعود دورين مع رائحة الفينول النفّاذة، يطول الحوار وكأن المرء يتولى تعزية أحد مات له أحد أبنائه ويتم اختراع الحوار الأكثر بلاهة. أو هو جالس إلى جوار الأم حيث يقوم بتزرير الروب ويقول «هكذا، حتى لا تصابى بالبرد» تتنهد الأم: «شكرا» فيقول المرء «لا، على ما يبدو، لكن الحوار يصبح باردا بعض الشئ فى هذه الفترة من العام» فتقول الأم «نعم، هذا صحيح» فيقول المرء «ألا تريدين منديلا؟» لا. انتهى فصل البالطو الخارجي. وبعد ذلك يبدأ الهجوم على البالطو الداخلى:

سوف أعد لك الشاى، لكن لا، ليس لى رغبة. «نعم، لابد أن تتناولى شيئا، فليس ممكنا ألا تتناولى شيئا طوال عدة ساعات» لا تدرى هى شيئا عن الساعة «لقد تجاوزت الثامنة. ولم تتناولى شيئا من الرابعة والنصف. كما أنك هذا الصباح لم تأكلى إلا القليل. لابد أن تأكلى شيئا ولو قطعة خبز محمصة، وعليها بعض الحلو». ليست لها شهية «افعلى ذلك من أجلى وسوف ترين أن كل شئ صعب وخاصة فى البداية» تنهد، لاسلبا ولا إيجابا «من الواضح أن لك رغبة فى الطعام وسوف أعد لك الشاى حالا». إذ لم يجد ذلك فهناك الكراسى. «إنك فى وضع غير مريح سوف تصابين بتقلصات.» هذا

155

ليس جيدا «لكن لا، لابد أن يكون ظهرك قد أصيب «بالتنميل» فقد جلست طوال المساء على هذا الكرسى الصلب. من الأفضل أن ترقدى بعض الوقت» آه لا، ذلك لا. السرير يعتبر كأنه خيانة «هذا ما أنت فى حاجة إليه وسوف ترين أنك ستكونين فى وضع أفضل. كما أنى سوف أظل إلى جانبك» لا، كل شئ جيد هكذا حسن، لكن سوف آتيك بمخده لتضيعها خلف ظهرك» حسن «سوف تتورم سيقانك سوف آتيك بكرسى حتى يكون قدميك فى وضع أعلى» شكرا «وبعد ذلك بقليل إلى السير وسوف تعدينى بذلك» تنهيدة «نعم، نعم، بدون دلع، وإذا قال لك الطبيب ذلك فعليك بالطالعة» عموما «لابد أن تنامى يا عزيزتى» Vaianter ad libitum

– «إنها فرصة للحلم» ـ همهم إيتين الذى كان يلوكlas vaneintes بمعدل مرة واحدة فى كل درجة سلّم.

– إننا لا نعرفه. وربما قد مات بالفعل. انظر إلى هذه الشقراء، أودّ أن تقوم هذه بعمل تدليك لى. أحيانا ما تدور بخاطرى خيالات عن المرض والمرضات. ألا يحدث لك ذلك؟

– عندما كان عمرى خمسة عشر عاما، إنه أمر رهيب كان إيروس مسلّحا بحقنة فى العضل وكأنها سهم مُشْرَع وكانت هناك فتيات رائعات يتولين غسلى من أعلى إلى أسفل، وكنت أموت فى أيديهنّ.

– تمارس العادة السرّية

– وماذا؟ ولماذا الخجل من ممارسة العادة السرية؟ إنها نوع من الفنون الصغرى إلى جانب الفن الأكبر. لها قوانينهاووحدات الزمن والحدث والمكان إلى غير ذلك من المكوّنات. لقد مارست العادة السرية وأنا فى سن التاسعة وفعلت ذلك تحت شجرة لكية ombi. كان شيئا رائعا.

– لكية؟

– قال أوليڤيرا :

– مثل نوع من أنواع الحبحاب لكنى أعترف لك بسر. إذا ما أقمست ألا تفضى به لأى فرنسى. اللكية ليست شجرة هى: يويو أى جرجير

– حسن، لم يكن الأمر خطيرا إلى تلك الدرجة.

– كيف يمارس الصبية فى فرنسا هذه العادة!

– لا أتذكر.– إنك تتذكر جيدا. لنا هناك أنظمة غير عادية، الدقة، واللحظة. هل فهمت؟

لا أستطيع أن أسمع تانجو إلا وتذكرت كيف كانت خالتى تعزف البيانو.

– قال إيتين :

– لست أرى وجود علاقة بين هذا وذاك...

– لانك لا ترى البيانو فقد كانت هناك مساحة خالية بين البيانو والحائط وكنت أختبئ هناك لا لأمارس العادة السرية. كانت خالتى تعزف مقطوعة «ميلونجيتا» أو الزهور السوداء. كانت مقطوعات حزينة تساعدنى فى أحلامى عن الموت والتضحية. وأول مرة اتسخ فيها الباركيه بسببى كانت رهيبة إذ تصورت أن البقعة لن تزول، ولم يكن معى منديل وعلى الفور أمسكت بفردة شراب وأخذت أمسح كالمجنون كانت خالتى تعزف «بيانكا» ويمكننى أن أعزفها لك صفيرا إذا ما أردت. إنها جد محزنة...

– لا يمكن الصفير فى المستشفى. لكنك تشعر بالحزن على نفس الدرجة. لقد أصبحت فى حالة يرثى لها يا أوراثيو ..

– إننى أبحث عن ذلك. مات الملك يحيا الملك. فإذا ما ظننت أنه من أجل امرأة ... لكيه أو امرأة، فالكل جرجير فى حقيقة الأمر..

– قال إيتين :

– ذلك رخيص، رخيص جدا. سينما سيئة. وحوارات لا قيمه لها ومن المعروف ما هو ذلك. الدور الثانى. إستوب. مدام ...

– من هنا ـ قالت الممرضة

– قال لها أوليفيرا :

– لم نعثر حتى الآن على الـ auscultacion

– قالت الممرضة :

– لا تكن أبلها.

– قال إيتين :

– تعلم تحدثت كثيرا عن حلم الخبز الذى يشكو. وتزعج الآخرين كثيرا

وبعد ذلك لا تقدر على حكاية النكات لماذا لا تذهب إلى الريف لبعض الوقت؟ إن

وجهك يصلح لأن يكون هدفا للرسام سوتين Sautine يا أخى.

– قال أوليفيرا :

– إن ما يزعجك فى حقيقة الأمر هو أننى قد أخذتك من بين نزواتك الملونة وعاداتك اليومية وأجبرتك على أن تأتى معى لنطوف فى باريس بعد يوم الدفن. فالصديق الحزين، له علينا أن نسرّى عنه. وعندما يتصل الصديق بالتيلفون لابد من السير على هواه. يتحدث الصديق عن المستشفى، وحسن. هيا بنا.

– قال إيتين :

– أقول لك بصراحة تزداد لامبالاتى بك. وما كان يجب على أن أفعله هو التجوال مع لوثيا المسكينة. فهى التى فى حاجة لذلك.

– قال أوليفيرا وهو يجلس على كرسّى :

– هذا خطأ إن ماجا مع أوسيب وعندها ما يسليها، هو جو وولف، وتلك الأمور. فى حقيقة الأمر نجد أن لماجًا حياتها الشخصية رغم أننى تأخرت زمنا فى معرفة ذلك. أما أنا ففى خواء، وعندى حرية كبيرة لأحلم وأسير هنا وهناك، وأكسر كل اللعب ولا مشكلة فى ذلك. أعطنى كبريتا.

– لا يمكن التدخين فى المستشفى.

– نحن الذين نصنع ،هذامناسب جدا للتسّمم

– قال إيتين :

– توجد صالة Chauffard هناك فلن نمكث اليوم بطوله على هذا المقعد.

– انتظر حتى أنتهى من تدخين السيجارة.

(–92)


الـهـوامـش

هوامش المقدمة:

(١) Jakfa;vi- susana. (las armas secretas) Catedra Madrid- 1986- pag12.

(٢) انظر رواية (الحجلة) وخصوصا الأشارات الواردة بهذا الخصوص فى الجزء الأول منها (من هذا الجانب)

(٣) J. Susana ibid pag12

(٤) G.Bermejo Ernesto «حوار مع كورثارثار» دار نشر - المكسيك Hermes ١٩٧٨ ص ٢٧.

(٥) J.Susana ibid pag 13

(٦) G.B. Ernesto ibid pag28

(٧) «حوار مع خوليو كورثاثار» O. Prego دار نشر Muchnik - برشلونة ١٩٨٥- ص ٥٤

(٨) نفس المصدر ص ٥٥

(٩) نفس المصدر ص ١٦ J. Susana

(١٠) Rayuela- Catedra- Madrid 1996 pag18

(١١) نفس المصدر O. Prego

(١٢) نفس المصدر O. Prego

(١٣) Verdevoye Paul "Antologia de la narrativa Hispanoomericana. Gredos. Madrid 1979 paf29

(١٤) المقدمة نفس المصدر Amoros Andres

(١٥) نفس المصدر ٤٢ G. Bermejo E.

(١٦) نظرية القصة عند كل من أوناموثو وأورتيجا وكورثاثار

(١٧) نفس المصدر ص ١٠٧

(١٨) نفس المصدر ص ١١١

(١٩) نفس المصدر ص ١٩٢

(٢٠) نفس المصدر ص ٦٣ G.B. Enesto

(٢١) نفس المصدر ص ٥٨

(٢٢) نفس المصدر ص ٦٠ Prego Omar

(٢٣) الرواة فى أمريكا اللاتينية ص ٣٢ L. Harss

(٢٤) نفس المصدر ص ٢٥ Jakalvi susana

هوامش الـروايــة

تنوية : لقد اعتمدنا فى هذه الهوامش على تلك التى أعدّها البروفسور: أندريس أموروس ـ طبعة كاتدرا ـ لعام ١٩٩٦.

الفصل (-1-)

(١) يقع هذا الشارع فى الحيّ اللاتينى فى بارس

(٢) يمتد على الشاطئ الأيسر لنهر السين

(٣) يصب شارع Magaعلى السين من الشاطئ المقابل

(٤) هو أحد الأحياء القديمة والهادئة التى تتسم بطبيعتها التقليدية

(٥) يمتد من شارع Chateletمتجها نحو الشمال

(٦) (١٨٨٢- ١٩٦٣) هو واحد من عمالقة التيار التكعيبى التركيبى.

(٧) (١٤٤٩- ١٤٨٤) رسام ينسب للعصر الثانى الفلورنس القرن الخامس عشر

(٨) واحدة من كبار الأدباء الطليعيين وخاصة المدرستين الدادية والسيريالية

(٩) حديقة هادئة فيها هضاب وبحيرة فى دائرة المدينة الجامعية

(١٠) أكبر ميادين باريس.

(١١) (١٢٢٥- ١٣٣٧) هو مؤلف كتابى «الكلمات المقدسة» و«الأعمال الطيبة لقديسنا الملك لويس)

(١٢) هوشارع يقع على الجانب الأيمن فى منطقة Halles

(١٣) يقع فى الحى اللاتينى وفيه بعض المطاعم الشعبية الشهيرة

(١٤) هو عنوان إحدى القصص القصيرة المشهورة للأخوين جاكوب (١٧٧٥- ١٨٦٣) و يلهلم (١٧٨٦- ١٨٥٩) وهما من الكتاب الرومانسيين والباحثين فى ألمانيا

(١٥) ظهرت لاماجا إحدى شخصيات هذه الرواية لأول مرة فى الشارع

(١٦) أحد عمالقة جيل الأوروجواى أى المسمى جيل الـ ٩٠٠ (١٨٦١- ١٩٢٨) مارس العديد من المهن: محامى وسياسى وكاتب ورسام...

(١٧) (١٨٧٩- ١٩٤٠) أحد أكبر عمالقة الفن التجريدى فى الحقبة المعاصرة ـ سويسرى
(١٨) (١٨٩٣- ١٩٨٣) أحد كبار الفنانين السرياليين الأسبان
(١٩) (١٨٩٣- ١٩٧١) ممثل ومخرج سينمائى له أكثر من مائتى فيلم
(٢٠) (١٨٩٥- ١٩٦٧) مخرج سينمائى نمساوى، هو أحد عمالقة الإخراج السينمائى فى ألمانيا
(٢١) (١٨٩٠ مخرج سينمائى نمساوى وأحد عماقة السينما
(٢٢) كانت المحببة للفنانين والكتاب خلال الفترة بين الحربين العالميتين الأولى والثانية مثل جويس.
(٢٣) يقع فى جنوب باريس
(٢٤) الحب الكبير للراوى
(٢٥) إيسيدورو دوكاس (مونتفيديو ١٩٤٦- باريس ١٩٧٠) كونت، مؤلف «أغانى مالدورود (١٨٦٩)
(٢٦) ولد فى دبلين ١٧٨٢ هو أحد مبدعى دعائم الاتجاة الرومانسى الإنجليزى.
(٢٧) عنوان أحد أشهر مؤلفات هذا العالم الكبير.

الفصل (-2-)

(١) هو اسم مدينة فرنسية وبالتالى فقد أطلقت لاماجا اسم المدينة علىابنها
(٢) موسيقى شهير (١٧٩٧- ١٨٢٨)
(٣) الأوبرا الشيهرة «السوداء» لـ Geroge Gersh win(١٨٩٨- ١٣٧)
(٤) موسيقى (١٨٦٠- ١٩٠٣)
(٥) هناك إشارات فى أكثر من مكان الديكارت ويعتبر فى هذه الرواية كرمز للعقلانية التى يحاول بطل الرواية تجاوزها.
(٦) هو أسلوب متطور »بتداء بما يسمى be- bop.
(٧) هذه أول إشارة إلى زمن أحداث الرواية كما أنه سيعود لذكر [illegible] الإشارات الأخرى نبرز منها الحديث عن بناء السد العالى فى مصر.
(٨) فيلسوف دانمركى يعتبر من رواد الفلسفة الوجودية.
(٩) (١٨١٠- ١٨٥٦) وأبرز أعماله «حب وحياة امرأة»
(١٠) Bebop ليس هناك اتفاق حول أصول هذه الكلمة التى [illegible] على [illegible] وب جديد فى موسيقى الجاز خلال الأربعينات من القرن العشرين وربما كان [illegible] البوليس عندما تهوى على الرؤس.

(١١) مفكر وفيلسوف أسبانى شهير (١٨٨٣– ١٩٥٥)

(١٢) (١٨٧٤– ١٩٢٨) فيلسوف ألمانى قام بوضع أخلاقيات القيم.

الفصل (-3-)

(١) يلاحظ هنا أنه يبدأ لأول مرة عملية السرد القصصى باستخدام ضمير الغائب بعد أن كان ضمير المتكلم فى البداية

(٢) (١٧٠– ١٨٠٣) له سلسلة عديدة من المؤلفات الموسيقية تبلغ ٨٣ رباعية ألفها على مدى نصف قرن

(٣) (١٨٢١– ١٩٠٦) كان من معارضى Rosas وأصبح بعد ذلك رئيسا لجمهورية الأرجنتين خلال الفترة من (١٨٦١– ١٨٦٩) نشر عدة قصائد وبعض الروايات وله دراسات أخرى.

(٤) (١٧٤٠– ١٧٨٢) هو واحد من الثوار فى بيرو. أطلق عليه هذا الاسم ظنا أنه من سلالة أبناء حضارة الانكاس. incas أعدم فى ميدان عام.

(٥) هما أكبرناديين متنافسين فى الدورى الأرجنتينى لكرة القدم.

(٦) هو رسم أطلق على أسلوب فنى لنجار إنجليزى عاش خلال القرن الثامن عشر.

(٧) أحد أبطال الأساطير الهندية.

(٨) هو عنوان رواية للروائى والقر باتر (١٨٣٩– ١٨٩٤)

(٩) هو أول من صعد إلى أعلى قمة فى الهيمالايا إلى جانب أحد زملائه.

الفصل (-4-)

(١) تظهر لأول مرة الإشارة إلى الرمز الأساسى للرواية وهى الحجلة

(٢) بناه لويس الخامس عشر ليكون كنيسة ثم أصبح صرحا للمشاهير

(٣) هذه أول إشارة إلى ما أطلق عليهأوليڤيرا اللغة الجليجية

(٤) (١٧٣٤– ١٨٠٦) كاتب فرنسى عاش خلال القرن الثامن عشر يتسم بأنة غريب الأطوار وإباحى.

(٥) (١٩٠٣– ١٩٢٣) روائى فرنسى عاش خلال الفترة بين الحربين

(٦) (١٨١١– ١٨٧٢) شاعر فرنسى

(٧) سوف يرد الحديث فيما بعد عن هذا المذهب الشرقى.

(٨) قصاص وكاتب مقال فرنسى عاش فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

الفصل (-5-)

(١) (١٨١٨- ١٨٨٣) روائى روسى مؤلف «حكايات صياد» و«أب وأبناء»...

(٢) ابنة هيليوسوبيرسيدا. تزوجت من مينوى وأصبحت الملكة الأسطورية لجزيرة كريت

الفصل (-6-)

(١) روائى وكاتب مسرحى فرنسى حاصل على جائز نوبل عام ١٩٥٢

(٢) يذكر السوق الذى يوجد فى هذا الشارع فى الفصل ٢٣

(٣) يمكن أن يكون فى هذا السياق بمثابة زوجين من الشخصيات الشعبية لا ينفصلان عن بعضهما.

(٤) يعود المؤلف لذكر هذه العبارة مرة أخرى فى بداية الفصل رقم ٩٢. وقد خصص هذا الفصل (السادس) للقاءات الصدفة التى تعتبر ملمحا من ملامح سيرة خوليو كورتاثار.

الفصل (-7-)

(١) اسم عملاق من الأساطير اليونانية وله عين واحدة

الفصل (-9-)

(١) فيلسوف ألمانى اخترع نظام تعليم اللغات الذى يحمل اسمه. وقد استخدم هذا المنهج لأول مرة فى أمريكا عام ١٨٧٨.

(٢) (١٨٦٤- ١٩٠١) أحد الدعامات الرئيسية لاتجاه مابعد الانطباعية.

(٣) أحد الأسماء اللامعة فى عالم الرسم التجريدى (يعود المؤلف للإشارة إليه عند الفصل ٢١، ٢٨، ١٣٣...

(٤) هو الذى أسس مدينة بوينوس أيرس عام ١٥٣٦م.

الفصل (-10-)

(١) موسيقى من شيكاغو تعلم وحده العزف على البيانو وبعض الآلات الموسيقية الأخرى ولدعام (١٩٠٣) وهو واحد من مشاهيرموسيقى الجاز

(٢) (١٩٠٤- ١٩٣٣) عازف جيتار أمريكى

(٣) عازف ساكسفون، وتينور (١٩٢٧-؟) هو أحد روّاد التيار الموسيقى Cool.

(٤) مفكر أسبانى معاصر.

الفصل (-11-)

(١) إشارة إلى المدرسة اليونانية التى توجه الفكر فى إتجاه الميتافيزيقا ومن أبرز عمدها ميليسو وزينون و...

(٢) أحد مشاهير موسيقى الجاز وأسلوبه طبقا للكورثاثر هو المناقض لـ hot.

(٣) عازف بيانو وضابط إيقاع وقائد أوركسترا.

الفصل (-12-)

(١) روائية أمريكية ولدت عام ١٩١٨

(٢) كاتب فرنسى ألف عددا من الروايات والقصائد والمقالات، وينسب إلى المدرسة السيريالية.

(٣) قامت الجيوش الرومانية التابعة لجيوليوس قيصر (٥٢ق.م) بغزو جزيرة Cité وهى التى أطلق عليها بعد ذلك Lutecia.

(٤) هو أحد مشاهير العزف على آلة من آلات النفخ Trompeta.

(٥) كان يقود فرقة موسيقية كبيرة - ولد عام ١٨٩٠-)

(٦) (١٨٩٤- ١٩٣٧) هى إمبراطورة الـ blues.

الفصل (-13-)

× نوع من الأطباق الألمانية وهو يقوم أساسا على نبات الكرنب

الفصل (-14-)

(١) عازف الساكس (١٩٢٦- ١٩٦٧)

(٢) عازف الساكس والكلارينيت (نيو أورليانز ١٨٩٧- ١٩٥٩)

(٣) ربما كان ذلك نوعا من المزاح وهو فى ذلك يشير إلى الكاتب الفرنسىoctave Mirabeau.

(٤) (١٨٩٣- ١٩٥٨) أحد أبرز من غنوا الـ blues وواحد من أشهر العازفين على الجيتار.

الفصل (-15-)

(١) ولدت فى جورجيا ١٨٨٦ وهى أقدم مغنية blues معروفة حتى الآن.

(٢) (١٩٠٤- ١٩٤٣) عازف بيانو وأورج - من مواليد نيويورك.

(٣) (١٩١٠-١٩٤١) عازف سالس، ومغنى

(٤) ولد عام ١٩١٢ عازف بيانو ومؤلف موسيقى

الفصل (-16-)

(١) هى تسجيلات تاريخية لـ Duke Ellington مع الأوركسترا الخاصة به (١٨٩٩- ١٩٧٤) وهو عازف بيانو وBحد مؤسسى أشهر أوركسترا جاز. ألف أكثر من ٤٥٠ موضوعا وسجل أكثر من ٢٠٠٠.

(٢) عازف بيانو شهير.

(٣) شاعر فرنسى حصل على جائزة نوبل عام ١٩٦٠.

(٤) (١٤١٦- ١٤٩٢) رسام Quattrocento الفلورنسى. وأبرز أعماله توجد فى رسومات الفريسك فى كنيسة سان فرانثيسكو فى أريزو.

الفصل (-17-)

(١) (١٨٨٥- ١٩٤١) عازف بيانو ومن السكان الأصليين Criallo وقائد أوركسترا وهو أحد من أسسوا الأسلوب الموسيقى الجديد الذى يطلق عليه نيو أورليانز.

(٢) (١٣٧٧- ١٤٥٥) أحد رسامى مدرسة Veranaوهو واحد من أشهر رسامى الميداليات.

(٣) (١٨٧٤- ١٩٥١) أحد أبرز موسيقى مدرسة فينا.

(٤) ولد عام ١٩٢٩ - عازف ساكس ومغنى. يتسم مستواه بالصعود والهبوط والتناقض.

(٥) (١٩١٢- ١٩٥٦) أحد مبدعى التعبيرية التجريدية في الولايات المتحدة.

(٦) ولدعام ١٨٩٠ ينسب لنفس مدرسة Pollock.

(٧) واحدة من أشهر الأغانى الشعبية خلال العشرينات من القرن العشرين.

(٨) (١٨٨٩- ١٩٣٣) يعزف على آلة النفخ وهو من نيو أورليانز لكنه كان يقدم معزوفاته فى شيكاغو.

(٩) (١٨٧٩- ١٩٤٩) يعرف على الـ Trompetaوالكورنيت.

(١٠) (١٩٢٠- ١٩٨٠) عازف بيانو- ولد فى نيويورك.

(١١) ولدعام ١٩٢٨ ـ مغنى وعازف بيانو وساكس

(١٢) (١٩١٠– ١٩٥٦) أحد عمالقة العزف على البيانو.

(١٣) «تراب النجوم» هو معناها وهى أغنية كتبها ميشيل باريس.

(١٤) ولدت عام ١٩١٨ وهى من أفضل مغنيات الجاز فى الولايات المتحدة.

(١٥) ولد عام ١٩٢٥ فى تورونتو ـ عازف بيانو ـ كندى الجنسية.

الفصل (–18–)

(١) لفتكتور هوجو (١٨٠٢– ١٨٨٥)

(٢) لألكساندر روماس.

(٣) من المحتمل أنه يشير إلى ذلك الفنان J.P.Brinet الذى كان له تأثير كبير على السيرياليين.

(٤) ١٨٩٢– ١٩٤٠ عازف كلارينيت

(٥) نوع من السخرية الصوتية من اسم Aldaur Huxley الروائى الإنجليزى.

(٦) من المداعبات الصوتية لأسم الروائى الإنجليزى Aldous Huxxley.

(٧) ضابط إيقاع ولد عام ١٨٩٨.

الفصل (–19–)

(١) مدينة إيطالية تقع على بحر الأدرياتيكى

(٢) طبيب فرنسى شهير عاش خلال القرن السادس عشر وهو أحد رواد الجراحة الحديثة.

(٣) يقع هذا المكان بالقرب من بوينوس أيرس دارت فيه المعركة التى كانت إيذانا بانتهاء طغيان Rosas عام ١٨٥١م.

الفصل (–20–)

(١) هو ممثل كوميدى أمريكى ولد عام ١٩٠٤

الفصل (–21–)

(١) لورانس دوريل. من مؤلفاته «رباعية الإسكندرية».

(٢) سيمون دى بوفوار رفيقة سارتر ومؤلفة أعمال كثيرة.

(٣) ولدت مارجريت دوراس عام ١٩١٤ هي واحدة من كتاب "nouveau roman".
(٤) ربما كانت الإشارة هنا لمؤلف قصة Jean la parruque
(٥) ولدت في روسيا عام (١٩٠٢). روائية.
(٦) شاعر سيريالي - فرنسي ولد عام ١٩٠٠
(٧) (١٨٩٦- ١٩٤٨) شاعر ومجدد في المسرح الحديث.
(٨) ولد في باريس عام ١٨٨٥ وتوفي في نيويورك ١٩٦٥- أحد رواد الموسيقى المعاصرة.
(٩) أحد من أسهموا في خلق «المعجزة الألمانية» بعد الحرب
(١٠) أخت بيرجيت باردو
(١١) ولد عام ١٩٢٦ أحد رواد الإتجاه الجديد في الرواية "Nouveau Roman".
(١٢) ولد في بكين عام ١٩٢٠ هو أحد رسامي مدرسة باريس.
(١٣) ملاكم أرجنتيني
(١٤) أشهر جوكي أرجنتيني
(١٥) مغني ومؤلف موسيقي ولد في مونت كارلو عام ١٩١٦.
(١٦) هو اسم الشهرة لفرنسوا سيلي - مغني ومؤلف موسيقي.
(١٧) مؤلف أغاني وموسيقي فرنسي - ولد في القاهرة عام ١٩٣٠.
(١٨) (١٦٣٢- ١٦٧٧) هولندي من أسرة من المهاجرين اليهود من ذوي الأصل الأسباني.

الفصل (-22-)

(١) إشارة إلى بيت الشعر الشهير «الناس ليسوا جزيرة واحدة» [١٥٧١- ١٦٣١]

الفصل (-23-)

(١) (١٨٣٦- ١٨٩١) مؤلف موسيقي فرنسي.
(٢) (٨٨٣- ١٩٤٥) مؤلف موسيقي - مدرسة فينا.
(٣) (١٨١١- ١٨٨٦) من أشهر عازفي الكمان في الفترة الرومانسية.
(٤) (١٨٧٣- ١٩٤٣) من أشهر غازفي الكمان في خلال ما بعد الرومانسية.
(٥) (١٨٧٣- ١٩٢٩) عازف بيانو فرنسي.

(٦) (١٨٩٤- ١٩٦١) مؤلف قصة (رحلة إلى آخر الليلة)

(٧) مؤلف موسيقى وقائد أوركسترا فرنسى ولد عام ١٩٢٥.

(٨) أحد الأبطال وعنوان للمسرحية التى ألفها جيرى (١٨٧٣- ١٩٠٧)

(٩) (١٨٦٦- ١٩٢٥) مؤلف موسيقى فرنسى

(١٠) (١٨٨٠- ١٩٥٣) عازف فيولين ـ فرنسى الأصل

(١١) (١٨٩٩- ١٩٦٣) أحد مجموعة الموسيقيين الستة الفرنسية.

(١٢) (١٨٧٤- ١٩٣٦) ناقد ومؤرخ أدبى

(١٣) هو الاسم المستعار لكاتب شهير يخفى اسمه، وأحد مؤلفاته «الغموض فى الكاتدرائيات»

(١٤) (١٨٩٢- ١٩٨٣) هى واحدة من مجموعة الموسيقيين الستة.

(١٥) (١٨٧٤- ١٩٦٦) عازفة بيانو ومدرسة.

(١٦) (١٨٥٧- ١٩٢٤) روائى إنجليزى.

الفصل (-24-)

(١) رواية من روايات المغامرات لانطونى هوب

الفصل (-25-)

(١) (١٨٦٦- ١٩٣٨) فيلسوف وجودى من أصل روسى.

(٢) (١٦٢٣- ١٦٦٢) من مؤلفاته «أفكار»

الفصل (-26-)

(١) فى هذه الفقرات يبدأ المؤلف الإشارة إلى عدد من الرسامين من المدرسة الفرنسية خلال القرن العشرين

(٢) رسام تجريدى ولد عام ١٩٠٤

(٣) رسام سيريالى ولد عام ١٩٠٢

(٤) ولد عام ١٩٠٠

(٥) ولد عام ١٩١١ ـ بدأ نشاطه فى التكعيبية ثم خرج بعد ذلك على التجريدية الهندسية.

(٦) ولد عام ١٨٧٥ ـ رسام تكعيبى

(٧) فنان سويسرى

(٨) عالم إنثربولوجيا وباحث معاصر

(٩) أحد أبطال قصة لريلك عنوانها "el de Duino"

(١٠) هى الأراضى الأسطورية التى كانت تسافر إليها مراكب الملك سليمان بحثا عن الذهب والفضة.

الفصل (-28-)

(١) مغنى أوبرالى إيطالى ولد فى فلورنسا ١٩١٥

(٢) (١٨٣٣- ١٨٩٧) موسيقى كتب ثلاث سوناتات

(٣) هاملت ـ الفصل الخامس ـ المشهد الثانى.

(٤) (١٦٠٦- ١٦٦٩) رسام

(٥) فيلسوف ألمانى ولد فى بدايات القرن العشرين.

(٦) (١٣٩٠- ١٤٤٤) يعتبر واحدا من مبدعى الرسم الفلامنكى

(٧) أحد شخصيات القصة القصيرة التى تحمل عنوان «الحقيقة حول قضية السيد فالديمير» لآلان بويه

(٨) هو الاسم المستعار لجان فرانسوا جرافيليت (١٨٢٤- ١٨٩٧) الذى عبر فوق شلالات نياجرا عام ١٨٥٩ وهو يسير على سلك يرتفع عن الأرض بحوالى ٤٨ مترا وكان طول السلك ٣٣٠ مترا.

الفصل (-29-)

(١) رواية رومانسية للإنجليزى تشارلز مورجان

(٢) هنا إشارة إلى الحملة التى نظمتها اليونسكو لإنقاذ آثار النوبة من الغرق من جراء إنشاء السد العالى فى أسوان.

الفصل (-31-)

(١) (١٥٦٧- ١٥٨٩) فرنسى من طائفة الدومنيكان قام باغتيال إنريكى الثالث

(٢) أديب حاصل على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٦٥.

(٣) روائى أسباني - يعتبر من آباء الواقعية فى أسبانيا خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر.

(٤) مؤلفة لعدد من القصص الشهيرة «جراند أوتيل» ...

(٥) (١٨٨١- ١٩٥٨)

الفصل (-34-)

(١) عند قراءة هذا الفصل سوف يلاحظ القارئ وجود فواصل عبارة عن شُرَط مائلة ذلك أن المؤلف آراد أن يجمع فى هذا الفصل بين ما يفكر فيه أحد أبطال القصة وبين ما يقرأه وهو بداية إحدى قصص الروائى الأسبانى بيريت جالدوس. فالعبارة التى تلى على الشرطة الأولى والتى يبدأ بها الفصل يمكن لنا أن نضع لها ترقيما فرديا، ثم ترقيما زوجيا للعبارة التى تليها وبالتالى يكون الترقيم الفردى قاصر على ما يورده من رواية جالدوس والترقيم الزوجى قاصر على الخواطر التى يعيشها أثناء القراءة وهكذا حتى تختفى هذه الشُرط فى الفقرة الأخيرة من الفصل حيث تدخل كلها فى دائرة الخواطر.

(٢) هو لويس جونثا برابو (١٨١١- ١٨٧١) سياسى إسبانى من العصر الأيزابيلى. كان أحد أصدقاء الشاعر الأسبانى بيكر ...

(٣) خوان برابو موريو (١٨٠٢- ١٨٧٣) سياسى أسبانى من نفس العصر الأيزابيلى. كان من اليمين المعتدل ومن السياسيين القلائل من ذوى الأصل غير العسكرى بين الأسبان خلال القرن التاسع عشر.

الفصل (-35-)

(١) (١٩١٤- ١٩٥٥) فنان تجريدى، سوف يرد ذكر اسمه فى فصول لاحقة (٩١، ٩٦)

الفصل (-36-)

(١) هو اسم الشيطان حيث ورد ذكره فى التلمود

(٢) (١٨٥٩– ١٩٠٦) عالم فيزياء فرنسى - اكتشف الراديو. مات فى باريس عندما دهمته سيارة نقل.

(٣) واحدة من القصائد الفلسفية لألفريد دى فينى (١٧٩٧– ١٨٦٣) والتى عنوانها Les des-† tinees

(٤) هى القصيدة الوطنية الأرجنتنية من تأليف خوسيه إيرنانديث (١٨٢٤– ١٨٨٦)

(٥) أغنية فرنسية شعبية.

الفصل (–37–)

(١) يظهر هذا الاسم مرتبطا بعالم السيرك. (١٨١٠– ١٨٩١) - أمريكى حاز شهرة واسعة

(٢) هو اسم أحد قائدى السيارات المشهورين آنذاك (أرجنتينى)

الفصل (–40–)

(١) – هوليو بولد وتورس نلسون مخرج سينمائى أرجنتينى شهير ولد عام ١٩٢٤ ومن أفلامه الحائط، منزل الملاك، السقوط ...

(٢) ولد عام ١٩١٤ - روائى أرجنتينى ينسب إلى تيار القصص السحرى.

(٣) ولد عام ١٩٢٩ روائى أرجنتينى وكاتب مقال.

(٤) (١٨٩٥– ١٩٧٩) هو قسيس أرجنتينى لجأ إلى المقال والشعر والسرد القصصى للتعبير عن أفكاره الكاثوليكية.

(٥)

(٦) ولد عام ١٩٠٩ وهو مؤلف لقصص قصيرة ذات الطابع السيريالى وأخرى رومانسية.. كما أنه شاعر ومترجم.

(٧) هنا إشارة إلى «القاموس الأيدلوجى للغة الأسبانية» للمؤلف المذكور (١٨٧٧– ١٩٦٤) والذى شغل منصب أمين الأكاديمية الملكية للغة الأسبانية.

الفصل (–41–)

(١) (١٨٤٣– ١٨٨٨) روائى ينسب إلى المدرسة الطبيعية.

(٢) شاعر إيسلندى.

(٣) (١٨٦٥- ١٩٣٣) مؤلف «التاريخ الأدبى للشعور الدينى فى فرنسا» كان له تأثير كبير من خلال دراساته حول الكلمة الشعرية «والشعر المحض».

(٤) (١٧٨٠- ١٨٤٥) سياسى أرجنتينى. تم انتخابه رئيسا للجمهورية عام ١٩٢٦.

(٥) ممثلات أرجنتينيات.

الفصل (-42-)

(١) (١٨٨٨- ١٩٧٠) شاعر إيطالى ـ من أعماله الميناء المدفون، الألم، شعور الزمن.

(٢) هو أحد الكتب الشهيرة فى الديانه المصرية القديمة والذى يتحدث عن العالم الآخر.

(٣) (١٩١٧- ١٩٥٠) عازف بيانو رومانى. كان ينظر إليه على أنه الطفل المعجزة.

الفصل (-45-)

(١) (١٧٢٠- ١٧٧٨) تتسم لوحاته بأنها تتسق مع الحساسية الفنية المعاصرة.

الفصل (- 46-)

(١) (١٨٨٩- ١٩٦٠) عالم، ومترجم أسبانى. وهو أول من ترجم الأعمال الكاملة لشكسبير فى أسبانيا.

(٢) اسم شخصية أسطورية ترمز إلى العلوم القديمة.

الفصل (-49-)

(١) إحدى المعارك الشهيرة خلال الحرب العالمية الثانية (أبريل ١٩٤٥) حيث أنزل الحلفاء جنودهم فى أوكيناوا فى اليابان.

الفصل (-50-)

(١) ممثلة إيطالية ولدت عام ١٩٣٣. مثلث بعض الأفلام مثل «المغامرة» والليلة، الخسوف ...

الفصل (-٥١-)

(١) Birome هو اسم المخترع الأرجنتينى للقلم الجاف. وقد ذكرناه فى البداية بهذا الاسم ثم أشرنا إليه بـ القلم الجاف» فى كل موضع كان الكاتب يذكر فيها اسم المخترع باطلاقه على اختراعه.

(٢) هو مصطلح إنجليزى أطلق على سياسة الرئيس الأمريكى الأسبق روز فلت.

الفصل (-54-)

(١) رسامة معاصرة من أمريكا اللاتينية.

(٢) هو المكان الذى هاجم فيه المالقة الآلهة لكنهم هزموا فى مقدونيا (الأساطير اليونانية).

(٣) إشارة ساخرة إلى فلورنشا نايتجال ١٨٢٠- ١٩١٠) المعطاءة الإنجليزية فى قطاع المستشفيات.

(٤) إشارة إلى أسطورة أورفيو الذى ينزل إلى الجحيم لينقذ زوجته إيوريديس.

(٥) أسطورة يهودية وردت فى التلمود وتتحدث عن إنسان صنع من الطين لهذه القصة علاقة قوية بقصه خلق آدم.

(٦) شجرة العالم فى نظر النورمانديين، ولها جذور ثلاثة تحصل على مياهها من نبع المعرفة ومن سر المصير ومن أعماق الأرض. وتعتمد عليها قصة الفيلم الأمريكى «شجرة الحياة»

الفصل (-56-)

(١) هى منطقة سهلية تقع بالقرب من مدينة Talca فى شيلى. وقد وقعت فيها معركة أثناء حرب الإستقلال إذ كان وصول القوات الأسبانية إلى هناك عام ١٨١٨ سببا فى أن ساد الذعر بين السكان الذين تعرضوا لهزيمة أخرى فى نفس المكان وخلال نفس الشهر.

الفصل (-57-)

(١) موسيقى من أبناء أمريكا اللاتينية

الفصل (-60-)

(١) (١٨٨٠- ١٩٤٢) نمساوى من أبرز من أدخلوا تجديدات على الرواية المعاصرة.

(٢) (١٨٧٧- ١٩٣٣) أحد رواد السريالية.

(٣) (١٩١٠- ١٩٧٦) شاعر وروائى وكاتب مقال ـ كوبا.

(٤) (١٩٠٠- ١٩٨٣) أبرز مخرجى السينما الأسبانية فى الحقبة المعاصرة ـ السريالية أبرز توجهاته.

(٥) (١٨٩٩- ١٩٨٤) شاعر ورسام.

(٦) كاتب إيطالى ولد عام ١٩٠٦

(٧) (١٨٦٦- ١٩٦٢) واحد من أبرز مبدعى البناية الروسية.

(٨) (١٥٢٧- ١٥٩٣) رسام إيطالى فى خدمة سلالة هابيسبورج

(٩) مخرج سينمائى فرنسى وأول المخرجين الذين تم إختيارهم ليكون عضوا فى الأكاديمية

(١٠) رسام إيطالى

(١١) شاعر أمريكى معاصر

(١٢) هى بارونة ولدت فى الدانمارك عام ١٨٨٥ وبدأت مشوارها الأدبى عام ١٩٣٥ والاسم السابق هو الاسم المستعار

الفصل (-68-)

× هو أبرز مظاهر استخدام كور تاثار للغة جديدة أطلق عليها فى سطور الرواية الجليجلية وهى لغة يقتصر فهمها على اثنين، وهما فى هذه الحالة بهذة اللغة لاماجا وأوراثيو (لمزيد من التفاصيل نرجو من القارئ العزيز مراجعة التعليق الخاص بهذا البند فى المقدمة.

الفصل (-70-)

(١) (١٢٦٠- ١٣٢٧) فيلسوف ومتصوف ألمانى

الفصل (-71-)

(١) (١٨٥٨- ١٩٤٧) فيزيائى أغانى ـ جائزة نوبل عام ١٩١٨.

(٢) فيزيائى ألمانى حاصل على جائزة نوبل عام ١٩٢٣

(٣) هو عنوان قصيدة لسيلى (١٨١٣). هذه الشخصية هى ملكة الحوريات فى الأدب الإنجليزى

(٤) سوف يتمخض عن هذه العبارة قصة الالتفاف حول اليوم من خلال ثمانين عالما

(٥) هو مقطع من أغنية ساخرة حازت شهرة شعبية منذ بداية القرن العشرين ودائما ما تغنى عندما تسير كل الأمور فى طريق غير قويم فى بلد من البلدان.

الفصل (-73-)

(١) كهف يفترض أنه يعود إلى العصر المجدلى أى إلى عام ١٤٠٠ ق. م. ثم اكتشفوه عام ١٩٤٠.

(٢) رسام فرنسى ولد عام ١٩١٢ ـ حاز شهرة واسعة فى حينه.

(٣) كانا رمز الخير والشر فى الديانة التى كان عليها الفرس. وهذا يعنى أن المؤلف يرفض هذه الثنائية.

الفصل (-74-)

(١) لقد أشار كوتاثار قبل ذلك إلى هذه الموسيقى عندما توفى الطفل روكاما دور (الفصل ٢٨)

الفصل (-78-)

(١) (١٨٩٤- ١٩٦٢) شاعر أمريكى معاصر

(٢) يدخل هنا عنوان فيلمين شهرين للأخوين ماركس.

الفصل (- 79-)

(١) إشارة إلى بودرلير «زهور الشر»

(٢) سوف يشير أيضا إلى جيمس جويس فى الفصلين ٩٥، ٩٧.

الفصل (-81-)

(١) (٤٤٥- ٣٨٦ ق.م) أشهر كاتب مسرحى يوناني. مدافع قوى عن التراث والتقاليد.

الفصل (-82-)

(١) ربما كان ذلك نوعا من التنويه بفاوست لجوته.

الفصل (-٨٣-)

(١) لفيرجينيا وولف. وربما كانت أفضل القصص التى تأخذ توجه المدرسة الانطباعية.
(٢) (١٦٦٧- ١٧٤٥) كاتب ساخر. أصيب بالجنون خلال الأعوام الثلاثة السابقة محل وفاته.

الفصل (-84-)

(١) إشارة إلى رسوم ألبرتو دويرو (١٤٧١- ١٥٢٨)
(٢) مارسيل جوهاندو - ولد عام ١٨٨٨ - روائى فرنسى وكاتب مقال من ذوى الاتجاهات الأخلاقية. تدورأحداث رواياته فى قرية متخيلة.

الفصل (-86-)

(١) اشتهرا فى العالم أجمع لعملهما «عودة السحرة» الذى أسهم فى خلق اتجاه جديد هو عالم الباطنية

الفصل (-87-)

(١) أحد مؤلفَى واحدة من الدراسات الكلاسيكية عن روكى إيلنجتون
(٢) عازف Trampera ومدير فرقة ولد عام ١٩٠٨. وبدع فترة انضم إلى أوركستر روكى إيلنجتون
(٣) هناك جزء هام من قصائد كانولو مخصصة لمحبوبته ليسبيا

الفصل (-90-)

(١) هو حلقة من الـ Mahabarata مؤلفة من ٧٠٠ بيت. وفيه يتحول الإلة كريشنا إلى حوذى تابع لأجورا ويلقن هذا الأخير دروسا فى الفلسفة وفن اليوجا هذه الدروس هى خلاصة لما سبق من تعليمات.
(٢) طبقا للأساطير اليونانية فإن Tantalo، ملك ليديا عاقبته الآلهة عقابا أليما إذ جعله تأثير العطش والجوع يرى الماء وهو يهرب من بين شفتيه ويرى فروع الشجر وهى تبتعد عنه محملة بأطيب الثمار.

الفصل (-91-)

(١) هى مجموعة من المشاهد رسمها باولو أوسيلو (١٣٩٧- ١٤٧٥)

(٢) هو نحات رومانى قريب فى أسلوبه النحتى من المدرستين التكعبية والسيريالية.

(٣) ولد عام ١٩١٠ وهو مؤلف روايات وأعمال مسرحية.

الفصل (-92-)

(١) ولد فى موسكو ١٩٠٦ - رسام تجريدى - يقوم برسم مساحات ضخمة مستخدما الألوان البسيطة.

(٢) تمت الإشارة إليه فى فصل سابق ضمن رسامى مدرسة باريس.

(٣) (١٨٩٧- ١٩٦٤) رسام فرنسى.

(٤) ممثلة سينمائية فرنسية.

(٥) ولد عام ١٩٢٢ روائى، وكوميديان.

الفصل (-93-)

(١) (١٨٦٩- ١٩٥٩) هو أحد مؤسسى الهندسة المعمارية العضوية فى الولايات المتحدة. من خلال فكرته، «الطابق الحرّ»

(٢) (١٨٨٧- ١٩٦٥) أحد عمالقة هندسة المعمار خلال القرن العشرين.

(٣) هو اسم لأمير أسطورى كانت له مائة عين (الأساطير اليونانية)

(٤) شاعر وناقد مكسيكى معاصر توفى منذ أعوام قليلة - ولد عام ١٩١٤

(٥) هى ماركيزة (١٦٣٠- ١٦٧٦) كانت تدس السم لمن شاءت فقد دست السم لأبيها وإخوتها ولآخرين. تم إعدامها عام ١٦٧٦.

(٦) (١٥٢٩- ١٥٩٠) كاتب إنجليزى

(٧) نوع من المنسوجات ذات الأصل العربى بها أشكال هندسية ومساحات من الألوان أو الحرير.

(٨) (١٤١٦- ١٤٩٢) رسام إيطالى - فلورنسا.

الفصل (-95-)

(١) لابد وأنه إشارة عن كتب عن البوذى «زن» ليس إشارة للرسام الذى يحمل نفس الاسم.

(٢) هى واحدة من الصيحات هتافا لراداميس فى الفصل الأول - المشهد الأول لأوبرا عايدة.

الفصل (-96-)

(١) طبقا للأساطير اليونانية كان يملأ قاربه بأرواح الموتى ويطالبها مسبقا بدفع الثمن حتى يعبر بها أنهار الجحيم.

الفصل (-97-)

(١) أحد الموضوعات الرئيسية فى الآداب العالمية حيث يجتمع الحب والموت.

(٢) (١٨٤٧) هى بطلة وعنوان رواية شارلوت برونتى (١٨٥٥)

(٣) أحد أبطال واحدة من روايات أندريه جيد (١٨٦٩- ١٩٥١)

(٤) بطل رواية «عليس» لجيمس جويس

الفصل (-99-)

(١) (١٨٣٣- ١٩١١) فيلسوف ألمانى - مؤلف «مدخل إلى علوم الروح)

(٢) (١٨٥٩- ١٩٣٧) مبدع fenomenologia

(٣) روائى إنجليزى

(٤) يظهر هنا كرمز للحكمة الشعبية وكعبة يقصدها الكثير من شباب العالم

الفصل (-100-)

(١) (١٤٧٢- ١٥٥٣) رسام ألمانى ذو وشائج وثيقة بالمذهب البروتستانتى فى الديانة المسيحية.

(٢) هو عالم ودكتور ملعون، وهو تجسيد لما يسمى «بالخطر الأصفر»

الفصل (-108-)

(١) روائى أرجنتينى ولد عام ١٨٩٤.

(٢) هو لويس دومينيك كرتوش مجرم فرنسى شهير ولد عام ١٦٩٣ - وأعدم عام ١٧٢١ م.

الفصل (-110-)

(١) هى ابنة المؤلف الموسيقى القطالانى (أسبانيا) چواكين نين - ولدت فى باريس عام ١٩٠٣ كانت صديقة لهنرى ميلر.

الفصل (-112-)

(١) مؤلف مسرحي شهير.

٢٠) مؤلف مسرحي معاصر ولد عام ١٩١٠.

الفصل (-116-)

(١) (١٨٩٧- ١٩٦٢) هو واحد من الذين انقلبوا على الأدب التقليدى وذلك من خلال سلسلة مقالات له تناولت: *الجمال والفلسفة والسرد القصصي.*

(٢) أحد مشاهير *النقد الفني* من المعاصرين. مؤلف «*تاريخ نقد الفن*»

(٣) أحد مشاهير النقد الفنى من المعاصرين. من مؤلفاته «الماضى فى الحاضر» شغل أيضا منصب عمدة روما.

الفصل (-125-)

(١) هي أسماء لحروف فى الأبجدية اليونانية.

الفصل (-126-)

(١) (١٧٨١- ١٨٣١) كاتب مسرح رومانسى ألمانى

الفصل (-129-)

(١) هو المؤرخ الإنجليزى الشهير.

(٢) ١٨٧٦- ١٩٥٨) إنثربولوجي فرنسي مؤلف «أصول الإنسان الأمريكى».

الفصل (-133-)

(١) شاعر إسبانى (القرن التاسع عشر) رومانسى.

(٢) شعب من أصل جرمانى غزا إسبانيا قديما.

الفصل (-141-)

(١) فى ١٢ مارس ١٩٣٨ يطلق هتلر دباباته على النمسا التى تستسلم بدون مقاومة وفى اليوم التالى يتم إعلان انضمامها إلى الرايخ الألمانى

(٢) نصوص هندوسية مقدسة مكتوبة باللغة السنسكريتية.

الفصل (-142-)

(١) هو أستاذ رفائيل (١٤٤٦- ١٥٢٤)
(٢) توفى عام ١٤٧٢. هو أحد الرسامين الإيطاليين المشهورين.
(٣) (١٤٦٣- ١٤٩٤) مؤلف ينسب إلى الأفلاطونية الجديدة.
(٤) (١٤٠٧- ١٤٥٧) مؤلف إيطالى أسهم فى نشر النصوص اليونانية واللاتينية.
(٥) (١٨١٨- ١٨٩٧) هو المؤرخ الألمانى الشهير مؤلف كتاب تاريخ الثقافة اليونانية
(٦) هو من قام بتحليل توجهات الرسم فى عصر النهضة الإيطالى.
(٧) (١٤٨٦- ١٥٣١) رسام فلورنسى من عصر النهضة.

الفصل (-144-)

(١) Algalia هو عطر خليط من المسك والعنبر.

الفصل (-145-)

(١) كاتب بولندى معاصر.

الفصل (-148-)

(١) هو كاتب لاتينى جاء بعد عصر الإمبراطور أغسطس ألف عشرين كتابا

الفصل (-١٥٢-)

(١) هو شاعر غنائى فرنسى ولد عام ١٩٠٣ ومؤلف مسرحى أيضا.

الفصل (-155-)

(١) اسم طبيب فرنسى.

المشروع القومى للترجمة

١- اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢- الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣- التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقى جلال
٤- كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت : أحمد الحضرى
٥- ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦- اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل قايد
٧- العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكى
٨- مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩- التغيرات البيئية	أندرو س. جودى	ت : محمود محمد عاشور
١٠- خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت: محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١- مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢- طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣- ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
١٤- التحليل النفسى والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
١٥- الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفى
١٦- أثينة السوداء	مارتن برنال	ت: بإشراف: أحمد عتمان
١٧- مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوى
١٨- الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩- الأعمال الشعرية الكاملة	چورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠- قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت: يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
٢١- خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ت : ماجدة العنانى
٢٢- مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢٣- تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤- ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : بكر عباس
٢٥- مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦- دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧- التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبة
٢٨- رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
٢٩- الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
٣٠- الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣١- مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	ت: عبد الستار الحلوجى / عبد الوهاب علوب
٣٢- الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣- التاريخ الاقتصادى لإفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣٤- الرواية العربية	روجر آلن	ت : حصة إبراهيم المنيف
٣٥- الأسطورة والحداثة	پول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت

العنوان	المؤلف	المترجم
٣٦- نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
٣٧- واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
٣٨- نقد الحداثة	آلن تورين	ت : أنور مغيث
٣٩- الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
٤٠- قصائد حب	آن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
٤١- ما بعد المركزية الأوربية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحى / محمود ماجد
٤٢- عالم ماك	بنجامين باربر	ت : أحمد محمود
٤٣- اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	ت : المهدى أخريف
٤٤- بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	ت : مارلين تادرس
٤٥- التراث المغدور	روبرت ج دنيا - جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
٤٦- عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد على
٤٧- تاريخ النقد الأدبى الحديث (١)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨- حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتى
٤٩- الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
٥٠- ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
٥١- مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م بينياليستى	ت : محمد أبو العطا
٥٢- العلاج النفسى التدعيمى	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣- الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت : مرسى سعد الدين
٥٤- المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحى
٥٥- ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	ت : على يوسف على
٥٦- الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود على مكى
٥٧- الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى
٥٨- مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
٥٩- المحبرة	كارلوس مونييث	ت : السيد السيد سهيم
٦٠- التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت : صبرى محمد عبد الغنى
٦١- موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهرى
٦٢- لذّة النّص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
٦٣- تاريخ النقد الأدبى الحديث (٢)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤- برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت : رمسيس عوض .
٦٥- فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
٦٦- خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧- مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدى أخريف
٦٨- نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
٦٩- العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠- ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١- السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت : حسين محمود

٧٢- السياسى العجوز	ت . س . إليوت	ت : فؤاد مجلى
٧٣- نقد استجابة القارئ	چين . ب . تومبكنز	ت : حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤- صلاح الدين والماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوڤا	ت : حسن بيومى
٧٥- فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت : أحمد درويش
٧٦- جاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من الكتاب	ت : عبد المقصود عبد الكريم
٧٧- تاريخ النقد الأدبى الحديث ج ٣	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨- العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت : أحمد محمود ونورا أمين
٧٩- شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكى	ت : سعيد الغانمى وناصر حلاوى
٨٠- بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	ت : مكارم الغمرى
٨١- الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	ت : محمد طارق الشرقاوى
٨٢- مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	ت : محمود السيد على
٨٣- مختارات	غوتفريد بن	ت : خالد المعالى
٨٤- موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت : عبد الحميد شيحة
٨٥- منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	ت : عبد الرازق بركات
٨٦- طول الليل	جمال مير صادقى	ت : أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧- نون والقلم	جلال آل أحمد	ت : ماجدة العنانى
٨٨- الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٨٩- الطريق الثالث	أنتونى جيدنز	ت : أحمد زايد ومحمد محيى الدين
٩٠- وسم السيف	ميجل دى ثربانتس	ت : محمد إبراهيم مبروك
٩١- المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوستكا	ت : محمد هناء عبد الفتاح
٩٢- أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكى المعاصر	كارلوس ميجل	ت : نادية جمال الدين
٩٣- محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	ت : عبد الوهاب علوب
٩٤- الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	ت : فوزية العشماوى
٩٥- مختارات من المسرح الإسبانى	أنطونيو بويرو باييخو	ت : سرى محمد محمد عبد اللطيف
٩٦- ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	ت : إدوار الخراط
٩٧- هوية فرنسا مج ١	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
٩٨- الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	نماذج ومقالات	ت : أشرف الصباغ
٩٩- تاريخ السينما العالمية	ديڤيد روبنسون	ت : إبراهيم قنديل
١٠٠- مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	ت : إبراهيم فتحى
١٠١- النص الروائى (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	ت : رشيد بنحدو
١٠٢- السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبى	ت : عز الدين الكتانى الإدريسى
١٠٣- قبر ابن عربى يليه آياء	عبد الوهاب المؤدب	ت : محمد بنيس
١٠٤- أوبرا ماهوجنى	برتولت بريشت	ت : عبد الغفار مكاوى
١٠٥- مدخل إلى النص الجامع	چيرارچينيت	ت : عبد العزيز شبيل
١٠٦- الأدب الأندلسى	د. ماريا خيسوس روبييرامتى	ت : د. أشرف على دعدور
١٠٧- صورة الفدائى فى الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة	ت : محمد عبد الله الجعيدى

١٠٨- ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى	مجموعة من النقاد	ت : محمود علي مكى
١٠٩- حروب المياه	چون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
١١٠- النساء فى العالم النامى	حسنة بيجوم	ت : منى قطان
١١١- المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢- الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	ت : إكرام يوسف
١١٣- راية التمرد	سادى پلانت	ت : أحمد حسان
١١٤- مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستنقع	وول شوينكا	ت : نسيم مجلى
١١٥- غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	ت : سمية رمضان
١١٦- امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	ت : نهاد أحمد سالم
١١٧- المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
١١٨- النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	ت : لميس النقاش
١١٩- النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهرى سنبل	ت : بإشراف/ رؤوف عباس
١٢٠- الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	ت : نخبة من المترجمين
١٢١- الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	ت : محمد الجندى ، وإيزابيل كمال
١٢٢- نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت : منيرة كروان
١٢٣- الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نينل الكسندر وفنادولينا	ت: أنور محمد إبراهيم
١٢٤- الفجر الكاذب	چون جراى	ت : أحمد فؤاد بلبع
١٢٥- التحليل الموسيقى	سيدريك ثورپ ديڤى	ت : سمحه الخولى
١٢٦- فعل القراءة	ڤولڤانج إيسر	ت : عبد الوهاب علوب
١٢٧- إرهاب	صفاء فتحى	ت : بشير السباعى
١٢٨- الأدب المقارن	سوزان باسنيت	ت : أميرة حسن نويرة
١٢٩- الرواية الاسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	ت : محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠- الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	ت : شوقى جلال
١٣١- مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى)	مجموعة من المؤلفين	ت : لويس بقطر
١٣٢- ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	ت : عبد الوهاب علوب
١٣٣- الخوف من المرايا	طارق على	ت : طلعت الشايب
١٣٤- تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	ت : أحمد محمود
١٣٥- المختار من نقد ت. س. إليوت	ت. س. إليوت	ت : ماهر شفيق فريد
١٣٦- فلاحو الباشا	كينيث كونو	ت : سحر توفيق
١٣٧- مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية	چوزيف مارى مواريه	ت : كاميليا صبحى
١٣٨- عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيڤلينا تارونى	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩- پارسيڤال	ريشارد ڤاچنر	ت : مصطفى ماهر
١٤٠- حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	ت : أمل الجبورى
١٤١- اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت : نعيم عطية
١٤٢- الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	ت : حسن بيومى
١٤٣- قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديريك لايدار	ت : عدلى السمرى
١٤٤- صاحبة اللوكاندة	كارلو جولدونى	ت : سلامة محمد سليمان

العنوان	المؤلف	المترجم
١٤٥- موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	ت : أحمد حسان
١٤٦- الورقة الحمراء	ميجيل دى ليبس	ت : على عبدالرؤوف البمبى
١٤٧- خطبة الإدانة الطويلة	تانكريد دورست	ت : عبدالغفار مكاوى
١٤٨- القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكى أندرسون إمبرت	ت : على إبراهيم على منوفى
١٤٩- النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	ت : أسامة إسبر
١٥٠- التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	ت : منيرة كروان
١٥١- هوية فرنسا مج ٢ ، ج١	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٢- عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكتاب	ت : محمد محمد الخطابى
١٥٣- غرام الفراعنة	فيولين فانويك	ت : فاطمة عبدالله محمود
١٥٤- مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت : خليل كلفت
١٥٥- الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة من الشعراء	ت : أحمد مرسى
١٥٦- المدارس الجمالية الكبرى	جى أتيال وآلان وأوديت فيرمو	ت : مى التلمسانى
١٥٧- خسرو وشيرين	النظامى الكنوجى	ت : عبدالعزيز بقوش
١٥٨- هوية فرنسا مج ٢ ، ج٢	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٩- الإيديولوجية	ديڤيد هوكس	ت: إبراهيم فتحى
١٦٠- آلة الطبيعة	بول إيرليش	ت: حسين بيومى
١٦١- من المسرح الإسبانى	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت: زيدان عبدالحليم زيدان
١٦٢- تاريخ الكنيسة	يوحنا الآسيوى	ت: صلاح عبدالعزيز محجوب
١٦٣- موسوعة علم الاجتماع	جوردن مارشال	ت: بإشراف: محمد الجوهرى
١٦٤- شامبوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	ت: نبيل سعد
١٦٥- حكايات الثعلب	أ. ن أفانا سيفا	ت: سهير المصادفة
١٦٦- العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليڤمان	ت: محمد محمود أبو غدير
١٦٧- فى عالم طاغور	رابندرانات طاغور	ت: شكرى محمد عياد
١٦٨- دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت: شكرى محمد عياد
١٦٩- إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	ت: شكرى محمد عياد
١٧٠- الطريق	ميغيل دليبيس	ت: بسام ياسين رشيد
١٧١- وضع حد	فرانك بيجو	ت: هدى حسين
١٧٢- حجر الشمس	مختارات	ت: محمد محمد الخطابى
١٧٣- معنى الجمال	ولتر ت. ستيس	ت:إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤- صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	ت: أحمد محمود
١٧٥- التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	ت: وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦- نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	ت: جلال البنا
١٧٧- أنطون تشيخوف	هنرى ترويا	ت: حصة إبراهيم المنيف
١٧٨- مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	ت: محمد حمدى إبراهيم
١٧٩- حكايات أيسوب	أيسوب	ت: إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠- قصة جاويد	إسماعيل فصيح	ت: سليم عبد الأمير حمدان
١٨١- النقد الأدبى الأمريكى	فنسنت ب. ليتش	ت: محمد يحيى
١٨٢- العنف والنبوءة	و.ب. ييتس	ت: ياسين طه حافظ
١٨٣- چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه چيلسون	ت: فتحى العشرى

١٨٤- القاهرة... حالمة لا تنام	هانز إيندورفر	ت: دسوقى سعيد
١٨٥- أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت: عبد الوهاب علوب
١٨٦- معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل إنوود	ت:إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧- الأرضة	بُزُرْج علوى	ت:محمد علاء الدين منصور
١٨٨- موت الأدب	الفين كرنان	ت:بدر الديب
١٨٩- العمى والبصيرة	پول دى مان	ت:سعيد الغانمى
١٩٠- محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت:محسن سيد فرجانى
١٩١- الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت: مصطفى حجازى السيد
١٩٢- سياحت نامه إبراهيم بيك جـ١	زين العابدين المراغى	ت:محمود سلامة علاوى
١٩٣- عامل المنجم	بيتر أبراهامز	ت:محمد عبد الواحد محمد
١٩٤- مختارات من النقد الأنجلو-أمريكى	مجموعة من النقاد	ت: ماهر شفيق فريد
١٩٥- شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	ت:محمد علاء الدين منصور
١٩٦- المهلة الأخيرة	فالتين راسبوتين	ت:أشرف الصباغ
١٩٧- الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	ت: جلال السعيد الحفناوى
١٩٨- الاتصال الجماهيرى	ادوين إمرى وآخرون	ت:إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩- تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداوى	ت: جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠- ضحايا التنمية	جيرمى سيبروك	ت: فخرى لبيب
٢٠١- الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	ت: أحمد الأنصارى
٢٠٢- تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ٤	رينيه ويليك	ت: مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣- الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	ت: جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤- تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	ت: أحمد محمود هويدى
٢٠٥- الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى- سفورزا	ت: أحمد مستجير
٢٠٦- الهيولية تصنع علماً جديداً	جيمس جلايك	ت: على يوسف على
٢٠٧- ليل إفريقى	رامون خوتاسندير	ت: محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٠٨- شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	ت: محمد أحمد صالح
٢٠٩- السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	ت: أشرف الصباغ
٢١٠- مثنويات حكيم سنائى	سنائى الغزنوى	ت: يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١- فردينان دوسوسير	جوناثان كلر	ت: محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢- قصص الأمير مرزبان	مرزبان بن رستم بن شروين	ت: يوسف عبدالفتاح فرج
٢١٣- مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبدالناصر	ريمون فلاور	ت: سيد أحمد على الناصرى
٢١٤- قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	ت: محمد محمود محى الدين
٢١٥- سياحت نامه إبراهيم بيك جـ٢	زين العابدين المراغى	ت: محمود سلامة علاوى
٢١٦- جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	ت: أشرف الصباغ
٢١٧- عولمة السياسة العالمية	جون بايلس و ستيث سميث	ت: وجيه سمعان عبد المسيح
٢١٨- لعبة الحجلة (رايولا)	خوليو كورتازان	ت: على إبراهيم على منوفى

رقم الإيداع ١٤٧٣٢ / ٢٠٠٠
I.S.B.N 977 - 3 05 - 254 - 0
طبع بالمركز المصرى العربى ت : ٧٧٩٥٦٠٧





Rayuela
Julio Cortàzar

إن خوليو كورتاثار يرى فى الحجلة تعبيرًا مجازيًا ضخمًا عما يبحث. إنه البحث عن المطلق وعن المركز . هناك فى الحجلة عنصران : الحلقة الأولى هى الأرض، أما الهدف فهو السماء؛ لعبة يملك الأطفال قوانينها التى لاتعتمد على القياس المنطقى المطلق، بل إنها أيضا حالة التهيؤ التى عليها الطفل دون أن يدرى، وعلى البالغين ألا ينسوا تلك الحالة إذا ما أرادوا إدراك الواقع المحيط؛ ليس اعتمادا فقط على القياس المنطقى، بل بالإبقاء على ذلك الموروث.

وتتألف هذه الرواية من ثلاثة أجزاء : يحمل الجزء الأول أو القسم الأول منها عنوان «من هذا الجانب»؛ حيث يتضمن عدة فصول تبدأ من الأول المسبوق «بالقائمة الإرشادية» التى تنوه إلى واحدة من أنماط قراءة الرواية، وينتهى بالفصل السادس والثلاثين. أما القسم الثانى فيحمل عنوان «من ذلك الجانب»، ويتضمن عدة فصول تنتهى بالفصل السادس والخمسين، وهو فصل تنتهى عنده واحدة من القراءات العديدة التى يشير إليها كورتاثار، أما الجزء الأخير منها فيحمل عنوان «من الجوانب الأخرى»، ويتبع المؤلف هنا العنوان بعنوان جانبى «فصول يمكن الاستغناء عنها»؛ الأمر الذى حدا ببعض النقاد إلى اعتبار هذا الجزء الأخير وكأنه بمثابة درج الخيّاط؛ أى أن به الكثير من الأدوات والأشياء المتشابكة، أو بمثابة «الفيّش البحثية» التى كان يجب أن تلزم الدوسيهات بعد أن يفرغ الباحث من تحرير بحثه.

